# أهل السنة في القران والسنة

الطبعة الرابعة مزيدة ومنقحة

تأليف

ساجد شريف عطية

تحقيق

الدكتور حيدر سالم المالكي

هذهِ الطبعة الرابعة

مزيدة ومنقحة

حقوق الطبع محفوظة







# أهل السنة

# في القران والسنة

الطبعة الأولى ١٩٩٨م - ١٤١٩هـ.ق

تأليف

ساجد شريف عطية

تحقيق

الدكتور حيدر سالم المالكي

أعوذ باللهِ من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على مُحَمَّد وآل مُحَمَّد

رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي

طه ٢٥- ٢٨

## هوية الكتاب



| عنوان الكتاب | **أهل السنة في القران والسنة** |
|---|---|
| عنوان فرعي | موسوعة اتقان القران وعلوم الرحمن - الجزء ١٤ |
| تأليف | **ساجد شريف عطية** |
| تحقيق | **الدكتور حيدر سالم المالكي** |
| عدد الصفحات | **٦٤٠** |
| المراجعة والتصحيح اللغوي | مركز فاعلون للبحوث والدراسات |
| الطبعة السابقة | الاولى عام ١٩٩٨م - ١٤١٩هـ.ق |
| الطبعة الحالية | **الرابعة عام ٢٠٢١ م – ١٤٢٢هـ.ق** |
| الطبعة | مكتبة بارسا |





موافق للمطبوع – الطبعة الرابعة

مزيدة ومنقحة

    

# تمهيد

بعد حمد الله وتعالى ونستغفره ونتوب اليه في بداية الكلام هذا المجلد يختص بـ( أهل السنة في القران والسنة ) ومن مصادر ومصنفات وصحاح اهل السنة والشيعة .

وهو ( الجزء الرابع عشر ) من اجزاء موسوعة ( اتقان القران وعلوم الرحمن) تأليف ساجد شريف عطية من الطبعة الاولى عام ١٩٩٨م - ١٤١٩هـ.ق ، وهذهِ الطبعة الرابعة مزيدة ومنقحة ، من مصادر حديثة ، وجميع مباحثها عن بيان وشروح وتوضيح من مقام الدفاع ، مع طرح بعض الشبهات والاشكالات .

ثم الرد عليها من خلال طرح علمي بالأسانيد والمصادر ونذكر من باب الدليل لروايات من كتب الشيعة والسنة ، ولا نقصد الإساءة الى أي أحد سواء كان من السنة أو الشيعة أو الخلفاء او الأئمة او الصحابة او التابعين او غيرهم او كانت من امهات المؤمنين زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وما تجده من اقوال مخالفة لمعتقداتك فهي اما منقولة عن رأي لأحد ما ودمج كلامهِ بضمنهِ ، او تعبر عن رأي صاحبها او حديث ، وكل ما ورد هنا من أحاديث فهي من مصادر الشيعة ومصادر اخواننا أهل السنة .

مركز فاعلون للبحوث والدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة الاولى

## السنة والسيرة

ما تلاحظه هنا سنتخذ طريقة الكتابة والاسلوب عند اخواننا اهل السنة، فالحمد لله نحمده ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، فمن يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله ﷺ. قال الله تعالى بكتابه العزيز:

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)[1]، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا).

وقال تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)[2].

أما بعد ، فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي مُحَمَّد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

---

١- ال عمران ١٠٢ .

٢- الاحزاب ٧٠ – ٧١ .

**أولاً : التدوين في العهد النبوي :**

تجد ان تدوين السنة النبوية هل دُوِّنت السنة في العهد النبوي؟. سأتناول هذا الموضوع معتمداً على ما ذكره الإمام البخاري في باب كتابة العلم من صحيحه، وعلى شرح الحافظ ابن حجر العسقلاني[٣].

الحديث الاول : عن أبي جُحَيْفَةَ – وهب السوائي – قال: قلت لعلي: هل عندكم كتاب؟. قال: لا إلا كتابُ الله، أو فهمٌ أُعطيه رجلٌ مسلم، أو مافي هذه الصحيفة. قال: قلت: فما في هذه الصحيفة؟. قال: العقلُ، وفكاكُ الأسير، ولا يقتلُ مسلمٌ بكافر.

قال ابن حجر: قوله : (هل عندكم) الخطاب لعليعليه السلام، والجمعُ إما لإرادته مع أهل البيتعليهم السلام أو للتعظيم. قوله: (كتاب) أي: مكتوبٌ أخذتموه عن رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم مما أُوحيَ إليه، ويدل على ذلك رواية المصنِّف – أي البخاري – في (الجهاد): هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ .

وإنما سأله أبو جحيفة عن ذلك لأن جماعة من الشيعة كانوا يزعمون أن عند أهل البيتعليهم السلام – لا سيما علياً– أشياء من الوحي خصهم النبيصلى الله عليه وآله وسلم بها لم يطَّلع غيرهم عليها. قوله: (لا) زاد المصنف في (الجهاد): لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، قوله: (إلا كتاب الله) قال ابن المنير: فيه دليل على أنه كان عنده أشياء مكتوبة من الفقه المستنبط من كتاب الله، وهي المرادة بقوله:

(أو فهم أعطيه رجل). قوله: (الصحيفة) أي الورقة المكتوبة. وللنسائي من طريق الأشتر: (فأخرج كتاباً من قراب سيفه). قوله: (العقلُ) أي الدِّية. وإنما سُميتْ به لأنهم كانوا يعطون فيها الإبل ويربطونها بفناء دار المقتول بالعقال وهو: الحبل.

الحديث الثاني : عن أبي هريرة أن خزاعة قتلوا رجلاً من بني ليث عامَ فتح مكة بقتيل منهم قتلوه. فأُخبر بذلك النبيصلى الله عليه وآله وسلم ، فركب راحلته فخطب فقال:

إن الله حبس عن مكة القتل – أو الفيل، شكَّ أبو عبد الله – وسلط عليهم رسول الله والمؤمنين. ألا لم تحلَّ لأحد قبلي، ولم تحلَّ لأحد بعدي، ألا وإنها حلت لي ساعةً من نهار.

ألا وإنها ساعتي هذه حرام: لا يُختلى شوكُها، ولا يُعْضَد شجرُها، ولا تُلتقط ساقطتُها إلا لمنشد. فمن قُتل له قتيل فهو بخير النظرين: إما أن يُعقل، وإما أن يقاد أهل القتيل. فجاء رجل من أهل اليمن

---

٣- فتح الباري : ١ / ٢٠٤ – ٢٠٨.

– اسمه أبو شاه – فقال: اكتب لي يا رسول الله، فقالﷺ: اكتبوا لأبي فلان. فقال رجل من قريش: إلا الإذْخِرَ يا رسول الله فإنا نجعله في بيوتنا وقبورنا. فقال النبيﷺ :

إلا الإذخرَ، قال أبو عبد الله: يقال: يقاد بالقاف. قيل لأبي عبد الله: أي شيء كتب له؟. قال: كتب له هذه الخطبة. ذكر البخاري هذا الحديث، وكلام أبي عبد الله شيخه، للدلالة على أن كتابة كلام النبيﷺ كان معروفاً في زمن النبوة.

الحديث الثالث : عن أبي هريرة قال: ما من أصحاب النبيﷺ أحد أكثر حديثاً عنه مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب.

قال ابن حجر: قوله: (فإنه كان يكتب ولا أكتب) يستفاد من ذلك أن أبا هريرة كان جازماً بأنه ليس في الصحابة أكثر حديثاً عن النبيﷺ منه إلا عبد الله ، مع أن الموجود المروي عن عبد الله ابن عمرو أقل من الموجود المروي عن أبي هريرة بأضعاف مضاعفة.

وهذا يثير إشكالاً يرد عليه ابن حجر فيقول: فإن قلنا: الاستثناء – إلا ما كان من عبد الله..– منقطع فلا إشكال، إذ التقدير: لكن الذي كان من عبد الله، وهو الكتابة، لم يكن مني، سواء لزم منه كونه أكثر حديثاً لما تقتضيه العادة أم لا. وإن قلنا: الاستثناء متصل، فالسبب فيه من جهات:

أحدها: أن عبد الله كان مشتغلاً بالعبادة أكثر من اشتغاله بالتعليم، فقلّت الرواية عنه.

ثانيها: أنه كان أكثر مقامه، بعد فتوح الأمصار، بمصر أو بالطائف. ولم تكن الرحلة إليهما ممن يطلب العلم كالرحلة إلى المدينة، وكان أبو هريرة متصدياً فيها للفتوى والتحديث إلى أن مات، ويظهر هذا من كثرة من حمل عن أبي هريرة، فقد ذكر البخاري أنه روى عنه ثمانمائة من التابعين، ولم يقع هذا لغيره.

ثالثها: ما اختص به أبو هريرة كما ورد في النبوي من دعوة النبيﷺ بـ(أن لا ينسى ما يحدثه به). والحديث الذي يشير إليه ابن حجر هو: عن أبي هريرة قال: قلت يا رسول الله ، إني أسمع منك حديثاً كثيراً أنساه. قال: ابسط رداءك. فبسطته. قال: فغرف بيديه ثم قال: (ضُمَّه) فضممته، فما نسيت شيئاً بعده[٤].

٤– رواه الامام البخاري .

قال ابن حجر بعد شرح حديث أبي هريرة: يستفاد منه ومن حديث علي عليه السلام المتقدم ومن قصة أبي شاه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أذن في كتابة الحديث عنه، وهو يعارض حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن[٥].

والجمع بينهما: أن النهي خاص بوقت نزول القرآن خشية التباسه بغيره، والإذن في غير ذلك. أو أن النهي خاص بكتابة غير القرآن مع القرآن في شيء واحد ، والإذن في تفريقهما. أو النهي متقدم والإذن ناسخ له عند الأمن من الالتباس، وهو أقربهما مع أنه لا ينافيهما. وخلاصة الكلام أنه:

أنه : وجه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الصحابة الكرام إلى الاهتمام بتدوين القرآن الكريم، فكتبوه على ما توفر لديهم من رقاع وسعف وعظم ونحوها، ونهاهم أول الأمر عن كتابة حديثه ثم أذن لهم بذلك، فكتب عدد منهم ما وصل إلى علمه من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. كما عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال:

كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أريد حفظه، فنهتني قريشٌ، وقالوا: تكتب كل شيء ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشر يتكلم في الغضب والرضى!. فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأومأ بأصبعه إلى فيه، فقال: اكتب فو الذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حقٌ[٦].

أنه : كان جيل الصحابة يعتمد على الحفظ أكثر من الكتابة ، لاعتبارات يأتي في مقدمتها أن الكتابة لم تكن مشهورة، ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحض الصحابة على الحفظ والتبليغ ، وكان يعيد كلامه ليستوعبه السامع ويحفظه ، ففي الحديث النبوي عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: نضَّر الله امرءاً سمع منا حديثاً ، فحفظه حتى يبلغه غيره ، فربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه[٧].

أنه : كانت الكتابة من باب زيادة الاهتمام بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يكن الذين كتبوا يعتمدون على ما كتبوه، بل كانوا حافظين له. روى الإمام مسلم: عن عروة بن الزبير قال: قالت لي عائشة: يا ابن أختي ، بلغني أن عبد الله بن عمرو مارٌ بنا إلى الحج ، فالقه فاسأله ، فإنه قد حمل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم علماً كثيراً. قال: فلقيته فسألته عن أشياء يذكرها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

---

٥- رواه الامام مسلم .

٦- سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ١٥٣٢ .

٧- صحيح الجامع الصغير : ٦٦٣٩ .

قال عروة: فكان فيما ذكر أن النبيﷺ قال: إن الله لا ينتزع العلم من الناس انتزاعاً، ولكن يقبض العلماء، فيرفع العلم معهم، ويُبقى في الناس رؤساء جهالاً يفتونهم بغير علم فيَضلون ويُضلون. قال عروة: فلما حدثت عائشة بذلك أعظمت ذلك وأنكرته، قالت: أحدثك أن النبيﷺ يقول هذا؟!.

قال عروة: حتى إذا كان قابلٌ، قالت – عائشة – له: إن ابن عمرو قد قدم المدينة، فالقَهُ ثم فاتحْهُ حتى تسأله عن الحديث الذي ذكره لك في العلم. قال: فلقيته فسألته فذكر لي نحو ما حدثني به في مرته الأولى. قال عروة: فلما أخبرتها بذلك قالت: ما أحسبه إلا قد صدق، أراه لم يزد فيه شيئاً ولم ينقص.

**ثانياً : متى بدأ تدوين السنة :**

روى البخاري في كتاب العلم أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامله على المدينة ، التابعي الفقيه ، أبي بكر بن حزم يقول: « انظر ما كان من حديث رسول اللهﷺ فاكتبه ، فإني خفت دروسَ العلم وذهابَ العلماء ، ولا تقبل إلا حديثَ النبيﷺ، ولْتُفْشوا العلمَ ، ولْتَجْلِسوا حتى يُعلَّم من لا يعلم ، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً».

قال ابن حجر: يستفاد منه ابتداء تدوين الحديث النبوي ، وكانوا قبل ذلك يعتمدون على الحفظ ، فلما خاف عمر بن عبد العزيز ، وكان على رأس المائة الأولى ، من ذهاب العلم بموت العلماء ، رأى في تدوينه ضبطاً له وإبقاءً. وقد روى أبو نعيم في تاريخ أصبهان هذه القصة بلفظ: كتب عمر بن عبد العزيز إلى الآفاق: انظروا حديث رسول اللهﷺ فاجمعوه[٨].

وكان الإمام مُحَمَّد بن مسلم الزهري أشهر من حقق رغبة عمر بن عبد العزيز في تدوين السنة النبوية. وهذا القرار من عمر بن عبد العزيز لا يمثل موقف الدولة من التدوين، وهو لايفي وجود صور من التدوين التي لا ترقى إلى مستوى التكليف من قِبَلِ الدولة، فقد سبق أن ذكرنا أن رسول اللهﷺ أذن بالكتابة عنه، وأن عدداً من الصحابة سجل بعضاً من كلام النبيﷺ.

٨- فتح الباري : ١/١٩٤- ١٩٥ .

وأشهر هؤلاء الكتاب عبد الله بن عمرو بن العاص، وكان يسميها (الصادقة)، سجل فيها طرفاً من حديث رسول الله ﷺ، وروى الدارمي[9]: عن عبد الله بن عمرو قال: ما يرغبني في الحياة إلا الصادقة والوهظ ؛ فأما الصادقة: فصحيفة كتبتها من رسول الله ﷺ، وأما الوهظ : فأرض لعمرو بن العاص كان يقوم عليها[10].

واستمر هذا الاهتمام في جيل التابعين ، ولجأ بعضهم إلى تسجيل ما كان يسمع من الصحابة ، وكانوا يسمون ما يكتبونه (الصحيفة). يقول الدكتور مُحَّد الصباغ: ومن أشهرها صحيفة أبي هريرة التي كتبها همام بن مُنَبِّه فعُرفتْ به ، فقيل: (صحيفة همام). وعثر على نسختين مخطوطتين منها الدكتور مُحَّد حميد الله في دمشق وبرلين، ونشرهما المجمع العلمي العربي بدمشق بتحقيقه.

وعدد أحاديثها ١٣٨ حديثاً، وقد جائت هذه الصحيفة برمتها في مسند الإمام أحمد[11]، ونقل النووي في شرح صحيح مسلم ما ذكره البيهقي من أن الإمامين البخاري ومسلم اتفقا على أحاديث من صحيفة همام ابن منبه، وأن كل واحد منهما انفرد عن الآخر بأحاديث منها مع أن الإسناد واحد. وخلاصة الكلام ان منها:

منها : تطورت فكرة تدوين السنة من عهد النبوة إلى المنع عهد الخلافة ثم بدأ هذا المنع بالذوبان من قبل التابعين مروراً بعهد الصحابة كان ممنوع التدون، واتسعت دائرة اللائذين بالكتابة بقصد تمتين الحفظ .

منها : المنع في عهد الخلافة ولَّدت الفتن السياسية والثقافية شعوراً عميقاً بالحاجة إلى تدوين السنة النبوية.

منها : كان عمر بن عبد العزيز صاحب القرار الشخصي بصبغة حكومية في جمع السنة من دون تمييزها من الدخيل المنسوب ظلماً إلى النبي ﷺ.

منها : كانت ظاهرة وضع الأحاديث ونسبتها إلى الرسول ﷺ من أهم الأسباب الدافعة إلى التفكير بالتدوين.

---

٩- الدارمي كتاب العلم :١/ ١٢٧.

١٠- يقول الدكتور مُحَّد الصباغ : وقد جاءت – أي الصادقة – في مسند الإمام أحمد، الحديث النبوي ص ٣٩ .

١١- الحديث النبوي ص ٣٩ . ونقل النووي في شرح صحيح مسلم: ٢٤/١. وذكره البيهقي.

وقد نقلها لنا التأريخ عبر عصور الزمن الى هذا اليوم الذي كتبنا الكتاب خلال عام (١٩٩٨م – ١٤١٩هـ.ق) ومن أحدث المراجع العلمية.

**ثالثاً : متى بدأ وضع الأحاديث :**

طبعا المعروف ان وضع الحديث بدأ في ايام النبوة وامتد وتوسع في عصر الخلافة، فقد ذكر الإمام مسلم في مقدمة صحيحه أن مُحَمَّد بن سيرين قال: لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سمُّوا لنا رجالكم؛ فيُنظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم.

ومنذ الفتنة السياسية التي وقعت على رأس أربعين سنة من الهجرة أخذ الاحتياط في الرواية ينموا ، وكلما اتسعت دائرة الكذب ازداد خروج العلماء عن الاحتياط. وعن سليمان بن موسى قال: لقيت طاوُساً – تابعي فقيه ثقة – فقلت: حدثني فلانٌ كيَتْ وَكَيْتَ؟ قال: إن كان صاحبك مَلِيًّا فخذ عنه[١٢].

قال النووي[١٣] في قوله: إن كان ملياً يعني: ثقة ضابطاً متقناً؛ يُوثَق بدينه ومعرفته، ويُعتمد عليه كما يعتمد على المليّ بالمال ثقة بذمته. لذلك قرر العلماء عدم مبدأً عَصَمَ السنة من تلاعب الكذابين من أهل الأهواء وغيرهم، يقول الإمام عبد الله بن المبارك: الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء. وقد طبق ابن المبارك منهج عدم مبدأً عَصَمَ السنة في حياته فكان إماماً.

عن أبي إسحاق إبراهيم بن عيسى الطالقاني قال: قلت لعبد الله بن المبارك: يا أبا عبد الرحمن!، الحديث الذي جاء. إن من البر بعد البر أن تصلي لأبويك مع صلاتك، وتصوم لهما مع صومك؟ قال: فقال عبد الله: يا أبا إسحاق! عمَّن هذا؟. قال قلت: هذا من حديث شهاب بن خرَّاش.

فقال: ثقةٌ، عمَّن؟. قال قلت: عن الحجاج بن دينار. قال ثقةٌ، عمَّن؟. قال قلت: قال رسول الله ﷺ. قال: يا أبا إسحاق! إن بين الحجاج بن دينار وبين النبي مفاوز[١٤] تنقطع فيها أعناق المطي، ولكن ليس في الصدقة اختلاف.

ومن أسباب وضع الأحاديث : سنكتفي بالإشارة إلى أهم البواعث التي دفعت إلى اختلاق الأحاديث ونسبتها ظلماً إلى النبي ﷺ.

---

١٢– راجع : مقدمة صحيح مسلم .

١٣– شرح صحيح مسلم ١/٨٥ .

١٤– جمع مفازة : وهي الأرض القفر البعيدة عن البنيان وعن الماء ، والتي يُخاف الهلاك فيها.

الفتن السياسية : والمثل الواضح عليها «الفتنة الكبرى» التي وقعت في أواخر عهد عثمان وامتدت إلى عهد الامام علي ﷺ وحكم معاوية. فقد تركت تلك الفتن شروراً مستطيرة ما تزال آثارها قائمة إلى يومنا هذا. وكان من أبرز تلك الآثار بروز «اهل السنة والجماعة والخوارج» .

(١) اهل السنة والجماعة : أحدث اهل السنة والجماعة في مجال السنة النبوية أمرين أنكرهما علماء الأمة، وهما:

الأول : تتمثل في اختلاق أحاديث تتعلق بالخلاف السياسي ، وفضائل لبني امية وطمس وتضعيف فضائل الامام علي عليه السلام، والتشكيك في مكانة أهل بيت النبوة عليهم السلام. من ذلك: (يا علي أنت أخي في الدنيا والآخرة). وحديث (يا علي أنت أخي وصاحبي ورفيقي في الجنة). حديث صحيح.

وخصوصاً ما نقل عن الشيخ محمد ناصر الدين الألباني[١٥]، ومنها قول ابن تيمية: (وأحاديث المؤاخاة[١٦] كلها كذب) وأقره الذهبي[١٧]، قبلوا موازين الاحاديث مع ان الحديث صحيح ادعوا الكذب من باب التعصب الاعمى. ولعل أهم حديث صحيح من قبل اهل السنة حديث (غدير خم) ولكن لاحظ اهل السنة والجماعة كيف يغظون النظر، مثلاً قول الدكتور محمد الصباغ:

ومن الأمثلة أيضاً على ما وضعت الرافضة بسبب العامل السياسي حديث غدير خم ، وهو أن النبي ﷺ أخذ بيد علي عليه السلام بمحضر من الصحابة كلهم، وهم راجعون من حجة الوداع، فأقامه بينهم حتى عرفه الجميع، ثم قال ﷺ: هذا وصيي وأخي، والخليفة من بعدي، فاسمعوا له وأطيعوا).

ثم قال الدكتور الصباغ في الحاشية : (هذا الحديث بهذا السياق مكذوب دون شك، ولو كان صحيحاً لكان الفيصل بشأن الخلافة، ولما كانت حاجة إلى سقيفة بني ساعدة)[١٨]. وهذا خلاف ما في صحيحي البخاري ومسلم وموسوعة الغدير.

---

١٥- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة :٣٥٦/١.

١٦- أي المؤاخاة بين علي وبين النبي .

١٧- مختصر منهاج السنة .

١٨- الحديث النبوي ص ٣١٤ .

وقد كذب الدكتور مصطفى السباعي حينما اتهم ابن ابي الحديد شيعي وهو معتزلي حينما ذكر شرح السنة ومكانتها في التشريع قال « مسألة وضع الأحاديث بدوافع سياسية، فنقل عن ابن أبي حديد – وهو شيعي مشهور– قوله في شرح نهج البلاغة[19] »[20].

كما أن أصل الكذب في أحاديث الفضائل جاء من جهة اهل السنة والجماعة. وقد قابلهم الجهلة من أهل الوضع أيضاً. وقال الدكتور السباعي: وقد ضارعهم – أي: أهل السنة، فقابلوا– مع الأسف – الكذب بكذب مثله، وإن كان أقل منه دائرة وأضيق نطاقاً، ومن ذلك – الكذب – :

ما في الجنة شجرة إلا مكتوب على ورقة منها، لا إله إلا الله ، مُحَمَّد رسول الله ، أبو بكر الصديق ، عمر الفاروق ، عثمان ذو النورين[21].

الثاني : ردُّ الشيعة للأحاديث التي يرويها غير أهل البيت عليهم السلام ، أو غير من كانوا مع علي أيام الخروج على أمامهم. فبناءً على هذين الشرطين فإن معظم الأحاديث الصحيحة عند اهل السنة هي تعتبر حديث نبوي، ولم يروها ممن يقبلونه من الصحابة لعدة اسباب، وهذا يحمل في طياته مشكلات.

(٢) الخوارج : وكانت أكبر أخطائهم في مجال السنة النبوية أنهم لم يقبلوا ما يرويه من يعدونهم كفاراً من أصحاب رسول الله ﷺ ، وفي هذا شر كبير لا يخفى.

ومنها الزندقة : وهي صورة من صور النفاق، وقد أطلقت على التيارات السياسية والفكرية في أيام الفتوحات، فأظهر أصحابها الإسلام وأبطنوا الضغينة والكفر، فاعتمدوا على الدس والأكاذيب في التنفيس عن هزيمتهم وأحقادهم.

ومن الأمثلة على ما وضعه هؤلاء: (النظر إلى الوجه الجميل عبادة). مع ان الاصح (النظر الى وجه العالم عبادة). ينزل ربنا عشية عرفة على جمل أورق يصافح الركبان ويعانق المشاة.

ومنها التعصب القومي والمذهبي ومثال على التعصب القومي: إن الله إذا رضي أنزل الوحي بالعربية، وإذا غضب أنزل الوحي بالفارسية. ومثل ان العرب هم الشعب الآري او الاعلى وباقي المسلمين الادنى درجة منهم.

---

١٩- شرح نهج البلاغة : ١٣٤/٢ .

٢٠- السنة ومكانتها في التشريع : ص٨١ .

٢١- نفس المصدر .

مثال على التعصب المذهبي: مثل: علي بابا المقصود الامام علي عليه السلام. ومثل: يكون في أمتي رجل يقال له مُحَمَّد، أضر على أمتي من إبليس، ومثل: سيكون في أمتي رجل يقال له أبو حنيفة النعمان، هو سراج أمتي.

الرغبة الجاهلة في الترغيب والترهيب : ومثاله القصة التالية، قيل لأبي عصمة، نوح بن أبي مريم المروزي: من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة، وليس عند أصحاب عكرمة هذا؟!.

قال: إني رأيت الناس أعرضوا، واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي ابن إسحاق، فوضعت هذا الحديث حِسْبَةً؟[٢٢]. وهناك عوامل أخرى تعود في معظمها إلى الأهواء ، وحب الدنيا ، والجهل. وفيما ذكرنا كفاية للتنبيه على شناعة الافتراء على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

آثار تدوين السنة : منذ أن هب رجال أفذاذ وقفوا حياتهم على طلب العلم، وأَوْلَوا جمع أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أهمية بالغة ، وما زالت جهود العلماء المحققين تتجمع، وخبراتهم تتراكم ؛ فتتحدد المصطلحات ، وتصنف الكتب الجامعة بطرق متعددة .

حتى كان من نتائجها المباركة ظهور مجموعة من العلوم المتعلقة بتدوين سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومن جملة ذلك : علم مصطلح الحديث، وعلم الجرح والتعديل، وعلم علل الحديث. وعلم مختلف الحديث. وعلم الناسخ والمنسوخ.

ولسنا هنا في صدد الحديث عن هذه العلوم وغيرها ، وحسبنا في هذه العجالة أن نشير إلى الجهود التي وضعها علماء الأمة في سبيل إقامة صرح السنة، تحقيقاً لقول الله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[٢٣].

فحفظُ السنة جزء من الوعد الرباني بحفظ ما أوحى به الله عز وجل ، لأن كثيراً من معاني كتاب الله تعالى تتضح ببيان النبي. وقد أعطت تلك الجهود أجيال المسلمين المتعاقبة القدرة على التمييز بين السنة المقبولة وبين السنة المرفوضة .

---

٢٢- الحديث النبوي ، مُحَمَّد الصباغ : ص ٢٢٠-٢٢١ .

٢٣- الحجر ٩ .

وشهد بهذه الجهود التي ميزت أمة الإسلام عن غيرها من أمم الأرض غيرُ المسلمين ، ففي عام ١٨٧٠ م كتب (جون ديون بورت) كتاباً بالإنجليزية عنوانه (اعتذار من مُحَّد والقرآن) تناول فيه سيرة النبيﷺ، وفي مقدمته يقول بخصوص الجهود التي حفظت سيرة رسول اللهﷺ قال:

( لا ريب أنه لا يوجد في الفاتحين والمشرعين ، والذين سنوا السنن ، من يعرف الناس حياته وأحواله بأكثر تفصيلاً وأشمل بياناً مما يعرفون من سيرة مُحَّد وأحواله).

ويقول العالم الألماني المعروف (سبرنكر) : لم تكن فيما مضى أمة من الأمم السالفة ، كما أنه لا توجد الآن أمة من الأمم المعاصرة ، أتت في علم أسماء الرجال بمثل ما جاء به المسلمون في هذا العلم العظيم الخطر، الذي يتناول خمسمائة ألف رجل وشؤونهم[٢٤].

**رابعاً : السنة لغة واصطلاحاً :**

السنة لغة : تذكر معاجم اللغة لـ(السنة) معاني كثيرة ، نختار من لسان العرب ما يناسب موضوعنا: فالسنة: من سُنَّة الطريق ، وهو طريق سنَّه أوائل الناس فصار مسلكاً لمن بعدهم.

ومنه قولهم : سنَّ فلانٌ طريقاً من الخير، إذا ابتدأ أمراً من الخير لم يعرفه قومه فاسْتَسَنُّوا به وسلكوه.

السنة : الطريقة والسيرة ، حسنةً كانت أو قبيحةً. قال خالد بن عتبة الهذلي:

فلا تجزعنْ من سيرةٍ أنت سرتها * فأوَّلُ راضٍ سُنَّةً مَنْ يسيرها

فكل من ابتدأ أمراً عمل به قوم بعده قيل : هو الذي سنَّه .

وفي الحديث: ( من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن يَنقُص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده، من غير أن يَنقُص من أوزارهم شيء)[٢٥].

٢٤- راجع : الرسالة المحمدية . تأليف: سليمان الندوي .

٢٥- رواه مسلم .

وقد تكرر لفظ (السنة) – وما تصرف منها – بمعناها اللغوي في القرآن والحديث النبوي:

أ – فمن الآيات نذكر قوله تعالى : (وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ)[٢٦] قال الزجاج: سنة الأولين أنهم عاينوا العذاب.

ب – ومن الحديث النبوي نذكر ما رواه أبو داود والترمذي : عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة؛ وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون. فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودعٍ فَأَوْصنا.

قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمَّر عليكم عبدٌ حبشي، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة.

السنة اصطلاحاً : بعد بعثة النبي ﷺ اكتسبت كلمة (السنة) معاني جديدة ، من ذلك أنها إذا أطلقت فإنما يراد بها ما نسب إلى رسول الله ﷺ. وقد استخدمت الدوائر العلمية الإسلامية مصطلح السنة بمعانٍ متفاوتة، وسأذكر هنا أكثرها شيوعاً:

السنة عند اهل الحديث: هي كل ما نسب إلى النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام سواء أفاد معنى تشريعياً أم لم يفده.

السنة عند اهل الأصول : هي كل ما أُثر عن النبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام من قول أو فعل أو تقرير وأفاد معنى تشريعياً، أي: كان دالاً على أحد الأحكام الخمسة وهي: الوجوب، أو الندب، أو الإباحة، أو الحرمة، أو الكراهة.

وعلى هذا فمصطلح السنة لا يشمل عند الأصوليين: ما كان يفعله رسول الله ﷺ أو يستحسنه من حيث كونه إنساناً مثل: (كان النبي ﷺ يعجبه الدُّباء)[٢٧]، وكان يحب الحلواء والعسل[٢٨]. ما اختصه الله تعالى به من أحكام. مثل: الزواج بأكثر من أربع ، والوصال في الصيام.

٢٦- الكهف ٥٥ .

٢٧- أخرجه الشيخان .

٢٨- رواه مسلم .

الصفات الخَلقية : من ذلك ما رواه الشيخان عن أنس بن مالك أنه قال: كان رسول الله ﷺ رَبْعَةً ، ليس بالطويل ولا بالقصير، حسنَ الجسم، وكان شعره ليس بجعد ولا سبط، أسمر اللون، إذا مشى يتكفَّأ. والسنة بهذا المعنى هي محل التفصيل في البحوث القادمة.

السنة عند الفقهاء : تعني النافلة ، أي : الفعل المندوب الذي لا يرقى إلى رتبة الواجب، ومن ذلك قولهم: سُنن الوضوء، وسنة الفجر، وسنة الضحى ، ونحو ذلك.

السنة عند علماء الكلام: وهم الذين اهتموا ببحث مسائل الاعتقاد ، وبعضهم تأثر منهجهم بمقررات الفلسفة الإغريقية. عند السنة.

سُنَّتان : متواترةٌ تفيد العلم، وآحادٌ تفيد الظن، وسيأتي الكلام على هذا الموضوع في حينه.

**خامساً : السنة والسيرة :**

هناك حاجة للتفريق بين مصطلح السنة وبين مصطلح

السيرة وسنتاول الموضوع على النحو الآتي:

أهمية السيرة النبوية وما الفرق بين السنة والسيرة :

السنة : قول أو فعل أو تقرير صدر عن المصطفى ﷺ ويقتضي الاتباع على الإلزام أو على الندب فعلاً كان أم تركاً، أو يدل على الإباحة.

واما (السيرة) فهي باتت تعني بالدرجة الأولى الطريقة التي تعامل بها النبي ﷺ مع الناس ، وخاصة المعاندين والمناوئين والمقاتلين، في مرحلة الدعوة وفي مرحلة الدولة.

هذا ، ولا ريب في أن مصطلح (السيرة) قد تطور من جيل إلى جيل، واستقر على الاهتمام بالجانب التاريخي من حياة رسول الله ﷺ، ولذلك أورد السيرة بهذا المعنى كُتّاب التاريخ، فلو نظرنا – على سبيل المثال – إلى ابن كثير في (البداية والنهاية) فإنك ترى أن السيرة عنده تبدأ بنسبه الشريف ﷺ، ثم يأتي خبر النشأة ، فالبعثة ، فالتبليغ والصبر ، فالهجرة.

ثم يأتي موضوع (المغازي) أي الغزوات، وهي التي قال عنها الامام زين العابدين علي بن الحسين بن علي عليه السلام : (كنا نُعلَّم مغازي النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما نعلم السورة من القرآن)[٢٩]، وخلال ذلك يذكر علاقته بيهود المدينة ومنافقيها، ويذكر بعض الحوادث الهامة كحديث الإفك ومراسلته الملوك والأمراء وهكذا إلى أن يختم ذلك كله بوفاته صلى الله عليه وآله وسلم .

وقد سار على هذا النسق معظم الذين كتبوا في السيرة عبر القرون ، قبل ابن كثير وبعده. بقي أن نشير إلى أن الجانب التاريخي من حياته صلى الله عليه وآله وسلم ليس منفصلاً بالكلية عن الجانب التشريعي – بالمعنى الاصطلاحي – بل إننا نجد ابن القيم يدخل الجانب التاريخي في معنى السنة ويجمعه مع (الشمائلِ) والجانبِ التشريعي في كتابه (زاد المعاد في هدي خير العباد).

فالتفريق بين السنة والسيرة مع أن كلاً منهما يعني (الطريقة لغة)، وما أُثِرَ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اصطلاحاً؛ أقول: إن التفريق كان بسبب الظروف التاريخية، فبعد استقرار الدولة الإسلامية اتجهت الأنظار إلى الاهتمام بالسنة الآمرة والناهية سواء كان الأمر للفرض أو الندب، أم كان النهي للتحريم أو الكراهة.

ماذا نستنتج من التفريق بين السنة وبين السيرة : باختصار ان السنة هي احدى مصادر التشريع وبيان للأحكام العملية (حلال ، حرام ، واجب ، مندوب ، مكروه). لذلك تشدد العلماء في قبولها.

واخرى ان السيرة هي ليست مصدر تشريع بالمعنى الذي اكتسبته (السنة) كاصطلاح، ولذلك تساهل العلماء في رواية قصصها في العصور السالفة.

ولماذا اكتسبت السيرة أهمية في عصرنا : فقد احتلت السيرة مكانة خاصة في عصرنا بسبب صراع أمتنا مع قوى الشر العالمية، وهو صراع ثقافي حضاري يتخذ من القوة العسكرية، والقوة الاقتصادية ، والتضليل الثقافي .. والخ، كوسائلَ مواجهة وإخضاع وعبث بقيم الإسلام ؛ قيم الحياة الفاضلة.

والتنازع داخل الأرض الإسلامية بين أصحاب الفكر الأصيل (الإسلام) وبين أصحاب الفكر الدخيل ، وفيهم أصحاب السلطان؟. ففي هذا الجو المشحون بألوان الصراعات.

تجد دعاة الإسلام أنفسهم أمام واجب تغيير الأمة ، وهو يختلف عن واجب الإصلاح الجزئي والترقيع الموضعي، وبما أن السيرة تزودنا بطريقة التعامل مع الوسط المحيط. وتضع لنا ضوابط، إن التزمناها

---

٢٩– البداية والنهاية ٣/٢٤٢ .

سلمنا من الانحراف ، فإن دعاة الإسلام وجدوا أن السيرة منهل صاف ، ورأوا أنها تمثل الجانب الحركي في الدعوة الربانية ، فانكبوا على دراستها، وأضرب مثل:

مثل : إن جو الصراع الداخلي مع الأنظمة ، وشروطه ووسائله ، ووضع الأمة ومؤسساتها الأساسية. فرض ذلك كله على دعاة الإسلام البحث عن طريقة شرعية للرد على التحديات ومواجهة أطراف الصراع فكان السؤال:

هل نحن في مرحلة مكية. نُستضعف فنصبر ونتابع الطريق إلى أن يأذن الله بتغيير الأوضاع؟.

أم أننا في عهد مدني الصبر المكي فيه ذلٌ لا يقبل. ولا بد من حمل السلاح في مواجهة الخصوم؟،

أم لا هذا ولا ذاك ، فنحن في ظروف مغايرة ، وتحتاج إلى اجتهاد. وهل (الجهاد) بمعنى (القتال) يخضع لـ(مرحلية الأحكام) أم لا؟.

مثل : هل التنظيم الجماعي بهدف إقامة دولة إسلامية جائز، أم واجب ، أم حرام؟ وهل السرية مشروعة أم ممنوعة؟.

مثل : هل التعامل مع الحكام (العلمانيين) جائز. أم أنه مرفوض لأنه يقتضي (المداهنة) ولا بد حيالهم من (لكم دينكم ولي دين)؟.

من هذه الإشارات الدالة على الاهتمام الكبير الذي باتت تحتله سيرة النبيﷺ، يتبين لنا أن هناك شعوراً عميقاً لدى دعاة الإسلام مفاده أن الله تعالى أرسل رسولهﷺ بالرسالة ، المحفوظة في القرآن والسنة، وبطريقة العمل لهذه الرسالة ، وهي المسطورة في سيرة النبيﷺ العطرة الزكية.

ومن هنا فإن للسيرة – في عصرنا – دوراً منهجياً ، وهذا يدفعنا إلى التنبيه إلى أمرين :

اولهما: ضرورة التثبت من وقائع السيرة ، إذ لم يعد مقبولاً التساهل في رواية قصصها ، نظراً للتفاعل الكبير مع سيرة الرسولﷺ في ظروف واقع أمتنا الرهيب.

ثانيهما: عدم الاكتفاء بكتب السيرة في معرفة (منهج العمل) إذ لا بد من الرجوع إلى القرآن والسنة للتعرف على الضوابط المناسبة للعمل الحركي في ظروف عالمنا وعصرنا.

وتجد من مصادر السيرة منها :

منها : القرآن الكريم : فقد وردت فيه آيات تتحدث عن الدعوة في بطن مكة ، وعن التكذيب والإيذاء والاستهزاء ، وعن محاولات التطويق والاحتواء ، وعن الهجرة ومقدماتها ، أما الغزوات فقد ورد ذكر عدد منها: ( بدر ، أحد ، الأحزاب ، الفتح ، حنين ، العسرة...) وفي القرآن بيان شاف لمقام الرسول البشر..والخ.

منها : كتب الحديث : وهذه تضم في ثناياها طائفة كبيرة من النصوص التي تتحدث عن سيرته صلى الله عليه وآله وسلم مع المسلمين ومع الكفار، ومع اليهود والمنافقين.. والخ ، مما لا تذكره كتب السيرة التقليدية. وهنا لا بد من التنويه إلى ضرورة التثبت من صحة النص.

منها : كتب التاريخ العام : كالبداية والنهاية لابن كثير، ولعل من نافلة القول أن نُذكر بأن ما ورد في كتب التاريخ ينبغي أن يخضع لقواعد القبول التي نص عليها علماء الأمة المحققون ، فورود النص في كتب التاريخ لا يعني أنه صحيح.

نعم كتب اليعقوبي والمسعودي اللذين يعتبران من الشيعة كتب في التاريخ العامّ للدول والملوك، ولكن كتبوا في زمن تسلّط مخالفيهم، فشابها الكثير من التقية وعدم التصريح، والاكتفاء بالأحداث العامّة وتواريخ الوقائع.

منها : كتب السيرة : مثل (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) للقاضي عياض بن موسى الأندلسي (٤٧٦-٥٥٤ هـ.ق) ، وفي هذه الكتب أحاديث لا تصح نسبتها إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد سلك مؤلفوها في الطريقة التي كان ما كان متعارفاً عليها في التأليف، إذ يوردون كل ما وصل إلى علمهم ، مع حرصهم على ذكر السند ، وكانوا يرون أن من ذكر السند فقد خرج من العُهْدَةِ ، أي المسؤولية.

فمثل هذه الكتب تفرض على أبناء عصرنا البحث عن صحة كل واقعة قبل الاعتماد عليها وذكرها ، إذ لا يصح أن يبنى رأي أو موقف أو توجيه على حادثة غير صحيحة.

إن كان المراد من حيث سيرة وتاريخ الأئمّة عليهم السلام، فبالإمكان مراجعة كتاب «الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد» للشيخ المفيد، و«إعلام الورى بأعلام الهدى» للشيخ الطبرسي.

### أ :- أهل السنة والجماعة :

ظهر مصطلح (أهل السنة) أو (أهل السنة والجماعة) رداً على المذاهب التي طرحت مناهج فهم للإسلام نأت بها عن قواعد ومنهج فهم جيل الصحابة. ونظراً لأهمية هذا الموضوع فقد رأيت عرضه بإيجاز أرجو أن لا يكون مخلاً، وسأضرب أمثلة مستقاة مما يسمونه (المذاهب الإسلامية في السياسة والاعتقاد)، وأبدأ بذكر مقدمتين ضروريتين:

١- ما المقصود بالمذاهب الإسلامية في السياسة والاعتقاد؟. أقصد بها تلك الوقائع والمسائل التي حدثت في أمتنا بعد عهد النبوة ، وتركت بصماتها في الفكر والسياسة، وفي الاعتقاد والفقه العملي بما فيه التشريع لواقع الحياة.

ونظراً لكون أصحاب تلك الوقائع والمسائل يرون أنهم ينطلقون من نصوص الإسلام. فإن وصف مذاهبهم بـ(إسلامية) يأتي من هذا الباب فقط. لأن كثيراً من المذاهب التي توصف بـ(إسلامية) تطورت مسائلها إلى أن خرج أصحابها من أصل الملة؟.

وهنا نذكر بقضية جديرة بالاهتمام الكبير ، وهي بلا شك في أن الحق واحد لا يتعدد في كل مسألة خلافية. ولئن ساغ الخلاف في مسائل الفقه العملي. لاعتبارات زمانية ، مثل: عدم وصول الحديث إلى الجميع قبل التدوين.

أو لاعتبارات تقديرية ، مثل: القدرة المتفاوتة على الربط بين أجزاء المعرفة. ولئن ساغ – أيضاً – الخلاف السياسي حول قضايا تتعلق – على سبيل المثال – بـ(البيعة)، ومن هو أحق بها؟ ونحو ذلك.

إلا أن الخلاف في أمور ترتبط بـ(العقيدة) ليس له مسوغ البتة. ولا بد حياله من موقف واضح، لأن النجاة يوم القيامة متوقفة على صحة وسلامة العقيدة.

٢- ما معنى مصطلح أهل السنة أو أهل السنة والجماعة؟. منذ أن برزت الآراء السياسية والاعتقادية في الأمة. وقفت الفرقة الظاهرة بالحق تبين (الصواب)، وتقدم للناس ما كان عليه النبيﷺ وأهل بيتهعليهم السلام وأصحابه، وتابعهم على ذلك سواد المسلمين.

فعُرِفَ الذين التزموا منهج فهم الجيل الأول بـ(أهل السنة) أو (الجماعة) أو (أهل السنة والجماعة) في مقابل الشيعة الذين كانوا في ايام عصر النبوة متمسكين بحديث النبيﷺ فهم — الشيعة — الفرقة الناجية كما في الحديث النبوي الواردة في افتراق الأمة وفي ظهور الفتن والبدع ، من ذلك:

(١) عن عوف بن مالك أن رسول اللهﷺ قال: افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، فواحدة في الجنة وسبعين في النار، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة وإحدى وسبعين في النار، والذي نفسي بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة ، وثنتين وسبعين في النار. قيل: يا رسول الله من هم؟ قال : هم الجماعة[٣٠].

(٢) عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول اللهﷺ موعظة بليغة وَجِلَتْ منها القلوب ، وذَرَفتْ منها العيون. فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودِّع فأَوصنا.

قالﷺ: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمَّر عليكم عبدٌ حبشي، وإنه من يَعِشْ منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة[٣١].

ف(الشيعة الامامية) هم الفرقة الناجية واما مصطلح (أهل السنة والجماعة) سموا انفسهم لكي تحصل دلالة المصطلح مطابقة للحديث لان الحديث في زمن النبوة وهو في عهد التابعين واستخدم المصطلح لكي يدل على منهج الفرقة الناجية.

وبمرور الزمن ظهر من بين أهل السنة والجماعة ناس خالفوا (منهجهم) وخاصة بتأثير التصوف والفلسفة وغيرها فتنوعت درجات مخالفة المنهج في البعد عنهم، إلى أن وصلت فِرَقٌ إلى المروق من أصل الدين. ومع ذلك بقي مصطلح (أهل السنة والجماعة) يشملهم من الناحية التاريخية.

لأن معظم الناس جعلوه مقابلاً لـ(الشيعة) وهذا صح من الناحية العلمية. فمصطلح أهل السنة أو أهل السنة والجماعة يعني: المنهج الذي يتوصل به إلى المعرفة في كل قضية تتصل بالقرآن والسنة.

والمسائل والقضايا التي لها دخل بسياسة الدولة، ومثلها الاعتقادية، والفقهية، ولكن المنهج قادر على إظهار القول الفصل في كل قضية، مع بيان شاف لدرجة خطورتها وطريقة التعامل معها بما يمس سياسة الحكومة.

بعد هذا التمهيد نضرب مثالين يوضحان المقصود بمنهج أهل السنة والجماعة. عقب وفاة النبيﷺ اشتغل بني هاشم بتجهيز النبيﷺ فاستغلوا هذا الفراغ وبرزت مشكلة في صورة: من أحق الناس بالخلافة؟ وتمكن وجوه الأنصار والمهاجرين في سقيفة بني ساعدة من حل الإشكالات.

---

٣٠- سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ١٤٩٢ .

٣١- رواه أبو داود والترمذي .

وتم اختيار الصديق أبي بكر كأول الخلفاء. ولما سمعوا بني هاشم هذا الحدث من دون حضورهم وهم أحق الناس بالخلافة، وأن الوصي هو الامام علي عليه السلام ترشحه لهذا المنصب.

ولكن هذا الرأي ظهر قوياً في أواخر خلافة عثمان حيث ظهرت حركة مشبوهة روجت للفتنة ، وكان لرموزها دور في البلبلة السياسية ادت لمقتل عثمان.

ولكن المؤمنين الشيعة الإمامية أو الاثنا عشرية، تعتبر أكبر طوائف الشيعة ، وهي منتشرة في لبنان والبحرين وإيران والعراق وباكستان وأفغانستان وأذربيجان والمنطقة الشرقية من السعودية وبعض البلاد العربية ، ولها وجود في مناطق أخرى.

ترى أن الأئمة عليهم السلام قد عُيّنوا بالاسم، وهم الأوصياء وعددهم اثنا عشر وصياً، كما أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد نص على إمامة (علي عليه السلام)، ولذلك خطأ ما قاموا به من اختيار أبي بكر ثم عمر ثم عثمان.

وعرّف مُحَّد حسين آل كاشف الغطاء الإمامية[٣٢] قال: يعتقد الإمامية أن لله تعالى في كل واقعة حكماً.. وما من عمل للمكلفين إلا ولله فيه حكم من الأحكام الخمسة: الوجوب والحرمة والكراهة والندب والإباحة.. وقد أودع الله سبحانه جميع تلك الأحكام عند نبيه خاتم الأنبياء ، وعرفها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالوحي من الله، أو بالإلهام.. وبين كثيراً منها.. وبقيت أحكام كثيرة لم تحصل البواعث لقيامها.

وإن حكمة التدرج اقتضت بيان جملة من الأحكام وكتمان جملة، ولكنه سلام الله عليه أودعها عند أوصيائه، كل وصي يعهد بها إلى الآخر لينشرها في الوقت المناسب لها حسب الحكمة، من عام مخصص ، أو مطلق مقيد ، أو مجمل مبين ، إلى أمثال ذلك ، فقد يذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لفظاً عاماً، ويذكر مُخَصِّصه بعد برهة من حياته ، وربما لا يذكره أصلاً، بل يودعه عند وصيه إلى وقته[٣٣].

من هذه الإشارات يتبين جوهر الخلاف بين الفكر الشيعي وبين الفكر السني، وهو خلاف ليس واسع النطاق. وان الشعائر التعبدية والتشريع والإيمان بمسالة الإمام يحمل أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بلغ الأمة جميع ما أوحى به الله تعالى إليه ولم يكتم بعضه. وبناء على ذلك يكون كلام الوصي واجب الاتباع ويكون الوصي معصوماً.

---

٣٢- أصل الشيعة وأصولها، ص ٢٩ .

٣٣- نفس المصدر .

وهذا ما رفضه منهج أهل السنة والجماعة الذي يقرر أن محمداًﷺ ترك الامة من دون أي وصي. اذاً مسألة التشيع محصورة في مسألة : من أحق الناس بخلافة الرسولﷺ؟. فلا تجد مشكلة في الاعتقاد.

ولكن عامة المسلمين وقفوا عند الخلاف السياسي واستعظموه – وهو لا شك خطير – وجهلوا أصل الانحراف عند اهل السنة والجماعة، وهذا خطأ ربما يقود إلى ممارسات مؤسفة.

واما الخوارج : فقد كانت قصة التحكيم بين الامام علي عليه السلام ومعاوية بداية الإعلان عن فكر كان يتسلل إلى العقول ، ومفاده: أن مرتكب الكبيرة كافر، وأن عليه أن يتوب لكي يُسلك في عداد المسلمين. و– على ضوء كلامهم – بما أن علياً ارتكب خطأً فادحاً برد الخلاف إلى حكم حكمين وليس إلى الوحي – بزعمهم – فإنه كفر، وعليه أن يعلن ذلك وأن يتوب ، فلما رفض فكرتهم وفهمهم للنصوص، خرجوا عليه (الخوارج).

وبمرور الأيام واحتدام الصراع المسلح والخصومة العلمية تطورت آراؤهم ، وتعددت فرقهم ، والذي يهمنا من أمرهم هو الإشارة إلى خطورة البعد عن المنهج القويم في فهم نصوص الوحيين : القرآن والسنة. إن مشكلة الخوارج تكمن في إنزال النصوص في غير مواضعها.

قال البخاري : وكان ابن عمر يرى أن الخوارج شرار خلق الله ، ويقول: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين. ومن ذلك قوله تعالى: (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) قالوا:

والفاسق لا يجوز أن يكون ممن ابيضت وجوههم ، فوجب أن يكون ممن اسودت وجوههم ، ووجب أن يسمى كافراً. انظر : تاريخ المذاهب الإسلامية[٣٤]. ومنهج الخوارج مخالف لمنهج الجيل الأول، وهو الجيل الذي أقره النبيﷺ على حسن الفهم عنه. ومنهج الخوارج كان له أثره البعيد في جوانب من الفكر.

خلاصة القول انه لا يصح أبداً أن يستهين المسلم الجاد في موضوع منهج فهم القرآن والسنة لأن أي خطأ في المنهج يترك آثاراً في الفكر والاعتقاد وفي الفقه والسلوك. ولا شك في أن منهج الجيل الأول في حاجة إلى جهد حتى يتمكن المرء من التعامل معه بجدارة.

---

٣٤– تاريخ المذاهب الإسلامية ٧٧/١ لمحمد أبو زهرة .

فقد امتدت قرون سيطرت فيها مناهج غير صافية، وهي تعرض على أنها صواب؟. وهذه المشكلة تضاعف الجهد، كما أن الواقع الظالم القائم يضغط على الناس. وقد يدفع فريقاً منهم إلى فهم سقيم لنصوص الوحيين يفرز فكراً مريضاً.

وإن معرفة الفِرق التي شذت عن منهج الرعيل الأول في فهم القرآن والسنة قديماً وحديثاً واجب لأن التمييز بين المخطئ وبين من خرج من الملة دينٌ يُسأل عنه المرء يوم القيامة إذ ينبني على ذلك: هداية أو ضلالة، وينبني عليه أحكامٌ قلبية أيضاً:

كالحب في الله والبغض في الله ، وأحكامٌ عملية : كالزواج والطعام ونحو ذلك . وبما أن المعرفة تكليف ، فإنه يجب على من عنده علم أن يبصر الناس بالحق ، وأن يحاور المخطئين بالتي هي أحسن ، إذا أراد النجاة من المؤاخذة يوم القيامة.

**ب :– السنة والبدعة :**

كان رسول الله ﷺ حريصاً على تعليم المسلمين قاعدتين هامتين:

احدهما : وجوب التمسك بهدي القرآن والسنة. وهذا لا يكون إلا بطلب العلم أو بالرجوع إلى أهل الذكر الربانيين.

والاخرى : حُرمة التقرب إلى الله تعالى بما لم يشرعه ، أو لم يبينه الرسول ﷺ في السنة.

لذلك كان ﷺ يكرر في خطبه الجامعة هاتين القاعدتين ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوتُه ، واشتد غضبه ، حتى كأنه منذر جيش ، يقول: صبَّحكم ومسَّاكم. ويقول ﷺ :

بُعثت أنا والساعة كهاتين، ويقرن بين إصبعيه: السبابة والوسطى. ويقول: أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هديُ مُحَّد وشرَّ الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة.الحديث[٣٥] .

وكان ﷺ يحذر من إحداث شيء في الدين يظن فاعله أنه يحسن صنعاً، كما عن السيدة عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ[٣٦] .

---

٣٥– رواه مسلم .

٣٦– رواه البخاري ومسلم ، وفي رواية لمسلم : من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ.

وكانﷺ يوصي المسلمين بالإتباع وينهاهم عن الابتداع ، كما في النبوي عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول اللهﷺ موعظة بليغة وَجِلَتْ منها القلوب ، وذَرَفتْ منها العيون. فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودِّع فأَوصنا.

قالﷺ: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمَّر عليكم عبدٌ حبشي، وإنه من يَعِشْ منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عَضُّوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة[٣٧].

وقال ابن حجر : والمحدثات : جمع مُحْدَثَة ، والمراد بها: ما أُحْدِثَ وليس له أصل في الشرع. ويسمى في عُرف الشرع بدعة ، وما كان له أصل يدل عليه الشرع فليس ببدعة. فالبدعة في عُرف الشرع مذمومة، بخلاف اللغة فإن كل شيء أُحدث على غير مثال يسمى بدعة ، سواء كان محموداً أو مذموماً[٣٨].

ويقول : أما قولهﷺ في حديث العرباض: فإن كل بدعة ضلالة بعد قوله: (وإياكم ومحدثات الأمور) فإنه يدل على أن المحَدثَ يسمى بدعة. وقوله: كل بدعة ضلالة: قاعدة شرعية كلية بمنطوقها ومفهومها؛ أما منطوقها فكأن يُقال: حكم كذا بدعة. وكل بدعة ضلالة فلا تكون من الشرع، لأن الشرع كله هدى، فإن ثبت أن الحكم المذكور بدعة صحت المقدمتان، وأنتجتا المطلوب.

والمراد بقوله : (كل بدعة ضلالة) ما أُحدث ولا دليل له من الشرع بطريق خاص ولا عامٍّ[٣٩]. وكما مالك بن النويرة الذي استشهد موالياً لأمير المؤمنين عليّعليه السلام، ونُكحت زوجته في تلك الليلة من دون استبراء، ومن دون عدّة الوفاة، وحرق رأسه، في سبيل إحقاق الحقّ وإبطال الباطل.

وما ارتدّ مالك بن النويرة ولا أهله ولاعشيرته، بل كانوا مسلمين مصلّين صائمين حاجّين زاكين، وكانوا يريدون أن يؤتوا الزكاة لمن هو أحرى وأحقّ في مقام خلافة النبيّﷺ. فانتهك حريمه، وأخذت أمواله، وقتل هو وعشيرته. ولقّب قاتله والزاني بزوجته بسيف من سيوف الله وهذا من العجب العجائب؟!.

---

٣٧- رواه أبو داود والترمذي .

٣٨- فتح الباري ٢٥٣/١٣ .

٣٩- نفس المصدر ، ص٢٥٤ .

وارجع إلى كتاب الفضائل لشاذان بن جبرائيل والدرّ النظيم، نفس هذه القصّة، واقرأ القصّة بطولها سوف تفيدك. وإنّ كنت تريد التفصيل في هذا المجال فعليك بمطالعة علّة عدم معاقبة خالد بن الوليد بما فعله مع بني حذيمة[40] ضمن عنوان: خالد بن الوليد. وإن هذه القصّة الطويلة المبينة لعدّة مطالب جيدة، والكاشفة عن حقيقة الخلافة المغصوبة، والمميزة بين من له الجواز لأخذ الزكوات، ومن ليس له ذلك.

وهي مذكورة في كتاب (سير الصحابة والزهاد والعلماء والعباد) لأبي محمّد عبد الله سلام بن محمّد الخوارزمي الاندرسقاني أخذه من مأة مجلد، كما ذكر هذا كلّه الحاجي خليفة في كتاب (كشف الظنون)؛ فراجع!. وأما صحّة الدلالة الصريحة على أنّ مالكاً كان يريد أن يدفع الزكاة إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

ان هذا قد ثبت عندنا بالرواية التي ذكرناها وغيرها، وإنّ الامام عليّ عليه السلام هو الذي كان الخليفة الشرعي المنصوص عليه من قبل النبيّ صلى الله عليه وآله في موارد عديدة. كما قال العلاّمة المجلسي الأوّل في (روضة المتقين) في شرح الفقيه للشيخ الصدوق في عنوان (منع الزكاة موجب لتلف المال):

إنّ أبا بكر لم يقاتلهم (أي: عشيرة مالك بن نويرة)، لترك الزكاة مطلقاً، فإنّهم ومنهم مالك بن نويرة قالوا: لا نؤدي إليك، بل نؤدي إلى من خلّفه رسول الله صلى الله عليه وآله على الناس في غدير خمّ.

وقال الشهيد القاضي نور الله التستري ناقلاً عن الكتاب القديم، وهو كتاب (الفتوح)[41] لابن أعثم الكوفي، ما هذا لفظه: إنّ منشأ مخالفة طوائف العرب الذين منعوا أبا بكر في أيام خلافته من الزكاة حتّى سمّاهم بأهل الردّة وقاتلهم عليه، إنّما كان اعتقادهم أحقية خلافة أهل البيت عليهم السلام.

وقال العلاّمة المجلسي الثاني: ( اقرأ القصّة بكاملها، ثمّ احكم على من كان له الحقّ لأخذ الزكوات وامارة الأمّة آنذاك)[42].

---

٤٠ –كتاب الفضائل لشاذان بن جبرائيل القمّي: ١٠١، والدرّ النظيم ليوسف بن حاتم الشامي.

٤١ – الشهيد القاضي نور الله التستري في كتاب الصوارم المهرقة: ٨٤.

٤٢ – بحار الانوار ٤٨٩/٣٠.

ولا يخفى أن البدعة قد تكون في الاعتقاد كما تكون في الأعمال، وأن بدعة الاعتقاد أشد خطراً، وقد تفضي بصاحبها إلى الخروج من أصل الدين ، وبالأخص تسرب البدع إلى العقائد ، ومما حدث أيضاً تدوين القول في أصول الديانات ، فتصدى لها المثبتةُ والنفاةُ؛ فبالغ الأول حتى شبّه ، وبالغ الثاني حتى عطَّل.

واشتد إنكارهم لذلك (المشهور)، كأبي حنيفة وأبي يوسف والشافعي، وكلامهم في ذَمِّ كلام مشهور، وسببه أنهم تكلموا فيما سكت عنه النبيﷺ. وثبت عن مالك في عهد النبيﷺ وأبي بكر وعمر شيءٌ من الأهواء – يعني :

بدع الخوارج والقدرية وممن اتبعهم من اهل السنة، منها مثلاً تصرف خالد بن الوليد مع مالك بن النويرة كما سبق ذكره – وتوسع من تأخر عن القرون الثلاثة الفاضلة في غالب الأمور التي أنكرها أئمة التابعين وأتباعُهم .

ولم يقتنعوا بذلك حتى مزجوا مسائل الديانة بتصرفاتهم الشخصية وكذلك بكلام اليونان، وجعلوا كلام الفلاسفة أصلاً يردون إليه ما خالفه من الآثار بالتأويل ولو كان مستكرهاً. وأن من لم يستعمل ما اصطلحوا عليه فهو عاميٌّ جاهل!. فالسعيد من تمسك بما كان عليه السلف واجتنب ما أحدثه الخلف[٤٣].

## ج :– أسباب الابتداع :

يمكن إجمال أسباب الابتداع في الأمور الآتية منها :

١– تقديس الأشخاص : فقد حذَّر رسول اللهﷺ من هذا الوباء الذي يحطم مقاييس الحق والعدل، فقال : لا تُطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبدٌ، فقولوا: عبد الله ورسوله[٤٤].

وإن مما يؤسف له أن كثيراً من المسلمين قد وقعوا فيما نهاهم عنه نبيهمﷺ، فنسبوا إليه ما لا ينبغي كما ذكر الامام البخاري ومسلم عدة احاديث . مثلًا البخاري يروي في صحيحه الجزء الثاني عن أبو هريرة عن الرسول الأعظمﷺ: كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبيه بإصبعه حين يولد غير عيسى ابن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب.

---

٤٣– فتح الباري : ١٣/ ٢٥٣.

٤٤– رواه البخاري .

مفاد هذه الرواية بشكل واضح أن النبي غير مستثنى من هذا الحديث، فهو من هؤلاء الذين طعن الشيطان في جنبهم؛ لأن الرسول لم يستثنى إلا عيسى بن مريم. واخرى عن البخاري نفسه في الجزء الأول إذ يقول عن الرسول الأعظمﷺ:

إن الشيطان عرض لي فشدّ عليّ ليقطع الصلاة علي، فأمكنني الله منه، فَذَعَتهُ، ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا فتنظروا إليه، فذكرت قول سليمان: رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي، فردّه الله خاسيا .

٢- تجاوز الحد المشروع للخوف والرجاء : وقد حذر رسول اللهﷺ من البواعث التي تدفع المرء إلى تجاوز الحد المشروع ، وأكد أن الاتباع كفيل بتحقيق معاني العبودية الحق . كما عن أنس قال :

جاء ثلاثةُ رهطٍ إلى بيوت أزواج النبيﷺ يسألون عن عبادة النبيﷺ، فلما أُخْبِروا كأنهم تقالُّوها ، وقالوا: أين نحن من النبيﷺ وقد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟.

قال أحدهم : أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال الآخرُ: وأنا أصوم الدهر أبداً ولا أُفطر، وقال الآخرُ: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول اللهﷺ إليهم فقال:

أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟! أَمَا واللّه إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأُفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني.

٣- قلة العلم : صنع النبيﷺ شيئاً ترخَّص فيه وتنزَّه عنه قومٌ ، فبلغ ذلك النبيَﷺ فحمد اللّه وأثنى عليه ، ثم قال: ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه؟! فو اللّه إني أعلمهم باللّه ، وأشدهم له خشية.

والمراد منه هنا أن الخير في الاتباع سواءٌ كان ذلك في العزيمة أو الرخصة ، وأن استعمال الرخصة بقصد الاتباع في المحل الذي وردت فيه أولى من استعمال العزيمة ، بل ربما كان استعمال العزيمة حينئذٍ مرجوحاً كما في إتمام الصلاة في السفر، وربما كان مذموماً إذا كان رغبةً عن السنة ، كترك المسح على الخفين.

وأشار بقوله: (أعلمهم) إلى القوة العلمية ، وبقوله: (أشدهم له خشية) إلى القوة العملية، أي: أنا أعلمهم بالفضل وأولاهم بالعمل به[٤٥].

٤- الرؤوس الجهال : كما عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبق عالماً، اتخذ الناس رؤوساً جُهَّالاً .

وتلاحظ الشيخ الالباني يذم امهات المؤمنين ويقول انهم غير محفوظات من الزنا (في السلسة الصحيحة ص ١٦ وما بعدها) ويقول علي ام المؤمنين عائشة، انة من الناحية الناظرية من الممكن وقوع ذلك (اي في حادثة الافك ان تكون قد وقعت والعياذ بالله في الزنا) لانة لا يوجد دليل ونص باستحالة هذا منهن).

وتغافل هذا الشيخ قوله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) وعلى قول علماء اهل السنة ان زوجات النبي ﷺ من اهل البيت عليهم السلام .

٥- الشبهات والشهوات : أما الشبهات فإنها تبيض وتفرخ في أجواء الفتن السياسية والفتن الثقافية، كما وقع بعد الفتنة يوم قتل عثمان بن عفان، وما حصل بفعل فتنة خلق القران، وما ابتدعه أهل التصوف من عبادات ورياضات! وأما الشهوات فيأتي في مقدمتها شهوة المال.

لذلك كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه أن يقولوا في صلاتهم دعاءً جامعاً لما ينبغي أن يخافه المؤمن. كما في النبوي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فَلْيَتعوّذ بالله من أربع؛ يقول:

اللَّهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن شر فتنة المسيح الدجال. وكان ﷺ يأمر باتخاذ الأسباب الواقية من الفتن التي تعصف بالمفاهيم والمبادئ والقيم. فيقول ﷺ :

بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ، ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ، ويصبح كافراً ، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل.

---

٤٥- فتح الباري : ١٣/ ٢٧٨ .

٦- انتشار الأحاديث الموضوعة : وذلك على الرغم من تحذير الرسولﷺ من خطورتها ، ووعيده لمن يتهاون في نقلها. ففي النبوي عن المغيرة بن شعبةﷺ قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: إن كذباً عليَّ ليس ككذب على أحد ، فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار.

وخلاصة القول انه :

١- ذهب أكثر أهل العلم إلى استخدام مصطلح (البدعة) في العقائد والأعمال المخترعة بقصد التقرب إلى الله تعالى، وهي التي لا يشهد لها نص خاص ولا عام ، واستخدموا مصطلح (السنة) للدلالة على الاتباع.

وقد ظهر هذا في عباراتهم ، مثل (طلاق اهل السنة) وفلان من أهل السنة، وفلان من أهل البدعة. ولم ينكروا استخدام المعنى اللغوي للبدعة في غير أمور الشرع.

٢- تعني البدعة أن المبتدع يستحسن ما لم يشرعه القرآن والسنة، وفي هذا خطأ كبير، ففي النبوي عن عبد الله بن عمر قال: كل بدعة ضلالة، وإن رآها الناس حسنة[٤٦]. ، ويبين ابن تيمية السبب في البدعة فيقول:

قال أئمة الإسلام كسفيان الثوري وغيره: إن البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، لأن البدعة لا يُتاب منها، والمعصية يُتاب منها. ومعنى قولهم: إن البدعة لا يتاب منها؛ أن المبتدع الذي يتخذ ديناً لم يشرعه الله ولا رسوله، قد زُيِّن له سوءُ عمله فرآه حسناً، فهو لا يتوب منه ما دام يراه حسناً، لأن أول التوبة العلم بأن فعله سيئ ليتوب منه، أو أنه ترك حسناً مأموراً به أمر إيجاب أو استحباب ليتوب ويفعله، فما دام يرى فعله حسناً، وهو سيئُ في نفس الأمر، فإنه لا يتوب[٤٧].

والبدعة، هي إدخال ما ليس من الدين في الدين، كإباحة محرّم ، أو تحريم مباح، أو إيجاب ما ليس بواجب أو ندبة، أو نحو ذلك سواء كانت في القرون الثلاثة أو بعدها، وتخصيصها بالقرون الثلاثة الأولى لا وجه له، فحتى لو كان الحديث الوارد عن النبيﷺ (خير القرون قرني) صحيح فإنّ أهل القرون الثلاثة غير معصومين بالاتّفاق، وتقسيم بعضهم البدعة إلى حسنة وقبيحة، أو إلى خمسة أقسام ليس بصحيح.

---

٤٦- رواه الدارمي .

٤٧- مجموع الفتاوى : ٩/١٠ .

بل لا تكون إلاّ قبيحة، ولا بدعة فيما فُهِم من إطلاق أدلّة الشرع، أو عمومها، أو فحواها، أو نحو ذلك وإن لم يكن موجوداً في عصر النبيﷺ. قال رسول اللهﷺ فِي خُطْبَتِهِ: « إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[٤٨].

٣- تتسلل البدع إلى الناس متدثرة بثوب الشرع ، والدعوة إلى الخير ، والدفاع عن الإسلام ، وقد تكون في أول أمرها من الأمور المشتبهات التي لا يعلم حقيقتها كثير من الناس، يقول الإمام حسن بن علي البربهاري، وهو من أصحاب الإمام أحمد بن حنبل، محذراً من البدع؛ صغيرها وكبيرها :

واحذر صغار المحدثات ، فإن صغار البدع تعود حتى تصير كباراً، وكذلك كل بدعة أُحدثت في هذه الأمة ، كان أولها صغيراً يشبه الحق ، فاغتر بذلك من دخل فيها ، ثم لم يستطع المخرج منها ، فعظُمت وصارت ديناً يدان به.. فانظر رحمك الله كل من سمعت كلامه، من أهل زمانك خاصة ، فلا تعجلنَّ ولا تدخلنَّ في شيء منه حتى تسأل وتنظر:

هل تكلم فيه أحد من أصحاب النبيﷺ، أو أحد من العلماء؟ فإن أصبت فيه أثراً عنهم ، فتمسّك به ، ولا تجاوزه بشيء فتسقط في النار[٤٩].

ومن الطرق الشرعية لتحصين الدين من البدعة والتحذير من البدع والمبتدعين، فإنّ الخط الدفاعي الأوّل الذي وضعه رسول اللهﷺ لحصانة دينه تمثّل في ذم البدع والمبتدعين وتحذير المجتمع الإسلامي منهما في هتافاته الكثيرة وبياناته البليغة، ومن هذه البيانات:

قولهﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[٥٠].

قولهﷺ: «مَنْ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِ مُبْتَدِعٍ فَقَدْ أَعَانَ عَلَى هَدْمِ الإسلام»[٥١].

محاولة كتابة الصحيفة: فقد حاولَ رسول اللهﷺ وضع صحيفة لمكافحة دبيب البدعة، فقد قال الشاطبي: «لقد كانﷺ حريصاً على أُلفتِنا وهدايتنا، حتى ثَبَتَ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنّه قال: لما حضر النبيﷺ قال: وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب . فقال: «هلمّ أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده» فقال عمر:

---

٤٨- الامام الطوسي، كتاب الأمالي، ص ٣٣٧.

٤٩- طبقات الحنابلة : ٢/ ١٨-١٩.

٥٠- الطبسي، دراسات فقهية في مسائل خلافيّة، ص ١٧٢.

٥١- النوري، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ج ١٢، ص ٣٢٢.

إنّ النبي غلبه الوجع، وعندكم القرآن فحسبنا كتاب الله، واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول: قرّبوا يكتب لكم رسول الله ﷺ كتاباً لن تضلّوا بعده، وفيهم من يقول كما قال عمر، فلما كثر اللغط والاختلاف عند النبي ﷺ قال: «قوموا عنّي» فكان ابن عباس يقول: إنّ الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب اختلافهم ولغطهم»[٥٢].

التعريف بالثقلين : لقد حدّد النبي الأكرم ﷺ المرجعية الشرعية للمسلمين الذين ان تمسكوا بها نجوا من الوقوع في البدعة والضلالة ، وهي الثقلين وقد أشار ﷺ في الكثير من الأحاديث لهذه المرجعيّة التي أجمع عليها المسلمون وهي من الأحاديث المتواترة، ومنها:

قوله ﷺ: «يا أيّها الناس، إنّي تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي»[٥٣].

قوله ﷺ: «إنّي تركت ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلّفوني فيهما»[٥٤].

قوله ﷺ: «إنّي تارك فيكم خليفتين: كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»[٥٥].

قوله ﷺ في منصرفه من حج الوداع ونزوله غدير خم: «كأنّي دُعيت فأجبت، إنّي قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله، وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»[٥٦].

التعريف بأهل البيت عليهم السلام الذين هم ثقل القران : لقد عرّف النبي الأكرم ﷺ عن أهل بيته عليهم السلام في كثير من الروايات الشريفة، وقد عَبَّرَ عنهم لتعريفهم بتعابير كثيرة، ومنها:

---

٥٢- الشاطبي، الاعتصام، ج ٣، ص ٩٧.

٥٣- المتقي الهندي، كنز العمال، ج ١، ص ٣٠٥.

٥٤- نفس المصدر ، ص ٣٠٦.

٥٥- ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٥، ص ١٨١.

٥٦- النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ج ٣، ص ١١٨.

أ :- شبّه النبيّ الأكرم ﷺ أهل بيته بسفينة نوح عليه السلام فقال: «ألا إنّ مَثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجى، ومن تخلّف عنها غرق»[٥٧].

والمراد من تشبيههم عليهم السلام بسفينة نوح، من أنّ من لجأ إليهم في الدين فأخذ فروعه وأُصوله عنهم نجا من عذاب الله عز وجل، ومن تخلّف عنهم كان كمن أوى يوم الطوفان إلى جبل ليعصمه من أمر الله عز وجل. فما أفاده شيئاً فغرق وهلك.

ب :- شبّه النبي الأكرم ﷺ أهل بيته عليهم السلام بالنجوم التي هي أمان لأهل الأرض فقال ﷺ: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأَمتي من الاختلاف فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس»[٥٨].

٤- إن شيوع البدع دليل على ضعف الأمة في علمها ، وعلمائها ، وأوضاعها السياسية ، قال عبد اللّه بن مسعود رضي الله عنه يوماً لأصحابه: كيف بكم إذا لبستكم فتنة ، يربو فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، وتُتخذ سنة ، فإن غُيِّرت يوماً، قيل: هذا منكر!. قيل: ومتى ذلك؟!. قال: إذا قلَّت أمناؤكم، وكثُرت أمراؤكم، وقلَّت فقهاؤكم ، وكثرت قراؤكم ، وتُفُقِّه لغير الدين، والتُمست الدنيا بعمل الآخرة[٥٩].

وحين تشيع البدع يتأكد في حق المسلم البحثُ عن العلماء الربانيين الذين يُمسِّكون بالقرآن والسنة، يقول مُحَّد بن سيرين: (إن هذا العلم دينٌ فانظروا عمن تأخذون دينكم)، وقال أيضاً: لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة، قالوا: سمُّوا لنا رجالكم. فيُنظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثُهم، ويُنظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم[٦٠].

وهي من المبالغة في التعبّد لله تعالى كما إنّ المبتدع ربّما يتصوّر أنّ ما اخترعه من طريقة توصله إلى رضا الله عز وجل. أكثر ممّا رسمه صاحب الشريعة، فلإجل ذلك يترك قول الشارع ويعمل طبق فكرته ويُذيع ذلك بين الناس باسم الشرع، ومن الشواهد التأريخية عليه:

---

٥٧- نفس المصدر ، ج ٢، ص ٣٧٣.

٥٨- نفس المصدر ، ج ٣، ص ١٦٢.

٥٩- صحيح الترغيب والترهيب ١/ ٤٧-٤٨.

٦٠- صحيح مسلم بشرح النووي١/٨٤ .

روى جابر بن عبد الله: إنّ رسول اللهﷺ كان في سفر فرأى رجلاً عليه زحام قد ظُلِّل عليه فقال: «ما هذا؟» قالوا: صائم، قالﷺ: «ليس من البرّ الصيام في السفر»[٦١].

ما ورد عن الإمام الصادقعليه السلام قال: إنّ رسول اللهﷺ خرج من المدينة إلى مكّة في شهر رمضان ومعه الناس وفيهم المشاة، فلمّا انتهى إلى كُراع الغميم دعا بقدح من ماء فيما بين الظهر والعصر فشرب وأفطر، ثم أفطر الناس معه، وثمَّ أُناس على صومهم فسمّاهم رسول الله العُصاة وإنّما يؤخذ بآخر أمر رسول الله[٦٢].

٥- يستفاد من الحديث عن (السنة) و (البدعة) أن السنة على ضربين: سنة فعلية وسنة تركية ؛ فما جاءنا به رسول اللّهﷺ فمن السنة العمل به على نحو ما بينه وعمل به رسول اللّهﷺ ، وما تَرَكَهُ فمن السنة تَرْكُه. يقول عبد اللّه بن مسعودرضي الله عنه : (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفِيتُم)[٦٣].

٦- إن الحرص على (الإتباع) يقضي على (الابتداع) تحقيقاً لقول المعصومﷺ: تركت فيكم شيئين ، لن تضلوا بعدهما: كتاب اللّه وعترتي، ولن يتفرقا حتى يَرِدا عليَّ الحوض[٦٤].

فالعلم هو العاصم من قواصم الفتن، روى ابن أبي شيبة عن حذيفة بن اليمان أنه قال: لا تضرك الفتنة ما عرفت دينك ؛ إنما الفتنة إذا اشتبه عليك الحق والباطل.

كما إنّ من أسباب نشوء البدع التسليم لغير المعصوم، فلا شك أنّه يخطأ وربّما يكذب فالتسليم لقوله سبب للفرية على الله عز وجل. والتدخّل في دينه عقيدة وشريعة إذا كان النبيّ الأكرم خاتم النبيينﷺ وكتابه خاتم الكتب وشريعته خاتم الشرائع فلا حُكم إلاّ ما حَكم به، ولا سنّة إلاّ ما سنّه، والخروج عن هذا الإطار تمهيد لطريق المبتدعين.

وعلى ضوء ذلك فلا معنى معقول لتقسيم السنّة إلى سنّة النبي وسنّة الصحابة، وتلقّي الأخيرة حجّة شرعيّة وإن لم يسندها إلى الكتاب و السُنّة.

---

٦١- المرتضى، الانتصار في انفرادات الإمامية، ص ١٩٢.

٦٢- الكليني، الكافي، ج ٤، ص ١٢٧.

٦٣- رواه الدارمي .

٦٤- صحيح الجامع الصغير ٢٩٣٤ .

وأما العمل بما وَرَدَ عن أهل البيت عليهم السلام فإنه ليس من البدعة في شئ كما عند القوم، وذلك لانَّ ما وَرَدَ عنهم عليهم السلام هو من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد قال الإمام الباقر عليه السلام: «لو كنّا نحدّث الناس برأينا وهوانا لهلكنا ولكن نحدثهم بأحاديث نكنزها عن رسول الله كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم»[65].

واما السنة الحسنة والسنة السيئة فقد ورد في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استعمال مصطلحي: السنة الحسنة والسنة السيئة روى الإمام مسلم عن جرير بن عبد الله، قال: كنا في صدر النهار عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فجاءه قومٌ مجتابي النِّمار– أو العَباء – متقلدي السيوف ، عامتهم بل كلهم من مضر.

فتمعَّر وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لِما رأى بهم من الفاقة، فدخل صلى الله عليه وآله وسلم ثم خرج ، فأمر بلالاً فأذَّن وأقام، ثم صلى، ثم خطب فقال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)[66] .

والآية الأخرى التي في آخر السورة قوله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)[67].

تصدق رجلٌ من ديناره ، من درهمه ، من ثوبه ، من صاع بُرِّهِ ، من صاع تمره. حتى قال (ولو بشق تمرة)! فجاء رجل من الأنصار بصُرَّة كادت كفُّه تعجز عنها، بل قد عجزت!.

ثم تتابع الناس، حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتهلل كأنه مُذْهبة. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من سنَّ في الإسلام سنة حسنة ، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن يَنْقُصَ من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليها وزرها ووزر من عمل بها بعده ، من غير أن يَنْقُصَ من أوزارهم شيء.

ودلَّ سياق هذا الحديث على أن السنة الحسنة تعني: القيام بعمل مشروعٍ يعود على الناس بالخير، ويحرض ناساً على فعل مثله؛ فالرجل الذي جاء بمال كثير كان سبباً في تحفيز الأغنياء على الإنفاق بسخاء.

---

٦٥- البحراني، المحاسن النفسانية، ص ٨٩.

٦٦- النساء ١ .

٦٧- الحشر ١٨ .

وعلى هذا تكون السنة السيئة: كل فعل غير مشروع ، ويدفع الأشرار وضعاف النفوس إلى فعل مثله. ويشهد لما ذكرنا ما رواه البخاري ومسلم الحديث النبوي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ليس من نفس تُقتل ظلماً إلا كان على ابنِ آدمَ الأولِ كِفْلٌ من دمها ، لأنه كان أوَّل من سنَّ القتل.

فالسنة الحسنة : مبادرة مشروعة تعود على الناس بالنفع ، مثل: فتح مدرسة في منطقة تحتاج إلى التعليم ، فكانت محرِّضاً على فتح مدارس تنشر العلم والمعرفة. ومثل: تشييد مأوى للأيتام، ومستوصف لمعالجة المحتاجين ..وإلخ.

والسنة السيئة : مبادرة غير مشروعة تكون سبباً في شيوع الفساد، مثل: فتح خمارة ، وبناء مرقص، وتشييد ناد للقمار وغصب حق الخلافة ..وإلخ.

**١ – علاقة السنة بالقرآن :**

يعتقد المسلمون أن الله تعالى قد أرسل رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بمهمتين أساسيتين:

الأولى : تبليغ القرآن إلى الناس: قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ)[٦٨].

والثانية: بيان وتوضيح آيات القرآن: قال الله تعالى: (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)[٦٩].

وينشأ عن هذا أن السنة المبيّنة للقرآن محفوظة بحفظ كتاب الله عزَّ وجلَّ ، مصداقاً لقوله تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[٧٠] لأن الحجة لا تتم إلا ببيانها ، والفرق بين القرآن والسنة هو أن القرآن مجموع في كتاب ومحفوظ بينما السنة متفرقة، وهذا المتفرق يبقى موجوداً في الأرض، وإنما يتفاضل العلماء بكمية معرفته.

٦٨– المائدة ٦٧ .

٦٩– النحل ٤٠ .

٧٠– الحجر ٩ .

ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً، وأكثرها ألفاظاً، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها حتى لا يكون موجوداً فيها من يعرفه. والعلمُ به عند العرب كالعلم بالسنة عند أهل الفقه ولا نعلم رجلاً جمع السنن فلم يذهب منها عليه شيء.

فإذا جُمع علمُ عامة أهل العلم بها أتى على السنن، وإذا فُرِّق علم كل واحد منهم، ذهب عليه الشيء منها، ثم كان ما ذهب عليه منها موجوداً عند غيره[٧١]. ويرى العلماء أن بيان السنة للقرآن الكريم يشمل :

بيان السنة للقرآن :

أولاً : تثبيت المعاني التي جاء ذكرها في القرآن : ونضرب مثلاً بآيات ذكرت فرائض فرضها الله تعالى ، فجاءت السنة مؤكدة على ذلك يقول الله تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ)[٧٢].

ويقول عزَّ وجلَّ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ)[٧٣]. ويقول سبحانه وتعالى: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً). وبني الإسلام على خمسٍ عند اهل السنة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن مُحَّداً رسول اللهﷺ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة، وحجِّ البيت ، وصوم رمضان.

ثانياً : تبيين المجْمَل : وهذا القسم من السنة هو أكثرها وروداً ، ففي القرآن أحكام جائت مجملة ، فتكفلت السنة ببيانها ، فالصلاة – مثلاً – جاء الأمر بإقامتها (وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ) فجاءت السنة مفصلة لمواقيتها، وعدد ركعاتها ، وكيفيتها ، وكل ما يتعلق بها صحة وبطلاناً ، وقالﷺ : صلوا كما رأيتموني أصلي.

ثالثاً : توضيح المشْكِل : وهو لونٌ من التفسير، من ذلك النبوي ما رواه البخاري عن عدي بن حاتمرضي الله عنه قال: لما نزلت: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنْ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنْ الْفَجْرِ)[٧٤] عمدتُ إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض ، فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي ، فغدوت على رسول اللهﷺ، فذكرت ذلك له ، فقال: (إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار)؟.

٧١- سورة ص ٤٢ – ٤٣ .
٧٢- البقرة ٨٣ .
٧٣- البقرة ١٨٣ .
٧٤- البقرة ١٨٧ .

وتجد هناك مشكل في الشُبهاتٌ عقائديّة حولَ مَذهبِ التشيُّع في التوحيد وهو لو كانت صفاتُ اللهِ عينَ ذاتِه كما يعتقدُ الرافضة للزمَ تعددُ الذات بتعددِ الصفات؟.

هذا نتيجةً لانفراد مذهب الشيعةِ الإماميّة بالاعتقاد بعينيّة الصفات الذاتيّة لله تعالى، أخذَت المذاهب الأخرى تُشكل على تلكَ العقيدةِ الحقّة، ومِن تلكَ الإشكالات إشكالُ اليوم.

وقبلَ الإجابةِ على هذا الإشكال لابدَّ مِن إعلام القارئ الكريم بعقيدةِ الشيعةِ الإماميّة في صفاتِ الله تعالى، وإعلامهُ كذلك بالأدلةِ التي أُسست عليها تلك العقيدة، وسيكون الكلام ضمن نقاطٍ ثلاثة.

النقطةُ الأولى : عقيدتُنا في صفاتِ اللهِ تعالى الذاتيّة : هي الصفات التي تثبت جمالاً وكمالاً في الموصوف، والتي لايمكن أن تنفكَ عن الذات حيثُ هي عينُ تلك الذات، كالقدرةِ، والعلمِ، والحياة، والسمعِ والبصر(باعتبار علمه بالمسموعات والمبصورات) والسرمديّة، والإرادة، والصدق.

وتعتقدُ الشيعة أنّ صفات الله تعالى الذاتيّة هي عينُ ذاتهِ، فهو سبحانه يعلم لذاته، ويقدِر لذاته وحيٌّ لذاته، وهلّمّ جراً، فذاتهُ كلّها قادرة وعالمة وحيّة..الخ.

النقطةُ الثانية: دليلُ عقيدةِ العينيّة : إنّ الدليلَ الّذي أسسّوا عليه هذه العقيدة هو دليلان :

الدليلُ العقليّ : فكما نعلم أنّ الحجّية القطعيّة للدليل العقلي قبل النقلي منه في أُصول الدّين، ومن أسمائه تعالى (الأحد)، والأحديّة صفةٌ ذاتيّةٌ تعني بساطة ذاته تعالى وعدم تركيبه.

وعلى ذلك يحكمُ العقل بلزومِ اتحاد صفاته مع ذاته، ووجوب تنزيهه سبحانه عن التركيبِ والتجزئة؛ لأنّ ذلك يلزم الإثنينيّة والغيريّة، والحال أنه سبحانه الغنيّ المطلق، فمثلاً يعلم بذاته بكلّ الأشياء من دون حاجّة إلى شيء غير ذاته المقدّسة.

( ولو كانت صفاتهُ تعالى غيرَ ذاته لزمَ افتقاره إليها حال عدم اتصافه بها)، والتالي باطلٌ، فالمقدّم مثلهُ في البطلان؛ حيث إن الافتقار سمةٌ مِن سمات الممكن لا الواجب.

(ولو كانت صفاته تعالى غيرَ ذاتهِ لزمَ النقصُ عليه)، والتالي باطلٌ فالمقدّم مثلهُ في البطلان؛ فالنقص المتمثِّل بخلوّه مِن الكمال – خلوّه من تلك الصفات حين عدم اتصافه بها أي عند قصر النظر على ذاته فقط– والنقصُ سمةُ الإمكان كذلك.

إذاً تعيّنَ عقلاً أن تكون صفاتُ الله تعالى الذاتيّة عينَ ذاته، لا منفكةً عنها.

الدليلُ النقليّ:

أ – رويَ عن الإمام الصادقعليه السلام : ( لم يزل اللهُ جلّ وعزّ ربُّنا والعلمُ ذاتهُ ولا معلوم، والسمعُ ذاتهُ ولامسموع، والبصرُ ذاته ولا مُبصر، والقدرةُ ذاتهُ ولا مقدور)[٧٥].

ب – رويَ عن الإمام الرضاعليه السلام: (..لم يزل الله عزّ وجل علمه سابقاً للأشياء، قديماً قبل أن يخلقها، فتبارك ربنا وتعالى علواً كبيراً، خلق الأشياء وعلمه بها سابق لها كما شاء، كذلك لم يزل ربُّنا عالماً سميعاً بصيراً)[٧٦].

ج– رويَ عن الإمام الرضاعليه السلام: (..لم يزل الله تبارك وتعالى عالماً قادراً حياً قديماً، سميعاً بصيراً بذاته)[٧٧].

د– قال أبان بن تغلب للإمام الصادقعليه السلام: أخبرني عن الله تبارك وتعالى، لم يزل سميعاً بصيراً، عليماً قادراً؟، قالعليه السلام: نعم، فقلت له: إنّ رجلاً ينتحل موالاتكم أهل البيت يقول:

إنّ الله تبارك وتعالى لم يزل سميعاً بسمع، وبصيراً ببصر، وعليماً بعلم، وقادراً بقدرة. قال: فغضبعليه السلام ثم قال: (مَن قال ذلك ودانَ به فهو مشركٌ وليس مِن ولايتنا على شيء، إنّ الله تبارك وتعالى: ذاتًا علاّمةً سميعةً بصيرةً قادرة)[٧٨].

هـ– قال الشيخ المفيد (أنار الله مضجعه): (إنّ اللهَ عزّ وجلّ اسمه حيٌّ لنفسه لا بحياة، وإنّه قادرٌ لنفسه وعالمٌ لنفسه لا بمعنى كما ذهب إليه المشبّهة من أصحاب الصفات.. وهذا مذهب الإماميّة وكافّة المعتزلة إلاّ من سمّيناه وأكثر المرجئة وجمهور الزيديّة وجماعة من أصحاب الحديث والمحكّمة)[٧٩].

وتلك الأدلّةِ النقليّة واضحةٌ جليةٌ لاتفتقرُ إلى توضيحٍ، لما فيها مِن دلالةٍ واضحة.

---

٧٥– التوحيد للشيخ الصدّوق:ص ١٣٩، باب ١١، ح ١.

٧٦– عيون أخبار الرضا عليه السلام : ج١، ص ١١٨ ،باب ما جاء عن الرضاعليه السلام علي بن موسى من الاخبار في التوحيد ح٨. والتوحيد: ص١٣٦ ،باب العلم ،ح ٨.

٧٧– الامالي للشيخ الصدوق: ص٢٧٨، ح ٥ ، المجلس السابع و العشرون، و(عيون أخبار الرضاعليه السلام): ج١ ص١١٩ ح١٠ باب ما جاء عن الرضا عليه السلام.

٧٨– الآمالي للشيخ الصدوق: ص٦١٠ ،ح٦ ، والتوحيد: ص١٤٣ ح٨ باب صفات الذات وصفات الافعال، وروضة الواعظين: ص٣٧ – ٣٨ .

٧٩– أوائل المقالات للشيخ المفيد: ص ٥٦.

النقطةُ الثالثة : جوابُ الإشكال السابق وبعدَ معرفةِ العقيدةِ المشكَل عليها، والأدلّة التي أُسست عليها، نأتي تسلسلاً إلى نقطةِ حلِّ الإشكال الوارِد على تلك العقيدةِ الحقّة.

حيث إنه لامانع من أن تتصف الذات الإلهيّة بكلِّ صفاتِ الكمال، بل إن وجوده يقتضي اتصافه بكل كمال، لا يشذّ عنه كمالٌ أبداً وحيث إنّ وجودَهُ (تعالى) بسيط بَحت –غير مركب– حِينَئِذٍ نقول:

إن ضرورة اتصافه بكل كمال مع بساطته تقتضي أن يكون الاتصاف على نحو العينية –أي أنه عينُ النعوت والأوصاف الكماليّة– غيرَ أن تلك النعوت متكثّرة مع الذات الإلهيّة في عالمِ المفهومِ الذهنيّ، أمّا في مقامِ المصداق فالإلهُ واحدٌ مهما تعدّدت صفاته وهذا هو معنى العينية.

ولتقريبِ الفكرةِ نأخذُ مثالاً: النارُ كلّها هي حرارةٌ، وهي نورٌ، وهي واحدةٌ بمصداقها دون أن تتكثر (فلا نقول نارٌ حارّة، أو نارٌ منيرة)، بل هي نارٌ واحدةٌ تطلق عليها تسميّاتٌ عديدةٌ، فتأمل.

فكذلك الذاتُ الإلهيّة كلّها صفاتٌ ذاتيّة دون إنفكاكٍ. ومنه يتبيّن ان إثبات الصفات له جل وعلا لا يقتضي التعدد لأنه على نحو العينية لا الزيادة.

رابعاً : تخصيص العام : ومن ذلك آية المواريث : (يُوصِيكُمْ اللَّه فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ)[٨٠] فإنها جاءت عامة ، إلا أن السنة ذكرت أن هذا الحكم العام لا يطبق في حالة اختلاف الدين ، ففي النبوي قالﷺ: لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم.

خامساً : تقييد المطلق : ونضرب مثلاً بآية الوصية الواردة في سورة النساء ، وهي قوله تعالى : (وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ)[٨١].

فهذه الآية دلت على أن كمية الموصى به مطلقة غير محددة بنسبة ، وكذلك الجهة التي تُعطاها ، فجاءت السنة النبوية فحددت الوصية بالثلث، ومنعت الورثة من الوصية.

---

٨٠- النساء ٤ .

٨١- النساء ١٢ .

والدليل على ذلك: روى عن سعد بن أبي وقاص قال: عادني النبيﷺ، فقلت: أوصي بمالي كلِّه؟. قالﷺ: لا. قلت: فالنصف؟. قال: لا. فقلت: أبالثلث؟. قالﷺ: نعم، والثلث كثير. ومثلهِ عن أبي أمامة قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: إن الله أعطى كل ذي حق حقه ، فلا وصية لوارث.

**أ :– هل تنسخ السنةُ القرآن :**

مثلاً شرح هذه المسألة وهي قول الله تعالى مبيناً المحرمات من النساء:

( وَلا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنْ النِّسَاءِ إِلا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلاً * حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ اللاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنْ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمْ اللاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ اللاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمْ وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمْ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنْ النِّسَاءِ إِلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا )[٨٢].

فهذه الآيات ذكرت خمسة عشر صنفاً من النساء يحرم على المسلم الزواج بهن، وقال تعالى بعد ذكر المحرمات : (وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ). فجاءت السنة النبوية وقضت بأنه لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها، وجاء في رواية عند ابن حبان: (إنكم إن فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم).

فهل نسخت السنة ما دلت عليه الآيات مؤكدة بحل كل ما لم تذكره آيات المحرمات؟.

الحق أنه لولا الحديث المانع من الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها لكان الحكم أن الجمع جائز، وإنما يحرم الجمع بين الأختين كما نصت الآية[٨٣] من سورة النساء.

ولدى التفكير يظهر أن الذين قالوا: يصح أن تنسخ السنةُ القرآنَ ، والذين قالوا: لا يصح ، إنما كان خلاف عامتهم لفظياً، فجمهور العلماء يأخذون بنهي النبيﷺ عن الجمع بين المرأة وخالتها أو عمتها. وقُلْ مثل هذا في كل حديث مع القرآن.

---

٨٢– النساء ٢٢ – ٢٤ .

٨٣– النساء ٢٣ .

**ب :- هل تستقل السنة بالتشريع :**

جائت الأحاديث عن الرسولﷺ مصرحة بأن الإسلام يُستمد من أصلين: الكتاب والسنة. وجائت الآيات القرآنية مصرحة بوجوب طاعة اللَّه تعالى وطاعة رسولهﷺ، ولم ينازع أحد من الراسخين في العلم في أن السنة قد جائت بأحكام زائدة عما ورد في القرآن .

بل إن من دلائل النبوة ما تنبأ بهﷺ من ظهور (القرآنيين) الرافضين للسنة النبوية، ففي الحديث عنهﷺ أنه قال: يوشك أن يقعد الرجل متكئاً على أريكته ، ويُحدَّثُ بحديث من حديثي ، فيقول: بيننا وبينكم كتاب اللَّه ، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرّمناه. ألا وإن ما حرم رسول اللَّه كما حرم اللَّه[٨٤].

ويقولﷺ: ألا إني أوتيت الكتابَ ومثلَه معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلُّوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرِّموه.

ألا لا يحل لكم لحمُ الحمار الأهلي، ولا كلُّ ذي ناب من السباع، ولا لُقَطَةُ معاهَدٍ، إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يُقروه ، فإن لم يقروه فله أن يَعْصبهم بمثل قراه[٨٥]. فما سكت عنه القرآن بينته السنة، سواء تناول البيان ما أجمله القرآن، أم ما لم يرد ذكر أصله في الكتاب.

هل تعارض السنةُ القرآن ؟. لا توجد سنة صحيحة تلقاها العلماء بالقبول تعارض ما جاء في القرآن، فهذا أمر لا يمكن تصوره ، فإذا بدا لبعض الناس شيءٌ من ذلك، فعليهم ألا يسارعوا إلى إنكار ما لاح لهم أنه معارضة ، وعلى من يطلع على رأيهم أن يبحث عن الأسباب:

فقد تكون الأسباب كامنة في عدم القدرة على الربط بين مقررات عامة وبين مقررات السنة ، كما روى الإمام أحمد عن علقمة قال: كنا عند عائشة ، فدخل أبو هريرة ، فقالت: أنت الذي تحدث: أن امرأة عُذِّبت في هرة ربطتها، فلم تطعمها ولم تسقها؟!.

فقال: سمعته منه ، يعني النبيﷺ. فقالت: هل تدري ما كانت المرأة، إن المرأة مع ما فعلت كانت كافرة، وإن المؤمن أكرم على اللَّه عزَّ وجلَّ من أن يعذبه في هرة!، فإذا حدَّثتَ عن رسول اللَّهﷺ فانظر كيف تحدِّث.

---

٨٤- صحيح الجامع الصغير : رقم ٨٠٣٨ .

٨٥- نفس المصدر رقم ٢٦٤ .

وقد تكون الأسباب كامنة في مفاهيم (شبهات) دخلت في الموازين: كما هو الحال عند المعتزلة ، الذين أنكروا – على سبيل المثال – أحاديث الشفاعة التي نصت على أن الرسولﷺ والنبيين وصالحي المؤمنين يشفعون عند الله تعالى في عصاة الموحدين ، مثل:

يخرج قوم من النار بشفاعة محمدﷺ ويسمون الجهنميين. ويخرج من النار قوم بالشفاعة كأنهم الثعارير. والثعارير: نباتٌ يشبه الهليون. ولكل نبي دعوة دعا بها فاستجيبت ، فجعلت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة.

ويدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم. فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون ، فيقول الجبار: بقيت شفاعتي ، فيقبض قبضة من النار، فيُخرج أقواماً قد امتحشوا (احترقوا) فيلقون في نهر بأفواه الجنة ، يقال له: ماء الحياة. والمعتزلة – لتغليبهم الوعد على الوعيد ، والعقل على النقل – أعرضوا عن هذه الأحاديث، مع قوة ثبوتها، ووضوح دلالتها. وكانت شبهتهم في ردها:

أنها تعارض القرآن الذي نفى شفاعة الشافعين. ومن قرأ القرآن لم يجد فيه إلا نفي (الشفاعة الشركية) التي كان يعتقدها المشركون من العرب ، والمحرفون من أصحاب الديانات الأخرى.

أجل ، نفى القرآن أن تكون للآلهة الزائفة شفاعة ، وأن يكون للمشركين شفيع يطاع، كما قال تعالى: (مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ)[٨٦]. والقرآن يعبر كثيراً عن الشرك بالظلم ، وعن المشركين بالظالمين ، فإن الشرك ظلم عظيم.

بيد أن القرآن أثبت الشفاعة بشرطيها:

الأول : أن تكون بعد إذن الله تعالى للشافع أن يشفع ، فلا أحد يستطيع أن يوجب على الله شيئاً كائناً من كان ، قال الله تعالى في آية الكرسي: (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ)[٨٧].

الثاني : أن تكون الشفاعة لأهل التوحيد وهم الأئمة من آل محمدعليهم السلام ، كما قال سبحانه في شأن ملائكته: (وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنْ ارْتَضَى)[٨٨].

٨٦- غافر ١٨ .

٨٧- البقرة ٢٥٥ .

٨٨- الانبياء ٢٨ .

وقولُه تعالى في شأن المكذبين بيوم الدين : (فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ)[٨٩] يفيد بمفهومه أنْ ثَمَّتَ شافعين ، وأن غيرهم تنفعه شفاعة الشافعين ، وهم من مات على الإيمان.

وموضوعنا تعارض السنةُ مع القرآن كما يقول الله تعالى: (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) بينما يخالف علماء الشيعة هذه الآية عندما تنسب للأئمة هذه الرواية:

وبهذا الاسناد، عن الحسن بن على بن أبى حمزة، عن الحسن بن السرى قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: "إني لاحدث الرجل الحديث فينطلق فيحدث به عنى كما سمعه فأستحل به لعنه والبراءة منه "[٩٠].

لا تعارض هنا لان الأمام عليه السلام يدعوا لأستخدام التقية وعدم أعلام العامة بكل شيء لما أقتضاه الوضع السياسي لهذه العصور والنبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر الناس بأستخدام التقية قبل هذا الوقت!.

ومؤمن ال فرعون فى سورة يس كان يكتم الأيمان قبل هذا (وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ) (من كَفَرَ بِاللهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيم) (لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ)، فلا تعارض هنا.

تعريف السنّة : هي في اللغة الطريقة، وهي هدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم. قال الراغب الأصفهاني في مفردات القرآن في مادة السنن ما نصّه: فالسنن جمع سنّة ، وسنّة الوجه طريقته ، وسنّة النبي طريقته التي كان يتحرّاها. فمعنى السنّة هي أنّها ما صدر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قول أو فعل أو تقرير.

واما تاريخ تدوين السنّة، فمن المعروف أنّ العرب قبل الإسلام لم يعرفوا الكتابة والقراءة ، وعليه ذهب علي السايس على اتكال الصحابة في السنّة على حفظهم ، فلم يكتبوها ، ولم يأمروهم النبي بكتابتها كما كان يأمر بكتابة القرآن ، بل على العكس من ذلك ينهاهم عن الكتابة كما جاء في رواية مسلم "لا تكتبوا عنّي شيئاً إلا القرآن ، فمن كتب عنّي شيئاً غير القرآن فليمحه"[٩١].

---

٨٩- المدثر ٤٨ .

٩٠- كتاب الغيبة صفحة: ٣٦ .

٩١- صحيح مسلم ، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم ح ٨٥١٠ ص ١٢٩٧ .

ولذا ذهب أكثر علماء السنّة على أنّ السنّة لم تدوّن إلا في أوائل المائة الثانية من الهجرة بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى عامله على المدينة أبي بكر محمّد بن عمرو بن حزم بقوله : "انظر ما كان من حديث رسول الله فاكتبه، فإنّي خفت دروس العلم وذهاب العلماء"[٩٢].

وقد أجاب الأعلام – كالشيخ عبد الخالق عبد الغني في حجية السنّة والعجاج الخطيب في السنّة قبل التدوين – عن هذه الشبهة: أنّ جملة "لا تكتبوا عنّي شيئاً إلا القرآن" بنفسها دالة على وجود المؤهل للكتابة عند العرب ، بل وجود الكتبة عندهم ، إذ لا يعقل أن يخاطب الرسول جمعاً ليس لهم قدرة الكتابة بقوله: "لا تكتبوا".

وقد ثبت في التاريخ وجود كتّاب ، كزيد بن ثابت وعلي بن أبي طالب عليه السلام ، وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبي بكر بن عمرو بن حزم وغيرهم.

وعليه فالكتابة كانت موجودة عند العرب ، ويضاف إليه وجود نيف وثلاثين كاتباً للرسول صلى الله عليه وآله وسلم يحسنون الكتابة ، وقد كتبوا إلى الرؤساء والملوك ، وأنّ الإسلام كان يدعو إلى الكتابة وتعلّمها[٩٣].

هذا مضافاً إلى المناقشة السندية فإنّ هذا الحديث لم يروه مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا همام بن يحيى . وقال الخطيب: تفرّد همام بروايته هذا الحديث عن زيد بن أسلم هكذا مرفوعاً[٩٤].

مع أنّه مناقض مع بعض الروايات الدالّة على إذن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لبعض أصحابه في كتابة كل ما سمعه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد ورد عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال قلت: يا رسول الله أكتب كلّ ما أسمع منك. قال: نعم. قلت: في الرضا والغضب؟ قال: نعم ، فإنّي لا أقول في ذلك كلّه إلا حقّاً[٩٥].

وجاء أيضاً عن طارق بن شهاب قال : شهدت علياً وهو يقول على المنبر: والله ما عندنا كتاب نقرؤه عليكم إلا كتاب الله تعالى وهذه الصحيفة معلّقة بسيفه ، أخذتها من رسول فيها فرائض الصدقة معلّقة بسيف له حليته حديد[٩٦].

---

٩٢- صحيح البخاري ١ : ٣٣ ، كتاب العلم .

٩٣- منع تدوين الحديث : ٢٩ .

٩٤- تدوين السنّة النبوية : ٢٩٠.

٩٥- جامع بيان العلم وفضله ، لابن عبد البر ١ : ٧١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٩٦- مسند أحمد بن حنبل ح ٩٦٢ ص ١١٧ ، أيضاً حديث رقم ٧٩٨ ، ٨٧٤ ، ٧٨٢ .

ولوجود هذه الروايات تعددت آراء علماء السنّة فيما يراد بـ"النهي عن الكتابة ". فرأى البعض أنّ حديث النهي منسوخ، وكان النهي حين خيف اختلاطه بالقرآن، فلمّا أمن من ذلك أذن في الكتابة.

وأمّا مناع القطان فنقلاً عن أقوال بعض العلماء رأى إنّما النهي عن كتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة[٩٧].

ومهما يكن من الأمر فإنّ القائل بأنّ السنّة دوّنت في القرن الثاني للهجرة نفى بدء كتابتها في عهد رسول الله ﷺ ؛ وذلك لشيوع الأمية ، وخوفهم من اختلاط السنّة بالقرآن ، ولئلا ينصرف الناس بحفظ السنة عن حفظ القرآن.

إنّ القول بأنّ كتابة السنّة قد ابتدأت منذ عهد رسول اللهﷺ لهو الأقرب إلى الواقع. وحجّة النافي بأنّ النهي كان لشيوع الأمية مرفوض بالقول بأنّ الأمية ليست سمة المسلمين على وجه العموم ، ويشهد على ذلك أنّ الرسول أذن لأسرى بدر بأن يفدي كلّ كاتب منهم نفسه بتعليم عشرة من سكان المدينة الكتابة والقراءة.

وهذا يدلّ على أنّ المسلمين يجيدون الكتابة والقراءة. فكيف يقال بعد ذلك لكون شيوع الأمية نهى رسول اللهﷺ كتابة السنّة؟! وأيضاً حجة النافي لئلا تختلط السنّة بالقرآن مردودة بسمة إعجاز القرآن ، وحرص المسلمين على العناية إلى أن بلغوا في حفظه والعناية به الغاية من الدقّة والشدّة حتّى عرفوا كلّ شيء من إعرابه وقراءته وحروفه فمن البعيد أن يختلط مع غيره من كلام المخلوق.

السنة النبوية عند الشيعة : كغيرهم من المذاهب الإسلامية فإنّ الشيعة يعتمدون على السنة النبوية في أخذ معالم الدين أصولاً وفروعاً ، ويجعلونها المصدر الثاني بعد كتاب الله في أخذ أحكام الله.

ولأهمية السنّة النبوية في تشريع الأحكام ، فقد اهتمّوا بها اهتماماً بالغاً لتنقيب الأحاديث التي اعتمدوا عليها ، ودوّنوا الحديث في كتبهم، وأشهرها الكتب الأربعة ، وهي:

---

٩٧- مناع القطان ، مباحث في علوم القرآن ، ص ٩٥ .

كتاب الكافي لمحمّد بن يعقوب الكليني المتوفى عام ٣٢٨ هـ.ق فيه ١٦٠٩٩ حديثاً .

وكتاب من لا يحضره الفقيه لمحمّد بن بابويه القمي المتوفى سنة ٣٨١ هـ.ق فيه ٩٠٤٤ حديثاً.

وكتابي التهذيب وفيه ١٣٠٩٥ حديثاً والاستبصار وفيه ٥٥١١ حديثاً لصاحبها الشيخ محمّد بن الحسين الطوسي المتوفى سنة ٤٦١ هـ.ق .

وهذه الكتب مبوّبة مرتّبة يذكر في كلّ باب جميع ما يتصل به من الأحاديث[٩٨] . ولصيانة التراث النبوي وحمايته من الأوهام ، وضع علماؤهم الأسس والقواعد التي يمكن التوصّل بها إلى معرفة الأحاديث الصحيحة وتمييزها عن غيرها.

فالسنة المعتبرة عندهم ما صحّ لهم من طريق أهل البيت عليهم السلام عن جدّهم صلى الله عليه وآله وسلم ، يعني:

ما رواه الصادق عن أبيه الباقر عن أبيه زين العابدين عن الحسين السبط عن أمير المؤمنين عن رسول الله عليه السلام .

كما وضعوا أيضاً علم الدراية والرجال ، وألّفوا فيها عشرات الكتب لتصفية الأحاديث ، وبيان ما يجوز الاعتماد عليها وما لا يجوز. والحديث عندهم ينقسم إلى المتواتر والآحاد ، ويعنون بالمتواتر أن ينقله جماعة بلغوا من الكثرة حدّاً يمنع من اتفاقهم على الكذب، ولا إشكال في حجّية هذا النوع من الأخبار.

وأمّا الآحاد : هو الذي لا ينتهي إلى حدّ التواتر ، سواء أكان الراوي واحداً أو أكثر.

فقد اتفق أكثرهم على جواز العمل بأخبار الآحاد في الأحكام ، وينقسم هذا النوع من الخبر إلى أربعة أقسام[٩٩] وهي كالتالي :

١- الصحيح : ما إذا كان الراوي إمامياً ثبتت عدالته بالطريق الصحيح.

٢- الحسن : ما إذا كان الراوي إماميا ممدوحا ولم ينص أحد على ذمّه أو عدالته .

٣- الموثق : ما إذا كان الراوي مسلماً غير شيعي ولكنه ثقة أمين في النقل.

٤- الضعيف : ما لا يستوفي الشروط المتقدّمة كأن يكون الراوي فاسقاً.

---

٩٨- محمّد جواد مغنية ، الشيعة في الميزان ، ص ٣١٧-٣١٨ .

٩٩- هاشم معروف الحسني ، أصول التشيّع عرض ودراسة ، ص ٢٠٦ .

تلك هي جهود الشيعة في تنقيح السنّة النبوية ، وإن بلغ جهدهم إلى أقصاه في إحقاق الحق وإبطال الباطل ، وصيانة السنة النبوية وحمايتها من الأوهام والإسرائيليات ، ولكنّهم لم ينجوا من التهم في أنّهم لا يعترفون بالسنّة النبوية .

وأنكروا كل الأحاديث الواردة عن طريق الصحابة ، بل أنّ الشيعة شنّوا هجوماً عنيفاً على رواة الحديث الذين عند حدّ مناقضيهم من أهل الثقة ، أمثال : أبي هريرة وعمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير والمغيرة ابن شعبة وغيرهم .

وعلى ذلك فهم إذن من الملحدين؛ لأنّ الأحاديث تصل إلينا عن طريقهم، وهي تمثّل التراث الهائل، وتكون نصف الدين ومفسرة لمبهم القرآن ومجمله ، فمن أنكرها فقد كفر. هذا قول خصوم الشيعة.

ولكن الضرورة تملي علينا أن نسرد أقوال علمائهم فيها ؛ لأنّه ليس من الإنصاف إلصاق التهم إليهم من غير إعطاء علمائهم الفرصة الكافية للدفاع عن أنفسهم.

فإنّ الشيعة اعتمدوا على الأحاديث النبوية في إثبات الأحكام الشرعية.

وتقسيمهم للأحاديث إلى أربعة أقسام نوع من احتياطهم لقبول ما جاء عن الرسول وأئمتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وهذا لا يعني أنّهم يرفضون كلّ ما جاء عن طريق غيرهم ، فإن كانوا معروفين بالوثاقة قبلوا الرواية، ولهذا قال الصدوق في من لا يحضره الفقيه:

إنّ كلّ ما أذكره في هذا الكتاب هو أفتي به ، وأحكم بصحّته ، وأعتقد أنّه الحجّة فيما بيني وبين ربّي تقدّس ذكره. وما يرويه في الكتاب المذكور فيه الإمامي وغيره[١٠٠] .

وكفى بهذا القول ردّاً على عدوان بعض القائلين بأنّ الشيعة لا يقبلون أحاديث إخوانهم أهل السنّة ، فهم لا ينفوا ما جاء عن طريق غيرهم لكن وضعوا الشروط المتشدّدة في قبول صحّة الحديث ، وكان ذلك من النتائج الطبيعية للظروف القاسية التي اجتاحت بهم في عهد الدولتين الأموية والعباسية ، وصدور آلاف الأحاديث المكذوبة على أهل البيت عليهم السلام .

١٠٠- هاشم معروف الحسني ، أصول التشيّع عرض ودراسة ، ص ٢٥ .

وأمّا رفضهم لصحيح البخاري ، في حين أنّه عند معارضي الشيعة من أصحّ الكتب بعد كتاب الله ، فذهب السيّد شرف الدين العاملي إلى القول بأنّ البخاري لم يستوف الشروط المتفقة عندهم في نقل الأخبار[١٠١].

فقد كتم البخاري كثيراً من النصوص المتعلّقة ببيان خصائص أهل البيتعليهم السلام بالإضافة إلى أنّه اعتمد على أبي هريرة ومروان بن الحكم وعمرو بن العاص الذين عند الشيعة ليس لهم من الاعتبار مقدار جناح بعوضة بدلاً من أن يروي من أئمة أهل البيتعليهم السلام[١٠٢].

مع أنّ أقوال أئمة أهل البيتعليهم السلام حجّة لهم ؛ وذلك لأنّ الرسولصلى الله عليه وآله وسلم أمر الأمّة بالأخذ بأقوالهم ،كما صرّح في حديث العترة ، فالتمسك بأحاديث الأئمة عندهم امتثال لقولهصلى الله عليه وآله وسلم، فمن أخذ بالثقلين فقد تمسّك بما ينقذه من الضلال، وأنّ النبيصلى الله عليه وآله وسلم شبّه العترة بسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق ، وهذه كلّها تدلّ على حجّية أقوال أئمة العترة الطاهرةعليهم السلام[١٠٣].

ورفض الشيعة لصحيح البخاري لا يقدح في إسلامهم شيئاً ، وإخراجهم عن حظيرة الإسلام ، ماداموا متمسّكين بالسنة النبوية الواردة عن طريق غيره ، ويستمدّون منها أحكام الدين.

وهذا الرفض ليس الرفض للسنة النبوية، وإنّما الرفض للرجال الذين اعتمد عليهم البخاري. ومثل هذا الرفض ليس بغريب عند المحدّثين، فقد قال الذهبي:

إنّ الاثنين من علماء هذا الشأن لم يجتمع على توثيق الضعيف ولا على تضعيف الثقّة.

وعلى هذا أنفي شبهة القائلين بأنّ الشيعة ينكرون حديث الرسولصلى الله عليه وآله وسلم، ولا يعملون بأخبار إخوانهم أهل السنّة، ومن ثمّ يلصقون بهم التهم، وينسبون إليهم الأراجيف والأكاذيب ، وهم منها براء .

أمّا موقفهم اتجاه بعض الصحابة ، فبيانه في الموضوع اللاحق إن شاء الله تعالى.

واما الشيعة والصحابة فأن الضرورة تملي علينا إفراد بحث خاص عن حياة الصحابة وشؤونهم وما فعلوه وما اعتقدوه ؛ لكونهم جزءاً لا يتجزّأ من السنّة النبوية ، منهم أخذنا ديننا ، وبهم تصل إلينا سنة الرسولصلى الله عليه وآله وسلم لنستضيء بها في الظلمات في معرفة أحكام الدين.

---

١٠١- عبد الحسين شرف الدين الموسوي ، المراجعات ، ص ١٢٧ .

١٠٢- محمّد الحسين آل كاشف الغطاء ، أصل الشيعة وأصولها ، ص ٧٩ .

١٠٣- جعفر السبحاني ، الاعتصام بالكتاب والسنة ، مؤسسة الإمام الصادق ، قم ١٩٨٧ ، ص ٣٤٤ .

هذا ، وقبل معرفة آراء الشيعة في الصحابة حريّ بنا معرفة المراد من الصحابة في عرف المحدّثين.

قال البخاري : من صحب النبيﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه. يلاحظ أصل تعريفه من أستاذه علي بن المديني حيث قال : من صحب النبيﷺ أو رآه ولو ساعة من نهار فهو من أصحاب النبيﷺ[١٠٤].

يشمل هذا التعريف أولئك الذين ارتدّوا في عهد الرسولﷺ أو بعده. ومن البديهي أنّ هذا التعريف مرفوض ؛ لأنّ الردّة تنفي العمل إذ لا يمكن ضمّ المرتدّين إلى جماعة الصحابة.

وأمّا سعيد بن المسيب فقال : إنّهم من أقام مع النبيﷺ سنة أو سنتين ، وغزا معه غزوة أو غزوتين[١٠٥].

هذا التعريف لا يقبله عامّة المسلمين؛ لأنّه يخرج عدداً غفيراً من أولئك الذين أقاموا مدّة قصيرة مع النبيﷺ، فلذلك نفى ابن حجر التعريف المذكور ؛ لأنّ المسلمين اتّفقوا على عدّ جمع كثير في الصحابة لم يجتمع مع النبي إلا في حجة الوداع.

وإن اختلفت الآراء حول تعريف الصحابة ، فإنّ هذا اللقب يخصّص إلى من لقي النبيﷺ، طالت مجالسته أو قصرت ، وروى عنه أم لم يرو . وأنّ أولئك كلّهم عدول ، وما صدر عنهم من الأحكام أو الأفعال إنّما يندرج في الاجتهاد فإن أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر واحد.

هذا هو اعتقاد أكثرية المسلمين في الصحابة ، فصار حدّاً فاصلاً يفرّق بين الشيعة وإخوانهم أهل السنّة .

والشيعة تنفي عدالة جميع الصحابة فعدالة كلّ الصحابة عندهم ما لا أساس لها .

وعلى ذلك قسّموا الصحابة إلى ثلاثة أقسام بقدر صدقهم وإخلاصهم لله ورسوله

القسم الأوّل : وهم من الصحابة الأخيار الذين بايعوا الله ورسولهﷺ حقّ البيعة ، وصاحبوه بالصدق في القول والإخلاص في العمل ، فقد امتدحهم الله في كتابه. والشيعة يذكرونهم باحترام وتقديس ويترضّون عليهم كما يذكرهم أهل السنّة باحترام وتقديس أيضاً.

---

١٠٤- ناصر علي عائض حسن الشيخ ، عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة، مكتبة الرشيد ، الرياض ، ص٣٣.

١٠٥- نفس المصدر ، ص ٣٤ .

١٠٦- محمّد التيجاني السماوي ، ثمّ اهتديت ، ص ٧٧-٧٩.

القسم الثاني : هم الصحابة الذين اعتنقوا الإسلام إمّا رهبة أو رغبة ، وكانوا يؤذون رسول الله ﷺ في بعض الأوقات ، ولا يمتثلون لأوامره ونواهيه ، بل يجعلون لآرائهم مجالاً في مقابل النصوص حتّى نزل القرآن بعتابهم مرّة وتهديدهم مرّة أُخرى. والشيعة لا يذكرونهم إلا بأفعالهم بدون تقديس.

القسم الثالث : هم المنافقون الذين صحبوا رسول الله ﷺ للكيد له ، وقد أظهروا الإسلام وانطوت سرائرهم على الكفر، وهؤلاء اتفق الشيعة وأهل السنّة على لعنهم والبراءة منهم.

وهناك قسم خاصّ من الصحابة يتميّزون عليهم بالقرابة القريبة ، وبفضائل خلقية ونفسية وخصوصيات اختصّهم الله ورسوله ﷺ بها لا يلحقهم فيها غيرهم ، وهؤلاء هم أهل بيته الطاهرين عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

والشيعة يقتدون بهم ويقدّمونهم على كلّ الصحابة لوجود النصوص الصريحة الدالّة على ذلك ، كما سبق ذكره.

وأمّا أهل السنّة والجماعة مع احترامهم لأهل البيت وتعظيمهم إلا أنّهم لا يعترفون بهذا التقسيم للصحابة ، ولا يعدّون المنافقين في الصحابة، بل الصحابة في نظرهم من خير الخلق بعد رسول الله ﷺ ، وأنّ كلّهم عدول ، وكلّ ما صدر عنهم من الأفعال لابدّ من تفسيره من باب اجتهادهم.

وإذا كان هناك تقسيم فهو من باب فضيلة السبق للإسلام والبلاء الحسن فيه، فيفضّلون الخلفاء الراشدين في الدرجة الأولى، ثمّ الستة الباقين من العشرة المبشّرين بالجنة على ما يروونه.

ويرى الشيعة أنّ إطلاق لفظ الصحابة إلى من أقام مع رسول الله ﷺ لا يضمن على من انضمّ إليه الأمانة والصدق على الإطلاق ، فهم متفاوتون في الصدق والإخلاص بقدر ماصدر عنهم من خير أو شرّ وما يترتب من أفعالهم ، فالصحابي مهما ارتقى في درجات الإيمان فإنّه إن لم يكن معصوماً من قبل الله جاز عليه العصيان والانقلاب .

كما أنّ الصحابة عندهم أيضاً تشمل المتآمرين والمتربّصين الذين تقرّبوا ليكيدوا بالإسلام والمسلمين وراء ستار الدين حتّى أن فضح الله كيدهم. هذا وليُرى مصداق قول الشيعة نذكر فيما يلي نماذج من أفعال الصحابة.

الصحابة في صلح الحديبية : مجمل القصّة ، أنّ رسول الله ﷺ خرج في السنة السادسة للهجرة يريد العمرة مع ألف وأربعمائة من أصحابه فأمرهم أن يضعوا سيوفهم في القرب ، وأحرم هو وأصحابه بذي الحليفة وقلّدوا الهدي ليعلم قريشاً أنّه إنّما جاء زائراً معتمراً وليس محارباً .

ولكن قريشاً بكبريائها خافت أن يسمع العرب بأنّ محمّداً دخل مكّة عنوة وكسر شوكتها ، فبعثوا إليه بوفد ، وطلبوا منه أن يرجع في هذه المرّة من حيث أتى على أن يتركوا له مكّة في العام القادم ثلاثة أيام ، وقد اشترطوا عليه شروطاً قاسية قبلها رسول الله ﷺ لاقتضاء المصلحة التي أوحى بها إليه ربّه عزّ وجل.

ولكن بعض الصحابة عارضوه في ذلك معارضة شديدة ، وجاءه عمر بن الخطاب قائلاً : ألست نبي الله حقّا؟ قال: بلى ، قال عمر: ألسنا على الحقّ وعدوّنا على الباطل؟ قال: بلى ، قال عمر: فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً؟ قال رسول الله ﷺ: إنّي رسول الله ، ولست أعصيه وهو ناصري.

ثمّ أتى عمر إلى أبي بكر فقال: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقّاً ؟ قال: بلى ، ثمّ سأله عمر نفس الأسئلة التي سألها رسول الله ﷺ، فأجابه أبو بكر بنفس الأجوبة قائلاً: أيها الرجل إنّه لرسول الله، وليس يعصي ربّه وهو ناصره فاستمسك بغرزه.

ولما فرغ رسول الله من كتابة الصلح قال لأصحابه : قوموا فانحروا ثمّ احلقوا ، فوالله ما قام أحد حتّى قال ذلك ثلاث مرّات ، فلمّا لم يمتثل لأمره منهم أحد ، فدخل خبائه ، ثمّ خرج فلم يكلم أحداً منهم بشيء حتّى نحر بُدنة بيده، ودعا حالقه فحلق رأسه ، فلمّا رأى أصحابه ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتّى كاد بعضهم يقتل بعضاً[١٠٧] .

بناءً على هذا الموقف من بعض الصحابة وغيره رفض الشيعة قول القائلين بأنّ الصحابة جميعهم كانوا يمتثلون أوامر رسول الله ﷺ.

فماذا عساه أن يقال لهؤلاء الصحابة الذين يشاهدون المعجزات ، وأنوار النبوّة ، والقرآن يعلّمهم كيف يتأدّبون مع حضرة الرسول ﷺ، وعليه فالشيعة لا يتصوّرون بأنّ هذا التصرّف في مواجهة النبي ﷺ أمر هيّن أم معذور ؛ لقوله تعالى ( فلا وربّك لا يؤمنون حتّى يحكّموك فيما شجر بينهم ثمّ لا يجدوا في أنفسهم حرجاً ممّا قضيت ويسلّموا تسليما)[١٠٨] .

---

١٠٧- صحيح البخاري ، كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد ، ج ٢ ص ٢٢١ .

١٠٨- النساء ٦٥ .

وهذا نزر قليل ممّا يدلّ على تخلّف الصحابة عن أوامر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ومن يريد الإلمام فليراجع أمّهات الكتب ، وسوف يجد فيها كثيراً ما يساند موقف الشيعة اتجاه الصحابة، مثل: الصحابة في رزية يوم الخميس[١٠٩] . والصحابة في سريّة أسامة وغيرها[١١٠].

أم المؤمنين عائشة : تُعدّ من المكثرين في رواية الحديث ، فمن أنكر عدالتها فقد أسقط كثيراً من الأحاديث المروية عنها ؛ ولذلك حاول بعض العلماء الدفاع عنها بكلّ السبل حتّى ولو خالفوا في ذلك نصّاً صريحاً متّفقاً عليه بين علماء المسلمين .

فهي وإن كانت زوجة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم غير أنها ليست بأفضل أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمّا سبب إعراض الشيعة عن حديثها فلكونه ليس بحجّة ؛ وذلك لأسباب منها:

١- إنكارها وجود وصيّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام بالرواية المكذوبة بأنّه مات على صدرها ولم يوص شيئاً[١١١]، وهذا تعارضه أحاديث صحيحة أُخرى فقد روى ابن سعد عن الشعبي قال: توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورأسه في صدر علي عليه السلام وغسّله علي[١١٢].

كما جاء أيضاً في نهج البلاغة أنّه قضي ورأسه مستند إلى صدر علي عليه السلام.

٢- مواقفها العدائية للإمام علي عليه السلام وأولاده ، فقد كانت راجعة من مكّة عندما علمت أنّ عثمان قتل ففرحت فرحاً شديداً ، ولكنها عندما علمت بأنّ الناس بايعوا عليّاً عليه السلام غضبت وقالت: وددت أنّ السماء انطبقت على الأرض قبل أن يليها ابن أبي طالب عليه السلام .

وبدأت تشعل نار الفتنة للثورة على علي عليه السلام الذي لا تريد ذكر اسمه كما سجّله التاريخ[١١٣].

وحاربت أولاده من بعده حتّى اعترضت جنازة الحسن عليه السلام سيّد شباب أهل الجنة ، ومنعت أن يدفن بجانب جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائلة: لا تدخلوا بيتي من لا أحبّه. ونسيت أو تجاهلت قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه وفي أخيه:

---

١٠٩- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٢ ص ٣٢٥ . ورواه البخاري في باب قول المريض الجز الثاني من صحيحه .

١١٠- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٢ ص ٣١٧ .

١١١- صحيح البخاري ، ج ٥ ص ١٤٣.

١١٢- عبد الحسين شرف الدين الموسوي ، المراجعات ، المراجعة رقم ٧٦ .

١١٣- صحيح البخاري ، ج ٥ ص ١٤٠

الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة. وقوله ﷺ: أحب الله من أحبهما ، وأبغض الله من أبغضهما. فعُلِمَ أنّ التاريخ يسند موقف الشيعة في الصحابة وأنّ منهم من تخلّف عن أوامر رسول الله ﷺ، ففتنة عائشة أجمع عليها الأمّة ، لذلك قال عمّار بن ياسر رضي الله عنه :

إنّ عائشة قد سارت إلى البصرة ، ووالله أنّها لزوجة نبيّكم في الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم ليعلم إيّاه تطيعون أم هي.

هذا نزر قليل من استدلالات الشيعة لنفي عدالة كلّ الصحابة ، كما تنفي أيضاً الاجتهاد في مقابل النص ، فلا يحكم الشيعة باجتهاد معاوية إمام الفئة الباغية وكونه مأجوراً على قتله المؤمنين الأبرياء، وسبّ الإمام علي عليه السلام على المنابر ، ودسّ السمّ إلى حسن ابن علي عليهما السلام سيّد شباب أهل الجنة ، وقتله وارتكابه الجرائم والآثام التي لا يحصي عددها إلا الله.

والسؤال يعود دائماً ويتكرر: أيّ الفريقين على الحقّ ، وأيّهما على الباطل؟

فإمّا أن يكون علي عليه السلام وشيعته ظالمين وعلى غير الحقّ، وإمّا أن يكون معاوية وأتباعه ظالمين ويستحيل أن يكونا معاً على الحقّ.

وأيضاً في قضيّة خلاف فاطمة الزهراء عليها السلام مع أبي بكر، إماّ أن يكون هو على الحقّ أو هي عليها السلام[١١٤] ، وفي كلا الحالين فإنّ عدالة الصحابة كلّهم من غير استثناء أمر مستحيل لا ينسجم مع المنطق السليم.

هذا ، ولو تعمّقنا في بطون كتب التاريخ لوجدنا الأمثلة الكثيرة التي لا يحصي عددها إلا الله ، وهي تسند موقف الشيعة ، وتفنّد مزاعم معارضيهم ، بشرط تحليلها ووضعها على ميزان العقل والمقاييس الشرعية لا على التقليد الأعمى للأجداد ، والتعصّب المذهبي .

١١٤- جعفر السبحاني ، الاعتصام بالكتاب والسنة ، ص ١١١ .

**٢- حجية السنة :**

أسفرت جهود علماء الحديث ، في مرحلة التدوين ، عن وضع قواعد وضوابط تمكِّن العلماء الفقهاء من التمييز بين السنة المقبولة والسنة المردودة ، وبيَّن علماء الحديث أن السنة المقبولة درجات من حيث النظر إلى الرواة العدد أو الصفات أو المواهب ، وأن السنة المردودة دركات ، إذا نظرنا إلى رجال السند والمتن .

وسنتناول أموراً تتعلق بحجية السنة المقبولة والسنة المردودة، وحجية السنة الشريفة، كالعقل مثلاً فقد استدل الاصوليون بالعقل لاثبات حجية السنة من منطلقين، كلاهما ناهض بالاثبات.

أولهما: كالذي ذكر في كتاب (أصول الفقه الاسلامي): (وأما المعقول فان القرآن أخبر أن الله أنزل الكتاب على رسول الله ﷺ ليبين للناس ما نزل اليهم، وان هذا البيان بوحي منه فتجب طاعته).

ويمكننا أن نوضح هذا أكثر وهو ان هناك أربع مقدمات مسلمة توصلنا الى ادراك وجوب الاخذ بالسنة، وهي:

١- أن القرآن الكريم أخبرنا بأن وظيفة النبي ﷺ تجاه القرآن هي البلاغ والبيان، كما في قوله تعالى : (وما على الرسول الا البلاغ المبين). وقوله تعالى : (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم).

٢- أن القرآن الكريم أخبرنا أن بيان الرسول ﷺ هو وحي من الله كما في قوله تعالى : (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى).

٣- ان الله تعالى أمر بطاعة الرسول ﷺ كما في قوله تعالى : (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول).

٤- اننا نعلم وجدانا أن الكثير من الاحكام الشرعية التي ذكرها القرآن الكريم لا يفهم الا بالرجوع الى بيانات الرسول ﷺ وتوضيحاته لها.

أن هذه المقدمات تنهينا الى أن العقل يحكم بالتالي: بما أن فهم القرآن الكريم لاخذ الحكم منه واجب علينا، ولا يتم هذا الواجب الا بالرجوع الى السنة يجب الرجوع اليها، وهو معنى اثبات الحجية اذ لايرجع الا الى الحجة.

وثانيهما: كالذي جاء في كتاب (الاصول العامة): (ويراد من دليل العقل هنا خصوص ما دل على عصمة النبيﷺ وامتناع صدور الذنب والغفلة والخطأ والسهو منه، ليمكن القطع بكون ما يصدر عنه من أقوال وأفعال وتقريرات هي من قبيل التشريع، اذ مع العصمة لابد أن تكون جملة تصرفاته القولية والفعلية وما يتصل بها من اقرار موافقة للشريعة وهو معنى حجيتها).

ويمكننا أن نصوغ هذا وفق قواعد الاقيسة المنطقية فنقول: ان النبي معصومﷺ (زائد) وكل ما يصدر عن المعصوم فهو من الشريعة (يساوي) ان كل مايصدر من النبيﷺ فهو من الشريعة.

واما انكار حجية السنة : فقد ذهبت طائفة من أهل السنة الى انكار حجية السنة.

يقول الاستاذ شلبي بعد استدلاله لإثبات حجية السنة: ومع هذا البيان الناصع لحجية السنة، فقد شذت طائفة ممن ينتمون الى الاسلام، وهي التي تنبأ رسول اللهﷺ بقرب وجودها فأنكرت حجية السنة، وقالت:

(حسبنا كتاب الله فما كان فيه من حلال أحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه).

ثم أيدوا دعواهم هذه بأن الكتاب فيه بيان لكل شيء كما أخبر القرآن نفسه فيقوله تعالى: (ما فرطنا في الكتاب من شيء) وقوله: (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء)، والقول بأن السنة دليل مستقل يناقض اخبار الله بأن الكتاب بين كل شيء فيلزم الخلف في كلام الله وهو مستحيل على الله[١١٥].

ويشير بقوله: (وهي التي تنبأ رسول اللهﷺ بقرب وجودها) الى ما روي عن رسول اللهﷺ من أحاديث تنكر على المنكرين حجية السنة أمثال: (يوشك بأحدكم أن يقول: هذا كتاب الله ما كان فيه من حلال أحللناه، وما كان فيه من حرام حرمناه، ألا من بلغه عني حديث فكذب به فقد كذب الله ورسوله والذي حدثه).

(يوشك رجل منكم متكئا على أريكته يحدث بحديث عني فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وان ما حرم رسول الله مثل الذي حرم الله). (لا ألفين أحدكم على أريكته يأتيه الامر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: لا ندري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه).

١١٥- أصول الفقه الاسلامي ١٢١.

وعلق عليها الشاطبي في (الموافقات[١١٦]) بعد روايته لها، ردا على المنكرين، بقوله: (وهذا دليل على أن في السنة ما ليس في الكتاب).

وحول الآيتين اللتين استدل بهما المنكرون، رد القرطبي تمسكهم بهما لاثبات مدعاهم في تفسير قوله تعالى: (ما فرطنا في الكتاب من شيء) بقوله: أي في اللوح المحفوظ فانه أثبت فيه ما يقع من الحوادث.

وقيل: أي في القرآن، أي ما تركنا شيئا من أمر الدين الا وقد دللنا عليه في القرآن، اما دلالة مبينة مشروحة، واما مجملة يتلقى بيانها من الرسولﷺ، أو من الاجماع، أو من القياس الذي ثبت بنص الكتاب، قال الله تعالى:

(ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء)، وقال: (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم)، وقال: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)، فأجمل في هذه الآية وآية النحل[١١٧]، ما لم ينص عليه مما لم يذكره، فصدق خبر الله بأنه ما فرط في الكتاب من شيء الا ذكرة اما تفصيلا واما تأصيلا، وقال: (اليوم أكملت لكم دينكم).

وقال في تفسير الآية الثانية (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء): نظيره "ما فرطنا في الكتاب من شيء" وقد تقدم فلينظر هناك.

ولا حاجة الى اطالة الوقوف عند هذه الشبهات الواهية، بل لسنا بحاجة الى الاستدلال على حجية الكتاب والسنة، وقد ثبت العمل بهما من قبل رسول اللهﷺ وجيله ثم أجيال المسلمين جيلا بعد جيل بما يتجاوز مستوى التواتر الى رتبة الضرورة الدينية، وليس وراء البداهة حجة لانها مرجع كل حجة.

واما سنة الصحابة :

يدور الحديث في موضوعنا هذا (سنة الصحابة) حول المحاور التالية: تحرير محل الخلاف في المسألة. والاقوال في المسألة. وأدلة المسألة.

---

١١٦- الموافقات ٤ / ١٥ ١٦ .

١١٧- يعني قوله تعالى: (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم).

في تحرير محل الخلاف في المسألة أو قل محور البحث، يقول الاستاذ شلبي:

( من الثابت أن بعض أصحاب رسول اللهﷺ ممن لازموه في حياته وعرفوا منه أسرار التشريع وبلغوا درجة الاجتهاد، اجتهدوا برأيهم فيما ليس فيه نص صريح من كتاب الله أو سنة رسوله، فكانت لهم أقوال يتفقون فيها تارة ويختلفون فيها تارة اخرى، فتجمع من ذلك مجموعة من الفتاوى عرفت بفقه الصحابة نقلها الرواة عنهم حيث لم تدون في حينها، ثم تناقلتها كتب الحديث والفقه المقارن، عمل بها فريق من الفقهاء المجتهدين الذين جاءوا من بعدهم بينما لم يعمل بها فريق آخر).

فأبو حنيفة فيما نقل عنه يقول: اذا لم أجد في كتاب الله ولا سنة رسولهﷺ، أخذت بقول أصحابه، من شئت، وأدع قول من شئت، ثم لا أخرج عن قولهم الى قول غيرهم.

والشافعي حينما سئل عن أقاويل الصحابة اذا تفرقوا فيها يقول: نصير منها الى ما وافق الكتاب أو السنة أو الاجماع أو كان أصح في القياس.

ومثلهما في ذلك الامام مالك الذي كان يأخذ بعمل أهل المدينة المتفق عليه، والمختلف فيه، الذي أساسه في الغالب فتاوى الصحابة وعملهم. وكذلك أحمد بن حنبل كان يعمل بالراجح ولا يخرج عنها.

ثم قال أعني الاستاذ شلبي: لا خلاف في أن رأي الصحابي لا يكون حجة على صحابي آخر من المجتهدين، وانما الخلاف في حجيته بالنسبة للتابعين ومن جاؤا بعدهم . وقول الصحابي في ذلك أنواع:

النوع الاول: ما اتفقوا عليه صراحة وهذا متفق على حجيته لانه اجماع صريح.

النوع الثاني: قوله فيما لا يدرك بالرأي والعقل كالامور التعبدية والمقدرات. وهذا لا خلاف في انه حجة يجب العمل به لان مصدره السماع.

النوع الثالث: قول الواحد منهم فيما يدرك بالرأي ولم يعلم له مخالف فيه.

النوع الرابع: ما صدر عنهم اجتهادا ولم يتفقوا عليه بل تعددت أقوالهم فيه، وهذا والذي قبله وقع فيه الاختلاف.

والاراء المحكمة في ذلك ثلاثة:

الاول: أنه ليس بحجة مطلقا، لان ذلك صدر عن اجتهاد منهم وهو محتمل للصواب والخطأ، لانهم ليسوا بمعصومين فتكون أقوالهم كأقوال غيرهم من المجتهدين في أنها ليست حجة، ولانه ثبت تخطئة بعضهم لبعض ورجوع بعضهم عن رأيه:

كما ثبت مخالفة بعض فقهاء التابعين لبعضهم وقد علموا بهذه المخالفة ولم ينكروا عليهم، ولو كان رأيهم حجة ملزمة لمن جاء بعدهم لانكروا عليهم تلك المخالفة، واذا ثبت ذلك في حق التابعين كان غيرهم مثلهم، وامتياز الصحابة بكونهم أفضل وأعلم وأتقى من غيرهم لا يوجب على مجتهد آخر ممن جاء بعدهم تقليدهم لان الادلة الدالة على منع التقليد عامة تشمل الصحابي وغيره.

الثاني: أنه حجة فيما خالف القياس (القواعد) لان مخالفة القواعد لاتكون بمجرد الرأي بل لابد لها من دليل في الغالب سمعيا.

الثالث: انه حجة مطلقا لان قول الصحابي أقرب الى الصواب من قول غيره من المجتهدين لاحتمال أن يكون سمعه من رسول الله أو سمعه من صحابي سمعه منه عليه الصلاة والسلام، أو يكون فهمه من آية في كتاب الله فهما خفي على غيرهم لامتيازهم بمعرفة اللغة بالسليقة وحدة الذهن ووقوفهم على أسباب النزول وطول صحبتهم لرسول الله ومشاهدتهم لافعاله وفتاويه.

وهذا يجعل فهمهم في مرتبة لا يصل اليها فهم غيرهم، ولو كان اجتهادهم عن قياس فهو أولى من قياس غيرهم لكونهم أخبر من غيرهم بمعرفة علل التشريع وأسراره[١١٨].

والى هذا الرأي الاخير ذهب الشاطبي في الموافقات[١١٩] في المسألة التاسعة من مبحث السنة، قال: سنة الصحابة ﷺ سنة يعمل عليها ويرجع اليها.

وخلاصة ما استدل به الشاطبي هو:

١١٨- انظر : أصول الفقه الاسلامي : المبحث السابع في أقوال الصحابي .

١١٩- الموافقات ٤ / ٧٤ .

١- ثناء الله عليهم بمثل قوله تعالى: (كنتم خير امة اخرجت للناس). (وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا).

٢- ما جاء في الحديث من الامر باتباعهم وأن سنتهم في طلب الاتباع كسنة النبيﷺ: كقوله: (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ).

وقوله: (تفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة. قالوا: ومن هم يارسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي). وعنه انه قال: (أصحابي مثل الملح لا يصلح الطعام الا به).

وعنه أيضا: (ان الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين، واختار لي منهم أربعة: أبا بكر وعمر وعثمان وعلي عليه السلام فجعلهم خير أصحابي، وفي أصحابي كلهم خير). ويروى في بعض الاخبار: (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم).

٣- أن جمهور العلماء قدموا الصحابة عند ترجيح الاقاويل: فقد جعل طائفة قول أبي بكر وعمر حجة ودليلا. وبعضهم عد قول الخلفاء الاربعة دليلا. وبعضهم يعد قول الصحابة على الاطلاق حجة ودليلا. ولكل قول من هذه الاقوال متعلق من السنة.

وعلق محرر الكتاب الشيخ عبدالله دراز على قوله: ولكل من هذه الاقوال متعلق من السنة . بقوله: كما في قولهﷺ: (اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر) رواة أحمد وابن ماجة والترمذي وحسنه. وهو نفسه دليل من قال بأن اجماعهما اجماع. وكما في الاحاديث السابقة في سنة الخلفاء الراشدين أو الصحابة على الاطلاق.

٤- ما جاء في الاحاديث من ايجاب محبتهم وذم من أبغضهم. هذه خلاصة أدلة الشاطبي، فلنكن معها استنطاقا ونقدا بغية الوقوف على مدى دلالتها.

**أ :- السنة المقبولة :**

يقسمها العلماء بالنظر إلى عدد الرواة في كل طبقة إلى: سنة متواترة وسنة آحاد.

١- السنة المتواترة : هي التي يرويها جمعٌ عن جمعٍ تُحيل العادةُ اتفاقهم على الكذب. وقد اختلف العلماء في العدد الذي يُعتبر فيه التواتر قائماً، وهذا ليس لنا بغرض.

٢- سنة الآحاد : هي التي يرويها واحدٌ عن واحد، أو اثنان عن اثنين، وهكذا.. لكن لا يبلغ عددهم في كل طبقة عدد رواة السنة المتواترة.

ونتج عن هذا التفريق القول بأن السنة المتواترة تفيد (العلم) أي: اليقين في ثبوتها عن النبيﷺ، وأن سنة الآحاد تفيد (الظن) أي: احتمال أن يتطرق خطأ إلى صحتها. وأفرز هذا التفريق خلافاً حول (حجية سنة الآحاد) في الأحكام وفي العقائد.

وهذا الخلاف ترك آثاره في مؤلفات الأقدمين ، ويأتي في مقدمتها صحيح البخاري الذي يعتبره العلماء أصحَّ كتاب بعد القرآن لدى اهل السنة. فقد أفرد البخاري هذا الموضوع ببحث خاص فقال :

كتاب أخبار الآحاد، ثم فصَّل القول فذكر في الباب الأول طائفة من الأحاديث عنون لها بقوله: باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام ، وقول الله تعالى: (فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)[١٢٠].

ويسمى الرجل طائفة. لقوله تعالى : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) فلو اقتتل رجلان دخلا في معنى الآية ، وقوله تعالى : (إن جائكم فاسق بنبأ فتبينوا) وكيف بعث النبيﷺ أمراءه واحداً بعد واحد ، فإن سها أحدٌ منهم رُدَّ إلى السنة.

قال ابن حجر في شرحه قول البخاري باب ما جاء في إجازة الواحد الصدوق المراد بـ(الإجازة) جواز العمل به والقول بأنه حجة ، وبـ(الواحد) هنا حقيقة الوحدة. وأما في اصطلاح الأصوليين لدى اهل السنة فالمراد به ما لم يتواتر، وقصدُ الترجمة الردُّ به على من يقول: إن الخبر لا يُحتج به إلا إذا رواه أكثر من شخص واحد حتى يصير كالشهادة ، ويلزم منه الرد على من شرط أربعة أو أكثر[١٢١].

ثم سرد البخاري طائفة من الأحاديث الدالة على قبول خبر الآحاد، نذكر هنا عدداً منها : عن مالك بن الحويرث قال: أتينا النبيﷺ ونحن شَبَبَةٌ متقاربون ، فأقمنا عنده عشرين ليلة ، وكان رسول اللهﷺ رقيقاً ، فلما ظن أنا قد اشتهينا أهلنا - أو قد اشتقنا - سألنا عمن تركنا بعدنا؟ ، فأخبرناه.

---

١٢٠- التوبة ١٢٢ .

١٢١- فتح الباري ١٣ / ٢٣٣ .

قال: ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلِّموهم ومُرُوهم – وذكر أشياء أحفظها أو لا أحفظها – وصلُّوا كما رأيتموني أصلي ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ، ولْيَؤُمكم أكبركم.

وعن عبد الله بن عمر عن النبيﷺ قال : إن بلالاً ينادي بليل ، فكلوا واشربوا حتى ينادي ابنُ أُمِّ مكتوم.

وعن عبد الله بن عمر قال: بينا الناسُ بقُباء في صلاة الصبح إذ جائهم آتٍ فقال: إن رسول اللهﷺ أُنزل عليه الليلة قرآن ، وقد أُمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها. وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة.

عن أنس بن مالك قال: كنت أسقى أبا طلحة الأنصاري وأبا عبيدة بن الجراح وأُبيَّ بن كعب شراباً من فضيخ وهو تمر، فجائهم آتٍ فقال: إن الخمر قد حُرِّمت. فقال أبو طلحة: يا أنسُ ، قم إلى هذه الجرار فاكسرها. قال أنس: فقمت إلى مهراس لنا فضربتها بأسفله حتى انكسرت.

وعن حذيفة أن النبيﷺ قال لأهل نجران: لأبعثن إليكم رجلاً أميناً حق أمين، فاستشرف لها أصحاب النبيﷺ ، فبعث أبا عبيدة.

وعن ابن عباس عن عمر قال: وكان رجل من الأنصار إذا غاب عن رسول اللهﷺ وشهدتُه أتيته بما يكون من رسول اللهﷺ، وإذا غِبتُ عن رسول اللهﷺ وشهد أتاني بما يكون من رسول اللهﷺ .

وذكر البخاري في باب خبر المرأة الواحدة الحديث الآتي: عن توبة العنبريِّ قال: قال لي الشعبيُّ: أرأيت حديث الحسن عن النبيﷺ؟: وقاعدتُ ابن عمر قريباً من سنتين أو سنة ونصف، فلم أسمعه يحدث عن النبيﷺ غير هذا، قال:

كان ناسٌ من أصحاب النبيﷺ فيهم سعدٌ، فذهبوا يأكلون من لحم ، فنادتهم امرأة من بعض أزواج النبيﷺ إنه لحم ضبٍ، فأمسكوا. فقال رسول اللهﷺ: كلوا – أو اطعموا – فإنه حلال، أو قال: لا بأس به، شكَّ فيه، ولكنه ليس من طعامي.

والظاهر أن مسألة قبول حديث الآحاد في الأحكام قد حسمت بمرور الزمن، وبقيت المشكلة قائمة بخصوص قبوله في (العقيدة)، فقد تركت مدارس علماء الكلام بصماتها في الأجيال من العلماء الذين أحسنوا التقليد، وفقدوا القدرة على التعامل المباشر مع نصوص الوحيين: القرآن والسنة.

وحين شهد العالم الإسلامي في التاريخ المعاصر محاولات النهوض وتجديد الإسلام، فإن موضوع حجية حديث الآحاد قد أُثيرت من جديد، والذي يطمئن إليه القلب هو ما ذهب إليه المحققون من العلماء الذين ساروا على نهج الرعيل الأول .

وهو ما ذكره الإمام البخاري ، باعتباره ممثلاً لجيل من أهل العلم الثقات، من أن حديث الآحاد حجة ويجب الأخذ به لا فرق بين العقيدة والأحكام، وكيف لا يكون حجة وقد تضافرت النصوص الدالة على قبول خبر الواحد في العقيدة والأحكام .

ونكتفي هنا بذكر ما قاله النبيﷺ لمعاذ ابن جبل حين أرسله إلى اليمن: إنك تقدم على قوم أهل كتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة اللّه ، فإذا هم عرفوا اللّه فأخبرهم أن اللّه قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا فأخبرهم أن اللّه قد فرض عليهم زكاة، تؤخذ من أموالهم، فتُرَدُّ على فقرائهم ، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم ، وتوقَّ كرائم أموال الناس[١٢٢] .

وفي رواية أخرى قالﷺ لمعاذ: إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا اللّه ، وأن مُحَمَّداً رسول اللّه، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن اللّه قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن اللّه قد فرض عليهم صدقة ، تؤخذ من أغنيائهم فتُرَدُّ على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فإياك وكرائمَ أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين اللّه حجاب[١٢٣] .

وقد تناول الشاطبي إبراهيم بن موسى في كتابه (الاعتصام) موضوع رد الأحاديث الصحيحة ، التي لم تبلغ مبلغ التواتر، فبين أن سبب الرد كونها جرت غير موافقة لأغراضهم ومذاهبهم ، ويدَّعون أنها مخالفة للمعقول، وغير جارية على مقتضى الدليل فيجب ردُّها.

وذكر أمثلة على المسائل التي تضمنتها الأحاديث الصحيحة وردها المتكلمون فقال: كالمنكرين لعذاب القبر، والصراط ، والميزان ، ورؤية اللّه عزَّ وجلَّ في الآخرة ، وكذلك حديث الذباب ومقله ، وأن في أحد جناحيه داء وفي الآخر دواء ، وأنه يقدم الذي فيه الداء ، وحديث الذي أخذ أخاه بطنُه فأمره النبيﷺ بسقيه العسل، وما أشبه ذلك من الأحاديث الصحيحة المنقولة نقل العدول[١٢٤] .

---

١٢٢- صحيح الجامع الصغير رقم ٢٢٩٢.

١٢٣- نفس المصدر : رقم ٢٢٩٤ .

١٢٤- الاعتصام ١ / ٢٣ .

ويضع الشاطبي يده على علة رد السنة الصحيحة غير المتواترة فيقول: وربما احتج طائفة من نابتة المبتدعة على ردِّ الأحاديث الصحيحة بأنها إنما تفيد الظن ، وقد ذُمَّ الظنُّ في القرآن ، كقوله تعالى: (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ)[125] وقال : (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنْ الْحَقِّ شَيْئًا)[126] .

وما جاء في معناه. حتى أحلُّوا أشياء مما حرمها الله تعالى على لسان نبيهﷺ، وليس تحريمها في القرآن نصاً ، وإنما قصدوا من ذلك أن يثبت لهم من أنظار عقولهم ما استحسنوا[127] .

ويتابع الشاطبي فيقول: والظن المراد في الآية وفي الحديث أيضاً غير ما زعموا، وقد وجدنا له محالَّ ثلاثة: أحدها : الظن في أصول الدين ؛ فإنه لا يغني عند العلماء ، لاحتمال النقيض عند الظانِّ ، بخلاف الظن في الفروع فإنه معمول به عند أهل السنة.

والثاني : أن الظن هنا هو ترجيح أحد النقيضين على الآخر من غير دليل مرجِّح ، ولا شك أنه مذموم هنا ، لأنه من التحكم ، ولذلك أتبع في الآية بهوى النفس في قوله : (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ) فكأنهم مالوا إلى أمر لمجرد الغرض والهوى، ولذلك أُثبت ذمُّه، بخلاف الظن الذي أثاره دليل ، فإنه غير مذموم في الجملة ، لأنه خارج عن اتباع الهوى.

والثالث : أن الظن على ضربين :

١- ظنٌ يستند إلى أصل قطعي : وهذه هي الظنون المعمول بها في الشريعة أينما وقعت ، لأنها استندت إلى أصل معلوم ، فهي من قبيل المعلوم جنسه.

٢- وظنٌ لا يستند إلى قطعي : بل إما مستند إلى غير شيء أصلاً ، وهو مذموم. وإما مستند إلى ظن مثله؛ فذلك الظن إن استند إلى قطعي، فكالأول، أو إلى ظني ، رجعنا إليه ، فلا بد أن يستند إلى قطعي وهو محمود ، أو إلى غير شيء وهو مذموم.

---

١٢٥- النجم ٢٣.

١٢٦- النجم ٢٨ .

١٢٧- الاعتصام : ٢٣٥/١ .

فعلى كل تقدير : خبر واحد صح سنده ، فلا بد أن يستند إلى أصل في الشريعة قطعي فيجب قبوله ، ومن هنا قبلناه مطلقاً ، كما أن ظنون الكفار غير مستندة إلى شيء فلا بد من ردها وعدم اعتبارها[١٢٨] .

وقد بالغ البعض في رد الأحاديث ، ورد قول من اعتمد على ما فيها ، حتى عدُّوا القول به مخالفاً للعقل ، والقائل به معدودٌ في المجانين. فحكى أبو بكر بن العربي عن بعض من لقى بالمشرق من المنكرين للرؤية ، أنه قيل له:

هل يكفر بإثبات رؤية الباري أم لا؟ . فقال: لا. لأنه قال بما لا يُعقل ، ومن قال بما لا يُعقل لا يكفر. قال ابن العربي: فهذه منزلتنا عندهم ، فليعتبر الموفَّقُ فيما يؤدي إليه اتباع الهوى[١٢٩] .

وذكر في إعلام الموقعين أن الذين يردون الأحاديث الصحيحة ، وهي سنة الآحاد ، يزعمون أنها تتناقض مع ما يقرره القرآن ، ويضرب أمثلة كثيرة ، نذكر هنا بعضاً منها، وهي تكشف مدى خطورة رد السنة الصحيحة ، يقول:

١- ردّ الجهمية النصوص المحكمة غاية الإحكام ، المبينة بأقصى غاية البيان : أن الله موصوف بصفات الكمال؛ من العلم، والقدرة ، والإرادة ، والحياة ، والكلام ، والسمع ، والبصر ، والوجه ، واليدين ، والغضب ، والرضا ، والفرح ، والضحك ، والرحمة ، والحكمة. وبالأفعال: كالمجيء ، والإتيان ، والنزول إلى السماء الدنيا ونحو ذلك.

والعلمُ بمجيء الرسولﷺ بذلك وإخباره به عن ربه ، إنْ لم يكن فوق العلم بوجوب الصلاة والصيام والحج والزكاة ، وتحريم الظلم والفواحش والكذب، فليس يقصر عنه. فالعلم الضروري حاصل بأن الرسولﷺ أخبر عن الله بذلك ، وفرض على الأمة تصديقه فيه ، فرضاً لا يتم أصل الإيمان إلا به.

فرد الجهمية ذلك بالمتشابه من قوله: لا ليس كمثله شيء. ومن قوله : (هل تعلم له سمياً) ومن قوله : (قل هو الله أحد) ثم استخرجوا من هذه النصوص المحكمة المبينة احتمالات وتحريفات جعلوها من قسم المتشابه[١٣٠] .

---

١٢٨- ص ٢٣٥ – ٢٣٦ .

١٢٩- ص٢٣٦ .

١٣٠- ص٢٩٤ – ٢٩٥ .

٢- ردّ الخوارج والمعتزلة النصوص الصريحة ، المحكمة غاية الإحكام ، في ثبوت الشفاعة للعصاة وخروجهم من النار بالمتشابه من قوله: (فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ) وقوله (رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ) وقوله : (وَمَنْ يَعْصِ اللَّه وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا) ونحو ذلك[١٣١] .

٣- ردّ الجهمية النصوص المحكمة التي بلغت في صراحتها وصحتها أعلى الدرجات ، في رؤية المؤمنين ربهم تبارك وتعالى في عَرَصات القيامة ، وفي الجنة ، بالمتشابه من قوله :

( لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ) وقوله لموسىعليه السلام: (لن تراني) وقوله : (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّه إِلا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ) ونحوها[١٣٢] .

واما اهم النتائج فهي كما يلي:

خبر الواحد، أو خبر الآحاد، أو حديث الآحاد؛ في علم الحديث هو الرواية أو الحديث الذي لم يرقى حدّ القطعية في صدوره عن المعصومعليه السلام. الخبر الواحد في مقابل خبر المتواتر الذي يبلغ عدد مخبريه المستوى الذي يؤمَن معه تعمدهم الكذب، حيث يتم الاطمئنان بصدوره عن المعصومعليه السلام.

وينقسم إلى: الحديث الصحيح، والحديث الحسن، والحديث الموثق، والحديث الضعيف. حجيّة (أو اعتبار) الخبر الواحد هو من أهم المسائل في علم أصول الفقه.

باستثناء البعض من الفقهاء المتقدمين، ذهب الجميع إلى الأخذ بخبر الواحد في خصوص الأحكام الشرعية إلاّ أنّهم اختلفوا في شروط صحته. وذهب البعض كالسيد الخوئي والشيخ معرفة إلى اعتبار الخبر الواحد في الأمور العقدية؛ إلاّ إنّ معظم العلماء لم يوافقوا هذا الرأي.

التعريف : الخبر الواحد في مقابل خبر المتواتر الذي يبلغ عدد مخبريه المستوى الذي يؤمَن معه تعمدهم الكذب، حيث يتم الاطمئنان بصدوره عن المعصومعليه السلام. وليس من شأنه إفادة العلم بنفسه، بل بانضمام القرائن إليه[١٣٣] .

---

١٣١- ص٢٩٥ .

١٣٢- ص ٢٩٦ .

١٣٣- قاموس الاصول الفقه، ١٣٨٩ ش، ص ٤٤٧.

ويقول الأصوليون أنّ خبر الآحاد هو ما يفيد الظن وما يقابله هو الخبر المتواتر[134]، الذي يطلق على جملة من الأحاديث والروايات التي هي قطعية الصدور عن المعصوم عليه السلام[135].

أقسام الخبر الواحد

الخبر الواحد له عدّة تقسيمات مختلفة[136]، فباعتبار مستوى أحوال الرواة من حيث الوثاقة واللاوثاقة ، يقسّم إلى أربعة أقسام: الصحيح، والحسَن، والموثّق، والضعيف[137].

الحديث الصحيح، هو الخبر الذي يكون في جميع سلسلة سنده إماميين ممدوحين بالتوثيق[138].

الحديث الحسن، هو الخبر الذي يكون في جميع سلسلة سنده إماميين؛ لكن ليس كلهم من الثقات[139].

الحديث الموثّق أو القوي، هو الخبر الذي يكون جميع رواته غير إمامية؛ إلا أنّ جميعهم ثقات[140].

الحديث الضعيف، هو الخبر الواحد الذي لا تتطابق معه الأقسام السابقة الذكر، فمثلا أن يقع في سلسلة سنده راوٍ لا هو إمامي ولا ثقة[141].

المسند، والمتصل، والمرفوع، والمعنعَن، والمعلَّق، والمشهور، والغريب، والمقبول، والمقطوع، والمرُسل والموضوع (المجعول) من المصطلحات التي يطلق على الخبر الواحد، والتي تلي الأقسام الأصلية المتقدمة[142].

أهمية موضوع حجية الخبر الواحد : عدّ الشيخ الآخوند الخراساني مسألة اعتبار الخبر الواحد من أهم المسائل الأصولية[143]، ويعزو أهميته إلى إنّ غالبية الأحاديث والروايات التي وردت إلينا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم

١٣٤- مركز المعلوماتية والوثائق الإسلامية، قاموس الاصول الفقه، ١٣٨٩ ش، ص ٤٤٧.

١٣٥- قاموس الاصول الفقه، ١٣٨٩ ش، ص ٤٤٢.

١٣٦- الشهيد الثاني، البداية في علم الدراية، ص ٢٣ إلى ٣٩.

١٣٧- نفس المصدر .

١٣٨- الفيض الكاشاني، الوافي، ج ١، ص ٢٢.

١٣٩- نفس المصدر .

١٤٠- نفس المصدر .

١٤١- الشهيد الثاني، البداية في علم الدراية، ص ٢٣ ـ ٢٤.

١٤٢- نفس المصدر ، ص ٢٦.. ٣٩.

١٤٣- الآخوند الخراسانين كفاية الأصول، ١٤٣٠ هـ، ج ٢، ص ٣١٠.

والأئمةعليهم السلام هي من الأخبار الآحاد، وبناء على هذا إذا ما أردنا أن نصل إلى غالبية الأحكام الشرعية يستلزم الرجوع إلى الخبر الواحد[١٤٤]، وقد بحث هذا الموضوع في علم أصول الفقه تحت عنوان حجية خبر الواحد[١٤٥].

حجية خبر الواحد : على حدّ قول الشيخ الأنصاري إنّ أكثر الفقهاء الشيعة ذهبوا إلى حجية خبر الواحد بشكله الكلّي[١٤٦]، وإن اختلفوا في شروط الحجية لا غير[١٤٧]. وبالمقابل يوجد جمع من الفقهاء المتقدمين لا يعتقدون بحجية خبر الواحد[١٤٨].

ينضمّ الشيخ الطوسي، والسيد بن طاووس والعلامة الحلّي إلى الجماعة الأولى، حيث ذهبوا إلى أنّ الخبر الواحد الذي يمكن الاعتماد عليه هو أن يكون محل ثقة من حيث السند والمحتوى[١٤٩]. وينضمّ السيد المرتضى، وابن زهرة، وابن برّاج وابن إدريس إلى الجماعة الثانية[١٥٠].

بالطبع لم يهملوا الفقهاء المتقدمون جميع أخبار الآحاد؛ بل بحسب ما يقول الفيض الكاشاني إذا كانت إحدى القرائن الآتية قائمة، فيتم القبول بذلك الحديث:

إذا كان الحديث قد تكرر في أصول مختلفة من الأصول الأربعمائة.

إذا كان الحديث ورد في أصل أو أصلين، مع سلسلة سند موثوق بها ومتعددة.

أن يذكر الحديث في أصل كان قد رواه أحد أصحاب الإجماع، من أمثال زرارة ومُحَمَّد بن مسلم.

أن يكون الحديث في كتاب عرض على المعصومعليه السلام وقد نال الكتاب إقرار المعصومعليه السلام.

أن يكون الحديث ورد في إحدى الكتب التي نالت وثاقة العلماء المتقدمين من الشيعة[١٥١].

---

١٤٤- مصادر الاجتهاد على رأي المذاهب الإسلامية، ص ١٠٤ ـ ١٠٥.

١٤٥- المظفر، مُحَمَّد رضا، أصول الفقه، ج ٣، ص ٧٥ ، الأنصاري، فرائد الأصول، ج ١، ص ٢٣٨.

١٤٦- الأنصاري، فرائد الأصول، ج ١، ص ٢٣٧.

١٤٧- نفس المصدر ، ص ٢٤٠ ـ ٢٤١.

١٤٨- مصادر الاجتهاد على رأي المذاهب الإسلامية، ص ١٠٥ ـ ١٠٦.

١٤٩- نفس المصدر، ص ١٠٥ ـ ١٠٦.

١٥٠- نفس المصدر : ص ١٠٥ ـ ١٠٦.

١٥١- الفيض الكاشاني، الوافي، ج ١، ص ٢٢ ـ ٢٣.

أدلة الموافقين : استند موافقوا حجية الخبر الواحد لإثباته بالآيات القرآنية، والروايات، والاجماع، وسيرة العقلاء[١٥٢]:

الآيتان النَبَأ[١٥٣]، والنَفْر[١٥٤] من الآيات الدالّة على حجية خبر الواحد. وبناء على ما ورد في آية النبأ إذا جاء فاسق بخبر ما، لا يمكن الوثوق بخبره إلاّ بعد التحقق من صحته[١٥٥].

فطبقا لمفهوم الآية لا حاجة إلى التحقق من صحة خبر العادل، والنتيجة أن خبر الواحد حجة[١٥٦]. أما سيرة العقلاء فهي من أقوى البراهين على حجية خبر الواحد[١٥٧].

وقد يبيّن الشيخ الأنصاري حجية سيرة العقلاء بقوله: يعتمد جميع الناس في أمورهم العادية في الحياة على خبر الشخص الواحد الموثوق به، وإذا كان الشارع المقدس (المقنن لشرائع الله) مخالفا لهذه السيرة، كان عليه أن ينهى عنها؛ كما أنه أظهر مخالفته في قضايا عارضها من قبل، وبما أنّ الشارع لم يبد مخالفته في العمل بهذه السيرة، نستنتج بأنه قد أيدها[١٥٨].

أدلّة المخالفين : ونقل الشيخ الأنصاري أنّ المخالفين لحجية خبر الواحد يتمسكون لما ذهبوا إليه بالآيات، والروايات، والإجماع[١٥٩]. واستندوا بآيات تنهى عن العمل بشيء لا يفيد العلم[١٦٠].

كالآية ٣٦ من سورة الإسراء التي ورد فيها: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ والآية ٣٦ من سورة يونس التي جاء فيها: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾[١٦١].

---

١٥٢- المظفر، أصول الفقه، ج ٣، ص ٧٥.

١٥٣- الحجرات ، ٦.

١٥٤- التوبة ، ١٢٢.

١٥٥- الحجرات ، ٦.

١٥٦- المظفر، محمّد رضا، أصول الفقه، ج ٣، ص ٧٩.

١٥٧- النائيني، فوائد الأصول، ج ٣، ص ١٩٤.

١٥٨- الشيخ الأنصاري، فرائد الأصول، ج ١، ص ٣٤٥.

١٥٩- نفس المصدر ، ص ٢٤٢.

١٦٠- نفس المصدر ، طبعة ١٤٢٨ هـ.ق ، ج ١، ص ٢٤٢.

١٦١- يونس ٣٦ .

واستند المخالفون أيضا على جملة من الروايات فحواها، أنَّه لا يجوز العمل برواية لا يمكن الوثوق أنها صدرت عن المعصومعليه السلام؛ إلاّ أن ترد علينا قرينة موثوقة من القرآن أو تؤيدها روايات قطعية الصدور عن المعصومعليه السلام[١٦٢] .

حجيت الخبر الواحد في الاعتقادات : جميع علماء الشيعة ومنهم القائل بحجية خبر الواحد، كالشيخ الطوسي، والعلامة الحلّي، والشهيد الثاني، والشيخ الأنصاري، والأخوند الخراساني يذهبون إلى حجة الخبر الواحد في الأحكام الشرعية، ولا يرونه حجة في المسائل العقدية[١٦٣] .

فمما يستدلون به أنّ خبر الآحاد لا يفيد إلاّ الظن؛ بينما نحتاج في مجال الاعتقادات إلى ما يصلنا إلى حدّ اليقين، وبناء على هذا فإنّ حجية خبر الآحاد هو تكليف ما لا يُطاق (تكليف بشيء لا يمكن العمل به) وهو مُحالٌ[١٦٤] .

وفي مقابل هذا الرأي، ذهب بعض علماء الشيعة المعاصرون كالسيد الخوئي والشيخ معرفة إلى حجية خبر الآحاد في الاعتقادات أيضا[١٦٥] .

واختلف علماء أهل السنة أيضا حول حجية خبر الآحاد في الاعتقادات. فمثلا أنّ فخر الرازي من المتكلمين الأشاعرة، لا يرى حجية خبر الآحاد في خصوص المعتقدات[١٦٦] . أما ابن تيمية وهو من الحنابلة ذهب إلى أنّ أخبار الآحاد المتلقاة بالقبول تصلح لإثبات أصول المعتقدات[١٦٧] .

ولا يصح أن يستقبل المسلم أحاديث رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم بآراء يرد بها النصوص النبوية ، بل يجب أن يتهم الرأي إذا تعارض مع سنةٍ نقلها الثقات العدول، وقبلها العلماء المحققون.

ومن رد سنةً لمعنىً قام في نفسه فيُخشى أن يدخل في معنى قول اللّه عزَّ وجلَّ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّه وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّه إِنَّ اللَّه سَمِيعٌ عَلِيمٌ)[١٦٨] . كما أن يعتقد المسلم أن سنة النبيصلى الله عليه وآله وسلم لا تتعارض مع القرآن.

---

١٦٢- الأنصاري، فرائد الأصول، ج ١، ص ٢٤٢.

١٦٣- نفس المصدر ، ص ٥٥٦ .

١٦٤- العلامة الحلي، مبادئ الوصول إلى علم الأصول، ص ٢١١ .

١٦٥- الخوئي، مصباح الأصول، ج ١، ص ٢٧٧ - ٢٧٨ .

١٦٦- الفخر الرازي، أساس التقديس، ص ١٢٧.

١٦٧- ابن تيمية، المستدرك على مجموع الفتاوى، ج ٢، ص ٧٣.

١٦٨- الحجرات ١ .

روى الدارمي في سننه عن سعيد بن جبير رضي الله عنه أنه حدَّث يوماً بحديث عن النبي ﷺ فقال رجل: في كتاب الله ما يخالف هذا ! ، قال: ألا أراني أحدثك عن رسول الله ﷺ وتعرض فيه بكتاب الله؟! ، كان رسول الله ﷺ أعلم بكتاب الله منك[١٦٩].

**ب :- السنة المردودة :**

وهي إما ضعيفة أو موضوعة؛ أما الموضوعة فإنها مرفوضة باتفاق

العلماء ، وأما الضعيفة فقد كان حولها خلاف ، لأنه لم يقم دليل قاطع على صحتها أو بطلانها عند اهل السنة.

حجية السنة الضعيفة : تناول ابن تيمية في مجموع الفتاوى هذه المسألة على النحو الآتي فقال: قول أحمد بن حنبل: إذا جاء الحلال والحرام شدَّدنا في الأسانيد ، وإذا جاء الترغيب والترهيب تساهلنا في الأسانيد.

وكذلك ما عليه العلماء من العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال: ليس معناه إثبات الاستحباب بالحديث الذي لا يُحتج به، فإن الاستحباب حكم شرعي فلا يثبت إلا بدليل شرعي، ومن أخبر عن الله تعالى أنه يحب عملاً من الأعمال من غير دليل شرعي، فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله، كما لو أثبت الإيجاب أو التحريم.

ولهذا يختلف العلماء في الاستحباب كما يختلفون في غيره، بل هو أصل الدين المشروع. وإنما مرادهم بذلك: أن يكون العمل مما ثبت أنه مما يحبه الله أو مما يكرهه الله ، بنص أو إجماع: كتلاوة القرآن ، والتسبيح ، والدعاء ، والصدقة ، والعتق ، والإحسان إلى الناس ، وكراهة الكذب والخيانة ، ونحو ذلك.

فإذا رُوِيَ حديثٌ في فضل بعض الأعمال المستحبة وثوابها ، وكراهة بعض الأعمال وعقابها ، فمقادير الثواب والعقاب وأنواعه ، إذا روي فيها حديثٌ لا نعلم أنه موضوع جازت روايته والعمل به. بمعنى أن النفس ترجو ذلك الثواب أو تخاف ذلك العقاب.

---

١٦٩- سنن الدارمي ١ / ١٤٥ .

فإذا تضمنت أحاديث الفضائل الضعيفة تقديراً أو تحديداً ، مثل: صلاة في وقت معين بقرائة معينة أو على صفة معينة ، لم يَجُزْ ذلك ؛ لأن استحباب هذا الوصف المعيَّن لم يثبت بدليل شرعي[١٧٠].

وهذا الرأي الذي نقلناه عن ابن تيمية يعارضه رأي آخر يرفض العمل بالحديث الضعيف في الترغيب والرهيب مطلقاً ، ويرفع شعار في الصحيح ما يغني عن الضعيف، ونذكر من هؤلاء الإمام مسلم الذي بين في مقدمة صحيحه أن السبب الباعث له على التأليف هو شيوع الأحاديث الضعيفة ، يقول الإمام مسلم:

وبعد يرحمك الله ، فلولا الذي رأينا من سوء صنيع كثير ممن نصب نفسه محدثاً فيما يلزمهم من طرح الأحاديث الضعيفة والروايات المنكرة ، وتركهم الاقتصار على الأحاديث الصحيحة المشهورة ، مما نقله الثقات المعروفون بالصدق والأمانة.. لما سهل علينا الانتصاب لما سألت من التمييز والتحصيل.. ولكن من أجل ما أعلمناك من نشر القوم الأخبار المنكرة بالأسانيد الضعاف المجهولة، وقذفهم بها إلى العوام، الذين لا يعرفون عيوبها ، خفَّ على قلوبنا إجابتك لما سألت.

وينصر مُحَمَّد ناصر الدين الألباني القول بالإعراض عن الحديث الضعيف ولو في مجال الترغيب والترهيب، وأكتفي بذكر ما نقله الألباني في تمام المنة عن الحافظ ابن حجر وما عقب عليه. قال الألباني : يقول ابن حجر في تبيين العجب[١٧١]:

اشْتُهِرَ أن أهل العلم يتساهلون في إيراد الأحاديث في الفضائل ، وإن كان فيها ضعيف ما لم تكن موضوعة ، وينبغي مع ذلك اشتراطُ أن يعتقد العامل كون ذلك الحديث ضعيفاً ، وأن لا يُشهر ذلك ، لئلا يعمل المرءُ بحديث ضعيف فيشرع ما ليس بشرع ، أو يراه بعضُ الجهال فيظن أنه سنة صحيحة .

وقد صرح بهذا الأستاذ أبو مُحَمَّد بن عبد السلام وغيره ، وليحذر المرء من دخوله تحت قوله: من حدث عني بحديث يُرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين، فكيف بمن عمل به؟! ولا فرق في العمل بالحديث في الأحكام أو في الفضائل إذ الكلُّ شرع.

يقول الألباني: فهذه شروطٌ ثلاثة مهمة لجواز العمل به: احدهما: أن لا يكون موضوعاً. والآخر: أن يعرف العامل به كونه ضعيفاً. والثالث: أن لا يُشهر العمل به.

---

١٧٠- ١٨/٦٥-٦٧ .

١٧١- ص ٣٤ .

ومن المؤسف أن نرى كثيراً من العلماء ، فضلاً عن العامة، متساهلين بهذه الشروط ، فهم يعملون بالحديث دون أن يعرفوا صحته من ضعفه ، وإذا عرفوا ضعفَه لم يعرفوا مقداره ، وهل هو يسير أو شديد يمنع العمل به.

ثم هم يشهرون العمل به كما لو كان صحيحاً!، ولذلك كثرت العبادات التي لا تصح بين المسلمين وصرفتهم عن العبادات الصحيحة التي وردت بالأسانيد الثابتة[١٧٢].

فالألباني يرى ترك العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال.

واما النتائج فهي : يجب أن يهتم دعاة التجديد الديني بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أخذاً بالصحيح وهجراً للجريح: روايةً ، ودراية ، وعملا. وينبغي أن يتمرس المسلم على حسن التعامل مع كتب السنة النبوية ، وأن يهتم بالمحقَّق من القديم منها، لأن معظم الناس غير مؤهلين للتمييز بين السليم والسقيم بالنظر إلى السند.

وقد نهضت كفاءات معاصرة تعمل في مجال السنة تحقيقاً وتأليفاً ، فيجب أن يستفاد منها وأن تُدعم في عملها. ولا يصح أن يتساهل أي مسلم في قبول الأحاديث النبوية، حتى وإن سمعها من علماء مرموقين أو قرأها في كتبهم ، إذا لم يُعرف عنهم اهتمام بالتمييز بين السنة المقبولة والسنة المردودة.

فلم يعد خافياً أن كثيراً من الكتب، قد شحنت بأحاديث ضعيفة، وقد يكون كثير منها واهياً. وقد بذلت جهود في تخريج الأحاديث الواردة في بعض كتب الفقه ، ومع ذلك فإن الاستفادة منها محدودة.

والحديث الضعيف هو القسم الرابع من الأقسام الأساسية للحديث (الصحيح، الحسن، و الموثق، والضعيف) عند الشيعة، وكذلك هو القسم الثالث من الأقسام الرئيسية للحديث (الصحيح، و الحسن، الضعيف) عند السنّة .

وهو الحديث أو الرواية التي تسقط منها شروط الصحة أو الحُسْن كما هو عند السنة، وكذلك هو الحديث الذي تُفتقد منه شروط الصّحة والحُسْن والوثاقة كما هو عند الشيعة، وحكمه عند الشيعة والسنّة عدم الجواز العمل به، إلا في بعض الموارد الخاصة التي تختلف من مذهب لمذهب، ومن مبنى لمبنى.

---

١٧٢- ص ٣٦-٣٧ .

تعريفه : لم يختلف أعلام الشيعة والسنّة في تعريف الحديث الضعيف، ونقطة الخلاف بينهم في اعتبار شروط الحديث الموثق من عدمه، وذلك راجع لكون الشيعة تصنف الحديث تصنيفًا عامًا إلى أربعة أصناف .

أمّا أهل السنّة فيصنّفون الحديث إلى ثلاثة أصناف عامة، وعليه فالشيعة يعتبرون الحديث الضعيف هو الذي يفتقد لشروط الأصناف الثلاثة الصحيح والحسن والموثق، والسنّة يعتبرون الضعيف هو الذي يفتقد لشروط الصحيح والحسن.

عند الشيعة : عرّفه المامقاني فقال: ما لم تجتمع فيه شروط الأقسام الثلاثة (الصحيح، والحسن، والموثق) بأن اشتمل طريقه على مجروح بالفسق... ونحوه، أو على مجهول الحال، أو ما دون ذلك كالوضّاع[١٧٣] .

عند السنة عرّفه ابن صلاح فقال: كل حديث لم تجتمع فيه صفات الحديث الصحيح، ولا صفات الحديث الحسن المذكورات[١٧٤] .

درجاته وأقسامه : للحديث أو الخبر الضعيف درجات عند الشيعة والسنّة، وقد يتفاوت حصر درجاته أقسامه بينهم، إلاّ أنّ هناك جملة كبيرة من المراتب المشتركة بينهم.

عند الشيعة : فقد قال الشهيد العاملي الثاني ما نصّه: ودرجاته – أي الحديث الضعيف – متفاوتة بحسب بعده عن شروط الصحّة، كما تتفاوت درجات الصحيح وأخوَيه، بحسب تمكّنه من أوصافه، وكثيرا ما يطلق الضعيف على رواية المجروح خاصّة[١٧٥] .

ثمّ عدّد الشهيد الثاني للضعيف ثمانية أقسام:

الموقوف : وهو ماروي عن مصاحب المعصومعليه السلام، من قولٍ أو فعلٍ، سواء كان متصل السند أو منقطع، وقد يطلق على غير المصاحب ولكنه حينها يقيّد بإسم الموقوف عنده الحديث، وينقل أنّ بعض الفقهاء يطلق على الموقوف، الأثر[١٧٦] .

---

١٧٣– الشهيد الثاني، البداية في علم الدراية، ص٢٤.

١٧٤– ابن صلاح، معرفة أنواع علم الحديث، ص ١١١ – ١١٢ .

١٧٥– الشهيد الثاني، البداية في علم الدراية، ص ٢٤.

١٧٦– المامقاني، مقباس الهداية، ج ١، ص ٢٤٧.

المقطوع : وهو ما جاء عن التابعين ومن في حكمهم من أقوالٍ وأفعالٍ، بحيث يكون موقوف عليهم.

المرسل : وهو ما رواه عن المعصوم عليه السلام من لم يدركه بدون واسطة، سواء كان نسيها أم تركها عمدًا، أو أبهمها في كلامه، ولا حجّية فيه إلاّ إذا علم أن الذي أرسل لا يروي إلاّ عن ثقة.

ويطلق على من أسقط فيه راوٍ واحد المنقطع و المقطوع.

ويطلق على من أسقط فيه أكثر من راوٍ واحد المعْضَل.

المعَلَّل : وهو ما يكون في ظاهره السلامة، إلاّ أنّ فيه الشيء القادح الغامض الخفي، ولا يعرف ذلك إلاّ أهل الخبرة.

المدَلَّس : وهو ما أُخْفِيَ عيبه، سواء في السند أو في ما يتعلّق بشيوخه، والأول كأنّ يروي على من لقيه ولم يسمع منه، فيقول: حدّثنا فلان أو سمعت فلان ، والثاني كأن يروي عن شيخٍ ما ثمّ يعمل على اخفاء هذا الشيخ لغاية في نفسه، وذلك من خلال ذكر كنية أو اسم أو نسبة لشيخه غير معروف بها، بحيث لا يمكن معرفة هذا الشيخ بعد ذلك.

المضطرب: وهو كل حديث يختلف في سنده أو متنه، كأن يروي أحد الرواة الرواية بوجهٍ، ويرويها آخر بوجهٍ مغاير ومخالف، والاضطراب في السند يتحقّق عندما يروي الرواي رواية واحدة تارة عن أبيه عن جدّه، وأخرى عن جدّه مباشرة، ومرة ثالثة عن راوٍ آخر، أما في المتن فكأن يرد متن رواية فيها حكم خاص، ثمّ يرد نفس متن الرواية في مكان آخر ولكن بحكم آخر مخالف للأول.

المقلوب : وهو ما قُلب سنده أو متنه، والأول كأن يقول: عن التمّار بن أحمد بن عيسى التونسي، والصحيح هو: عن أحمد التمّار بن عيسى التونسي، أما القلب في المتن: فكأن تأتي رواية تفيد أن كمال الصدقة أن يخفي المتصدق صدقته، حتى لا تعلم يمناه ما أعطت يسراه، بينما في الصحيح هو: أن كمال الصدقة أن يخفي المتَصدّق صدقته، حتى لا تعلم يسراه ما أعطت يمناه.

الموضوع : وهو الحديث المكذوب المختلق المصنوع، وهو أشر وأدنى درجات الحديث الضعيف[177].

وقد أضاف المامقاني في مقباس الهداية، على هذه الأقسام الثمانية، أقسام أخرى، منها:

المضْمَر : وهو ما يحذف فيه اسم المعصوم عليه السلام، ويستبدل اسمه بضمير، كأن يقول: سمعته...، وسألته...، عنه...الخ، وهذا القسم فاقد للحجّية لعدم تمكن معرفة صاحب الضمير، فقد يكون غير المعصوم، أمّا إن عُلم بقرينة أن المقصود بالضمير هو الإمام فعندها يكون الحديث حجّة.

المهْمَل : وهو الذي يكون في سنده بعض الرواة الغير مذكورة ذواتهم أو أوصافهم في كتب الرجال.

المجهول : وهو الحديث الذي يكون بعض رواته، وإن ذكروا في كتب الرجال، إلاّ أنّهم لم يُعْرَفْ حال عقيدتهم ومذهبهم.

القاصر : وهو الذي لم يعلم مدح رواته كلاً أو بعضًا مع معلوميّة الباقي بالإرسال أو بالإهمال أو بجهل الحال، أو بالتوقف عند تعارض الأقوال في بيان الأحوال[178].

واما عند اهل السنة : وكذلك للحديث الضعيف عند أعلام أهل السنة تقسيمات كثيرة، بلغت حسب الضوابط لديهم إلى أكثر من خمسة وأربعين قسمًا.

فقد قال ابن صلاح وغيره: وأطنب أبو حاتم بن حبّان البُستي في تقسيمه، فبلغ به خمسين قسمًا إلاّ واحدًا، وما ذكرته ضابط جامع لجميع ذلك، وسَبيل من أراد البسط: أن يعمد إلى صفة مُعيّنة منها، فيجعل ما عُدمت فيه من غير أن يخلُفَها جابرٌ، – على حسب ما تقرّر في نوع الحسن – قسمًا واحدًا .

ثمّ ما عُدمت فيه تلك الصفة مع صفةٍ أخرى مُعيّنة قِسمًا ثانيًا .

ثمّ ما عُدمت فيه مع صفتين معيّنتين، قسمًا ثالثًا .

---

١٧٧- البداية في علم الدراية، الشهيد العاملي الثاني، ص ٣٤-٣٩.

١٧٨- المامقاني، مقباس الهدية، ج ١، ص ٢٤٦ - ٢٩٢.

وهكذا إلى أن يستوفي الصفات المذكورات جُمَعَ، ثمّ يعود ويُعيّن من الابتداء صفةً غير التي عيّنها أولا، ويجعل ما عُدمت فيه وحدها قسمًا، قم القسم الآخر ما عُدمت فيه مع عدم صفةٍ أخرى، ولتكن الصفة الأخرى غير الصفة الأولى المبدوء بها، لكون ذلك سَبَق في أقسام عدم الصفة الأولى، وهكذا هلمّ جرًا إلى أخر الصفات[179].

وتطبيق ذلك ذكره سراج الدين البلقيني في تعليقته المحاسن، حيث قال: أن يقول: المنقطع قسم، المنقطع الشاذ قسم آخر، المنقطع الشاذ المرسل قسم آخر، المنقطع الشاذ المرسل المضطرب قسم رابع، ثم كذلك إلى آخر الصفا .

ثمّ نعود فنقول:

الشاذ قسم خامس، الشاذ المرسل قسم سادس، الشاذ المرسل المضطرب قسم سابع، وهكذا إلى أنواع كثيرة[180].

| علم الحديث | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| الحديث الصحيح | المستفيض | المشهور | العزيز | الغريب | الحديث الحسن |
| الحديث المتواتر | ↑حديث صحيح↑ | | | | الحديث المنكر |
| الحديث المسند | ← من جهة السند | علم الحديث | | من جهة المتن→ | الحديث المتروك |
| خبر الآحاد | ↓الحديث الضعيف↓ | | | | الحديث المدرج |
| الحديث الموثق | الحديث المضطرب | الحديث المدلس | الحديث الموقوف | الحديث المنقطع | **الحديث الضعيف** |

وعند الشيعة :

من أمثلة الأحاديث الضعيفة عند الشيعة، حديث الإثني عشر مهديًا بعد الإثني عشر إمامًا، والذي ورد في كتاب الغيبة للطوسي، حيث قال:

أخبرنا جماعة، عن أبي عبد الله الحسين بن علي بن سفيان البزوفري، عن علي بن سنان الموصلي العدل، عن علي بن الحسين، عن أحمد بن مُحَّد بن الخليل، عن جعفر بن أحمد المصري، عن عمه الحسن بن علي، عن أبيه: عن أبي عبد الله جعفر بن مُحَّد، عن أبيه الباقر ، عن أبيه ذي الثفنات سيد العابدين، عن أبيه الحسين الزكي الشهيد، عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام قال:

---

١٧٩- ابن صلاح، مقدمة ابن صلاح ومحاسن الاصطلاح، ص ١٨٨.

١٨٠- ابن صلاح، تعليقة البلقيني في مقدمة ابن صلاح، مطبوعة من مقدمة ابن صلاح، ص ١٨٨.

قال رسول الله ﷺ – في الليلة التي كانت فيها وفاته – لعلي ﷺ: يا أبا الحسن أحضر صحيفة ودواة. فأملا رسول الله ﷺ وصيته حتى انتهى إلى هذا الموضع فقال:

يا علي إنه سيكون بعدي اثنا عشر إماما ومن بعدهم إثنا عشر مهديا، فأنت يا علي أول الاثني عشر إماما ، سماك الله تعالى في سمائه: عليا المرتضى، وأمير المؤمنين، والصديق الاكبر، والفاروق الاعظم، والمأمون، والمهدي، فلا تصح هذه الاسماء لأحد غيرك.

يا علي أنت وصيي على أهل بيتي حيّهم وميتهم، وعلى نسائي: فمن ثبتها لقيتني غدا، ومن طلقتها فأنا برئ منها، لم ترني ولم أرها في عرصة القيامة، وأنت خليفتي على أمتي من بعدي فإذا حضرتك الوفاة فسلمها إلى ابني الحسن البر الوصول .

فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابني الحسين الشهيد الزكي المقتول .

فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه سيد العابدين ذي الثفنات علي .

فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه مُحَّد الباقر .

فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه جعفر الصادق .

فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه موسى الكاظم .

فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه علي الرضا .

فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه مُحَّد الثقة التقي .

فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه علي الناصح .

فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه الحسن الفاضل .

فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه مُحَّد المستحفظ من آل مُحَّد عليه السلام .

فذلك اثنا عشر إماما، ثم يكون من بعده اثنا عشر مهدياً، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه أول المقربين له ثلاثة أسامي: اسم كاسمي واسم أبي وهو عبد الله وأحمد، والاسم الثالث: المهدي، هو أول المؤمنين[181].

فهذا الحديث ضعيف بجهالة القسم الأكبر من رواته، منهم: علي بن سنان الموصلي، وعلي بن الحسين، وجعفر المصري، وعمه، وجدّه.

عند السنة :

ومن جملة الأحاديث الضعيفة عند السنة، والتي صرّح ابن الجوزي في مصنّفه "العلل الواهية في الأحاديث الواهية" أنّها ضعيفة، هي:

عن ابن عبّاس رضي الله عنه، قال: أنّ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: أبو بكر وعمر منّي بمنزلة هارون من موسى، وهو ضعيف بعلي بن الحسن الشاعر، وقزعة بن سويد[182].

عن أبي هرير، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أبو بكر وعمر خير الأولين، وخير الآخرين، وخير أهل السموات، وخير أهل الأرض، إلاّ النّبيين والمرسلين، ضعيف بجهالة جبرون بن واقد، وقال ابن عدي: هذا حديث منكر[183].

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هذا جبريل يخبرني عن الله تعالى: ما أحبّ أبي بكر وعمر إلاّ مؤمن تقي، ولا أبغضهما إلاّ منافق شقي، وأنّ الجنّة لأشوق إلى سلمان الفارسي من سلمان إليها، .

وهو ضعيف بابراهيم بن مالك فهو يروي الموضوعات، وبأحمد بن عيسى فهو يروي عن المجاهيل المنكرات، والحسن لم يسمع من أبي هريرة حتى يروي عنه[184].

---

١٨١- كتاب الغيبة، للشيخ الطوسي، ص ١٠٠- ١٠١، باب الكلام في الواقعة.

١٨٢- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، ابن الجوزي، ج ١، ص ١٩٩ .

١٨٣- نفس المصدر : ج ١، ص ١٩٨-١٩٩.

١٨٤- نفس المصدر : ص ٢٠٠.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول اللهﷺ: إنّ لكلّ نبيّ خليلاً من أمّته، وإنّ خليلي عثمان بن عفّان ، فهذا الحديث ضعيف بيزيد بن مروان، وباسحاق بن نجيح حيث وصف بأنّه أكذب النّاس[١٨٥].

عن أنس بن مالك، قال: كنت مع رسول اللهﷺ، فجاء جاءٍ فاستفتح الباب فقال: يا أنس أخرج فانظر من هذا، فخرجت فإذا به أبو بكر، قال: فرجعت فقلت هذا أبو بكر يارسول اللهﷺ، قال: فارجع له وبشّره بالجنّة وأخبره أنّه الخليفة من بعدي، ثمّ جاء جاءٍ فاستفتح، فقال:

يا أنس أخرج فانظر من هذا، فخرجت فإذا عمر، قال: فارجع فأذن له وبشّره بالجنّة وأخبره أنّه الخليفة من بعد أبي بكر، ثمّ جاء جاءٍ فاستفتح، قال: يا أنس أخرج فانظر من هذا، فخرجت فإذا عثمان فرجعت فقلت عثمان يا رسول اللهﷺ، قال: إرجع فبشرّه بالجنّة وأخبره أنّه الخليفة من بعد عمر، وأخبره أنّه سيبلغ منه داء تهرق، ومُرْهُ عند ذلك بالصبر .

وهذا الحديث ضعيف ببكر بن المختار، حيث قال فيه ابن حبّان أنّه منكر الحديث جدًّا[١٨٦].

حكم الخبر : وقع الإختلاف بين أعلام المسلمين من الشيعة والسنّة في خصوص الأخذ والعمل بالخبر الضعيف، فمنهم من نفى الجواز العمل به مطلقًا وأنزله منزلة العدم، ومنهم من جوز العمل به في بعض الموارد كالقصص والمواعظ والسنن.

عند الشيعة : ذهب متقدمي الشيعة لعدم صحة العمل بالخبر الضعيف مطلقًا، وهذا يظهر من كلماتهم في خصوص العمل بالأخبار:

فمنهم من أبطل العمل بالخبر الواحد من الأساس، سواء كان صحيحًا أو حسنًا أو موثقًا أو ضعيفًا، وعلى رأس هؤلاء الشريف المرتضى[١٨٧].

ومنهم من جوز العمل بالخبر الواحد مثل الشيخ المفيد والطوسي، والمحقّق الحلي، حيث اشترط الأول (المفيد) : أن تكون مع الخبر قرينة تشهد بصدقه[١٨٨].

---

١٨٥- نفس المصدر : ص ٢٠٤ .

١٨٦- نفس المصدر : ج ١، ص ٢٠٩.

١٨٧- الذريعة في أصول الشريعة، الشريف المرتضى، ص ٣٨٦.

١٨٨- التذكرة بأصول الفقه، الشيخ المفيد، ص ٢٨.

واشترط الشيخ الطوسي: أن يروي الخبر من كان من الطائفة المحقّة، ويختص بروايته ويكون على صفة يجوز معها قبول خبره من العدالة وغيرها[189] .

ينما يشترط المحقّق الحلّي: عدالة الراوي كشرط في العمل بالخبر[190] .

أما متأخري الشيعة فقد اختلفوا في العمل بالخبر الضعيف، بعد أن اتفقوا على جواز العمل بالخبر الواحد، وكذلك على عدم جواز العمل بالخبر الضعيف في أحكام الحلال والحرام:

فمنهم من جوز العمل بالخبر الضعيف في خصوص القصص، والمواعظ، والفضائل، والسنن والمستحبّات، وذلك بناءً على قاعدة التسامح في أدلّة السنن، من قبيل :

الشهيد العاملي الأول[191]، والعاملي الثاني[192]، والشيخ البهائي[193]، والأنصاري[194]، وقبلهم ابن فهد الحلّي[195] .

ومنهم من لم يجوز العمل بالخبر الضعيف مطلقًا، ورفض قاعدة التسامح، ومن هؤلاء صاحب المدارك السيد مُحَّد العاملي، حيث قال:

وما قيل من أنّ أدلّة السنن يتسامح فيها بما لا يتسامح في غيرها فمنظور فيه، لأنّ الإستحباب حكم شرعي فيتوقف على الدليل الشرعي كسائر الأحكام[196] .

عند السنة : وكذلك اختلف أعلام أهل السنّة في الأخذ والعمل بالخبر الضعيف، فكانوا على فرقتين :

---

١٨٩- عدّة الأصول، الشيح الطوسي، ج ١، ص ١٠٠ .

١٩٠- معارج الأصول، المحقق الحلي، ص ١٤٩ .

١٩١- ذكرى الشيعة، مُحَّد مكي العاملي، ج ٢، ص ٣٤ .

١٩٢- البداية في علم الدراية، زين الدين العاملي ص ٢٥ .

١٩٣- الأربعون حديثا، الشيخ البهائي، ص ٣٨٩ .

١٩٤- فرائد الأصول، الشيخ الأنصاري، ج ٢، ص ١٥٥ .

١٩٥- عدّة الداعي، ابن فهد الحلّي، ص ١٣.

١٩٦- مدارك الأحكام، السيد مُحَّد العاملي، ج ١، ص ١٣.

منهم من جوز العمل بالخبر الضعيف في خصوص فضائل الأعمال، والترغيب والترهيب.. والخ ، ومن هؤلاء : ما حكي عن سفيان الثوري[197]، والخطيب البغدادي[198]، وابن صلاح[199].. وغيرهم.

ومنهم من رفض العمل بالخبر الضعيف مطلقًا، مثل ابن حزم الأندلسي الظاهري[200] .

**٣- الاختلاف الوارد :**

مختلف الحديث : تناول العلماء موضوع الاختلاف الوارد في عدد من نصوص السنة النبوية التي تعالج موضوعاً واحداً ، وذهب المحققون إلى وضع قواعد الجمع والترجيح بين النصوص المتباينة والمتعارضة في الدِّلالة .

وهذا باب واسع جداً ، ولا يجيده إلا قلة من أهل العلم ، ويهمنا في هذه اللمحات أن نشير إلى دقة هذا الموضوع عند التعامل مع السنة النبوية، وخصوصاً أسباب اختلاف الفقهاء كما قال الدكتور مُحَمَّد فؤاد البرازي[201].

ان السنة فيها قطعي الورود كالسنة المتواترة ، وظني الورود ، وتنقسم بقسميها السابقين إلى ما هو قطعي الدلالة ، وظني الدلالة. ولهذا لم يختلف المجتهدون في النصوص التي دلالتها قطعية على معناها ، وإنما اختلفوا في النصوص التي دلالتها ظنية.

وقد نشأ الاختلاف في الأحكام الفقهية بعد انقطاع الوحي ، إذ لم يكن في زمن النبيﷺ اختلاف ـ إلا في حالات نادرة ، ومع هذا يرجعون فيها إليه ليكون هو الحكم ـ لأنه كان مرجعهم في معرفة أحكام الله تعالى. ولهذا لم يكن اختلافهم مدعاة للتنافر والتباغض ، بل كانوا ينشدون الحق ، ويبتغون الخير.

١٩٧- الكفاية في علم الدراية، الخطيب البغدادي، ص ١٣٤ .

١٩٨- نفس المصدر ، ص ١٣٣ .

١٩٩- معرفة أنواع علم الحديث، ابن صلاح، ص ٢١٠ .

٢٠٠- الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الأندلسي، ج ٢ ص ٢٢٢ .

٢٠١- انظر : الدكتور مُحَمَّد فؤاد البرازي ، أسباب اختلاف الفقهاء ، رئيس الرابطة الإسلامية في الدانمارك، عضو مجمع فقهاء الشريعة الاسلامية .

وبعد انتقال رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، وتفرق صحابته في الأمصار ظهر هذا الخلاف جلياً ، وتوسع توسعاً كبيراً، فكان أول خلاف جرى بينهم هو اختلافهم في الأحق بالخلافة ، واختلافهم في قتال مانعي الزكاة ، واختلافهم في أمر فدك .

وكذا اختلافهم في التوارث عن النبي ﷺ، وكذا في الجد هل يكون كالأب فيحجب الإخوة من الميراث لإطلاق لفظ الأب عليه في القرآن الكريم، أم أنهم يشتركون معه في الميراث لكونهم يدلون إلى الميت بواسطة الأب. إلى غير ذلك من الأحكام.

ولم يقف الاختلاف الفقهي عند عصر الصحابة الكرام، بل تابع خطواته إلى عصر التابعين ، وأتباع التابعين ، ثم إلى عصر الأئمة المجتهدين وما بعدهم ، بسبب الوقائع المستجدة ، والظروف الطارئة ، التي اقتضتها اتساع رقعة البلاد الإسلامية ، وكثرة النوازل ، وأعراف الأمم الكثيرة التي اعتنقت الإسلام ، مما يحتاج معه المجتهد إلى بيان الأحكام الشرعية في هذه المستجدات.

ولهذا فإن الاختلافات في الأحكام الفقهية كانت طبيعية اقتضتها مسيرة الحياة لكون الشريعة صالحة لكل زمان ومكان. وأحب أن أؤكد في هذا السياق أن الفقه الإسلامي لا ينبغي حصره في دائرة مذاهب الأئمة الأربعة، بل هو ثروة إسلامية ضخمة شكلها هؤلاء ومَن قبلهم ومَن عاصرهم ومَن جاء بعدهم من الأئمة المجتهدين ، والفقهاء المحققين.

فهناك من أصحاب رسول الله ﷺ من حُفظت عنهم الفتوى ، وهم كما ذكر "ابن قيم الجوزية" مائة ونيف وثلاثون نفساً مابين رجل وامرأة ، وكان المكثرون منهم: عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب عليه السلام، وعبد الله بن مسعود، وعائشة أم المؤمنين، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر.

وهناك المتوسطون منهم فيما روي عنهم من الفتوى : كأبي بكر ، وأم سلمة عليها السلام، وأنس بن مالك ، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وأبي موسى الأشعري ، وسلمان الفارسي رضي الله عنه، وغيرهم.

وهناك المقلون في الفتيا : كأبي الدرداء ، وأبي عبيدة بن الجراح ، وريحانتي رسول الله ﷺ سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين عليهما السلام، وغيرهم.

قال مسلم عن مسروق : شاممت ـ أي بحثت ـ أصحاب مُحَمَّد ﷺ فوجدت علمهم ينتهي إلى ستة : إلى علي ، وعبد الله ، وعمر ، وزيد بن ثابت ، وأبي الدرداء ، وأبي بن كعب ، ثم شاممت الستة فوجدت علمهم انتهى إلى علي وعبد الله. يعني ابن مسعود.

وهناك من أئمة التابعين ومفتيهم : الفقهاء السبعة بالمدينة سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، والقاسم بن مُحَّد ، وخارجة بن زيد ، وابو بكر بن عبد الرحمن ، وسليمان بن يسار ، وعبيد الله بن عبد الله ، وفي مكة : عطاء بن أبي رباح ، وفي اليمن : طاوس ، وفي الكوفة: إبراهيم النخعي ، وفي الشام: مكحول ، وفي خراسان: عطاء الخراساني ، وغيرهم كثير..

وهناك الأئمة الفقهاء الذين اشتهروا في الآفاق : كأبي حنيفة ، ومالك، والشافعي ، وأحمد ، وسفيان الثوري ، والليث بن سعد ، والأوزاعي.

وهناك من أئمة أهل البيت الأطهار الأئمةُ المجتهدون : زين العابدين أبو مُحَّد علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المتوفى سنة ٩٥ هـ.ق ، وأبو جعفر مُحَّد بن علي الملقب بالباقر المتوفى سنة ١١٤ هـ.ق ، وابنه أبو عبد الله جعفر الصادق المتوفى سنة ١٤٨ هـ.ق ، وهؤلاء من أئمة الشيعة الاثني عشرية.

ومثل هؤلاء في الإمامة : زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أخو زين العابدين ، وهو إمام الشيعة الزيدية.

وهؤلاء الأئمة من أهل البيت ، يجلهم السنة والشيعة على حدٍ سواء ، فرحمهم الله تعالى جميعاً رحمة واسعة.

وقد كان الأئمة جميعاً يتحرون الدقة فيما يجتهدون ، ويتقون الله فيما يفتون ، ولم يزعم أحد منهم أن اجتهاده وحي يتلى لايشوبه خطأ أو يعتريه ضعف ، بل كانوا أتقى لله من أن يظنوا في أنفسهم ذلك ، حتى إنهم كانوا يتهمون أنفسهم. فرحمهم الله تعالى رحمة واسعة.

وقد اختلف أولئك الأئمة المجتهدون في كثير من الأحكام الفقهية لأسباب متعددة دعت إلى ذلك ، نلخصها فيما يلي :

أولاً : الاختلاف في ثبوت الحديث.

إن مما لاشك فيه أن السنة النبوية هي المصدر الثاني للمجتهدين ، فإذا صح الحديث وسَلِمَ من المعارِض كان حجةً شرعيةً فيما يدل عليه . ولهذا صح عن العديد من الأئمة : "إذا صح الحديث فهو مذهبي".

وهؤلاء الأئمة الذين عُرفوا بالتقوى ، وشهد الكافة لهم بالعدالة ما كانوا لِيُعرضوا عن حديثٍ ثبت عندهم إذا كانت دلالته على معناه واضحة ، وسلِمَ من مُعارض مثلِه أو أقوى منه بناءً على أصولٍ وقواعدَ يستند إليها في استنباط الأحكام.

وبناءً على هذا كان لكل مجتهد مسائلُ خالف فيها من الحديث ما صح عند غيره من الأئمة لعدم صحتها عنده ، أو اعتمد على أحاديث صحت عنده ولم تصح عند الآخرين.

وليس هذا بمستنكر عليهم إذ وقع الخلاف بين أئمة الحديث في عديد من الضوابط والقواعد المؤثرة في ثبوت الحديث أدَّت إلى ثبوت الحديث عند بعضهم ، وعدم ثبوت الحديث نفسه عند البعض الآخر منهم. ومثال ذلك:

١- اختلافهم في قبول الحديث الذي رواه الراوي ثم أنكره : فذهب أبو حنيفة وأبو يوسف إلى عدم العمل به ، وذهب الشافعي ومُحَّد بن الحسن إلى أنه العمل به .

ومن أمثلة هذا ما أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه بسندهم عن سليمان بن موسى عن الزهري عن عروة عن عائشة أن النبيﷺ قال : "أيما امرأة نُكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل".

فقد روي أن ابن جريج سأل الزهري عن هذا الحديث فلم يعرفه ، ثم عمل به الشافعي ومُحَّد بن الحسن الشيباني مع إنكار الراوي إياه، ولم يعمل به أبو حنيفة وأبو يوسف لإنكار الراوي إياه ، (وهو الزهري في هذا الحديث).

وبناءً على ذلك اختلفوا في صحة نكاح البالغة العاقلة إذا نكحت بغير إذن وليها ، فذهب إلى جوازه أبو حنيفة وأبو يوسف ، وذهب الجمهور إلى عدم جوازه للسبب الذي سبق وغيره.

وفصَّلَ الشيعة الإمامية في ذلك ، فقال الطوسي: "إذا بلغت الحرة الرشيدة ملكت العقد على نفسها وزالت ولاية الأب عنها والجد ، إلا إذا كانت بكراً فإن الظاهر من روايات أصحابنا أنه لا يجوز لها ذلك ، وفي أصحابنا من قال: البكر أيضاً تزول ولايتهما عنها"[٢٠٢].

فهم في هذا متفقون مع أبي حنيفة وأبي يوسف في صحة نكاح الثيب من غير ولي لإجماع الفِرقة وأخبارهم ، ومختلفون فيما بينهم في البكر حيث أجازه بعضهم ومنع منه آخرون.

---

٢٠٢- الخلاف للطوسي ٤ / ٢٥٠ .

٢- اختلافهم في خبر المستور : والمستور أو مستور الحال هو من روى عنه اثنان فصاعداً ، فارتفعت عنه الجهالة ، وهو عدل الظاهر ، إلا أنه لم يصدر عن أحد من الأئمة توثيقه أو تجريحه[٢٠٣].

وقد قبل جماعة كأبي حنيفة وغيره روايته بغير قيد ، لأن المستور عندهم بمنزلة العدل في رواية الأخبار ، حيث إن الأصل عدالة المسلم لقول رسول الله ﷺ : "المسلمون عدول بعضهم على بعض" ، وبناءً على هذا قال أبو حنيفة بجواز القضاء بشهادة المستور إذا لم يطعن الخصم.

وردَّ الجمهورُ روايتَه احتياطاً في ثبوت الأخبار، لأن خبره عندهم كخبر الفاسق حتى تظهر عدالته.

٣- اختلافهم في حجية الحديث المرسل : والحديث المرسل في اصطلاح المحدثين "هو مارفعه التابعي خاصة إلى رسول الله ﷺ مباشرة".

أما في اصطلاح الفقهاء والأصوليين "فهو الحديث الذي رفعه غير الصحابي إلى رسول الله ﷺ مباشرة". وقد اختلف أهل العلم في الاحتجاج به ، فقال أبو داود في رسالته إلى أهل مكة[٢٠٤]:

"وأما المراسيل فقد كان أكثر العلماء يحتجون بها فيما مضى ، مثل سفيان الثوري ومالك والأوزاعي، حتى جاء الشافعي فتكلم في ذلك وتابعه عليه أحمد وغيره".

ومشى على هذا المسلك جمهور المحدثين كما حكاه ابن عبد البر ، وحكى ذلك عمن قبل الشافعي أيضاً ، كابن مهدي ويحيى القطان.

وذهب أبو حنيفة ومالك ومن تبعهما وجمع من المحدثين إلى قبول المرسل والاحتجاج به ، وهو رواية عن أحمد ، وحكاه النووي في شرح المهذب عن كثير من الفقهاء بل أكثرهم ، ونسَبَه الغزالي إلى الجمهور، بل ادعى ابن جرير الطبري وابن الحاجب إجماع التابعين على قبوله والاحتجاج به.

ورُدَّ عليهما بأنه قد نقل عدم الاحتجاج عن بعض التابعين ، كسعيد بن المسيب وابن سيرين والزهري ، فأين الإجماع؟ نعم لو قيل: باتفاق جمهور التابعين على الاحتجاج به كان صحيحاً.

---

٢٠٣- أصول الحديث ص٢٧١ للدكتور عجاج الخطيب.

٢٠٤- في وصف سننه ص٥ .

ويشترط عند محققي المذهب: كون المرسل من أهل القرون الثلاثة التي شهد رسول الله ﷺ بخيريتها ، وإفشاء الكذب بعدها. وكون المرسِل ثقة ، وكونه متحرياً لا يرسِل إلا عن الثقات، فإن لم يكن في نفسه ثقة ، أو لم يكن محتاطاً في روايته ، فمرسَلُه غير مقبول بالاتفاق.

وبعد أن ذكر اللكنوي تسعة أقوال في باب احتجاج أهل العلم بالمرسل من عدمه ، قال : "ولا يخفى على الفطن المتوقد ، أن أكثر هذه الأقوال ضعيفة لا يُعبأ بها ، وأقواها هو قبول مراسيل ثقات التابعين إذا عُلم تحريهم في روايتهم ، ومراسيل الصحابة ، وأحوطها ما نصَّ عليه الشافعي . فاحفظ هذا كله ".

٤- عدم وصول النص : إذ قد ينشأ اختلاف العلماء من عدم وصول النص إلى بعضهم . وما من إمام إلا وخفيت عليه بعض السنن ، لأن الإحاطة الكاملة لاتكون إلا لله وحده.

فقد خفيت أحاديث على بعض أصحاب رسول الله ﷺ في الوقت الذي علم بها غيرهم ، والعكس صحيح في هذا أيضاً.

ومن أمثلة ذلك : خفاء حديث رسول الله ﷺ : "إذا سمعتم به ـ أي الطاعون ـ بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض فلا تخرجوا فراراً منه" على عمر بن الخطاب ، وعودته بمن معه من سَرْغ ـ موقع قرب الشام ـ إلى المدينة المنورة بعد أن علم بوقوع الطاعون بها استجابة للحديث السابق الذي أخبره به عبد الرحمن بن عوف.

٥- اختلافهم في ثبوت الحديث : كثيراً ما يكون سبب اختلاف أهل العلم في الأحكام راجعاً إلى اختلافهم في ثبوت الحديث.

فمن ذلك اختلافهم في ثبوت حديث العِينة ، وهو ما رواه ابن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إذا تبايعتم بالعِينة ، وأخذتم أذناب البقر ، ورضِيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد ، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم".

قال ابن حجر[٢٠٥] : "رواه أبو داود من رواية نافع عنه ، وفي إسناده مقال ، ولأحمد نحوه من رواية عطاء ، ورجاله ثقات ، وصححه ابن القطان".

٢٠٥- بلوغ المرام حديث رقم/٨٢٨ .

قال الصنعاني[٢٠٦]: واعلم أن العِينة هو أن يبيع سلعةً بثمن معلوم إلى أجل ، ثم يشتريها من المشتري بأقل ليبقى الكثيرُ في ذمته. وسميت عِينةً لحصول العَين أي النقد فيها، ولأنه يعود إلى البائع عين ماله".

فقد ضعف الشافعي جميع طرق هذا الحديث، وبناءً على ذلك قال بجواز بيع العِينة ، أما جمهور العلماء فقد قالوا بتحريم العِينة لأن أحاديثها مع ضعفها يشد بعضها أزر بعض ، ورجال الحديث ثقات من رواية عطاء عند أحمد ، وصححه ابن القطان ، فأقل أحواله أنه حديث حسن صالح للاحتجاج على تحريم بيع العِينة.

والحافظ ابن عبد البر[٢٠٧] قال : " ليس لأحد من علماء الأمة أن يثبت حديثاً عن النبيﷺ ثم يرده دون ادعاء نسخ عليه بأثر مثله ، أو بإجماع ، أو بعمل على أصله الانقياد إليه، أو طعن في سنده ، ولو فعل ذلك أحد سقطت عدالته فضلاً عن أن يُتخذ إماماً ، ولزمه إثمُ الفسق..".

٦- الاختلاف في فهم النصوص الشرعية لوجود لفظ مشترك يحتمل أكثر من معنى ، كلفظ : "قروء" في قول الله تعالى : "والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء". فالقرء اسم مشترك يطلق على الحيض ، كما يطلق على الطهر.

وبناءً على ذلك نشأ الاختلاف بين أهل العلم من الصحابة والتابعين فمن بعدهم في عدة المطلقة. فمن فسر القرء بالحيض قال: لا تنقضي عدتها حتى تطهر من الحيضة الثالثة ، زاد آخرون:

وتغتسل منها ، وإلى هذا ذهب أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وأبو الدرداء وعبادة بن الصامت وأنس بن مالك وابن مسعود ومعاذ وأبي بن كعب وأبو موسى الأشعري وابن عباس وسعيد بن المسيب وعلقمة والأسود وإبراهيم ومجاهد وعطاء وطاووس وسعيد بن جبير وعكرمة ومُحَمَّد بن سيرين والحسن وقتادة والشعبي والربيع ومقاتل بن حيان والسدي ومكحول والضحاك وعطاء الخراساني .

وهذا مذهب أبي حنيفة وأصحابه ، وأصح الروايتين عن أحمد بن حنبل ، والثوري والأوزاعي وابن أبي ليلى وابن شبرمة والحسن بن صالح بن حي وأبو عبيد وإسحاق بن راهويه.

---

٢٠٦- ٣ / ٢٠٩ .

٢٠٧- جامع بيان العلم وفضله ١٤٨/٢.

ومن فسر القرء بالطهر قال: إن المعتدة تنقضي عدتها وتبين من زوجها بالطعن في الحيضة الثالثة ، وإلى هذا ذهبت عائشة وابن عمر وزيد بن ثابت وسالم والقاسم وعروة وسليمان بن يسار وأبو بكر بن عبد الرحمن وأبان بن عثمان وعطاء بن أبي رباح وقتادة والزهري وبقية الفقهاء السبعة ، وهو مذهب مالك والشافعي وغير واحد وداود وأبو ثور وهو رواية عن أحمد[٢٠٨].

٧- وقد يكون الاختلاف راجعاً إلى المجتهدين أنفسهم وما حباهم الله تعالى من مَلَكات في فهم النصوص واستنباط الأحكام ، كالخلاف الذي جرى بين الصحابة في تفسير حديث النبيﷺ :

" لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة" ، فأدركتهم صلاة العصر في الطريق فصلاها بعضهم حيث أدركتهم ، وأجلها آخرون حتى باغتوا بني قريظة بعد الغروب. فلما عادوا وذكروا ذلك للنبيﷺ لم يُعنف أحداً منهم ، وهذا يعني إقرارهﷺ لفهم الفريقين الذين سمعوا منه نصاً واحداً اختلفت حوله أفهامهم.

٨- الاختلاف في الجمع والترجيح بين النصوص المتعارضة : ومن أمثلة ذلك : اختلاف أهل العلم في نكاح الكتابيات ، لورود آيتين قال الله تعالى في الأولى منهما: "ولا تَنكحوا المشركات حتى يؤمن" [٢٠٩] ، فقد حرمت هذه الآية على المسلمين نكاح المشركات.

وقال تعالى في الثانية منهما: "والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن"[٢١٠]. فقد أباحت هذه الآية نكاح الكتابيات.

وبناء على ورود هاتين الآيتين اختلف أهل العلم في نكاح الكتابيات :

ذهب الجمهور إلى جوازه اعتماداً على آية المائدة ، وجمعوا بين الآيتين بأنه لا تعارض بينهما ، لأن آية البقرة في المشركات غير الكتابيات وهؤلاء لا يحل زواجهن ، أما آية المائدة فهي في الكتابيات خاصة ، ونكاحهن جائز بحكم هذه الآية.

وذهب ابن عمر إلى أنه لا يجوز نكاح الكتابيات استناداً إلى آية المائدة، ويقول: لا أعلم شركاً أعظم من أن تقول ربها عيسى، وقد قال الله تعالى: "ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن".

---

٢٠٨- تفسير ابن كثير ١/٤٣٨ .

٢٠٩- البقرة ٢٢١ .

٢١٠- المائدة ٥ .

والمتأمل في هذا يجد أن الاختلاف بينهم كان بسبب اختلاف رأيهم في الجمع بين النصين. وللترجيح بين النصوص أسباب كثيرة استوفاها علماء الأصول في كتبهم ، فليرجع إليها من شاء الوقوف عليها مع أمثلتها.

٩- الاختلاف بسبب الاجتهاد فيما لا نص فيه : كان الصحابة يسألون رسول الله ﷺ عما يعرض لهم. أما بعد وفاته فقد كانوا إذا جدت قضية بحثوا عن حكمها في كتاب الله تعالى، فإن لم يجدوا لها حكماً في كتاب الله نظروا في سنة رسول الله ﷺ، فإن لم يجدوا لها حكماً فيها اجتهدوا رأيهم للوصول إلى حكمها.

ومما يدل على مشروعية ذلك ما رواه أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم عن معاذ بن جبل أن رسول ﷺ حين بعثه إلى اليمن قال له:

( كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بكتاب الله ، قال: فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال: فإن لم تجد في سنة رسول الله ﷺ؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو. قال: فضرب رسول الله ﷺ على صدره ، وقال: الحمد لله الذي وفق رسولَ رسولِ الله لما يرضي رسولَ الله ).

وهذا الحديث ضعفه بعض أهل العلم ، وصححه آخرون نظراً لصحة بعض طرقه، ولاشتهاره وتلقي أهل العلم له بالقبول[٢١١].

وأخرج البيهقي عن ميمون بن مهران قال: كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصوم نظر في كتاب الله، فإن وجد فيه ما يقضي بينهم قضى به ، وإن لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله ﷺ في ذلك الأمر سنة قضى بها ، فإن أعياه خرج فسأل المسلمين ، وقال:

أتاني كذا وكذا ، فهل علمتم أن رسول الله ﷺ قضى في ذلك بقضاء؟ فربما اجتمع إليه النفر كلهم يذكر عن رسول الله فيه قضاء، فيقول أبو بكر: الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا. فإن أعياه أن يجد فيه سنة عن رسول الله جمع رؤوس الناس وخيارهم واستشارهم ، فإن أجمعوا أمْرَهُم على رأي قضى به .

وكان الصحابة يسأل بعضهم بعضاً عن معضلات المسائل. قال سعيد بن المسيب: كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن". يعني به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

---

٢١١- وتجد تفصيل ذلك في كتاب ، المستخلص في علم أصول الفقه.

وقد سار على هذا النهج التابعون ومن بعدهم من الأئمة المجتهدين ، فكانوا إذا لم يجدوا للمسألة نصاً في الكتاب أو السنة اجتهدوا رأيهم. ومن الطبيعي أن تتباين اجتهاداتهم تبعاً لتباين مناهجهم في البحث، ومداركهم التي حباهم الله تعالى إياها.

لهذا اختلفوا في ميراث الجد مع الإخوة، فذهب ابن عباس إلى أن الجد يحجب الإخوة لإطلاق لفظ الأب عليه.

وذهب علي إلى أن الإخوة الأشقاء يقاسمون الجد في الميراث ، كما اختلفوا في العَول في الفرائض عند تزاحم الفروض ، واختلفوا في قتل الجماعة بالواحد ، وغير ذلك.

فلو كانت هناك نصوص بهذه المسائل لحكَّموها ، ولكن لما لم يكن فيها نص اجتهدوا فيها برأيهم استنادا إلى روح الشريعة ومقاصدها.

١٠- ثبت بالاستقراء أن الأدلة الشرعية التي تستفاد منها الأحكام العملية ترجع إلى أربعة ، هي: القرآن والسنة والإجماع والعقل.

واما اهل السنة : القرآن والسنة والإجماع والقياس وذهب جمهور العلماء إلى الاستدلال بها ، وإلى أنها مرتبة في الاستدلال بها على الترتيب المذكور. والدليل على الاستدلال بها قول الله تعالى :

{ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم * فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا }.

والدليل على ترتيبها في الاستدلال : ما روى أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم عن معاذ بن جبل أن رسولﷺ حين بعثه إلى اليمن قال له:

( كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بكتاب الله ، قال: فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول اللهﷺ، قال: فإن لم تجد في سنة رسول الله؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو. قال: فضرب رسول الله على صدره، وقال: الحمد لله الذي وفق رسولَ رسولِ الله لما يرضي رسول الله).

ولدى اهل السنة أدلة أخرى لم يتفق جمهور أهل العلم على الاستدلال بها فيما بينهم ، وأشهرها: الاستحسان ، والمصلحة المرسلة ، والاستصحاب ، والعرف ، ومذهب الصحابي ، وشرع من قبلنا ، وعمل أهل المدينة.

سأذكر باختصار دليلين مما اختلفوا في الاحتجاج بهما بالرجوع إلى : أثر الاختلاف في القواعد الأصولية:

أ- عمل أهل المدينة : يرى مالك أن إجماع أهل المدينة على شيء يعتبر حجة يستدل بها على الأحكام الشرعية ، ولهذا فإنه يحتج كثيراً في موطئه بعمل أهل المدينة. أما غيره من المجتهدين فقد يوافقه على العمل بهذا إذا دل دليل على ذلك، وقد لا يوافقه.

ومثال ذلك : "فائتة السفر ، فقد ذهب مالك إلى أن من فاتته صلاة في السفر قضاها في الحضر كما وجبت عليه ، قال في الموطأ: من أدرك الوقت وهو في سفر ، فأخر الصلاة ساهياً أو ناسياً حتى قدم على أهله ، أنه إن كان قدم على أهله وهو في الوقت فليصل صلاة المقيم ، وإن كان قد قدم وقد ذهب الوقت فليصل صلاة المسافر، لأنه يقضي مثل الذي كان عليه.

قال مالك: وهذا الأمر هو الذي أدركت عليه الناس وأهل العلم ببلدنا. وإلى مثل ما ذهب إليه مالك ذهبت الحنفية. أما الشافعية والحنابلة فذهبوا إلى أن الفائتة في السفر إذا صلاها في الحضر صلاها صلاة حضر، وحجتهم في ذلك أن القصر رخصة من رخص السفر فيبطل بزواله، كالمسح على الخفين ثلاثاً.

ب- القياس : عرف ابن الحاجب القياس بقوله : "هو مساواة فرع لأصل في علة حكمه". وقد اختلف العلماء في أمر التعبد بالقياس في الشرعيات ، فكانوا فيه على أربعة مذاهب:

الأول : أنه يستحيل التعبد به عقلاً ، وهذا هو قول إبراهيم النظَّام والشيعة، وجماعة من معتزلي بغداد.

الثاني : وجوب التعبد به عقلاً ، وهذا هو قول القفال من أصحاب الشافعي، وأبي الحسن البصري.

الثالث : جواز التعبد به عقلاً ، إلا أنه لم يرد التعبد به شرعاً ، بل ورد الشرع بحظره ، وهذا قول داود بن علي الأصفهاني الظاهري وابنه مُحَمَّد وجميع أهل الظاهر ومنهم ابن حزم ، والقاشاني والنهرواني ، غير أن داود وابنه والقاشاني والنهرواني كانوا يقولون بالقياس فيما كانت علته منصوصة أو مومى إليها.

الرابع : جواز التعبد به عقلاً ووقوعه شرعاً ، وهذا هو قول السلف من الصحابة والتابعين ، والشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وأكثر الفقهاء والمتكلمين.

وقد كان الخلاف في جواز الاحتجاج بالقياس ، وعدم جوازه ، سبيلاً إلى الاختلاف في كثير من الأحكام الفقهية نكتفي بذكر واحد منها:

وقوع الربا في الأصناف التي لم تذكر في الحديث : فقد جاء في الحديث عن عبادة بن الصامت، قال:" سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن بيع الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والتمر بالتمر ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والملح بالملح ، إلا سواء بسواء ، عيناً بعين ، فمن زاد أو استزاد فقد أربى".

فأجمع المسلمون على تحريم الربا في كلٍ من هذه الأصناف الستة المنصوص عليها ، ولكنهم اختلفوا فيما وراءها ، هل يقع فيه الربا أو لا؟. فذهب الجمهور إلى أن كل صنف يشابه هذه الأصناف في العلة يجري فيه الربا كما جرى فيها ، وإن كانوا قد اختلفوا فيما بينهم في تحديد هذه العلة.

وذهب أهل الظاهر إلى أن الربا لا يقع في غير هذه الأصناف الستة ، ولا يتعدى حكم الربا إليها بناءً على عدم جواز القياس عندهم ، فلا ربا عندهم في الأرز والحمّص والعدس والذرة وغير ذلك.

هذه هي أهم أسباب الاختلاف ذكرتها باختصار شديد ، وهناك أسباب أخرى لا يتسع الوقت لذكرها، ويكفينا في هذا المجال أن نتوصل إلى النتائج التالية :

١- لقد كان اختلاف العلماء أمراً طبيعياً للأسباب المذكورة سابقاً ، أو لاختلاف الأفهام. وفي ذلك رحمة للأمة وتوسعة عليها.

قال عمر بن عبد العزيز : " ما أحب أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا، لأنه لو كانوا قولاً واحداً كان الناس في ضيق، وإنهم أئمة يقتدى بهم، فلو أخذ رجل بقول أحدهم كان في سعة".

وروى ابن عبد البر[٢١٢] عن سفيان الثوري أنه قال: "ما اختلف فيه الفقهاء ، فلا أنهى أحداً من إخواني أن يأخذوا به".

٢- لا يجوز الإنكار في مسائل الاختلاف ، فلكل مذهب دليله وحجته، ولا يصح الإنكار إلا فيما أجمع أهل العلم على إنكاره. فقد روى أبو نعيم[٢١٣] بسنده عن سفيان الثوري أنه قال: "إذا رأيت الرجل يعمل العمل الذي قد اختُلف فيه وأنت ترى غيره فلا تنهه".

٢١٢- الفقيه والمتفقه ٦٩/٢ .

٢١٣- حلية الأولياء ٣٦٨/٦ .

وقال ابن رجب الحنبلي: "والمنكَر الذي يجب إنكاره ما كان مجمعاً عليه ، فأما المختلف فيه : فمن أصحابنا من قال لا يجب إنكاره على مَن فعله مجتهداً أو مقلداً لمجتهد تقليداً سائغاً ، واستثنى القاضي في الأحكام السلطانية : وما ضعف فيه الخلاف".

ولما حج المنصور قال لمالك : "قد عزمتُ أن آمر بكتبك هذه التي وضعتها فتُنسخ ، ثم أبعث في كل مصر من أمصار المسلمين منها نسخة ، وآمرهم أن يعملوا بما فيها ولا يتعدوه... كل أهل بلد منهم لأنفسهم".

وتنسب هذه القصة أيضاً إلى هارون الرشيد مع مالك. وهنا وجوب التريث في إطلاق الحكم النهائي ، وسأعرض هذه المسألة على النحو الآتي :

**أ :– هل تنسخ السنةُ السنةَ :**

وردت أحاديث دلت على أن النبيﷺ نهى عن أشياء ثم أذن بها ، وأذكر هنا حديثين:

يقول رسول الله : (كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، أَلاَ فَزُورُوهَا ؛ فَإِنَّهَا تُرِقُّ الْقَلْبَ، وَتُدْمِعُ الْعَيْنَ ، وَتُذَكِّرُ بِالآخِرَةَ ، وَلا تَقُولُوا هُجْرًا)[٢١٤] .

والهُجْر: الكلام السيئ. ويقولﷺ: كنت نهيتكم عن الأشربة إلا في ظروف الأَدَم ، فاشربوا في كل وعاء غير ألا تشربوا مسكراً كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنِ الأَشْرِبَةِ فِي ظُرُوفِ الأَدَمِ ، فَاشْرَبُوا فِي كُلِّ وِعَاءٍ غَيْرَ أَلاَ تَشْرَبُوا مُسْكِرًا[٢١٥]. والأَدَم: الجلد..

والسنة الشريفة تعني قول المعصومعليه السلام وفعله وتقريره، ونسخ الكتاب بالسنة أو السنة بالسنة من حيث الامكان لا مانع منه وخاصة إذا كانت متواترة إلا ان الاشكال هو في أخبار الآحاد قال السيد مُحَمَّد تقي الحكيم في كتابه (الأصول العامة للفقه المقارن):

الظاهر أن النسخ واقع في الكتاب ومن السنة على خلاف في قلة وكثرة الأحكام التي يدعى لها النسخ، وقد استعرض استاذنا الخوئي في كتابه (البيان) كل ما قيل عن الآيات المنسوخة وحاكمه بجهد ولم يجد ما يصلح أن يكون منسوخاً إلا أقل القليل.

---

٢١٤– صحيح الجامع الصغير رقم ٤٤٦٠ .

٢١٥– رواه مسلم .

والخلاف الذي وقع إنما هو في إمكان نسخ الأحكام . المقطوعة أسانيدها كالأحكام الكتابية والمتواترة من السنة . بأخبار الآحاد، وأكثرية المسلمين على المنع وربما ادعي عليه الاجماع، وأهم ما لديهم من الشبه هي شبهة أن الظني لا يقاوم القطعي فيبطله، وهي شبهة عرفت قيمتها في الحديث عن التخصيص لعدم المعارضة بينهما، لأن الدليل الناسخ لا يزيد على كونه شارحاً للمراد من الدليل المنسوخ.

وقرينة على عدم إرادة الظهور وحاله حال التخصيص، على أن الخبر وإن كان ظنياً في طريقه، إلا أنه مقطوع الحجية للأدلة السابقة ومع الغض وافتراض المعارضة فإنها في الحقيقة قائمة بين ظنين لا بين قطعي وظني، أي بين ظنية الدلالة في مقطوع السند وظنية الطريق.

ثم قال : ولعل منشأ الإجماع المدعى أو اتفاق الأكثرية، إنما هو في وضع حد لما يمكن أن يقع من التسامح في دعوى النسخ وإبطال الأحكام لمجرد ورود خبر ما، وهو عمل في موضعه، وربما استدعته صيانة الشريعة عن عبث المتلاعبين بأحكام الله والوقوف دون تصرفاتهم، وعلى الأخص وأن في الدخلاء على الإسلام من تمثل بصورة القديسين ليتسنى له هدم الإسلام وتقويض قواعده[٢١٦].

**ب :- هل تُقيِّد السنةُ السنة :**

جاء في السنة النبوية نصوص دلت على أن النبيﷺ نهى عن أشياء ثم أجرى تعديلاً على الحكم، وبيَّن الباعث على النهي ، وبذلك يُعمل بنصوص النهي في حالة ، وبنصوص الإباحة في غيرها، وهذا باب من الناسخ والمنسوخ ، وأذكر مثالاً عليه ما قاله الشافعي في (الرسالة)، رداً على سؤال محاوره: قال – المحاور – :

فاذكر سنة نُسختْ بسنة. فقلت: أخبرنا مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن مُحَمَّد بن حزم عن عبد الله بن واقد عن عبد الله بن عمر قال: نَهَى رَسُولُ اللَّهِﷺ عَنْ أَكْلِ لُحُومِ الضَّحَايَا بَعْدَ ثَلاثٍ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمْرَةَ فَقَالَتْ:

٢١٦- الأصول العامة للفقه المقارن ٢٤٥.

صَدَقَ ، سَمِعْتُ عَائِشَةَ تَقُولُ : دَفَّ (دفَّ: أتى ، والدافة: القوم يسيرون جماعة سيراً هيناً) نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ حَضْرَةَ الأَضْحَى فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: «ادَّخِرُوا لِثَلاثٍ وَتَصَدَّقُوا بِمَا بَقِيَ».

قَالَتْ: فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَقَدْ كَانَ النَّاسُ يَنْتَفِعُونَ بِضَحَايَاهُمْ ، يَجْمُلُونَ الْوَدَكَ (يجملون: يذيبون ، والودك: دسم اللحم ودهنه) ، وَيَتَّخِذُونَ الأَسْقِيَةَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَمَا ذَاكَ؟ – أو كما قال – قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَهَيْتَ عَنْ إِمْسَاكِ لُحُومُ الضَّحَايَا بَعْدَ ثَلاَثٍ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: « إِنَّمَا نَهَيْتُكُمْ مِنْ أَجْلِ الدَّافَّةِ الَّتِي دَفَّتْ حَضْرَةَ الأَضْحَى، فَكُلُوا وَتَصَدَّقُوا وَادَّخِرُوا». (يجملون: يذيبون ، والودك: دسم اللحم ودهنه).

وأخبرنا ابن عيينة عن الزهري عن أبي عبيد مولى ابن أزهر قال: شهدت العيد مع علي بن أبي طالب ، فسمعته يقول: لاَ يَأْكُلَنَّ أَحَدُكُمْ مِنْ لَحْمِ نُسُكِهِ بَعْدَ ثَلاَث.

أخبرنا الثقة عن مَعْمَرٍ عن الزهري عن أبي عبيد عن علي أنه قال: قال رسول اللهﷺ: لاَ يَأْكُلَنَّ أَحَدُكُمْ مِنْ لَحْمِ نُسُكِهِ بَعْدَ ثَلاَث. وأخبرنا ابن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة قال: سمعت أنس بن مالك يقول: إنا لنذبح ما شاء الله من ضحايانا ، ثم نتزود بقيتها إلى البصرة..

قال الشافعي: فهذه الأحاديث تجمع معاني؛ منها: أن حديث علي عن النبيﷺ في النهي عن إمساك لحوم الضحايا بعد ثلاث ، وحديث عبد الله بن واقد متفقان عن النبيﷺ. وفيهما:

دلالةٌ على أن علياً سمع النهي من النبيﷺ، وأن النهي بلغ عبد الله بن واقد. ودِلالة على أن الرخصة من النبيﷺ لم تبلغ علياً ولا عبدَ الله بن واقد، ولو بلغتهما الرخصة ما حدثا بالنهي ، والنهي منسوخ ، وتركا الرخصة ، والرخصة ناسخة ، والنهي منسوخ لا يستغني سامعه عن علم ما نسخه.

وقول أنس بن مالك: كنا نهبط بلحوم الضحايا البصرة ، يحتمل: أن يكون أنس سمع الرخصة ولم يسمع النهي قبلها. أو سمع الرخصة والنهي، فكان النهي منسوخاً ، فلم يذكره. فقال كلٌّ من المختلفين بما علم.

قال الشافعي: فلما حدَّثتْ عائشة عن النبيﷺ بالنهي عن إمساك لحوم الضحايا فوق ثلاث ، ثم بالرخصة فيها بعد النهي ، وأن رسول اللهﷺ إنما نهى عن إمساك لحوم الضحايا بعد ثلاث للدافة: كان الحديثُ التام المحفوظ أوله وآخره ، وسببُ التحريم والإحلال فيه ، حديثَ عائشة عن النبيﷺ وكان على من علمه أن يصير إليه.

وحديث عائشة من أبين ما يوجد في الناسخ والمنسوخ من السنن. وهذا يدل على أن بعض الحديث يُخَصُّ فيُحفظ بعضُه دون بعض ؛ فيحفظ منه شيء كان أولاً ولا يحفظ آخراً ، ويحفظ آخراً ولا يحفظ أولاً ، فيؤدي كلٌّ ما حفظ .

فالرخصة بعدها في الإمساك والأكل والصدقة من لحوم الضحايا إنما هي لواحد من معنيين لاختلاف الحالين: فإذا دفت الدافة ثبت النهي عن إمساك لحوم الضحايا بعد ثلاث. وإذا لم تدف دافة فالرخصة ثابتة بالأكل والتزود والادخار والصدقة[٢١٧].

### ج :– هل تعارض السنةُ سنةً :

ورد في السنة النبوية أحاديث متعارضة في الدلالة ، وليس فيها التصريح بالتقييد ، أو التخصيص ، أو النسخ . وهذا ألجأ العلماء إلى وضع قواعد تتناول الجمع ، والترجيح ، والنسخ بين الأحاديث المختلفة الدلالة ، وسأذكر مثلاً على الترجيح عند التعارض يكشف لنا عن دقة هذا الموضوع الأصولي :

١– وردت أحاديث نبوية تفيد أن الفخذ ليس بعورة ، من ذلك: عن عائشة : أن رسول اللهﷺ كان جالساً كاشفاً عن فخذه، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على حاله ، ثم استأذن عمر فأذن له وهو على حاله ، ثم استأذن عثمان فأرخى عليه ثيابه ، فلما قاموا قلتُ:

يا رسول الله! استأذن أبو بكر وعمر فأذنت لهما وأنت على حالك ، فلما استأذن عثمان أرخيت عليك ثيابك. فقال: يا عائشة ! ألا استحي من رجل والله إن الملائكة لتستحيي منه؟! رواه أحمد ، وذكره البخاري تعليقاً. وجاء عن أنس أن النبيﷺ يوم خيبر حسر الإزار عن فخذه ، حتى إني لأنظر إلى بياض فخذه[٢١٨].

---

٢١٧– الرسالة ص ٢٣٤–٢٣٩.

٢١٨– رواه أحمد والبخاري .

٢- وجاءت أحاديث أخرى تقرر أن الفخذ عورة ، نذكر منها: عن مُحَمَّد بن جحش قال: مر رسول الله على معمر - بن عبد الله - وفخذاه مكشوفتان ، فقال: يا معمر غط فخذيك ، فإن الفخذين عورة.

رواه أحمد وذكره البخاري معلقاً. وغيره ورد عن جَرْهَد - الأسلمي - قال: مر رسول الله ﷺ وعليَّ بردةٌ ، وقد انكشفت فخذي، فقال: غط فخذيك ، فإن الفخذ عورة. رواه مالك وأحمد وأبو داود والترمذي وحسنه، وذكره البخاري معلقاً.

وأمام ظاهرة الأحاديث المتعارضة، والتي لا يُعرف تاريخُ وقوعها أو قولها أو تقريرها، وضع العلماء المحققون قواعد استنبطوها من استقراء منهج الشرع في الأمر والنهي ، وهذه القواعد تضبط الجمع والترجيح والنسخ بقصد التوصل إلى الحكم الشرعي النهائي ، من هذه القواعد نذكر هنا:

١- إذا تعارض نصان : أحدهما مبيح والآخر حاظر ، قُدِّم الحاظر على المبيح. لأن المبيح جاء موافقاً لأصل الإباحة ، فلما طرأ النهي بلغ النبي ذلك وبينه.

٢- إذا تعارض نصان : أحدهما فعليٌ مبيح ، والآخر قوليٌ حاظر ، قُدِّم القولي الحاظر على الفعلي المبيح. لأن الفعلي وقع قبل أن يوحى إلى النبي بالنهي ، فلما علم به بلغ أمته بقوله.

وبناء على ما سبق تكون الأحاديث القولية التي اعتبرت الفخذ عورة مقدَّمة على الأحاديث الفعلية الدالة على أنها ليست بعورة ، وإلى هذا ذهب أكثر أهل العلم من الشيعة واهل السنة فقالوا: إن الفخذ عورة.

**د :- النتائج** :

١- تبين من الأمثلة المذكورة في هذا الموضوع أهمية ودقة التعامل مع الأحاديث المختلفة الدلالة والمتعارضة، وأنه لا ينهض بهذا الواجب إلا العلماء المحققون ، وهذا يعني أن على طلبة العلم ورواد التجديد الديني ألا يتسرعوا في القول بالترجيح والنسخ ونحو ذلك قبل امتلاك الأهلية الكافية، ولا يشفع حسن النية لجاهل.

٢- المعتمد عند علماء أصول الفقه أن الجمع بين الأحاديث المتعارضة في ظاهرها مقدم على الترجيح والنسخ: أما الجمع فيدخل فيه أمور كثيرة ، مثل: كون النصوص المختلفة بياناً لحالتين ، فيعمل بهما جميعاً.

وقد يكون التعارض من باب: تقييد المطلق، أو تخصيص العام ، ونحو ذلك: ففي مثل هذه الحالات يعمل بالنصوص جميعها.

وأما الترجيح فيكون بالعمل بنص وترك نص لسبب يراه أهل العلم مرجحاً. يقول الشافعي: إن الأحاديث إذا اختلفت لم نذهب إلى واحد منها دون غيره إلا بسبب يدل على أن الذي ذهبنا إليه أقوى من الذي تركنا.

قال: - سائله - وما ذلك السبب؟ قلت: أن يكون أحد الحديثين أشبه بكتاب الله ، فإذا أشبه كتاب الله كانت فيه الحجة. فإن لم يمكن فيه نص كتاب الله كان أولاهما بنا الأثبتُ منهما ، وذلك أن يكون من رواه أعرفَ إسناداً وأشهر بالعلم والحفظ له[٢١٩].

وهناك أسباب أخرى للترجيح مذكورة في كتب الأصول فراجع.

وأما النسخ فيفيد العمل بأحد الحديثين على اعتبار أن المتروك منهما منسوخ الحكم ، وللناسخ والمنسوخ شروط وقواعد متفق عليها وأخرى مختلف فيها ، وهي مبسوطة في كتب الفقه وأصوله.

٣- ينبغي على من يقرأ في كتب أجيالنا الأولى أن يحسن التعامل مع المصطلحات. لأن كثيراً من المصطلحات التي نستخدمها الآن لم يتحدد معناها الذي نعتبره إلا من خلال الزمن ، وقد أشار الشاطبي في الموافقات إلى هذه الملاحظة الهامة حين تكلم عن مصطلح النسخ فقال:

إن الذي يظهر من كلام المتقدمين أن النسخ عندهم في الإطلاق أعمُّ منه في كلام الأصوليين ؛ فقد يطلقون على تقييد المطلق نسخاً ، وعلى تقييد العموم بدليل متصل أو منفصل نسخاً ، وعلى بيان المبهم المجمل نسخاً ، كما يطلقون على رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر نسخاً:

لأن جميع ذلك مشترك في معنى واحد ، وهو أن النسخ في الاصطلاح المتأخر اقتضى أن الأمر المتقدم غير مراد في التكليف ، وإنما المراد ما جيء به آخراً ، فالأول غير معمول به ، والثاني هو المعمول به.

---

٢١٩- انظر : الرسالة ص ٢٨٤-٢٨٥ .

وهذا المعنى جارٍ في تقييد المطلق ، فإن المطلق متروك الظاهر مع مُقيِّده ، فلا إعمال له في إطلاقه. فكأن المطلق لم يُفد مع مقيِّده شيئاً ، فصار مثل الناسخ والمنسوخ. وكذلك العام مع الخاص[٢٢٠].

إذا صح الحديث فهو مذهبي يشهد عصرنا حركة علمية واسعة تهتم بنشر كتب السنة النبوية ، وظهرت جهود مباركة عملت في مجال التحقيق والتصنيف والتبويب فأجادت وأفادت ، ونهضت كفاءاتٌ علمية فقهية تدعو إلى إعادة النظر من جديد في أسباب الخلاف بين فقهاء الأمة في القرون الأولى – وهو خلافٌ كان له أسبابه الموضوعية – بقصد التخفيف منها أو القضاء عليها.

وأمر طبيعي – في هذه المرحلة التاريخية – أن يحصل احتكاك بين الداعين إلى التعامل المباشر مع نصوص القرآن والسنة ، وإلى اعتماد ما صح عن رسول الله ﷺ حكماً على آراء العلماء.

وفق منهج علمي قرره المحققون من أهل العلم جيلاً بعد جيل، وبين من لم يقتنع بالأهلية العلمية لمن يرفع شعار وجوب تقديم صحيح السنة على آراء العلماء ، وهؤلاء لا يعقدون مقارنة بين السنة وبين قول عالم، ثم يفضلون قول العالم على ما صح عن رسول الله ﷺ، وإنما يرون أن علماء الأمة السابقين قد اطلعوا على السنة وتوصلوا إلى نتائج، وأن من بعدهم ليسوا مؤهلين لأخذ الأحكام مباشرة من النصوص!.

وعلى الرغم من الأخذ والرد في هذا المجال ، فإن منهج أهل العلم عبر العصور يحض على العمل بالقاعدة الذهبية التي قالها أبو حنيفة: إذا صح الحديث فهو مذهبي ، وصح عنه أنه قال لتلميذه أبي يوسف: ويحك يا يعقوب! لا تكتب كلَّ ما تسمع مني، فإني قد أرى الرأي اليوم وأتركه غداً ، وأرى الرأي غداً وأتركه بعد غد.

وقد كشف الشافعي عن أهم سبب في وجود ما يخالف السنة الصحيحة في أقوال الفقهاء فقال: ما من أحد إلا وتذهب عليه سنة لرسول الله ﷺ وتعزب عنه ، فمهما قلتُ من قول أو أصَّلتُ من أصل ، فيه عن رسول الله ﷺ خلافُ ما قلت ، فالقول ما قال رسول الله ﷺ، وهو قولي.

وذكر ابن أبي حاتم في مقدمة الجرح والتعديل، القصة الآتية المعبرة عن منهج سلف الأمة: قال ابن وهب: سمعت مالكاً سُئل عن تخليل أصابع الرجلين في الوضوء؟ فقال: ليس ذلك على الناس. قال:

---

٢٢٠- الموافقات : ٣ / ١٠٨ .

فتركته حتى خَفَّ الناس، فقلت له: عندنا في ذلك سنة! فقال: وما هي؟. قلت: حدثنا الليث بن سعد وابن لهيعة وعمرو بن الحارث ، عن يزيد بن عمرو المعافري ، عن أبي عبد الرحمن الجبلي ، عن المستورد بن شداد القرشي قال: رأيت رسول اللهﷺ يدلك بخنصره ما بين أصابع رجليه.

فقال : إن هذا لحديث حسن ، وما سمعت به قط إلا الساعة. ثم سمعته بعد ذلك يُسأل ، فيأمر بتخليل الأصابع[٢٢١].

ولهذا كان أحمد ابن حنبل يشدد النكير على من يسمع بالسنة التي تقيم الحجة ويردها فيقول: من رد حديث رسول اللهﷺ فهو على شفا هلكة.

**٤- تعارض العلماء مع الرسالة :**

ما أسباب وجود ما يخالف السنة في أقوال الأئمة : تحدث ابن تيمية في رفع الملام عن الأئمة الأعلام عن الأعذار الكامنة وراء وجود أقوال لعلماء تتعارض مع ما صح عن رسول اللهﷺ، فقال: وجميع الأعذار ثلاثة أصناف:

أحدها: عدم اعتقاده أن النبيﷺ قاله.

والثاني: عدم اعتقاده إرادة تلك المسألة بذلك القول.

والثالث: اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ.

ثم فصل القول في هذه الأعذار فذكر عشرة أسباب ، وقد رأيت فائدة في ذكرها باختصار. وهذه الأصناف الثلاث تتفرع إلى أسباب متعددة:

السبب الأول : أن لا يكون الحديث قد بلغه ، ومن لم يبلغه الحديث ، لم يُكلَّف أن يكون عالماً بموجَبه، وإذا لم يكن قد بلغه ، وقد قال في تلك القضية بموجَب ظاهر آية ، أو حديث آخر ، أو بموجب قياس ، أو موجب استصحاب ، فقد يوافق ذلك الحديث تارة ويخالفه أخرى.

وهذا السبب: هو الغالب على أكثر ما يوجد من أقوال السلف مخالفاً لبعض الأحاديث. فإن الإحاطة بحديث رسول اللهﷺ لم يكن لأحد من الأمة.

---

٢٢١- صفحة ٣١ – ٣٢ .

وإنما يتفاضل العلماء من الصحابة ومَنْ بعدهم: بكثرة العلم ، أو جودته. وأما إحاطة واحد بجميع حديث رسول الله ﷺ، فهذا لا يمكن ادِّعاؤه قط.

السبب الثاني : أن يكون الحديث قد بلغه ، لكنه لم يثبت عنده. فإن الأحاديث – في عصر الأئمة – كانت قد انتشرت واشتهرت ، لكن كانت تبلغ كثيراً من العلماء من طرق ضعيفة. ولهذا وُجِدَ في كلام غير واحد من الأئمة تعليقُ القول بموجب الحديث على صحته فيقول: قولي في هذه المسألة كذا، وقد رُوِيَ فيها حديثٌ بكذا، فإن كان صحيحاً، فهو قولي.

السبب الثالث : اعتقاد ضعف الحديث باجتهاد قد خالفه فيه غيره – لأسباب تتعلق بعلم الرجال – وللعلماء بالرجال وأحوالهم في ذلك من الإجماع والاختلاف ، مثلُ ما لغيرهم من سائر أهل العلم في علومهم.

السبب الرابع : اشتراطه في خبر الواحد العدل الحافظ شروطاً يخالفه فيها غيره ، مثل: اشتراط بعضهم عرض الحديث على القرآن والسنة. واشتراط بعضهم انتشار الحديث وظهوره إذا كان فيما تعمُّ به البلوى. إلى غير ذلك مما هو معروف في مواضعه.

السبب الخامس : أن يكون الحديث قد بلغه وثبت عنده ، لكن نسيه. وهذا يرد في الكتاب والسنة.

السبب السادس : عدم معرفته بدلالة الحديث: تارة يكون اللفظ في الحديث غريباً عنده ، وتارة يكون معناه في لغته وعرفه غير معناه في لغة النبي ﷺ، وهو يحمله على ما يفهمه في لغته ، بناء على أن الأصل بقاء اللغة.

كما سمع بعضهم آثاراً في الرخصة في (النبيذ) فظنوه بعض أنواع المسكر، لأنه لغتهم، وإنما هو ما ينبذ لتحلية الماء قبل أن يشتد ، فإنه جاء مفسراً في أحاديث كثيرة صحيحة.

السبب السابع : اعتقاده أن لا دلالة في الحديث. والفرق بين هذا ، وبين الذي قبله ، أن الأول لم يعرف جهة الدلالة ، والثاني عرف جهة الدلالة ، لكن اعتقد أنها ليست صحيحة ، لاعتبارات تتعلق بقواعد أصول الفقه ، مثل: العموم والخصوص، والمفهوم ليس بحجة.

السبب الثامن : اعتقاده أن تلك الدلالة قد عارضها ما دل على أنها ليست مرادة. مثل: معارضة العام بخاص، أو المطلق بمقيد. أو الحقيقة بما يدل على المجاز. فإن تعارض دلالات الأقوال، وترجيح بعضها على بعض ، بحرٌ خِضَم.

السبب التاسع : اعتقاده أن الحديث مُعارَضٌ بما يدل على ضعفه ، أو نسخه ، أو تأويله إن كان قابلاً للتأويل ، بما يصلح أن يكون معارضاً بالاتفاق ، مثل آية ، أو حديث ، أو إجماع.

السبب العاشر : معارضته بما يدل على ضعفه ، أو نسخه ، أو تأويله ، مما لا يعتقده غيره أو جنسه معارضاً ، أو لا يكون في الحقيقة معارضاً راجحاً. كمعارضة كثير من الكوفيين الحديث الصحيح بظاهر القرآن.

من ذلك: دفع الخبر الذي فيه تخصيصٌ لعموم الكتاب ، أو تقييدٌ لمطلقه ، أو فيه زيادةٌ عليه ، واعتقاد من يقول ذلك: أن الزيادة على النص ، كتقييد المطلق، نسخٌ ، وأن تخصيص العام نسخٌ. وكمعارضة طائفة من المدنيين الحديث الصحيح لعمل أهل المدينة.

وبعد ذكر الأسباب الدافعة لأي نوع من الاتهام عن الأئمة بسبب وجود ما يخالف السنة الصحيحة في أقوالهم ويجوز أن يكون للعالم حجة في ترك العمل بالحديث لم نطلع نحن عليها ، فإن مدارك العلم واسعة. والعالم قد يبدي حجته ، وقد لا يبديها.

وإذا أبداها ، فقد تبلغنا وقد لا تبلغنا ، وإذا بلغتنا ، فقد ندرك موضع احتجاجه ، وقد لا ندركه ، سواء كانت الحجة صواباً في نفس الأمر أم لا.

لكن نحن وإن جوَّزنا هذا ، فلا يجوز لنا أن نعدل عن قول ظهرت حجته بحديث صحيح وافقه طائفة من أهل العلم ، إلى قول آخر قاله عالم يجوز أن يكون معه ما يدفع به هذه الحجة ، وإن كان أعلم.

إذْ تَطَرُّق الخطأ إلى آراء العلماء أكثر من تطرقه إلى الأدلة الشرعية ، فإن الأدلة الشرعية حجة الله على جميع عباده ، بخلاف رأي العالم. والدليل يمتنع أن يكون خطأ، إذا لم يعارضه دليل آخر، ورأي العالم ليس كذلك. وليس لأحد أن يعارض الحديث الصحيح عن النبيﷺ بقول أحد من الناس ، كما قال ابن عباس لرجل سأله عن مسألة، فأجاب فيها بحديث.

فقال له: قال أبو بكر وعمر. فقال ابن عباس: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء! أقول: قال رسول اللهﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟.

بعد هذا التقديم يتضح لنا أن ديدن المحققين من علماء الأمة كان: السعي الحثيث إلى العمل بما صح عن النبيﷺ، ولعل ضرب الأمثلة يوضح حاجتنا إلى تجديد دراسة السنة النبوية بضوابط منهج الجيل الأول، وهو الذي أخذ به الراسخون في العلم على مر القرون:

لا يرتاب مسلم في أن الصلاة أهم فريضة بعد شهادة لا إله إلا الله مُحَمّد رسول اللهﷺ.

ولا يخفى أنه قد وقعت خلافات بين الفقهاء الأوائل في أمور أساسية تتعلق بالصلاة ، وفي أخرى فرعية. وسنتناول موضوعاً محورياً في الصلاة يتعلق بقراءة المأموم فاتحة الكتاب خلف الإمام وأعرضها.

وكانﷺ يعظم من شأن هذه السورة ، فكان يقولﷺ: (لا صلاة لمن لم يقرأ – فيها – بفاتحة الكتاب – فصاعداً–)[٢٢٢] وفي لفظ: (لا تجزئ صلاة لا يقرأ الرجل فيها بفاتحة الكتاب)[٢٢٣].

وتارة يقول : من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج ، هي خداج ، هي خداج ، غير تمام[٢٢٤]. ويقول: « قال الله تبارك وتعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين: فنصفها لي ونصفها لعبدي ، ولعبدي ما سأل. قال رسول اللهﷺ: اقرؤوا.

يقول العبد: ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ يقول الله تعالى: حمدني عبدي ، ويقول العبد: ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ يقول الله: أثنى عليَّ عبدي ، ويقول العبد: ﴿ مالك يوم الدين ﴾ يقول الله تعالى: مَجَّدني عبدي. يقول العبد: ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ ( قال):

فهذه بيني وبين عبدي ، ولعبدي ما سأل. يقول العبد: ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ (قال) فهؤلاء لعبدي، ولعبدي ما سأل»[٢٢٥].

---

٢٢٢– البخاري ومسلم وأبو عوانة والبيهقي .

٢٢٣– الدار قطني وصححه ، وابن حبان في صحيحه .

٢٢٤– مسلم وأبو عوانة .

٢٢٥– مسلم وأبو عوانة ومالك وغيرهم .

وكان يقول ﷺ: « ما أنزل الله عزَّ وجلَّ في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن ، وهي السبع المثاني (والقرآن العظيم الذي أوتيته)»[226]. وأمر ﷺ «المسيء صلاته» أن يقرأ بها في صلاته[227].

وقال لمن لم يستطع حفظها: (قل سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله)[228]. وقال للمسيء صلاته: « فإن كان معك قرآن فاقرأ به. وإلا فاحمد الله ، وكبِّرْه ، وهلِّلْه»[229].

وكان قد أجاز للمسلمين أن يقرؤوا بها وراء الإمام في الصلاة الجهرية، حيث كان «في صلاة الفجر فقرأ فَثَقُلتْ عليه القراءة ، فلما فرغ قال: لعلكم تقرؤون خلف إمامكم؟. قلنا: نعم هذًّا يا رسول الله ﷺ – أي قراءة سريعة – . قال: لا تفعلوا إلا (أن يقرأ أحدكم) بفاتحة الكتاب ، فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها»[230].

ثم نهاهم عن القراءة كلها في الجهرية، وذلك حينما «انصرف من صلاة جهر فيها بالقراءة (وفي رواية أنها صلاة الصبح) فقال: هل قرأ معي منكم أحدٌ آنفاً؟!. فقال رجل: نعم ، أنا يا رسول الله. فقال: إني أقول: مالي أُنازع؟! (قال أبو هريرة:) فانتهى الناس عن القراءة مع رسول الله ﷺ فيما جهر فيه رسول الله ﷺ بالقراءة حين سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ ( وقرؤوا في أنفسهم سراً فيما لا يجهر فيه الإمام) »[231].

وجعل الإنصات لقراءة الإمام من تمام الائتمام به فقال: (إنما جُعِلَ الإمامُ لِيُؤْتَمَّ به ، فإذا كبَّر فكبروا ، وإذا قرأ فأنصتوا)[232]. كما جعل الاستماع له مُغنياً عن القراءة وراءه فقال: « من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة»[233] هذا في الجهرية.

---

٢٢٦- النسائي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي .

٢٢٧- البخاري في '' جزء القراءة خلف الإمام '' بسند صحيح .

٢٢٨- أبو داود والترمذي وابن خزيمة وغيرهم .

٢٢٩- أبو داود والترمذي وحسَّنه ، وسنده صحيح كما في صحيح أبي داود ٨٠٧ .

٢٣٠- البخاري في جزئه ، وأبو داود وأحمد ، وحسَّنه الترمذي والدار قطني .

٢٣١- مالك والحميدي والبخاري في جزئه وأبو داود وغيرهم.

٢٣٢- أبو داود ومسلم وغيرهما .

٢٣٣- الدار قطني وابن ماجه وغيرهما ، وقال الألباني : وقد تكلمت عليه بتفصيل وتتبعت طرقه في '' الأصل '' أي أصل كتاب صفة صلاة النبي الموسع – ثم في كتاب إرواء الغليل رقم٤٩٣ .

وأما في السرية فقد أقرهم على القراءة فيها، وإنما أنكر التشويش عليه بها ، وذلك حين « صلى الظهر بأصحابه فقال: أيكم قرأ ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ ؟! فقال رجل : أنا (ولم أُرِدْ إلا الخير) ، فقال: قد عرفت أن رجلاً خالجنيها[234] »[235] وفي حديث آخر: « كانوا يقرؤون خلف النبيﷺ (فيجهرون بها ) فقال: خلطتم عليَّ القرآن»[236].

وقال: (إن المصلي يناجي ربه فلينظر بما يناجيه به ، ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن)[237].
إن قراءة الفاتحة خلف الإمام مثلٌ بارز على حاجة المسلمين إلى إعادة النظر في دراسة السنة النبوية ، بالاعتماد على ما قرره علماء الأمة المحققون ، وساروا عليه مسخرين كل ما وضعته عصورهم في أيديهم من إمكانات ، سعياً إلى العمل بما صح عن رسول اللهﷺ، ولنشرح هذا المثال بإيجاز:

ذهب الأحناف إلى القول بكراهة القراءة خلف الإمام – الفاتحة وغيرها – سواء كانت جهرية أم سرية ومعتمدهم قولهﷺ: « من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة » .

وقال الشافعية بوجوب القراءة خلف الإمام ، سواء جهر بالقراءة أم أسر ، ومستندهم في ذلك نهيهﷺ عن القراءة خلفه في صلاة جهر فيها بالقراءة ( صلاة الفجر) وبقوله: « لا تفعلوا إلا ( أن يقرأ أحدكم ) بفاتحة الكتاب ، فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها » ولذلك استحبوا أن يسكت الإمام بعد قراءة الفاتحة في الجهرية مدة تكفي لقراءتها من قبل المأمومين.

وذهب المالكية والحنابلة إلى القول بوجوب قراءة الفاتحة خلف الإمام إذا قرأ الإمام سراً، ومنعوا من قراءتها إذا جهر الإمام بالقراءة، ودليلهم قوله تعالى ﴿ فإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا ﴾ ، ونهيهﷺ عن منازعته في الصلاة الجهرية ، وقول أبي هريرة :

فانتهى الناس عن القراءة مع رسول اللهﷺ فيما جهر فيه رسول اللهﷺ بالقراءة ، حين سمعوا ذلك من رسول اللهﷺ، ( وقرؤوا في أنفسهم سراً فيما لا يجهر فيه الإمام).

فجمع الأحاديث الصحيحة الواردة في القراءة خلف الإمام يؤدي إلى نتيجة تلزم بالعمل بها إذا كانت النتيجة التي تم التوصل إليها قد قال بها علماء.

---

٢٣٤- والخلج : الجذب والنزع .

٢٣٥- مسلم وأبو عوانة وغيرهما .

٢٣٦- البخاري في جزئه وأحمد والسراج بسند حسن .

٢٣٧- مالك والبخاري في " أفعال العباد " بسند صحيح .

## ٥- السنة ومقاصد الشريعة :

في تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير: الأزمنة، والأمكنة ، والأحوال ، والنيات ، والعوائد وقع بسبب الجهل به غلطٌ على الشريعة ، أوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل إليه ما يُعلم أن الشريعة الباهرة التي في أعلى رتب المصالح لا تأتي به ؛ فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحِكَمِ ومصالح العباد في المعاش والمعاد .

وهي عدلٌ كلُّها، ورحمةٌ كلُّها، ومصالح كلها، وحكمةٌ كلها ؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجوْر ، وعن الرحمة إلى ضدها ، وعن المصلحة إلى المفسدة ، وعن الحكمة إلى العبث ، فليست من الشريعة وإن أُدخلت فيها بالتأويل. فالشريعةُ عدل الله بين عباده ، ورحمته بين خلقه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسولهﷺ أتمَّ دلالةٍ وأصدقَها.

وكل خير في الوجود فإنما هو مستفاد منها ، وحاصلٌ بها ، وكل نقص في الوجود فسببه من إضاعتها. فالشريعة التي بعث الله بها رسولهﷺ هي عمود العالم ، وقطب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة.

وتجد منها مثالين يفيدان في تكوين قاعدة شرعية في إسقاط النصوص على الواقع ضمن إطار مقاصد الشريعة على راي اهل السنة والجماعة وهما:

المثال الأول : إن النبيﷺ شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر، ليحصل – بإنكاره – من المعروف ما يحبه الله ورسولهﷺ، فإذا كان إنكارُ المنكر يستلزم ما هو أنكرَ منه وأبغضَ إلى الله ورسولهﷺ، فإنه لا يسوغ إنكاره ؛ وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم ؛ فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر على راي اهل السنة.

وقد استأذن الصحابة رسول اللهﷺ في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها ، وقالوا: أفلا نقاتلهم؟. فقال: لا ما أقاموا الصلاة، وقال: من رأى من أميره ما يكرهه فَلْيصبر، ولا ينزعنَّ يداً من طاعة.

وعلى رأي اهل السنة والجماعة قالوا من تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل، وعدم الصبر على منكرٍ؛ فطلبَ إزالتَه فتولد منه ما هو أكبر منه ؛ فقد كان رسول اللهﷺ يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها .

بل لما فتح مكة وصارت دار إسلام عزم على تغيير البيت ورده على قواعد إبراهيمعليه السلام، ومنعه من ذلك – مع قدرته عليه – خشيةُ وقوعِ ما هو أعظم منه ، من عدم احتمال قريش لذلك ، لقرب عهدهم بالإسلام وكونهم حديثي عهدٍ بجاهلية.

ولهذا لم يأذن في الإنكار على الأمراء باليد؛ لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه ، على حسب مبنى السنة والجماعة.

وملاً فصَّل ابن القيم في درجات إنكار المنكر، وضرب أمثلة، فقال: فإنكار المنكر أربع درجات:

الأولى: أن يزول ويخلفه ضده.

والثانية: أن يقلَّ وإن لم يَزُلْ بجملته.

والثالثة: أن يخلفه ما هو مثله.

الرابعة: أن يخلفه ما هو شرٌّ منه.

فالدرجتان الأُولَيانِ مشروعتان ، والثالثة موضع اجتهاد ، والرابعة محرمة. فإذا رأيت أهل الفجور والفسوق يلعبون بالشطرنج، كان إنكارك عليهم من عدم الفقه والبصيرة، إلا إذا نقلتهم منه إلى ما هو أحب إلى الله ورسولهصلى الله عليه وسلم، كرمي النُّشاب وسباق الخيل ونحو ذلك.

وإذا رأيتَ الفُسَّاق قد اجتمعوا على لهوٍ ولعب أو سماعِ مُكاءٍ وتصدية، فإنْ نقلتَهم عنه إلى طاعة فهو المراد، وإلا كان تركهم على ذلك خيراً من أن تفرّغهم لما هو أعظم من ذلك ؛ فكان ما هم فيه شاغلاً لهم عن ذلك.

وكما إذا كان الرجل مشتغلاً بكتب المجون ونحوها وخفتَ من نقله عنها انتقالَه إلى كتب البدع والضلال والسحر فَدَعْه وكُتُبَه الأولى.

وقال احدهم مررت أنا وأصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر، فأنكر عليهم تصرفهم من كان معي من أصحابي. فأنكرت على اصحابي، وقلت لهم: إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال فدعهم.

وهذا الانكار من اهل السنة فيه توهم وغلط لان الخمر تذهب العقل وبالتالي المفسدة اعظم.

المثال الثاني : إن النبيﷺ فرض صدقة الفطر صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير، أو صاعاً من زبيب، أو صاعاً من أقط. وهذه كانت غالب أقواتهم بالمدينة ، فأما أهل بلد أو محلة قوتُهم غير ذلك فإنما عليهم صاع من قوتهم ، كمن قوتهم الذرة أو الأرز أو التين أو غير ذلك من الحبوب ، فإن كان قوتهم من غير الحبوب كاللبن واللحم والسمك، أخرجوا فطرتهم من قوتهم كائناً ما كان.

هذا قول جمهور علماء اهل السنة. وعلى هذا فيجزئ إخراج الدقيق وإن لم يصح فيه الحديث ، وأما إخراج الخبز والطعام فإنه وإن كان أنفع للمساكين لقلة المؤنة والكلفة فيه ، فقد يكون الحب أنفع لهم لطول بقائه ، وأنه يتأتى منه ما لا يتأتى من الخبز والطعام، ولاسيما إذا كَثُر الخبز والطعام عند المسكين، فإنه يفسد ولا يمكنه حفظه.

وقد يقال: لا اعتبار بهذا ، فإن المقصود إغناؤهم في ذلك اليوم العظيم عن التعرض للسؤال، كما قال النبيﷺ: أغنوهم في ذلك اليوم عن المسألة.

وإنما نص على الأنواع المخرجة لأن القوم لم يكونوا يعتادون اتخاذ الأطعمة يوم العيد، بل كان قوتهم يوم العيد كقوتهم سائر السنة، ولهذا لما كان قوتهم يوم النحر من لحوم الأضاحي، أُمروا أن يطعموا منها القانع والمعتر.

فإذا كان أهل بلد أو محلة عادتهم اتخاذ الأطعمة يوم العيد، جاز لهم ، بل يشرع لهم، أن يواسوا المساكين من أطعمتهم، فهذا محتمل يسوغ القول به.

بل زاد بعضهم جواز إخراج القيمة ، لا سيما إذا كانت أنفع للفقير، وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه، إذ المقصود (إغناء المساكين) في هذا اليوم الكريم .

والإغناء كما يتحقق بالطعام يتحقق بدفع قيمته، وربما كانت القيمة أوفى بمهمة الإغناء من الطعام، وخصوصاً في عصرنا، وفي هذا رعايةٌ لمقصود النص النبوي، وتطبيق لروحه، وهذا هو الفقه الحقيقي[٢٣٨] .

---

٢٣٨- يوسف القرضاوي ، كيف نتعامل مع السنة النبوية ص ١٣٥ .

### ٦- السنة هدفٌ ووسيلة :

في أعقاب شهر رمضان تلوح علائم الرغبةُ في العلم وتجديد معاني الدين في الأمة. وبما أن المسلمين في بلدان متعددة يحتاجون الى الضوابط التي ينبغي الأخذ بها، من أجل معرفة وقت دخول رمضان ووقت انتهائه وهي عبارة عن جواب على سؤالين:

السؤال الاول : هل يلزمنا الشرع باعتماد الرؤية البصرية في إثبات دخول الشهر؟ أم لا؟.

وهل يجوز أن نعتمد على علم الفلك – الحساب – في معرفة دخول الشهر القمري؟ أم لا؟.

فبيَّن كمال الدين وشموله، أن الرسولﷺ تركنا على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك. وأن على المسلمين (الاتباع) وأن يحذروا من (الابتداع). ثم بنى على تلك المقدمات النتيجة الآتية:

١- إن قولهﷺ في الحديث الصحيح : صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته.. قد حدد للمسلمين.. في كافة الأجيال.. أن الرؤية البصرية هي المعوَّل عليها. ولقد رد علماؤنا عبر العصور محاولات أهل الحساب ، الذين يرون أن حساباتهم علم يصح الأخذ به.

٢- وهذا الموضوع يطرح قضية أساسية في تكوين المسلم ؛ فالرسولﷺ يقول : صوموا لرؤيته.. وأهل الحساب يضعون شروطاً لصحة الرؤية.. فإن خالفت الرؤية شروطهم رفضوها.. وهنا جوهر الموضوع:

هل نأخذ بقول الرسولﷺ، أم بقول أهل الحساب؟

لا شك في أن المسلم الحق لا يقدم على قول رسول اللهﷺ قول أحد من البشر كائناً من كان. ولا يُتَصَوَّر وجود مسلم يعقد مقارنة بين كلام النبيﷺ وبين كلام أحد من البشر.

ثم يعتقد أو يقول: إن كلام النبيﷺ خطأ ، وأرى كلام فلان أفضل منه. وهذه قضية أساسية في الحوار بين المسلمين، حين يختلفون حول طريقة فهم النصوص المقبولة، فالجميع ينطلقون من قولهﷺ: صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته.. والخلاف محصورٌ في وسيلة التوصل إلى معرفة دخول شهر الصوم والخروج منه.

وهذا سببه اختلاف أصحاب الرأي والقرار في كمية المعلومات الشرعية والحياتية ، وفي نوعيتها. وما تراه من تباين في النتائج مفهوم إذا وضعته في إطار المرحلة الزمنية الانتقالية التي نمر بها. فنحن نمر من مرحلة التقليد إلى مرحلة إحياء الاجتهاد[٢٣٩] .

والعلمُ ؛ إما نقلٌ مصدَّقٌ عن معصوم، وإما قول عليه دليل معلوم ، وما سوى هذا: فإمَّا مُزَيَّف مردود ، وإما موقوفٌ لا يعلم أنه بهرج ولا منقود، والبهرج: رديء الفضة، والمنقود : الجيد من النقود. وتقسم العلم إلى ثلاثة أقسام:

١- العلم المقبول : نأخذه من نقل مصدق عن معصوم وهو علم القرآن والسنة ، فهو يقيني ولا يحتاج إلى دليل من خارجه للدلالة على صحته. قول عليه دليل معلوم وهذا ما نسميه العلم التجريبي الذي يفيد اليقين.

٢- العلم المردود: وهو ما قام الدليل على بطلانه .

٣- العلم الموقوف : وهو الذي لا يزال في طور البحث ، فليست لدينا دلالة كافية على صحته أو زيفه.

وهذه الأقسام تفيد أن العلم مسؤولية، ونحن ليست مشكلتنا مع وجوب الالتزام بعلم القرآن والسنة، وإنما المشكلة في العمل بالعلم التجريبي اليقيني إذا كانت له علاقة بنصوص الوحيين.

وعليه ، فإن من علم أن هناك شروطاً يقينية ، معتمدة أصلاً على الرؤية تساعدنا في ضبط رؤية هلال رمضان. كان من حقه أن يجهر بما يعلم ، وأن يدعو المسلمين إلى إعادة النظر في طريقة إثبات دخول الشهر القمري والخروج منه، لئلا يصوموا يوماً من شعبان في البداية، أو يفطروا يوماً من رمضان في النهاية.

ومثل هؤلاء لا يُتهمون في غيرتهم ، ولا يُرَدُّ عليهم بقال فلان أو فلان، وإنما يرد عليهم أهل العلم بدليل معتبر. وبما أنك مقلد فينبغي أن تعمل برأي من يطمئن إليه قلبك من أهل العلم وأن لا تسيء الظن بمن ذهب إلى خلاف رأيك واختيارك.

---

٢٣٩- مجموع الفتاوى : ٣٢٩/١٣-٣٣٠ .

ومن أسباب الخلط والزلل في فهم السنة: أن بعض الناس خلطوا بين المقاصد والأهداف الثابتة ، التي تسعى السنة إلى تحقيقها ، وبين الوسائل الآنية والبيئية التي تُعيِّنُها أحياناً للوصول إلى الهدف المنشود.

فتراهم يركزون كل التركيز على هذه الوسائل ، كأنها مقصودة لذاتها ، مع أن الذي يتعمق في فهم السنة وأسرارها ، يتبين له أن المهم هو الهدف ، وهو الثابت والدائم ، وأن الوسائل قد تتغير بتغير البيئة أو العصر أو العرف أو غير ذلك من المؤثرات.

إن الحديث الشريف أشار إلى هدف ، وعيَّن وسيلة. أما الهدف من الحديث فهو واضح بين ، وهو أن يصوموا رمضان كله ، ولا يضيعوا يوماً منه ، أو يصوموا يوماً من شهر غيره ، كشعبان أو شوَّال، وذلك بإثبات دخول الشهر أو الخروج منه ، بوسيلة ممكنة مقدورة لجمهور الناس ، لا تكلفهم عنتاً ولا حرجاً في دينهم.

وكانت الرؤية بالأبصار هي الوسيلة السهلة والمقدورة لعامة الناس في ذلك العصر، لهذا جاء الحديث بتعيينها، لأنه لو كلفهم بوسيلة أخرى كالحساب الفلكي – والأمة في ذلك الحين أمية لا تكتب ولا تحسب – لأرهقهم من أمرهم عسراً، ورسول الله ﷺ يريد بأمته اليسر ولا يريد بهم العسر، وقد قال ﷺ عن نفسه: إن الله بعثني ميسراً، ولم يبعثني مُعَنِّتاً.

فإذا وجدت وسيلة أخرى أقدر على تحقيق هدف الحديث ، وأبعد عن احتمال الخطأ والوهم والكذب في دخول الشهر ، وأصبحت هذه الوسيلة ميسورة غير معسورة ، ولم تعد وسيلة صعبة المنال ، ولا فوق طاقة الأمة ، بعد أن أصبح فيها علماء وخبراء فلكيون وجيولوجيون وفيزيائيون متخصصون على المستوى العالمي .

وبعد أن بلغ العلم البشري مبلغاً مكن الإنسان أن يصعد إلى القمر نفسه ، وينزل على سطحه ، ويجوس خلال أرضه ، ويجلب نماذج من صخوره وأتربته! فلماذا نجمد على الوسيلة – وهي ليست مقصودة لذاتها – ونغفل الهدف الذي نشده الحديث ؟!.

لقد أثبت الحديث دخول الشهر بخبر واحد أو اثنين يدعيان رؤية الهلال بالعين المجردة ، حيث كانت هي الوسيلة الممكنة والملائمة لمستوى الأمة .

فكيف يتصور أن يرفض وسيلة لا يتطرق إليها الخطأ أو الوهم ، أو الكذب ، وسيلة بلغت درجة اليقين والقطع ، ويمكن أن تجتمع عليها أمة الإسلام في شرق الأرض وغربها .

وتزيل الخلاف الدائم والمتفاوت في الصوم والإفطار والأعياد ، إلى مدى ثلاثة أيام تكون فرقاً بين بلد وآخر، وهو ما لا يعقل ولا يقبل لا بمنطق العلم ، ولا بمنطق الدين، ومن المقطوع به أن أحدها هو الصواب والباقي خطأ بلا جدال.

إن الأخذ بالحساب القطعي اليوم وسيلة لإثبات الشهور ، يجب أن يقبل من باب (قياس الأولى) بمعنى أن السنة التي شرعت لنا الأخذ بوسيلة أدنى ، لما يحيط بها من الشك والاحتمال – وهي الرؤية – لا ترفض وسيلة أعلى وأكمل وأوفى بتحقيق المقصود .

والخروج بالأمة من الاختلاف الشديد في تحديد بداية صيامها وفطرها وأضحاها ، إلى الوحدة المنشودة في شعائرها وعباداتها ، المتصلة بأخص أمور دينها ، وألصقها بحياتها وكيانها الروحي ، وهي وسيلة الحساب القطعي[٢٤٠].

ونأخذ بالحساب الفلكي القطعي – على الأقل – في النفي لا في الإثبات ، تقليلاً للاختلاف الشاسع الذي يحدث كل سنة في بدء الصيام وفي عيد الفطر، إلى حد يصل إلى ثلاثة أيام بين بعض البلاد الإسلامية وبعض.

ومعنى الأخذ بالحساب في النفي أن نظل على إثبات الهلال بالرؤية وفقاً لرأي الأكثرين من أهل الفقه في عصرنا ، ولكن إذا نفى الحساب إمكان الرؤية ، وقال:

إنها غير ممكنة ، لأن الهلال لم يولد أصلاً في أي مكان من العالم الإسلامي ، كان الواجب ألا تقبل شهادة الشهود بحال ، لأن الواقع – الذي أثبته العلم الرياضي القطعي – يكذبهم، بل في هذه الحالة لا يطلب ترائي الهلال من الناس أصلاً، ولا تفتح المحاكم الشرعية ولا دور الفتوى أو الشؤون الدينية أبوابها لمن يريد أن يدلي بشهادة عن رؤية الهلال.

فقد ذكر السبكي في فتواه أن الحساب إذا نفى إمكان الرؤية البصرية ، فالواجب على القاضي أن يرد شهادة الشهود، قال: لأن الحساب قطعي والشهادة والخبر ظنيان ، والظن لا يعارض القطع ، فضلاً عن أن يقدم عليه.

وذكر أن من شأن القاضي أن ينظر في شهادة الشاهد عنده ، في أي قضية من القضايا ، فإن رأى الحس أو العيان يكذبها ردها ولا كرامة .

---

٢٤٠- القرضاوي كتاب: كيف نتعامل مع السنة النبوية : ص ١٤٥-١٤٧ .

قال : والبينة شرطها أن يكون ما شهدت به ممكناً حساً وعقلاً وشرعاً ، فإذا فرض دلالة الحساب قطعاً على عدم الإمكان استحال القول شرعاً ، لاستحالة المشهود به ، والشرع لا يأتي بالمستحيلات ، أما شهادة الشهود فتُحمل على الوهم أو الغلط أو الكذب. انتهى.

هذا ، ولا ريب في أن مسألة التفريق بين هدف النص الشرعي ، قرآناً كان أم سنة ، وبين ما ذكره النص من وسيلة ، تُعد من أهم المسائل التي ينبغي العمل على تجليتها حتى تستيقنها أفئدة جيل التجديد الإسلامي، لكونها تتعلق بالمنهج الواجب اتباعه عند التعامل مع الوسائل المتغيرة، إن الوسائل قد تتغير من عصر إلى عصر، ومن بيئة إلى أخرى ، بل هي لا بد متغيرة ، فإذا نص الحديث على شيء منها ، فإنما ذلك لبيان الواقع ، لا ليقيدنا بها، ويُجمّدنا عندها.

بل لو نص القرآن نفسه على وسيلة مناسبة لمكان معين وزمان معين ، فلا يعني ذلك أن نقف عندها ، ولا نفكر في غيرها من الوسائل المتطورة بتطور الزمان والمكان. ألم يقل القرآن الكريم : ( وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ)[٢٤١] .

ومع هذا لم يفهم أحد أن المرابطة في وجه الأعداء لا تكون إلا بالخيل التي نص عليها القرآن ، بل فهم كل من له عقل يعرف اللغة والشرع : أن خيل العصر هي الدبابات والمدرعات ونحوها من أسلحة العصر.

وما ورد في فضل احتباس الخيل ، وعظم الأجر فيه ، مثل حديث: الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة: المغنم والأجر ينبغي أن يطبق على كل وسيلة تُستحدث تقوم مقام الخيل ، أو تتفوق عليها بأضعاف مضاعفة ومثل ذلك ما جاء في فضل من رمى بسهم في سبيل الله فله كذا وكذا (فهو ينطبق على الرمي بالسهم أو البندقية أو المدفع أو الصاروخ أو أي وسيلة أخرى يخبئها ضمير الغيب)[٢٤٢] .

ونضرب مثلاً آخر : أن تعيين السواك لتطهير الأسنان من هذا الباب ، فالهدف هو: طهارة الفم ، حتى يرضى الرب ، كما في الحديث: السواك مطهرة للفم مرضاة للرب.

ولكن هل السواك مقصود لذاته، أم كان هو الوسيلة الميسورة في جزيرة العرب؟.

---

٢٤١- الانفال ٦٠ .

٢٤٢- كتاب: كيف نتعامل مع السنة النبوية ، ص١٤٠-١٤١.

فوصف لهم النبيﷺ ما يؤدي الغرض ولا يعسر عليهم. ولا بأس أن تتغير هذه الوسيلة في مجتمعات أخرى ، لا يتيسر لها هذا العود ، إلى وسيلة يمكن تصنيعها بوفرة تكفي مئات الملايين من الناس ، مثل (الفرشاة).

ومن ذلك: حديث الوزن وزن أهل مكة، والمكيال مكيال أهل المدينة. هذا الحديث يتضمن تعليماً نبوياً تقدمياً – إذا استخدمنا لغة المعاصرين – بالنسبة للعصر الذي قيل فيه ، والهدف من هذا التعليم هو: توحيد المقاييس والمعايير التي يحتكم إليها الناس في بيعهم وشرائهم وسائر معاملاتهم ومبادلاتهم، والرجوع في ذلك إلى أدق وحدات القياس التي يعرفها الناس.

ولما كان أهل مكة أهل تجارة ، وكانوا يتعاملون في بيعهم وشرائهم بالنقود المعدنية ، وكان الأساس فيها الوزن بالأوقية ، والمثقال والدرهم ونحوها ، كانت عنايتهم موجهة إلى ضبط هذه الموازين ومضاعفاتها وأجزائها، فلا عجب أن تكون موازينهم هي المعيار المعتمد، والمرجع الذي يُحتكم إليه عند التنازع، وعلى هذا الأساس جاء هذا الحديث باعتبار الميزان ميزان أهل مكة.

ولما كان أهل المدينة أهل زرع وغرس ، وأصحاب حبوب وثمار، اتجهت عنايتهم إلى ضبط المكاييل من المدِّ والصاع وغيرهما ، لمسيس حاجتهم إليها في تسويق منتجات أرضهم ونخيلهم وكرومهم ، فهم إذا باعوا أو اشتروا استخدموا المكيال فكانوا أحق بضبطه ، فلا غرو أن اعتبر الرسولﷺ المكيال مكيالهم .

والذي نريد أن نقرره هنا : أن تعيين الحديث الشريف ميزان أهل مكة ، ومكيال أهل المدينة ، هو من باب الوسائل ، القابلة للتغيير بتغيُّر الزمان والمكان والحال ، وليس أمراً تعبدياً يوقف عنده ولا يُتجاوز.

أما هدف الحديث ، فلا يخفى على ذي بصيرة ، وهو ما ذكرناه من توحيد المقاييس بالرجوع إلى أدق ما يعرفه البشر في ذلك.

ولهذا لا يجد المسلم اليوم حرجاً في استعمال المقاييس العشرية من الكيلوجرام وأجزائه ، ومضاعفاته ، ولما يتميز به من دقة وسهولة في الحساب ، ولا يُعتبر ذلك مخالفة للحديث بحال من الأحوال، لهذا استخدمه المسلمون المعاصرون في أقطار كثيرة ، دون نكير من أحد.

ومثل ذلك استعمال المقاييس المترية ونحوها ، مادام الهدف هو الوصول إلى الدقة والوحدة ، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها[٢٤٣].

فمثلاً الهلال في ثبوته بالرؤية كما قوله تعالى: (يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج)، وهو الإستهلال ، فمما لا شك فيه أن العلم قد وصل إلى مراحل متقدمة جداً، بشتى أنواعه وفصوله، فكل يوم هناك إكتشافات جديدة يكتشفها الإنسان، منها المفيد وغير المفيد.

وقد خطى العلم خطوات كبيرة وعملاقة في شتى المجالات، ولكن يبقى السؤال يطرح وهو: هل أن العلم قد وصل إلى مرحلة الكمال المطلق وبعبارة أخرى، هل أن النظريات العلمية أصبحت حقائق ثابتة ويقينية يمكن الإعتماد عليها للوصول إلى الأهداف المنشودة؟!.

كلا، فما زالت هناك مجهولات كثيرة جداً، كما أن هناك ركام هائل من النظريات لم يحسم الأمر فيها بعد، وإن كانوا يتعاملون معها في المجال العلمي العام على أنها أمر واقع .

ونحاول هنا ـ المختصر ـ أن نسلط الضوء على واحدة من تلك المسائل الكثيرة التي يدور حولها النقاش وهي مسألة رؤية الهلال أوائل الشهور القمرية ـ خاصة شهري رمضان وشوال ـ حيث تطلق التصريحات الجازمة في مجال قدرة علم الفلك على حسم مادة النزاع ـ كما صدر ويصدر من البعض ـ لا سيما أن أصحاب هذه الفكرة يقولون أنهم يعتمدون على نظريات علمية وضعية خاضعة للتجارب جاعلين منها حقائق غير قابلة للنقاش.

فما هو المرصد : بداية لا بد من الإشارة إلى أمرٍ رئيسي في الموضوع وهو أن حقيقة المراصد ـ التي يعتمد عليها الفلك وهي بمثابة عموده الفقري ـ ما هي إلا عبارة عن أدوات رصد آنية (منظار، تلسكوب، .. وإلخ).

ترصد حركة هذا الكوكب أو ذاك في نفس اللحظة من حيث السرعة والبطء والإستقامة والحجم وما إلى ذلك، ثم يستنتجون من ذلك أنه إذا سار بسرعة معينة وبنفس الإتجاه فسوف يصل إلى النقطة الفلانية بالوقت الفلاني وسوف يحصل مثلاً الكسوف أو الخسوف و.. إلخ .

---

٢٤٣- ص١٤٤ – ١٤٥ .

وهذا يعطي أنها صناعة حسابية تقوم على قوانين عددية تعتمد على تقدير المسافات وقياسها والتقديرات الزمنية وغيرها فيما يخص كل كوكب من طريق حركته بحيث يعرف فيها مواقع الكواكب في أفلاكها وإلى أين تسير حسابياً بناءً على نظريات وتجارب وضعية لأشخاص يصيبون هنا ويخطئون هناك.

نسخ النظريات بعضها البعض: من المعروف أن الطرق والوسائل التي اتبعها الباحثون سواء المسلمون أو الغربيون حتى يومنا هذا لم تتوصل إلى حل مشكلة رؤية الهلال بصفة قطعية ونهائية. ومن جملة المعايير التي وضعها فلكيو الإسلام، معيار الدرجات الإثني عشر (١٢) ومعيار إنخفاض الشمس.

فمعيار الإثني عشر درجة يعد من أشهر المعايير وقد بقي العمل به قائماً حتى بداية هذا القرن حيث ظهرت بحوث جديدة في الميدان. ومعيار الإثني عشرة درجة ذاك كان شيئاً وسرعان ما أظهر نقائض عديدة بعد تبنيه من جانب علماء الفلك المسلمين[٢٤٤].

ومعيار إنخفاض الشمس مثل سابقه لم يعط نتائج فرضية، وهناك معايير أخرى أخذت تتوالى وكلها لم تكن دقيقة. هذه بإختصار هي مشكلة رؤية الهلال في علم الفلك حتى نهاية القرن التاسع عشر.

ثم ظهر بعد ذلك عام (١٩١٠م) بحث هام (لفوذرنغهام) الذي اقترح معياراً جديداً للتنبؤ بالرؤية العيانية للهلال.

وفي سنة ١٩٧٧م أحدث (فرانس برون) تطوراً حول المسألة وأيضاً لم تكن نظرية دقيقة بما فيه الكفاية[٢٤٥].

وأخيراً اقتراح (شيفر) وهو نموذجاً جديداً أكثر طموحاً من برون للتنبؤ برؤية الهلال.

ونلاحظ أن كل هذه النظريات جائت لينسخ الحديث منها القديم وكلها تعتمد على التجارب مثلاً نظرية (فوذرنغهام) إعتمدت على ٧٦ مشاهدة ونظرية (براون) إعتمدت على ١٥٠٠ تغيّر أو معادلة.. وإلخ.

---

٢٤٤- كتاب إثبات الشهور الهلالية – مشكلة التوقيت الإسلامي ص ٤٦-٤٧ ومعيار الإثني عشر درجة يعتمد على حساب الزاوية التي تفصل بين القمر والشمس (زاوية المكث).

٢٤٥- نفس المصدر ، ص ٥٢ .

وكل تلك النظريات جائت متناقضة (كما سنبيّن) بل هم يعترفون أن هذا المعيار "ذا دقة قليلة" ، وذاك "تنقصه الدقة في التنبؤ إلى حدٍ ما" وآخر "يعاني من النقص والعائق" .

ولا بأس بالإشارة إلى الفيزيائي الفلكي القدير مُحَّد الياس من جامعة ماليزيا حيث يقول: أن حد قيمة السبع درجات التي حددها دانجون هي ليست يقينية، بل هو يقترح إعتبار قيمة (١٠.٥ درجات) عوضاً عنها.

وفي المؤتمر الذي عقد في اسطنبول سنة ١٩٧٨م، والذي يعد من أهم اللقاءات التي جمعت الفلكيين والفقهاء لوضع تقويم هجري دقيق ومضبوط ، وشُكلت لجنة وصدرت مقررات نهائية مثل إعتبار الهلال ممكن الرؤية إذا وقع القمر على بعد أكثر من ثمان درجات من الشمس وأكثر من خمس درجات فوق الأفق.

وقد إندهش منها بعض الفلكيين[٢٤٦] الآخرين واعتبروها أمراً غريباً للغاية وكتب الفلكي البروفسور مُحَّد الياس رسالة لرئيس تلك اللجنة فأجابه:

فيما يخص الدرجات الثماني بين الهلال والشمس فإن اللجنة اتخذت حدّ دانجون (٧ درجات) وقررت زيادة درجة لمزيد من الإحتياط "وهذا الإحتياط دليل على أن قراراتهم ظنية".

وأما علو خمس درجات عن الأفق، فهو يقوم على أرصاد تمت ودونت بمرصد (كانديلي). ولكن، وكما يقول إلياس بجدارة :

أن حدّ دانجون هو أولاً شرط ضروري ولكنه غير كاف، أي أنه يمكن للهلال أن يكون على بعد ١٢ درجة أو ١٥ درجة وأن لا يرى، هذا بغض النظر عن كون حد دانجون (٧ درجات) غير متأكد منه.

وثانياً إن أرصاد كانديلي لا يمكن تعميمها على العالم . ولا حتى على العالم الإسلامي . لأنها تمت في موقع ذي خط عرض كبير وأخيراً نشير إلى أن هذين الشرطين وضعا جنباً إلى جنب بدون أي إعتبار للعلاقة التي توجد بينهما.

---

٢٤٦- نفس المصدر ، ص ٧١ .

وهذا يوضح كيف يمكن لسوء فهم هذه المسألة والمعايير أن تؤدي إلى إعلانات وقرارات خاطئة وخطيرة وإذا كانوا يخطئون بهذا المستوى فلا نستطيع الإستناد إلى كل ما تنتجه المراصد ولا الإطمئنان إلى إخباراتها.

وقد يتساءل القارئ الكريم: هل لمثل هذه الأخطار نتائج جسيمة في تقدير بداية شهر رمضان ويوم الإفطار؟.

والجواب: نعم، إن لها نتائج مدهشة لأن مثل هذا المعيار الذي وضعته لجنة المؤتمر بدون فحص وتدقيق يؤدي إلى تقديم الزمن المقدّر لرؤية الهلال بأكثر من ٧ ساعات، وهذا الوقت كافٍ لتقديم وقت الصيام أو الإفطار من يوم لآخر.

ويتضح أن هذه المعايير كانت تستنتج من أرصاد ومشاهدات تمت في بقعة معينة وبعدد معين وبظروف معينة ولم تتوصل إلى حل مشكلة رؤية الهلال بصورة قطعية كما أشرنا.

والذي يقول: أنه يستطيع تحديد أوائل الشهور من الأن إلى خمسين سنة يقر بأنه لا يعتمد على الأرصاد بل يعتمد على الحسابات التي وإن كانت لا تخطئ من حيث كونها خاضعة لمعادلات مضبوطة.

ولكن إنطباق تلك المعادلات على الواقع الخارجي هو محل الشك والريب. وليس الشك والريب في المعادلة المقررة حسابياً. أو أننا حين نحدد حجم الأيام والساعات والدقائق وتقدير المنازل التي لا بد من مراعاتها ونقدر البعد الزاوي وغير ذلك من أمور ثم نحسب وفق هذه التحديدات فإن حساباتنا تكون صحيحة ودقيقة لكن من الذي قال أن هذه الضوابط هي الأمر الواقع؟!.

حركة القمر: إن حركة القمر حول الأرض تختلف عن حركة الكواكب الأخرى إلى حدٍ ما. فحركة الكواكب والأجسام الصغيرة تسير بتطبيق قوة وحيدة معتبرة (تقريبا) وهي الشمس فيكون حينها إيجاد مسار الكوكب مسألة بسيطة نسبياً، فتحصل على مسارات كيلرية أي على شكل إهليلجي.

أما بالنسبة للقمر فإن هناك عوامل أخرى كثيرة تدخل على حركته مثل التغيرات غير المنتظمة التي تطرأ عليه ، وهي طبعاً متفاوتة المقدار والدور الزمني.

ومن تلك العوامل دوران القمر حول نفسه حيث يجعل من الصعب تحديد الجهة التي يكون فيها مواجهاً للأرض في اللحظة الفلانية. فقد تكون الجهة المواجهة هي تلك التي لا تستقبل المقدار الأقل من ضوء الشمس وقد يكون العكس.

ويقولون[٢٤٧]: إن نظريات حركة القمر تسمح بإيجاد موضع القمر بالنسبة لمستوى دائرة الكسوف (المستوى الذي تسبح فيه الأرض ومعظم الكواكب حول الشمس) فنتمكن عندئذ من حساب إحداثيات الطول والعرض وكذلك زاوية الإختلاف .

وتقوم عدة مراصد بنشر جداول إحداثيات القمر سنوياً بحيث يسهل حساب مواقيت الطلوع والغروب للقمر (نسبياً). وأيضاً الحال مختلف تماماً بالنسبة للقمر بسبب حركته الإنسحابية السريعة بجوار الأرض. وسرعته هذه تقدر بحوالي كيلو متر في الثانية.

وسرعان ما يعترفون بأن هناك أخطاء معتبرة تظهر في بعض الحالات، وذلك بسبب عوامل ثانوية تتسبب فيها خاصيات السطح القمري التي تجعل المساحة المرئية فعلياً أقل مما تتنبأ به هذه العلاقة، ولذا فإن استعمال هذه (الكمية) يؤدي إلى أخطاء جسيمة في تقدير زمن رؤية الهلال[٢٤٨].

أضف إلى ذلك بعض العوامل الأخرى المؤثرة في إمكانية التنبؤ برؤية الهلال منها :

١- مسار القمر ليس دائرياً تماماً وحركته غير منتظمة مما يجعل سرعته المدارية أحياناً أكبر وأحياناً أصغر من السرعة المتوسطة.

٢- نواحي السطح القمري المختلفة تعكس كميات متفاوتة من الضوء إذ أن ألمع فوهة على سطح القمر . أبسطاكس . تعكس ١٦.٣ % من الضوء . أي النسبة المتوسطة للقمر مرتين . ويكون بذلك شديد السطوع، بينما لا تعكس ناحية سيوس ميديي سوى ٥.٤ % من الضوء وتكون بذلك أكثر النواحي ظلاماً .

وهذه ظاهرة مدهشة في القمر بحيث يعرف اليوم . عند المختصين . أن هناك علاقة وطيدة بين تضاريس وتركيب النواحي المختلفة للقمر وبين خاصياتها الإضائية[٢٤٩] . أضف إلى ذلك الإنفجارات الإشعاعية للشمس والتي تؤثر بشكل مباشر على سطوح ضوء القمر بنسب لم تكن متوقعة من قبل المرصد. وقد ظهرت بعض الفروقات بين النتائج النظرية والنتائج التجريبية التي قام بها العلماء.

---

٢٤٧- إثبات الشهور الهلالية ص ٥٤ — ٥٥ .

٢٤٨- نفس المصدر ، ص ٥٦-٥٧. والكمية إشارات إلى إحدى العمليات الحسابية المستعملة في هذا الخصوص .

٢٤٩- انظر : إثبات أوائل الشهور الهجرية القمرية صفحة ٥٧ وصفحة ٧٠ . وانظر: تقويم الصايغ لعام ١٤١٣هـ.ق ص ٢٠.

٣- ظروف المشاهدة: نسبة التلوث، درجة الحرارة، إرتفاع المكان الجغرافي المعرّف بخطوط الطول والعرض، والغلاف الجوي وتأثيراته إلخ.. تختلف كثيراً من رقعة إلى أخرى ومن فترة لأخرى بل لقد تأكد لدى العلماء المهتمين أن رؤية الهلال ترتبط بدرجة وثيقة بمكان المشاهدة وظروفها المحلية.

ولكنهم لم يدرجوها علمياً في المعايير ما منعهم أن ينتجوا نماذج أكثر تطوراً ودقة وأقرب إلى التطبيق والحقيقة. وقد إلتفت فرانس براون لهذه المسألة عام ١٩٧٧م، فأضاف مسألة سطوع القمر والسماء والمكان والزمان ولكنه بقي نموذجاً يعاني من النقص والعائق ذاته بالنسبة للأعمال السابقة .

وقد زاد شيفر على هذه النظرية وراعى كافة هذه المسائل (الموقع، إرتفاع المكان، الفصل، درجة الحرارة، رطوبة المكان ونسبة التلوث، إلخ..) ولكن سرعان ما كان يتضح أن هناك عوامل أخرى مؤثرة لم تكن بالحسبان (حسب إعترافاتهم).

٤- حدة البصر كانت أيضاً محط نظر الباحثين مثل شيفر الذي اتضح من أبحاثه (١٩٩٢م) أن حدة البصر ترفع إحتمال الرؤية بنسبة ١٠ % في المعدل.

كذلك يشكل عمر المشاهد عاملاً يؤثر إلى حدٍ ما على إحتمال الرؤية ويعود ذلك إلى عوامل فيزيولوجية في العين. والخبرة الرصدية أيضاً تشكل عاملاً مهماً في إرتفاع نسبة إحتمال الرؤية بحوالي ١٠ % (كذلك حسب أعمال دوجت وشيفر دائماً).

٥- الخطأ الموجب (كما أسماه شيفر ودوجت) وهو أن يعلن مشاهدون أنهم رأوا الهلال وهو غير موجود (نظرياً) أو غير قابل للرؤية، وقد بيّن دوجت وشيفر (١٩٩٢م) أن هذا الإحتمال موجود فعلاً وقدّرا هذا الإحتمال بنسبة ١٥ % أي بمعدل شخصين كل ثلاثة عشر شخصاً.

٦- عرض القمر أيضاً من العوامل الرئيسية في مسألة رؤية الهلال ولذا نجد أن الباحثين لم يتفقوا على نظريات صحيحة وموحدة بهذا الشأن مما يزيد المسألة تعقيداً.

أضف إلى ذلك ظاهرة إنكسار الضوء وإنعكاسه وتشتته في الهواء، مما يجعل الراصد يرى بعض الضوء قبل شروق الشمس وبعد غروبها وتعرف هذه الظاهرة بإسم الشفق. فلا يسير النظر بإتجاه الهدف بشكل مستقيم بل ونتيجة لعامل إنكسار الضوء يسير إليه بصورة محدودبة مما يجعل المرئي في غير محله الواقعي.

وأمور أخرى كثيرة لها تأثيرها على إمكانية الرؤية وعدمها قد تكون غائبة عن الراصد الفلكي لأنها تكون وليدة ساعتها ويومها بحيث لا يستطيع التنبؤ بها قبل حدوثها بفترة زمنية من قبيل ما يسمى "بإجهاض الولادة" حيث يرى الهلال في بقع من الأرض دون غيرها ولفترة محدودة ثم يعود القمر إلى المحاق وذلك بسبب بعض الفجوات أو الجيوب الجغرافية للأرض.

مع المهندس مُحَمَّد علي الصائغ في تقويمه : يعتبر تقويم الصايغ من أهم التقاويم الإسلامية المعتمدة وهو الأقرب إلى الصواب حيث نجده يراعي الكثير من الضوابط والإحتياطات من الناحيتين العلمية والشرعية. ولكن لننظر ماذا يقول في بداية تقويمه تحت عنوان ملاحظات تتعلق بإستخدام التقويم:

أولاً: إن الحسابات المذكورة حسابات تقريبية تفيد الظن القوي أو الإطمئنان في بعض الأحيان، ولا تفيد العلم اليقين ولذلك لا بد من الأخذ بعين الإعتبار الأدلة الشرعية الدالة على حجية شهادات الثقات إذا لم يحصل العلم أو الإطمئنان بمخالفة الشهادات للواقع لأن العلم والإطمئنان حجتان شرعيتان.

ثانياً: لثبوت أول الشهر القمري ينبغي إما أن يشاهده المكلف بنفسه أو شهادة شاهدي عدل أو الإطمئنان الحاصل من الشياع أو إكمال عدة الشهر السابق[٢٥٠].

أيضاً نلاحظ الخلافات التي أوردها المهندس الصائغ[٢٥١] فهو يقول: أما مدة مكث القمر تحت الشعاع، فبعد خروجه من المدار ما يقرب ثمان درجات، فإذا كانت الدرجة الواحدة تستغرق ساعتين فإذن يخرج القمر من تحت الشعاع بعد ١٦ ساعة تقريباً.

وقد علّق الدكتور عبد الكريم غزلون من الجزائر في بحثه المقدم إلى ندوة الأهلة والمواقيت بقوله: "إن تحديد البعد الزاوي بثمان درجات، هو إفتراض ما زال يقبل الإجتهاد لأنه لم يقم على تجارب رصدية كافية. والدكتور حسين كمال الدين في كتابه تعيين أوائل الشهور العربية قدّر البعد المطلوب بعشر درجات".

وكما مرّ معنا فإن بعد الثمان درجات تم إعتماده بناءً على قرارات مؤتمر اسطنبول وهي قرارات غير ملزمة للأسباب التي مرّ ذكرها قبل قليل عند كلامنا حول حد دانجون.

---

٢٥٠- رؤية الهلال والمواقيت وتقويم عام ١٤١٩ هـ.ق ، صفحة ١٣٣.

٢٥١- في تقويمه لعام ١٤١٣ هـ.ق - ١٩٩٢-١٩٩٣م .

ثم أن الفلكيين قد إختلفوا في تحديد الزمن اللازم مروره من وقت الإقتران إلى وقت التمكن من رؤية الهلال رؤية بصرية في الجو الصحو وبالبصر الطبيعي والحواس السليمة .

ونلاحظ الفرق الكبير بالساعات فهو من ٧.١٦ ساعة إلى أكثر من ٢١ ساعة بعد الإقتران وبالبعد عن الشمس من ٤ إلى ١٢ درجة تقريباً والمكث بعد الإقتران من ١٦ دقيقة إلى ٥٠ دقيقة.

من فمك أدينك : وأخيراً لا بد أن نورد بعض النصوص الواضحة على لسان بعض المتخصصين في علم الفلك أنفسهم حيث نجدهم يوضحون مدى التناقض والتفاوت بين النظري والعلمي.

يقول الصائغ[٢٥٢] ما نصه: ولما كان الهلال القابل للرؤية يعتمد على مجموعة متغيرات منها البعد الزاوي (بُعد سوى) والمكث بعد غروب الشمس وإرتفاع الهلال وكذلك لمكان القمر من المدار حول الأرض (الأوج والحضيض) ولعرض القمر أثر مهم في الرؤية كما وأن لحالة الجو وحدّة البصر والخبرة بالمنزلة أثرها الكبير في إمكانية الرؤية.

ولذلك قد يرى الهلال في ظروف وقد لا يرى في ظروف أخرى. وقد رأينا في سنوات، أن هلالاً قد ثبت شرعاً مع إنعدام أهم شروط الرؤية، كما أن هلالاً إستجمع كل الشروط من الناحية النظرية ولكنه صعب على الرؤية إلى درجة أنه لم يره إلا عدد قليل جداً مع أن مكثه كان حوالي ٢٨ دقيقة.

أما هلال شهر شوال لعام ١٤١٣هـ.ق فإن ظروفه لم تكن تعطي للحاسب الإطمئنان بل على العكس كانت تدعو إلى الشك بإمكانية الرؤية. ولكن المفاجأة كانت أن هذا الهلال رؤي من قبل كثيرين إلى درجة وصلت إلى حد الشياع.

لذلك فإن التقويم وهو مبني على الحسابات النظرية والمستندة إلى الضوابط الفلكية ما هو إلا مرشد لبدايات الشهور، وليس حجة للثبوت فإذا طابق الواقع فيها ونعمت وإلا فإن ثبوت الهلال مرهون بالظروف وكان أول الشهر حسب ما يقرره الشرع، والله هو العاصم من الخطأ[٢٥٣].

ويضيف الصائغ في معرض حديثه عن الإختلاف بين الفلكيين: ومن الواضح أن المكث لوحده ليس كافياً إذ لا بد من توفر شروط أخرى، لذا فإن تعيين ضابطة كلية لرؤية الهلال عند الفلكيين من الأمور المستحيلة وما أوردوه هو على سبيل التقريب[٢٥٤].

---

٢٥٢- كتاب : رؤية الهلال والمواقيت في المناطق غير المعتدلة وتقويم عام ١٤١٩هـ.ق .

٢٥٣- تقويم الصائغ لعام ١٤١٩هـ.ق ، صفحة ٣٤- ٣٦ .

ويضيف: هذا وبالتتبع لاحظ المراقبون للهلال ما يلي (كأمثلة فقط):

أ- إن هلال شهر شوال لعام ١٤١٥هـ.ق كان يمكث في بلدان المنطقة وقتاً قصيراً ففي الكويت مثلاً كان مكثه أقل من عشر دقائق وكان إرتفاعه أقل من درجتين وبعده الزاوي حوالي ٤.٤١ درجة .

وهو لا يعطي فرصة لتخلّق النور الكافي للرؤية (ما زال تحت شعاع الشمس) وكان هناك قطع لدى الفلكيين بعدم إمكانية الرؤية، ومع ذلك فإن هذا الهلال ثبت بالرؤية الشرعية، ومن قبل جمع كبير وفي عدة بلدان إسلامية ومنها الكويت.

ب – وهذه ليست الحالة الفريدة فقد ثبت في بيروت في إحدى السنوات ولم يكن قد ولد عند غروب الشمس، إذ أن مولده حسابياً كان بعد غروب الشمس ذلك اليوم، ولكن كثرة الشهود أدت إلى قناعة بوجوده.

وهذه الظاهرة وإن كانت تحدث في لبنان بقلة فإنها تحدث في الجزيرة العربيةو أمام لجان الرؤية وبكثرة كما حدث في هلال رمضان لهذا العام (١٤١٨ هـ ١٩٩٧ . ١٩٩٨ م)[٢٥٥].

ومن المفيد الإشارة بهذا الصدد إلى ما ورد في تقويم[٢٥٦] مصر، ملاحظة بالنسبة للإستهلال يقول: لقد ثبت أن هناك إمكانية لرؤية الهلال قبل بلوغ البعد الزاوي ٨ درجات ما دام أن القمر موجود فوق الأفق، بعد غروب الشمس.

ولذلك فإن موعد الإهلال المكتوب في جداول كل شهر لا يعني عدم إمكانية رؤية الهلال ما دام الهلال قد ولد. ويقوم الفلكيون حالياً بإعادة دراسة ذلك. ومن الواضح[٢٥٧] أن التنبؤ بإمكانية رؤية الهلال شيء غير سهل أو لم يصل على الأقل إلى درجة الدقة والثقة العلمية التامة[٢٥٨].

يسألونك عن الأهلة وأخيراً : فإن هذا غيض من فيض مما يدل على عدم إمكانية الإعتماد في أمر الهلال على علم الفلك وعلى المراصد، فإن هذا العلم مهما تقدم وتكامل فلن يكون بديلاً عن الوسائل الإلهية التي أراد الله لعباده أن يصلوا من خلالها إلى أداء تكاليفهم الشرعية.

---

٢٥٤- نفس المصدر ص ٤٣.

٢٥٥- نفس المصدر ، صفحة ٤٤ — ٤٥ .

٢٥٦- تقويم الحساب الفلكي الهجري ١٤١٦هـ.ق مصر، الدكتور المهندس عبد القادر حمزة.

٢٥٧- والدكتور كوشك من المهتمين بالحسابات الفلكية وهو يشغل منصب الأمين العام لمنظمة العواصم والمدن الإسلامية. ومن الواضح كما صرح الدكتور كريم مزيان والدكتور نضال قسوم.

٢٥٨- جاء هذا في كتاب إثبات الشهور الهلالية صفحة ٧٩ .

ومن البديهي لكل عاقل أن لا يزيل اليقين بالظن، فالرؤية هي الطريقة الصحيحة للوصول إلى اليقين بينما نجد أن العلم لم يصل إلى تلك المرحلة من اليقين بل في كل يوم نجد أخطاءً ونظريات وضعية تتغير وتتبدل وهذا الأمر سوف يستمر هكذا .

وربما لن يستطيع علماء الفلك أنفسهم يوماً ما أن يقولوا أن نظرياتهم تفيد اليقين القطعي على الإطلاق بل نبقى نسمع عن مركبات فضائية اختفت هنا وهناك وعن تناثر للنجوم خالف توقعات الفلكيين كما حصل في عام ١٩٩٨م مع أنها ظاهرة فلكية ثابتة تتكرر بإستمرار كل ثلاثين سنة فإذا كانوا لا يخطئون فلماذا كل هذه التناقضات عندهم يا ترى؟! .

وإذا كانوا عاجزين عن رصد الأحوال الجوية بشكل دقيق فهل يستطيعون ما هو أعظم بكثير؟! وناهيك عن الناحية الشرعية لمسألة الرؤية، فإن الحكم الشرعي لا يترتب على واقع الولادة للهلال، وإنما هو مترتب على الهلال المتولد الذي أصبح قابلاً للرؤية.

يقول الله تعالى (ويسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج) والذي يسألون عنه هو الهلال نفسه، أي ما يهل عليك وتقابله بوجهك ولذلك سمي "هلالاً" والميقات هو التولد الواقعي بحيث يصبح الهلال مرئياً.

فهو من قبيل الأحكام التي تتعلق بالإنسان الذي بلغ من العمر تسع سنوات أو خمس عشرة سنة، فلو نقص عنها يوماً واحداً لم تتعلق به تلك الأحكام كوجوب الصلاة ونحوه. وليس من قبيل الأحكام المتعلقة بالإنسان مطلقاً كحرمة قتله حتى لو كان عمره ساعة واحدة.

وإذا كانت الرؤية مأخوذة على نحو الطريقية، فهي طريق لأيّ هلال؟ هل للهلال المتولد فلكياً؟ أم للهلال القابل للرؤية؟ .

فلو كان تحقق الشهر بنفس خروج القمر من تحت الشعاع، أو كونه فوق الأفق بلا مدخلية للرؤية لكانت الأحكام الواردة على دخول الشهر أيضاً تابعة لخروجه من تحت الشعاع أو كونه فوق الأفق، بلا مدخلية للرؤية، وهذا مساوق لطرح الروايات المستفيضة بل المتواترة ورفضها، لا يكاد يسلمه من له أدنى ذوق فقهي فكيف يمكن الإلتزام به مع إناطة الروايات بخصوص الرؤية بلسان النفي والإثبات كما سيأتي بعد قليل.

وأما ما ورد من قيام الإمارات مقام الرؤية إنما هو بأدلة خاصة كما نلاحظ من الرويات الكثيرة والفتاوى، بحيث أطبق النص والفتوى وادُّعي الإجماع على كفاية البينة القائمة على رؤية الهلال ليس غير، فشهادة العدلين مثلاً تقوم على رؤيتهما للهلال، والشياع المفيد للإطمئنان أيضاً الإطمئنان برؤية الهلال.

إذاً الرؤية الوجدانية تعلقت بوجود الهلال والبينة تعلقت بالرؤية، فتعلقت بالمتعلِّق فالعبرة بتحقق الرؤية الخارجية الفعلية، وبها يصير الشهر هلالياً شرعياً تدور عليه الأحكام. ولهذه المناسبة صارت الرؤية دخيلة في تحقق الشهر بما يرتب عليه الشارع من الإحكام فتصير جزءاً للموضوع، على نحو الطريقية الخاصة المعبر عنها بالموضوعية، أو الصفتية.

أضف إلى ذلك أن الرؤية ليست مأخوذة على نحو الطريقية، وذلك لعدم قبول شهادة النساء فيها إذ لو كانت مأخوذة على نحو الطريقية لقبلت شهادتهن. فإذا شهد عندنا مئة إمرأة أنهن رأينه فلماذا لا تقبل شهادتهن يا ترى؟!.

فإذا كان الرؤية هي إحدى الوسائل لمعرفة بداية الشهر فلماذا إستثنى رؤية النساء حتى لو كنّ عادلات تقيات مؤمنات.؟!.

وأيضاً من الناحية الشرعية فإن مسألة ثبوت الهلال خاصة هلال شهر رمضان وشوال ليست خاضعة للتقليد، فعلى كل مكلف أن يحصّل اليقين بها شخصياً. بحيث لو أن شخصاً رأى الهلال (هلال شهر رمضان) ولم يره أحد غيره فتكليفه هو الصيام ولو لم يصم أحد. ومرجع التقليد إنما يعطي فقط الضابطة والقاعدة الشرعية.

فعندما يفتي المرجع ـ مثلاً ـ بحرمة شرب المسكر يكون التشخيص على المكلف هل هذا مسكر أم لا ؟!. أضف إلى ذلك أنه لا يوجد من المراجع ـ من المتقدمين والمتأخرين ـ من يقول بحجية الحسابات الفلكية في إثبات أول الشهر القمري إطلاقاً.

تواتر الروايات : وأهل البيت عليهم السلام قد بينوا لنا الطريقة الصحيحة واليقينية لذلك حيث جاء عنهم الكثير من الروايات الصريحة والصحيحة نذكر منها :

عن الصادق عليه السلام حيث سئل عن هلال شهر رمضان يغم علينا في تسع وعشرين من شعبان فقال: لا تصم إلا أن تراه. وعنه أيضاً عليه السلام: ليس على أهل القبلة إلا الرؤية وليس على المسلمين إلا الرؤية.

وأيضاً عن الصادقعليه السلام : صم لرؤية الهلال وأفطر لرؤيته، فإن شهد عندك شاهدان مرضيان بأنهما رأياه فأقضه. وقد تواتر عن رسول اللهصلى الله عليه وآله الحديث المعروف: صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته . أو . إذا رأيتموه فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا.

وعن الإمام الباقرعليه السلام: إذا رأيتم الهلال فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا، وليس بالرأي ولا بالتظني ولكن بالرؤية[٢٥٩] .

وعن الرضاعليه السلام: صيام شهر رمضان بالرؤية وليس بالظن[٢٦٠] .

وعن الصادقعليه السلام: صم لرؤيته وأفطر لرؤيته، وإياك والشك والظن، فإن خفي عليكم فأتموا الشهر الأول ثلاثين[٢٦١] .

وعن الإمام العسكريعليه السلام: قال: لا تصم إلا بالرؤية[٢٦٢] .

والكثير من الأحاديث والروايات التي لا يمكن جمعها ولا تحتاج إلى تعليق لأنها واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار وخاصة إذا لاحظنا أن الإمام إستعمل الحصر بحيث قال: إلا للرؤية . هذا واضح بأن الصيام يكون فقط للرؤية مما يؤكد أن الرؤية لم تؤخذ على نحو الطريقية ..

وأخيراً لا بأس بذكر بعض فتاوى المراجع وآراء كبار العلماء حول إثبات هلال شهر رمضان وشوال: فقد سئل المرجع الكبير السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي ما يلي:

سؤال : لو حصل الإطمئنان الشخصي بصحة الحسابات الفلكية لتوليد الهلال فهل يمكن الإعتماد على هذا الإطمئنان في إثبات أول الشهر أو العيد مثلاً؟ وخاصة إذا صدرت عن أهل الخبرة في هذا المجال؟.

فأجاب سماحته : لا أثر للإطمئنان بتولده، بل ولا الإطمئنان بقابليته للرؤية بل لا بد من الرؤية خارجاً وثبوتها للمكلف[٢٦٣] .

---

٢٥٩- الكافي ج ٤ ص ٧٧ .

٢٦٠- وسائل الشيعة ج ١٠ ص ٢٥٣ .

٢٦١- الإستبصار ج ٢ ص ٦٤، التهذيب ج ٤ ص ١٥٨، وسائل الشيعة ج ١٠ ص ٢٥٥.

٢٦٢- التهذيب ج ٤ ص ١٦٧، وسائل الشيعة ج ١٠ ص ٢٥٩.

٢٦٣-كتاب المسائل الشرعية للسيد الخوئي ج ١ ص ١٩٨ طبعة دار الزهراء .

وقال العلامة الحلي في تذكرة الفقهاء : ولا يجوز التعويل على الجدول ولا على كلام المنجمين، لأن أصل الجدول مأخوذ من الحساب النجومي في ضبط سير القمر وإجتماعه بالشمس، ولا يجوز المصير إلى كلام المنجم ولا الإجتهاد فيه . وهو قول أكثر العامة . لما تقدم من الروايات ولو كان المنجم طريقا ودليلاً على الهلال لوجب أن يبينه عليه السلام للناس لأنه في محل الحاجة إليه ولم يجز له عليه السلام حصر الولادة في الرؤية والشهادة[٢٦٤] .

والسيد مُحَمَّد باقر الصدر في الفتاوى الواضحة يقول: ولا وزن للرؤية المجهرية والأدوات والوسائل العلمية المكبرة وإنما المقياس إمكان الرؤية بالعين الإعتيادية المجردة وتلك الوسائل العلمية يحسن إستخدامها كعامل مساعد على الرؤية المجردة وممهد لتركيزها.

ويقول: .. وعلى العموم لا يجوز الإعتماد على الظن في إثبات هلال شهر رمضان وإثبات هلال شهر شوال ولا على حسابات المنجمين الذين لا يعوّل على أقوالهم في هذا المجال عادة[٢٦٥] .

والشيخ زين الدين يقول : ولا يثبت . يعني الهلال . بقول المنجمين وأشباههم من علماء الفلك، وإن كانوا ثقاة أو عدولاً[٢٦٦] .

والسيد مُحَمَّد سعيد الحكيم حيث سئل: س: المفهوم من الرسائل العملية للعلماء أنه لا يجوز الإعتماد على أجهزة الفلك في ثبوت هلال شهر رمضان فهل ينطبق هذا الأمر على بقية شهور السنة القمرية لا سيما شهر ذي الحجة؟ .

فأجاب: نعم ينطبق ذلك على جميع الشهور، فلا يصح الإعتماد فيها على ما لا يوجب العلم بظهور الهلال إلا البينة[٢٦٧] .

الشيخ الأجل القاضي إبن البراج في كتابه شرح جمل العلم والعمل لشيخة الأعظم السيد المرتضى قال: إعلم أن رؤية الهلال هي المعتبر والذي عليه يعتمد في الصوم والفطر وذلك لم يخالف فيه أحد من المسلمين[٢٦٨] .

---

٢٦٤- تذكرة الفقهاء ١٣٧/٦ طبعة ١٤١٥هـ.ق . قم . مؤسسة أهل البيت .

٢٦٥- الفتاوى الواضحة ص ٥٠٦ و ٥١٥.

٢٦٦- كلمة التقوى ج ٢ ص ٧٥.

٢٦٧- الفتاوى "إستفتاءات" ص ١٠٦.

٢٦٨- رسالة حول رؤية الهلال للسيد مُحَمَّد حسين الطهراني: ص ١٤٥.

والسيد مُحَّد حسين الطهراني حيث يقول: ثم إن كثيراً من الأصحاب إدعوا الإجماع على انحصار طريقية الرؤية وإدعوا خلافه خلاف المذهب، ومنهم الشيخ الطوسي في التهذيب.

والسيد الإمام في تحرير الوسيلة يقول: ويثبت الهلال بالرؤية وإن تفرد به الرائي والتواتر والشياع المفيدين للعلم، ولا إعتبار بقول المنجمين[٢٦٩].

ونقل العلامة المجلسي عن شيخ المتكلمين محمود بن علي الحمصي كلاماً له حول علم النجوم حيث يقول: فإن قيل كيف ينكرون الأحكام وقد علمنا أنهم يحكمون بالكسوف والخسوف ورؤية الأهلة ويكون الأمر على ما يحكمون في ذلك؟ قلنا: إن إخبارهم عن الكسوف والخسوف ورؤية الأهلة فليس من الأحكام إنما هو من باب الحساب[٢٧٠].

وأيضاً فيما أورده صاحب البحار: وسأل السيد مهنان بن سنان العلامة ما يقول سيدنا فيما يقال إن كسوف الشمس بسبب حيلولة جرم القمر بينه وبين الشمس، وإن سبب خسوف القمر حيلولة الأرض ويدل على ذلك ما يخبر به أهل التقويم فيطابق أخبارهم؟.

فأجاب إستناد الكسوف والخسوف إلى ما ذكره مستند إلى الرصد، وهو أمر ظني غير يقيني[٢٧١] .

وذكر العلامة المجلسي في بحار الأنوار: ومنها علم الهيئة والنظر في هيئات الأفلاك وحركاتها وجوازه لا يخلو من قوة إذا لم يعتقد فيه ما يخالف الآيات والأخبار كتطابق الأفلك ولم يجزم بما لا برهان عليه.

وأما ما ذكره الشهيد في إستحباب النظر في علم الهيئة فإنما هو إذا ثبتت مطابقة قواعده كما هي عليه في نفس الأمر وعدم إشتماله على قاعدة مخالفة لما ظهر من الشريعة، وإلا فيكون بعضها داخلاً في القول بغير علم، أو فيما حرّم اتباعه لمخالفة الشريعة.

ومنها الحكم بالكسوف والخسوف وأوائل الأهلة والمحاق وأشباه ذلك فالظاهر جوازه، وإن كان الأحوط إجتناب ذلك أيضاً، فإن الأحكام الشرعية فيها مبنية على الرؤية لا على أحكام المنجمين بذلك وبالجملة ينبغي للمتدين المتبع لأهل بيت العصمةعليهم السلام المدّعي لكونه شيعة لهم مقتدياً لآثارهم أن لا يتعرض لشيء من ذلك إلا في قليل منه يتعلق بمعرفة أوقات الصلوات.. ولو كانت هذه العلوم

٢٦٩- تحرير الوسيلة ج ١ ص ٢٧٠.

٢٧٠- البحار ج ٥٥ ص ٢٩٨ طبعة مؤسسة الوفاء – بيروت .

٢٧١- نفس المصدر . ص ٣٠٨ .

والأعمال مما له مدخلية في صلاح الدين لأمر أئمتنا عليهم السلام شيعتهم بذلك ورغبوهم فيها وحثوهم عليها وعلموهم قواعدها.

وفي هذه الأزمان تركوا جميع ذلك واكتفوا بالرجوع إلى التقاويم وأصحاب النجوم واتكلوا عليها. وقد أطنبنا الكلام قليلاً في هذا المقام لكثرة ولوع الناس بهذا العلم والعمل به، وتقربهم إلى الملوك بذلك، فيوقعون الناس في المهالك، والله العاصم من فتن المبتدعين، والهادي إلى الحق واليقين[٢٧٢]. إنتهى.

والسيد مُحَّد العاملي في مدارك الأحكام الذي هو شرح لكتاب شرائع الإسلام للعلامة الحلي حيث يقول في شرحه لعبارة العلامة أولاً اعتبار بالجدول.. ولا بالعدد: وهو حساب مخصوص مأخوذ من سير القمر وإجتماعه بالشمس ولا ريب في عدم إعتباره لأستفاضة الروايات بأن الطريق إلى ثبوت دخول الشهر أحد أمرين :

إما رؤية الهلال أو مضي ثلاثين يوماً من الشهر المتقدم ولو كان الرجوع إلى المنجم حجة لأرشدوا إليه وأيضاً فإن أكثر أحكام التنجيم مبني على قواعد ظنية مستفادة من الحدس الذي يخطئ أكثر مما يصيب.

وأيضاً فإن أهل التقويم لا يثبتون أول الشهر بمعنى جواز الرؤية، بل بمعنى تأخر القمر عن محاذاة الشمس ليرتبوا عليه مطالبهم من حركات الكواكب وغيرها ويعترفون بأنه قد لا يمكن رؤيته، والشارع إنما علّق الأحكام على رؤية الهلال لا على التأخر المذكور[٢٧٣].

والشيخ الطوسي في كتابه الخلاف حيث قال تحت عنوان "فيما يثبت به رمضان ويجب صومه" قال: علامة شهر رمضان وجوب صومه أحد شيئين:

إما رؤية الهلال أو شهادة شاهدين، فإن غم عد شعبان ثلاثين يوماً، ويصام بعد ذلك بنية الفرض، فأما العدد والحسابات فلا يلتفت إليهما ولا يعمل بهما وبه قالت الفقهاء أجمع، وحكوا عن قوم شذاذ أنهم قالوا: يثبت بهذين وبالعدد فإذا أخبر ثقات من أهل الحساب والعلم والنجوم بدخول الشهر وجب قبول قولهم، وذهب قوم من أصحابنا إلى القول بالعدد، وذهب شاذ منهم إلى القول بالجدول.

---

٢٧٢- بحار الأنوار ج ٥٥ ، ص ٣١٠ . ٣١١ طبعة مؤسسة الوفاء . بيروت ، لبنان .

٢٧٣- انظر : مدارك الأحكام للسيد مُحَّد بن علي الموسوي العاملي متوفي سنة ١٠٠٩ هـ.ق طبع وتحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام .

ودليلنا الأخبار المتواترة عن النبيﷺ فيما يعارضها من شواذ الأخبار وأيضاً قوله تعالى "يسئلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج" فبين أن الأهلة يعرف بها مواقيت الشهور والحج ومن ذهب إلى الحساب والجدول لا يراعي الهلال أصلاً وذلك خلاف القرآن"[٢٧٤].

والسيد السيستاني أيضاً في رسالته العملية "منهاج الصالحين" يؤكد على ذلك.

والسيد مُحَّد الصدر في فقه الموضوعات الحديثة[٢٧٥]، حيث يقول: ثبوت الهلال بالمرصد الفلكي ليس بحجة وإنما لا بد من رؤية العين المجردة الطبيعية.

وكافة المراجع يتكلمون عن هذه المسألة . عدم ثبوت الهلال بقول المنجمين . في رسائلهم العملية تحت عنوان "ثبوت الهلال" فليراجع من أراد ذلك.

وتلاحظ أن التركيز في فتاوى العلماء دائماً يكون على الإطمئنان وكما سبق فإن قول الفلكي لا يوجب الإطمئنان إطلاقاً بحسب إعتراف علماء الفلك أنفسهم وكافة علمائنا شككوا بقطعية علم الفلك ولم يقل أحد منهم بإمكانية الإعتماد عليه سوى ببعض الأمور مثل مواقيت الصلاة والشروق والغروب والمبنية أيضاً على الإحتياط .

وما يصدر أحياناً من أصوات تنبعث من هنا وهناك تحاول الإيحاء بأن علم الفلك قد وصل إلى مستوى من الدقة يقرب من معادلة واحد زائد واحد يساوي إثنين يتبين أنها ليست سوى إدعاءات باطلة أو على الأقل مبالغ فيها كثيراً لأن الوقائع تؤكد خلاف ذلك.

وقد كتب العلامة . الفيلسوف . السيد مُحَّد حسين الطهراني رسالة، أسماها: "رسالة حول مسألة رؤية الهلال" وتفيد هذه الرسالة بالبرهان العلمي والدليل الشرعي، أن الشهور القمرية يجب أن تبدأ برؤية الهلال في الليلة الأولى وأن قول المنجمين (الفلكيين) على أساس الحساب والرصد ليس حجة شرعية".

وبناء على ضرورة الآيات القرآنية وإجماع أهل الإسلام وسنة رسول اللهﷺ إذ قال "صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته" فإن الشهور القمرية جميعها ينبغي أن تتحقق بمشاهدة الهلال فوق الأفق .

وأينما رئي الهلال بدأ الشهر، لذلك صحت الفتوى المشهورة القائلة بأن دخول الشهر القمري تابع للرؤية، وأن كل نقطة في العالم تابعة لأفقها".

---

٢٧٤- الخلاف ج ١ ص ٣٤١ .

٢٧٥- فقه الموضوعات الحديثة ، ص٥٩ .

وقد إشتملت الرسالة على بحوث فنية ذات أسلوب رسائلي تتكفل بعلاج كل إشكال وقطع دابر كل خلاف.

مع الدكتور النعيمي أيضاً: وقد حاول البعض أن يستفتي العالم الفلكي الدكتور حميد النعيمي ـ مدير معهد علم الفلك في جامعة أهل البيتعليهم السلام في عمان ـ فجاءت أجوبته على عكس ما أرادها السائل.

ومما قاله: ..ونجد غالباً ما يحدث الخطأ الموجب عند عدم وجود الهلال يوم التاسع والعشرين من ذلك الشهر وعند غروب الشمس ولكن قد تكون النسبة أكثر من ١٥ % أو أقل، لأنه حساب الـ ١٥ % تمت من خلال إحصاءات لحالات معينة وليست عامة، ولكن مع ذلك فلها نوع من الصحة، ولكن هذا لا يعني أن الحسابات بالنسبة لولادة الهلال غير دقيقة، وإنما الإعلان عن الرؤية عند عدم وجود الهلال حسابياً غير دقيق.

ويضيف: عند عمر ١٢ ساعة تكون الرؤية صعبة جداً ومستحيلة للفرد العادي، ولكن للراصد الخبير ممكنة بعد حساب موقع الهلال في السماء الغربية (يسار الشمس ويمينها) بُعد الهلال عن الأفق وبعده عن الشمس (أي حساب إحداثياته بكل دقة وإدخالها في ذاكرة الأجهزة الفلكية)، فضلاً عن صفاء السماء وبُعد موقع الرصد عن مراكز المدن وأنواع التلوث وعلى إرتفاعات مناسبة.

غير أن الرؤية مستحيلة للجميع لعمر أقل من ١٢ ساعة، وطبيعي أن عمر الهلال غير كاف لتقدير رؤية الهلال، لأنها تحتاج إلى حساب مدة المكث وموقع إحداثيات الهلال فضلاً عن نسبة إنعكاسية سطح الهلال[٢٧٦].

وبعد هذا وذاك من تواتر لروايات أهل بيت العصمةعليهم السلام كم صرّح بذلك شيخ الطائفة الطوسي والنهي الواضح والصريح عن الأخذ بالظن والشك وأقوال العلماء بل إجماعهم على عدم الأخذ بقول الحسّاب والمنجمين الفلكيين والجداول الفلكية .

هل يمكن الإعتماد على الحسابات الفلكية في صومنا وإفطارنا؟!.

وهل يمكن لليقين أن يزال بالظن؟ .

---

٢٧٦- انظر : ثبوت الهلال لمحمد الحسيني طبعة دار البروج – ملحق .

والنظريات الوضعية بل هل يمكن نسخ حكم إلهي واضح وقطعي بمجموعة قوانين قائمة على عشرات التجارب المتناقضة؟.

**٧- سنة العبادة وسنة العادة :**

ظهر في العصر الحديث مصطلحان هما : سنة العبادة ، وسنة العادة. ويرى القائلون بضرورة التمييز بين سنة العبادة وسنة العادة أن الشرع خاطبنا بسنة العبادة خطاب وجوب أو ندب ، أو إباحة ، أو حرمة ، أو كراهة .

فسنة العبادة تتضمن حكماً يقتضي الديمومة. أما ما ورد في أمور العادات فإنه لا يعدو أن يكون إجراءات تلائم الظروف لأن العادات تتغير من جيل إلى جيل.

وقد يرى ولاة الأمر عادات جديدة، وفي فعلها أو تركها منعةٌ وفائدة للمسلمين ، فيأمرون بها أو ينهون عنها ، وعلى المسلمين السمع والطاعة ، مع التأكيد على أن ما اختاره الولاة في زمان ومكان معينين لا يُلزم غيرهم بذلك.

وهناك عادات أمر بها الرسولﷺ هي من باب الآداب. ولا يظنَّ ظانٌ أن الخلاف في دلالة النصوص الواردة في العادات حادثٌ في هذه الأمة ، فإن جيل الصحابة ومن بعدهم قد اختلفوا في فهم المقصود من الأمر النبوي في العادات ، حتى وإن عُلِّل عدد منها بمخالفة الكفار وأهل الكتاب، وقد رأيت أن أضرب أمثلة توضح هذه المسألة ، وتهبنا معرفة تساعدنا على حسن التعامل مع النصوص الواردة في العادات.

العادات المعَلَّلة : عن ابن عباس قال : كان النبيﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه ، وكان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم ، وكان المشركون يفرقون ، فسدل النبيﷺ ناصيته ، ثم فَرَقَ بَعْدُ[٢٧٧] .

قال ابن حجر[٢٧٨] : وكأن السر في ذلك أن أهل الأوثان أبعد عن الإيمان من أهل الكتاب ، ولأن أهل الكتاب يتمسكون بشريعة في الجملة ، فكان يحب موافقتهم ليتألفهم ، ولو أدت موافقتهم إلى

٢٧٧- رواه البخاري في كتاب اللباس – باب الفرق.

٢٧٨- فتح الباري ١٠ / ٣٦١ – ٣٦٢ .

مخالفة أهل الأوثان. فلما أسلم أهل الأوثان الذين معه والذين حوله، واستمر أهل الكتاب على كفرهم تمحَّضت المخالفة لأهل الكتاب.

وبعد أن أشار ابن حجر إلى عدد من الأحاديث النبوية الحاضة على مخالفة أهل الكتاب في خصوصياتهم ، نقل عن القاضي عياض قوله:

والفَرْقُ سنةٌ لأنه هو الذي استمر عليه الحال، ومال ابن حجر إلى أن الفرق كان بوحي، أخذاً من سياق الحديث كان النبيﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء.

ثم نقل عن القرطبي ما استظهره من أن الذي كان يفعلهﷺ إنما هو لأجل استئلافهم ، فلما لم ينجع فيهم أحب مخالفتهم ، فكانت مستحبة لا واجبة عليه. وقول الراوي فيما لم يؤمر فيه بشيء أي: لم يُطلب منه ؛ والطلب يشمل الوجوب والندب.

وأما توهُّم النسخ في هذا فليس بشيء لإمكان الجمع، بل يُحتمل أن لا تكون الموافقة والمخالفة حكماً شرعياً إلا من جهة المصلحة ولو كان السدل منسوخاً لصار إليه الصحابة أو أكثرهم ، والمنقول عنهم أن منهم من كان يفرق ومنهم من كان يسدل ، ولم يعب بعضهم على بعض.

ومثلاً عن أبي هريرة قال: قال النبيﷺ: إن اليهود والنصارى لا يصبغون، فخالفوهم[٢٧٩]. قال ابن حجر[٢٨٠]: قوله : إن اليهود والنصارى لا يصبغون، فخالفوهم هكذا أطلق.

ولأحمد بسند حسن عن أبي أمامة قال: خرج رسول اللهﷺ على مشيخة من الأنصار بيض لحاهم. فقال: يا معشر الأنصار حمِّروا أو صفِّروا وخالفوا أهل الكتاب. وما نقلته عن فتح الباري يطرح قضيتين:

٢٧٩- رواه البخاري في كتاب اللباس - باب الخضاب.

٢٨٠- فتح الباري :١٠/ ٣٥٤ .

الأولى: هل صبغ الشيب واجب؟

وقد أختُلف في الخضب وتركه ؛ فخضب أبو بكر وعمر وغيرهما. وترك الخضاب علي وأُبيٌّ بن كعب وسلمة بن الأكوع وأنس وجماعة. وجمع الطبري بأن من صبغ منهم كان اللائق به ، كمن يستشنع شيبه ، ومن ترك كان اللائق به ، كمن لا يستنشع شيبه.

وعلى ذلك حُمل قولهﷺ في حديث جابر الذي أخرجه مسلم في قصة أبي قحافة، حيث قال لما رأى رأسه كأنه الثُّغامة بياضاً غيروا هذا وجنبوه السواد. فمن كان في مثل حال أبي قحافة استحب له الخضاب ، لأنه لا يحصل به الغرور لأحد ، ومن كان بخلافه فلا يستحب في حقه .

ولكن الخضاب مطلقاً أولى لأن فيه امتثال الأمر في مخالفة أهل الكتاب. إلا إن كان من عادة أهل البلد ترك الصبغ ، وأن الذي ينفرد بدونهم بذلك يصير في مقام الشهرة ، فالترك في حقه أولى[٢٨١].

الثانية : بأي لون يتحقق تغيير الشيب ؟.

إن من العلماء من رخص فيه في الجهاد ، ومنهم من رخَّص مطلقاً ، وأن الأولى كراهته ، وجنح النووي إلى أنه كراهة تحريم. وقد رخص فيه طائفة من السلف منهم: سعد بن أبي وقاص ، وعقبة بن عامر ، والحسن ، والحسين ، وجرير ، وغير واحد ، واختاره ابن أبي عاصم في كتاب الخضاب له .

وأجاب عن حديث ابن عباس رفعه يكون قوم يخضبون بالسواد لا يجدون ريح الجنة بأنه لا دلالة فيه على كراهة الخضاب بالسواد، بل فيه الإخبار عن قوم هذه صفتهم ، وعن حديث جابر جنبوه السواد بأنه في حق من صار شيب رأسه مستبشعاً، ولا يطرد ذلك في حق كل أحد.

وما قاله – أي : ابن أبي عاصم – خلاف ما يتبادر من سياق الحديثين. نعم يشهد له ما أخرجه هو عن ابن شهاب – الزهري – قال: كنا نخضب بالسواد إذْ كان الوجه جديداً ، فلما نفض الوجه والأسنان تركناه. وما رواه مسلم من حديث أنس بن مالك قال: اختضب أبو بكر بالحناء والكتم، واختضب عمر بالحناء بحتا وقال: وهذا يُشعر بأن أبا بكر كان يجمع بينهما دائماً.

٢٨١- فتح الباري : ٣٥٥/١٠.

والكتم نبات باليمن يخرج الصبغ أسود يميل إلى الحمرة، وصبغ الحناء أحمر، فالصبغ بهما معاً يخرج بين السواد والحمرة ، واستنبط ابن أبي عاصم من قوله: جنبوه السواد أن الخضاب كان من عادتهم[٢٨٢].

وعن عبد الله بن عمر عن النبيﷺ قال: خالفوا المشركين ووفروا اللحى، واحفوا الشوارب[٢٨٣]. وروى مسلم عن أبي هريرة قوله: خالفوا المجوس. وهو المراد بالمشركين. والحلال والحرام في الإسلام والخلاف الوارد في مسألة إعفاء اللحية، أن في حلق اللحية ثلاثة أقوال:

قول بالتحريم ، وهو الذي ذكره ابن تيمية وغيره. وقول بالكراهة ، وهو الذي ذُكر في (الفتح) عن عياض، ولم يذكر غيره. وقول بالإباحة ، وهو الذي يقول به بعض علماء العصر.

ولعل أوسطها أقربها وأعدلها – وهو الذي يقول بالكراهة – فإن الأمر لا يدل على الوجوب جزماً، وإن عُلِّلَ بمخالفة الكفار، وأقرب مثل على ذلك هو الأمر بصبغ الشيب مخالفة لليهود والنصارى، فإن بعض الصحابة لم يصبغوا ، فدلَّ على أن الأمر للاستحباب.

صحيح أنه لم يُنقل عن أحد من السلف حلق اللحية ، ولعل ذلك لأنه لم تكن بهم حاجة لحلقها، وهي عادتهم.

ونستنتج من الأمثلة المضروبة في الأحاديث المذكورة مسبقاً، ومن نُقول أهل العلم ، أموراً جديرة بالتأمل :

١– إن تربية المسلمين على استقلال الشخصية والابتعاد عن العادات التي يعتبرها غير المسلمين جزءاً من شخصيتهم الدينية أو الثقافية أمرٌ مستحبٌ شرعاً. بصرف النظر عن الأعمال التي تحقق ذلك مع كل جماعة دينية أو ثقافية في كل عصر.

٢– إن التميز عن غير المسلمين في العادات ينبغي أن يقوم على فقه يضع في الاعتبار ظروف الزمان والمكان والإنسان.

---

٢٨٢– ابن حجر، فتح الباري: ١٠/٣٥٤–٣٥٥ . الخلاف الوارد بخصوص الخضب بالسواد.

٢٨٣– رواه البخاري ورواه مسلم .

فرسول اللهﷺ كان في مرحلة يحرص على موافقة أهل الكتاب ، وكان يتعمد مخالفة المشركين ، ثم تغيرت الظروف فرأى أن الوقت قد حان للتميز عن أهل الكتاب في العادات. وهذا يفيد أن ما ورد فيه نهي أو أمر ليس مقصوداً لذاته ، وأنه من باب الإجراءات .

٣- إن النصوص الآمرة أو الناهية الواردة في العادات المعللة ، كمخالفة المشركين ، قد تفيد الوجوب أو التحريم ، وقد تكون للندب أو الكراهة ، وما جاء الأمر به معللاً لا يفيد أنه مأمور به في كل جيل وفي كل مكان.

وينبغي أن نحرص على مقاصد النصوص لكي نملك قدرة على اتخاذ إجراءات تربوية هادفة عند التعامل مع مِلَلٍ ومذاهب قديمة أو جديدة ، وحتى نعلم كيف نتعامل مع من يرى غير ما نراه في هذا المجال الاجتهادي.

العادات غير المعللة : فقد روى البخاري في (باب الشرب قائماً) من (كتاب الأشربة):

١- كما عن ميسرة قال : سمعت النزَّال بن سَبْرَة يحِّدث عن علي أنه صلى الظهر ثم قعد في حوائج الناس في رحبة الكوفة حتى حضرت صلاة العصر ، ثم أُتِيَ بماء فشرب وغسل وجهه ويديه – وذكر رأسه ورجليه – ثم قام فشرب فضله وهو قائم ، ثم قال: إن ناساً يكرهون الشرب قائماً، وإن النبيﷺ صنع مثل ما صنعت.

٢- عن ابن عباس قال : شرب النبيﷺ قائماً من زمزم.

قال الحافظ ابن حجر عند شرحه قول علي: إن ناساً يكرهون الشرب قائماً: استُدِلَّ بهذا الحديث على جواز الشرب للقائم. وقد عارض ذلك أحاديث صريحة في النهي عنه.

منها عند مسلم عن أنس: أن النبيﷺ زجر عن الشرب قائماً، ومثله عنده عن أبي سعيد بلفظ. نهى.

ومثله للترمذي وحسنَّه من حديث الجارود ، ولمسلم من طريق أبي غطفان عن أبي هريرة بلفظ: لا يشربن أحدكم قائماً ، فمن نسيَ فليستقيء .

ثم ذكر ابن حجر خلاف العلماء في تصحيح ما جاء في صحيح مسلم من النهي عن الشرب قائماً ، ونقل خلافهم في توجيه الأحاديث الواردة ، وبعد أن بيَّن أن أحاديث النهي صحيحة ، نقل مذاهب العلماء في الجمع بينها وبين أحاديث الإباحة ، فقال: وسلك العلماء في ذلك مسالك:

أحدها : الترجيح ؛ وأن أحاديث الجواز أثبتُ من أحاديث النهي.

المسلك الثاني: دعوى النسخ ، وإليها جنح الأثرم وابن شاهين فقرَّرا على أن أحاديث النهي – على تقدير ثبوتها – منسوخة بأحاديث الجواز، بقرينة عمل الخلفاء الراشدين ومعظم الصحابة والتابعين بالجواز.

وقد عكس ذلك ابن حزم فادعى نسخ أحاديث الجواز بأحاديث النهي، متمسكاً بأن الجواز على وفق الأصل، وأحاديث النهي مقررة لحكم الشرع ، فمن ادعى الجواز بعد النهي فعليه البيان ، فإن النسخ لا يثبت بالاحتمال.

وأجاب بعضهم بأن أحاديث الجواز متأخرة لما وقع منه في حجة الوداع – وهو حديث ابن عباس المذكور – وإذا كان ذلك الأخير من فعله دل على الجواز ، ويتأبَّد بفعل الخلفاء بعده.

المسلك الثالث : الجمع بين الخبرين بضرب من التأويل ؛ فقال أبو الفرج الثقفي: والمراد بالقيام هنا المشي، يقال: قام في الأمر إذا مشى فيه، وقمت في حاجتي إذا سعيت فيها وقضيتها، وجنح الطحاوي إلى تأويل آخر، وهو: حمل النهي على من لم يُسمِّ عند شربه، وهذا إن سُلِّمَ له في بعض ألفاظ الحديث لم يسلم له في بقيتها.

وسلك آخرون في الجمع : حملَ أحاديث النهي على كراهة التنزيه وأحاديث الجواز على بيانه. وهذا أحسن المسالك وأسلمها وأبعدها عن الاعتراض[٢٨٤].

٢٨٤– فتح الباري ، ج١٠ ، ص٨٤ .

وقال ابن حجر عند شرح حديث ابن عباس: قوله: شرب النبيﷺ قائماً من زمزم. في رواية ابن ماجه من وجه آخر عن عاصم في هذا الحديث: قال: - أي عاصم - : فذكرت ذلك لعكرمة فحلف أنه ما كان حينئذ إلا راكباً.

وعند أبي داود من وجه آخر عن عكرمة عن ابن عباس: أن النبيﷺ طاف على بعيره ثم أناخه بعد طوافه فصلى ركعتين. فلعله حينئذ شرب من زمزم قبل أن يعود إلى بعيره ويخرج إلى الصفا، بل هذا هو الذي يتعين المصير إليه، لأن عمدة عكرمة في إنكار كونه شرب قائماً إنما هو ما ثبت عنده أنهﷺ طاف على بعيره، وخرج إلى الصفا على بعيره ، وسعى كذلك.

لكن لا بد من تخلل ركعتي الطواف بين ذلك ، وقد ثبت أنه صلاهما على الأرض، فما المانع من كونه شرب حينئذٍ من سقاية زمزم قائماً كما حفظه الشَّعبيُ عن ابن عباس؟[٢٨٥].

ومن هنا أفادت المواضيع التي تناولناها في هذه اللمحات أموراً نذكر هنا بعضاً منها:

١- ينبغي أن تهتم حركة التجديد الإسلامي بسنة النبيﷺ: رواية ، ودراية ، وعملاً.

٢- يجب أن يعلم كل فرد في تيار التجديد الإسلامي المعاصر حدوده حين يتعامل مع كتاب الله عزَّ وجلَّ وسنة النبيﷺ، لئلا يسيء وهو يظن أنه يحسن صنعاً ، فقد تبين لنا أن هناك شروطاً علمية ينبغي توفرها فيمن ينقل عن الله تعالى مراده في القرآن ، أو ما أراده رسول اللهﷺ في السنة النبوية.

٣- وأخيراً .. أُذَكِّر بأن هذه الملخصات قد تناولت عدداً من المسائل المتعلقة بضبط فقه سنة النبيﷺ بالمعنى الشامل لكلمة فقه عند اهل السنة. وهناك مسائل أخرى لم أتطرق إليها.

---

٢٨٥- نفس المصدر ، ص٨٥ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة الثانية

## صحاح المسلمين

تلاحظ انه عندما تراجع صحيح البخاري ينبغي أن تعرف أن مؤلّفه صنفه في فترة تتراوح فيما بين ستة عشر إلى ثمانية عشر سنة.

وعلى حسب ما نقل من كلام، أنه كان يغتسل ويتوضأ ويصلّي ركعتين قبل أن يدوّن كل حديث فيه، ومعنى هذا الفعل أن كل ما جاء فيه من أحاديث ليس فيها سهو أو نسيان أو أي خطأ، فتجد ان هناك إرادة قوية جمعت الاحاديث وضبطتها.

ولكن هناك مسألة مهمّة، وهي أن صحيحه لم يكتمل على يد مؤلّفه الشيخ محمّد بن إسماعيل البخاري، بل اكتمل من بعدهِ، على يد اثنان من تلامذته وهما:

محمّد بن يوسف الفربري ومحمّد بن ابراهيم المستملي، وهما قد صرّحا بذلك قائلين من إنهما شاهدا في صحيح استاذهما، أوراقاً بيضاء فقالوا «فأضفنا».

وهذا القول تجده في مقدمة فتح الباري التي قد فصّل بها ابن حجر كلامه، ولكنه لم يردّ عليهم، وبهذا السكوت يعتبر اقرار، وهو معترفاً بوجود بياض في صحيح البخاري وكذلك أنه أضيف إليه.

ما في حديث أبي الوليد الباجي، كما ذكره ابن حجر فقال: (إنتسخت كتاب البخاري من أصله الذي كان عند صاحبه «محمّد بن يوسف الفَرْبري»، فرأيت فيه أشياءً لم تتم وأشياءً مبيّضة، منها: تراجم لم يُثبِتْ بعدها شيئاً، وأحاديث لم يترجم لها، فأضفنا بعض ذلك إلى بعض).

وكذلك ما صرّح به المستملي المتوفى سنة٣٧٦هـ.ق فقال: «إنتسخت كتاب البخاري من أصله الذي كان عند صاحبه – الفربري– فرأيت فيه أشياءً لم تتم وأشياءً مبيّضة».

وكذلك مثلهِ ذكر الباجي قال : « ومما يدل على صحة القول: أنّ رواية أبي إسحاق المستملي، ورواية أبي مُحَّد السرخسي، ورواية أبي الهيثم الكشميهني، ورواية أبي زيد المروزي، مختلفةٌ بالتقديم والتأخير، مع أنّهم استنسخوا من أصل واحد.

وإنّما ذلك بحسب ما قدّر كل واحد منهم فيما كان في طرَّة أَو رقعة مضافة أَنَّه من موضع ما، فأَضافه إليه، ويبيّن ذلك أَنَّك تجد ترجمتين وأكثر من ذلك متصلة ليس بينهما أحاديث.

وبه يعلم سبب اختلاف نسخ (الصحيح) وغموض المطابقة بين الترجمة والحديث في بعض المواضع، على أَنَّ كثيراً من العلماء المحققين خدموا تراجمه على حدة في كتاب خاصة.

كالقاضي ناصر الدين بن المنير والقاضي بدر الدين بن جماعة، ومُحَّد بن حَمَامَة السلجماسى، في كتاب سمَّاه: (فَكُّ أغراض البخاري المبهمة في الجمع بين الحديث والترجمة).

ولابي عبدالله البستي كتاب سمَّاه: (ترجُمان التراجم) وصل فيه إلى كتاب (الصيام) دع عنك ما بيَّنه الشُراح» انتهى.

وتلاحظ ان الجهة الرجالية لشخصية الشيخ مُحَّد بن اسماعيل البخاري فهناك توثيقات عديدة له ولكن في المقابل ذكر اسمه في طبقات المدلسين؟.

وقد جاء تدليسه على لسان جماعة من المحدِّثين منهم ابن حجر، كما في كتاب «طبقات المدلسين»[٢٨٦].

وكذلك جاء اسمه في كتاب «تبيين اسماء المدلِّسين» تاليف سبط بن العجمي، وقد طبع في كراس، وقد ذكر فيه مُحَّد بن اسماعيل البخاري وجماعة من مشايخه[٢٨٧]. ونكتفي بهذا الكلام، لانه ليس من كلامنا.

وبعد ان انتشر الصحابة في البلدان، التي هي حديثة عهد بالاسلام، وتحدثوا على قدر ما سمعوه من الأحاديث، وحينما ينصدمون بشيء، لم يسمعوا حديثاً فيه من النبيﷺ.

٢٨٦- طبقات المدلِّسين لابن حجر: ٢٤ رقم ٢٣.

٢٨٧- كما في تبيين أسماء المدلِّسين لابن العجمي: ٧٧ رقم ٦٤.

امّا ان يتوقفوا حتى يخبروا او يستفتوا أهل المدينة عنه، أو اكثر الاحيان، تجدهم يعملون برأيهم الخاص الشخصي، ومن خلال ذلك فتح باب الرأي والنظر والقياس وما شابه.

ومن ذلك الصحابي عبدالله بن مسعود حينما قدم للكوفة فاذا صادفته مسألة لم يسمع فيها حديثاً تجده أشار إلى ذلك كما هو قوله: (أقول برأيي)[٢٨٨].

ومن ثم جاء بعد الصحابي ابن مسعود تلميذه (علقمة) الذي نهج خطى معلمه، ومن ثم جاء بعد علقمة (إبراهيم النخعي)[٢٨٩]، ومن ثم بعد إبراهيم (حماد بن أبي سليمان)[٢٩٠]، وبعد حماد جاء (أبو حنيفة).

وبديهي من شهرتهِ، لانه الأكثر من بينهم هؤلاء استخداماَ للرأي، حتى تجد أبو حنيفة، قد صعّد من اتجاه أهله من خلال سعيهِ وغرضه، (دمج الاجتهاد بالقياس) حتى أصبح اليوم من البديهيات ومن المسلمات.

فمثلاً ما قاله ابو حنيفة : إن أبا هريرة لم يكن مجتهداً، وكان يسمع أحاديث النبيﷺ فقط، ولا علم له بالناسخ والمنسوخ. وبالتالي إذا فلم يكن او هريرة مجتهداً، ولا طائل من وراء رواياته.

وكذلك نفس الفعل يجري وينسحب رأي ابو حنيفة الى بعض رواة الحديث، مثل طاووس اليماني وعطاء بن أبي رباح، وتجد طعنه على بعض التابعين.

وتلاحظ من هذا وغيره من العوامل، فكان أولها دعم السلطات الحاكمة له، فقد انتشر فقه أبي حنيفة في البلدان، وتلقفته الناس من دون اي اعتراض حتى بلغ ذروته في أواخر القرن الثاني وبداية القرن الثالث.

---

٢٨٨- مسند أحمد. مسند المكثرين من الصحابة رقم ٣٨٩١، وكذلك سنن النسائي الاسماء المبهمة في الانباء المحكمة للخطيب البغدادي: ٤٧٦.

٢٨٩- ابراهيم بن يزيد النخعي الكوفي المتوفى ٩٦هـ.ق ، كان مفتي الكوفة وهو مختف من الحجاج، روى عن خاله الاسود بن يزيد بن قيس، وقال: أدخلني خالي الاسود على عائشة وهو يقول: لم يكن أبو هريرة فقيهاً. ميزان الاعتدال ١: ٧٥.

٢٩٠- حماد بن أبي سليمان الكوفي المتوفى ١٢٠هـ، انه قال لاهل الكوفة: «ابشروا يا أهل الكوفة! رأيت عطاءً وطاووساً ومجاهداً، فصبيانكم بل صبيان صبيانكم أفقه منهم» وقال هذا تحديثاً بالنعمة، وكذلك رد بعض شيوخ الحديث ممَّن لم يؤت نصيباً من الفقه، وكانوا يسألون عن رأيه. ميزان الاعتدال ١: ٥٩٦.

وتلاحظ ان مجمل فكر أبو حنيفة، انه يقول بصحة الحديث الذي يقول: «من كذب علي متعمداً..»، ولذلك خطّأ العمل، بالاخبار قائلاً من أن العقل هو حجة الباطن وملاكه في الافتاء برأيه الذاتي في تصويب أي حديث أو رواية ما، هذا بالإضافة إلى الاستناد إلى آيات القرآن، ولا حاجة لاعتماد أخبار الاحاد.

فهذه هي أفكار أبي حنيفة وحجته الشرعية كما ذكرناها مسبقاً، فهو لا يرغب كما زعم بالتورّط في الكذب على النبيﷺ، وذلك لانه غير واثق من صحة الروايات والاحاديث النبوّية، ولهذا كان عنده كمّ ضئيل من الاخبار الصحاح في رأيه، وهو مما جعله يتشبث بالقياس[٢٩١].

وقد ذكر الامام البخاري أئمة المذاهب الاربعة بأسمائهم بأستثناء أبي حنيفة، فقد جاء بأسم الشافعي صراحة، وكذلك ذكر اسم أحمد بن حنبل ومالك، ولكن لاحظ جيداً، عندما يتعرض لأبي حنيفة فتجده يكنّي عنه بهذه العبارة:

« وقال بعض الناس » أو « قول بعض الناس ». وقد ورد هذا التعبير ٢٧ مرّة، أربع عشر منها في كتاب الحيل وحدها[٢٩٢].

وقد أكد الشارحين من أن هذه العبارة هي تعبير عن كناية عن أبي حنيفة، وكذلك هذ مما ايده البعض من تلامذته مثل الشيباني وأبي يوسف وغيرهم.

ولكن تجد ان هناك من كتب في البخاري، ومن أمثال ذلك الاسكندراني المتوفى ٦٨٣هـ كتابه «المتواري في تراجم البخاري» وبدأه بطرح الاشكالات على البخاريو وقد أعتبر من المستشكلين عليه أبا الوليد الباجي شارح الموطّآت، حينما قال:

وبلغني عن الامام أبي الوليد الباجي أنَّه كان يقول : ( يسلم للبخاري في علم الحديث، ولا يسلم في علم الفقه).

---

٢٩١- راجع : الايضاح للعراقي ١٣٢، تدريب الراوي ١: ٢٨٢. ومن الدواعي لوضع الحديث وانتشاره بين الناس، فأبو عصمة نوح بن أبي مريم يسأل: من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة؟ فقال: «إنّي رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي محمّد بن إسحاق فوضعت هذه الاحاديث حسبة».

٢٩٢- كتاب الامام البخاري وفقه أهل العراق- الثاني عشر: في الزكاة: ١٨٩ . ١٩٠.

ويعلّل ذلك بأَنّ أدلته عن تراجمه متقاطعة، ويحمل الامر على قصور في فكرته وتجاوز عن حدّ فطرته.

وربما يجدون الترجمة ومعها حديث يتكلف في مطابقته لها جداً ويجدون في غيرها حديثاً هو أولى بالمطابقة وأجدى، فيحملون الامر على أنَّه كان يضع الترجمة ويفكر في حديث يطابقها.

فلا يعن له ذكر الجلي فيعدل إلى الخفي، إلى غير ذلك من التقادير التي فرضوها في التراجم التي انتقدوها فاعترضوها. انتهى.

وهذا الكلام يحتاج الى مؤلفات لكي نبحث عن كل ما يتعلق بالبخاري وكتبه وحياته من جميع الجوانب وهذا ليس محل بحثنا هنا فنكتفي بما ذكرنا من هذا المقدار، لأنها تصلح ان تكون باباً للدخول، لمن يرغب في ذلك.

**أولاً : عصمة المعوذتين**

أئمة الهدى عليهم السلام والمعوذتين : في بداية الحديث نقول انه لا أثر في مصادر الشيعة الامامية الاثني عشرية، لسورتي الخلع والحفد أبداً، ولا يوجد أي معارض او رأي أو عالم أو أي شخص في اتباع اهل البيت عليهم السلام يقول هما ليستا من الكتاب.

بل تلاحظ العكس، فعذوبة منهلهم، قد افاضت عليهم من عصمتهم أن المعوذتين هي جزء من القرآن، والتأكيد على قرآنيتهما، كما روي عنهم فقالوا: (..عن سيف بن عميرة عن منصور بن حازم قال : أمرني أبو عبدالله عليه السلام أن أقرأ المعوذتين في المكتوبة)[٢٩٣].

وايضا جاء انه روي مثلهِ فقال[٢٩٤]: عن أبي عبدالله عليه السلام أنه سئل عن المعوذتين أهما من القرآن ؟ فقال عليه السلام: هما من القرآن . فقال الرجل : إنهما ليستا من القرآن في قراءة ابن مسعود ولا في مصحفه.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: أخطأ ابن مسعود أو قال كذب ابن مسعود، وهما من القرآن. فقال الرجل: فأقرأ بهما في المكتوبة ؟ فقال عليه السلام : نعم.

---

٢٩٣- الشيخ الطوسي تهذيب الأحكام ج ٢ ص٩٦.

٢٩٤- وسائل الشيعة للحر العاملي ج ٤ ص ٧٨٦ .

وقد اورد أحد محققي الشيعة الامامية[٢٩٥] فقال ما نصه: ( الثانية : أجمع علماؤنا وأكثر العامة على أن المعوذتين من القرآن العزيز وأنه يجوز القراءة بهما في الصلاة المفروضة، وروى منصور بن حازم قال:

أمرني أبوعبدالله عليه السلام أن أقرأ المعوذتين في المكتوبة. وعن صفوان الجمال في الصحيح.. قال في الذكرى : ونقل عن ابن مسعود أنهما ليستا من القرآن وإنما أنزلتا لتعويذ الحسن والحسين عليهما السلام ؟ وخلافه انقرض، واستقر الإجماع الآن من العامة والخاصة على ذلك).

**ثانياً : ابعاد التشكيك والتناقض**

تشكيك الامام البخاري بالمعوذتين : تلاحظ انه اما اذا حمكنا على البخاري من خلال ملاحظة عنوان الموضوع (تشكيك) يتسرب اليك شعور، وهو انه فيه نوع من التناقض، فهو (البخاري) قد اختار الوقوف في صف المشككين من المعوذتين؟.

وذلك لو قلت : نجمع الكلام السابق مع ما ذكر قبل قليل، فيكون حاصلهُ ان البخاري متوقف، في أنهما من القرآن، وذلك لعدم ثبوت دليل على ذلك عنده؟.

اليس هذا الكلام فيه تناقض؟ وما ادراك، من ان الامام البخاري بصدد البحث عن دليل من ان المعوذتين ليستا من القران؟

الجواب عن هذا الاعتراض انه قد ذكرنا أحاديث ليس فيها قدح بالقران، لان الجميع أتفاقهم على ان السورتين هما من القران.

ولكن قد ذكرت مصادرهم خلاف ذلك، وهو مما جعلها مختصة بروايات زيادة سورتي المعوذتين، ويعتبر هذا قول بتحريف الكتاب من خلال الزيادة فيه، والاخرى تجد ان في المعوذتين لديهم قولان وهما:

قول احدهما أن المعوذتين من القرآن وهو اتفاق.

وقول آخر، وهو أنهما من باب الدعاء لغرض التعويذ علمهما جبرئيل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكان يعوذ بهما الحسن والحسين عليهما السلام، وهذا معناه أنهما زيادة في القرآن فيجب حذفهما.

---

٢٩٥- الحدائق الناضرة في فقه العترة الطاهرة للمحقق البحراني ج ٨ ص٢٣٠.

وأما تأريخه فقد أورد الامام البخاري الرواية الاولى ، وعندما كتب صحيحه، وقد اختار أصح روايات لديه؟ لم يذكر رواية أنهما من القرآن، حتى ولو حديث واحد.

بل تجد العكس، تلاحظه انه ثبت في صحيحه حديث الشك، ما نصهُ (أن الرسولﷺ قال قال لي جبرئيلعَلَيْهِ السَّلَامُ قل..) ولم يقل له أنهما من القرآن.

وتجد ان المعنى واضح جدا، من أن الامام البخاري رجح رواية الشك، ولم يروي أن المعوذتين من القران الكريم، من خلال فتواه (البخاري) تكونا هنا زائدتين؟.

وأيضا على حسب رواياته في صحيحهِ يكون الامام البخاري قائل بأن (المعوذتين) دعاء ولم يثبت عنده أنهما سورتان؟.

فإن قلت : هل تريد اثبات ان اهل السنه يقولون بتحريف الكتاب؟

نقول لك : من باب التنزل تجد في مصادر الشيعة روايات متروكة وضعيفة تدعي وجود النقص، ولكن لا يوجد حديث في جميع كتبهم، ولا أي قول لواحد منهم بوجود زيادة في القرآن الكريم.

ولكن الامام البخاري قال بزيادة هاتين السورتين؟، والسبب عندما توقف في قرآنيتهما (لم يعتبرهما من القران) فهذا يعتبر دليل نفيهما؟، وكل ما تتوقف في قرآنيته فقد نفيه.

ونسأل حينها : هل نتبع ونمشي مع الامام البخاري ونفتي بحذفهما من القرآن الكريم؟.

فإن قلت : مما يؤكد ان الامام البخاري يرجح انهما من القران، لانه وضع في صحيحه ( باب ) اسماه تفسير سورة قل اعوذ برب الفلق، وباب اخر تحت اسم ( تفسير سورة قل اعوذ برب الناس).

نقول لك : لماذا هذا التدليس لمصلحة الامام البخاري؟ ليس هناك كلمة (باب) ولا حتى كلمة (تفسير)، وعنوان (سورة قل أعوذ)، لا يعلم أنها من أصل البخاري، والمطلع يعلم أن فيه عناوين مضافة.

وأزيدك بيان، ماذا تقول، وانت ترى في صحيح البخاري قد ذكر روايات في تفسير سور القرآن، حتى إذا وصل الى سورتي المعوذتين أورد حديثين في التشكيك في أنهما من سور القرآن؟، لا غير؟

أرجوا التمعن في مطالعة صحيح البخاري؟ بعدها لاحظ واستطلع شروحه، لكي تعلم أن جميع الشراح له، فهموا ما ذكره (البخاري) هو التشكيك في السورتين فقط؟.

**ثالثاً : الدفاع عن الامام البخاري**

واما ان قلت : لقد جئت بحديث وقلت قد روى البخاري عن ام المؤمنين عائشة انها قالت:

تلا رسول الله ﷺ هذه الآية (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب).

قالت قال رسول الله ﷺ: فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم.

ثم ان قلت : هذا يدخل في مسايرة المتشابه مع تجاهل المحكم فمحاولتك هي مغالطة القاريء من خلال الإفتراء على الإمام البخاري وادعائه من أنه يرجح قول المعوذتين ليستا من الكتاب.

ونأتي لك ادلة من مواضع متعددة من نفس صحيح البخاري يقول عند ذكر بعض الآيات من هاتين السورتين بقوله لفظ (قال تعالى).

ويعتبر هذا مما يوثق أن الإمام البخاري يرى أنهما (المعوذتين) من القرآن بالتالي هو قول جميع أهل السنة.

فقد قال الامام البخاري في صحيحه في كتاب القدر باب من تعوذ بالله من درك الشقاء وسوء القضاء قال: (وقوله تعالى قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق).

ويؤيد هذا الكلام شرح ابن حجر بقَوْله ما نصهِ: ( بَاب مَنْ تَعَوَّذَ بِاَللَّهِ مِنْ دَرْكِ الشَّقَاءِ وَسُوءِ الْقَضَاءِ) تَقَدَّمَ شَرْح ذَلِكَ فِي أَوَائِلِ الدَّعَوَاتِ. وَقَوْله تَعَالَى :

( قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ) يُشِير بِذِكْرِ الْآيَة إِلَى الرَّدّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْعَبْد يَخْلُق فِعْل نَفْسه؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ السُّوء الْمَأْمُور بِالِاسْتِعَاذَةِ بِاَللَّهِ مِنْهُ مُخْتَرَعًا لِفَاعِلِهِ لَمَا كَانَ لِلِاسْتِعَاذَةِ بِاَللَّهِ مِنْهُ مَعْنًى، لِأَنَّهُ لَا يَصِحّ التَّعَوُّذ إِلَّا بِمَنْ قَدَرَ عَلَى إِزَالَة مَا اُسْتُعِيذَ بِهِ مِنْهُ.

وايضا يؤيد كلامنا هذا في كتاب الطب كما يقول:

باب السحر وقول الله تعالى ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق.

وقوله تعالى ولا يفلح الساحر حيث أتى، وقوله أفتأتون السحر وأنتم تبصرون وقوله يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى وقوله ومن شر النفاثات في العقد والنفاثات السواحر تسحرون تعمون.

وايضا يؤيد كلامنا (للدفاع عن البخاري) ما جاء في كتاب الأدب:

باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، وقوله تعالى ومن شر حاسد إذا حسد، قال ابن حجر قَوْله: ( بَاب مَايُنْهَى عَنْ التَّحَاسُد وَالتَّدَابُر). وَقَوْله تَعَالَى ( وَمِنْ شَرّحَاسِد إِذَا حَسَدَ ).

أَشَارَ بِذِكْرِ هَذِهِ الْآيَة إِلَى أَنَّ النَّهْي عَنْ التَّحَاسُد لَيْسَ مَقْصُورًا عَلَى وُقُوعه بَيْنَ اِثْنَيْنِ فَصَاعِدًا، بَلْ الْحَسَد مَذْمُوم وَمَنْهِيّ عَنْهُ وَلَوْ وَقَعَ مِنْ جَانِب وَاحِد؛ لِأَنَّهُ إِذَا ذُمَّ مَعَ وُقُوعه مَعَ الْمُكَافَأَة فَهُوَ مَذْمُوم مَعَ الْإِفْرَاد بِطَرِيقِ الْأَوْلَى.

ومثلهِ ايضا ما يؤيد (للدفاع عن البخاري) ما في كتاب التوحيد:

باب قول الله تعالى ملك الناس فيه ابن عمر عن النبي ﷺ. وقال ابن حجر قَوْله ( بَاب قَوْل اللَّه تَعَالَى مَلِك النَّاس) قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: الْمَلِك وَالْمَالِك هُوَالْخَاصّ الْمُلْك، وَمَعْنَاهُ فِي حَقّ اللَّه تَعَالَى الْقَادِر عَلَى الْإِيجَاد، وَهِيَ صِفَة يَسْتَحِقّهَا لِذَاتِهِ، وَقَالَ الرَّاغِب :

الْمَلِك الْمُتَّصِف بِالْأَمْرِ وَالنَّهْي وَذَلِكَ يَخْتَصّ بِالنَّاطِقِينَ ، وَلِهَذَا قَالَ (مَلِك النَّاس) وَلَمْ يَقُلْ مَلِك الْأَشْيَاء، قَالَ : وَأَمَّا قَوْله (مَلِك يَوْم الدِّين) فَتَقْدِيره الْمُلْك فِي يَوْم الدِّين , لِقَوْلِهِ (لِمَنْ الْمُلْك الْيَوْم) اِنْتَهَى وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون خَصَّ النَّاس بِالذِّكْرِ فِي قَوْله تَعَالَى ( مَلِك النَّاس).

ومثلهِ ايضا (للدفاع عن البخاري) واما بخصوص ما روي عن ابن مسعود من أنهما (المعوذتين) ليستا من القرآن فقال عنه ابن كثير:

وهذا مشهور عند كثير من القراء والفقهاء وأن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه.

واعتذر له بقوله : ( فلعله لم يسمعهما من النبي ﷺ ولم يتواتر عنده ثم لعله قد رجع عن قوله ذلك إلى قول الجماعة فإن الصحابة أثبتوهما في المصاحف الأئمة ونفذوها إلى سائر الآفاق كذلك ولله الحمد والمنة).

وقَالَ الْبَزَّار. وَلَمْ يُتَابِع اِبْن مَسْعُود عَلَى ذَلِكَ أَحَدٌمِنْ الصَّحَابَة.

وتجد ايضا ما يؤيد (للدفاع عن البخاري) قول ابن حجر :

وَقَدْ تَأَوَّلَ الْقَاضِي أَبُو بَكْر الْبَاقِلَّانِيّ فِي كِتَاب (الِانْتِصَار) وَتَبِعَهُ عِيَاض وَغَيْره مَا حُكِيَ عَنْ اِبْن مَسْعُود فَقَالَ: لَمْ يُنْكِرِ اِبْن مَسْعُود كَوْنهمَا مِنْ الْقُرْآن وَإِنَّمَا أَنْكَرَ إِثْبَاتهمَا فِي الْمُصْحَف، فَإِنَّهُ كَانَ يَرَى أَنْ لَايَكْتُب فِي الْمُصْحَف شَيْئًا إِلَّا إِنْ كَانَ النَّبِيّ ﷺ أَذِنَ فِي كِتَابَته فِيهِ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَبْلُغهُ الْإِذْن فِي ذَلِكَ، قَالَ:

فَهَذَا تَأْوِيل مِنْهُ وَلَيْسَ جَحْدًا لِكَوْنِهِمَا قُرْآنًا . وَهُوَ تَأْوِيل حَسَن إِلَّا أَنَّ الرِّوَايَة الصَّحِيحَة الصَّرِيحَة الَّتِي ذَكَرْتهَا تَدْفَع ذَلِكَ حَيْثُ جَاءَ فِيهَا : وَيَقُول إِنَّهُمَا لَيْسَتَا مِنْ كِتَاب اللَّه. نَعَمْ يُمْكِن حَمْل لَفْظ كِتَاب اللَّه عَلَى الْمُصْحَف فَيَتَمَشَّى التَّأْوِيل الْمَذْكُور.

وَقَالَ غَيْر الْقَاضِي : لَمْ يَكُنْ اِخْتِلَاف اِبْن مَسْعُود مَعَ غَيْره فِي قُرْآنِيَّتهمَا ، وَإِنَّمَا كَانَ فِي صِفَة مِنْ صِفَاتهمَا.

لاحظ أَنَّهُ أَبْهَمَ مَا بَيَّنَهُ الْقَاضِي . وَمَنْ خلال تَأَمَّلَ سِيَاق الطُّرُق الْوَارِدَة لِلْحَدِيثِ يستَبْعَدَ هَذَا الْجَمْع.

وايضا مثلهِ يؤيده (للدفاع عن البخاري) ان قلتَ أَمَّا قَوْل النَّوَوِيّ فِي شَرْح الْمُهَذَّب: أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ الْمُعَوِّذَتَيْنِ وَالْفَاتِحَة مِنْ الْقُرْآن، وَأَنَّ مَنْ جَحَدَ مِنْهُمَا شَيْئًا كَفَرَ، وَمَا نُقِلَ عَنْ اِبْن مَسْعُود بَاطِل لَيْسَ بِصَحِيحٍ , فَفِيهِ نَظَر.

وَسَبَقَهُ لِمثله أَبُو مُحَمَّد بْن حَزْم فَقَالَ فِي أَوَائِل (الْمُحَلَّى) : مَا نُقِلَ عَنْ اِبْن مَسْعُود مِنْ إِنْكَار قُرْآنِيَّة الْمُعَوِّذَتَيْنِ فَهُوَ كَذِب بَاطِل.

وَمثله : قَالَ الْفَخْر الرَّازِيّ فِي أَوَائِل تَفْسِيره : الْأَغْلَب عَلَى الظَّنّ أَنَّ هَذَا النَّقْل عَنْ اِبْن مَسْعُود كَذِب بَاطِل. وَالطَّعْن فِي الرِّوَايَات الصَّحِيحَة بِغَيْرِ مُسْتَنَد لَا يُقْبَل.

وتجد مثله : قال ابن حجر بَلْ الرِّوَايَة صَحِيحَة وَالتَّأْوِيل مُحْتَمَل، وَالْإِجْمَاع الَّذِي نَقَلَهُ إِنْ أَرَادَ شُمُوله لِكُلِّ عَصْر فَهُوَ مَخْدُوش، وَإِنْ أَرَادَ اِسْتِقْرَاره فَهُوَ مَقْبُول.

ومثله : قَالَ اِبْن الصَّبَّاغ فِيَ كلامه بخصوص مَانِعِي الزَّكَاة:

وَإِنَّمَا قَاتَلَهُمْ أَبُو بَكْر عَلَى مَنْع الزَّكَاة وَلَمْ يَقُلْإِنَّهُمْ كَفَرُوا بِذَلِكَ ، وَإِنَّمَا لَمْ يَكْفُرُوا لِأَنَّ الْإِجْمَاعلَمْ يَكُنْ يَسْتَقِرّ. قَالَ : وَنَحْنُ الْآن نُكَفِّر مَنْ جَحَدَهَا . قَالَ : وَكَذَلِكَ مَا نُقِلَ عَنْ اِبْن مَسْعُود فِي الْمُعَوِّذَتَيْنِ، يَعْنِيأَنَّهُ لَمْ يَثْبُت عِنْده الْقَطْع بِذَلِكَ ، ثُمَّ حَصَلَ الِاتِّفَاق بَعْد ذَلِكَ.

وايضا ما يؤيد كلامنا (للدفاع عن البخاري) هو اِسْتَشْكَالَ الْفَخْرُ الرَّازِيَّ فَقَالَ:

إِنْ قُلْنَا إِنَّ كَوْنهمَا مِنْ الْقُرْآن كَانَ مُتَوَاتِرًا فِي عَصْر اِبْن مَسْعُود لَزِمَ تَكْفِير مَنْ أَنْكَرَهَا ، وَإِنْ قُلْنَا إِنَّ كَوْنهمَا مِنْ الْقُرْآن كَانَ لَمْ يَتَوَاتَر فِي عَصْر اِبْن مَسْعُود لَزِمَ أَنَّ بَعْض الْقُرْآن لَمْ يَتَوَاتَر.

قَالَ : وَهَذِهِ عُقْدَة صَعْبَة . وَأُجِيبَ بِاحْتِمَالِ أَنَّهُ كَانَ مُتَوَاتِرًا فِي عَصْر اِبْن مَسْعُود لَكِنْ لَمْ يَتَوَاتَر عِنْد اِبْن مَسْعُود فَانْحَلَّتْ الْعُقْدَة بِعَوْنِ اللَّه تَعَالَى.

قَوْله : ( سَأَلْت رَسُول اللَّه ﷺ فَقَالَ : قِيلَ لِي قُلْ ، فَقُلْت. قَالَ فَنَحْنُ نَقُول كَمَا قَالَ رَسُول اللَّهﷺ) الْقَائِل فَنَحْنُ نَقُول إِلَخْ هُوَ أُبَيّ بْن كَعْب.

وايضا ما يؤيد كلامنا (للدفاع عن البخاري) ما وَقَعَ عِنْد الطَّبَرَانِيّ فِي الْأَوْسَط قال: أَنَّ اِبْن مَسْعُود أَيْضًا قَالَ مِثْل ذَلِكَ ، لَكِنْ الْمَشْهُور أَنَّهُ مِنْ قَوْل أُبَيّ بْن كَعْب فَلَعَلَّهُ اِنْقَلَبَ عَلَى رَاوِيه.

وَلَيْسَ فِي جَوَاب أُبَيّ تَصْرِيح بِالْمُرَادِ ، إِلَّا أَنَّ فِي الْإِجْمَاع عَلَى كَوْنهمَا مِنْ الْقُرْآن غُنْيَة عَنْ تَكَلُّف الْأَسَانِيد بِأَخْبَارِ الْآحَاد وَاَللَّه سُبْحَانه وَتَعَالَى أَعْلَم بِالصَّوَابِ.

ومجمل ما تقدم اعلاه من المؤيدات (للدفاع عن الامام البخاري) أنه لم يقل أي أحد من أهل السنة بزيادة شيئ من القرآن.

واما الذين ذكروا من إن ابن مسعود لم يثبتهم في مصحفه فقد اعتذروا له بعذر تقدم ذكره، وبينوا أنه غير متعمد مخالفة إجماع الصحابة وأنه خفي عليه الأمر.

وعذر ابن مسعود لا يكون لغيره فاستقر الأمر فيما بعد، وثبتت السور في المصاحف المرسلة الى المدن ولم يكن لأي احد عذر في الجهل من كونهما من القرآن؟.

**رابعاً : الرد على الدفاع**

الرد على الدفاع عن البخاري : يا مدافع عن الامام البخاري ما ذكرته ، هو دليل أنك غير محيط بالاختلاف في الاسانيد والصحاح قبل البخاري وبعده في أن المعوذتين هل هما من ضمن القرآن أم زائدتان؟.

فهي مطروحة في امهات المصادر عندكم، ويعلم ذلك البخاري نفسه، وقد تعمد أن يروي روايات التشكيك في المعوذتين فقط! وترك احاديث صحيحة تثبت أنهما من القرآن.

ولاحظ ان هذه الروايات صحيحة على شرطه فقد روى منها الحاكم في سننه، وأزيدك إن الامام ابن خزيمة[٢٩٦] أستاذ البخاري، وقد درس عنده صحيحه ! فلاحظ ماذا ذكر ابن خزيمة في صحيحه قال:

باب قراءة المعوذتين في الصلاة ضد قول من زعم أن المعوذتين ليستا من القرآن .أخبرنا.. وبعد الكلام ذكر الحديث الذي تركه الامام البخاري؟.

بعدها لاحظ ما ذكره ابن نجيم المصري[٢٩٧] في مصنف البحر الرائق حيث قال: ( وما وقع في السنن وغيرها من زيادة المعوذتين أنكرها الامام أحمد وابن معين، ولم يخترها أكثر أهل العلم، كما ذكره الترمذي. كذا في شرح منية المصلي).

اذاً : فما هذهِ السنن القائلة بزيادة المعوذتين بإستثناء حديث البخاري الذي رواه غيره أيضا، والفرق غيره، من انه روى مع الرواية ما يثبت بأنهما (المعوذتان) من القرآن، بينما هو اقتصر على حديث التشكيك؟

والفت نظرك لماذا يحتاج الإمام أحمد نكران القول بزيادتهما إن لم يكن لهذا القول وجود؟ هل قال ذلك من دون ورود الحديث؟ بالطبع لا؟ فهناك سؤال ورد وقد ذكر جوابه الامام احمد. فتامل ذلك.

ثم أين هذا القول المدعى (أي تأييد البخاري للمعوذتين) إن لم يكن ما رواه الامام البخاري؟.

---

٢٩٦- ابن خزيمة : ١- ٢٦٦ ابن خزيمة هو أستاذ البخاري ودرس عنده صحيح البخاري.

٢٩٧- البحر الرائق لابن نجيم المصري ٢- ٦٨.

ومن بعد ذلك لاحظ الفتوى التي نقلها ابن نجيم المصري في اختلاف فقهاء اهل السنة في كفر من سخر بآيات المعوذتين كما ذكر ذلك في البحر الرائق[٢٩٨] حيث قال:

( ويكفر إذا أنكر آية من القرآن أو سخر بآية منه إلا المعوذتين ففي إنكارهما اختلاف والصحيح كفره ، وقيللا ، وقيل إن كان عاميا يكفر وإن كان عالما لا).

وايضا لاحظ من هم الذين قالوا (لا يكفر من سخر بآياتهما) لانهما لم يثبت أنهما (المعوذتين) من القرآن! فهل هم الشيعة؟.

وتلاحظ كذلك قراءة المعوذتين في الصلاة كان أمر مستنكر، فأول من جهر بقراءتهما هو عبيد الله بن زياد من بعد اكثر من أربعين سنة من وفاة الرسولﷺ؟.

وهو كما ذكر ذلك ابن أبي شيبة[٢٩٩] في المصنف قال: (عن مغيرة عن إبراهيم قال أول من جهر بالمعوذتين في الصلاة عبيد الله بن زياد).

فانتبه جيدا لهذهِ الاولية، فهل تؤرخ لابن زياد، لولا أنه خالف العرف المسيطر آنذاك؟ والسؤال من أين أتى هذا العرف إلا من خلال القول بزيادتهما أو التشكيك بهما؟.

وعليك ان تلاحظ ابن حبان وغيره من الذي وافقوا الامام البخاري، فجوزوا أن يضم الى قراءة المعوذتين سورة اخرى، وسبب ذلك، لانهما مشكوك في قرآنيتهما؟ كما ذكر ابن حبان[٣٠٠] ذكر في صحيحه قال:

ذكر الإباحة للمرء أن يضم قراءة المعوذتين إلى قراءة قل هو الله أحد فيوتره الذي ذكرناه.

وكذلك عليك ان تلاحظ كارثة الرازي[٣٠١] صاحب المحصول إذ يقول:

أنكر ابن مسعود كون المعوذتين من القرآن فكأنه ما شاهد قراءة الرسولﷺ لهما ولم يهتدء صلى إلى ما فيهما من فصاحة المعجزة أو لم يصدق جماعة الأمة في كونهما من القرآن فإن كانت تلك الجماعة ليست حجة عليه فأولى أن لا تكون حجة علينا فنحن معذورون في أن لا نقبل قولهم. انتهى.

---

٢٩٨- نفس المصدر ، ٥ صفحة ٢٠٥.

٢٩٩- ابن أبي شيبة المصنف : ٧ – ٢١٦.

٣٠٠- صحيح ابن حبان ٢٠١ – ٦.

٣٠١- الرازي ٤ – ٤٨٠.

ومثلهِ لاحظ عبارة فتح الباري نقلناها على طريقتهم، وعلى هذا يتهمون الشيعة الامامية بالتدليس؟ فمن حفر حفرة لاخيه وقع فيها، فذكر في فتح الباري[٣٠٢] حيث قال:

قوله سألت أبي بن كعب قلت أبا المنذر، هي كنية أبي بن كعب وله كنية أخرى أبو الطفيل قوله يقول كذا وكذا هكذا وقع هذا اللفظ مبهما وكان بعض الرواة أبهمه استعظاما له وأظن ذلك من سفيان.

فإن الاسماعيلي أخرجه من طريق عبد الجبار بن العلاء عن سفيان كذلك على الابهام.

وكنت أظن أولا أن الذي أبهمه البخاري لانني رأيت التصريح به في رواية أحمد عن سفيان ولفظه قلت لابي إن أخاك يحكها من المصحف.

وكذا أخرجه الحميدي عن سفيان ومن طريقه أبو نعيم في المستخرج وكأن سفيان كان تارة يصرح بذلك وتارة يبهمه وقد أخرجه أحمد أيضا وابن حبان من رواية حماد بن سلمة عن عاصم بلفظ أن عبد الله بن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه.

وأخرج أحمد عن أبي بكر بن عياش عن عاصم بلفظ أن عبد الله يقول في المعوذتين وهذا أيضا فيه إبهام وقد أخرجه عبدالله بن أحمد في زيادات المسند والطبراني وابن مردويه من طريق الاعمش عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد النخعي قال كان عبد الله بن مسعود يحك المعوذتين من مصاحفه ويقول إنهما ليستا من كتاب الله.انتهى.

وايضا لاحظ قول الاعمش قال وقد حدثنا عاصم عن زرعن أبي بن كعب فذكر نحو حديث قتيبة الذي في الباب الماضي وقد أخرجه البزار وفي آخره يقول إنما أمر النبيﷺ أن يتعوذ بهما.

وعليك ايضا ان تلاحظ قول البزار قال ولم يتابع بن مسعود على ذلك أحد من الصحابة وقد صح عن النبي ﷺ أنه قراهما في الصلاة.

قلت هو في صحيح مسلم عن عقبة بن عامر وزاد فيه بن حبان من وجه آخر عن عقبة بن عامر فإن استطعت أن لا تفوتك قراءتهما في صلاة فافعل.

وأخرج أحمد من طريق أبي العلاء بن الشخير عن رجل من الصحابة أن النبي ﷺ أقرأه المعوذتين وقال له إذا أنت صليت فأقرأ بهما وإسناده صحيح.

---

٣٠٢- فتح الباري : ٨ -٥٧٠.

ومثلهِ ايضا لاحظ سعيد بن منصور من حديث معاذ بن جبل أن النبي ﷺ صلى الصبح فقرأ فيهما بالمعوذتين.

وايضا لاحظ تأول القاضي أبوبكر الباقلاني في كتاب الانتصار وتبعه عياض وغيره ما ذكرعن ابن مسعود حينما قال:

لم ينكر بن مسعود فقال لم ينكر بن مسعود كونهما من القرآن وإنما أنكر اثباتهما في المصحف فإنه كان يرى أن لا يكتب في المصحف شيئا.

الا إن كان النبي ﷺ أذن في كتابه فيه وكأنه لم يبلغه الاذن في ذلك قال فهذا تأويل منه وليس جحدا لكونهما قرآنا.

وهو تأويل حسن إلا أن الرواية الصحيحة الصريحة التي ذكرتها تدفع ذلك حيث جاء فيها ويقول أنهما ليستا من كتاب الله نعم يمكن حمل لفظ كتاب الله على المصحف فيتمشى التأويل المذكور.

وقال غير القاضي لم يكن اختلاف بن مسعود مع غيره في قرآنيهما وإنما كان في صفة من صفاتهما.

وقد أبهم ما بينه القاضي، وتجد انه من تأمل سياق الطرق التي ذكرت الحديث.

وعليك ايضا ان تلاحظ ما ذكره النووي في شرح المهذب حينما قال: أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة من القرآن وأن من جحد منهما شيئا كفر ، وما نقل عن بن مسعود باطل ليس بصحيح ففيه نظر.

وكذلك لاحظ انه قد أسبق النووي أبو مُحَمَّد بن حزم فذكر في أوائل المحلي حيث قال: (ما نقل عن بن مسعود من إنكار قرآنيه المعوذتين فهو كذب باطل).

وايضا لاحظ بمثله تبنى الفخر الرازي في أوائل تفسيره قال:

الاغلب على الظن أن هذا النقل عن بن مسعود كذب باطل والطعن في الروايات الصحيحة بغير مستند لا يقبل بل الرواية صحيحة والتأويل محتمل والاجماع الذي نقله أم أراد شموله لكل عصر فهو مخدوش وإن أراد استقراره فهو مقبول.

وتلاحظ كذلك قول بن الصباغ في كلامه على مانعي الزكاة وإنما قاتلهم أبو بكر على منع الزكاة ولم يقل إنهم كفروا بذلك وسبب انهم لم يكفروا. لان الاجماع في حينها لم يكن استقر قال:

ونحن الآن نكفر من جحدها؟ ثم قال : وكذلك ما نقل عن بن مسعود في المعوذتين يعني أنه لم يثبت عنده القطع بذلك ثم حصل الاتفاق بعد ذلك.

وايضا لاحظ استشكال الموضع الفخر الرازي حينما قال:

إن قلنا إن كونهما من القرآن كان متواترا في عصر بن مسعود لزم تكفير من أنكرهما وأن قلنا إن كونهما من القرآن كان لم يتواتر في عصر بن مسعود لزم أن بعض القرآن لم يتواتر قال وهذه عقدة صعبة وأجيب باحتمال أنه كان متواترا في عصر بن مسعود لكن لم يتواتر عند بن مسعود فانحلت العقدة بعون الله تعالى.

قوله سألت رسول الله ﷺ فقال قيل لي فقلت قال فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ القائل فنحن نقول ..الخ هو أبي بن كعب.

ومثلهِ وقع عند الطبراني في الاوسط من أن بن مسعود أيضا قال مثل ذلك:

والمشهور هو قول أبي بن كعب فلعله انقلب على راوية وليس في جواب أبي تصريح بالمراد إلا أن في الاجماع على كونهما من القرآن غنية عن تكلف الاسانيد بأخبار الآحاد والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

**خامساً : عصور الحديث**

عصر تدوين الحديث : قالوا[٣٠٣] : لم يكن الصحابة والتابعون[٣٠٤] يكتبون الأحاديث ، انّما كانوا يودوّنها لفظاً ويأخذونها حفظاً. إلاّ كتاب الصدقات ، والشيء اليسير الذي يقف عليه الباحث بعد الاستقصاء ، حتّى خيف عليه الدروس واسرع في العلماء الموت فأمر عمر[٣٠٥] أبا بكر[٣٠٦] وهو:

أن أنظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو سننه فاكتبه لي ، فانّي خفت دروس العلم وذهاب العلماء[٣٠٧]. وكذلك أوصاه أن يكتب ما عند عمرة بنت عبد الرحمن.. والخ.

لكن لا دليل عليه من انّ ابن حزم لم يفعل أي شيء بل تجد ان بعضهم استظهر انصرافه عن كتابة الحديث لما عاجلت المنية عمر بن عبد العزيز ثم عزله يزيد بن عبد الملك عن امرة المدينة وقضائها.

ولاحظ أن هشام بن عبد الملك الاموي في ولايته (سنة ١٠٥هـ.ق) طلب من محمّد بن مسلم بن شهاب الزهري وقيل انّه أكرهه على تدوين الحديث. وعلى أي حال لم يعتبر عصر بني أُميّة عصر تصنيف منسق لانّهم لم يجدوا من آثار عصرهم وما قبله كتباً جامعة مبوبة. بل ما صنعوا مجرد مجموعات ضمت الحديث والفقه والنحو واللغة والخبر وغيرها ولا تحمل أي علم واجد.

كما عن الغزالي في احياء العلوم قال: بل الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شيء منهما في زمن الصحابة وصدر التابعين ، وانّما حدث بعد سنة ١٢٠هـ.ق.. والخ.

بل اشتهر التدوين في العصر العباسي بتشويق من المنصور الدوانيقي حتى قيل انّه أول من ترجمت له الكتب السريانية والاعجمية بالعربية في الطب والسياسة والفلسفة والفلك والتنجيم والآداب والمنطق وغيرها.

وعن تقييد العلم للخطيب البغدادي عن معمر ، عن الزهري قال : كنّا نكره كتاب العلم حتّى أكرهنا عليه هؤلاء الأُمراء فرأينا ألا نمنعه أحداً من المسلمين[٣٠٨].

---

٣٠٣- ارشاد الساري ١ : ٧.

٣٠٤- قيل آخر عصر التابعين هو حدود الخمسين ومائة هجري قمري. والحد الفاصل بين المتقدّم والمتأخّر هو رأس سنة ٣٠٠هـ.ق.

٣٠٥- هو عمر بن عبد العزيز الاموي الذي تولّى عام ٩٩ ومات عام ١٠١هـ.ق.

٣٠٦- هو أبا بكر بن ( محمّد الانصاري ) حزم .

٣٠٧- صحيح البخاري ١ : ٤٩ .

٣٠٨- تقييد العلم : ١٠٧.

وقال أيضاً : استكتبني الملوك فأكتبتهم ، فاستحييت الله إذ كتبتها للملوك ألاّ أكتبها لغيرهم[٣٠٩] .

ونذكر قائمة باسماء جمع من المؤلّفين على ما ذكره الذهبي وغيره من المؤلفين وهي كما يلي :

١ ـ ابن جريح ( المتوفّى ١٥٠ هـ.ق) التصانيف.

٢ ـ أبو حنيفة ( المتوفّى ١٥٠ هـ.ق ) الفقه والرأي.

٣ ـ سعيد بن عروبة ( المتوفّى ١٥٦ هـ.ق ).

٤ ـ الأوزاعي بالشام ( المتوفّى ١٥٦ هـ ـ أو ١٥٧ هـ.ق).

٥ ـ حماد بن سلمة ( المتوفّى ١٦٧ هـ.ق).

٦ ـ مالك بن أنس ( المتوفّى ١٧٩ هـ.ق ) الموطأ.

٧ ـ ابن اسحاق ( المتوفّى ١٥١ هـ.ق ) المغازي.

٨ ـ معمر اليمني ( المتوفّى ١٥٣ هـ.ق ).

٩ ـ سفيان الثوري ( المتوفّى ١٦١ هـ.ق) الجامع.

١٠ ـ هشام الواسطي ( المتوفّى ١٨٨ هـ.ق ).

١١ ـ الليث بن سعد ( المتوفّى ١٧٥ هـ.ق ).

١٢ ـ عبدالله بن لهيعة ( المتوفّى ١٧٤ هـ.ق ).

١٣ ـ ابن المبارك ( المتوفّى ١٨١ هـ.ق ).

١٤ ـ القاضي أبو يوسف يعقوب ( المتوفّى ١٨٢ هـ.ق ).

١٥ ـ ابن وهب ( المتوفّى ١٩١ هـ.ق ).

---

٣٠٩- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١ : ٧٧.

قيل : ولم يصل الينا من الكتب المبوبّة إلى آخر المائة الثانية ( أي في الحديث ) إلاّ موطأ مالك.

هنا لسنا بصدد التحقيق حول الموضوع ، وذكرناه للتوضيح فلنرجع إلى مقصودنا وهو تدوين الحديث وكتبه المشهورة وتاريخه وما يتعلّق به من اعتبار الأحاديث المنسوبة إلى النبي الأكرم ﷺ واعتبارها.

فقد تحوّل تدوين الحديث بعد سنة ٢٠٠ هجري قمري إلى حالة أُخرى، وهي أن يفرد حديث النبي ﷺ خاصة بالتدوين كما عرفت آنفاً .

فصنّف عبدالله بن موسى العبسي الكوفي ت٢١٣ هـ.ق ومسدد بن مسرهد البصري ت٢٢٨ هـ.ق والحميدي ت٢١٩ هـ.ق كلّ منهم مسنداً[٣١٠] .

ثم بعد ذلك صنّف أحمد بن حنبل ت٢٤١ هـ.ق واسحاق بن راهويه ت٢٣٧هـ استاذ البخاري وغيرهما مسانيد[٣١١] .

أمّا الكتب والمصادر المشهورة المرجوع اليها في الحديث ، فهي كما يلي.

١ .كتاب الموطأ لأنس بن مالك مولود في سنة٩١ أو٩٢ هـ.ق. توفّي سنة ١٧٩ هـ.ق.

٢ .كتاب محمّد بن اسماعيل البخاري مولود في سنة ١٩٤ هـ.ق. توفّي سنة ٢٥٦ هـ.ق.

٣ .كتاب مسلم بن الحجاج النيشابوري مولود سنة ٢٠٤ هـ.ق. توفّي سنة ٢٦٨ هـ.ق.

٤ . سنن أبي داود سليمان بن الاشعث السجستاني مولود ٢٠٢ هـ.ق. توفّي سنة ٢٧٥ هـ.ق.

٥ . سنن الترمذي الضرير محمّد بن عيسى مولود ٢٠٩ هـ.ق. متوفّى٢٧٩ هـ.ق.

٦ . سنن النسائي أحمد بن شعيب النيسابوري مولود عام ٢١٥ هـ.ق. متوفّى ٣٠٣ هـ.ق.

---

٣١٠- المسند أي ان يجعل جميع ما يروي عن كلّ صحابي . أي ما يسند إليه . في باب على حدة او جهة مهما كان نوع موضوع الحديث.

٣١١- قيل : ان معاوية بن ابي سفيان استحضر عبيد بن سارية يسأله أخبار الملوك وامر أن يدوّن ما يقول. وقيل : انّ خالد بن يزيد بن معاوية ترجمت له كتب الفلسفة والنجوم والكيمياء والطب والحروب وغيرها وهو أول من جمعت له الكتب وجعلها في خزانه وظهرت بعد ذلك في كتب الاسلام كموروث أسلامي. وقيل : انّ ابو جعفر المنصور أول حاكم ترجمت له الكتب السريانية والأعجمية بالعربية، وهو حمل الفقهاء على جمع الحديث والفقه.

وهذه هي المسانيد المشهورة في الملّة (أهل السنة) وهي أُمّهات كتب الحديث في السنة ، وانّها إن تعدّدت ترجع إلى هذه في الأغلب[٣١٢].

وزاد البعض منهم على الأصول الخمسة . أي كتب (البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي) اضاف سنن ابن ماجه المولود ٢٠٩ هـ.ق. المتوفّى ٣٧٥ أو٣٧٣ هـ.ق.

ولذلك اشتهرت كلمة الصحاح الستة في لسان الناس وقالوا انّ الكتاب السادس هو سنن الدارمي المتوفّى سنة ٢٥٥ هـ.ق. فانّ ابن ماجه اخرج أحاديث عن رجال متهمين بالكذب وسرقة الأحاديث.

ومن هذا تعلم انّ عمدة التدوين لاهل السنة انّما وقعت في القرن الثالث من الهجرة النبوية الشريفة.

**سادساً : ولادة الأحاديث أو الروايات**

سبق وأن علمت أهل النفوذ والصحابة الكبار قد نهوا عن نقل الحديث أو اكثاره ، فأُهملت وحوربت ثم النتيجة تركت كتابة الأحاديث إلى حد كبير.

بأمر من الخلفاء واستمرت هذه الحالة إلى أوائل القرن الثالث من الهجرة في أغلب الكلام والنتيجة الطبيعية من الحالة المذكورة أمرين وهما:-

أحدهما : وقوع تحريف في الأحاديث زيادة ونقيصة. والاخر : ضياع الأحاديث بكميات كثيرة وكبيرة من خلال موت حامليها أو نسيانهم.

وما وصل إلى القرن الثالث أو يمكن ان نقول القرن الثاني انّما هو قليل جداً ولكنّ الأقاويل المسماة بالأحاديث مع ذلك ازدادت وكثرت ونمت وتوسعت بحيث تندهش العقول ونذكر بعض الشواهد منها وهي:

---

٣١٢- انظر : المقدمة ٤١٨ لابن خلدون .

( أ ) . عن أحمد بن حنبل في مسنده قال: هذا كتاب جمعته وانتقيته من ( ٧٥٠ ) ألف حديث.

( ب ) . عن محمّد بن عمر الرازي أبي بكر الحافظ قال: كان أبو زرعة يحفظ ( ٧٠٠ ) ألف حديث ، وكان يحفظ ( ١٤٠ ) ألف حديث في التفسير.

( ج ) . عن مالك ابن انس انّه اختار الموطأ من (١٠٠) ألف حديث.

( د ) . عن الامام البخاري انّه أختار كتابه من (٦٠٠) ألف حديث.

( هـ ) . عن مسلم ، انّه اختار كتابه من بين ( ٣٠٠ ) ألف حديث.

( و ) . عن أبي داود انّه كتب عن الرسول ﷺ (٥٠٠) ألف حديث.

( ز ) . عن الامام البخاري انّه قال : أحفظ مائة ألف حديث صحيح ، وأحفظ مائتي الف حديث غير صحيح.

( ح ) . عن الامام أحمد انّه قال : صحّ من الحديث سبعمائة ألف حديث وكسر وظاهر هذا الكلام ان الأَحاديث الصحيحة فقط تزيد عن (٧٠٠ ) ألف حديث ، وأمّا غير الصحاح من المجهول والضعيف فعدده لم يذكر.

( ط ) . وقيل انّ العلماء رووا عشرات آلاف من الأَحاديث في التفسير ، وابن تيمية الحراني ذكر في كتابه « أُصول التفاسير » انّ الإِمام أحمد قال : ثلاثة أُمور ليس لها اسناد : التفسير والملاحم والمغازي[٣١٣] . ولذلك قال شعبة تسعة أعشار الحديث كذب[٣١٤] .

فأي عاقل ومنصف لا يرى في كلام شعبة السابق أي مبالغة ، بل تتوقّف السنة في صدق العشر الواحد منها ، فالأَحاديث القولية النبويّة غرقت في بحر من الدس والكذب والافتراء كما رأيت سابقاَ.

بحيث لا يمكن وجدانها حتى لو أحضرت غائص حريص ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وكأنّ النبي الخاتم ﷺ يعلم مستقبل أقواله حيث قال: « من قال عليَّ ما لم أقله فقد تبوأ مقعده من النار » أو : « من كذّب عليَّ فهو في النار » ونحوهما من العبارات.

---

٣١٣- مسند أحمد : ١٤.

٣١٤-كتاب أضواء على السنة المحمدية ، الاستاذ محمود أبو ريه. ص١٩٣ وهامشها وص٢٩٩.

ولكن الوضّاعين ، إمّا لا اعتقاد لهم بالنار ، وإمّا لا عقل لهم ، حيث أجابوا النبي ﷺ بانّا لا نكذّب عليك ، بل نكذّب لك؟.

وكما قال الدكتور أحمد أمين[315] من الغريب اننا لو اتخذنا رسماً بيانياً للحديث لكان شكل « هرم » طرفه المدبّب هو عهد الرسول ﷺ ثم يأخذ في السعة على مرّ الزمان ، حتّى نصل إلى القاعدة أبعد ما نكون على عهد الرسول ﷺ مع انّ المعقول كان العكس.

فصحابة رسول الله ﷺ أعرف الناس بحديثه ثم يقلّ الحديث بموت بعضهم مع عدم الراوي عنه وهكذا ، ولكنّا نرى أنّ أحاديث العهد الأَموي أكثر من أحاديث عهد الخلفاء الراشدين، وأحاديث العصر العباسي أكثر من أحاديث العهد الأَموي[316].

ومما سبق بعد ذلك كله أفلا تعجب ممّا نقل عن الامام البخاري انّه يحفظ مائة ألف حديث صحيح؟. لا من جهة ادعاء الحفظ ، فهذا خارج عن محل البحث بل من دعوى صحّة هذهِ الكمية الهائلة من الاحاديث.

فهل هذا يرضى بنفسه ونفس كل منصف مع نهي الخلفاء الثلاثة عن الرواية أو اكثارها وعن الكتابة الى ان وصلت بعد أكثر من قرنين مائة ألف حديث إلى البخاري وحده على ما شرطه؟

فلو أعترض أحد ببطلان هذا المدعى لم يكن كاذباً وآثماً ولو سألتني عن الحق قلت لك : انّ اقتصار البخاري في مؤلفهُ على نقل ٢٠٦٢ حديث فقط فهذا خير دليل على اشتباه هذه المدعى. أفلا تعقلون؟.

---

٣١٥- الاسلام الصحيح : ٢١٥ .

٣١٦- كتاب ضحى الاسلام ص١٢٨ .

**سابعاً : اسباب كثرة الرواية**

أسباب التكثّر المجعول : تجد هناك عدة أسباب لذلك ولكن نذكر ما هو معروف من اهم الاسباب واليك ما يلي:

١ ـ تجد عدم اقدام الخلفاء على تدوين الأحاديث المعتبرة في مجموعة لا يبقى بعدها أي مجال للوضع والكذب والشك.

بل تجد العكس انه من سوء حظ المسلمين حرمانهم من نور الأئمة الاطهار الاثني عشر عليهم السلام من قريش فلقد منعوا من كتابتها وأوجدوا أرضية وسيعة للوضّاعين والمكثرين بما شاءوا.

٢ ـ تجد الغلو المفرط في شأن كلّ من سمّي بالصحابي ولو كان فاسقاً فاجراً ومنهم من ذهب حتى لو شاهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرة ولو كان مشركاً.

وجعلوا الصحبة باب ستر قوي وجدار منيع عن أي نقد وبحث وهذا فضلاً عن الاعتراض على الاخطاء فتجدهم أكرموا القاتل والمقتول ويتحفون كلاهما بالترضيّة.

ويزعمون عدالة الطرفين وإن كان صدر منهم ما صدر ، فقبلوا افتراءات أبي هريرة وامثاله بإخلاص وعقيدة واعتقدوا أنّها لم تصدر إلاّ فقط عن لسان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

ولئن كان هناك في الصدر الاول عدّة محدودة كأمثال أبي هريرة ، ولكن تكثّرت وتعدّدت بعده في الطبقة الثانية أضعاف العدد بالطبقة الاولى، وهكذا حتى وصل الى زمن المدّونين من أرباب المسانيد والصحاح؟.

والحقيقة انّ المغالاة بحق الصحابة واعتبار الجميع في اعلى مرتبة من التقوى والاخلاص والواقع عكس ذلك.

تجدهُ قد تسبّب بضرر كبير وكثير على الدين والعلم والحقيقة ، ولكن من يزعم انّ اطلاق العقل في التحقيق والبحث عن أحوال الصحابة.

بحسب موازين الجرح والتعديل الرائجة في حق غيرهم يوجب له التزلزل في اركان التسنّن فهو يعترف ـ أشعر أو لم يشعر ـ من انّ بناء التسنّن على الأَباطيل والمجهولات والعمى المطلق ، ولا يوافقه أحد من علماء أهل السنة .

٣ . تلاحظ دس الاسرائيليات في الأحاديث ومن ثم بثها بين المسلمين وبعدها أصبحت كونها من أقوال النبي ﷺ من المسلمات فلا تقبل الترديد.

٤ . تجد وجود أُناس عديمي التقوى ليس لهم همٌّ سوى شبع البطن وهؤلاء عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم.

فقصّوا على الناس ما أعجبهم أو ما يقوي السلطة الحاكمة ، ونسبوا ذلك كلهِ إلى النبي الأكرم ﷺ فحصلوا بذلك على حطام الدنيا ومتاعها واشتهروا بين الناس فباعوا الدين بالدنيا.

ولقد علمت وعرفت فيما سبق انّ الامام البخاري ادّعى انّه يحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح.

فقد جاء عن مالك بن أنس ( ٩١ أو ٩٣ . ت ١٧٩هـ) انّ هذا العلم دين فانظروا عمّن تأخذون دينكم ، لقد أدركت سبعين ممّن يقولون قال رسول الله ﷺ عند هذه الاساطين (عمد المسجد النبوي)[٣١٧].

٥ . تجد السلطة الاموية كان بحاجة جداً شديدة إلى استخدام الدين لغرض ضرب منافسيهم ومخالفيهم من بني هاشم.

الذين هم لهم الحق أكثر منهم ديناً وعلماً وكرماً وأقرب رحماً إلى الرسول ﷺ فصرفوا اموال المسلمين في اجارة الدجالين والوضّاعين لابطال الحقّ وإحقاق الباطل[٣١٨].

٦ . تجد دس الزنادقة لافساد أمر الشريعة وعقائد الأمة الاسلامية فلقد ذكر ابن عساكر . على ما نقل . عن هارون العباسي انّه جيء إليه بزنديق فأمر بقتله. فقال الزنديق:

يا أمير المؤمنين أين أنت عن أربعة آلاف حديث وضعتها فيكم أُحرّم فيها الحلال وأُحلّ فيها الحرام.

---

٣١٧- أضواء على السنة المحمدية : ٢٩٥.

٣١٨- حكام بني أُميّة لم يطلبوا وضع الحديث في حقّهم فقط ، بل سوء حالهم من صدر الاسلام كان معلوماً مشهوراً عند المسلمين. بل كذلك في تقليل شأن الامام علي وآله عليهم السلام وفي تعظيم مخالفيهم ، وفي حوادث تتعلّق بهما ، وبالتالي نجحوا في تغيير الرأي العام إلى حيث أرادوا. وشاهد الحال اليوم ما تراه وتسمع . فتأمل.

ومثلهِ انّه لما أخذ عبد الكريم بن أبي العوجاء يضرب عنقه قال : لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أُحرّم فيها الحلال وأُحللّ الحرام.

وعن حماد بن زيد وضعت الزنادقة على رسول الله اثني عشر ألف حديث.

وجاء عن اسحاق بن راهويه : انّه يحفظ أربعة آلاف حديث مزوّرة.

**ثامناً : كذب لأغراض سياسية ومادية**

ولاحظ ممّا يؤكد هذه الكثرة المكثرة من الأَحاديث من انها قد نشأت من الجعل والكذب لأغراض مادية أو سياسية أو غير ذلك.

اذاَ فلا يصح الاعتماد على جميع ما في الصحاح الموجودة اليوم (فضلاً عن غيرها مثل مسند أحمد بن حنبل وغيره) فانّ كبار الصحابة الذي عاشروا النبي ﷺ طوال حياته المباركة.

فكانت لهم الشهرة والمكانة الاجتماعية بل لتجد جملة منهم مثل الخلفاء يديرون دولة اسلامية أسمهِ ﷺ وبيدهم مقدرات العباد والبلاد وقد أقلّوا من الحديث والتحديث عن الرسولﷺ.

فعن ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث قال: كان كثير من أَجلّة الصحابة وأهل الخاصة برسول الله ﷺ كأبي بكر والزبير وأبي عبيدة والعباس بن عبد المطلب يقلّون الرواية عنه ، بل كان بعضهم لا يكاد يروي شيئاً كسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة كما يروون[٣١٩].

وكذلك مثلهِ عن ابن بطال وغيره : كان كثير من كبار الصحابة لا يحدثون عن رسول اللهﷺ خشية المزيد والنقصان[٣٢٠].

حتى قيل لا يوجد حديث واحد عن أبي عبيدة الجراح وعتبة بن غزوان وأبي كبشة مولى رسول الله ﷺ وكثير من غيرهم في كتابي البخاري ومسلم[٣٢١].

وقيل للزبير كما ذكر ذلك الامام البخاري : انيّ لا أسمعك تحدّث عن رسول الله ﷺ كما يحدث فلان وفلان.

٣١٩- تأويل مختلف الحديث : ٥٦.

٣٢٠- فتح الباري ٦ : ٢٨.

٣٢١-كتاب أضواء على السنة المحمدية : ٥٧ .

قال الزبير: أمّا أنّي لم افارقه ، ولكنّي سمعته يقول : « من كذّب عليَّ فليتبوّأ مقعده من النار».

وعن ابن عباس : انّا كنّا نحدّث عن رسول الله ﷺ إذا لم يكن يكذب عليه ، فلمّا ركب الناس الصعبة والذلول تركنا الحديث عنه[٣٢٢].

وقال كذلك في جواب بشير بن كعب العدوي حيث قال له : ما لي أراك لا تسمع لحديثي؟ أحدّثك عن رسول الله ﷺ ولا تسمع؟

قال ابن عباس : انّا كنّا مدة إذا سمعنا رجلاً يقول : قال رسول الله ﷺ ابتدرته ابصارنا واصغينا بآذاننا ، فلمّا ركب الناس الصعبة والذلول لم نأخذ من الناس إلاّ ما نعرف[٣٢٣].

فلاحظ انّ ابن عباس لا يعتني بحديث الصحابي وهمله ولا يخطر في ذهنه اصالة العدالة للصحابي وانّ الكذب عليه ﷺ قد فشا وذاع في زمان ابن عباس حتّى سلب اعتماده.

ونورد اليك هنا قائمة محددة من أحاديث بعض الصحابة المشهورين مع دوام صحبتهم للرسول ﷺ وهم :

١ . أبو بكر : فقد روى عن النبي ﷺ على قول النووي في تهذيبه ١٤٢حديثاً وأورد السيوطي ١٠٤منها في كتابه تأريخ الخلفاء والبخاري في كتابه ٢٢حديث.

٢ . عمر : لم يصح منه إلاّ مقدار خمسين حديثاً كما عن ابن حزم.

٣ . علي عليه السلام: قد أسندوا له . كما عن السيوطي ٥٨ حديثاً ، وعن ابن حزم انّه لم يصح منها إلاّ خمسين حديث. لم يرو البخاري ومسلم منها إلاّ نحواً من عشرين حديث.

٤ . عثمان بن عفان: له بالبخاري تسعة أحاديث وفي مسلم خمسة.

٥ . الزبير بن عوام: له بالبخاري تسعة أحاديث وفي مسلم واحد.

٦ . طلحة : له في البخاري أربعة أحاديث.

٧ . ابن عوف : له في البخاري تسعة أحاديث.

---

٣٢٢- نفس المصدر ، ص٦٦ .

٣٢٣- نفس المصدر .

٨ . أُبي بن كعب : له في كتب الصحاح الستة ستون حديثاً ونيف.

٩ . زيد بن ثابت: في البخاري ثمانية واتفق الشيخين على خمسة.

١٠ . سلمان الفارسي (المحمدي) له في البخاري أربعة أحاديث وفي مسلم ثلاثة أحاديث[٣٢٤].

فمن جملة المكثرين لاحاديث المشهورين أبو هريرة الذي لم يصاحب النبي ﷺ إلاّ سنة وتسعة أشهر فقط.

ونقل أبو محمّد ابن حزم فقال : انّ مسند بقي ابن مخلد قد احتوى من حديث أبي هريرة على (٥٣٧٤) روى البخاري منها (٤٤٦)[٣٢٥]حديث؟.

بغض النظر عمّا قيل في أبي هريرة الذي اختلفوا في تعيين اسمه على ثلاثين قول؟. لتجد انّ جملة كثيرة من أحاديثه مجعولة قطعاً ، إمّا منه ، وإمّا من غيره.

وهذا العلم الاجمالي كافي لكي يسقط حجية جميع رواياته ، كما إذا علمنا بوجود أموال محرّمة في ضمن أموال كثيرة في بيت مثلاً ، فان مقتضى القاعدة الاجتناب عن الجميع .

وكذلك ذكر انه نقل عن كل واحد من انس والسيدة ام المؤمنين عائشة أكثر من ٢٣٠٠ حديث ولا شكّ في كذب العديد منها.

**تاسعاً : الكذب والوضاعون والوضع**

جاء عن النووي في شرح مسلم ونقلاً عن القاضي عياض من ان الكاذبون ضربان : أحدهما :

ضرب عرفوا بالكذب في الحديث وهم أنواع ، منهم : من يضع ما لم يقله رسول الله ﷺ أصلاً كالزنادقة واشباههم.

إمّا حسبةً بزعمهم كجهلة المتعبدين الذين وضعوا الأحاديث في الفضائل والرغائب.

وإمّا إغراباً وسمعة كفسقة المحدّثين ، وإمّا تعصباً واحتجاجاً كدعاة المبتدعة ومتعصّبي المذاهب[٣٢٦].
وإمّا اشباعاً لهوى أهل الدنيا فيما أرادوه ، وطلب الفوز لهم فيما اتوه.

---

٣٢٤- نفس المصدر ، ٢٢٤ - ٢٢٥.

٣٢٥- نفس المصدر ، ص٢٠٠.

ومنهم من : لا يضع متن الحديث ، ولكن ربّما وضع للمتن الضعيف اسناداً صحيحاً مشهوراً.

ومنهم : من يكذب فيدّعي سماع ما لم يسمع.

ومنهم : من يعمد إلى كلام الصحابة وغيرهم وحكم العرب والحكماء فينسبها إلى النبي ﷺ .انتهى.

وكذلك عن القرطبي في شرح كتاب مسلم : أجاز بعض فقهاء أهل الرأي نسبة الحكم الذي دلّ عليه القياس الجلي إلى رسول الله ﷺ نسبة قولية.

وكذلك عن أبي شامة في كتابه مختصر المؤمل : ممّا يفعله شيوخ الفقه في الأحاديث النبوية كثرة استدلالهم بالأحاديث الضعيفة نصرة لقولهم، وينقصون في ألفاظ الحديث ، وتارة يزيدون ، وما أكثره في كتب أبي المعالي وصاحبه أبي حامد.

وقيل : ان كتب أئمّة الحديث كالإحياء للغزالي لا تخلو من الموضوعات الكثيرة.

واعتبر البعض منهم من أسباب الوضع التحديث عن الحفظ ولم يتقن الحفظ، مع اختلاط العقل في أواخر عمره وكذلك الظهور على الخصم في المناظرات وخصوصاً إذا كانت في الملأ.

ومحاولة ارضاء الناس واستمالتهم لحضور مجالسهم (كما تشاهده اليوم) وألصق المحدّثون هذا السبب بالقصاص حتى قيل : ما أمات العلم إلاّ القصاص وانّهم اكذب الناس.

وكذلك أخرج الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن نافع وغيره من أهل العلم قالوا : لم يقص في زمان النبي ﷺ ولا في زمان أبي بكر وعمر ، وانّما القصص محدث أحدثه معاوية حين كانت الفتنة[٣٢٧].

وكذلك للوضع أسباب أخر مثل حسبان هداية الناس بوضع ما يدلّ على شدة الترهيب وزيادة الترغيب.

---

٣٢٦- قال بعض الباحثين : وليس الوضع لنصرة المذاهب محصوراً في المبتدعة واهل المذاهب في الأصول ، بل ان من أهل السنة المختلفين في الفروع من وضع أحاديث كثيرة لنصرة مذهبه أو تعظيم امامه واليك حديثاً واحداً وهو : يكون في امتي رجل يقال له محمّد بن ادريس اضر على امتي من ابليس ويكون في امتي رجل يقال له أبو حنيفة هو سراج امتي ص١٢١ أضواء على السنة المحمدية.

٣٢٧- أضواء على السنة المحمدية : ١٢٣.

ولاحظ وركز على ما روي عن خالد بن يزيد : سمعت محمّد بن سعيد الدمشقي يقول : إذا كان كلام حسن لم أرَ بأساً من أن اجعل له اسناداً[٣٢٨].

ولاحظ وأنتبه لما روي في الحلية عن شيخ خارجي بعد أن تاب : فانظروا عمّن تأخذون دينكم، فانّا كنّا إذا هوينا أمراً صيّرنا له حديثاً؟.

وجاء عن الطحاوي في المشكل فذكر عن أبي هريرة مرفوعاً عنهﷺ : إذا حدّثتم عني حديثاً تعرفونه ولا تنكرونه فصدقوا به قلته أم لم اقله ، فانيّ أقول ما يعرف ولا ينكر ، وإذا حدّثتم عني حديثاً تنكرونه ولا تعرفونه فكذبوا به ، فانيّ لا اقول ما ينكر ولا يعرف[٣٢٩].

وكذلك عن الامام مسلم ، عن يحيى بن سعيد القطان : لم نر الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث.

وكذلك عنه جاء عن أبي الزناد : أدركت بالمدينة مائة كلّهم مأمون ، ما يؤخذ عنهم الحديث[٣٣٠].

وعلى كلٌّ حال جمع من الموضوعات ابن الجوزي والسيوطي وغيرهم مجلدات كثيرة جدا.

---

٣٢٨- النووي على مسلم ١ : ٣٢.

٣٢٩- أبي هريرة كيف يظهر بعض أسباب تكثّره حديثه .

٣٣٠- اضواء على السنة المحمدية ١٣٧ و١٣٨.

**عاشراً : الطبقة الاولى للحديث**

نظرة في مسند أحمد موطأ مالك : نقصد شيء عابر إلى الأَحاديث المروية في الكتب التي تسمّى بالصحاح الستة على الاجمال من دون غيرها من كتب الحديث.

ولكنّ يناسب ذكر ما قالوا حول موطأ مالك ومسند أحمد توضيحاً لحالهما من باب الإجمال من دون تعرض لحال احاديثهم بالتفصيل .

فقد ورد عن الدهلوي في حجة الله البالغة قال: انّ الطبقة الأَولى من كتب الحديث منحصرة بالاستقراء في ثلاثة كتب : الموطأ وصحيح البخاري وصحيح مسلم.

والطبقة الثانية لم تبلغ مبلغ الموطأ والصحيحين ، ولكنها تتلوها وهي: سنن أبي داود والترمذي والنسائي.

والطبقة الثالثة مسانيد مصنفات صنّفت قبل البخاري ومسلم وفي زمانهما وبعدهما فهي قد جمعت فيما بين الصحيح والحسن والضعيف والمعروف والغريب والشاذ والمنكر والخطأ والصواب والثابت والمقلوب. واما اعتماد المحدثين فهو على الطبقة الثانية.

وقد ألّف مالك الموطأ في أواخر عهد المنصور العباسي وذلك في سنة ١٤٨هـ.ق والسبب كما نقل عن الشافعي هو انّ أبا جعفر المنصور بعث إلى مالك لما قدم إلى المدينة وقال له : انّ الناس قد اختلفوا في العراق فضع للناس كتاباً نجمعهم عليه ولا تذكر فيه ما لا نريدهم فوضع الموطأ.

ولكن هناك نقل آخر : فقال المنصور انيّ عزمت أن آمر بكتبك هذه التي وضعت ( يعني الموطأ ) فتنسخ نسخاً ثم أبعث إلى كلّ مصر من أمصار المسلمين منها نسخة ، وآمر أن يعملوا بما فيها ولا يتعدوها إلى غيرها[٣٣١] .

وجاء عن السيوطي في تنوير الحوالك عن القاضي أبي بكر بن العربي : انّ الموطأ هو الأَصل الاول والبخاري هو الاصل الثاني ، وانّ مالكاً روى مائة الف حديث ، اختار منها في الموطأ عشرة آلاف حديث ، لم يزل يعرضها على الكتاب والسنة حتّى رجعت الى ٥٠٠ حديث.

---

٣٣١- وقيل انه قال له .. فقلت : يا أمير المؤمنين لا تفعل هذا فانّ الناس قد سبقت اليهم أقاويل وسمعوا أحاديث ورووا روايات ، وأخذ كلّ قوم بما سبق اليهم وعملوا به ودانوا من اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم...

ومثلهِ في رواية ابن الهباب : ثم لم يزل يعرضه على الكتاب والسنة ويختبرها بالآثار والأخبار حتّى رجعت إلى ٥٠٠ حديث.

فلاحظ الحيرة وشدة ابتذال الحديث بالجعل والوضع وسلب الاعتماد عن الرواة بأن تصل مائة ألف حديث إلى خمسمائة حديث؟.

والظاهر من عبارته المذكورة من انّ ٩٥٠٠ حديث من ١٠٠٠٠ حديث مختارة من ١٠٠٠٠٠ حديث مخالفة للكتاب والسنة أو الآثار والاخبار فحذفها ثانياً من كتابه.

ولكن روي عن الديباج المذهّب في معرفة أعيان المذهب ( أي المذهب المالكي ) : قال عتيق الزبيدي :

وضع مالك الموطأ على نحو عشرة آلاف حديث ، فلم يزل ينظر فيه كلّ سنة ويسقط منه حتّى بقي هذا، ولو بقي قليلاً لأسقطه كلّه؟.

وعلى كلّ حال ذكروا عن الشافعي من انّه أصح الكتب بعد كتاب الله ، وقد نقل عن جمع ما يقرب من هذا المدح.

لكن بالمقابل قيل انّ مالكاً لم يقتصر في كتابه على الصحيح ، بل أدخل فيه المرسل والمنقطع والبلاغات ، ومن بلاغاته أحاديث لا تعرف ، كما عن ابن عبد البر.

وكذلك قيل : انّ الروايات عنه مختلفة حتّى بلغت هذه الروايات عشرين نسخة ، وقيل : انّها ثلاثون ، واذا اردت التفصيل أكثر راجع كلام الزرقاني في شرحه على الموطأ؟.

ولاحظ ما روي عن بستان المحدثين لعبد العزيز الدهلوي : انّ نسخ الموطأ التي توجد في بلاد العرب في هذه الأيام متعدّدة عدّ منها ١٦ نسخة وقيل : بين الروايات اختلاف كبير من تقديم وتأخير وزيادة ونقص.

وكذلك ورد عن ابن معين : انّ مالكاً لم يكن صاحب حديث ، بل كان صاحب رأي.

وكذلك ما جاء عن الليث بن سعد : احصيت على مالك سبعين مسألة وكلّها مخالفة لسنة الرسول ﷺ.

وأما الدار قطني فلقد ألّف جزءاً فيما خولف فيه مالك من الأحاديث في الموطأ وغيره ، وفيه أكثر من عشرين حديث.

فهذا حال الامام مالك وكتابه الموطأ.

وجاء انه ذكر أحمد عن مسنده كما نقلوا فقال :

انّ هذا الكتاب قد جمعته وانتقيته من أكثر من ٧٥٠ ألف حديث ، فما اختلف فيه المسلمون من حديث رسول الله ﷺ فارجعوا إليه ، فانّ وجدتموه وإلاّ فليس بحجة؟.

ومثلهِ قال أيضاً : عملت هذا الكتاب ، أمّا ما إذا اختلف الناس في سنّة عن رسول الله ﷺ رجع إليه.

وجاء عن مقدمة ابن خلدون : انّ مسند أحمد[٣٣٢] فيه خمسون ألف حديث؟ لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وورد عن ابن تيمية الحنبلي[٣٣٣] نقلاً عن أبي نعيم : انّه روى كثيراً من الأحاديث التي هي ضعيفة ، بل موضوعة باتفاق العلماء؟.

وقال : وليس كلّ ما رواه أحمد في المسند وغيره يكون حجّة عنده ، بل يروي ما رواه أهل العلم ، وشرطه أن لا يروي عن المعروفين بالكذب عنده ، وان كان في ذلك ما هو ضعيف.

---

٣٣٢- المسند : ما أُفرد فيه حديث كلّ صحابي ، من غير نظر إلى موضوع الحديث وترتيبه ، وصحته وعدمها.

٣٣٣- انظر : الجزء الرابع من منهاج السنة .

وأمّا كتب الفضائل فيروي ما سمعه من شيوخه سواء كان صحيحاً أو ضعيفاً ثم زاد ابن أحمد زيادات ، وزاد أبو بكر القطيعي ( الذي رواه عن ابنه ) زيادات ، وفي زيادات القطيعي أحاديث كثيرة موضوعة ( باتفاق أهل المعرفة ) وهذه شهادة حنبلي على إمامه .

وكذلك قال ابن تيمية في كتابه الآخر : وممّا قاله أحمد بن حنبل ، ووافقه عليه عبد الرحمن بن مهدي وعبدالله بن المبارك : إذا روينا في الحلال والحرام شددنا ، وإذا روينا في الفضائل ونحوها تساهلنا.

وجاء عن ابن كثير : فانّ فيه ( أي المسند ) أحاديث ضعيفة ، بل موضوعة كاحاديث وعن العراقي : وأمّا وجود الضعيف في المسند فهو محقق ، بل فيه أحاديث موضوعة، وقد جمعتها في جزء ، ولعبدالله ابنه فيه زيادات فيها الضعيف والموضوع.

وكذلك مثلهِ عن أبي شامة نقلاً عن أبي الخطاب : أصحاب الإمام أحمد يحتجّون بالأَحاديث التي رواها في مسنده ، وأكثرها لا يحل الاحتجاج بها.

وقيل : انّ أحمد شرع في جمع المسند في أوراق مفردة على نحو ما تكون المسودة ثم مات.

فقام ابنه عبدالله بتدوينه وألحق به ما يشاكله ، وضم إليه من مسموعاته ما يشابهه ويماثله ، فسمع القطيعي من كتبه من تلك النسخة على ما يظفر به منها فوقع الاختلاط من المسانيد والتكرار.

وقيل كذلك : انّه قدر الله تعالى انّ الاِمام أحمد قطع الرواية قبل تهذيب المسند وقبل وفاته بثلاث عشرة سنة ، فتجد في الكتاب أشياء مكرّرة ، ودخول مسند في مسند ، وسند في سند[٣٣٤].

وعن ابن قتيبة : قطع أحمد بن حنبل رواية الحديث قبل وفاته بسنين كثيرة من سنة ٢٢٨ هـ على ما يذكره أبو طالب المكي وغيره ، فدخل في الروايات عنه ما دخل من الأَقوال البعيدة عن العلم ، إمّا من سوء الضبط أو من سوء الفهم أو تعمد الكذب[٣٣٥]. والله العالم .

---

٣٣٤- أنظر : مقدمة مسند أحمد للشيخ أحمد محمّد شاكر .

٣٣٥- كتاب الاختلاف في اللفظ : ٥٣ .

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة الثالثة

## سورتان من القرآن

يتضح لك من روايات سورتي المعوذتين في مصادر إخواننا السنة انهما جزء من القرآن عند كل المسلمين؟، وذلك لانه سبحانه القائل: إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون.

وبشكل عام، إن القرآن الكريم . بما تعلق بالإنسان . يتعامل معه من واقع كينونته، ومن ثم يبين له سبيل الصلاح والفلاح في هذه الحياة وبحثه على ارتياده.

سواء كان ذلك معنوي كالإيمان والتمسك بالقيم ومكارم الأخلاق وما شابه ذلك، أو مادي مثل استثمار ما أودع فينا من طاقات كامنة، واستعدادات مذخورة ، لغرض عمارة الأرض وإستغلالها بالشكل الصحيح، وخيرات الكون الذى نعيش فيه.

وكل ذلك لكي يرتقى بالحياة ويتمتع بما أتاح له الله تعالى من ثروات وخيرات كما بيّن له سبيل الفساد والخسران وحذره من ارتياده، وزوّده بالعقل والإرادة لكي يرتاد السبيل الذى يختاره.

فهل كان ذلك بسبب ارتباط هاتين السورتين بالحسن والحسين عليهما السلام حيث كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعوذهما دائما بدعاء على مرأى ومسمع من الناس.

ويقول صلى الله عليه وآله وسلم إتوني بولدي أعوذهما كما كان ابراهيم عليه السلام يعوذ اسحاق ويعقوب عليهما السلام ، فلما نزلت المعوذتان كان يعوذها بهما كما روى ذلك أحمد فقال: ..عن زر قال قلت لأبيٍّ : إن أخاك يحكُّهما من المصحف ، فلم ينكر؟ قيل لسفيان : ابن مسعود ؟ قال نعم.

وليسا في مصحف ابن مسعود ، كان يرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعوذ بهما الحسن والحسين عليهما السلام ولم يسمعه يقرؤهما في شيء من صلاته. فظن أنهما عوذتان وأصر على ظنه، وتحقق الباقون كونهما من القرآن فأودعوهما إياه؟.

وايضا سار على مثلهِ ابن ماجة[٣٣٦] كما روي، ولكن لم يذكر الحسن والحسين عليهما السلام حيث قال: ( عن أبي سعيد ، قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتعوذ من عين الجان، ثم أعين الأنس ، فلما نزل المعوذتان أخذهما وترك ما سوى ذلك).

وايضا مثلهِ رواه الترمذي[٣٣٧] فقال: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان ( يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان ، فلما نزلت أخذ بهما وترك ما سواهما).

وايضا روى مثله المتقي الهندي في كنز العمال[٣٣٨] عن ( ت ن ه ، والضياء عن أبي سعيد).

وايضا مثلهِ روى الامام البخاري[٣٣٩] تعويذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم للحسنين عليهما السلام بدعاء آخر غير المعوذتين فقال: (..عن سعيد بن جبير رضي الله عنه عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعوذ الحسن والحسين عليهما السلام ويقول إن أباكما كان يعوذ بها اسمعيل واسحق عليهما السلام : أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة).

وايضا رواه ابن ماجة[٣٤٠] فقال: ( عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وآله يعوذ الحسن والحسين يقول أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة. قال وكان أبونا إبراهيم يعوذ بها إسماعيل وإسحاق. أو قال إسماعيل ويعقوب).

وايضا مثله روي عند : أبوداود[٣٤١] ، والترمذى[٣٤٢] ، والحاكم[٣٤٣] ، وأحمد[٣٤٤].

وايضا جاء أنه رواه الهيثمي[٣٤٥] بعدة روايات وفي إحداهاو ذكر عن عبد الله بن مسعود فيها تفصيل رائع حيث قال: ( كنا جلوساً مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ مر به الحسين والحسن عليهما السلام وهما صبيان

---

٣٣٦- سنن ابن ماجه ج ٢ ص١١٦١ .

٣٣٧- سنن الترمذي ج ٣ ص ٢٦٧ .

٣٣٨-كنز العمال ج ٧ ص٧٧ .

٣٣٩- صحيح البخاري ج ٤ ص١١٩ .

٣٤٠- ابن ماجة ج ٢ ص ١١٦٥ .

٣٤١- أبو داود ج ٢ ص ٤٢١ .

٣٤٢- سنن الترمذى ج ٣ ص ٢٦٧ .

٣٤٣- الحاكم المستدرك الجزء الثالث ص١٦٧ والجزء الرابع ص٤١٦ وقال في الموردين (صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ).

٣٤٤- مسند أحمد ج ١ ص ٢٣٦ وكذلك ص ٢٧ .

٣٤٥- الهيثمي مجمع الزوائد ج ٥ ص ١١٣ .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: هاتوا ابني أعوذهما مما عوذ به إبراهيم عليه السلام ابنيه إسماعيل وإسحق عليهما السلام قال صلى الله عليه وآله وسلم: أعيذكما بكلمات الله التامة من كل عين لامة ومن كل شيطان وهامة ).

وايضا ورد أنه قد رواه الطبراني، وفيه مُحَّد بن ذكوان وثقهُ شعبة وابن حبان وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات.

وايضا جاء أنه روي عن طريق المتقي الهندي في كنز العمال[٣٤٦] عن عمر قال: ( عن عمر بن الخطاب أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يعوذ حسناً وحسيناً يقول صلى الله عليه وآله وسلم: أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ـ حل).

وايضا روى الامام البخاري ذلك بعدة روايات عن السيدة عائشة بتفاوت في الدعاء ، لكنها لم تسم فيهما الحسنين؟ قال[٣٤٧] : (... حدثني سليمان عن مسلم عن مسروق عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يعوذ بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول الله رب الناس أذهب الباس واشفه وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً ).

ومثلهِ ايضا : قال سفيان حدثت به منصوراً فحدثني عن إبراهيم عن مسروق عن ام المؤمنين عائشة نحوه .. روايتين[٣٤٨] :

( ...عن ام المؤمنين عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعوذ بعضهم يمسحه بيمينه ...اذهب الباس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً. فذكرته لمنصور فحدثني عن ابراهيم عن مسروق عن عائشة بنحوه ) .

وايضا روى نحوه الامام أحمد[٣٤٩] في مسنده مثله.

ولاحظ جيداً ان من خلال هذه الروايات تعرف أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يهتم بولديه الحسن والحسين عليهما السلام وتعويذهما بكلمات الله تعالى لدفع الحسد والشر عنهما.

---

٣٤٦- كنز العمال ج ٢ ص٢٦١ وكذلك في: ج١٠ص١٠٨ .

٣٤٧- صحيح البخاري ج ٧ ص ٢٤ .

٣٤٨- نفس المصدر ، ص ٢٦ .

٣٤٩- مسند أحمد ج ٦ ص ٤٤- ٤٥ .

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يفعل ذلك بشكل متعمد، أمام الناس، لكي تركتز مكانتهما في الأمة مع التأكيد على أنهما ذريته وامتداده، وانت تعلم ما فعلوا بهم. فنأمل ان تراجع ما حدث لهم.

وتجد ان إسحاق واسماعيل عليهما السلام بقية ابراهيم عليه السلام وامتداده؟، وبعد نزول المعوذتين كان يعوذهما دائماً بهما؟، فارتبطت السورتان في ذهن الأمة بالحسنين عليهما السلام فهل اسري اليهما الحسد أو الحب؟. ولك ان تحكم؟.

ولكنك تلاحظ ان الاحاديث تحاول تصوير عبدالله بن مسعود، من أنه هو حامل راية العداء للمعوذتين، وتنقل إصراره على حذفهما من القرآن، ولكن تجد ان هنالك أمور تجعلك تشك فمنها:

منها : الصحابي الجليل ابن مسعود لم يكن معروف ببغض الامام علي والحسن والحسين عليهم السلام .

منها : تجد ان من المؤكد ان الصحابي ابن مسعود، قد اطلع على تأكيدات الرسول صلى الله عليه وآله، التي نقلت عن طريق الصحابة، وأهل البيت عليهم السلام على أن المعوذتين هما سورتان منزلتان من الله.

منها : تلاحظ إن ترك المعوذتين، قد شاع في وسط المسلمين حتى كانوا يسخرون، ممن يعتقد بأنهما من القرآن ويقرأ بهما في صلاته.

ويعتبر هذا أكبر من تأثير ابن مسعود، فمن البديهي ان هذا لا يحدث، من دون عمل من السلطات، كمؤثر رئيسي على الناس، وذلك عبر اساليبها وعيونها وغير ذلك.

وهو كما ذكر الامام أحمد[٣٥٠] في مسنده قال: ( حنظلة السدوسي قال قلت لعكرمة: إني أقرأ في صلاة المغرب بقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس وإن ناساً يعيبون ذلك عليَّ؟، فقال: وما بأس بذلك ، إقرأهما فإنهما من القرآن).

فالراوي عكرمة هذا، هو عبد لابن عباس الهاشمي، ومنه أخذ ثقافته القرآنية، حتى وإن أصبح فيما بعد من الخوارج.

منها : تلاحظ كما جاء عن ابن مسعود انه، قد روى حديث أو أكثر في فضل سورتي المعوذتين ، فهو متناقض للحديث (أنه أنكرهما).

---

٣٥٠- نفس المصدر ، ج ١ ص ٢٨٢ .

منها : ما جاء في كنز العمال[351] قال : ( استكثروا من السورتين يبلغكم الله بهما في الآخرة: المعوذتين ينوران القبر ويطردان الشيطان ويزيدان في الحسنات والدرجات ويثقلان الميزان ويدلان صاحبهما الى الجنة).

وهي عن الديلمي عن ابن مسعود فكيف أتهامه بنكران السورتين.

منها : تلاحظ ان اتهام حذف المعوذتين ليس لابن مسعود فقط وحده، فقد تظافرت الروايات ان (أبيّ بن كعب)، قد اتخذ موقف محايد، فلم يخطأ ابن مسعود في حذفهما ولم يشهد بأنهما من القرآن؟.

وموقف الحياد أمام نفي شيء من القرآن ونفي لقرآنيته ، وايضا شهادة من بعد وجود دليل على أنه من القرآن؟

كما روى الامام أحمد[352] انه قال : ( عن زر بن حبيش قال قلت لأبي بن كعب: إن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه؟، فقال أشهد أن رسول الله ﷺ أخبرني أن جبريل عليه السلام قال له: قل أعوذ برب الفلق فقلتها، فقال قل أعوذ برب الناس فقلتها. فنحن نقول ما قال النبي ﷺ؟).

وكذلك رواه الهيثمي[353] قال : رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح.

وايضا رواه البيهقي[354] عن أبي بن كعب قال: ( سألت رسول الله ﷺ عن المعوذتين فقال قيل لي فقلت. فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ .. زر بن حبيش يقول سألت أبي بن كعب عن المعوذتين فقلت يا بالمنذر إن أخاك ابن مسعود يحكهما من المصحف؟ قال إني سألت رسول الله ﷺ قال : فقيل لي فقلت. فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ).

ونقل عن ابن حجر[355] انه قال : ( واختلف على أبي بن كعب في إثبات المعوذتين ).

وكلام أبي ابن كعب معناه، كما تدعي الاحاديث، أن الرسول ﷺ لم يصرح، من أن المعوذتين سورتان من القرآن، بل قال ﷺ : قال لي جبرئيل عليه السلام: قل أعوذ برب الفلق ...قل أعوذ برب الناس؟.

---

٣٥١- كنز العمال ج ١ ص ٦٠١ .

٣٥٢- مسند أحمد ج ٥ ص ١٢٩ .

٣٥٣- مجمع الزوائد الهيثمي ج ٧ ص ١٤٩ .

٣٥٤- سنن البيهقي ج٢ ص٣٩٤ .

٣٥٥- لسان الميزان لابن حجر ج ٣ ص ٨١ .

فرسول اللهﷺ لم ينص أنهما سورتان، وقال إنهما من قول جبرئيلعليه السلام فقد يكون جبرئيل عليه السلام علمه إياهما، لكي يعوذ بهما الحسنينعليهما السلام فقط، وليس المقصود ان تكونا جزء من القرآن؟.

فألتفات المشاهدين لهذه الاشارة وغيرها الكثير وقد دفعت المتتبع للقول أن هناك جواً سياسياً معين، يستنكر على الناس ويحارب قراءة المعوذتين في الصلاة، بدليل ما روي عن البرَاء[٣٥٦] بن عازب من حديث له في مسألة الخلافة حينما قال:

فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح، حتى دخلوا على العباس بن عبد المطلب في الليلة الثانية من وفاة رسول الله ﷺ.

قال : فتكلم أبو بكر فحمد الله جل وعز وأثنى عليه ثم قال : إن الله بعث لكم مُحَّداً نبياً، وللمؤمنين ولياً، فمنّ الله عليهم بكونه بين ظهرانيهم ، حتى اختار له ما عنده، وترك للناس أمرهم ليختاروا لانفسهم مصلحتهم متفقين لا مختلفين.

فاختاروني عليهم واليا ، ولأمورهم راعيا ، فتوليت ذلك وما أخاف بعون الله وهناً ولا حيرة ولا جبنا، وما توفيقي إلا بالله، غير أني لا أنفك من طاعن يبلغني فيقول بخلاف قول العامة، فيتخذكم لجأً فتكونوا حصنه المنيع، وخطبه البديع.

فإمّا دخلتم مع فيما اجتمعوا عليه ، أو صرفتموهم عمَّا مالوا إليه ، فقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الامر نصيبا يكون لك ولعقبك من بعدك، إذ كنت عم رسول اللهﷺ وإن كان الناس أيضا قد رأوا مكانك ومكان صاحبك فعدلوا بهذا الامر عنكما.

فقال عمر[٣٥٧] : إي والله ، وأُخرى ، يا بني هاشم على رسلكم فإن رسول الله منا ومنكم، ولم نأتكم لحاجة منا إليكم ولكن كرهنا أن يكون الطعنُ فيما اجتمع عليه المسلمون، فيتفاقم الخطب بكم فانظروا لانفسكم وللعامة.

---

٣٥٦- العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، عم النبي ﷺ يكنى أبا الفضل، كان شريف مهيب عاقل جميل ، صبيحاً حلو الشمائل ، وله عدة احاديث يرويها عن النبي ﷺ ووردت في حقه روايات تتضمن اصرار الرسول ﷺ على اكرامه وعدم هضمه، أسلم قبل الهجرة، وخرج يوم بدر مع المشركين مكرهاً واستأسر للمسلمين ثم فدى نفسه، كانت ولادته قبل النبي ﷺ بثلاث سنين، وتوفي سنة اثنين وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة. كما في ترجمته من سير أعلام النبلاء ج٢ ص٧٨. وتاريخ البخاري ج٧ ص٢. وتهذيب الكمال ج١٤ ص٢٢٥. وتنقيح المقال للمامقاني ج٢ ص١٢٦.

٣٥٧- اعترض كلامه عمر وخرج الى طريقته فى الخشونة والوعيد، وإتيان الامر من أصعب جهاته. فقال: أي والله، واخرى لم نأتكم حاجة اليكم ولكن كرهنا ...الى آخر كلامهِ في شرح النهج ج١ص٢٢٠. فراجع.

فتكلم العباس فقال : إن الله ابتعث مُحّدا ﷺ كما وصفت نبيا وللمؤمنين وليا، فإن كنت برسول الله ﷺ طلبت هذا الامر فحقنا أخذت.

وإن كنت بالمؤمنين طلبت فنحن منهم ، ما تُقدّمنا في أمرك ولا تشاورنا ولا تؤامرنا ، ولا نحب لك ذلك إذ كنا من المؤمنين وكنا لك من الكارهين؟.

وأما قولك أن تجعل لي في هذا الامر نصيبا، فإن كان هذا الامر لك خاصة، فأمسك عليك فلسنا محتاجين إليك، وإن كان حق المؤمنين فليس لك أن تحكم في حقهم.

وإن كان حقنا فإنا لا نرضى منك ببعضه دون بعض ، وأما قولك يا عمر إن رسول الله منا ومنكم ، فإن رسول الله ﷺ شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها فنحن أولى به منكم؟

وأما قولك إنا نخاف تفاقم الخطب بكم بهذا الّذي فعلتموه أوائل ذلك والله المستعان[٣٥٨]؟، فخرجوا من عنده وأنشأ العباس يقول :

ما كنت أحسب هذا الامر منحرفا * عن هاشم ثم منهم عن أبي حسن

أليس أول من صلّى لقبلتكم * وأعلم الناس بالاثار والسنن

وأقرب الناس عهدا بالنبي ومن * جبريل عون له بالغسل والكفن

من فيه ما في جميع الناس كلهم * وليس في الناس ما فيه من الحسن

من ذا الذي ردكم عنه فنعرفه * ها أن بيعتكم من أول الفتن[٣٥٩]

٣٥٨- تجد هذه المناظرة في شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٢٠.

٣٥٩- كتاب سليم بن قيس ص ٧٦ منشورات دار الكتاب الاسلامية وطبعة آخرى ص٢٧ بتحقيق السيد علاء الدين الموسوي . وكتاب سليم بن قيس كتابٌ مشهور معتمد عليه عند المحدثين والمؤرخين، ذكره ابن النديم في الفهرس ص ٣٠٧ حيث قال:- أول كتاب ظهر للشيعة كتاب سليم، وذكر ذلك أيضاً في محاسن الرسائل في معرفة الاوائل، وروى عن سليم غير واحد من أعلام العامة منهم: الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل، والجويني في فرائد السمطين، والقندوزي الحنفي في ينابيع المودة، والسيد أبو شهاب الهمداني في مودة القربى وغيرهم.

وتلاحظ ان هذا (الاتجاه السياسي المشحون) هو المسؤول عن ارتفاع نسبة صحة، هذه الروايات الى ابن مسعود وابن كعب، ومن خلاله ذهب بعضهم الى تكذيب انتساب هذا الرأي الى ابن مسعود مثل الفخر الرازي والباقلاني وابن حزم بما اوردوا من اخبار وهي:

كما ذكر السيوطي[٣٦٠] عن عدد السور قال: ( وفي مصحف ابن مسعود مائة واثنتا عشرة لأنه لم يكتب المعوذتين؟ وفي مصحف أبي ست عشرة لأنه كتب قط آخره –سورتي – الحفد والخلع).

وفي مكان اخر انه قد اورد السيوطي[٣٦١] دفاع عن الفخر الرازي والقاضي أبي بكر والنووي وابن حزم عن ابن مسعود، ولكنه رجح كلام ابن حجر في شرح البخاري، من أنه صح ذلك عن ابن مسعود، فلا يمكن إنكاره.

## أولاً : تشكيك المواقف

التشكيك في موقف الامام البخاري : عليك ان تلاحظ أمامك، هذا التشكيك في سورة المعوذتين في الصحاح ومسانيد إخواننا اهل السنة، فقد بقي لديهم عدد من الاحاديث التي تثبت انها جزء من القرآن الكريم، واكثرها وثاقة وعمدتها ما روي في صحيح الامام مسلم[٣٦٢] قال:

عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : ( ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط ، قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس).

وكذلك مثلهِ عن عقبة بن عامر قال : قال لي رسول الله ﷺ : ( أنزل أو أنزلت عليَّ آيات لم ير مثلهن قط المعوذتين).

وايضا حدثناه أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا وكيع –ح– وحدثني مُحَّد بن رافع حدثنا أبو أسامة كلاهما عن إسماعيل بهذا الإسناد مثله.

---

٣٦٠– الاتقان للسيوطي ج ١ ص ٢٢٧ .

٣٦١– نفس المصدر ، صفحة ٢٧٠ دفاع الفخر الرازي وغيرهم.

٣٦٢– صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٠٠ عن عقبة بن عامر الجهني.

وايضا رواها الامام الترمذي[٣٦٣]، وقال في الموردين (هذا حديث حسن صحيح).

وايضا رواه عن عقبة بلفظ ( أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذتين في دبر كل صلاة . وقال (هذا حديث حسن غريب).

وتجد ايضا انه كرر رواية ابن كعب.

وتجد ايضا رواه الامام البيهقي[٣٦٤] في سننه.

وكذلك اورد الشافعي[٣٦٥] في كتابه الأم حيث قال : ( أخبرنا وكيع، عن سفيان الثوري ، عن أبي إسحق ، عن عبد الرحمن بن يزيد قال :

رأيت عبد الله يحك المعوذتين من المصحف ويقول لا تخلطوا به ما ليس منه . ثم قال عبد الرحمن . وهم يروون عن النبي ﷺ أنه قرأ بهما في صلاة الصبح.

وهما مكتوبتان في المصحف الذي جمع على عهد أبي بكر ثم كان عند عمر ثم عند حفصة ثم جمع عثمان عليه الناس ، وهما من كتاب الله عز وجل ، وأنا أحب أن أقرأ بهما في صلاتي). انتهى.

وتجد ايضا قد رواه الهيثمي[٣٦٦] في عدة روايات في إثبات أن المعوذتين من القرآن.

وقد وصلنا، الى موضوعنا الامام البخاري ووقوفه الى جانب المشككين في المعوذتين، كما في تاريخه الكبير[٣٦٧] قد روى حديث عن عقبة، وبعدها تراجع عن روايتها في صحيحه، فروى فقط عن أبي ابن كعب المتزلزلة المشككة ؟.

مع أن الامام البخاري ذكر عنوانين في صحيحه للمعوذتين ولكنه اكتفى بروايات التشكيك من دون غيرها؟

---

٣٦٣- الترمذي ج ٥ ص ١٢٢ وج ٤ ص ٢٤٤.

٣٦٤- سنن البيهقي ج٢ ص ٣٩٤ .

٣٦٥- كتاب الأم للشافعي ج ٧ ص ١٩٩ .

٣٦٦- مجمع الزوائد للهيثمي ج ٧ ص ١٤٨ .

٣٦٧- التاريخ (الكبير) للبخاري ج ٣ ص ٣٥٣ صحاب (كتاب صحيح البخاري).

وتلاحظ ان تاريخ الامام البخاري، قد ألفه قبل صحيحه كما ذكر في تذكرة الحفاظ[٣٦٨]، فقد جاء البخاري في صحيحه[٣٦٩] بحديث فقال:

( سورة قل أعوذ برب الفلق.... عن زر بن حبيش قال سألت أبيَّ بن كعب عن المعوذتين فقال سألت رسول الله ﷺ فقال قيل لي فقلت : فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ سورة قل أعوذ برب الناس.

وحدثنا عاصم عن زر قال سألت أبيَّ بن كعب قلت أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا . فقال أبيّ : سألت رسول الله ﷺ فقال لي قيل لي فقلت ، قال فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ ).

ومن خلال هذا الحديث يكون الامام البخاري متوقف من المعوذتين فهل هما (المعوذتين) من القرآن، وذلك بسبب عدم ثبوت دليل على ذلك عنده؟.

وتجد الاغرب من ذلك حينما تقرأ إرشاد الساري في شرح البخاري[٣٧٠] لتجد كلام القسطلاني حينما قال: ( وقع الخلاف في قرآنيتهما ثم ارتفع الخلاف ووقع الإجماع عليه، فلو أنكر أحد قرآنيتهما كفر).

والاكثر استغراباً منه، تلاحظ تضمين كلامه بفتوى تبرئة الذين خالفوا إجماع الصحابة من السابقين، مع تكفير من خالف إجماعهم ممن جاء بعدهم، ولا أعتقد ان اخواننا من أهل السنة يلتزمون بهذا الكلام؟.

وتلاحظ ان هناك تضمين فتوى أخرى، بكفر منكر قرآنية المعوذتين من بعد الصحابة، وكأنه أشبه بالاجماع، أي مما أجمع عليه الفقهاء.

ولكنه لم يأتي بحكم من شك فيهما (المعوذتين) مثل فعل الامام البخاري الذي اكتفى بنقل روايات التشكيك، وتجاهل أحاديث جزئيتهما من القرآن ولم يعتمدها في صحيحه، فراجع.

---

٣٦٨- تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٥٥٥.

٣٦٩- صحيح البخاري ج٦ ص٩٦.

٣٧٠- إرشاد الساري في شرح البخاري ج ٧ ص ٤٤٢.

**ثانياً : مواقف الصحاح والسنن**

أن روايات صحيح الامام البخاري الذي يعتبر من أصح الكتب لدى اخواننا أهل السنة، من بعد كتاب الله وهذا باتفاق مصادرهم، أن الخليفة عمر كان يقرأ فاسعوا الى ذكر الله في الآية التاسعة من سورة الجمعة (فامضوا الى ذكر الله) بل حتى في صلاته، ويصر على ذلك ويأمر بمحو (فاسعوا)؟.

فما هو السبب من أن جميع المفسرين وفقهاء اهل السنة، لم يطيعوا الخليفة ولم تكتب في المصاحف، ولم يقرؤوا بها، مع أنهم متعصبين لأقوال الخليفة الثاني ويتشبثون بها؟.

فقد ذكر الامام البخاري[٣٧١] في صحيحه فقال: ( قوله وآخرين منهم لما يلحقوا بهم، وقرأ عمر: فامضوا الى ذكر الله ).

ومثلهِ ايضا روى ابن شبة[٣٧٢] في تاريخ المدينة فقال:

( عن إبراهيم عن خرشة بن الحر قال : رأى معي عمر بن الخطاب لوحاً مكتوباً فيه: إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله، فقال: من أملى عليك هذا؟ قلت أبي بن كعب، فقال إن أبياً كان أقرأنا للمنسوخ، إقرأها: فامضوا إلى ذكر الله).

وايضا روى البيهقي[٣٧٣] في سننه فقال: ( عن سالم عن أبيه قال: ما سمعت عمر بن الخطاب يقرؤها إلا: فامضوا الى ذكر الله....أنبأ الشافعي، أنبأ سفيان بن عيينة ، فذكره بنحوه).

وايضا ذكر السيوطي[٣٧٤] في الدر المنثور فقال:

( قوله تعالى : فاسعوا الى ذكر الله ..الآية . أخرج أبو عبيد في فضائله وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن الأنباري في المصاحف عن خرشة بن الحر قال:

رأى معي عمر بن الخطاب لوحاً مكتوباً فيه إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله فقال : من أملى عليك هذا؟ قلت أبي بن كعب، قال إن أبياً أقرؤنا للمنسوخ، إقرأها فامضوا إلى ذكر الله).

---

٣٧١- صحيح البخاري ج ٦ ص ٦٣ .

٣٧٢- تاريخ المدينة لابن شبة ج ٢ ص ٧١١ .

٣٧٣- سنن البيهقي ج ٣ ص ٢٢٧ .

٣٧٤- الدر المنثور السيوطي ج ٦ ص ٢١٩ .

ولكن المتعارف اليوم ان مصفنا (القران) كتبه الخليفة عثمان فيه قوله: (فاسعوا)، ويعتبر هذا، أحد الادلة على مصحفنا اليوم لم ينسخ من مصحف الخليفة عمر كما قول جماعة.

ونرجعك الى كتاب عنوانه (مصحف علي عليه السلام هو القرآن) للمؤلف وهو الجزء التاسع عشر، من موسوعة (اتقان القران وعلوم الرحمن) من أن الخليفة عثمان، قد كتبه عن مصحف الامام علي عليه السلام كما اشير اليه بالادلة العقلية والنقلية.

**١ – اعتراف الصحيحين**

اعتراف صحيح الامام البخاري وصحيح الامام مسلم : ذكرنا مسبقاً حديث عن صحيح البخاري ، مع روايات أخرى مؤيدة لها في مضمونها، واما الروايات الرئيسية، فهي من صحيح مسلم وهو أصح كتاب بعد البخاري حسب اعتقادهم فلاحظ ماذا يقول:

فقد روى الامام مسلم[٣٧٥] في صحيحه عن أبو موسى الأشعري قال: [حدثني سويد بن سعيد حدثنا علي بن مسهر عن داود، عن أبي حرب بن أبي الأسود، عن أبيه قال : بعث أبو موسى الأشعري إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرءوا القرآن. فقال:

أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم وإنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها غير أني قد حفظت منها:

لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا. ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب.

كنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات. فأنسيتها. غير أني حفظت منها: (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون). فتكتب شهادة في أعناقكم. فتسألون عنها بيوم القيامة]. انتهى.

وتجد ايضا هناك حديث مؤيد للرواية في المضمون، وهي جاء في كشف الخفاء للإمام العجلوني[٣٧٦] حينما قال: لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى إليهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب.

---

٣٧٥- صحيح مسلم : ج٢ كتاب الزكاة ، باب لو أن لابن آدم واديين لا بتغى ثالثا.

٣٧٦- كشف الخفاء للعجلوني ، باب حرف اللام : ٢١١٣.

وقد رواه الشيخان والترمذي وأبو عوانة وغيرهم بألفاظ متقاربة عن أنس مرفوعا وقد، اتفقا عليه، كما عن ابن عباس، وفي رواية بعضهم أنه مما كان يقرأ في القرآن.

وهو كما قال السهيلي في (روضه) وكان قرآنا يتلى، قوله ﷺ: لو أن لابن آدم واديا من ذهب لابتغى له ثانيا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب.

ويروى : لا يملأ عيني ابن آدم وفم ابن آدم، وكلها في الصحيح، وكذلك روى واديا من مال، فهذا خبر، والخبر لا ينسخ منه أحكام التلاوة، وكان آية من سورة يونس، عقب قوله: (كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون).

وقال أحمد وابن جابر بلفظ لو كان لابن آدم واد من نخل لتمنى مثله ثم تمنى مثله حتى يتمنى أودية، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، وفي الباب عن جماعة بينها السخاوي.

وايضا جاء في كنز العمال للمتقي الهندي[٣٧٧]، حديث مؤيد لها في المضمون وهو كما يلي: عن ابن عباس قال: كنت عند عمر فقرأت: (لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى الثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب) فقال عمر : ما هذا؟

فقلت : هكذا أقرأنيها أبي، فجاء إلى أبي وسأله عما قرأ ابن عباس؟ فقال هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ.

وحديث برقم (٤٧٤٢) نسبوه للترمذي وقال حسن صحيح.

ومثلهِ ايضا جاء في كنز العمال للمتقي الهندي[٣٧٨] قال :

إن الله قال : إنا أنزلنا المال لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد لأحب أن يكون له ثان ولو كان له واديان لأحب أن يكون إليهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ثم يتوب الله على من تاب. (حم طب) عن أبي واقد.

وقد جاء في صحيح البخاري أوله : لو كان لابن آدم واديان.. كتاب الرقاق باب ما تبقى من فتنة المال عن ابن عباس.

---

٣٧٧- كنز العمال للمتقي الهندي : المجلد الثاني. ثم المجلد الثالث ، الزهد. ٤٧٤٧.

٣٧٨- نفس المصدر ، ٦١٦٥.

وايضا في صحيح الامام مسلم[٣٧٩] كتاب الزكاة باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثا ذكر فقال الحديث السابق فيه عن:

عن أنس رقم الحديث (١٠٤٨).

عن ابن عباس رقم الحديث (١٠٤٩).

وجاء عن الترمذي كتاب الزهد باب ما جاء لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثا رقم الحديث (٢٣٣٨).

قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح.

وايضا جاء في مجمع الزوائد للهيثمي[٣٨٠]، حديث مؤيد له في المضمون حينما أورد فقال:

عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ : إن الله أمرني أن أقرأ عليك قال: فقرأ عليّ: لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعدما جاءتهم البينة إن الدين عند الله الحنيفية غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية ومن يفعل خيرا فلن يكفره. قال: شعبة ثم قرأ آيات بعدها ثم قرأ:

لو كان لابن آدم واديان من مال لسأل ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، قال: ثم ختم ما بقي من السورة.

وفي رواية عن أبي بن كعب أيضا أن رسول الله ﷺ قال:

إن الله تبارك وتعالى أمرني أن أقرأ عليك القرآن فذكر نحوه وقال فيه: لو أن ابن آدم سأل واديا من مال فأعطيه لسأل ثانيا ولو سأل ثانيا فأعطيه لسأل ثالثا.. والباقي بنحوه في الترمذى بعضه وفي الصحيح طرف منه.

---

٣٧٩- صحيح مسلم كتاب الزكاة باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثا عن أنس برقم (١٠٤٨). وكذلك عن ابن عباس برقم (١٠٤٩).

٣٨٠- مجمع الزوائد للهيثمي المجلد السابع كتاب التفسير. باب سورة لم يكن١١٠٧١.

وجاء ايضا في مجمع الزوائد للهيثمي[٣٨١] رواية مؤيدة لها قال:

عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى عمر يسأله فجعل عمر ينظر إلى رأسه مرة وإلى رجليه أخرى هل يرى عليه من البؤس ثم قال له عمر:

كم مالك؟ قال: أربعون من الابل قال ابن عباس: قلت: صدق الله ورسوله لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب.

فقال عمر : ما هذا ؟ قلت : هكذا أقرأنيها أبي قال : فمر بنا اليه قال: فجاء إلى أبي: فقال: ما يقول هذا؟ قال أبي: هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ قال: أفأثبتها في المصحف؟ قال: نعم.

وقد رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

جاء ايضا في مسند الامام أحمد[٣٨٢] رواية مؤيدة بنفس المضمون قال:

حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا أبو عامر حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي واقد الليثي قال: كنا نأتي النبي ﷺ إذا أنزل عليه فيحدثنا فقال لنا ذات يوم:

إن الله عز وجل قال : إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد لأحب أن يكون إليه ثان ولو كان له واديان لأحب أن يكون إليهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ثم يتوب الله على من تاب.

ايضا ذكر في مسند الامام أحمد[٣٨٣] حديث السيدة ام المؤمنين عائشة مؤيد للرواية السابقة حينما قال:

حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا يحيى عن مجالد قال حدثني عامر عن مسروق قال : قلت لعائشة هل كان رسول الله ﷺ يقول شيئا إذا دخل البيت قالت كان إذا دخل البيت تمثل لو كان لابن أدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا ولا يملأ فمه إلا التراب وما جعلنا المال إلا لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ويتوب الله على من تاب.

---

٣٨١- نفس المصدر ، ١١٠٧٢ .

٣٨٢- أنظر : مسند الامام أحمد المجلد الخامس مسند الأنصار حديث أبي واقد الليثي .

٣٨٣- نفس المصدر ، مسند الانصار ج٦ حديث السيدة عائشة .

وايضا تجد رواية مؤيدة لها في المضمون للسيوطي[٣٨٤] قال:

إن الله قال : إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد لأحب أن يكون له ثان ولو كان له واديان لأحب أن يكون لهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ثم يتوب الله على من تاب. (حم طب) عن أبي واقد.

**٢ – خلاصة حديث الآيات المزعومة**

أحاديث أهل السنة للآيات المزعومة : ان مجمل أحاديث أهل السنة من آيات مزعومة للقران، والتي لا وجود لها في كتاب الله عز وجلّ وهي كما يلي:–

منها : الآية المزعومة : لو أن ابن آدم سأل واديا من مال فأعطيه لسأل ثانيا ولو سأل ثانيا فأعطيه لسأل ثالثا.

منها : الآية المزعومة : لو كان لابن آدم واد من نخل، لتمنى مثله، ثم تمنى مثله حتى يتمنى أودية، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب.

منها : الآية المزعومة : إن الله قال: إنا أنزلنا المال لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

منها : الآية المزعومة : إن الدين عند الله الحنيفية غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية ومن يفعل خيرا فلن يكفره.

منها : الآية المزعومة : لو كان لابن آدم واديان من مال، لابتغى واديا ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب.

منها : الآية المزعومة : ويتوب الله على من تاب.

منها : الآية المزعومة : لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى الثالث.

منها : الآية المزعومة : ولو كان لابن آدم واد لأحب أن يكون له ثان ولو كان له واديان لأحب أن يكون إليهما ثالث.

---

٣٨٤– كتاب زيادة الجامع الصغير للسيوطي حرف الهمزة . ١٣٠٣.

ونأتي بالكلام مما سبق الآيات المزعومة، لو قلتم: لقد اتهمتم الشيخ ابن تيمية، وهو صاحب المباديء التوراتية، فما دليلكم على هذا الفرية.

فهذا توهم، وقد اختلط عليكم الأمر بين ان تيمية وغيره، ما ذكرتم من حديث عمر في البخاري، وهذا الحديث ورد فعلا في موطأ الإمام مالك[٣٨٥] حينما قال:

حدثني يحيى عن مالك أنه سأل ابن شهاب عن قول الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله) فقال ابن شهاب كان عمر بن الخطاب يقرؤها إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فامضوا إلى ذكر الله.

فلا يمكنك نكران وجود هذا الراوي وهو (خرشة بن الحر) في الصحاح التسعة فهناك إحصائية عنه فيها، فلا مصادرة لكلام الترمذي ورجال الصحاح من الأحاديث السابقة.

كما ورد (سويد بن سعيد)، وليس (بن مسعد) فقد ذكر هذا الراوي أكثر من ٤٥ مرة في صحيح الامام مسلم.

ومعنى هذا الفعل، انه ثقة عند الإمام مسلم، وإلا كيف يتسنى له نقل هذا العدد من الاحاديث في كتاب يوصف بثاني أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى.

وعلى افتراض أن الامام مسلم، لا يعتني بوثاقة الرواة الذين ينقل عنهم فمعنى ذلك، أن صحيحه ليس بصحيح وبالتالي يحتاج لمراجعة، وسبب ذلك لورود التدليس فيه.

وننصح الجميع بمراجعة الفقه والعقائد إذا كنتم تستقون من الصحيحين الامام البخاري والامام مسلم وغيرهما، وقد ثبت هنا، بناءً على قولِكم أن الامام مسلم يعتمد على رواة قد يكونوا مدلسين.

واما رد كلام الشيخ (ابن تيمية) فقد ورد عن الراوي (سويد بن سعيد) في كتابه (الأربعون التي رواها في الحديث) في احدى من رواياته الأربعين.

وكما أن الامام مسلم[٣٨٦] نفسه قد روى في صحيحه، رواية أخرى في نفس الباب، ولا يوجد فيها سويد بن سعيد فقال: حدثنا يحيى بن يحيى وسعيد بن منصور وقتيبة بن سعيد ( قال يحيى: أخبرنا، وقال الآخران: حدثنا أبو عوانة ).

---

٣٨٥- موطأ الإمام مالك ٢٢٠ .

عن قتادة عن أنس. قال: قال رسول الله ﷺ: ( لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا. ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب. ويتوب الله على من تاب).

وللمزيد فراجع صحيح الامام البخاري : الجزء الرابع كتاب الرقاق، باب: ما يتقى من فتنة المال.

وعلى سبيل المثال هذا الحديث جاء عن خرشة بن الحر، على كل حال أنه موجود في البخاري[٣٨٧] فضلاً عن غيره حينما قال: حدثنا عبدان، عن أبي حمزة، عن منصور، عن ربعي بن حراش، عن خرشة بن الحر، عن أبي ذر رضي الله عنه قال :

كان النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل قال: (اللهم باسمك أموت وأحيا). فإذا استيقظ قال: (الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور).

فقد جاء الراوي خرشة بن الحر في صحيح الامام البخاري مرتين.

وقد جاء الراوي خرشة بن الحر في صحيح الامام مسلم مرتين.

وقد جاء الراوي خرشة في مسند الامام أحمد ١٢ مرة.

وقد جاء الراوي خرشة في سنن الترمذي مرة واحدة.

وقد جاء الراوي خرشة في سنن النسائي خمس مرات.

وقد جاء الراوي خرشة في سنن ابي داود ثلات مرات.

وقد جاء الراوي خرشة بن الحر في الاصابة.

وتجد أنه قد ذكر في كتاب الاصابة[٣٨٨] لابن حجر ضمن ترجمة (خرشة بن الحر) حينما قال :

---

٣٨٦- صحيح الامام مسلم نفسه (١٠٤٨) نفس الباب ولا يوجد فيها سويد بن سعيد كتاب الزكاة باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثا.

٣٨٧- صحيح البخاري الجزء الرابع ، كتاب الدعوات ، باب: ما يقول إذا أصبح ٥٩٦٦.

٣٨٨- الإصابة ، الجزء الثاني ، حرف الخاء المعجمة ٢٢٤٣.

خرشة بن الحر الفزاري كان يتيما في حجر عمر تقدم ذكره في الذي قبله وقال الآجري عن أبي داود له صحبة ولأخته سلامة بنت الحر صحبة، وذكره بن حبان والعجلي في ثقات التابعين وروايته عن الصحابة في الصحيحين قال بن سعد مات في ولاية بشر على العراق وقال خليفة مات سنة أربع وسبعين.

وهنا نقول باختصار ، لما ذكروا بخصوص مصحف فاطمة عليها السلام لانهم في تعليقهم على الحديث ذكروا المصحف ولم نذكر تعليقهم ولكن نجيب ان لفظ كلمة (المصحف) هي:

هو ما جُمع فيه الصحف ، ويمكن ان يكتب في هذه الصحف أي كتابة تريدها او شيء من القران أو غير ذلك.

وعلى هذا اذا كان مصحف فاطمة عليها السلام هو (قرآن) فعليكم انتم إثبات ما تدعون، وأنتم تعتبرون مقارنة سعة الحجم دليل على أن مصحف فاطمة عليها السلام قرآن فهذا يعتبر من السذاجة.

ويمكن الرد نفس السؤال عليكم، عن مصحف عمر ومصحف عائشة ومصحف حفصة، وغيرهما من المصاحف، لماذا لا تنشر لنا شيئاً منها، ستجدونها في كتاب (المصاحف) لأبي بكر السجستاني.

واما لو قلتم، ان الراوي خرشة بن الحر، هو تابعي وليس صحابي ولا تعرفون صحابتكم، وأما مصحف عمر ومصحف عائشة ومصحف فاطمة عليها السلام فهذا اتهام باطل على القران، لان جميع المسلمين لا يعرفون غير مصحف واحد هو كتاب الله هذا الذي بين ايدينا اليوم.

فلو قلت لي ان قال احد علمائكم[٣٨٩] في وصيته النداء الأخير يقول: نحن فخورين بان الادعية التي تهب الحياة وهي القران الصاعد من ائمتنا المعصومين عليهم السلام .

نقول : نحن نفتخر ان منّا مناجاة الائمة الشعبانية، ودعاء عرفات للحسين بن علي عليهما السلام ، والصحيفة السجادية زبور ال محمد عليهم السلام ، هذا والصحيفة الفاطمية ذلك الكتاب الملهم من قبل الله تعالى للزهراء المرضية عليها السلام .

٣٨٩ – هو السيد الامام روح الله الخميني .

فلو قلت ماذا قصد عالمكم عندما قول: ذلك الكتاب الملهم من قبل الله تعالى للزهراء المرضية؟

نقول : هو شرح النداء الأخير والصحيفة الفاطمية هي كتاب منسوب الى السيدة الزهراء عليها السلام وتشمل هذه الصحيفة الاخبار عن أحداث عالميه مستقبلية وما شابه ذلك.

وهذه الصحيفة محفوظة عند الائمة الاثني عشر عليهم السلام من ولدها، وهي الان عند الامام المهدي عليه السلام وهي حسب الروايات تعادل ثلاثة اضعاف القران.

ونذكر هنا ما جاء في الاستيعاب لابن عبد البر عن الراوي خرشة بن الحر الفزاري ويقال: الأزدي نزل حمص، له عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حديث واحد في الإمساك عن الفتنة.

وايضا جاء في تهذيب التهذيب : قال الآجري عن أبي داود: خرشة بن الحر له ( صحبة ) وأخته سلامة بنت الحر لها ( صحبة )؟

وايضا جاء ذكر بمثل ما ورد في تهذيب الكمال في معرفة أسماء الرجال. فراجع.

واما في صحيح البخاري[٣٩٠] في عبارة قوله تعالى : (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) وكما ذكرنا مسبقاً وهو النص: (وقرأ عمر: فامضوا إلى ذكر الله). وقولهم السابق : (ما افتريتم عن مصحف عمر فالمسلمون لا يعرفون غير مصحف واحد هو كتاب الله).

فنقول : ان هناك فرق واضح بين معنى القران والمصحف، فلفظ كلمة (القرآن) هو كتاب الله تعالى المنزل على نبيه مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم وهو محفوظ من قبل الله تعالى لا يبدل ولا يغير.

وأما معنى لفظ كلمة (المصحف) فهو ما جمع بداخله الصحف وقد يكون في داخل المصحف مدون قرآن، وقد يكون مدون فيه تفسيراً، وقد يكون أي شيء؟.

وقد قام : ( أبوبكر عبد الله بن أبي داوود سليمان بن الأشعث السجستاني) بتأليف كتاب جمع فيه ما وجده من المصاحف وسماه (كتاب المصاحف)[٣٩١].

ولاحظ المفاجأة ستجد في (صفحة ٦٠) منه باب أسماه : (باب اختلاف مصاحف الصحابة)؟.

---

٣٩٠- صحيح البخاري ج٣ كتاب التفسير، باب قوله تعالى : (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم).

٣٩١- وهذا الكتاب : يطلب من دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، والطبعة التي بين يدي هنا هي الطبعة الأولى١٤٠٥هـ.ق - ١٩٨٥م . وهاتف هذه الدار هو : ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤ - ٨٠٠٨٤٢ وصندوق البريد: ٩٤٢٤-١١.

وبدأ الباب بمصحف الخليفة عمر بن الخطاب ، وستجد مصحف السيدة ام المؤمنين عائشة زوج النبي ﷺ في (صفحة ٩٤) وغيره.

وانت ترى هنا هؤلاء يُثبتون وينفون، ولا تستطيعون التفريق بين معنى القرآن الكريم والمصحف؟،

واما قولهم : (فالمسلمون لا يعرفون غير مصحف واحد).

فنقول : أرجوا الرجوع قليلاً الى القرون الاولى تحديداً، لكي تطلع على مبحث الناسخ والمنسوخ، ومن ثم مراجعة ما بُحِثَ مسبقاً، وهو ان علمائكم يعترفون بمصاحف أخرى، كالتي ذكرت سابقا وهي غير مصحف عثمان المشار إليه.

وتلاحظ ان الصحابة يشيرون الى وجود آيات أخرى لا توجد في هذا المصحف اليوم، وهذا ما جعلنا نقول، من أن علماء اهل السنة يقولون بروايات التحريف ويعالجونها بنظرية النسخ؟، فتحصل اعترافهم بمضمونها؟، وهذا واضح جداً للمطالع. فراجع.

فالشيعة الامامية لا تقول، أن مصحف فاطمة عليها السلام قرآن، ألم يتضح لكم أنه يضم صحف الأدعية والأخبار المستقبلية وقصص القران[٣٩٢].

وأما سؤال البعض عن الإلهام، وهل يعتبر وحي جديد وغيره من الكلام؟.

فجوابه : راجع الصحاح تجد ان هناك قصة لاحد الخلفاء (يا سارية الجبل) فننصح بقرائتها، حينها تعلم كيف يكون الإلهام هل هو وحي جديد.

فإن وجدت نفسك مرتبك لما تقرأهُ، أنصحك بالصدع لما أمركم به الباري جل وعلا، في محكم كتابه الكريم كما في عبارة قوله تعالى:

( إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ)[٣٩٣].

وقوله تعالى : ( وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً)[٣٩٤].

---

٣٩٢- القرآن تعرض لمسألة التاريخ بأسلوبين أو اتجاهين .

٣٩٣- المائدة الآيات ٥٥-٥٦ .

فلا يمكن لأي احد محاربة دين الله تعالى بالدين، فقد حاول الكثيرون أمثال ابن تيمية صاحب المباديء التوراتية تقوية الاسرائليات في الإسلام.

كما حاول أسلافه السابقين التشكيك في نزاهة وكمالية الكتاب واخترعوا له روايات في الصحاح، فلم يتمكنوا من مآربهم بل باؤوا بغضب من الله وسخط ليوم يبعثون كما في عبارة قوله تعالى:

( بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ * فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)[٣٩٥].

وعبارة قوله تعالى : ( يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)[٣٩٦].

وعليك ان تلاحظ أصح المصادر عند اخواننا أهل السنة مثل الامام البخاري والامام مسلم وغيره، فقد ذكرت التحريف المزعوم فيهما وعضدناه بروايات أخرى من مصادرهم الاخرى عنوانها نفس المضمون من خلال هؤلاء الرواة وهم:

الخليفة عمر بن الخطاب .

حافظ القران الصحابي أبو موسى الأشعري .

الصحابي أنس بن مالك .

حبر الامة ومفسر القران الصحابي ابن عباس.

الصحابي أبي بن كعب .

حافظ القران الصحابي أبي واقد الليثي .

---

٣٩٤- الاسراء ٣٦ .

٣٩٥- الروم ٢٩- ٣٠ .

٣٩٦- التوبة ٣٢-٣٣ .

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة الرابعة

## افتراءات

أفتراء مُحَّد عبد الستار التونسوي : قال : [ الأمر الثاني من عقائدهم الفاسدة عقيدة البداء وهو بمعنى الظهور بعد الخفاء كما في قوله تعالى (بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) سورة الزمر.

أو بمعنى : نشأة رأي جديد لم يكن من قبل كما في قوله تعالى (ثم بدالهم بعدما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين) سورة يوسف[٣٩٧].

٣٩٧- تكملة أشكال التونسوي : والبداء بمعنييه يستلزم سبق الجهل وحدوث العلم وكلاهما محال على الله عزّ وجل فإن علمه تعالى أزلي وأبدي لقوله تعالى: (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلاّ هو ويعلم ما في البرّ والبحر وما تسقط من ورقة إلاّ يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلاّ في كتاب مبين). والشيعة ذهبوا إلى أنّ البداء متحقق في الله عزّ وجل كما تدل عليه العبارات الآتية من مراجعهم الأساسيّة: ذكر مُحَّد بن يعقوب الكليني قدس سره في كتابه (أصول الكافي) باباً كاملاً في البداء وسمّاه (باب البداء) وأتى فيه بروايات كثيرة نذكر بعضها: (عن زرارة بن أعين عن أحدهما عليهما السلام قال: ما عبد الله بشيء مثل البداء، وفي رواية ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام: ما عظّم الله بمثل البداء). وعن مرازم بن حكيم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما تنبأ نبي قط حتى يقر لله بخمس: بالبداء والمشيئة والسجود والعبودية والطاعة. وعن الرّيان بن الصلت قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: (ما بعث الله نبيّاً إلاّ بتحريم الخمر وأن يقر لله بالبداء).

ونقل الكليني[٣٩٨]، اشتدّ غضب الله على أهل الأرض فأخّره إلى أربعين[٣٩٩] ومائة فحدثناكم فأذعتم الحديث فكشفتم قناع الستر ولم يجعل الله له بعد ذلك وقتاً عندنا ( يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ) قال أبو حمزة: فحدثت بذلك أبا عبد الله عليه السلام فقال: قد كان ذلك[٤٠٠]].

جواب الشبهة :

ان هذه العقيدة التي نسبت الى المسلمين من أتباع أهل البيت عليهم السلام وهم الشيعة، ليست من عقائدهم ولا يقولون بها ابداً.

فالشيعة الامامية يعتقدون بالبداء لكن لا بالمعنى الّذي ذكرتموه من نسبة الجهل إلى الله تعالى، فقد ذكر الإمام الصادق عليه السلام وهو الإمام السادس من أئمة الشيعة فقال عليه السلام:

( من زعم أنّ الله بدا له في شيء ولم يعلمه أمس فأبرأ منه).

وكذلك مثلِهِ عن الامام الصادق عليه السلام قال:( من زعم أن الله تعالى بدا له في شيء بداء ندامة فهو عندنا كافر بالله العظيم).

وأمّا معنى البداء الّذي تقول به الشيعة[٤٠١] الامامية، فهو عبارة عن إظهار الله جلّ شأنه، أمراً يرسم في ألواح المحو والإثبات، وربّما يطلع عليه البعض من الملائكة المقربين أو أحد الأنبياء والمرسلين، فيخبر الملك به النبي.

---

٣٩٨- تكملة أشكال التونسوي فقال : وأصول الكافي ص ٤٠ . ( بدا لله في أبي محمّد بعد أبي جعفر ما لم يعرف له ، كما بدا له في موسى بعد مضي إسماعيل ما كشف به عن حاله وهو كما حدثتك نفسك وإن كره الميطلون. وأبو محمّد ابني الخلف من بعدي وعنده علم ما يحتاج إليه ومعه آلة الإمامة) وقد كذبوا على الله في ذلك وعلى أئمتهم – يظنون في الله غير الحق ظن الجاهلية – يدعون أن الله كان يريد الإمامة لأبي جعفر ثم لما مات قبل أن يصبح إماماً حينئذ بدا لله العلي القدير أن يكون الإمام أبو محمّد، ففعل، وذلك كما أنه قد كان يريد الله أن يجعل إسماعيل إماماً ثم (والعياذ بالله) بدا لله الرأي الجديد فغير رأيه السابق فجعل موسى الكاظم إماماً للناس – وهكذا يفترون على الله الكذب سبحانه اتباعاً لأهوائهم فلهم الويل لما يصفون. ونسوا قاتلهم الله أنه ينتج من أكاذيبهم هذه نسبة الجهل إلى الله العليم الخبير الحكيم الجليل، وهو كفر بواح. ونقل الكليني قدس سره: عن أبي حمزة الثمالي رضي الله عنه قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: يا ثابت إن الله تبارك وتعالى وقت هذا الأمر في السبعين فلما قتل الحسين عليه السلام.

٣٩٩- تكملة أشكال التونسوي : يعني ذلك أن الله لم يكن عنده علم أن الحسين سيموت فلما علم بذلك أخر الأمر. (أهلكهم الله ).

٤٠٠- أصول الكافي ص ٢٣٢ . مطبوعة الهند. اما تكملة أشكال التونسوي قال: والمراد ( بهذا الأمر ) في كلامه هو ظهور المهدي. ثم إن أقوالهم وادّعاءاتهم هذه كلها ظاهرة البطلان فإنه يلزم من عقيدة البداء (نعوذ بالله) أن الله تعالى شأنه كان يجهل هذه الأشياء التي جاءت مؤخراً ثم لما حدثت وعلم بها الله غير سبحانه رأيه القديم وأنشأ رأياً جديداً حسب الظروف والأحوال الجديدة ونسبة الجهل إلى الله تعالى كفر صحيح كما مقرر في محله.

والنبي يخبر به أمّته، لم يقع بعد ذلك، وذلك لأنّه محاه وأوجد في الخارج غيره، وكل ذلك كان جلّت عظمته يعلمه حق العلم، ولكن في علمه المخزون المصون الّذي لم يطّلع عليه لا ملك مقرّب ولانبي مرسل ولا وليٌّ ممتحن.

وتجد ان هذا المقام من العلم، هو المعبّر عنه في آيات القرآن الكريم بـ(أمّ الكتاب) المشار إليه وإلى المقام الأول بعبارة قوله تعالى: ( يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب)[٤٠٢].

اذاً الشيعة الامامية تقول بالبداء بمعنى (الإظهار بعد الإخفاء، لا الظهور بعد الخفاء)، وعلى هذا فليس في القول به، من خلال هذا المعنى أي شيء من نسبة الجهل لله تعالى.

فتلاحظ هؤلاء الّذين يشنّعون على الشيعة الإمامية في قولهم بالبداء كأنهم قد خفي عليهم أنّ أهل السّنة يقولون بالبداء.

بدليل ما روى في صحيح البخاري[٤٠٣] عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: (إنّ ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأعمى وأقرع بدا لله أن يبتليهم ...الخ).

وذكرت القصة في البخاري، بشكل طويل، ولكن موضع شاهدنا هو قول النبي ﷺ : (بدا لله) فالرّسول ﷺ نسب البداء (الّذي تقول به الشيعة) إلى الله تعالى.

فماذا ستقول يا تونسوي؟ هل سترد على رسول الله ﷺ أوليس في انتقادك لعقيدة الامامية في البداء هو انتقادك لعقيدة الإسلام؟.

وجاء انه قد أخرج ابن مردويه وكذلك ابن عساكر حيث قال:

عن علي عليه السلام أنه سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية الكريمة (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكّتاب)[٤٠٤] فقال له رسول الله ﷺ : لأقرّن عينيك بتفسيرها، ولأقرّن عين أمّتي بتفسيرها:

الصدقة على وجهها، وبرّ الوالدين، واصطناع المعروف، يحوّل الشقاء سعادة، ويزيد في العمر، ويقي مصارع السوء[٤٠٥].

---

٤٠١- الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء كتاب أصل الشيعة وأصولها ص٢٦٣.

٤٠٢- الرعد ٣٩ .

٤٠٣- صحيح البخاري ج ٢ ص ٢٥٩ .

٤٠٤- الرعد ٣٩ .

وتلاحظ هنا ان قول النبي ﷺ هذا هو طبق ونفس عقيدة البداء عند الشيعة والآية المذكورة هي أفضل دليل، والشواهد على ذلك، في مصادر أهل السّنة كثيرة.

فالشيعة الامامية ينزهون الله سبحانه وتعالى عن الجهل فليس في قولهم بالبداء شيء من نسبة الجهل إليه جل وعلا، وهم يعتقدون من أن علم الله مطلق، لا تخفى عليه خافية، لا في الأرض ولا بالسماء.

وقد قيل[٤٠٦] : إنّ الله تعالى عالم بكل ما يكون قبل كونه وأنّه لا حادث إلاّ وقد علمه قبل حدوثه، ولا معلوم وممكن أن يكون وعلوماً إلاّ وهو عالم بحقيقته، وأنّه سبحانه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السّماء وبهذا اقتضت دلائل العقول والكتاب المسطور، والأخبار المتواترة من آل الرّسول ﷺ وهو مذهب جميع الإمامية.

وقيل[٤٠٧] : أنه تعالى عالم، بمعنى أن الأشياء واضحة له حاضرة عنده غير غائبة عنه، بدليل أنه فعل الأفعال المحكمة المتقنة وكل من كان كذلك فهو عالم بالضرورة.

وقيل[٤٠٨] : الباري تعالى عالم بكلّ ما يصح أن يكون معلوماً ، واجباً كان أو ممكناً قديماً، أو حادثاً.

وقيل[٤٠٩] : ويكفي في ثبوت علمه تعالى الآيات المتضافرة والأخبار المتواترة ...أن الله تعالى يعلم الأشياء قبل وجودها كعلمه بها بعد وجودها، لا يخفى عليه خافية، يعلم السّر وأخفى، ما تكن الصدور ولا يجهل شيئاً.

وقيل[٤١٠] : علمه تعالى محيط بجميع الأشياء إحاطة تامة جزئياتها وكلّياتها لا يمكن أن يخفى عليه شيء.

وقيل[٤١١] : قد اتفقت كلمة الشيعة الإمامية على أن الله تعالى لم يزل عالماً قبل أن يخلق الخلق بشتى أنواعه بمقتضى حكم العقل الفطري وطبقاً للكتاب والسّنة.

---

٤٠٥- كنز العمّال ج ١ ص ٢٥١ - أخرجه ابن أبي شيبة .

٤٠٦- الشيخ مُحَّد بن مُحَّد المفيد كتاب أوائل المقالات ص ٦٠ .

٤٠٧- الرسائل العشر ص ٩٤ المسألة السادسة الشيخ الطوسي .

٤٠٨- النافع يوم الحشر ص ١٣ المقداد بن عبد الله السيوري .

٤٠٩- السيد عبد الله شبّر كتاب حق اليقين ج ١ ص ٦٣ .

٤١٠- نقض الوشيعة ص ٥١٥ السيد محسن الأمين العاملي .

وقيل[412] : اتفقت الإمامية — تبعاً لنصوص الكتاب والسّنة والبراهين العقلية — على أنّه سبحانه عالم بالأشياء والحوادث كلّها غابرها وحاضرها ومستقبلها كلّيها وجزئيّها لا يخفى عليه شيء في السماوات والأرض.

وتلاحظ ان هناك الكثير من أقوال علماء الامامية في علم الله سبحانه وتعالى، وواضح جدا أن الشيعة ينزهون الله عزّ وجل عن الجهل، بل يؤكدون على أن علم الله سبحانه مطلق، لا تخفى عليه أي خافية، لا صغيرة، ولا كبيرة، في كل الزّمان وحاضره ومستقبله.

ومما سبق ظهر بهتان وزيف ما رمى به التونسوي الشيعة من افتراء بقولهم أنهم ينسبون الجهل إلى الله سبحانه وتعالى.

وأخيراً نشير إلى حديث وهو :

( بدا لله في أبي مُحَّد بعد أبي جعفر ما لم يعرف له، كما بدا له في موسى بعد مضي إسماعيل ما كشف به عن حاله وهو كما حدثتك نفسك وإن كره المبطلون، وأبو مُحَّد ابني الخلف من بعدي وعنده علم ما يحتاج إليه ومعه آلة الإمامة).

ويعتبر هذا الحديث ضعيف السند وساقط عن الاعتبار، ففي سنده الراوي إسحاق بن مُحَّد النخعي، وهو شخص معروف بالكذب ووضعه للحديث وترجمته في معجم رجال الحديث[413] واضحة جدا.

واما الاعتراض السابق الذي جاء على تشهد الصلاة، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلّمنا التشهّد كما يعلّمنا السورة من القرآن : « السلام عليك يا أيّها النبي ورحمة الله وبركاته»[414].

وذكر وحيد الزمان في تعليقه على هذا المقام قال: انّ عقيدة أهل السنة على انّه صلى الله عليه وآله وسلم حي في قبره، فان سلّم عليه أحد عند قبره يسمع، وان سلّم عليه من بعيد يبلغه الله إليه بتوسّط ملك.

---

٤١١- محاضرات في أصول الفقه لآية الله العظمى الشيخ مُحَّد اسحاق الفياض ج٥ ص٣٣٣ لزعيم الحوزة السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي .

٤١٢- الإلهيات للشيخ جعفر السبحاني ص ٥٦٦.

٤١٣- راجع : ترجمته في معجم رجال الحديث للسيد الخوئي ج ٣ ص ٦٨.

٤١٤- سنن ابن ماجة : ٩٠٢ كتاب اقامة الصلاة.

واما ذكر أهل السنة عبارة (الصلاة خير من النوم) في الآذان، فلم يذكره ابن ماجة في روايات الآذان حتّى في رواية ابن محذورة.

فظاهر الحديث انّها زيادة من بعض الرواة، نعم يدّعي الزهري: وزاد بلال في نداء صلاة الصبح: (الصلاة خير من النوم) فأقرّها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

لكن قول الزهري هذا، لا دليل عليه ، بل نقل بعض المعلّقين انّه جاء في بعض الروايات: انّ مؤذناً جاء يخبر عمر بصلاة الصبح، فقال: الصلاة خير من النوم، فأقرّه عمر؟ وقالوا لعلّه هذا الصحيح.

واما عند انتهاء الصلاة بتسليمة واحدة تجاه وجهه فعن سلمة عليها السلام: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلّى فسلّم مرة واحدة[٤١٥].

وجاء مثلهِ عن السيدة عائشة قالت : انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يسلّم تسليمة واحدة تلقاء وجهه[٤١٦].

وكذلك عن سعد : انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سلّم تسليمة واحدة تلقاء وجهه[٤١٧].

واما محل السجدة، كما عن السيدة ام المؤمنين ميمونة عليها السلام زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلّي على الخمرة[٤١٨].

وذكر في النهاية ان الخمرة : هي مقدار ما يضع الرجل عليه وجهه في سجوده من حصير أو نسيجة خوص ونحوه من النبات.

وعن أبي سعيد قال : صلّى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على حصير.

وعليك ان تلاحظ التضارب حول النافلة في السفر، وصلاة الميت في المسجد عن ما نقل ابن عمر، وابن عباس في ذلك متناقضين متعارضين؟.

---

٤١٥- نفس المصدر .

٤١٦- نفس المصدر ، ٩١٩.

٤١٧- نفس المصدر ، ٩١٨.

٤١٨- نفس المصدر ، ١٠٢٨.

ولاحظ كذلك الاختلاف في الحديث عنه ﷺ بين أبي هريرة والسيدة عائشة حول صلاة الميت في المسجد.

**أولاً : اعتراض على الصحيفة**

الاعتراض على صحيفة علي عليه السلام : ذكر انه جاء عن أبي جحيفة انه قال[٤١٩] : قلت لعلي عليه السلام : هل عندكم كتاب؟ قال عليه السلام : لا. إلاّ كتاب الله أو فهم اعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة.

قال : قلت : فما في هذه الصحيفة؟ قال عليه السلام : العقل. وفكاك الأَسير. ولا يقتل مسلم بكافر[٤٢٠].

وجاء مثلهِ كذلك عن الامام علي عليه السلام: ما عندنا شيء إلاّ كتاب الله وهذه الصحيفة عن النبي ﷺ :

المدينة حرم ما بين عائر الى كذا من احدث فيها حدثاً ، أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل، وقال عليه السلام:

ذمة المسلمين واحدة ، فمن اخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل منه صرف ولا عدل، ومن تولّى قوماً بغير اذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل[٤٢١].

وقد قيل في تفسير الفاظ ( الصرف والعدل ) : أي بمعنى التوبة والفدية أو النافلة والفريضة.

وتجد انه رواه بتفاوت في كتاب الجزية[٤٢٢]، والوحي؟ إلاّ ما في كتاب الله؟ قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه إلاّ فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن ، وما في هذه الصحيفة.

قلت : وما في الصحيفة ؟ قال : العقل ، وفكاك الأَسير ، وأن لا يقتل مسلم بكافر[٤٢٣].

---

٤١٩- الديات في سنن ابن ماجه تحت رقم (٢٦٥٨)، أو ما في هذه الصحيفة، ان فيها الديات عن رسول الله ﷺ....

٤٢٠- صحيح البخاري رقم ١١١.

٤٢١- نفس المصدر ، ١٧٧١ كتاب فضائل المدينة.

٤٢٢- نفس المصدر ، ٣٠٠٨ كتاب الجزية ، بتفاوت.

٤٢٣- نفس المصدر ، ٢٨٨٢ كتاب الجهاد.

وكذلك جاء عن ابن الحنفية قال : لو كان علي عليه السلام ذاكراً عثمان ذكره يوم جاء اناس فشكوا سعاة عثمان ، فقال لي علي عليه السلام:

اذهب الى عثمان فاخبره انّها (اي الصحيفة المشتملة على أحكام الصدقات) صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمر سعاتك يعملون فيها.

فأتيته بها ، فقال : اغنها عنّا ، فاتيت بها علياً عليه السلام فاخبرته ، فقال: ضعها حيث أخذتها.

وتجد في نقل آخر : أرسلني أبي وقال : هذا الكتاب فاذهب به الى عثمان ، فان فيه أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الصدقة[٤٢٤].

تلاحظ ان من خلال هذا الحديث، هذه صحيفة أُخرى لأمام علي عليه السلام في احكام الزكاة، وقد اعرضوا عن الاخذ بها، ألا ما ندر مثل عثمان مع أنه كان كثير الرفض لها.

وجاء عن ابن عباس انه حينما سئل : أترك النبي صلى الله عليه وآله وسلم من شيء؟ قال: ما ترك إلاّ ما بين الدفتين. ونسب مثله الى محمّد بن الحنفية[٤٢٥].

وجاء عن ابراهيم التيمي عن أبيه انه قال : خطبنا علي بن أبي طالب عليه السلام قال: من زعم انّ عندنا شيء نقرأه إلاّ كتاب الله وهذه الصحيفة (قال: وصحيفة معلقة في قراب سيفه) فقد كذب فيها اسنان الابل واشياء من الجراحات وفيها قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

« المدينة حرم ما بين عير الى ثور ، فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً، وذمة المسلمين واحدة يسعى بها ادناهم، ومن ادّعى الى غير أبيه أو انتمى الى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً»[٤٢٦].

---

٤٢٤- نفس المصدر ، ٢٩٤٤ كتاب الخمس.

٤٢٥- نفس المصدر ، ٢٧٣١ كتاب فضائل القرآن.

٤٢٦- صحيح مسلم ١٠ : ١٥٠.

وجاء كذلك عن أبي الطفيل انه قال : سئل علي عليه السلام أخصّكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشي؟ فقال عليه السلام: ما خصّنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشيء لم يعم به الناس كافة إلاّ ما كان في قراب سيفي هذا.

قال : فاخرج صحيفة مكتوب فيها : « لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من سرق منار الارض، ولعن الله من لعن والده (والديه)، ولعن الله من آوى محدثاً»[٤٢٧].

وجاء كذلك عن علي عليه السلام : ما كتبنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ القرآن، وما في هذه الصحيفة[٤٢٨].

وجاء عن قيس بن عباد قال : انطلقت أنا والاشتر رضي الله عنه الى علي عليه السلام فقلنا: هل عهد إليك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً لم يعهده الى الناس عامة؟ قال عليه السلام: لا ، إلاّ ما في كتابي هذا فاذا فيه:

« المؤمنون تكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ، ويسعى بذمتهم ادناهم ألا لا يقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده، من أحدث حدثاً فعلى نفسه، ومن أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[٤٢٩].

وجاء مثلهِ عن الاشتر رضي الله عنه انه قال لأمام علي عليه السلام: انّ الناس قد تفشغ[٤٣٠] بهم ما يسمعون، فان كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عهد إليك عهداً فحدثنا به.

قال عليه السلام : ما عهد اليّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عهداً لم يعهده الى الناس، غير انّ في قراب سيفي صحيفة فاذا فيها: « المؤمنون تتكافأ دماؤهم يسعى بذمتهم ادناهم لا يقتل مؤمن بكافر ، ولا ذو عهد في عهده »[٤٣١].

ومما سبق من استعراض للاحاديث هنا، لا بدّ من التطرق، لذكر بعض الامور، وبشكل مختصر وكما يلي:

---

٤٢٧- صحيح مسلم ١٣ : ١٤٢.

٤٢٨- سنن أبي داود ٢ : ٢٢٣.

٤٢٩- سنن أبي داود ٤ : ١٧٩ كتاب الديات.

٤٣٠- معنى لفظ ( تفشغ ) : فشا وانتشر بما يسمعون، كما ذكره السندي والسيوطي في شرحه قال: تقشع ، وفسّره بتصدع واقلع.

٤٣١- سنن النسائي ٨ : ٢٤.

منها : انّ الاحاديث السابقة، تختلف باختلاف شديد في مطالب الصحيفة سواء كمّاً وكيفاً وترتيباً، ولا تجد قولاً ابداً، من انه ادعى أحد من الرواة، قد نقل كلّ ما في الصحيفة، وهذا شيء واضح وعجيب.

منها : انّ هذا الاصرار على نفي الكتاب، ولو حتى شيء من العلم به عند الامام علي عليه السلام، ربّما دل على العكس، وتجد الغرض من هذه الاحاديث انكاره، وقد دل عليه الحديث الأخير من شهرة ذلك ـ الكتاب أو العهد ـ بين الناس.

منها : لاحظ صريح حديث عن ابن الحنفية، وجود كتاب آخر عند الامام علي عليه السلام وهو صحيفة صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ارسلها الى عثمان لكي يعمل بها، ولكنّ عثمان، لم يقبلها وردّها عليه، وهذا يعتبر دليل يكذّب كل ما في الروايات من انكار والنفي.

منها : ممّا لا شك فيه انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علّم الامام علي عليه السلام علوماً كثيرة في المعارف والفقه وغيرهما، وذلك لانّه كان يلزمه منذ صغره عليه السلام الى حين موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكذلك لانّه يخلو به كل يوم، وكل من قرأ الأحاديث الواردة في حقه يعلم ذلك قطعاً.

والعجيب والغريب، انّه لم ينكر أي واحد على ابي هريرة، تلك الوعائين للعلم اللذين اعطاهما له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبث وعاءً واحداً ولم يبث الوعاء الآخر.

وجميع اهل الدنيا يعلمون، وكذلك كلّ عاقل يعلم انّ الامام علي عليه السلام ، هو أعلم من أبي هريرة بكثير الكثير فما موجب لهذا الانكار؟

منها : ثبت بالدليل انّ لأمام علي عليه السلام كتباً أو كتاباً كبير، فيه الكثير من الحلال والحرام، وقد نقل عنه عليه السلام أولاده مثل محمّد بن علي وجعفر بن محمّد عليهما السلام في موارد ومواطن كثيرة.

ولعلّه قصد المنكرين الوضّاعين لنفي وصيّة الخلافة إليه، وهذا النفي لا يمكن ان يتوقّف على نفي ما هو المعلوم من علومه أو كتابه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

**ثانياً : الرزية**

منع الدواة والقلم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

جاء عن ابن عباس انه قال : لما اشتدّ بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وجعه قال: «ائتوني بكتاب اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده» قال عمر: انّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم غلبه الوجع، وعندنا كتاب الله حسبنا، فاختلفوا وكثر اللغط.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: « قوموا عنّي ، ولا ينبغي عندي التنازع ».

فخرج ابن عباس يقول : انّ الرزية كلّ الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين كتابه[٤٣٢].

وعنه : لما حُضِرَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي البيت رجال ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «هلمّوا اكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده » فقال بعضهم: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول:

قرّبوا يكتب لكم كتاباً لا تضلّون بعده ، ومنهم من يقول غير ذلك، فلمّا اكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

قوموا[٤٣٣]... ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين ان يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم، ولغطهم[٤٣٤].

وعنه ما يقرب من سابقه بتفاوت ما ، وفيه : وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب «لا تضلوا بعده». فقال عمر: انّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد غلب عليه الوجع ومنهم من يقول ما قال عمر[٤٣٥].

---

٤٣٢- انظر : صحيح الامام البخاري رقم ١١٤ كتاب العلم .

٤٣٣- البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة عن ابن مليكة : كاد الخيران ان يهلكا أبو بكر وعمر لما قدم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفد بني تميم اشار الى احدهما بالاقرع بن حابس التميمي الحنظلي اخي بني مجاشع، واشار الآخر بغيره، فقال: ابو بكر لعمر: انّما اردت خلافي، فقال عمر: ما اردت خلافك، فارتفعت اصواتهما عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت: (يا ايّها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم ). ونقله في كتاب المغازي عن عبدالله بن الزبير بلفظ آخر وفيه: حتى ارتفعت اصواتهما فنزلت في ذلك: (يا ايها الذين آمنوا لا تقدّموا بين يدي الله ورسوله) حتى انقضت.

٤٣٤- صحيح البخاري رقم ٤١٦٩ كتاب المغازي.

٤٣٥- نفس المصدر ، ٥٣٤٥ كتاب المرضى.

وعنه أيضاً مثل ما سبق آنفاً[٤٣٦] قال : يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم بكى حتّى خضّب دمعه الحصباء، فقال: اشتدّ برسول الله ﷺ يوم الخميس فقال ﷺ :

« ائتوني بكتاب اكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً » فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع ، فقالوا: هجر رسول الله ﷺ ؟

قال : « دعوني ، فالذي انا فيه خير مما تدعونني اليه » وأوصى عند موته بثلاث: «اخرجوا المشركين من جزيرة العرب، واجيزوا الوفد بنحو ما كنت اجيزهم، ونسيت الثالثة»[٤٣٧].

وعنه مثل سابقه بتفاوت يسير، قال: « ائتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً» فقالوا: أهجر استفهموه؟ فقال: «ذروني» فأمرهم بثلاث والثالثة خير إمّا ان سكت عنها، وإمّا ان قالها فنسيتها[٤٣٨].

وعنه : يوم الخميس وما يوم الخميس؟ اشتدّ برسول الله ﷺ وجعه فقال: «ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً» فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالو :

ما شأنه أهجر استفهموه ، فذهبوا يردون عليه ، فقال: «دعوني» واوصاهم بثلاث وسكت عن الثالثة أو قال : فنسيتها[٤٣٩].

فلاحظ ان هذه سبعة موارد كرّر الامام البخاري الحديث في صحيحه بالفاظ مختلفة، ولا نفهم من الذي غير الألفاظ فانّ ابن عباس ذكر واقعة واحدة، جاءت عن سعيد بن جبير، كما في صحيح البخاري في (٤١٦٨ و٢٨٨٨ و٢٩٩٧).

ولعبيد الله بن عبدالله بن عتبة (١١٤ و٤١٦٩ و٥٣٤٥ و٦٩٣٢) ، وليس ببعيد انّ عبيد الله ـ لخبرته بالفقه والعلم ـ اصلح الحديث بما يخرجه عن الغلظة والشدة.

فلاحظ انه قد خفف السؤال والايراد عليها ، وهناك احتمال آخر، وهو انّ التغيير والتعبير عن «الهجر» بغلبة الوجع[٤٤٠]، جاء من صنع البخاري كما اشار إليه أكثر من واحد[٤٤١].

---

٤٣٦- نفس المصدر ، ٦٩٣٢ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة.

٤٣٧- نفس المصدر ، ٢٨٨٨ كتاب الجهاد.

٤٣٨- نفس المصدر ، ٢٩٩٧ كتاب الجزية.

٤٣٩- نفس المصدر ، ٤١٦٨ كتاب المغازي.

وتجد في مجمل الواقعة هو انّ النبي ﷺ في مرض وفاته طلب من جماعة من أصحابه الحاضرين في بيته المبارك شيئاً، يكتب فيه كتاباً لا يضلّ الاَمّة بعده أبداً.

فقال : عمر وغيره : انّه يهجر ويهذي ، وعندنا كتاب الله وحسبنا (فلا نحتاج الى كتابه ﷺ فلا تقرّبوا اليه شيئاً يكتب فيه الكتاب).

ومن ثم اختلف الحاضرين، وهم بين مؤيّد لقوله ﷺ، وبين مؤيّد لقول عمر، فتنازعوا بينهم حتّى كثر اللغط بينهم، فتأثّر النبي الخاتم ﷺ من الحال فطردهم من بيته بقوله ﷺ: «قوموا عني أو دعوني» ثم أمرهم بثلاث لم يذكر ابن عباس أو غيره ثالثها.

**ثالثاً : نتائج الرزية**

نتائج منع الدواة والقلم : ومن خلال متابعة التاريخ تلاحظ انه قد ظهر في أمة الاسلام والمسلمين خلل وفتق من الصعب رتقهُ متكون من عدة عوامل وكما يلي:

(عامل) :. هل كان النبي ﷺ يكتب الكتاب بيده الشريفة، لكي يكون الحديث دليل على قدرته على الكتابة من بعد النبوة، بإفاضة من الله تعالى، أو احتمال انه ﷺ امر أحداً من الحاضرين بالكتابة.

(عامل) :. ما هو الموضوع المهم الذي أراد رسول الله ﷺ أن يكتبه في تلك الحالة، ولا يرى أنه يكتفي بالبيان القولي، فهل كان هذا امر جديد، لم يبيّنه لأمّته الى ذلك اليوم، او احتمال ان النبي ﷺ بيّنه، لكنّه أراد كتابته في آخر أيام حياته من باب التأكيد والتخليد له.

فهنا العقل يحكم بالاحتمال الثاني؛ وذلك استحالة اخفاء النبي ﷺ أمراً لا تهتدي الاَمّة من دونه، ورضاه، وكذلك بقاء الناس على الضلالة يعتبر مساوق لابطال رسالته.

(عامل) :. تجد انه بغض النظر عن الأمر الآخر، يخطر في ذهنك ما هو هذا الأمر العظيم، الذي تقع الاَمّة من بعده في الضلال حتى مع وجود الكتاب والسنّة.

---

٤٤٠- تلاحظ ان البكاء ، فلا اختلاف فيه ، وذلك لامكان ان ابن عباس بكى عند سعيد ولم يبك عند عبيد الله ، وهذا واضح.

٤٤١- صحيح مسلم ١١ : ٩٠ كتاب الوصية.

فهل كان ذلك الأمر الحاضر في ذهنه الشريف ﷺ من مبحث التوحيد أو المعاد، أو أي شيء من المعارف الاعتقادية، ويعتبر هذا شيء بعيد عن غاية النبيﷺ.

فتجد إنّ أركان الاعتقاد، وأصول الدين قد تقرّرت في الكتاب والسنّة في حياته المباركةﷺ، ولم يبقى شيء منها، لكي يشترط في صحة الاسلام أو الايمان او غير ذلك.

مع انه يكون من المناسب على هذا الاحتمال هو لزوم التعبير بعبارة: «لا تكفرون بعدي» مكان عبارة: «لا تضلّون بعدي» .

وهل هذا الحدث هو من مباحث الحلال والحرام، ويدخل في ضمن تفصيل أحكام المسائل الجزئية الفرعية؟ ويمكن لك ان تقول هو تكميل الفقه وبيان فروعه؟ فكل هذا غير محتمل؛ وذلك لأنّ بيانها، محتاج الى زمن طويل وكتاب.

فهذا المخزون في ضمير النبيﷺ ليس هو من أُصول الدين ولا هو من فروعه؛ وذلك لأنّ الله تعالى قد اخبر قبل ذلك اليوم تقريباً بثلاثة اشهر مخاطباً اَمّة الاسلام بعبارة قوله تعالى: (اليومَ أكملتُ لكُمْ دينكُمْ وأتممتُ عليكُمْ نعمتي ورَضيتُ لكُمْ الاسلامَ ديناً).

والدين تجده عبارة عن أصول اعتقادية مع أحكام فرعية[٤٤٢]، وموضوعاته مستنبطة، كما هي حال الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والاعتكاف وما شابه ذلك، فمع اكمال الدين، فلا يبقى شيء يوجب تركه ضلال الأمّة.

(عامل) :. تلاحظ في الحديث (رزية يوم الخميس)، نكتة مهمة ولا بدّ من الالتفات اليها، وهي انّ هذا الذي أراد رسول اللهﷺ كتابته، انّما كان يوجب حفظ الأمّة من الضلال بعد حياتهﷺ.

وذلك من حيث قالﷺ: « لن تضلّوا » أو « لا تضلّوا » ، أو «لا تضلون بعده» أي بعد هذا الكتاب، فانّ النبيﷺ كان عالماً ـ باعلام الله تعالى ـ انّه ذاهب الى ربه الرفيق الاعلى.

وتلاحظ ان هذا الأمر، لا يتعلّق بهداية الناس في حياته، وإلاّ قد كان بيّنه رسول اللهﷺ، للناس حينما كان في مكة، أو في أوائل الهجرة، فتبليغ ما أُنزل اليه من ربه هو واجب عليه ﷺ، وان لم يفعل فما بلغ رسالته، هذا على حسب مضمون الآية.

---

٤٤٢ـ العبادات والمعاملات والحدود والديات وغيرهما ممّا مسطور في الكتب الفقهية اليوم.

وبشكل اوضح، ان الذي قصد كتابته رسول الله ﷺ هو أمر خطير وحافظ من ضلالة الأمّة المسلمة، ولكنّه ليس متعلّق بايام حياته المباركة ﷺ بل متعلّق بحال المسلمين من بعد وفاته ﷺ.

وهذا المستفاد، وبين بشكل واضح من قول النبي ﷺ: (بعده)، يؤكده عبارة قوله تعالى: (اليومَ أكلمتُ لكُمْ دينكم)، فكما ان هذا الامر، هو ليس من أُمور التوحيد والمعاد وجميع أُصول الاسلام، وليس من الفروع كما ذكرنا قبل قليل، فما هو مراد الرسول ﷺ.

وتلاحظ كذلك انه ليس مورد ابتلاء المسلمين الى ذلك اليوم، والى حين وفاته ﷺ، وإلاّ لكان توجّه الايراد على الرسول ﷺ من انّه لم يبيّنه لحد الآن، والآخر من انّ الله تعالى، اكمل الدين فما معنى ضلال المسلمين من بعد النبي ﷺ.

(عامل) :. تلاحظ انه واضح جداً من انّه قد خطر في ذهن الكثير من أهل العلم وغيرهم، وهو انّه بمجرد منع جماعة من الصحابة بقيادة عمر لا يكفي لانصراف النبي ﷺ عن كتابة هذا الامر العظيم والمهم.

وذلك لانه المانع عن الضلال ، فلماذا انصرف عنها؟ وكذلك لِماذا لم يبيّنه قولاً وشفاهاً حتى وصل الحال، الى ان طردهم عن بيته وسكت عن مراده؟ وهو وجيه ومهم جداً.

وجوابه احتمال انّ النبي ﷺ عَلِم انّ تأكيده على مراده بكتابة الكتاب، لا يفيد تلك الفائدة بعد ما تكلم عمر بقوله وكذلك قبله جمعٌ آخرين.

على فرض انّه سيكتب بعد كلام عمر وأصحابهِ ما اراده ﷺ بكل تأكيد وتغليظ كان بوسع المخالفين لكاتبة الوصية، ان يقولوا انّه ﷺ لشدة مرضه هجر وهذى، فلا موجب أو لا مجوّز للعمل بهذه التي كتبها ﷺ فلا يتحقّق مراده، ولاجل ذلك انصرف ﷺ عن الكتابة.

(عامل) :. تجد ان بعد هذا وذاك، يبقى السؤال السابق على حاله فما هو مقصود النبي ﷺ من هذهِ الكتابة؟

وجوابه لا بدّ من الالتفات على ما تفرّقت عليه الأمّة الاسلامية من بعد وفاته ﷺ، فمنهم من ضلّوا، ولكن التاريخ ينقل ان أغلبهم سقطوا في الفتن والحروب والتقاتل والتكفير والتضليل والى يومنا هذا؟ وسبب ذلك هو منعهم الكتابة.

ونعتقد انّ كل شحص منصف إذا تطهّرت نفسه من العصبية والتقليد، يفهم امر الخلافة بعد النبيﷺ، وتعيين خليفته بشخصه وعينه وهي غرض التاكيد على حادثة الغدير.

ألم يقع اختلاف بين الامام علي عليه السلام وغيره في أمر الخلافة، ولم يبايع أبا بكر طيلة أيام حياته عليه السلام، وذكرهم بما قال رسول اللهﷺ في يوم نصبه ببيعتة الغدير.

تلاحظ انه ، ألم يقع التشاجر فيما بين الانصار والمهاجرين في سقيفة بني ساعدة والتكلم بما لا يليق بمسلم؟ فراجع.

وهل سبب رجوع الفتن الواقعة في خلافة عثمان الى هذا الامر المقصود بالكتابة هي (رزية يوم الخميس)؟

أليست حروب الجمل وصفين والنهروان من أوضح المصاديق على آثار الاختلاف في الخلافة، وأستخفافاَ بخليفتهِ ووصيه بعدهﷺ؟

أليس تفرّق المسلمين شيعة وسنة ، هو نتيجة الاختلاف في الخليفة من بعد النبي ﷺ.

أليست الحروب الداخلية فيما بين المسلمين التي افسدت الحرث والنسل لاجل ذلك، وتعتبر نتيجة واضحة لمخالفة كتابته الوصيةﷺ؟

أليس ما ابتلى به المسلمين والى يومنا هذا من الانحطاط والتأخر والانحرافات، هو نتيجة ذلك الاختلاف الذي بدورهِ ادّى الى تسلّط حكّام الجور من بني أُمية وبني العباس وغيرهم.

وبعد هذا كله لا اعتقد ان اي مسلم عاقل يشكّ في مراد النبيﷺ، وما اراد أن يكتبه من تعيين خليفته بعده أو الخلفاء بعده الاثني عشر من قريش.

على فرض انه كتبه ﷺ، وقد قبله الصحابة بعده، ما ضلّ الناس بعده أبداً، وحيث انّ جماعة من الصحابة منعوه من الكتابة، فقد ضلّ الناس كما عرفت من الاسباب السابقة.

ولكن تجد منهم من أعترض بقوله : (اما تعيين مصداق الخليفة وشخصه ، فهذا لا يمس باكمال التشريع حتى إذا فرضنا من قصد كتابة الوصية، وقال بعض الباحثين ان مراده ﷺ هو التنصيص على خلافة أبي بكر.)[٤٤٣].

وهذا الكلام ساقط لعدم ثبوت الادلة، فهو مجرد رأي وفكرة قابلة للنقض بأبسط المقاييس والصور.

(عامل) :. هنا لدينا سؤالين يحتار لهما العقل وهما:

سؤال احدهما : ان نسبة الهجر الى النبي المعصومﷺ، الذي قال فيه الله سبحانه كما في عبارة قوله تعالى: (وما ينطقُ عن الهوى إن هو إلاّ وحيٌ يوحى).

طبعاً جوابه يوجب على المسلمين الردّة أو الفسق قطعاً، وهذا لا يجتمع مع عدالة الصحابة، بل كذلك مع الايمان، وعلى فرض صحّة عبارة قوله: (قد غلبه الوجع، أو: قد غلب عليه الوجع).

مكان عبارة : (هجر أو: أهجر) بل على فرض من انهم قالوا بأبي أنت وأُمي يا نبي اللهﷺ لا تكتب أي شيء، وبهذه الحالة بقي أصل الاشكال على حاله كما هو، لإنّ عصيان الرسولﷺ محرم منافي للعدالة.

والسؤال الآخر : هو منع الكتابة يوجب ضلال أمّة الأسلام، ويعتبر ضلالاً، وقد ذهبت به الأموال وسفكت به الدماء وانتهكت الاعراض ووقعت به البغضاء والعداوة والتفرقة الواسعة، فيما بين المسلمين ليومنا هذا[٤٤٤] والله العالم ما سيحدث عنه غداً.

فتحمل وزر هذا الضلال الكبير، يقع على المانعين في ذلك المجلس، أو لا، انّه معفو عنهم، وذلك لاجتهادهم، او لشيء آخر برئتهم من الذنب، مثل اية من القران أستثنتهم؟.

ولكن المعروف ان الاجتهاد في مقابل النص على فرض جوازه لتحصل على ارتفاع وجوب اطاعة الرسولﷺ الثابت بالآيات الكثيرة الواردة في القرآن، وبالضرورة من الدين والعقل.

---

٤٤٣- هذا خلافاً للشيعة الامامية، وجمع من أهل السنّة، القائلين بتعيين الخليفة من قبله صراحة على حد كلام الشيعة أو اشارة على حد كلام جماعة من أهل السنّة.

٤٤٤- لقد أنتبه النبيﷺ لهذه الحالة حيث حذر اصحابه في حجة الوداع بقولهﷺ: « لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» كما في البخاري١٢١ كتاب العلم، وكرره برقم ٤١٤٣و٦٤٧٥و٦٦٦٩.

على ان في خصوص هذا المقام، قد قامت قرينة واضحة على ابطال هذا الاجتهادو وهي غضب رسول الله ﷺ، أو عدم رضاه بهذا التصرف وهو المنع الوارد بالحديث.

وقد كثر اللغط واللغو منهم حتى طردهم من عند بيتهِ بقوله ﷺ: «قوموا عني» فامرهم بتركه وقيامهم عنه.

ولعلّ هذا لا تجد له نظير في تمام حياته، فانّك لا تجد أي مورد قد اخرج النبي ﷺ، أحداً من اصحابه من بيتهِ المبارك حتى في ليلة عرسه ﷺ مع كراهته لبقائهم في بيتهِ حتى نزلت آية الحجاب كما نقلوا عن ذلك في الصحاح.

وتجد كذلك انه قد صرّح النبي ﷺ لهم : بانّ الذي انا فيه هو خير ممّا تدعونني اليه، أي بمعنى هذا المرض المميت خير لي مما تدعونني اليه من ترك الكتابة.

والحاصل ان ادّعاء الاجتهاد في هذا المقام، يعتبر غلط واضح جداً، وقد صدق ابن عباس حينما قال: انّ الرزية كل الرزية ما حال بين الرسول ﷺ وبين كتابه، وله حق البكاء، بل ينبغي ان يبكي على هذهِ الحادثة كلّ مسلم يحب دينه ويحب طاعة نبيهِ ﷺ.

ولكن المانعين من الصحابة، وعلى رأسهم عمر، فما هو المخرج من هذه المشكلة المحيّرة للعقول؟ لانه نفس السؤال يطرح جيل بعد جيل؟.

وقد ذكر علماء الحديث والكلام الكثير من الاعذار، لكنّها غير مقنعة ولا تنهض كدليلو لكي يسكت المقابل.

وهو عند من نجاه الله من التقليد والعصبية المقيتة، وقد وفقه لتطبيق الاعتقاد على الحق، من دون تطبيق الحق على الاعتقاد[٤٤٥].

(عامل) :. تلاحظ في مقولة عمر : ( حسبنا كتاب الله ) اشكال آخر، وهو انّ قول النبي ﷺ وفعله وتقريره مصدر اخر للتشريع.

٤٤٥ – من باب المثال . الى شرح النووي في تأويل الحديث، فكل ما قاله أو نقله فهو وهن ضعيف، ولا يخفى على أهل العلم بطلانه بل هو واضح البطلان.

وبدون شكّ ان للجميع عدم كفاية القرآن وحده من دون السنّة النبوية لنجاة المسلمين، وهو كما يجب العمل بالقرآن ، يجب العمل بالسنّة بدلالة نصوص آيات من القرآن.

فرد أمر رسول الله ﷺ، يعتبر ردّ للقرآن، كذلك على ان عمر ومن تبعه، يعلمون علم اليقين، من انّ الرسول الكريم ﷺ اعلم منهم ومن كل أحد بالقرآن، فلو كان القرآن وحده كافي لهم، لَما قال لهم اكتب لكم كتاباً لا تضلّون بعده أبداً.

فتلاحظ ان استدلالهم هذا هو رد اعتقادي على الرسول ﷺ، وهذا اقبح من منع اتيان ما يكتب فيه، فانّه مجرد عصيان عملي.

وقد جاء في الحديث عن العرباض انه قال : نزلنا مع النبي ﷺ خيبر فغضب النبي ﷺ وقال: «يا ابن عوف اركب فرسك ثم ناد».

فقام ﷺ فقال : « أيحسب أحدكم متكئاً على اريكته قد يظن انّ الله لم يحرم شيئاً إلاّ ما في هذا القرآن ألا واني والله قد وعظت وأمرت ونهيت عن اشياء انّها لمثل القرآن أو أكثر».

أليس عمر كان حاضراً في خيبر، وقد سمع كلام رسول الله ﷺ قطعاً لأنّه جميع الصحابة اجتمعوا، بأمر النبي ﷺ للصلاة كما صرّح بهذا الحديث.

وتجد من المنظرين، قد تقدم باعتذار للخليفة واتباعه من انّهم لم يلتفتوا الى لوازم كلامهم هذا في تلك الساعة (كأنه كان معهم).

وكم كان المسلمين يرغبون من ان لا تصدر هذه الجملة، وهذا التصرف والعمل من هؤلاء الصحابة، وكم كنا نحب ان لا يعصى النبي ﷺ الرحيم الرؤوف في بيته ولم يهن في آخر حياته الشريفة بهذه الجملة. والله العالم

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة الخامسة

## مَعْرِفَةِ المَرْفُوعِ والمَوقُوفِ والمَقْطُوعِ

حينما كان الحديث ينقسم باعتبار من أضيف إليه أو قائله إلى أربعة أقسام : ( الحديث القدسي ،الحديث المرفوع ، الحديث الموقوف ، الحديث المقطوع ) أردت أن ألقي الضوء على الثلاثة الأخيرة من ذلك التقسيم ؛ لأن الحديث القدسي جدير بأن يفرد بدارسة خاصة .

ولأنه بعيد عن المسائل المتشابكة التي نجدها في المرفوع والموقوف والمقطوع ، وسرعان ما يميز بخلاف بقية الأنواع فاستعنت بالله عز وجل في أن أقوم بدراسة موضوع معرفة المرفوع والموقوف والمقطوع، لأمور منها:

أ . تأصيل المسألة تأصيلاً علمياً.

ب . معرفة الضوابط للحديث المرفوع والموقوف والمقطوع.

ج . بيان ما يلحق بالمرفوع والموقوف والمقطوع.

د . بيان حكم هذه الأنواع الثلاثة.

فما هو الحديث المتواتر والمرفوع والمقطوع والموقوف، وأين يمكن الحصول على علم مصطلح الحديث مثلاً؟. فالحديث المتواتر: هو ما رواه جماعة يستحيل في العادة أن يتواطؤوا على الكذب وأسندوه إلى شيء محسوس، وهو ينقسم إلى قسمين:

أ – متواتر لفظاً ومعنى : وهو ما اتفق الرواة فيه على لفظه ومعناه، مثل قولهﷺ: من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار. فقد رواه عن النبيﷺ أكثر من ستين صحابياً، ورواه عن هؤلاء خلق كثير.

ب – متواتر معنى : وهو ما اتفق فيه الرواة على معنى كلي، وانفرد كل حديث بمعناه الخاص، مثل أحاديث الشفاعة والمسح على الخفين، وخروج الدجال في آخر الزمان.

وينقسم الخبر باعتبار من يضاف إليه إلى ثلاثة أقسام:

١– المرفوع : هو ما أضيف إلى النبي ﷺ وينقسم إلى:

المرفوع صريحاً : ما أضيف إلى النبيﷺ نفسه من قول أو فعل أو تقرير أو وصف في خلقه أو خلقته، فمثاله من القول هو قول النبيﷺ: الخراج بالضمان. ومثاله من الفعل: كان إذا دخل بيته بدأ بالسواك. ومثال التقرير: تقريره الجارية حين سألها أين الله؟

قالت: في السماء. فأقرهاﷺ. ومثاله من الوصف في خلقه: كان النبيﷺ أجود الناس وأشجع الناس. ومثاله في الوصف في خلقته: كان النبيﷺ ربعة من الرجل.

المرفوع حكماً : ما كان له حكم المضاف إلى النبيﷺ، مثل إخبار الصحابي عن الغيبيات كأشراط الساعة وأحوال القيامة بشرط أن يكون الصحابي غير معروف بالأخذ عن أهل الكتاب، أو قول الصحابي من السنة كذا، أو إضافته الفعل إلى عهد النبيﷺ؛ كقوله: كنا نفعل على عهد النبي كذا. أو قوله: أُمرنا أو نُهينا.

٢– الموقوف : ما أضيف إلى الصحابي ولم يثبت له حكم الرفع، مثل: يهدم الإسلام زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين.

٣– المقطوع : ما أضيف إلى التابعي فمن بعده، مثل قول ابن سيرين: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم.

## المبحث الأول : الحديث المرفوع

حقيقة الحديث المرفوع ففي اللغة : اسم مفعول مشتق من مادة رفع ، والرفع في اللغة له عدة معان ، منها ما يلي :

١. العلو : يقال : ارْتَفَعَ الشيءُ ارْتِفاعاً بنفسه إِذا عَلا .

٢. القرب : فالرفع تَقرِيبك الشيء من الشيء ، وفي التنزيل : (وفُرُشٍ مَرْفوعة)[٤٤٦]، أَي مُقَرَّبةٍ لهم.

٣. نقيض الذلة والضعة[٤٤٧].

٤. القبول : قال تعالى : (وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ)[٤٤٨].

وفي اصطلاح المحدثين قد وردت فيه عدة تعريفات منها ما يلي:

١. ما أضيف إلى النبيﷺ خاصة قولاً كان أو فعلاً أو تقريراً ، أو صفة ، سواء أضافه إليه صحابي أم تابعي أم من بعدهما حتى يدخل فيه قول المصنفين ولو تأخروا: قال رسول اللهﷺ.

فعلي هذا التعريف يدخل في المرفوع: المتصل والمرسل والمنقطع والمعضل والمعلق؛ لعدم اشتراط الاتصال ويخرج الموقوف والمقطوع ؛ لاشتراط الإضافة المخصوصة[٤٤٩].

فالمرفوع إذا أطلق أريد به ما أضيف إلى النبيﷺ خاصة متصلاً كان أو منقطعاً بسقوط الصحابي منه أو غيره.

٢. قال الخطيب البغدادي : المرفوع : ما أخبر فيه الصحابي عن قول الرسولﷺ أو فعله[٤٥٠].

ويخرج بهذا التعريف : المرسل ؛ لأن رافعه تابعي لا صحابي. قال ابن حجر: يجوز أن يكون الخطيب أورد ذلك على سبيل المثال لا على سبيل التقييد فلا يخرج عنه شيء.

---

٤٤٦- الواقعة ٣٤ .

٤٤٧- لسان العرب لابن منظور ٥ / ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

٤٤٨- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤ / ٣٣١.

٤٤٩- فتح المغيث للسخاوي ١/١١٦.

٤٥٠- الكفاية في علم الرواية ص٢١ .

وعلى تقدير أن يكون أراد جعل ذلك قيداً فالذي يخرج عنه أعم من مرسل التابعي، بل يكون كل ما أضيف إلى النبيﷺ لا يسمى مرفوعاً إلا إذا ذكر فيه الصحابي. والحق خلاف ذلك بل الرفع كما قررنا إنما ينظر فيه إلى المتن دون الإسناد[٤٥١].

قال ابن الصلاح : ومن جعل من أهل الحديث المرفوع في مقابلةِ المرسَل: فقد عنى بالمرفوع: المتصلَ[٤٥٢].

والتعريف الصحيح هو الأول ، ويحمل تعريف الخطيب البغدادي على سبيل التغليب ؛ لأن غالب من يرفع الحديث إلى النبيﷺ هم الصحابة، أو على سبيل التمثيل لا التقييد، فقد ذكر الصحابي كمثال لمن يرفع الحديث، ولا يمنع من غيره كالتابعي.

وبذلك لا يوجد خلاف بين التعريف الأول، وتعريف الخطيب البغدادي. وسبب تسميته بالمرفوع ؛ لارتفاع رتبته بإضافته إلى رسول اللهﷺ.

**أ :– أنواع الحديث المرفوع :**

للحديث المرفوع أربعة أنواع بيانها كما يلي :

١. المرفوع القولي : وهو أن يقول الصحابي أو غيره : "قال رسول اللهﷺ كذا..". ومثاله : عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ النَّبِيِّﷺ قَالَ :

"مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ لَهَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ يَسُرُّهَا أَنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى الدُّنْيَا وَلَا أَنَّ لَهَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا إِلَّا الشَّهِيدُ فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ فَيُقْتَلَ فِي الدُّنْيَا لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ "[٤٥٣].

٢. المرفوع الفعلي : أن يقول الصحابي أو غيره : "فعل رسول اللهﷺ كذا.." . مثاله : عَنْ أَنَسٍ بن مالك قَالَ : ضَحَّى النَّبِيُّﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ وَسَمَّى وَكَبَّرَ وَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا[٤٥٤].

٤٥١– النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر ص١٨٠ .

٤٥٢– مقدمة ابن الصلاح ص١٩٣ .

٤٥٣– صحيح البخاري ، ج٢ ، ص٢١١ ، حديث ٢٧٩٥ .

قال ابن الأعرابي وغيره : الأملح هو الأبيض الخالص البياض، وقال الأصمعي: هو الأبيض ويشوبه شيء من السواد ، وقال أبو حاتم: هو الذي يخالط بياضه حمرة ، وقال بعضهم: هو الأسود يعلوه حمرة .

وقال الكسائي: هو الذي فيه بياض وسواد والبياض أكثر، وقال الخطابي: هو الأبيض الذي في خلل صوفه طبقات سود .

وقال الدؤادي : هو المتغير الشعر بسواد وبياض. قوله: (أقرنين) أي لكل واحد منهما قرنان حسنان. (صفاحهما) أي صفحة العنق وهي جانبه[٤٥٥].

٣. المرفوع التقريري : وهو أن يقول الصحابي أو غيره : "فُعِلَ بحضرة رسول اللهﷺ كذا.." ، ولا يروى إنكاره لذلك الفعل. ومثاله : إقرارهﷺ لاجتهاد الصحابة في أمر صلاة العصر في غزوة بني قريظة:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن عمر قَالَ: قَالَ النَّبِيُّﷺ لَنَا لَمَّا رَجَعَ مِنْ الْأَحْزَابِ: " لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ" فَأَدْرَكَ بَعْضَهُمْ الْعَصْرُ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي لَمْ يُرَدْ مِنَّا ذَلِكَ فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّﷺ فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ[٤٥٦] .

ومثلاً لدى اهل السنة دليل أكل الصحابة الضب كما عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِﷺ بَيْتَ مَيْمُونَةَ فَأُتِيَ بِضَبٍّ مَحْنُوذٍ فَأَهْوَى إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِﷺ بِيَدِهِ فَقَالَ بَعْضُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ :

---

٤٥٤- الحديث : أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الأضاحي باب وضع القدم على صفح الذبيحة ، وباب التكبير عند الذبح ٣ / ٤٦٢ ح(٥٥٦٤ ، ٥٥٦٥) ، وأخرجه مسلم في الصحيح كتاب الأضاحي بَاب اسْتِحْبَابِ الضَّحِيَّةِ وَذَبْحِهَا مُبَاشَرَةً بِلَا تَوْكِيلٍ وَالتَّسْمِيَةِ وَالتَّكْبِيرِ ١٣ / ١٠٣ ، ١٠٤ ح(١٩٦٦).

٤٥٥- شرح النووي على صحيح مسلم ١٣ / ١٠٤ ، ١٠٥.

٤٥٦- الحديث : أخرجه البخاري كتاب الخوف بَاب صَلَاةِ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ رَاكِبًا وَإِيمَاءً ١ / ٢٦١ ، ٢٦٢ح(٩٤٦) // وفي كتاب المغازي باب مرجع النبي  من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرتهم إياهم ٣ / ٤٧ ح(٤١١٩) ، وأخرجه مسلم في الصحيح كتاب الجهاد والسير باب الْمُبَادَرَةِ بِالْغَزْوِ وَتَقْدِيمِ أَهَمِّ الْأَمْرَيْنِ الْمُتَعَارِضَيْنِ ١٢ / ٤٤٣ ح(١٧٧٠).

أَخْبَرُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِمَا يُرِيدُ أَنْ يَأْكُلَ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ، فَقُلْتُ: أَحَرَامٌ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " لَا وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِأَرْضِ قَوْمِي فَأَجِدُنِي أَعَافُهُ" قَالَ خَالِدٌ: فَاجْتَرَرْتُهُ فَأَكَلْتُهُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ[٤٥٧].

٤. المرفوع الوصفي : وهو أن يقول الصحابي أو غيره : "كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خَلْقاً أو خُلُقاً". كمثال الصفات الخَلْقية : وهي الصفات المتعلقة ببدنه وهيئته:

عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ : سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَصِفُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: كَانَ رَبْعَةً مِنْ الْقَوْمِ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ أَزْهَرَ اللَّوْنِ لَيْسَ بِأَبْيَضَ أَمْهَقَ وَلَا آدَمَ لَيْسَ بِجَعْدٍ قَطَطٍ وَلَا سَبْطٍ رَجِلٍ أُنْزِلَ عَلَيْهِ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ فَلَبِثَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ وَقُبِضَ وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعَرَةً بَيْضَاءَ. قَالَ رَبِيعَةُ: فَرَأَيْتُ شَعَرًا مِنْ شَعَرِهِ فَإِذَا هُوَ أَحْمَرُ فَسَأَلْتُ فَقِيلَ احْمَرَّ مِنْ الطِّيبِ[٤٥٨].

ومثال الصفات الخُلُقية : وهي أخلاقه ﷺ من حياء ، وحلم وغير ذلك: فعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا ، وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ[٤٥٩].

وجاء في النبوي انه: ما خُيِّرَ رسولُ اللهِ ﷺ بينَ أمرين إلا أخذَ أيسرَهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعدَ الناسِ منه ، وما انتقم رسولُ اللهِ ﷺ لنفسهِ إلاّ أن تُنْتهَكَ حُرمةُ اللهِ فيَنَتقِمَ لله بها[٤٦٠].

كما عن سَعْدَ بْنَ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ قال لأم المؤمنين السيدة عائشة : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: بَلَى قَالَتْ: فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ[٤٦١].

---

٤٥٧- صحيح مسلم ، ١٣ ، ص٨٦-٨٧ ، حديث ١٩٤٥ .

٤٥٨- نفس المصدر ، ١٥ ، ص٤٨٣ ، حديث ٢٣٣٨ .

٤٥٩- صحيح البخاري ، ج٢ ، ص٤٠٥ ، حديث٣٥٦٢ .

٤٦٠- نفس المصدر ، ص٤٠٤ ، حديث٣٥٦٠ .

٤٦١- صحيح مسلم كِتَاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ ٦ / ٣٦٨ : ٣٧٠ ح ٧٤٦ .

## ب :- حكم الحديث المرفوع :

حكم الحديث المرفوع ، وأشهر مظانه : الحديث المرفوع منه الصحيح والحسن والضعيف ، فينبغي دراسة إسناد كل حديث والحكم عليه حسب قواعد أئمة الجرح والتعديل.

واما أشهر الحديث المرفوع كما في الكتب الستة، مثلاً الصحيحان وهما صحيح الامام البخاري، صحيح الامام مسلم. والسنن الأربعة مثل سنن أبي داود ، سنن الترمذي ، سنن النسائي "المجتبى" ، سنن ابن ماجه. وسنن الدارمي ، سنن البيهقي الكبرى ، والصغري، وغير ذلك. واما المسانيد مثل مسند الطيالسي ، ومسند أحمد ، وغيرهما.

تقسيم السُّنَّة : تقرر عندهم أن السنة قول وفعل وتقرير، وقسمها ابن حجر إلى صريح وحكم، فمثلاً المرفوع قولاً صريحاً: قول الصحابي قال رسول الله ﷺ وحدثنا وسمعت.

وحكماً : قوله مالا يدخل الرأي فيه. والمرفوع من الفعل صريحا: قوله فعل أو رأيته يفعل. قال تقي الدين الشَّمِّنِي: ولا يتأتى فعل مرفوع حكماً.

وذكر ابن حجر مثاله: ما ذكره الشافعي في صلاة الامام علي عليه السلام في الكسوف: في كل ركعة أكثر من ركوعين[٤٦٢].

والتقرير صريحاً قول الصحابي: فعلت أو فعل بحضرته[٤٦٣]. وإنه يكون له حكم الرفع من جهة أن الظاهر هو اطلاعه على ذلك ، وإقراره عليه لتوفر دواعيهم على سؤاله عن أمور دينهم ، ولأن ذلك الزمان زمان نزول الوحي فلا يقع من الصحابة فعل شيء، ويستمرون عليه إلا وهو غير ممنوع الفعل[٤٦٤].

---

٤٦٢- الحديث : أخرجه البيهقي في السنن الكبرى كتاب صلاة الخسوف باب من أجاز أن يصلي في الخسوف ركعتين في كل ركعة أربع ركوعات ٣ / ٣٣٠ ح(٦١٢١،٦١٢٢) بإسناد ضعيف ؛ لضعف حَنَش بن المعتمر ، قَال عنه البُخارِيُّ : يتكلمون في حديثه. ، وَقَال النَّسَائي : ليس بالقوي.، وَقَال ابْن حبان: لا يحتج به (التاريخ الكبير ٣ / ٩٩،الضعفاء والمتروكين للنسائي ص٣٥،المجروحين ١ / ٢٦٩ ) قال الإمام تقي الدين الشَّمِّنِي: ولا يلزم من كونه عنده عن النبي  أن يكون عنده من فعله ؛ لجواز أن يكون عنده من قوله.

٤٦٣- تدريب الراوي ص١٢٣ ، ١٢٤ .

٤٦٤- نزهة النظر شرح نخبة الفكر لابن حجر ص٥٤ .

ومثال التقرير حكماً : حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: إِنَّ أَبْوَابَ النَّبِيِّ ﷺ كَانَتْ تُقْرَعُ بِالْأَظَافِيرِ[٤٦٥].
والظاهر أنهم كانوا يقرعونه بالأظافير تأدبا ، وقيل: لأن بابه لم يكن له حلق يقرع بها[٤٦٦].

**المبحث الثاني : الحديث الموقوف**

الموقوف في اللغة : اسم مفعول من الوَقْف بمعنى الحبس والمنع. يقال: وقَف الأَرض على المساكين وقْفاً : حبسَها[٤٦٧].

وفي اصطلاح المحدثين : عرف الخطيب البغدادي الموقوف بقوله: ما أسنده الراوي إلى الصحابي ولم يتجاوزه[٤٦٨].

وبيَّن ابن الصلاح تعريف الخطيب قائلاً : الموقوف : ما يروي عن الصحابة من أقوالهم أو أفعالهم ونحوها فيوقف عليهم ولا يتجاوز به إلى رسول الله ﷺ[٤٦٩].

وقال النووي: هو المروي عن الصحابة قولاً لهم أو فعلاً، أو تقريراً، متصلاً كان أو منقطعاً[٤٧٠].
وزاد البعض في تعريفهم للموقوف: ما خلا عن قرينة تدل على أن له حكم الرفع[٤٧١].

ويتبين لنا مما سبق أن الحديث الموقوف: كل ما روي عن الصحابة من قول أو فعل أو تقرير خالياً من قرينة تدل على رفعه متصلاً كان أو منقطعاً. من أمثلته :

مثال الموقوف القولي : عن عَلِيّ بن أبي طالب عليه السلام قال: حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟[٤٧٢].

---

٤٦٥- الحديث : أخرجه البخاري في الأدب المفرد باب قرع الباب ص ٣٧١ ح(١٠٨٠) بإسناد ضعيف ؛ لأن فيه أبا بكر ابن عبد الله الأصفهاني مجهول ، قال عنه الذهبي : غير معروف ، وقال ابن حجر : مجهول (ميزان الاعتدال ٤ / ٥٠٦ ، تقريب التهذيب ٢ / ٣٦٥)، وفيه أيضاً مُحَمَّد بن مالك بن المنتصر ذكره ابن حبان في " الثقات "، وقال الذهبي: لا يعرف ، وقال ابن حجر : مجهول (الثقات ٥ / ٣٧١ ، ميزان الاعتدال ٤ / ٢٣،تقريب التهذيب ٢ / ١٢٨)

٤٦٦- توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار لمحمد بن إسماعيل الأمير الحسني الصنعاني ١ / ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

٤٦٧- لسان العرب ١٥ / ٢٧٤ .

٤٦٨- الكفاية في علم الرواية ص٢١ .

٤٦٩- مقدمة ابن الصلاح ص ٢١٩ .

٤٧٠- التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير للإمام النووي ص٢٣ .

٤٧١- توضيح الأفكار ١ / ٢٦١ ، فتح المغيث للسخاوي ١ / ١٢١ .

مثال الموقوف الفعلي: قول الحسن البصري: "وَأَمَّ ابْنُ عَبَّاسٍ وَهُوَ مُتَيَمِّمٌ"[٤٧٣] .

مثال الموقوف التقريري: كقول بعض التابعين مثلاً: فعلت كذا أمام أحد الصحابة ولم يُنْكِر عَلَيّ. وسمي موقوفاً؛ لأنه وُقِف عليهم ولم يتجاوز به إلى النبيﷺ[٤٧٤] .

ولو قيل لك أنه ليس لدى الشيعة الامامية أسناد متصلة إلى رسول اللهﷺ؟. فهناك من يدعي بأن الشيعة الامامية ليس لهم أسانيد إلى الرسولﷺ وهم يقرون بهذا أنهم ليس عندهم أسانيد في نقل كتبهم ومروياتهم وإنما هي كتب وجدوها فقالوا أرووها فإنها حق .

أما أسانيدهم كما يقول الحر العاملي وغيره من الشيعة إنه ليس عند الشيعة أسانيد أصلاً ولا يعولون على الأسانيد فأين لهم أن ما يروونه ثابت من عترة النبيﷺ؟ .

وبالنسبة لحديث الثقلين، يقال لماذا حصر الشيعة أهل البيت في علي وفاطمة والحسن والحسين؟ ومن بعده الأئمة من ولد الحسين؟ أليس آل عباس وآل عقيل وآل جعفر وآل علي هم أهل البيت (كل من يتصل نسبهم إلى بني هاشم)؟.

الجواب : لا نعرف من أين جاء هذا الافتراء، بأن الشيعة الامامية لا أسناد لهم تتصل برسول اللهﷺ ؟.

أليس هذه مجاميعهم الحديثية كلّها تزخر بأحاديث النبي الأعظمﷺ المروّية عن أئمة أهل بيت العصمةعليهم السلام عبر آلاف الرواة والمحدّثين؟!.

ومازال فينا ولله الحمد الرواة والمحدّثون الحاصلون على إجازة الرواية ولهم طرقهم التي تنتهي إلى رسول الله وأهل بيتهعليهم السلام ، وعلماؤنا مازالوا مستمرين في إجازة خلفهم برواية ما صحّت لهم روايته وهذه سيرتهم إلى يومنا وإلى يوم القيامة إن شاء الله تعالى. أبعد هذا يُقال أن الشيعة لا أسناد عندهم إلى رسول اللهﷺ ؟!.

---

٤٧٢- الأثر: أخرجه البخاري في الصحيح كِتَاب الْعِلْمِ بَاب مَنْ خَصَّ بِالْعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ كَرَاهِيَةَ أَنْ لَا يَفْهَمُوا ١ / ٧٨ ثر (١٢٧).

٤٧٣- الأثر : ذكره البخاري في الصحيح كِتَاب الْعِلْمِ بَاب الصَّعِيدُ الطَّيِّبُ وَضُوءُ الْمُسْلِمِ يَكْفِيهِ مِنْ الْمَاءِ ١ / ١٢٧ معلقاً ، ووصله عبد الرزاق في المصنف كتاب الطهارة باب كم يصلي بتيمم واحد ١ / ٢١٦ ثر (٨٣٦) ، وابن أبي شيبة في المصنف كتاب الطهارات باب في التيمم كم يصلي به من صلاة ١ / ١٤٧ ثر(١٦٩٣) بإسناد صحيح .

٤٧٤- توجيه النظر إلى أصول الأثر للجزائري ١ / ١٧٦ .

بل إن شيعة الامامية يفخرون بأنهم وحدهم يروون الحديث عن أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله الذين هم أعرف بحديث جدّهم وأصدق لهجة من غيرهم وكيف لا وهم عدل القرآن والذين أوصانا صلى الله عليه وآله بالرجوع إليهم وأخذ العلم منهم، وما حديثهم إلا حديث جدّهم عن جبرئيل عن الباري جل وعلا؟!.

فإن كان القصد أن كثيرا من الأسناد تنتهي إلى إمام من أئمة أهل البيت ولا تتصل بعد ذلك برسول الله صلى الله عليه وآله وأن هذا دليلا على عدم وجود الأسناد المتصلة إلى النبي صلى الله عليه وآله ؛ أقول إن كان هذا القصد، فقد كشف لنا عن ضحالة الفهم! .

بغض النظر عن أن أئمتنا عليهم السلام كثيرا ما كانوا يحدّثون عن جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله بذكر سندهم المعروف (عن أبي عن أبيه عن أبيه.. عن جدنا رسول الله) وهذا موجود في آلاف الموارد.

بغض النظر عن ذلك، فإن الأئمة عليهم السلام أنفسهم أنبأونا عن أن حديثهم إنما هو حديث النبي الأعظم صلى الله عليه وآله نفسه، لا تغيير فيه ولا تبديل، فقولهم قول واحد.

ومن هذا عندما جاء جابر إلى الإمام الباقر عليه السلام وطلب منه أسناد الأحاديث التي حدّثه بها، قال له الإمام عليه السلام: "حدثني أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، عن جبرئيل عليه السلام عن الله عز وجل. وكل ما أحدّثك بهذا الإسناد"[٤٧٥].

وكذا قال الصادق عليه السلام: "حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله ، وحديث رسول الله قول الله عز وجل"[٤٧٦].

هذا والامامية تختلف أصلا في رؤيتها للأئمة من أهل البيت عليهم السلام تعتبرهم معصومين مبلّغين عن الله عز وجل، وسند أحاديثهم الى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله . فهل يسأل سائل رسول الله عن سند حديثه؟!.

إن من أعظم الأدلة على أن طرق الشيعة الحديثية أضبط من طرق غيرهم، أنه مضافا إلى التزامهم النقل عن الصادقين من أهل بيت النبوة فإنهم سبقوا غيرهم في تدوين الحديث وضبطه، ولم يعتمدوا على النقل الشفهي الذي كثيرا ما يقع فيه الخلط والخبط والالتباس .

---

٤٧٥- البحار ج٢ ص١٧٨ .

٤٧٦- نفس المصدر ، ص١٧٩ .

فكان تدوين كتاب سُليم بن قيس الهلالي (تولد عام ٢ قبل الهجرة توفي عام ٧٦هـ.ق) ، الذي هو أول مصنّف حديثي وصلنا منذ بدء نشوء الإسلام، وكان تدوين الأصول الأربعمئة التي هي عبارة عن أربعمئة كتاب حديثي كتبها الرواة الذين التفّوا حول أهل بيت العلم والحكمة، وأخذوا منهم الأحاديث ودوّنوها .

وكثيرا ما كان الشيعة من بعدهم يعرضون هذه الكتب والأصول على الأئمة المعصومين للتأكد منها، فكان الأئمةعليهم السلام يصحّحونها و يأمرون الشيعة بحفظها ورواية ما جاء فيها.

فمن أين هذا الزعم والافتراء أن الشيعة أقرّوا أنه ليست عندهم أسناد في نقل كتبهم ومرويّاتهم وإنما هي كتب وجدوها وقالوا: ارووها فإنها حق؟!.

إن هذا الادّعاء بلا دليل إطلاقا، إلا إذا كان القصد الرواية عن الامام مُحَّد الجوادعليه السلام فعندها يتبيّن لك مدى الجهالة وضآلة الفهم! فالرواية تقول:

عن مُحَّد بن الحسن بن أبي خالد شينولة قال: قلت لأبي جعفر الثانيعليه السلام: جعلت فداك إن مشايخنا رووا عن أبي جعفر وأبي عبد اللهعليهما السلام ، وكانت التقية شديدة فكتموا كتبهم، فلم تُروَ عنهم، فلما ماتوا صارت الكتب إلينا. فقال: حدّثوا بها فإنها حق[٤٧٧] .

فالرواية —كما ترى — يسأل فيها السائل الإمام مُحَّد الجوادعليه السلام عن مجموعة من الكتب التي هي جزء من الأصول الأربعمئة، والتي دوّن فيها علماء الشيعة ما رووه عن الإمامين الباقر والصادقعليهما السلام .

ولأن إرهاب السلطات كان آنذاك شديدا فقد اضطر أصحاب هذه الكتب إلى كتمانها عملا بالتقية الشرعية، لأنهم إذا رووا ما جاء فيها تعرّضوا إلى الهلاك، فيتسبب ذلك في اندثار هذه العلوم أيضا.

فما كان منهم إلا أن أخفوها، فتوارث بعض أبنائهم وأقربائهم هذه الكتب، ثم وصلت إلى أصحاب الأئمة اللاحقين فلما نظروا فيها أوجبوا على أنفسهم الرجوع إلى الأئمة لعرضها عليهم وبيان مدى صدقيّتها، وهذا ما حصل من السائل الذي سأل الإمام الجوادعليه السلام عنها فقال: "حدّثوا بها فإنها حق".

---

٤٧٧- الكافي ج١ ص٥٣ .

فأين هذا المدعي نسب هذا القول إلى الشيعة والحال أنه حكم الإمامعليه السلام! والطريف أنه اعتبر ذلك دليلا على زعمه بأنه ليس عند الشيعة أسناد أصلا! .

فكيف نجمع ذلك مع وجود الأصل المدوّن المروي بسند مباشر عن الإمام المعصوم، ثم لا يُكتفى بذلك بل يُعرض هذا الأصل مرة أخرى على الإمام المعصوم اللاحق لتوثيقه؟! فهل هذا إلا إسناد مُحكم؟!.

أرأيت اليوم إنْ نقل ناقل خبرا ما شفهيا وسماعيا، هل تتقبل أنت كلامه أكثر من الذي ينقل الخبر مدّعما بالدليل المصدري التحريري المكتوب الذي لا يقبل اللبس؟.

بلا شك أنك تقبل الثاني أكثر من الأول، لأن الأول قد يزيد وينقص من كلامه ولو بسبب الاشتباه أو عدم الدقة، أما الثاني فإنه سيكون أوثق في نظرك لأنه سجّل ما رآه ووثّقه، فكيف إذا جاء من تحترمه وتعتبره أنت مقياسا للقبول والرفض فحكم لك بصحّة ما دوّنه الناقل؟ لا شك أنك ستزداد يقينا في قبول خبره.

فهذا هو ما حصل عند أسلافنا الأبرار ؟.

وهو عين ما يحصل معنا اليوم، فنحن وهم إنما ننقل من المصادر بلا واسطة ولا أسناد، ولا نحتاج للواسطة والأسناد ما دام هذا النقل عن كتاب تحريري مدوّن. وإنما جاء أسلافنا إلى الأئمة للسؤال عن هذه الكتب للاطمئنان إلى ما جاء فيها، فحكم الأئمةعليهم السلام بصحّتها.

إن هذا المستشكل نفسه لو تفكّر قليلا لعلم أن شبهته هذه إنما تنطبق عليه، لا على الشيعة الامامية! فهو أخذ من كتاب الامام البخاري واعتبروه صحيحا كلّه مع أنهم إنما وجدوه وانتسخوه بعد هلاك صاحبه! .

وأزيدك علماَ أن صاحبه لم يكن قد انتهى من تبييضه بعد ولذلك وقع في نسخه زيادة ونقصانا وتحريفا وتغييرا وتبديلا! وقد اعترف بذلك ابن حجر إذ قال:

"ولم أقف في شيء من نسخ البخاري على ترجمة لمناقب عبد الرحمن بن عوف، ولا لسعيد بن زيد، وهما من العشرة. وإن كان قد أفرد ذكر إسلام سعيد بن زيد بترجمة في أوائل السيرة النبوية. وأظن ذلك من تصرف الناقلين لكتاب البخاري.

كما تقدم مراراً أنه ترك الكتاب مسوّدة، فإن أسماء من ذكرهم هنا لم يقع فيهم مراعاة الأفضلية، ولا السابقية، ولا الأسنية. وهذه جهات التقديم في الترتيب. فلما لم يراع واحداً منها دل على أنه كتب كل ترجمة على حدة، فضم بعض النقلة بعضها إلى بعض حسبما اتفق"![٤٧٨].

كما ورد عن أبي الوليد الباجي قوله: "وقد أخبرنا أبو ذر عبد بن أحمد الهروي الحافظ (رحمه الله) ، ثنا أبو إسحاق المستملي إبراهيم بن أحمد، قال انتسخت كتاب البخاري من أصله. كان عند مُحَّد بن يوسف الفربري، فرأيته لم يتم بعد، وقد بقيت عليه مواضع مبيضة كثيرة منها تراجم لم يثبت بعدها شيئاً، ومنها أحاديث لم يترجم عليها، فأضفنا بعض ذلك إلى بعض؟!.

ومما يدل على صحة هذا القول أن رواية أبي إسحاق المستملي، ورواية أبي مُحَّد السرخسي، ورواية أبي الهيثم الكشميهني، ورواية أبي زيد المروزي ـ وقد نسخوا من أصل واحد ـ فيها التقديم والتأخير.

وإنما ذلك بحسب ما قدر كل واحد منهم في ما كان في طرة أو رقعة مضافة أنه من موضع ما، فأضافه إليه! ويبين ذلك أنك تجد ترجمتين وأكثر من ذلك متصلة ليس بينهما أحاديث! وإنما أوردت هذا لما عني به أهل بلدنا من طلب معنى يجمع بين الترجمة والحديث الذي يليها، وتكلفهم في تعسف التأويل ما لا يسوغ"![٤٧٩].

كما أقرّ بذلك محمود أبو رية إذ قال: "فعدد أحاديث البخاري يزيد في رواية الفربري على عدده في رواية ابن معقل النسفي بمئتين، ويزيد عدد النسفي على عدد حماد بن شاكر النسفي بمئة كما ذكره العراقي"؟![٤٨٠].

فتأمل جيداً في هذه الاعترافات بأن كتاب البخاري إنما كان مسوّدة لا مبيّضة، أي أنه لم ينتهِ منه بعد، وأن النسخ التي انتسخت من أصوله تختلف عن غيرها، من حيث الزيادة والنقصان، ففي بعضها أحاديث لا تكون في الأخرى؟! .

فهل بعد هذا تُوجّه هذه التهمة إلى الشيعة أم إلى مخالفيهم الذين عدّوا كتابا مختَلفا فيه أصح الكتب بعد كتاب الله حتى قالوا أنه يجوز الحلف بالطلاق على أنه صحيح كلّه ولن يقع الطلاق لأنه صحيح كلّه ليس فيه شيء غير صحيح؟![٤٨١].

---

٤٧٨- مقدمة فتح الباري ج٧ ص٩٣.

٤٧٩- التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح ج١ ص٣١٠.

٤٨٠- أضواء على السنة المحمدية ص٣٠٧.

وأزيدك أن في كتاب الامام البخاري نفسه مراسيل بلا أسناد! فمنها ما رواه عن ابن عباس في (باب وجوب الزكاة) فهو يروي فورا عن ابن عباس بلا سند![٤٨٢].

ومنها ما رواه عن أنس في (باب الصلاة على الفراش) فهو يروي فورا عن أنس بلا سند! [٤٨٣]، وما هذان إلا مثالان من عشرات الأمثلة، وفي كتابه أيضا روايات منقطعة كثيرة.

فما بال هذا الجاهل وغيره ، لا يطرح كتاب الامام البخاري عن الاعتبار لورود أمثال هذه الروايات التي ليس فيها سند متصل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟! .

وكيف حكم بصحة كل ما جاء في هذا الكتاب ومن أين علم الامام البخاري بأن هذه الروايات هي من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو سيرته وليس له إسناد فيها ولم يعرضها على معصوم ليصحّحها له؟!.

بل وأزيدك أن الامام البخاري نفسه ضعّفه في الحديث أحد أعظم رجال الجرح والتعديل عندهم!، وهو الذهبي حيث اعتبر البخاري من الضعفاء والمتروكين أي الذين لا يُعتدّ برواياتهم![٤٨٤].

بل وأكثر من هذا أعلن الذهبي أن الامام البخاري كان مدلّسا؟![٤٨٥].

بل وأكثر من هذا؟! نقل الذهبي عن أبي الفرج الجوزي وغيره من العلماء أن البخاري – بكل صراحة – كذاب؟![٤٨٦] .

بعد هذا يأتينا من يعتقد بكتاب هذا البخاري الكذاب المدلّس الضعيف والذي حشا كتابه بالروايات المرسلة والمقطوعة بل والإسرائيليات المخالفة لكتاب الله تعالى في كثير من الموارد؛ يأتينا مثل هذا المعتقِد ليزعم أنه ليس عندنا أسناد متصلة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟!.

ألا ما أجهلَه! وينطبق عليه وعلى أضرابه مثل: "رمتني بدائها وانسلّت"!. إن ما زعمه المستشكل من أن الحر العاملي، اعترف بأن الشيعة ليس عندهم أسناد أصلا لهو بهتان وافتراء! فلم يقل الحر العاملي ذلك إطلاقا، ولا يمكن أن يتفوّه مثله به، بل هو من الأكاذيب.

---

٤٨١- شرح النووي لكتاب مسلم ج١ ص١٩.

٤٨٢- البخاري ج٢ ص١٠٨.

٤٨٣- نفس المصدر ، ج١ ص١٠١.

٤٨٤- حكاه عنه المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير ج١ ص٣٢.

٤٨٥- سير أعلام النبلاء ج١٢ ص٢٧٤.

٤٨٦- ميزان الاعتدال في ترجمته ج٣ ص٤٨٤.

نعم قد شرح الحر العاملي في مقدّمة وخاتمة الوسائل مبناه ومبنى الإخباريين في اعتبار الأخبار المدوّنة في الأصول الأربعمئة والكتب الأربعة وعدم اشتراط صحة السند في اعتبارها.

وهذا يختلف عن زعمهم أنه نفى وجود الأسناد عند الشيعة أصلا؟! فهو لم ينفِ، كيف ؟ وقد أورد الأسناد في أحاديث كتابه وسائل الشيعة؟!.

بل غاية ما قال أنه يوثّق هذه الروايات بغض النظر عن السند، صحيحا كان أم ضعيفا.

ولا ندري كيف يستمر مسلسل الكذب بعدما بانت عوراتهم في ذلك آلاف المرّات؟!.

ألا يخجلون ويستحون ويحاولون إثبات الكذب؟!.

ألا يعلمون أن حبل الكذب قصير وأنها ستكرّ عليهم وتفضحهم؟!.

وما هذه إلا كذبة جديدة تضاف إلى سجل كذباتهم؟.

إن (أهل البيت) بالمعنى العام اللغوي يشمل جميع آل الرسول الأكرم عليهم السلام وذرّيته، غير أن (أهل البيت) بالمعنى الخاص الاصطلاحي – وهو ذلك الاصطلاح القرآني والحديثي والتشريعي – منحصر في من نصّ عليهم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم على أنهم أهل بيته المعصومون المطهّرون المبلّغون عن الله المنصوبون من قبله للإمامة والولاية.

وهؤلاء ليسوا سوى الخمسة أهل الكساء، مضافا إلى التسعة الأئمة من ذرية الحسين، ومجموعهم أربع عشر معصوماً عليهم السلام.

ويشهد لخروج من سواهم عن هذا الاصطلاح بالمعنى الخاص الرواية الصحيحة التي رواها المخالفون أنفسهم عن السيدة ام المؤمنين أم سلمة عليها السلام حيث ورد أنها حاولت الدخول تحت الكساء يوم أن جمع النبي (أهل بيته) وأنزل الله تعالى الآية المعروفة:

"إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا"[٤٨٧]. فأخرجها النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائلا: "أنت على مكانك، وأنت إلى خير"[٤٨٨].

٤٨٧- الأحزاب: ٣٣ .

٤٨٨- كتاب الترمذي ج٥ ص٣٥١ .

فمع أن ام المؤمنين أم سلمة من أهل بيته ﷺ بالمعنى اللغوي العام كونها زوجته إلا أنه قد أخرجها عن أهل بيته بالمعنى الاصطلاحي الخاص كونها ليست معصومة ولا بإمام.

وقد اعترف جمع من علماء اهل السنة بذلك في معرض حديثهم عن عترة النبي ﷺ منهم المناوي إذ قال: "وعترتي أهل بيتي تفصيل إجمال بدلا أو بيانا، وهم أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا"[٤٨٩].

ومنهم الحكيم الترمذي إذ قال : "فقول رسول الله ﷺ: لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، وقوله: ما إن أخذتم به لن تضلوا، واقع على الأئمة منهم السادة لا على غيرهم"[٤٩٠].

من هذا نحصر اصطلاحيا (أهل البيت) بمن ثبت فيه النص عن رسول الله ﷺ. واما أنواع الموقوف، فأن أنواع الحديث الموقوف ، واستعمالاته للحديث الموقوف أنواع ثلاث بيانها كالتالي:

**أ :– المتصل الإسناد :**

النوع الأول : المتصل الإسناد : وهو أن يروى الحديث بالسند المتصل إلى التابعي ثم يقول: قال الصحابي كذا أو فعل كذا.

ومثال ذلك: ما رواه البخاري في الصحيح بسنده عن أَبِي جَمْرَةَ قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ الْمُتْعَةِ فَأَمَرَنِي بِهَا، وَسَأَلْتُهُ عَنْ الْهَدْيِ ، فَقَالَ: فِيهَا جَزُورٌ، أَوْ بَقَرَةٌ ، أَوْ شَاةٌ ، أَوْ شِرْكٌ فِي دَمٍ[٤٩١].

واما عند الشيعة الامامية : السند هو مصطلح حديثي يستخدم في علم الحديث وعلم الدراية، وعندما يطلق يراد به سلسلة الرواة الذين نقلوا الرواية، وهو من أهم المسائل العلمية التي يبحث فيها المتَشرع، لأنّ الحكم عليه بالصحّة أو الضعف هو ما يقرّر قبول الرواية من عدمها. كما أنّ السند هو جزء موضوع علم الدراية والحديث.

التعريف : قال « الخليل بن أحمد الفراهيدي» في مصنّفه « العين»، السَّنَدُ: ما ارتفع من الأرض في قُبُلِ جبلٍ أو وادٍ، وكلّ شيء أَسْندت إليه شيئا فهو مُسْنَدٌ[٤٩٢].

---

٤٨٩– فيض القدير في شرح الجامع الصغير ج٣ ص١٩ .

٤٩٠– نوادر الأصول ج١ ص٢٥٦.

٤٩١– صحيح البخاري ١ / ٤٤١ .

٤٩٢– الفراهيدي، العين، ج ٢، ص ٨٦٢، مادة سند.

المعنى الاصطلاحي : اختلفت التعريفات والتفسيرات بين أعلام علم الحديث عند الشيعة والسنّة، فذهب جماعة من أعلام أهل السنة إلى القول بأنّ السند هو نفسه إخبار المخبر، بينما قال علماء الشيعة: أنّ هذا التعريف هو للإسناد لا السند، وقالوا: أن السند هو نفس طريق متن الحديث.

تعريف الشيعة : قال الشهيد العاملي الثاني، والسند طريقُ المتن[٤٩٣]. قال المامقاني السند: وهو طريق المتن، وهو جملة من رَوَاه، مأخوذ من قولهم: فلان سَنَدٌ..أي مُعْتَمَدٌ[٤٩٤]. وعرّفه الفضلي في كتابه « أصول الحديث»، بأنَه: الطريق الرِوَائِي الذي يُوصِل الحديث من ناقله إلى قائله[٤٩٥].

تعريف السنة : عرّف ابن جَماعة السند في مؤلفه «المنهل»، بأنّه: «الإخبار عن طريق المتن، وهو مأخوذ، إمّا من السند وهو ما ارتفع وعلا عن سفح الجبل لأنّ المسنِد يرفعه إلى قائله، أو : من قولهم : فلان سَنَدٌ أي مُعتمَدٌ، فسمي الإخبار عن طريق المتن سندًا لاعتماد الحُفّاظ في صحة الحديث وضعفه عليه»[٤٩٦].

ثمّ عقب في موضعٍ آخر، قائلا: «والمحدّثون يستعملون السند والإسناد لشيء واحد»[٤٩٧]، وتبعه في هذا التعريف الطّيبيّ الدمشقيّ في خلاصته، حيث قال: «السند: إخبار عن طريق المتن، من قولهم فلان سَنَد أي مُعتمد، فسمي سَنَدًا، لاعتماد الحُفّاظ في صحة الحديث وضعفه عليه»[٤٩٨].

ردّ المامقاني على هذا القول : لقد ناقش ورَدَّ « المامقاني» هذا القول في مؤلّفه « مقباس الهداية »، حيث قال:

« أنّ الإخبار إسناد لا سند، ولذا جعل الشهيد الثاني في – مصنّفه – بداية الدراية الأول أظهر – يقصد التعريف الذي ذكره الشهيد الثاني –؛ لانّ الصحة والضعف إنّما يُنسبان إلى الطريق، باعتبار رُوَاته لا باعتبار الإخبار، بل قد يكون الإخبار بالطريق الضعيف صحيحًا؛ بأن رَوَاه الثّقة الضابط بطريق ضعيف .

٤٩٣– الشهيد الثاني، البداية في علم الدراية، ص ١٨.

٤٩٤– المامقاني، مقباس الهداية في علم الدراية، ج ١، ص ٤٨.

٤٩٥– الفضلي، أصول الحديث، ص ٦٥.

٤٩٦– ابن جماعة، المنهل، ص ٢٩ –٣٠.

٤٩٧– ابن جماعة، المنهل، ص ٣٠.

٤٩٨– الدمشقي، الخلاصة في معرفة الحديث، ص٢٨.

فإنّ الإخبار بكون الرُوَاة المذكورين في السند طريقه بنفسه صحيح مع كون الطريق بنفسه ضعيفًا، فما ذَكَرَاه ينبغي أن يكون تفسيرًا للإسناد – الذي هو: رفع الحديث إلى قائله والإخبار عن الطريق- دون السند – الذي هو: نفس الطريق- وإلاّ لَلَزِم اتحاد السند و الإسناد، مع أنّهما غيران »[٤٩٩].

وأعقب قائلا : «وما عن ابن جماعة من أنّ المحدّثين يستعملون السند والإسناد لشيء واحد..، غلط وزور»[٥٠٠].

أقسام السند : تقسيم الشيعة : لقد قسم الامامية السند إلى قسمين، العالي والنازل: والعالي من السند هو: قليل الواسطة إلى المعصوم، مع اتصاله. واما النازل من السند هو: كثير الواسطة، مع اتصاله[٥٠١].

مراتب العالي الثلاثة :

المرتبة الأولى: قرب الإسناد من المعصوم، وهو أجلها وأشرفها.

المرتبة الثانية: قرب الإسناد من أحد أئمة الحديث.

المرتبة الثالثة: أن يتقدّم سماع أحد الراويين في الإسنادين على زمان سماع الآخر، وإن اتفق في العدد، أو في عدم الواسطة، والعلو هنا يسمى «العلو النسبي»[٥٠٢].

ويبقى هناك قسمين لم يعدّهم أعلام الشيعة الامامية من أقسام العالي، وقد ذكرهم «المامقاني»، وردّهم.

المرتبة الرابعة: العلو المقيّد بالنسبة إلى رواية أحد كتب الحديث المعتمدة، وقد قسّموه إلى أربعة: «الموافقة، الإبدال، المساواة، المصافحة».

---

٤٩٩- المامقاني، مقباس الهداية في علم الدراية، ج ١، ص ٤٨-٤٩.

٥٠٠- نفس المصدر .

٥٠١- نفس المصدر : ج ١، ص ١٩٠.

٥٠٢- الشهيد الثاني، البداية في علم الدراية، ص ٢٩.

المرتبة الخامسة: تقدّم وفاة راوي أحد السندين المتساويين في العدد على من في طبقته من راوي السند الآخر[٥٠٣].

مراتب النازل: بلحاظ كون النازل يقابل العالي، فيبادله نفس التقسيم، غير أنّه بالخلاف.

تقسيم السنة : قسّم أعلام الدراية والحديث عند أهل السنة السند من جهة قربه من النّبيّ ﷺ من عدمه، إلى قسمين :

السند العالي: وهو على مراتب خمسة:

المرتبة الأولى: وهو أجلّها، القرب من النّبيّ ﷺ بعدد أقل في إسناد الصحيح .

المرتبة الثانية: العلو والقرب من إمام من أئمة الحديث، وإن كثر العدد منه إلى النبي ﷺ.

المرتبة الثالثة: العلو بالنسبة إلى رواية مصنّف كتاب من الكتب المعتمدة.

المرتبة الرابعة: العلو بتقدّم وفاة الراوي.

المرتبة الخامسة: العلو بتقدّم السماع، إمّا من شيخين، أو من شيخ واحد[٥٠٤].

السند النازل: السند النازل هو: ما يقابل العالي تمامًا، وكذلك يشاركه نفس المراتب ، حسب بعده عن النبي ﷺ بعدد الوسائط[٥٠٥].

---

٥٠٣- المامقاني، مقباس الهداية في علم الدراية، ج ١، ص ١٩٠-١٩٥.

٥٠٤- ابن جماعة، المنهل، ص ٦٩-٧٠.

٥٠٥- نفس المصدر .

**ب :- المنقطع الإسناد :**

النوع الثاني : المنقطع الإسناد : وهو ما روي إلى الصحابي دون اتصال.

ومثال ذلك : ما رواه مالك في الموطأ عن نَافِعٍ مولى عَبْد الله بن عُمَرَ  أَنَّ عُمَرَ بن الْخَطَّابِ كَتَبَ إلى عُمَّالِهِ إِنَّ أَهَمَّ أَمْرِكُمْ عِنْدِي الصَّلاَةُ فَمَنْ حَفِظَهَا وَحَافَظَ عليها حَفِظَ دِينَهُ وَمَنْ ضَيَّعَهَا فَهُوَ لِمَا سِوَاهَا أَضْيَعُ.. الأثر[٥٠٦].

فهذا الأثر موقوف ؛ لأنه يعد من كلام عمر بن الْخَطَّابِ وأيضاً: منقطع ؛ لأن نافع لم يرو عن عمر، وإنما روايته عن ابن عمر. هذا على حسب مباني اهل السنة. قال المنذري: نافع عن عمر منقطع[٥٠٧].

ومثلاً ما هو البرهان من القران والسنة الصحيحين على جواز المتعة؟.

الجواب : لاشك ولا ريب في تشريع زواج المتعة (المؤقت) في الاسلام، وهذا ما نصّ عليه القرآن الكريم والسنّة الشريفة، وإنما الخلاف بين المسلمين في نسخها أو عدمه، فذهب أهل السنة والجماعة إلى أنها منسوخة واستدلوا لذلك بعدّة روايات متعارضة فيما بينها، بينما ذهب الشيعة إلى بقاء هذا التشريع المقدس وعدم نسخه لا من القرآن ولا السنة.

وقبل التطرق الى الأدلة نودّ القول: انّ زواج المتعة ما هو إلاّ قضية فقهية ثابتة عند قوم وغير ثابتة عند آخرين كسائر القضايا والأحكام الفقهية الأخرى التي يمكن الاختلاف فيها، فليس من الصحيح التشنيع والتشهير بالشيعة وجعل زواج المتعة أداة لذلك .

فإنّ هذه الاساليب غير العلمية تكون سبباً للفرقة بين المسلمين في الوقت الذي تتركّز حاجتنا إلى لمّ الشعث ورأب الصدع . وما دلّ على مشروعيتها في القرآن الكريم: قوله تعالى: (فما استمتعتم به منهنّ فآتوهنّ أجورهنّ فريضة)[٥٠٨].

---

٥٠٦- الأثر : أخرجه مالك في الموطأ كتاب الصلاة  باب وُقُوتِ الصَّلاَة ١ / ٦  ثر (٦) بإسناد صحيح .

٥٠٧- تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل لأبي زُرْعة العراقي  ص٣٢٥ .

٥٠٨- النساء ٢٤ .

فقد روي عن جماعة من كبار الصحابة والتابعين المرجوع إليهم في قراءة القرآن الكريم وأحكامه التصريح بنزول هذه الآية المباركة في المتعة، منهم: عبد الله بن عباس، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وجابر بن عبد الله، وأبو سعيد الخدري، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والسدي، وقتادة[٥٠٩].

ما دلّ على مشروعيتها من السنّة الشريفة: أخرج الامام البخاري، والامام مسلم، والامام أحمد، وغيرهم، عن عبد االله بن مسعود قال: (كنّا نغزو مع رسول اللهﷺ ليس لنا نساء، فقلنا: ألا نستخصي؟

فنهانا عن ذلك، ثمّ رخّص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل ثمّ قرأ عبد الله (يا أيها الذين آمنوا لا تحرّموا طيبات ما أحلّ الله لكم ولا تعتدوا إنّ الله لايحب المعتدين)[٥١٠].

مضافاً إلى ذلك (الاجماع) المنقول: نصّ على ذلك القرطبي، قال: (لم يختلف العلماء من السلف والخلف أنّ المتعة نكاح إلى أجل ، لا ميراث فيه، والفرقة تقع عند انقضاء الأجل من غير طلاق) ثم نقل عن ابن عطية كيفية هذا النكاح وأحكامه[٥١١].

وكذا الطبري ، فنقل عن السدّي: هذه هي المتعة، الرجل ينكح المرأة بشرطف إلى أجل مسمّى (تفسير الطبري في تفسير الآية).

وعن ابن عبد البرّ في (التمهيد) : أجمعوا على أنّ المتعة نكاح لا إشهاد فيه وأنّه نكاح إلى أجل يقع فيه الفرقة بلا طلاق ولا ميراث بينهما.

وما زالت متعة النساء سارية المفعول مباحة للمسلمين زمن رسول اللهﷺ وزمن أبي بكر وشطراً من خلافة عمر بن الخطاب حتى قال: (متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما)؟!.

---

٥٠٩- أحكام القرآن للجصّاص ١٤٧/٢.

٥١٠- صحيح البخاري في كتاب النكاح، وفي تفسير سورة المائدة، وصحيح مسلم كتاب النكاح، ومسند أحمد ١ / ٤٢٠.

٥١١- تفسير القرطبي ٥ / ١٣٢.

وقد أورد مقالته هذه جمهرة من الكتاب والحفاظ في كتبهم[٥١٢].

فثبت من خلال هذا الاستعراض المختصر جواز ومشروعية زواج المتعة في الاسلام، ومات النبيﷺ وهي بعد مشرعة غير محرمة ، حتى حرّمها عمر في أيام خلافته. أما بيان كيفية تعارض أخبار النسخ وسقوطها عن الحجية فله مجاله الخاص به.

ولكن ما تقول في هذة الروايات: قال إسحاق بن عمار: (سألت أبا إبراهيم موسى الكاظم عليه السلام عن الرجل إذا هو زنا وعنده الأمة يطؤها تحصنه الأمة – الجارية-؟ قال عليه السلام: نعم.

قال: فإن كانت عنده امرأة متعة أتحصنه؟ قال عليه السلام: لا، إنما هو على الشيء الدائم)[٥١٣]. والآية التي ذكرتها سابقاً ليس فيها بيان لزواج المتعة ، إنما هو الاستمتاع في الزواج الدائم ، والذي فيه أيضًا تمتع بين الزوجين ولذة.

وأما الأجر المقصود بالآية إنما هو المهر مثل ما جاء في قوله تعالى: (فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ)[٥١٤]، والمتعة لا يشترط فيها إذن الأهل.

وفي الاستبصار والتهذيب والوسائل عن علي عليه السلام أنه قال: (حرّم رسول اللهﷺ يوم خيبر لحوم الحمر الأهلية، ونكاح المتعة)[٥١٥].

وفي المستدرك عن عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله عن المتعة فقال عليه السلام: (لا تدنس نفسك بها)[٥١٦].

---

٥١٢- أنظر: تفسير الرازي ١٦٧/٢، شرح معاني الآثار ٣٧٤، سنن االبيهقي ٢٠٦/٧ بداية المجتهد ٣٤٦/١، المحلّى ١٠٧/٧، الدرّ المنثور ١٤١/٢ وفيّات الاعيان ١٩٧/٥.

٥١٣- الوسائل ٦٨/٢٨ .

٥١٤- النساء ٢٥ .

٥١٥- الوسائل ٥١٢/٢١.

٥١٦- المستدرك ٤٥٥/١٤.

التمتع بالمجوسية: جاء في الاستبصار عن أبي عبد الله قال: لا بأس بالرجل أن يتمتع بالمجوسية (والمجوس ليسوا من أهل الكتاب)[٥١٧].

التمتع بالزانية : جاء في التهذيب والوسائل[٥١٨] عن إسحاق بن جرير قال: قلت لأبي عبد الله: عندنا بالكوفة امرأة معروفة بالفجور، أيحل أن أتزوجها متعة؟ قال: رفعت راية؟ –أي: دلالة على المجاهرة بالبغاء– قلت: لا، لو رفعت راية لأخذها السلطان .

قال : نعم تزوجها متعة. قال –أي إسحاق–: ثم أصغى –أي: أبو عبد الله– إلى بعض مواليه فأسر إليه شيئا، فلقيت مولاه فقلت له: ما قال لك؟ قال: إنما قال لي: ولو رفعت راية ما كان عليه في تزويجها شيء، إنما يخرجها من حرام إلى حلال .

الجواب : إن رواية إسحاق بن عمار لا تدل على عدم مشروعية زواج المتعة بل تدل على حكم آخر وهو أن المتزوج بزواج المتعة هل يتعامل معه في حال الزنا تعامل الزوج المحصن أم غير المحصن فهل يستحق الرجم أم الجلد وهذا الحكم ليس له علاقة بجواز زواج المتعة.

أما الأدلة على جواز زواج المتعة فهي كثيرة ونحن لا نستدل فقط بالآية القرآنية بل بالروايات عن المعصومين عليهم السلام الذين يستدلون بالآية القرآنية على جواز المتعة .

وأما قولكِ أن المتعة لا يشترط فيها إذن الأهل فغير صحيح بل حكمها حكم الزوجة الدائمة من اشتراط الأذن للولي في زواجها إن كانت باكراً وعدم اشتراطه أن كانت ثيباً .

شرط الحاكم في الموقوف : الحاكم النيسابوري يشترط في الحديث الموقوف : عدم الانقطاع إلى الصحابي. وهذا شرط خاص به لم يوافقه أحد عليه. قال ابن حجر : شرط الحاكم في الموقوف أن يكون إسناده غير منقطع إلي الصحابي، وهو شرط لم يوافقه عليه أحد[٥١٩].

---

٥١٧- الاستبصار ٣/١٤٤ .

٥١٨- التهذيب ٧/٤٨٥ .

٥١٩- النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر ص١٨١ .

## ج :– المتصل في الأصل :

النوع الثالث : المتصل الإسناد في الأصل ، ولم يرفعه أحد رواته وهذا أحد أنواع المعضل فإذا روى تابع التابعي عن تابعي حديثا وقفه عليه وهو عند ذلك التابعي مرفوع متصل فهو معضل قال الحاكم :

والنوع الثاني من المعضل أن يعضله الراوي من أتباع التابعين فلا يرويه عن أحد ويوقفه فلا يذكره عن رسول الله ﷺ معضلا ثم يوجد ذلك الكلام عن رسول الله ﷺ متصلاً ومثله بما روى عن الأعمش عن الشعبي قال: يقال للرجل يوم القيامة : عملت كذا وكذا ، فيقول: ما عملته فيختم على فيه فينطق جوارحه أو قال: ينطق لسانه فيقول لجوارحه: أبعدكن الله ما خاصمت إلا فِيكُن.

قال الحاكم : قد أعضله الأعمش وهو عن الشعبي متصل مسند مخرج في الصحيح لمسلم[٥٢٠].

قال ابن الصلاح: وهذا جيد حسن ؛ لأن هذا الانقطاع بواحد مضموماً إلى الوقف يشتمل على الانقطاع باثنين: الصحابي ورسول الله ﷺ فذلك باستحقاق اسم الإعضال أولى[٥٢١].

قال ابن جماعة : وفيه نظر[٥٢٢]. أي لأن مثل ذلك لا يقال من قبيل الرأي فحكمه حكم المرسل وذلك ظاهر لا شك فيه. قال السيوطي: ثم رأيت عن ابن حجر أن لما ذكره ابن الصلاح شرطين:

أحدهما : أن يكون مما يجوز نسبته إلى غير النبي ﷺ فإن لم يكن فمرسل.

الثاني : أن يروي مسندا من طريق ذلك الذي وقف عليه فإن لم يكن فموقوف لا معضل ؛ لاحتمال أنه قاله من طريق عنده فلم يتحقق شرط التسمية من سقوط اثنين[٥٢٣].

استعمالات أخرى للموقوف :

أ . إذا ذكر الموقوف دون تقييد خصص بالصحابة، ويستعمل في غير هم كالتابعين مقيداً فيقال: وقفه فلان على الزهري ونحوه.

---

٥٢٠– معرفة علوم الحديث ص٣٧ ، والحديث : أخرجه الامام مسلم في الصحيح كتاب الزهد والرقائق في أوله ١٨ / ٤٠٢ ، ٤٠٣ ح ٢٩٦٩ موصولاً عن أنس .

٥٢١– مقدمة ابن الصلاح ص٢١٩ .

٥٢٢– المنهل الروي ص٤٧ .

٥٢٣– تدريب الراوي ص١٣٧.

ب . وعند فقهاء خراسان تسمية الموقوف بالأثر، والمرفوع بالخبر قال أبو القاسم الْفُورَانِيّ من فقهاء خراسان: الفقهاء يقولون:

الخبر ما يروى عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، والأثر ما يروى عن الصحابة قال ابن حجر: ويقال للموقوف والمقطوع : الأثر. قال النووي: وعند المحدثين كل هذا يسمى أثرًا[٥٢٤].

ولو تبادر سؤال بذهنك هل يحتاج القرآن إلى سند؟.

او ان تأتي بسند لكتاب الله من طرق الشيعة الإمامية الإثني عشرية؟.

أو السند من طريق آل البيت(عليهم السلام) أن يكون الرواة إماميون اثني عشرية. او من كتب الشيعة الامامية الاثنا عشرية. او ان يكون السند متصلا الى الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم).

الجواب : نحن عندما نقول بصحة ما جاء بين الدفتين من كتاب الله وان جميع ذلك قرآن منزل من الله تعالى لم نعتمد في ذلك على سند معين بخصوصه وأن القرآن جائنا من ذلك الطريق فقط .

بل نعتمد كما يعتمد جميع المسلمين على تواتر النص القرآني، فالمسلمون على اختلاف نزعاتهم وتباين آرائهم ومذاهبهم اتفقوا على كلمةً واحدة منذ الصدر الاول . عهد الصحابة الاولين . وهكذا عبر الأجيال أمّة بعد أمّة حتى العصر الحاضر وسيبقى مع الدهر، على نص القرآن الأصيل في جميع حروفه وكلماته تلقوه من الرسول الاعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) وتوارثوه يداً بيد في حيطه كاملة وحذر فائق.

وما نجده اليوم من النص المثبت بين الدفتين هو الذي أثبته السلف الصالح كما أخذوه من فيّ رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) بلا تحوير ولا تحريف قط.

وإذا لاحظنا المصاحف الأثرية القديمة وقارناها مع المصاحف الحاضرة نجدها جميعاً متحدة في الاسلوب والخط.

ثم إنه هناك قطع قرآنية جائت في كلمات السلف لغرض الاستشهاد أو التفسير او نحو ذلك لا تختلف عن النص الموجود، الأمر الذي يدل على ذلك التعاهد العام عن نص واحد للقرآن، وان اختلاف القراء طول التاريخ لم يستطع تغييراً لا في لفظه ولا في خطه.

---

٥٢٤- مقدمة ابن الصلاح ص١٩٤ ، ١٩٥ ، التقريب والتيسير ص٢٣ ، تدريب الراوي ص١١٧ .

ولابد من التفريق بين القرآن وبين القرآءات. يقول الامام الزركشي: (إنهما حقيقتان متغايرتان فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، والقرآءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها).

ولم يشك احد من المسلمين في تواتر القرآن انما وقع الشك في تواتر القرآءات ، يقول السيد الخوئي :

(ان تواتر القران لا يستلزم تواتر القرآءات، لان الاختلاف في كيفية تعبير الكلمة لا ينافي الاتفاق على أصلها.. على أن الواصل إلينا بتوسط القرآء إنما هو خصوصيات قرآءاتهم، وأما أصل القرآن فهو واصل إلينا بالتواتر بين المسلمين، وبنقل الخلف عن السلف وتحفظهم عليه في الصدور وفي الكتابات ولا دخل للقرآء . بخصوصهم . في ذلك أصلاً، ولذلك فان القرآن ثابت التواتر حتى لو فرضنا أن هؤلاء القرآء السبعة او العشرة لم يكونوا في عالم الوجود أصلاً).

والحصيلة : إن الشيعة الامامية لا تقول بصحة القرآن من جهة وجود سند نعتمد عليه ؟! ، بل نقول بصحة القرآن لتواتر نصه الشريف .

ومن هذا يظهر خطأ بعض العلماء من أهل السنة الذين يثبتون القرآن بسند القرآءات؟ ! ، وذلك لأن القرآن لا يثبت بالسند الواحد، فتأمل.

ومع ذلك فان كنت تريد سنداً للقرآن فان أفضل القرآءات التي راجت بين المسلمين هي رواية حفص عن عاصم عن عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي عليه السلام، وعلي عليه السلام لم يأخذ إلا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وقد ذكر عاصم لحفص (أنه لم يخالف أبا عبد الرحمن في شيء من قراءته، وإن عبد الرحمن لم يخالف علياً عليه السلام في شيء من قراءته)، وقال عاصم أيضا لحفص: (ما كان من القراءة التي قرأت بها على أبي عبد الرحمن فهي التي أقرأتك بها)[٥٢٥] .

فهذه القراءة وهي قراءة حفص عن عاصم عن أبي عبد الرحمن قراءة شيعية خالصة! فحفص من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام [٥٢٦]، وعاصم من أعيان شيعة الكوفة الأعلام – ذكر ذلك أبو الفتوح

٥٢٥- سير أعلام النبلاء ج٥ ص٢٥٩.

٥٢٦- أنظر : رجال الشيخ الطوسي .

الرازي-، وأبي عبد الرحمن السلمي من خواص علي عليه السلام[527]. وقد درس الشيعة أصول القرآءات وأحكموا قواعدها وكان أربعة من القرآء السبعة شيعة.

ولابد أن تعرف أننا نقبل الرواية أو القراءة إذا جاءتنا من الثقات الصدوقين وان لم يكن شيعياً، فلماذا تريد أن تلزمنا بمثل هكذا شرط وهو كون الراوي شيعياً؟.

ولو قلت : انه ليس لدى الشيعة سند متصل للقرآن الكريم وصولاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، أعلم أن بداية سند القرآن عند السنة هو لشخصيات ندعي أنها شيعية وهم يدعون أنها سنية، ولكن أين سندنا الآن، وماذا فعل الشيعة لحفظ القرآن عبر التاريخ إلى الآن وما السبب التاريخي الذي جعل المخالفين لنا أكثر تمسكاً وحفظاً واهتماماً بالقرآن وعلومه؟.

الجواب :

أولاً : القرآن الكريم كتاب الله الخالد المعجز لا يمكن ان يثبت بالأسانيد لا عند السنة ولا عند الشيعة وانما هو متواتر نقله المسلمون الاوائل الى من بعدهم جيلا عن جيل وجماعة عن جماعة ويدا بيد.

فلا يمكن اثباته بمثل اسانيد الاحاديث الى رسول الله صلى الله عليه وآله بالتواتر المستفيض حيث ان اسانيد السنة تنتهي الى امير المؤمنين عليه السلام او عبد الله بن مسعود او ابي بن كعب او عثمان او زيد بن ثابت .

وهذا لا يولد التواتر لان الناقل عن هذا العدد القليل من الصحابة هم ايضا افراد وآحاد وما نقلوه انما هو قراءة وكيفية معينة وليس قرآنا مكتوبا ولذلك لا يمكن التعويل على هذه الاسانيد المدعاة دون اثبات لشيء مكتوب او منقول .

وانما يدعي النقلة واحدا عن واحد انه اخذ هذه القراءة عن علي عليه السلام او عن ابن مسعود او ابي بن كعب او زيد بن ثابت علما ان زيد بن ثابت كان طفلا صغيرا حينما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة وهو من اهل المدينة والنبي صلى الله عليه وآله لم يوصي بأخذ القرآن عنه بل اوصى بان يؤخذ القرآن عن ابن مسعود او من اربعة: من عبد الله بن مسعود فبدأ به وسالم مولى ابي حذيفة ومعاذ بن جبل وابي بن كعب[528].

---

٥٢٧- ذكره ابن قتيبه في المعارف والبرقي في رجاله .

٥٢٨- راجع : صحيح البخاري ٢٢٨/٤ و ١٠٢/٦ . وراجع : مسلم ١٤٨/٧.

وبالتالي فأغلب اهل السنة يزعمون ان زيد بن ثابت هو من جمع القرآن واخذته الاجيال عنه وان لم يوافقه الصحابة على ذلك كما هو حال ابن مسعود الذي امر رسول الله ﷺ بأخذ القرآن عنه كما قال:

(من سره او من احب) ان يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه من (او على قراءة ابن أم عبد) وقد انكر على عثمان جعل زيد بن ثابت هو من يشرف على جمع القرآن .

كما رواه النسائي[٥٢٩] عن ابن مسعود انه قال : ( على قراءة من تأمروني أقرأ؟!، لقد قرأت على رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة وإن زيدا لصاحب ذؤابتين يلعب مع الصبيان؟!) .

وفي لفظ آخر قال الراوي: (خطبنا ابن مسعود فقال كيف تأمروني أقرأ على قراءة زيد بن ثابت بعد ما قرأت من في رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سروة وإن زيدا مع الغلمان له ذؤابتان؟!) ، وكذا اخرجه احمد[٥٣٠] .

وكعادته الامام البخاري في الاقتطاع واضاعة الحقائق رواه بلفظ: (خطبنا عبد الله بن مسعود فقال والله لقد اخذت من في رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة والله لقد علم أصحاب النبي ﷺ انى من أعلمهم بكتاب الله وما انا بخيرهم قال شقيق فجلست في الحلق اسمع ما يقولون فما سمعت رادا يقول غير ذلك)[٥٣١] .

اما الامام مسلم فكان اكثر انصافا من الامام البخاري: (عن شقيق عن عبد الله أنه قال ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم قال على قراءة من تأمروني ان اقرأ فلقد قرأت على رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة ولقد علم أصحاب رسول الله ﷺ انى اعلمهم بكتاب الله ولو اعلم أن أحدا اعلم مني لرحلت إليه قال شقيق: فجلست في حلق أصحاب مُحَمَّد ﷺ فما سمعت أحدا يرد ذلك عليه ولا يعيبه)[٥٣٢] .

---

٥٢٩- سنن النسائي ٨ / ١٣٤ .

٥٣٠- مستند الامام احمد : ١ /٤١١ .

٥٣١- صحيح البخاري ١٠٢/٦.

٥٣٢- صحيح مسلم ١٤٨/٧

وكذلك الحال في ابي بن كعب كما روى[533] عن انس قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بن كعب: ان الله امرني ان أقرئك القرآن قال (أُبي): آلله سماني لك؟!، قال ﷺ: نعم. قال: وقد ذكرت عند رب العالمين؟! قال: نعم. فذرفت عيناه. وعند مسلم: فبكى.

وتركوا علي امير المؤمنين ﷺ الذي كان يقول : ( سلوني فو الله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا حدثتكم به وسلوني عن كتاب الله فو الله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل أنزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل)[534] .

وبالتالي فان ادعائهم ان زيد بن ثابت هو من جمع القرآن باطل بالدليل ، لان الصحيح ان القرآن الكريم موجود ومجموع في زمن رسول الله ﷺ وانه متواتر ومنقول يدا بيد من الصحابة الى التابعين الى تابعيهم والى يومنا هذا والى يوم القيامة لم يتبدل فيه حرف او كلمة او آية لا في مبناها ولا في لفظها وانما الكلام في اختلاف القراءات واختلاف التفسير.

وقد تعهد الله ﷻ بحفظه فقال عز من قائل : ( إِنَّا نَحنُ نَزَّلنَا الذِّكرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[535]، وقال ﷻ : (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأتِيهِ البَاطِلُ مِن بَينِ يَدَيهِ وَلَا مِن خَلفِهِ تَنزِيلٌ مِن حَكِيمٍ حَمِيدٍ)[536]، وقال ﷻ : (تَنزِيلٌ مِن رَبِّ العَالَمِينَ * وَلَو تَقَوَّلَ عَلَينَا بَعضَ الأَقَاوِيلِ * لَأَخَذنَا مِنهُ بِاليَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعنَا مِنهُ الوَتِينَ)[537]، فهذا تهديد من الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ فكيف بمن دون رسول الله ﷺ يدعه الله تعالى يتلاعب في كتابه؟!.

ثانياً : ان اهل البيت عليهم السلام وائمة الهدى عليهم السلام لم تكن طريقتهم العنعنة ونقل الاسانيد والاهتمام بها لانهم عليهم السلام ليسوا نقلة كغيرهم وانما هم حجج كرسول الله ﷺ بأنفسهم فحديث احدهم عليه السلام هو حديث رسول الله ﷺ كما ان حديث رسول الله ﷺ هو قول الله تعالى.

---

٥٣٣- البخاري ٦/ ٩٠ . ومسلم ١٩٥/٢ .

٥٣٤- رواه عبد الرزاق في تفسيره ٢٤١/٣ وفتح الباري لابن حجر ٤٥٩/٨ والطبقات لابن سعد ٣٣٨/٢.

٥٣٥- الحجر ٩ .

٥٣٦- فصلت ٤١ – ٤٢ .

٥٣٧- الحاقة ٤٣ – ٤٦ .

ثالثاً : ان ادعاء كون المخالفين اكثر تمسكا وحفظا واهتماما بالقرآن وعلومه ادعاء لا دليل عليه ويكذبه الواقع ولو ثبت لا افضلية فيه ولا دلالة على شيء اذ ان حفظ القرآن لا يعني دائما التقدم في العلم والتقوى ودخول الجنة وتمثيل الحق ابدا .

فالخوارج منذ زمن رسول الله صلى الله عليه وآله الى ان قضى عليهم امير المؤمنين عليه السلام تقريبا كانت لهم الحظوة والتقدم وقصب السبق على جميع الصحابة في حفظ القرآن واحفظ من ابي بكر وعمر له قطعا فهل يفضلونهم عليهما؟! .

خصوصا مع وصف رسول الله صلى الله عليه وآله لهم بقوله : ( يحقر احدكم قرائته لقرائتهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم هم شر البرية) هم شر الخلق والخليقة! فهل نفعهم حفظ القرآن.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله كما في مسند احمد وفي غيره : ( اكثر منافقي امتي قراؤها) وقال صلى الله عليه وآله ايضا : (أتخوف على أمتي من اثنتين يتبعون الشهوات ويؤخرون الصلوات والقرآن يتعلمه المنافقون يجادلون به الذين آمنوا) فلا يدل حفظ القرآن والاهتمام به على التقوى واهل الحق دائما.

وبذلك يتبين ان كثرة حفظة القرآن قد تنفع في زيادة نسخ اضافية للقرآن الكريم نحن في غنى عنها لثبوت تواتر القرآن لدرجة قطعية لا نحتاج معها لخارجي او ناصبي او حتى شيعي يحفظه لينقل لنا حروفه التي نقلت جيلا عن جيل ويدا بيد سواء كتابة او حفظاً.

وبالتالي فان الله تعالى حفظ كتابه بإعجازه وبتسخير المسلمين الذين احبوا القرآن وحفظوه او كتبوه وسلموه يدا بيد لإخوانهم وجيرانهم وآبائهم وأبنائهم وزوجاتهم وبناتهم وامهاتهم فحصل الحفظ والقطع بالصدور وعدم الاختلاف في نقل سوره وآياته وكلماته وحروفه بل حتى حركاته من صرف ونحو.

رابعاً : ان التاريخ والتراجم تشهد على علو كعب الشيعة في حفظ القرآن وخدمته وعلومه مع ما يعاني الشيعة في عموم الازمان والاوطان من الاضطهاد والحرب لهم والاعراض عنهم وعدم الاخذ منهم وعزلهم وبث الدعايات المغرضة والمشينة والمسيئة لهم.

ومع كل هذه الظروف القاسية فقط نالوا قصب السبق في علوم القرآن وخدمته وكذا في الحديث وفي اللغة وفي التاريخ وفي سائر العلوم الاسلامية والطبيعية والثقافية والفكرية والفلسفية والكلامية فالمذهب المرتبط باهل البيت عليهم السلام مذهبا ثراً مبدعاً متميزاً عظيما لارتباطه بالمعصوم ومن ثم بالله تعالى فتكون علومهم حقيقية ومحترمة.

فالإمام امير المؤمنين عليه السلام اعلم الناس بالقرآن واول من كتب القرآن واول من جمعه واول من حفظه واول من فهمه وأول من خدمه صلى الله عليه وآله وهو الذي امر ابا الاسود الدؤلي لخدمة القرآن واعرابه وتحريكه وأما التنقيط والتشكيل فكان من قبل الخليل بن احمد الفراهيدي تلميذ الائمة ايضا، اما الامام الصادق عليه السلام مباشرة او عن آبائهِ عليهم السلام بواسطة مع توثيق علمائنا له ونصهم على تشيعه.

ومن ثم جاء الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام والى الان توجد مخطوطات تنسب لهما ولأبيهما عليهم السلام والراوي للرواية الشهيرة وهي التي بين ايدينا هو تلميذ امير المؤمنين عليه السلام .

وهو ابو عبد الرحمن السلمي وكذا الراوي عنه عاصم فهو من كبار ورؤوس اهل الكوفة المعروفة بالتشيع حينها وكذا الراوي عنه حفص بن سليمان وهو كوفي شيعي ايضا من اصحاب الصادق عليه السلام ويوجد من القراء الكثير من الشيعة وان اشهر القراء كانوا من الشيعة .

بل لو دققنا جيدا لوجدنا ان اكثر الصحابة القراء هم ايضا تلاميذ وشيعة لأمير المؤمنين عليه السلام فابن عباس حبر الامة وترجمان القرآن ومفسره من حواري امير المؤمنين عليه السلام ، وكذا أُبي بن كعب وايضا عبد الله بن مسعود فمن بقي؟! .

وكذلك سليمان بن مهران الاعمش من الشيعة الثقات عندنا ومن اصحاب الامام الصادق عليه السلام ومكثري الرواية عنه وهو احد القراء الكبار وابو بكر بن عياش وحمزة والكسائي بل لا اقل ستة من القراء العشرة هم شيعة.

**د :– حكم الموقوف :**

حكم الحديث الموقوف ، وحكم الاحتجاج به: ان الحديث الموقوف منه الصحيح والحسن والضعيف ، فينبغي دراسة إسناد كل حديث ، والحكم عليه حسب قواعد أئمة الجرح والتعديل.

وحكم الاحتجاج بالموقوف إذا ثبتت صحته ما روي عن الصحابة من قول أو فعل أو تقرير، وخلا من قرينة تدل على رفعه إما أن يكون لا مجال فيه للرأي والاجتهاد .

وإما أن يكون من قبيل الرأي والاجتهاد ، ولكل حكم خاص ، فإن كان ما ورد عن الصحابة لا مجال فيه للرأي والاجتهاد فيحتج به ؛ لكونه موقوفاً لفظاً مرفوعاً حكماً وذلك كقول ابن مسعود: من أتى ساحراً أو عرافا فقد كفر بما أنزل به مُحَّد[٥٣٨] .

هذا الحديث موقوف على عبد الله بن مسعود ، ومثله لا يقال من قبل الرأي والاجتهاد ، فيحمل على السماع من رسول اللهﷺ. ومما يدل على ذلك أنه روي مرفوعاً من حديث أبي هريرة، وَالْحَسَنِ بن علي عليه السلام عَنِ النَّبِيِّﷺ قَالَ: "مَنْ أَتَى كَاهِنًا ، أَوْ عَرَّافًا ، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ"[٥٣٩] .

وحديث سَهْلِ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ أَنَّ صَلاَةَ الْخَوْفِ أَنْ يَقُومَ الإِمَامُ وَمَعَهُ طَائِفَةٌ من أَصْحَابِهِ وَطَائِفَةٌ مُوَاجِهَةٌ الْعَدُوَّ فَيَرْكَعُ الإِمَامُ رَكْعَةً وَيَسْجُدُ بِالَّذِينَ معه ثُمَّ يَقُومُ فإذا اسْتَوَى قَائِما ثَبَتَ وَأَتَمُّوا لأَنْفُسِهِمُ الرَّكْعَةَ الْبَاقِيَةَ ثُمَّ يُسَلِّمُونَ وَيَنْصَرِفُونَ وَالإِمَامُ قَائِمٌ فَيَكُونُونَ وِجَاهَ الْعَدُوِّ ثُمَّ يُقْبِلُ الآخَرُونَ الَّذِينَ لم يُصَلُّوا فَيُكَبِّرُونَ وَرَاءَ الإِمَامِ فَيَرْكَعُ بِهِمُ الرَّكْعَةَ وَيَسْجُدُ ثُمَّ يُسَلِّمُ فَيَقُومُونَ فَيَرْكَعُونَ لأَنْفُسِهِمُ الرَّكْعَةَ الْبَاقِيَةَ ثُمَّ يُسَلِّمُونَ[٥٤٠] .

---

٥٣٨– الحديث أخرجه البزار في المسند ٥ / ٢٥٦ ، ٣١٥، ح: ١٨٧٣ ، ١٩٣١، وأخرجه أبو يعلى في المسند ٩ / ٢٨٠ ح: ٥٤٠٨ ، وأخرجه الطبراني في الكبير١٠ / ٧٦ ح: ١٠٠٠٥. وفي الأوسط ٢ / ١٢٢، ح: ١٤٥٣، وأخرجه الحاكم في معرفة علوم الحديث النوع السادس : معرفة الأسانيد التي لا يذكر سندها عن رسول اللهﷺ ص٢١ ، واللفظ له ، وذكره الهيثمي في المجمع كتاب الطب باب فيمن أتى كاهنا أو عرافا ٥/ ٢٠٣، ح: ٨٤٨٩ ، وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط إلا أنه قال : فصدقه . وكذلك رواية البزار ، ورجال الكبير والبزار ثقات .

٥٣٩– الحديث :أخرجه أحمد في المسند ٤٢٩/٢ ح : ٩٥٣٢ ، بإسناد ضعيف ؛ لأن فيه خِلاَس بن عمرو الهَجَري قال عنه الأمام أحمد لم يسمع من أبي هريرة (انظر: سؤالات الآجُرّي لأبي داود ص٣٤٥) .

٥٤٠– الحديث : أخرجه مالك في الموطأ ، باب صَلاَةِ الْخَوْفِ ١ / ١٨٣ ح: ٤٤١.

قال ابن عبد البر : هذا الحديث موقوف على سهل في الموطأ عند جماعة الرواة عن مالك ومثله لا يقال من جهة الرأي وقد روي مرفوعا مسندا بهذا الإسناد عن القاسم بن مُحَمَّد عَنْ صَالِحِ بْنِ خَوَّاتِ بْنِ جُبَيْرٍ عن سَهْلِ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ[٥٤١] .

قال الرازي ( ت ٦٠٦هـ.ق ) : فأما إذا قال الصحابي قولاً، لا مجال للاجتهاد فيه فحسن الظن به يقتضي أن يكون قاله عن طريق فإذا لم يمكن الاجتهاد فليس إلا السماع من النبي[٥٤٢] .

رأي ابن حزم في ذلك : كان ابن حزم الظاهري لا يعد قول الصحابي الذي لا مجال فيه للرأي والاجتهاد من قبيل المرفوع المحتج به ؛ لجواز أن يكون من حديث أهل الكتاب وكثيراً ما كان يشنع ابن حزم في المحلي على القائلين بهذا . يعني الرفع . فيقول: عهدنا بهم يقولون: لا يقال مثل هذا من قبل الرأي.

قال العراقي : ولإنكاره وجه ، فإنه وإن كان لا يقال مثله من جهة الرأي ، فلعل بعض ذلك سمعه ذلك الصحابي من أهل الكتاب ، وقد سمع جماعة من الصحابة من كعب الأحبار ورووا عنه[٥٤٣] .

قال ابن حجر : ومثال المرفوع من القول حكماً لا تصريحاً : أن يقول الصحابي الذي لم يأخذ عن الإسرائيليات مما لا مجال للاجتهاد فيه ، ولا له تعلق ببيان لغة أو شرح غريب كالإخبار عن الأمور الماضية من بدء الخلق وأخبار الأنبياء ، أو الآتية كالملاحم والفتن وأحوال يوم القيامة ، وكذا الإخبار عما يحصل بفعله ثواب مخصوص أو عقاب مخصوص.

وإنما كان له حكم المرفوع ؛ لأن إخباره بذلك يقتضي مخبرا له ، وما لا مجال للاجتهاد فيه يقتضي موقفا للقائل به ، ولا موقف للصحابة إلا النبيﷺ، أو بعض من يخبر عن الكتب القديمة.

---

٥٤١- صحيح مسلم ، ج١، ص٥٧٥ حديث ٨٤١ ، واللفظ له .

٥٤٢- المحصول في علم الأصول ٤ / ٦٤٣.

٥٤٣- فتح المغيث للعراقي ص٦٢ .

ومن ذلك : فعله ما لا مجال للاجتهاد فيه فينزل على أن ذلك عنده عن النبيﷺ كما قال الشافعي في صلاة عليعليه السلام في الكسوف: في كل ركعة أكثر من ركوعين ومن ذلك: حكمه على فعل من الأفعال بأنه طاعة لله أو لرسوله أو معصية[٥٤٤] كقوله :" مَنْ صَامَ يَوْمَ الشَّكِّ ، فَقَدْ عَصَى أَبَا الْقَاسِمِ"[٥٤٥] .

قال البُلْقِيني: الأقرب أنه ليس بمرفوع ؛لجواز إحالة الآثم على ما ظهر من القواعد[٥٤٦]. سبقه إلى ذلك أبو القاسم الجوهري نقله عنه ابن عبد البر ورده عليه[٥٤٧].

وخلاصة الرد على ابن حزم أن المتتبع لمرويات الصحابة عن أهل الكتاب قليلة جداً ، وكانت في مجال الأخبار والملاحم لا مجال الأحكام. وإن كان ما ورد عن الصحابة من قبيل الرأي والاجتهاد، ولم يوجد فيه نص، فقد اختلفت مذاهب العلماء في ذلك على النحو التالي:

١. ذهب الشافعي في الجديد والأشاعرة والمعتزلة وأحمد بن حنبل في إحدى الروايتين والكرخي إلى أن قول الصحابي ليس بحجة مطلقاً؛ لأنه قول صحابي مجتهد ، والذي تقتضيه الأدلة أنه ليس بحجة[٥٤٨]، لما يلي:

أ . أنه لم تقم الأدلة إلا على حجية الكتاب والسنة والقياس على خلاف فيه والإجماع على بُعد في وقوعه[٥٤٩].

ب . أن الصحابي من أهل الاجتهاد، والخطأ جائز عليه ؛ لكونه غير معصوم[٥٥٠]. واختار هذا المذهب القاضي أبو بكر البَاقِلاني والآمدي، وابن الحاجب وغيرهم.

---

٥٤٤- نزهة النظر ص٥٣ ، تدريب الراوي ص١٢١ .

٥٤٥- الحديث من رواية عَمَّارٍ : أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الصوم : " إِذَا رَأَيْتُمْ الْهِلَالَ فَصُومُوا وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَفْطِرُوا " ١ / ٤٩٠ معلقاً ، ووصله الحافظ ابن حجر في تغليق التعليق بَاب قَول النَّبِيﷺ: " إِذَا رَأَيْتُمُ الْهلَال فصوموا وَإِذا رَأَيْتُمُوهُ فأفطروا " ٣ / ١٤٠.

٥٤٦- محاسن الاصطلاح ص٢٠٠ .

٥٤٧- تدريب الراوي ص١٢١ ، ١٢٢ .

٥٤٨- الاجتهاد للجويني ص١١٩ ، الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي ٣ / ١٩٢.

٥٤٩- توضيح الأفكار ١ / ٢٦٣ .

٥٥٠- إجمال الإصابة في أقوال الصحابة للعلائي ص٧٠ .

٢. ذهب مالك وجماعة من الحنفية ، والشافعي في القديم إلى أن قول الصحابي حجة مطلقاً يجب على المجتهدين من أهل سائر الاعصار التمسك به[٥٥١]. واستدلوا بحديث ابن عمر أن رسول اللهﷺ قال: مثل أصحابي مثل النجوم يهتدي به فأيهم أخذتم بقوله اهْتَدَيْتُمْ[٥٥٢].

٣. ذهب جماعة إلى أن الحجة قول أبي بكر وعمر دون غيرهما[٥٥٣] واستدلوا بحديث حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ[٥٥٤].

٤. ذهب جماعة إلى أن الحجة قول الخلفاء الأربعة فقط[٥٥٥].

واستدلوا بحديث عَبْد الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرٍو السُّلَمِيُّ وَحُجْرُ بْنُ حُجْرٍ قَالَا: أَتَيْنَا الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ وَهُوَ مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ (وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ)[٥٥٦]، فَسَلَّمْنَا وَقُلْنَا: أَتَيْنَاكَ زَائِرِينَ وَعَائِدِينَ وَمُقْتَبِسِينَ ،فَقَالَ الْعِرْبَاضُ :

صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا فَقَالَ:

أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ[٥٥٧].

---

٥٥١- الاجتهاد للجويني ص١١٩ ، الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي ٣ / ١٩٢.

٥٥٢- الحديث : أخرجه عبد بن حميد في المسند ص٢٥٠ ح: ٧٨٣ بإسناد شديد الضعف ؛ لأن فيه حَمْزَةَ بن أبي حمزة ميمون الجعفي الجزري النَّصِيبِيّ قال عنه أحمد: مطروح الحديث وقال ابن معين: ليس حديثه بشيء ، وقال الدوري عن يحيى لا يساوي فلسا ، وقال البخاري وأبو حاتم: منكر الحديث ، وقال النسائي والدارقطني: متروك الحديث ، وقال ابن عدي: عامة ما يرويه مناكير موضوعة والبلاء منه، وقال بن حبان ينفرد عن الثقات بالموضوعات حتى كأنه المتعمد لها ولا تحل الراوية عنه ،وقال الحاكم: يروي أحاديث موضوعة (انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر ٢ / ٢٠).

٥٥٣- إجمال الإصابة في أقوال الصحابة للعلائي ص٣٥ .

٥٥٤- الحديث : أخرجه التِّرْمِذِي في السنن كتاب المناقب باب في مناقب أبي بكر وعمر كليهما ٥ / ٣٧٤ ، ٣٧٥ح: ٣٦٨٢ قال أبو عيسى: هذا حديث حسن ، واللفظ له، والإسناد ضعيف؛ لأن فيه إبراهيم بن إسماعيل بن سلمة بن كهيل ، قال عنه: مُحَمَّد بْن عَبد الله الحضرمي قال: كان ابن نمير لا يرضى إِبْرَاهِيم بْن إِسْمَاعِيل ويضعفه، قال: روى أحاديث مناكير. وقال العقيلي: ولم يكن إِبْرَاهِيم هذا يقيم الحديث ، و قال عنه الذهبي : لينه أبو زُرْعَة وتركه أبو حاتم ، وقال ابن حجر: ضعيف (انظر: الضعفاء الكبير١ / ٤٤، ميزان الاعتدال ١ / ٢٠ ، تقريب التهذيب ١ / ٥٣) وأخرجه ابن ماجه في السنن في المقدمة فضل أبي بكر ج١ /٣٧ ح: ٩٧، وأخرجه أحمد في المسند ج٥/٣٨٢ ، ٣٨٥ ،٤٠٢ ح:٢٣٦٣٤، ٢٣٦٦٥، ٢٣٨١٣.

٥٥٥- إجمال الإصابة في أقوال الصحابة للعلائي ص٣٥ .

٥٥٦- التوبة ٩٢ .

٥. ذهب جماعة إلى أن قول الصحابي إن خالف القياس كان حجة ؛ لأنه لا محمل له إلا التوقيف وذلك القياس والتحكم في دين الله باطل فيعلم أنه لا يقلد إلا توقيفا وإن لم يخالف القياس فلا يكون حجة[٥٥٨].

٦. ذهب جماعة إلى إن الصحابي إن كان من أهل العلم والاجتهاد فقوله حجة وإلا فلا[٥٥٩].

والمشهور في المسألة هو المذهب الأول القائل بأن قول الصحابي ليس بحجة قال الشوكاني عن قول الصحابي: والحق أنه ليس بحجة فإن الله سبحانه لم يبعث إلى هذه الأمة إلا نبينا مُحَمَّداﷺ وليس لنا إلا رسول واحد وكتاب واحد .

وجميع الأمة مأمور بإتباع كتابه وسنة نبيه ولا فرق بين الصحابة ومن بعدهم في ذلك فكلهم مكلفون بالتكاليف الشرعية وبإتباع الكتاب والسنة فمن قال إنها تقوم الحجة في دين الله ﷻ بغير كتاب الله وسنة رسوله وما يرجع إليهما قد قال في دين الله لا يثبت وأثبت في هذه الشريعة الإسلامية شرعا لم يأمر الله .

وهذا أمر عظيم وتقول بالغ فإن الحكم لفرد أو أفراد من عباد الله بأن قوله أو أقوالهم حجة على المسلمين يجب عليهم العمل به وتصير شرعا ثابتاً متقررا تعم به البلوى مما لا يدان الله ﷻ به ولا يحل لمسلم الركون إليه ولا العمل عليه فإن هذا المقام لم يكن إلا لرسل الله الذين أرسلهم بالشرائع إلى عباده لا لغيرهم وإن بلغ في العلم والدين وعظم المنزلة أي مبلغ .

ولا شك أن مقام الصحبة مقام عظيم ولكن ذلك في الفضيلة وارتفاع الدرجة وعظمة الشأن وهذا مسلم لا شك فيه ولهذا مد أحدهم لا يبلغه من غيرهم الصدقة بأمثاله الجبال ولا تلازم بين هذا وبين جعل كل واحد منهم بمنزلة رسول اللهﷺ في حجة قوله وإلزام الناس بإتباعه فإن ذلك مما لم يأذن الله به ولا ثبت عنه فيه حرف واحد.

---

٥٥٧- الحديث : أخرجه أبو داود في السنن كتاب السنة بَاب فِي لُزُومِ السُّنَّةِ ٣ / ٣٠٦ ح: ٤٦٠٧، بإسناد صحيح؛ لأن رجاله جميعهم ثقات، واللفظ له، وأخرجه الترمذي في السنن كتاب العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ٤ / ٣٠٨ ح:٢٦٨٥ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه ابن ماجه في السنن في المقدمة باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ١ / ١٥ : ١٧ ح:٤٢ : ٤٤، وأخرجه الدارمي في السنن في المقدمة باب إتباع السنة ١ / ٥٧ ح:٩٥، وأخرجه أحمد في المسند ٤ / ١٢٦، ١٢٧ح:١٧١٨٢ ، ١٧١٨٤ ، ١٧١٨٥.

٥٥٨- التمهيد لابن عبد البر ١ / ٥٠٠ ، بتصرف.

٥٥٩- إجمال الإصابة في أقوال الصحابة للعلائي ص٣٥ .

وأما ما تمسك به بعض القائلين بحجية قول الصحابي مما روى عنهﷺ أنه قال "مثل أصحابي مثل النجوم يهتدي به فأيهم أخذتم بقوله اهْتَدَيْتُمْ" فهذا مما لم يثبت قط ، ولا يصح العمل بمثله في أدنى حكم من أحكام الشرع فكيف مثل هذا الأمر العظيم والخطب الجليل؟ .

على أنه لو ثبت من وجه صحيح لكان معناه أن مزيد عملهم بهذه الشريعة المطهرة الثابتة من الكتابة والسنة وحرصهم على إتباعها ومشيهم على طريقتها يقتضي أن اقتداء الغير بهم في العمل بها وإتباعها هداية كاملة؛ لأنه لو قيل لأحدهم: لم قلت كذا؟ لم فعلت كذا؟ .

لم يعجز من إبراز الحجة من الكتاب والسنة ولم يتلعثم في بيان ذلك، وعلى مثل هذا الحمل يحمل ما صح عنه من قوله فإن الله لم يجعل إليك وإلى سائر هذه الأمة رسولا إلا مُحَّداﷺ [٥٦٠].

## المبحث الثالث : ما يُلْحق بالمرفوع أو الموقوف

يلحق بالمرفوع أو الموقوف عدة أمور منها ما يلي :

أولاً : قول الصحابي :

كنا نقول كذا أو نفعل كذا أو نرى كذا.

أ . إن لم يضفه إلى زمن النبيﷺ .

١. فهو موقوف . كذا قال ابن الصلاح تبعا للخطيب وحكاه النووي في شرح مسلم عن الجمهور من المحدثين وأصحاب الفقه والأصول.

٢. وأطلق الحاكم والرازي والآمدي أنه مرفوع . وقال ابن الصباغ: إنه الظاهر، ومثله بقول السيدة ام المؤمنين عائشة : كانت اليد لا تقطع في الشيء التافه[٥٦١].

٥٦٠- إرشاد الفحول ص ٣٦٠ .

٥٦١- أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف كتاب الحدود باب من قال: لا تقطع في أقل من عشرة دراهم ٥ / ٤٧٧، ح: ٢٨١١٤ بإسناد صحيح ؛ لأن رجاله جميعهم ثقات.

وحكاه النووي عن كثير من الفقهاء، وقال: وهو قوي من حيث المعنى. قال السيوطي: وصححه العراقي ، وابن حجر العسقلاني[٥٦٢] .

ومن أمثلة ذلك أيضاً: ما رواه الامام البخاري بسنده عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنَّا إِذَا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا[٥٦٣] .

ب ـ وإن أضافه إلى زمن النبيﷺ :

١. فالصحيح الذي قطع به الجمهور من أهل الحديث والأصول أنه مرفوع[٥٦٤]. قال ابن الصلاح: لأن ظاهر ذلك مشعر بأن رسول اللهﷺ اطَّلع على ذلك وقرَّرهم عليه ؛ لتوفر دواعيهم على سؤالهم عن أمور دينهم، وتقريره أحد وجوه السنن المرفوعة[٥٦٥]. مثال ذلك: قول جابر: كُنَّا نَعْزِلُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ[٥٦٦].

٢. وقال الإمام الإسماعيلي : إنه موقوف. وهذا القول بعيد جدا ، والصواب القول الأول[٥٦٧] .

٣. قال النووي : وقال آخرون : إن كان ذلك الفعل مما لا يخفى غالباً كان مرفوعاً ، وإلا كان موقوفاً. وبهذا قطع الشيخ أبو إسحاق الشيرازي الشافعي[٥٦٨] .

قال العراقي : فإن كان في القصة تصريح باطلاعه فمرفوع إجماعاً[٥٦٩]. كقول ابن عُمَرَ : كنا نَقُولُ وَرَسُولُ اللَّهِﷺ حَيٌّ: أَفْضَلُ هذه الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أبو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَيَسْمَعُ ذلك النبيﷺ وَلا يُنْكِرُهُ[٥٧٠]. والحديث أخرجه البخاري في الصحيح دون التصريح المذكور[٥٧١].

---

٥٦٢- تدريب الراوي ص١١٧ .

٥٦٣- أخرجه البُخَارِي في الصحيح كتاب الجهاد ٢ ، ص ٢٥٧-٢٥٨، ح: ٢٩٩٣ .

٥٦٤- تدريب الراوي ص١١٧ .

٥٦٥- مقدمة ابن الصلاح ص١٩٧ .

٥٦٦- الحديث :أخرجه البُخَارِي في الصحيح كِتَاب النِّكَاحِ بَاب الْعَزْلِ ٣ / ٣٧٦، ح: ٥٢٠٨ : ٥٢٠٩ ، واللفظ له ، وأخرجه مسلم في الصحيح ،١٠ /١٣، ح: ١٤٤٠.

٥٦٧- تدريب الراوي ص١١٨ .

٥٦٨- شرح النووي على صحيح مسلم ١ / ٣٦ .

٥٦٩- فتح المغيث للعراقي ، ص٥٧ – ٥٨ .

٥٧٠- مسند أبو يعلى ، ١٠ / ١٦١ حديث ٥٧٨٤ .

٥٧١- صحيح البخاري ، ج٢ ، ص٤٢٨ ، حديث ٣٦٥٥ .

قول الصحابي : كنا لا نرى بأسا بكذا في حياة رسول الله ﷺ أو وهو فينا أو وهو بين أظهرنا أو كانوا يقولون أو يفعلون أو لا يرون بأسا بكذا في حياته ﷺ فكله مرفوع مخرج في كتب المسانيد[٥٧٢] .

ومن المرفوع : قول أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: إِنَّ أَبْوَابَ النَّبِيِّ ﷺ كَانَتْ تُقْرَعُ بِالْأَظَافِيرِ[٥٧٣] . قال الحاكم: هذا حديث يتوهمه من ليس من أهل الصنعة مسنداً ؛ لذكر رسول الله ﷺ، وليس بمسند فإنه موقوف على صحابي[٥٧٤] .

ووافقه الخطيب وليس كذلك. قال ابن الصلاح : بل هو مرفوع كما سبق ذكره وهو بأن يكون مرفوعا أحرى لكونه أحرى باطلاعه ﷺ عليه ، والحاكم معترف بكون ذلك من قبيل المرفوع ، وقد كنا عددنا هذا فيما أخذناه عليه ثم تأولناه له على أنه أراد أنه ليس بمسند لفظاً بل هو موقوف لفظاً ، وكذلك سائر ما سبق موقوف لفظاً ، وإنما جعلناه مرفوعاً من حيث المعنى[٥٧٥] .

ومن المرفوع المتفق عليها : الأحاديث التي فيها ذكر صفة النبي ﷺ ونحو ذلك. أما قول التابعي : كنا نقول كذا أو نفعل كذا أو نرى كذا: ليس بمرفوع قطعاً.

أ ـ إن لم يضفه إلى زمن الصحابة : فمقطوع ، لا موقوف.

ب ـ وإن أضافه إلى زمن الصحابة: فهو إما موقوف أو لا، احتمالان للعراقي.

وجه المنع من كونه موقوفاً : أن تقرير الصحابي قد لا ينسب إليه بخلاف تقرير النبي ﷺ[٥٧٦] .

قول التابعي : كانوا يفعلون كذا. قال النووي: أما إذا قال التابعى : "كانوا يفعلون" فلا يدل على فعل جميع الأمة بل على بعض الأمة فلا حجة فيه إلا أن يصرح بنقله عن أهل الإجماع فيكون نقلاً للإجماع ، وفى ثبوته بخبر واحد خلاف[٥٧٧] .

---

٥٧٢- مقدمة ابن الصلاح ص ١٩٧ .

٥٧٣- الحديث : سبق تخريجه ص١٢ .

٥٧٤- معرفة علوم الحديث ص١٩ .

٥٧٥- مقدمة ابن الصلاح ص١٩٨ ..

٥٧٦- تدريب الراوي ص١١٩.

٥٧٧- شرح النووي على صحيح مسلم ١ / ٣٦ .

ثانياً : قول الصحابي :

أمرنا بكذا ، أو نهينا عن كذا ، أو من السنة كذا ، أو أُمِرَ بكذا، مثال: أمرنا بكذا: كما في قول أُمِّ عَطِيَّةَ: أَمَرَنَا " تَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ" أَنْ نُخْرِجَ فِي الْعِيدَيْنِ: الْعَوَاتِقَ ، وَذَوَاتِ الْخُدُورِ، وَأَمَرَ الْحُيَّضَ أَنْ يَعْتَزِلْنَ مُصَلَّى الْمُسْلِمِينَ[578] .

مثال: نهينا عن كذا: قول أُمِّ عَطِيَّةَ: "نُهِينَا عَنْ اتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَلَمْ يُعْزَمْ عَلَيْنَا ". مثال: من السنة كذا : قول علي عليه السلام: مِنْ السُّنَّةِ: وَضْعُ الْكَفِّ عَلَى الْكَفِّ فِي الصَّلَاةِ تَحْتَ السُّرَّةِ[579] . مثال: أُمِرَ بكذا: قول أنس: أُمِرَ بِلَالٌ أَنْ يَشْفَعَ الْأَذَانَ ، وَيُوتِرَ الْإِقَامَةَ[580]. فكل ما سبق وما أشبهه اختلفت أقوال العلماء فيه ، هل يعد من قبيل المرفوع أو لا؟.

١. قال جمهور العلماء : يعد من نوع المرفوع والمسنَدِ عند أصحاب الحديث وهذا هو الصحيح.

قال ابن الصلاح : لأن مُطْلَقَ ذلك ينصرفُ بظاهره إلى مَن إليه الأمرُ والنهي، وهو رسول الله ﷺ[581] .

---

٥٧٨- الحديث : أخرجه البخاري في الصحيح كِتَاب الْحَيْضِ بَاب شُهُودِ الْحَائِضِ الْعِيدَيْنِ وَدَعْوَةَ الْمُسْلِمِينَ وَيَعْتَزِلْنَ الْمُصَلَّى١ / ١٢٢ ح: ٣٢٤ وفي كتاب العيدين بَاب التَّكْبِيرِ أَيَّامَ مِنًى وَإِذَا غَدَا إِلَى عَرَفَةَ، وبَاب خُرُوجِ النِّسَاءِ وَالْحُيَّضِ إِلَى الْمُصَلَّى١ / ٢٦٨ح: ٩٧١،٩٧٤ وبَاب إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهَا جِلْبَابٌ فِي الْعِيدِ ١ / ٢٧٠ ح :٩٨٠ وفي كِتَاب الْحَجِّ ١ / ٤٣٣ح: ١٦٥٢، وأخرجه مسلم في الصحيح كِتَاب صَلَاةِ الْعِيدَيْنِ بَاب ذِكْرِ إِبَاحَةِ خُرُوجِ النِّسَاءِ فِي الْعِيدَيْنِ إِلَى الْمُصَلَّى وَشُهُودِ الْخُطْبَةِ مُفَارِقَاتٌ لِلرِّجَالِ ٤٨٤/٦-٤٨٥ ح:٨٩٠، واللفظ له .

٥٧٩- الحديث : أخرجه أبو داود في السنن كِتَاب الصَّلَاةِ بَاب وَضْعِ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى فِي الصَّلَاةِ ٢٤٢/١، ح: ٧٥٦ بإسناد ضعيف؛ لأن فيه عَبْد الرَّحْمَنِ بن إِسْحَاق بن الحارث الواسطي قال عنه أحمد بْن حنبل: ليس بشيءٍ، منكر الْحَدِيث. وَقَال ابْن مَعِين: ضعيف، ليس بشيءٍ. وَقَال ابْن سعد، ويعقوب بْن سفيان، وأَبُو دَاوُدَ، والنَّسَائي، وابن حبان: ضعيف. زاد النَّسَائي: لَيْسَ بذاك. وقَال البُخارِيُّ: فيه نظر. وَقَال أَبُو زُرْعَة: ليس بقوي. وَقَال أبو حاتم: ضعيف الحديث، منكر الحديث، يكتب حديثه، ولا يحتج به. وَقَال أبو بكر بْن خزيمة: لا يحتج بحديثه (انظر: الطبقات الكبرى٣٦١/٦، التاريخ الكبير٥/ ٢٥٩، الجرح والتعديل ٢١٣/٥، المجروحين: ٢/ ٥٤ ، تهذيب الكمال ٥١٧/١٦ ، ٥١٨) وفيه زياد بن زيد السوائي الأعسم الكوفي ، قال عنه أبو حاتم : مجهول (الجرح والتعديل ٥٣٢/٣).

٥٨٠- الحديث : أخرجه البُخَارِيّ في الصحيح كتاب الأذان باب بدء الأذان ، وباب الأذان مثنى مثنى، وبابي الإقامة واحدة إلا قوله "قد قامت الصلاة"١٨٧/١، ١٨٨(٦٠٣ ، ٦٠٥ : ٦٠٧) وفي كتاب أحاديث الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل ٣٨٢/٢ ح: ٣٤٥٧ . وأخرجه مسلم في الصحيح كِتَاب الصَّلَاةِ بَاب الْأَمْرِ بِشَفْعِ الْأَذَانِ وَإِيتَارِ الْإِقَامَةِ ٦١/٤، ٦٢ ح:٣٧٨، واللفظ له .

٥٨١- مقدمة ابن الصلاح ص١٩٨ .

وقال غيره: لأن مقصود الصحابي بيان الشرع لا اللغة ولا العادة ، والشرع يتلقى من الكتاب والسنة والإجماع والقياس. ولا يصح أن يريد أمر الكتاب؛ لكون ما في الكتاب مشهورا يعرفه الناس ، ولا الإجماع ؛ لأن المتكلم بهذا من أهل الإجماع ويستحيل أمره نفسه. ولا القياس ؛ إذ لا أمر فيه. فتعين كون المراد أمر الرسولﷺ.

٢. وقيل : ليس بمرفوع ؛ لاحتمال أن يكون الآمر غيره كأمر القرآن أو الإجماع ، أو بعض الخلفاء ، أو الاستنباط ، أو أن يريد سنة غيره ، وقد وأجيب ببعد ذلك مع أن الأصل الأول[٥٨٢].

كما عن ابْنِ شِهَابٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي سَالِمٌ أَنَّ الْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ عَامَ نَزَلَ بِابْنِ الزُّبَيْرِ سَأَلَ عَبْدَ اللَّهِ كَيْفَ تَصْنَعُ فِي الْمَوْقِفِ يَوْمَ عَرَفَةَ؟. فَقَالَ سَالِمٌ : إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ السُّنَّةَ فَهَجِّرْ بِالصَّلَاةِ يَوْمَ عَرَفَةَ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ:

صَدَقَ إِنَّهُمْ كَانُوا يَجْمَعُونَ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ فِي السُّنَّةِ. فَقُلْتُ (الزهري) لِسَالِمٍ: أَفَعَلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِﷺ؟ فَقَالَ سَالِمٌ: وَهَلْ تَتَّبِعُونَ فِي ذَلِكَ إِلَّا سُنَّتَهُ؟[٥٨٣]. فنقل سالم ، وهو أحد الفقهاء السبعة من أهل المدينة ، وأحد الحفاظ من التابعين عن الصحابة أنهم إذا أطلقوا السنة لا يريدون بذلك إلا سنة النبيﷺ.

وأما قول بعضهم: إن كان مرفوعاً فلِم لا يقولون فيه: قال رسول اللهﷺ؟. فجوابه : أنهم تركوا الجزم بذلك تورعاً واحتياطاً[٥٨٤].

فعن خالد الحذاء عن أَبِي قِلَابَةَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: مِنْ السُّنَّةِ إِذَا تَزَوَّجَ الرَّجُلُ الْبِكْرَ عَلَى الثَّيِّبِ أَقَامَ عِنْدَهَا سَبْعًا وَقَسَمَ وَإِذَا تَزَوَّجَ الثَّيِّبَ عَلَى الْبِكْرِ أَقَامَ عِنْدَهَا ثَلَاثًا ثُمَّ قَسَمَ. قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: وَلَوْ شِئْتُ لَقُلْتُ: إِنَّ أَنَسًا رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّﷺ[٥٨٥].

أي لو قلت: لم أكذب ؛ لأن قوله من السنة هذا معناه لكن إيراده بالصيغة التي ذكرها الصحابي أولى وخصص بعضهم الخلاف بغير الصديق، أما هو فإن قال ذلك فمرفوع بلا خلاف[٥٨٦].

---

٥٨٢- تدريب الراوي ص١١٩ ، ١٢٠ .

٥٨٣- أخرجه البُخَارِيّ في الصحيح كِتَاب الْحَجّ ١ / ٤٣٥ ، ٤٣٦ ح: ١٦٦٢ .

٥٨٤- نزهة النظر ص٥٤ .

٥٨٥- الحديث : أخرجه البخاري في الصحيح كتاب النكاح بَاب العدل بين النساء وباب إذا تَزَوَّجَ الثَّيِّبَ عَلَى الْبِكْرِ ٣ / ٣٧٧ ح: ٥٢١٣ ، ٥٢١٤ واللفظ له، وأخرجه مسلم في الصحيح كتاب الرضاع بَاب الْقَسْمِ بَيْنَ الزَّوْجَاتِ وَبَيَانِ أَنَّ السُّنَّةَ أَنْ تَكُونَ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ لَيْلَةٌ مَعَ يَوْمِهَا ١ / ٣٦ ، ٣٧ ح: ١٤٦١.

قال السيوطي : ويؤيد الوقف في غيره ما روي عن حنظلة السَّدُوسِيّ قال: سمعت أنس بن مالك يقول: كان يؤمر بالسوط فتقطع ثمرته ثم يدق بين حجرين حتى يلين ثم يضرب به. فقلت لأنس: في زمان من كان هذا؟ قال: في زمان عمر بن الخطاب[587].

فإن صرَّح الصحابي بالآمر كقوله: أمرنا رسول اللهﷺ فلا خلاف فيه إلا ما حكى عن داود وبعض المتكلمين أنه لا يكون حجة حتى ينقل لفظه وهذا ضعيف بل باطل ؛ لأن الصحابي عدل عارف باللسان فلا يطلق ذلك إلا بعد التحقيق[588].

ما يلحق بقول الصحابي : من السنة كذا: يلحق بقول الصحابي: " من السنة كذا " عدة ألفاظ ، وهي في مثل حكمه ، منها ما يلي:

١ . سُنة أبي القاسم : كما عن أَبِي جَمْرَةَ الضُّبَعِيّ قَالَ : تَمَتَّعْتُ فَنَهَانِي نَاسٌ عَنْ ذَلِكَ فَأَتَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَأَمَرَنِي بِهَا، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقْتُ إِلَى الْبَيْتِ فَنِمْتُ فَأَتَانِي آتٍ فِي مَنَامِي فَقَالَ: عُمْرَةٌ مُتَقَبَّلَةٌ وَحَجٌّ مَبْرُورٌ، قَالَ: فَأَتَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي رَأَيْتُ، فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، سُنَّةُ أَبِي الْقَاسِمِ.

٢. لاَ تَلْبِسُوا عَلَيْنَا سُنَّةَ نَبِيِّنَا : فعَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: لاَ تَلْبِسُوا عَلَيْنَا سُنَّةَ نَبِيِّنَا ، عِدَّةُ أُمِّ الْوَلَدِ إذا توفي عنها سَيِّدُهَا أَرْبَعَةُ أشهر وَعَشْراً[589].

---

٥٨٦- تدريب الراوي ص١٢٠ .

٥٨٧- الأثر : أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف كتاب الحدود باب في السوط من يأمر به أن يدق ٥ / ٥٣٠ ثر: ٢٨٦٨٣ بإسناد ضعيف ، فيه حنظلة بن عَبد اللَّهِ السدوسي. قال عنه أَحْمَد بْن حنبل: ضعيف الحديث، يروي عن أنس أحاديث مناكير، وقال ابن معين والنسائي: ضعيف ، وقال أبو حاتم ليس بالقوي (الجرح والتعديل ٣ / ٢٤٠ ، الضعفاء والمتروكين للنسائي ص٣٥ ، تهذيب الكمال ٧ / ٤٤٩).

٥٨٨- تدريب الراوي ص١٢٠ .

٥٨٩- الحديث : أخرجه أبو داود في السنن كِتَاب الطلاق بَاب فِي عِدَّةِ أُمِّ الْوَلَدِ ٢/ ١٦١ح: ٢٣٠٨، وأخرجه ابن ماجه في السنن كِتَاب الطَّلَاقِ بَاب عِدَّةِ أُمِّ الْوَلَدِ١/٦٧٣ ح: ٢٠٨٣، وأخرجه أحمد في المسند٤/٢٠٣ ح:١٧٨٣٦، واللفظ له وإسناد ضعيف فيه سعيد بن بشير الدمشقي قال عنه ابْن مَعِين: ليس بشيءٍ. وَقَال ابن المديني: كَانَ ضعيفا.، وَقَال يَعْقُوب بْن سُفْيَان: سألت أبا مسهر عَنْ سَعِيد بْن بشير فَقَالَ: لم يكن فِي جندنا أحفظ منه، وهُوَ ضعيف، منكر الحديث، وَقَال ابْن نمير: منكر الحديث، ليس بشيءٍ، ليس بقوي الحديث، يروي عَنْ قتادة المنكرات. وَقَال النَّسَائي: ضعيف ( الضعفاء والمتروكين للنسائي ص٥٢، تهذيب الكمال ١٠ / ٣٥٢ ، ٣٥).

٣. أَصَبْتَ السُّنَّةَ : فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّهُ وَفَدَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ عَامًا . قَالَ عُقْبَةُ : وَعَلَيَّ خُفَّانِ مِنْ تِلْكَ الْخِفَافِ الْغِلاَظِ ، فَقَالَ لِي عُمَرُ : مَتَى عَهْدُكَ بِلُبْسِهِمَا؟ فَقُلْتُ: لَبِسْتُهُمَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَالْيَوْمُ الْجُمُعَةُ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَصَبْتَ السُّنَّةَ[٥٩٠] .

قال البلقيني : فهذه الألفاظ في حكم قوله: "من السنة"، وبعضها أقرب من بعض ، وأقربها للرفع: "سنة أبي القاسم"، ويليها: " لاَ تَلْبِسُوا عَلَيْنَا سُنَّةَ نَبِيِّنَا"، ويلي ذلك :" أصبت السنة"[٥٩١] .

ولا فرق بين قول الصحابي من الألفاظ السابقة في حياة رسول الله ﷺ، أو بعده إذا قال التابعي أمرنا بكذا ، أو نهينا عن كذا ، أو من السنة كذا، أو أُمِرَ كذا جزم ابن الصباغ في العدة أنه مرسل.

وحكى فيه إذا قاله ابن المسيب وجهين: هل يكون حجة أو لا ؟ وللغزالي فيه احتمالان بلا ترجيح هل يكون موقوفا أو مرفوعا مرسلا ؟[٥٩٢] .

قال النووي : وأما إذا قال التابعي : "من السنة كذا" فالصحيح أنه موقوف وقال بعض أصحابنا الشافعيين: إنه مرفوع مرسل[٥٩٣] . وحكى الداودي الرفع عن القديم[٥٩٤] .

ثالثاً : إذا قيل في الحديث عند ذكر الصحابي :

يَرْفَعُهُ ، أو رَفَعَ الْحَدِيث ، أو يُنْمِيهِ ، أو يَبْلُغ بِهِ ، أو رواية : كل هذا وشبهه مرفوع عند أهل العلم[٥٩٥] . كقول ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: " الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ: شَرْبَةِ عَسَلٍ ، وَشَرْطَةِ مِحْجَمٍ ، وَكَيَّةِ نَارٍ ، وَأَنْهَى أُمَّتِي عَنْ الْكَيِّ " رَفَعَ الْحَدِيثَ[٥٩٦] .

---

٥٩٠- الحديث : أخرجه الدارقطني في السنن كتاب الطهارة باب الرخصة في المسح على الخفين وما فيه واختلاف الروايات ١٩٥/١ ح:١٠، ١١ قال أبو بكر النيسابوري (شيخ الدارقطني) : هذا حديث غريب ، قال أبو الحسن الدارقطني : وهو صحيح الإسناد.

٥٩١- محاسن الاصطلاح ص١٩٩ .

٥٩٢- البحر المحيط في أصول الفقه ٦ / ٣٠١ .

٥٩٣- شرح النووي على صحيح مسلم ١ / ٣٦

٥٩٤- تدريب الراوي ص١٢١ .

٥٩٥- نفس المصدر ، ١٢٢ .

٥٩٦- الحديث: أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الطب بَاب الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثٍ ٤ /١٣ ح:٥٦٨١،٥٦٨٠ .

روى مالك عن أَبِي حَازِمِ بن دِينَارٍ عن سَهْلِ بن سَعْدٍ أَنَّهُ قال : كان الناس يُؤْمَرُونَ أَنْ يَضَعَ الرَّجُلُ الْيَدَ الْيُمْنَى على ذِرَاعِهِ الْيُسْرَى في الصَّلاَةِ. قال أبو حَازِمٍ : لاَ أَعْلَمُ إِلاَّ أَنَّهُ يَنْمِي ذلك[٥٩٧].

حديث الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ وَفِي حَدِيثِ زُهَيْرٍ: يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّﷺ، وقَالَ عَمْرٌو: رِوَايَةً : النَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ فِي هَذَا الشَّأْنِ مُسْلِمُهُمْ لِمُسْلِمِهِمْ وَكَافِرُهُمْ لِكَافِرِهِمْ[٥٩٨].

رواية : كحديث الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رِوَايَةً : صِغَارَ الْأَعْيُنِ ذُلْفَ الْأُنُوفِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ[٥٩٩]. قال ابن أبي رَوَّاد: بلغني أن عمر بن عبد العزيز كان يكره أن يقول في الحديث: رواية ، ويقول: إنما الرواية الشعر.

قال ابن أبي داود: كان نافع ينهاني أن أقول: رواية. قال : فربما نسيت فقلت: رواية ، فينظر إليّ ، فأقول : نسيت[٦٠٠]. إذا قيل عند التابعي يرفعه أو سائر الألفاظ المذكورة فمرفوع مرسل.

قال ابن حجر : ولم يذكروا ما حكم ذلك لو قيل عن النبيﷺ"يرويه" أي عن ربه عز وجل فهو حينئذ من الأحاديث القدسية[٦٠١]. ومن ذلك الاقتصار على القول مع حذف القائل: كقول ابن سيرين عن أبي هريرة قال : أَسْلَمُ وَغِفَارُ وَشيء من مُزَيْنَةُ[٦٠٢].

قال الخطيب : إلا أن ذلك اصطلاح خاص بأهل البصرة ، لكن روى عن ابن سيرين انه قال: كل شيء حدثت عن أبي هريرة فهو مرفوع[٦٠٣].

---

٥٩٧- الحديث : أخرجه مالك في الموطأ كتاب قصر الصلاة في السفر باب وَضَعِ الْيَدَيْنِ إِحْدَاهُمَا على الأُخْرَى في الصَّلاَةِ ١٥٩/١، ح: ٣٧٦ بإسناد صحيح فرجاله ثقات.

٥٩٨- الحديث : أخرجه البخاري في الصحيح كتاب المناقب بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)، ٣٩٢/٢ح: ٣٤٩٥ ،٣٤٩٦، وأخرجه مسلم في الصحيح كتاب الإمارة بَاب النَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ وَالْخِلَافَةُ فِي قُرَيْشٍ ٥١٩/١٢ ، ٥٢٠ ح:١٨١٨، واللفظ له.

٥٩٩- الحديث : أخرجه البخاري في الصحيح كِتَاب الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ بَاب قِتَالِ التُّرْكِ ، وبَاب قِتَالِ الَّذِينَ يَنْتَعِلُونَ الشَّعَرَ ٢٤١/٢ ، ٢٤٢ ح: ٢٩٢٨، ٢٩٢٩، واللفظ المذكور من هذا الموضع . وفي كتاب المناقب بَاب عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الْإِسْلَامِ ٤١١/٢ ، ٤١٢ح: ٣٥٨٧، وأخرجه مسلم في الصحيح كِتَاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ بَاب لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مَكَانَ الْمَيِّتِ مِنْ الْبَلَاءِ ١٨/ ٣٥٦ ح:٢٩١٢.

٦٠٠- تدريب الراوي ص١٢٢.

٦٠١- نزهة النظر ص٥٤ .

٦٠٢- صحيح مسلم ١٦ / ٦٠ .

٦٠٣- الكفاية في علم الرواية ص ٤١٨ ، تدريب الراوي ص١٢٢ .

## المبحث الرابع : تفسير الصحابي

تفسير الصحابي ، وفتواه : لقد رُويَت ونُقِلَت السنّة النبويّة إلى الأجيال اللاحقة عن طريق فريقٍ مِن صَحابته، وما رُوي من قوله، وفعله، وتقريره ﷺ حجةٌ إلهيّةٌ يجب اتّباعُها، والعمل بموجبها.

فإذا روى صحابيٌ السُّنةَ النبويّةَ وحازت تلك الرواية على كل شرائط الحجية تلقّاها الجميعُ بالقبول ولزم العمل وفقها. وهكذا إذا فَسَّرَ أحدُ الصَّحابة لغةً من لغات القرآن ولفظاً من ألفاظه، أو روى شيئاً من الحوادث والوقائع المرتبطة بعصر الرسالة، أو غيرها، قبلت روايتهُ إذا توفرت فيها الشروط المذكورة.

ولكن إذا ذَكَرَ الصحابيُّ رأيَه أو استنباطَه من آية قرآنية، أو حديث نبويّ، أو نُقِلَ عنه قولٌ، ولم يتبيّن أنّ ذلك المنقول هل هو من سنّة رسول الله ﷺ، أو أنّه رأي ذلك الصحابي واجتهاده الخاص، لم يكن في هذه الحالة حجةً، لأنّ رأي المجتهد ليس حجة على غيره من المجتهدين.

ولهذا يجب التفريق في مجال العمل بقول الصحابيّ بين رأيه واجتهاده، وبين ما ينقله للسنّة النبوية. والشيعة الإمامية إنّما تعمل بقول الصحابي إذا روى السُّنة النبويّة ، حجية قول الصحابي وروايته .

وقد رويت ونقلت السنة النبوية إلى الأجيال اللاحقة عن طريق فريق من صحابته، وما روي من قوله، وفعله، وتقريره ﷺ حجة إلهية يجب اتباعها، والعمل بموجبها. فإذا روى صحابي السنة النبوية وحازت تلك الرواية على كل شرائط الحجية تلقاها الجميع بالقبول ولزم العمل وفقها.

وهكذا إذا فسر أحد الصحابة لغة من لغات القرآن ولفظا من ألفاظه، أو روى شيئا من الحوادث والوقائع المرتبطة بعصر الرسالة، أو غيرها، قبلت روايته إذا توفرت فيها الشروط المذكورة.

ولكن إذا ذكر الصحابي رأيه أو استنباطه من آية قرآنية، أو حديث نبوي، أو نقل عنه قول، ولم يتبين أن ذلك المنقول هل هو من سنة رسول الله ﷺ، أو أنه رأي ذلك الصحابي واجتهاده الخاص، لم يكن في هذه الحالة حجة، لأن رأي المجتهد ليس حجة على غيره من المجتهدين.

ولهذا يجب التفريق في مجال العمل بقول الصحابي بين رأيه واجتهاده، وبين ما ينقله للسنة النبوية. والشيعة الإمامية إنما تعمل بقول الصحابي إذا روى السنة النبوية.

**أ :– المفسرين من الصحابة :**

عند اهل السنة اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة : الخلفاء الأربعة ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وأُبَيّ بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعري ، وعبد الله بن الزبير.

أما الخلفاء الأربعة : فأكثر من روي عنه منهم علي بن أبي طالب عليه السلام؛ لتفرغه عن مهام الخلافة مدة طويلة ، دامت إلى نهاية خلافة عثمان، وتأخر وفاته إلى زمن كثرة فيه حاجة الناس إلى مَن يُفسِّر لهم ما خفي عنهم من معاني القرآن .

وذلك ناشئ من اتساع رقعة الإسلام، ودخول كثير من الأعاجم في دين الله، مما كاد يذهب بخصائص اللغة العربية ، والرواية عن أبي بكر وعمر وعثمان قليلة جداً؛ لوجودهم في وسط أهله علماء بكتاب الله، واقفون على أسراره، عارفون بمعانيه وأحكامه، مما جعل الحاجة إلى الرجوع إليهم في التفسير غير كبيرة.

وكذلك كثرت الرواية في التفسير عن عبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وأُبَيّ بن كعب ؛ لحاجة الناس إليهم، ولقوتهم في اللغة العربية، وإحاطتهم بمناحيها وأساليبها، وعدم تحرجهم من الاجتهاد وتقرير ما وصلوا إليه باجتهادهم .

ومخالطتهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والامام علي عليه السلام مخالطة مكَّنتهم من معرفة الحوادث التي نزلت فيها آيات القرآن ويستثنى من ذلك ابن عباس، فإنه لم يلازم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في شبابه؛ لكنه لازم امير المؤمنين علي عليه السلام، يأخذ عنه ويروى له، وكذلك ابن مسعود روى عنه بن عباس فهو ترجمان القرآن.

وقد ورد عنه في التفسير ما لا يحصى كثرة، وفيه روايات وطرق مختلفة، والتفاسير الطوال التي أسندوها إليه غير مرضية ورواتها مجاهيل كتفسير جويبر عن الضحاك عنه .

وأما أبي بن كعب فعنده نسخة كبيرة يرويها أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عنه ، وهذا إسناد صحيح وقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم منها كثيراً وكذا الحاكم في مستدركه وأحمد في مسنده أما بقية العشرة وهم :

زيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعري ، وعبد الله ابن الزبير، فهم وإن اشتهروا بالتفسير إلا أنهم قلَّت عنهم الرواية ولم يصلوا في التفسير إلى ما وصل إليه هؤلاء الأربعة المكثرون .

وقد ورد عن جماعة من الصحابة غير هؤلاء اليسير من التفسير كأنس وجابر وورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص أشياء تتعلق بالقصص وأخبار الفتن والآخرة التي تعرف بالاسرائيليات وما أشبهها بأن يكون مما تحمله عن أهل الكتاب[٦٠٤].

**ب :– الآراء في تفسير الصحابي :**

آراء العلماء في تفسير الصحابي : ذهب الحاكم النيسابوري إلى أن تفسير الصحابي مرفوع وعلل ذلك قائلاً: ليعلم طالب هذا العلم أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عند الشيخين حديث مسند[٦٠٥]. وخصص ابن الصلاح والنووي ما ذهب إليه الحاكم بأمرين:

أ . تفسير يتعلق بسبب نزول آية كقول جَابر بن عبد الله قال: كَانَتِ الْيَهُودُ تَقُولُ: إِذَا أَتَى الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ مِنْ دُبُرِهَا فِي قُبُلِهَا كَانَ الْوَلَدُ أَحْوَلَ فَنَزَلَتْ (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ)[٦٠٦].

ب . ما لا يمكن أن يؤخذ إلا عن النبيﷺ ولا مدخل للرأي فيه. وما عدا هذين الأمرين فموقوف[٦٠٧].

قال الحاكم : ومن الموقوفات ما حدثناه أحمد بن كامل بسنده عن أبي هريرة في قوله تعالى (لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ)[٦٠٨] قال: تلقاهم جهنم يوم القيامة فتلفحهم لفحة فلا تترك لحما على عظم إلا وضعت على العراقيب.

قال : وأشباه هذا من الموقوفات تعد في تفسير الصحابة ، فأما ما نقول في تفسير الصحابي مسند فإنما نقوله في غير هذا النوع.. . ثم ذكر حديث جابر السابق . وقال: هذا الحديث وأشباهه مسندة عن آخرها وليست بموقوفة فإن الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل فأخبر عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا وكذا فإنه حديث مسند[٦٠٩].

---

٦٠٤– الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢ /٤٩٣ : ٤٩٨ طبعة دار الفكر ، وكذلك: التفسير والمفسرون للدكتور مُحَّد حسين الذهبي ٢ / ١٣ .

٦٠٥– المستدرك على الصحيحين ٢ / ٢٨٤ .

٦٠٦– البقرة ٢٢٣ .

٦٠٧– تدريب الراوي ص ١٢٢ – ١٢٣ .

٦٠٨– المدثر ٢٩.

٦٠٩– معرفة علوم الحديث ص٢٠ .

فالحاكم أطلق في المستدرك ، وخصص في علوم الحديث فاعتمد الناس تخصيصه قال السيوطي : وأظن أن ما حمله في المستدرك على التعميم الحرص على جمع الصحيح حتى أورد ما ليس من شرط المرفوع ، وإلا ففيه من الضرب الأول الجم الغفير على أني أقول: ليس ما ذكره عن أبي هريرة من الموقوف لما تقدم من أن ما يتعلق بذكر الآخرة وما لا مدخل للرأي فيه من قبيل المرفوع[٦١٠].

قال ابن حجر : وما ذكروه من أن سبب النزول مرفوع يعكر على إطلاقهم ما إذا استنبط الراوي السبب[٦١١]، كما في حديث زَيْدَ بن ثَابِتٍ : الصَّلاَةُ الْوُسْطَى صَلاَةُ الظُّهْرِ[٦١٢].

قال السيوطي : وكذا يقال في التابعي إلا أن المرفوع من جهته مرسل[٦١٣].

ولكن هنا على مباني اهل السنة الراجح في المسألة أن تفسير الصحابي له حكم المرفوع إذا كان يتعلق بسبب نزول آية ، ولامجال فيه للرأي وإلا فهو موقوف.

وقال الحافظ ابن حجر : والحق أن ضابط ما يعتبره الصحابي إن كان مما لا مجال فيه للاجتهاد، ولا منقول عن لسان العرب فحكمه الرفع وإلا فلا كالإخبار عن الأمور الماضية من بدء الخلق وقصص الأنبياء ، وعن الأمور الآتية كالملاحم والفتن والبعث وصفة الجنة والنار ، والإخبار عن عمل يحصل به ثواب مخصوص ، أو عقاب مخصوص ، فهذه أشياء لا مجال للاجتهاد فيها فيحكم لها بالرفع.

وأما إذا فسر الآية بحكم شرعي فيحتمل أن يكون مستفادا من النبيﷺ، أو عن القواعد فلا نجزم برفعه. وكذا إذا فسر مفرداً فقد يكون نقلاً عن اللسان فلا نجزم برفعه .

إلا أنه يستثنى من ذلك إذا كان المفسر له من الصحابة ممن عرف بالنظر في الإسرائيليات كمُسْلمَة ، أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وكعبد الله بن عمرو بن العاص فإنه كان حصل له في وقعة اليرموك كتب كثيرة من كتب أهل الكتاب فكان يخبر بما فيها من الأمور المغيبة حتى كان ربما قال له بعض أصحابه : حَدِّثنَا عن النبيﷺ، ولا تحدثنا عن الصحيفة[٦١٤].

---

٦١٠- تدريب الراوي ص ١٢٣ .

٦١١- اليواقيت والدرر ٢ / ١٨٠ -١٨١ .

٦١٢- الحديث : أخرجه مالك في الموطأ كتاب صلاة الجماعة باب الصَّلاَةِ الْوُسْطَى ١٣٩/١ ح: ٣١٥ بإسناد صحيح ؛ لأن رجاله ثقات .

٦١٣- تدريب الراوي ص ١٢٣.

٦١٤- توضيح الأفكار ج١ ، ص٢٨١-٢٨٢ .

فليس كل سبب للنزول يعد من قبيل المرفوع ؛ لاحتمال أن يكون الصحابي استنبطه كما في حديث زَيْدَ بن ثَابِتٍ السابق. وقد اعتنى الحافظ السيوطي بما ورد عن النبيﷺ في التفسير وعن أصحابه فجمع في ذلك كتاباً حافلاً فيه أكثر من عشرة آلاف حديث. وسماه "الدر المنثور في التفسير بالمأثور"[٦١٥].

وذكر الاستاذ الشيخ محمد هادي معرفة[٦١٦]، قيمة تفسير الصحابي وهو مما يجدر التنبه له ان الدور الاول على عهد الرسالة، كان دور تربية وتعليم، ولا سيما بعد الهجرة الى المدينة .

كان النبيﷺ قد ركز جل حياته على تربية اصحابه الاجلاء وتعليمهم الآداب والمعارف ، والسنن والاحكام وليجعل منهم امة وسطاء ليكونوا شهداء على الناس[٦١٧].

فقد جاءﷺ لـ﴿ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾[٦١٨]، ولا شك انهﷺ فعل ما كان من شانه ان يفعل وربى من اصحابه ثلة من علماء ورثوا علمه وحملوا حكمته الى الملأ من الناس .

واذا كان القرآن ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[٦١٩]، و قد بلغه النبيﷺ الى الناس، فقد بين معالمه وارشدهم الى معاني حكمه ومعاني آياته، اذ كان عليه البيان كما كان عليه البلاغ ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٦٢٠].

وهل كان دور النبيﷺ في امته، وفي اصحابه الخلص بالخصوص، سوى دور معلم ومرشد حكيم؟ فقد كانﷺ حريصا على تربيتهم وتعليمهم في جميع ابعاد الشريعة، وبيان مفاهيم الاسلام .

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، فان من صحابته الاخيار رضي الله عنهم من كان على وفرة من الذكاء، طالبا مجدا في طلب العلم والحكمة والرشاد، مولعا بالسؤال والازدياد من معارف الاسلام، وكانوا

٦١٥- تدريب الراوي ص ١٢٣ بتصرف.

٦١٦- انظر: التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، الشيخ محمد هادي معرفة، من منشورات الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، الطبعة الاولى ، ص٢٩٧-٣٠٩.

٦١٧- الآية ١٤٣ سورة البقرة .

٦١٨- الجمعة: ٢.

٦١٩- النحل: ٨٩.

٦٢٠- النحل: ٤٤.

كثرة من ذوي النباهة والفطنة والاستعداد ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾[٦٢١]، واستقاموا على الطريقة، فسقاهم ربهم ﴿مَّاء غَدَقًا﴾[٦٢٢].

قال ابن مسعود: كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات، لم يجاوزهن حتى يعلم معانيهن والعمل بهن[٦٢٣]. وهو اقدم نص تاريخي يدلنا على مبلغ اهتمام الصحابة بمعرفة معاني القرآن واجتهادهم في بأحكامه .

وهذا الأمام امير المؤمنين عليه السلام يقول . بشان ما كان يصدر منه من عجائب احكام وغرائب اخبار .: وانما هو تعلم من ذي علم، علم علمه الله نبيه فعلمنيه ، ودعا لي بان يعيه صدري ، وتضطم عليه جوانحي[٦٢٤] .

وهذا ابن عباس . تلميذه الموفق . كان من احرص الناس على تعلم العلم ومعرفة الاحكام والحلال والحرام من شريعة الاسلام وكان قد تدارك . لشدة حرصه في طلب العلم . ما فاته ايام حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لصغره[٦٢٥] بمراجعة العلماء من صحابته الكبار بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد دعا له: اللهم علمه التأويل وفقهه في الدين، واجعله من اهل الايمان[٦٢٦] .

روى الحاكم في المستدرك بشان حرصه على طلب العلم: انه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال لرجل من الانصار: هلم، فلنطلب العلم، فان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم احياء فقال: عجبا لك يا ابن عباس، ترى الناس يحتاجون اليك، وفي الناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فيهم فاقبل ابن عباس يطلب العلم .

قال : ان كان الحديث ليبلغني عن الرجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد سمعه منه، فآتيه فاجلس ببابه، فتسفي الريح على وجهي، فيخرج الي فيقول: يا ابن عم رسول الله، ما جاء بك، ما حاجتك؟ فأقول : حديث بلغني عنك ترويه عن رسول الله، فيقول: الا ارسلت الي؟ آتيك[٦٢٧] .

---

٦٢١- الاحزاب ٢٣.

٦٢٢- الجن ١٦.

٦٢٣- تفسير الطبري، ج١، ص ٢٧ و ٣٠.

٦٢٤- نهج البلاغة، خط ١٢٨، ص ١٨٦.

٦٢٥- ولد قبل الهجرة بثلاث سنين.

٦٢٦- اخرجه الحاكم و صححه المستدرك، ج٣، ص ٥٣٦.

٦٢٧- المستدرك، ج٣، ص ٥٣٨ .

ومن ثم كان يسمى "البحر" لكثرة علمه وعن مجاهد : هو حبر الامة وعن ابن الحنفية : رباني هذه الامة[٦٢٨]، الى غيرها من تعابير تنم عن مدى رفعته في درجات العلم .

وقد كان يجلس للتفسير فيقع موضع اعجاب قال ابو وائل : حججت انا وصاحب لي، وابن عباس على الحج ، فجعل يقرا سورة النور ويفسرها فقال صاحبي : يا سبحان الله، ماذا يخرج من راس هذا الرجل ، لو سمعت هذا الترك لأسلمت وفي رواية عن شقيق : ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله، لو سمعته فارس والروم لأسلمت وقال عبد الله بن مسعود: نعم ترجمان القرآن ابن عباس[٦٢٩].

قال مسروق بن الاجدع : وجدت اصحاب محمدﷺ كالأخاذ ، فالأخاذة تكفي الراكب، والاخاذة تكفي الراكبين، والاخاذة تكفي الفئام من الناس وفي لفظ آخر: لو نزل به اهل الارض لا صدرهم[٦٣٠].

كناية عن انهم كانوا على درجات من العلم ، كانوا يصدرون الناس عن روى كان مستقاة ومادته الاولى، هو النبي الاكرمﷺ هو رباهم وأدبهم فاحسن تأديبهم ، وان كانوا هم على تفاوت في استعداد الاخذ والتلقي ﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾[٦٣١].

وبعد ، فاذ كانت تلك حالة العلماء من اصحاب رسول اللهﷺ لا يصدرون الناس الا عن مصدر الوحي الامين ، ولا ينطقون الا عن لسانه الناطق بالحق المبين، فكيف يا ترى مبلغ اعتبار ما يصدر عن ثلة، هم حملة علم الرسولﷺ، والحفظة على شريعته الامناء؟!.

نعم ، كان الشرط في الحجية والاعتبار اولا: صحة الاسناد اليهم، وثانيا: كونهم من الطراز الاعلى واذ قد ثبت الشرطان، فلا محيص عن جواز الاخذ وصحة الاعتماد، وهذا لا شك فيه بعد الذي نوهنا.

انما الكلام في اعتبار ذلك حديثا مسندا ومرفوعا الى النبيﷺ، بالنظر الى كونه الاصل في تربيتهم وتعليمهم، او انه استنباط منهم، لمكان علمهم وسعة اطلاعهم فربما اخطأوا في الاجتهاد، وان كانت اصابتهم في الراي ارجح في النظر الصحيح .

٦٢٨- نفس المصدر ، ص ٥٣٥ .

٦٢٩- نفس المصدر ، ص ٥٣٧ .

٦٣٠- التفسير و المفسرون، ج١، ص ٣٦ .

٦٣١- الرعد ١٧ .

الامر الذي فصل القوم فيه ، بين ما اذا كان للراي والنظر مدخل فيه ، فهذا موقوف على الصحابي، لا يصح اسناده الى النبيﷺ وما اذا لم يكن كذلك ، مما لا سبيل الى العلم به الا عن طريق الوحي ، فهو حديث مرفوع الى النبيﷺ لا محالة ، وذلك لموضع عدالة الصحابي ووثاقته في الدين فلا يخبر عما لا طريق للحس اليه ، إلا اذا كان قد اخبره ذو علم عليم صادق امين .

واليك بعض ما ذكر بهذا الشان : قال العلامة الطباطبائي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[٦٣٢]: وفي الاية دلالة على حجية قول النبيﷺ في بيان الآيات القرآنية، ويلحق به بيان اهل بيته، لحديث الثقلين المتواتر وغيره واما سائر الامة من الصحابة او التابعين او العلماء، فلا حجية لبيانهم، لعدم شمول الاية وعدم نص معتمد عليه، يعطي حجية بيانهم على الاطلاق.

قال: هذا كله في نفس بيانهم المتلقي بالمشافهة واما الخبر الحاكي له، فما كان منه بيانا متواترا او محفوفا بقرينة قطعية وما يلحق به ، فهو حجة لكونه بيانهم واما ما لم يكن متواترا ولا محفوفا بالقرينة ، فلا حجية فيه ، لعدم احراز كونه بيانا لهم .

قال: واما قوله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُون ﴾[٦٣٣] فانه ارشاد الى حكم العقلاء برجوع الجاهل الى العالم ، من غير اختصاص بطائفة دون اخرى[٦٣٤].

هل المأثور من الصحابي حديث مسند : قال الحاكم النيسابوري: ليعلم طالب هذا العلم ان تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل ، عند الشيخين، حديث مسند ، اي اذا انتهت سلسلة الرواية الى صحابي جليل، فان ذلك يكفي في اسناد الحديث الى رسول اللهﷺ وان كان الصحابي لم يسنده اليه . ذكر ذلك في موضعين من مستدركه[٦٣٥].

وهو عام سواء اكان ذلك مما لا طريق الى معرفته سوى الوحي ام لم يكن كذلك ، وكان مما يمكن ان يراه الصحابي او شاهده بنفسه ومن ثم كان هذا الكلام على عمومه واطلاقه محل اشكال ، لذلك رجع عنه في كتابه الذي وصفه لمعرفة علوم الحديث .

---

٦٣٢- النحل ٤٤ .

٦٣٣- النحل ٤٣ .

٦٣٤- الميزان، ج١٢ الطبعة اسلامية ، ص ٢٧٨.

٦٣٥- المستدرك، ج٢، ص ٢٥٨، و في صفحة ٢٦٣ ايضا.

قال هناك : ان من الحديث ما يكون موقوفا على الصحابي ، غير مرفوع الى النبيﷺ ، كما اذا قال الصحابي : رأيت رسول اللهﷺ يفعل كذا او يأمر بكذا ، او ان اصحابه كانوا يصنعون كذا ، مثل ما روي عن المغيرة بن شعبة ، قال: كان اصحاب رسول اللهﷺ يقرعون بابه بالأظافير .

قال الحاكم : هذا حديث يتوهمه من ليس من اهل الصنعة مسندا ، لذكر رسول اللهﷺ، وليس بمسند فانه موقوف على صحابي ، حكى عن اقرانه من الصحابة فعلا وهكذا اذا قال الصحابي: انهﷺ كان يقول كذا، وكان يفعل كذا، وكان يأمر بكذا وكذا .

قال : ومن الموقوف ما رويناه عن ابي هريرة ، في قول الله ﷻ ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴾[٦٣٦] قال : تلقاهم جهنم يوم القيامة فتلفحهم لفحة، فلا تترك لحما على عظم الا وضعت على العراقيب . قال : واشباه هذا من الموقوفات، تعد في تفسير الصحابة[٦٣٧] .

قال : فأما ما نقول في تفسير الصحابي ، مسند، فإنما نقوله في غير هذا النوع ، كما في حديث جابر، قال : كانت اليهود تقول : من اتى امراته من دبرها في قبلها جاء الولد احول ، فانزل الله عز وجل ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾[٦٣٨]، قال :

هذا الحديث واشباهه مسندة عن آخرها، وليست بموقوفة، فان الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل، فاخبر عن آية من القرآن انها نزلت في كذا وكذا، فانه حديث مسند[٦٣٩].

وهكذا قيد ابن الصلاح والنووي وغيرهما ذاك الاطلاق بما لا يرجع الى معرفة اسباب النزول المشاهدة ، ونحو ذلك مما يمكن معرفته للصحابة بالمشاهدة والعيان نعم اذا كان مما لا مجال للراي فيه ، مما يعود الى ما وراء الحس من قبيل امر الاخرة ونحو ذلك ، فان مثل ذلك حديث مسند، مرفوع الى النبيﷺ نظرا لموضع عدالة الصحابة ، وتنزيهه عن القول على الله بغير علم ، ولا مستند الى ركن وثيق.

قال النووي ـ في التقريب ـ: واما قول من قال : تفسير الصحابي مرفوع ، فذاك في تفسير يتعلق بسبب نزول آية او نحوه ، وغير موقوف.

---

٦٣٦- المدثر ٢٩ .

٦٣٧- بناء على ان هذا التفسير من ابي هريرة كان من عنده، ولعله استظهارا من لفظ الاية فعن السيوطي انه مما لا سبيل الى معرفته سوى الوحي، فهو من المسند المرفوع الى النبيﷺ.

٦٣٨- البقرة: ٢٢٣.

٦٣٩- معرفة علوم الحديث ص ١٩ ـ ٢٠.

قال السيوطي ـ في شرحه ـ: كقول جابر : كانت اليهود تقول : من اتى امراته من دبرها في قبلها ، جاء الولد احول ، فانزل الله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ رواه الامام مسلم ، او نحوه مما لا يمكن ان يؤخذ الا عن النبيﷺ، ولا مدخل للراي فيه . قال : وكذا يقال في التابعي، الا ان المرفوع من جهته مرسل .

قال : ما خصص به المصنف كابن الصلاح ومن تبعهما قول الحاكم، قد صرح به الحاكم في "علوم الحديث"، ثم ذكر حديث ابي هريرة في قوله تعالى : ﴿ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴾ فالحاكم اطلق في المستدرك وخصص في علوم الحديث، فاعتمد الناس تخصيصه .

واظن ان ما حمله في المستدرك على التعميم الحرص على جمع الصحيح، حتى اورد ما ليس من شروط المرفوع، والا ففيه من الضرب الاول الجم الغفير على اني اقول: ليس ما ذكره عن ابي هريرة من الموقوف، لما تقدم من ان ما يتعلق بذكر الاخرة وما لا مدخل للراي فيه، من قبيل المرفوع[٦٤٠].

وعلى اية حال ، فان التفسير المأثور عن صحابي جليل ـ اذا صح الطريق اليه ـ فان له اعتباره الخاص فأما ان يكون قد اخذه من رسول اللهﷺ، وهو الاكثر فيما لا يرجع الى مشاهدات حاضرة او فهم الاوضاع اللغوية الاولى او ما يرجع الى آداب ورسوم جاهلية بائدة، كان الصحابة يعرفونها، واشباه ذلك .

فان كان لا يرجع الى شيء من ذلك، فان من المعلوم بالضرورة انه مستند الى علم تعلمه من ذي علم هذا ما يقتضيه مقام ايمانه الذي يحجزه عن القول الجزاف.

والا فهو موقوف عليه ومستند الى فهمه الخاص ، ولا ريب انه اقرب فهما الى معاني القرآن ، من الذي ابتعد عن لمس اعتاب الوحي والرسالة، وحتى عن امكان معرفة لغة الاوائل ، وعادات كانت جارية حينذاك.

وهكذا صرح العلامة الناقد السيد رضي الدين بن طاووس المتوفى سنة (٦٦٤هـ.ق) بشان العلماء من صحابة الرسولﷺ قال : انهم اقرب علما بنزول القرآن[٦٤١]. قال الامام بدر الدين الزركشي : لطالب التفسير مآخذ كثيرة ، امهاتها اربعة :

---

٦٤٠- تدريب الراوي، ج١ ص ١٩٣ ، الطبعة الثانية عام ١٣٩٩هـ.ق.

٦٤١- في كتابه القيم ( سعد السعود ) الذي عالج فيه نقد اكثر من سبعين كتابا في تفسير القرآن، كانت في متناوله ذلك العهد ، طبعة: النجف الاشرف، ص ١٧٤.

الاول : النقل عن رسول الله ﷺ، وهذا هو الطراز الاول ، لكن يجب الحذر من الضعيف فيه والموضوع ، فانه كثير .

الثاني : الاخذ بقول الصحابي ، فان تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع الى النبي ﷺ كما قاله الحاكم في تفسيره وقال ابو الخطاب ـ من الحنابلة ـ: يحتمل ان لا يرجع اليه اذا قلنا : ان قوله ليس بحجة والصواب الاول ، لأنه من باب الرواية لا الراي .

وقد اخرج ابن جرير عن مسروق بن الاجدع قال : قال عبد الله بن مسعود : والذي لا اله الا هو، ما نزلت آية في كتاب الله الا وانا اعلم فيمن نزلت واين نزلت ، ولو اعلم مكان احد اعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته وقال ايضا : كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات لم يتجاوزهن حتى يعلم معانيهن، والعمل بهن .

قال : وصدور المفسرين من الصحابة ، علي ثم ابن عباس ـ وهو تجرد لهذا الشأن ـ والمحفوظ عنه اكثر من المحفوظ عن علي ، الا ان ابن عباس كان اخذ عن علي عليه السلام، ويتلوه عبد الله بن عمرو بن العاص وكل ما وردعن غيرهم من الصحابة فحسن مقدم[٦٤٢].

واخيرا قال : واعلم ان القرآن قسمان : احدهما ورد تفسيره بالنقل عمن يعتبر تفسيره، وقسم لم يرد والاول ثلاثة انواع : اما ان يرد التفسير عن النبي ﷺ او عن الصحابة، او عن رؤوس التابعين :

الأول : يبحث فيه عن صحة السند .

الثاني : ينظر في تفسير الصحابي .

فان فسره من حيث اللغة، فهم اهل اللسان ، فلا شك في اعتمادهم، وان فسره بما شاهده من الاسباب والقرائن فلا شك فيه وحينئذ ان تعارضت اقوال جماعة من الصحابة ، فان امكن الجمع فذاك، وان تعذر قدم ابن عباس[٦٤٣].

هذا بشكل مختصر في هذا المجال ، واما الذي جرى عليه مذهب علماء الشيعة الامامية الاعلام ، فهو : ان التفسير المأثور من الصحابي ـ مهما كان على جلالة من القدر والمنزلة ـ فانه موقوف عليه ، لا يصح اسناده الى النبي ﷺ ما لم يسنده هو بالذات وهذا منهم بشكل مطلق .

---

٦٤٢- البرهان، ج٢، ص ١٥٦ ـ ١٥٧.

٦٤٣- نفس المصدر ، ص ١٧٢.

سواء اكان للرأي فيه مدخل ام لا، لأنه انما نطق عن علمه، حتى ولو كان مصدره التعليم من النبيﷺ، ما لم يصرح به ، اذ من الجائز انه من استنباطه الخاص ، استخرجه من مبان واصول تلقاها من حضرة الرسولﷺ .

اما التنصيص على هذا الفرع المستنبط بالذات فلم يكن من النبيﷺ ، وانما هو من اجتهاد الصحابي الجليل ، ومرتب طمع مبلغ فطنته وسعة دائرة علمه ، والمجتهد قد يخطا .

وليس الصواب حليفه دائما، ما لم يكن معصوما. ومن ثم فان الذي يصدر من ائمتنا المعصومينعليهم السلام نسنده اليهم ، وان كنا على علم ويقين انه تعلم من ذي علم عليم، ذلك انه حجة لدينا ، لأنه صادر من منبع معصوم .

ميزات تفسير الصحابي : يمتاز تفسير الصحابي بأمور خمسة لم تتوفر جميعا في سائر التفاسير المتأخرة :

اولاً : بساطته ، بما لم يتجاوز بضع كلمات في حل معضل او رفع ابهام ، في بيان واف شاف ومع كمال الايجاز والايفاء فاذا سئل احدهم عن معنى ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾[٦٤٤] .

اجاب على الفور: "غير متعرض لمعصية" ، من غير ان يتعرض لاشتقاق الكلمة ، او يحتاج الى بيان شاهد ودليل، وما شاكل ذلك ، مما إعتاده المفسرون واذا سئل عن سبب نزول آية ، او عن فحواها العام ، اجاب بشكل قاطع من غير ترديد ، وعلى بساطة من غير تعقيد ، كان قد الفه المتأخرون .

ثانيا : سلامته عن جدل الاختلاف ، بعد وحدة المبنى والاتجاه والاستناد، ذلك العهد، اذ لم يكن بين الصحابة في العهد الاول اختلاف في مباني الاختيار، ولا تباين في الاتجاه ، ولا تضارب في الاستناد .

وانما هي وحدة في النظر والاتجاه والهدف، جمعت طوائف الصحابة على خط مستوى مستقيم فلم تكن ثمة داعية لنشوء الاختلاف والتضارب في الآراء ، ولا سيما والرسولﷺ ادبهم على التزام سبيل الرشاد .

---

٦٤٤- المائدة ٣ .

على ان التفسير ذلك العهد لم يكن ليتعد ـ في شكله وهندامه ـ حدود الحديث وشكله ، بل كان جزأ منه وفرعا من فروعه ، كما داب عليه جامعوا الاحاديث .

ثالثا : صيانته عن التفسير بالراي ، بمعنى الاستبداد بالراي غير المستند الى ركن وثيق ، ذلك تعصب اعمى او تلبيس في الامر، كان يتحاشاه الاجلاء من الصحابة الاخيار .

رابعا : خلوصه عن اساطير بائدة ، ومنها الاقاصيص الاسرائيلية ، لم تكن لتجد مجالا للتسرب في الاوساط الاسلامية العريقة ، ذلك العهد المناوئ لدسائس اسرائيل ، الامر الذي انقلب ظهرا لبطن بعد حين، وجعلت الدسائس السياسية تلعب دورها في ترويج اساطير بني اسرائيل.

خامساً : قاطعيته عن معروضة احتمال الشك وتحمل الظنون ، بعد وضوح المستند وصراحته ، ووفرة وسائل الإيضاح ودلائل التفسير المعروضة ذلك العهد ، لسذاجتها وسلامتها عن التعقيد الذي طرأ عليها في عهد متأخر .

لا سيما والدلائل العلمية والفلسفية التي استند إليها المتأخرون في تفسير معاني القرآن ، لم تكن معهودة حينذاك ، أو لم تكن مشروعة ، ولا صالحة للاستناد في العهد الأول .

وإنما كان استنادهم إلى العرف واللغة ، والعلم بأسباب النزول ، إلى جنب النصوص الشرعية الصادرة في مختلف شؤون الدين والقرآن ، هذا لا غير .

**ج :– افتاء الصحابي :**

المفتون من الصحابة : تصدر جماعة من الصحابة في الأحكام التي لم يرد فيها نص، فيجتهد فيها ، وكان عدد الصحابة المتصدر للفتوى قليلاً ، وفي ذلك يقول ابن حزم الظاهري: لم ترو الفتيا في العبادات والأحكام إلا عن مائة ونيف وثلاثين منهم فقط من رجل وامرأة بعد التقصي الشديد[٦٤٥]. والمفتون من الصحابة على طبقات ثلاثة :

الطبقة الأولى : المكثرون من الفتيا من الصحابة وعددهم سبعة ، وهم: عائشة أم المؤمنين ، عمر بن الخطاب، وابنه عبد الله ، علي بن أبي طالب عليه السلام، عبد الله بن العباس ، عبد الله بن مسعود ، زيد بن ثابت قال ابن حزم: يمكن أن يجمع من فتيا كل واحد منهم سفر ضخم ، وقد جمع أبو بكر مُحَمَّد بن موسى بن يعقوب بن المأمون فتيا عبد الله بن العباس في عشرين كتاباً .

٦٤٥– الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ج ٥ ، ص٨٧ طبعة دار الحديث ، القاهرة .

الطبقة الثانية : المتوسطون في الفتيا من الصحابة ، أم المؤمنين أم سلمة عليها السلام، أنس بن مالك ، أبو سعيد الخدري ، أبو هريرة ، عثمان بن عفان ، عبد الله بن عمرو بن العاص ، عبد الله بن الزبير ، أبو موسى الأشعري ، سعد بن أبي وقاص، سلمان الفارسي ، جابر بن عبد الله ، معاذ بن جبل وأبو بكر الصديق .

فهم ثلاثة عشر فقط يمكن أن يجمع من فتيا كل إمريء منهم جزء صغير جداً ويضاف أيضاً إليهم : طلحة بن عبيد الله ، الزبير بن العوام ، عبد الرحمن بن عوف ، عِمْرَان بن حُصَيْن ، وأبو بَكْرَة ، عبادة بن الصامت ، معاوية بن أبي سفيان .

الطبقة الثالثة : المقلون من الفتيا من الصحابة وهم الباقون ، لا يروي الواحد منهم إلا المسألة والمسألتان والزيادة اليسيرة على ذلك فقط ، يمكن أن يجمع من فتيا جميعهم جزء صغير فقط بعد التقصي والبحث وهم :

أبو الدرداء ، أبو اليسر، أبو سلمة المخزومي ، أبو عبيدة بن الجراح، سعيد بن زيد ، الحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب عليهم السلام، النعمان بن بشير، أبو مسعود ، أبي بن كعب ، أبو أيوب ، أبو طلحة ، أبو ذر، أم عطية، صفية أم المؤمنين، حفصة أم المؤمنين ، أم حبيبة أم المؤمنين ، أسامة بن زيد ، جعفر بن أبي طالب عليه السلام، البراء بن عازب ، قَرَظة بن كعب ، أبو عبد الله البصري .

نافع أخو أبي بكرة لأمه ، المقداد بن الأسود ، أبو السنابل بن بعكك ، الجارود العبدي ، ليلى بنت قائف ، أبو محذورة ، أبو شريح الكعبي ، أبو برزة الأسلمي ، أسماء بنت أبي بكر، أم شريك ، الحولاء بنت تويت ، أُسَيْد بن الحُضَيْر، الضحاك بن قيس ، حبيب بن مسلمة، عبد الله بن أنيس ، حذيفة بن اليمان ، ثُمامة بن أُثَال ، عمار بن ياسر، عمرو ابن العاص ، أبو الغادية الجهني السلمي ، أم الدرداء الكبرى ، الضحاك بن خليفة المازني ، الحكم ابن عمرو الغفاري .

وابصة بن معبد الأسدي ، عبد الله بن جعفر، عوف بن مالك ، عدي بن حاتم ، عبد الله بن أبي أوفى ، عبد الله بن سلام ، عمرو بن عَبْسة ، عتاب بن أسيد ، عثمان بن أبي العاص ، عبد الله بن سَرْجِس ، عبد الله بن رواحة ، عَقِيْل بن أبي طالب عليه السلام، عائذ بن عمرو ، أبو قتادة ، عبد الله ابن مَعْمَر العدوي ، عمير بن سعد ، عبد الله بن أبي بكر الصديق ، عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، عاتكة بنت زيد بن عمرو ، عبد الله بن عوف الزُّهْرِي ، سعد بن معاذ ، أبو منيب .

سعد بن عبادة ، قيس بن سعد ، عبد الرحمن بن سهل ، سَمُرَة بن جُندُب ، سهل بن سعد الساعدي ، معاوية بن مُقَرِّن ، سويد بن مقرن ، معاوية بن الحكم ، سهلة بنت سهيل ، أبو حذيفة بن عتبة ، سلمة بن الأكوع ، زيد بن أرقم ، جَرِيْر بن عبد الله البِجَلِي ، جابر بن سمرة ، جويرية أم المؤمنين ، حسان بن ثابت ، حبيب بن عدي ، قدامة بن مَظْعون ، عثمان بن مظعون ، ميمونة أم المؤمنين ، مالك بن الحُوَيْرث ، أبو أمامة الباهلي ، مُحَّد بن مسلمة .

خباب بن الأرت ، خالد بن الوليد ، ضمرة بن العِيصِ ، طارق بن شهاب ، ظَهِير بن رافع ، رافع بن خَدِيْج ، فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، فاطمة بنت قيس ، هشام بن حكيم بن حزام ، أبوه حَكِيم بن حِزَام ، شُرَحْبِيل بْن اَلسِّمْطِ ، أُمّ سُلَيْم ، دِحْيَة ابن خليفة الكلبي، ثابت بن قيس بن الشماس ، ثَوْبَان مولى رسول الله ﷺ ، المغيرة بن شُعبة ، بُرَيْدَةَ ابن الْحُصَيْب الْأَسْلَمِيّ ، رُوَيْفِع بْن ثَابِت ، فضالة بن عبيد ، أبو مُحَّد مسعود بن أوس ، زينب بنت أم المؤمنين أم سلمة .

عتبة بن مسعود ، بلال المؤذن ، مِكْرَز بْن حَفْص ، عرفة بن الحارث ، سَيَّار ابن رَوْح ، أو روح بن سيار، أبو سعيد بن الْمُعَلَّى ، العباس بن عبد المطلب ، بُسْر بن أبي أرطاة ، ويقال : بُسْرَة بن أَرْطَاةَ ، صُهَيْب بن سِنَان ، أم أيمن ، أم يوسف ، ماعز، الغَامِدية[٦٤٦] .

واما آراء العلماء في فتوى الصحابي فقد اختلفت آراء العلماء فيما إذا أفتى أحد الصحابة برأيه في مسألة لم يرد فيها نص من كتاب أو سنة ، هل تعد فتواه حجة يجب العمل بها أو لا؟. وتتبلور آراء العلماء في ذلك على النحو التالي:

الرأي الأول : يرى أبو حنيفة النعمان أن فتوى الصحابي وقوله حجة يجب العمل به. قال أبو حنيفة :

إني آخذ بكتاب الله إذا وجدته فإن لم أجده منه أخذت بسنة رسول الله ﷺ والآثار الصحاح عنه التي فشت في أيدي الثقات عن الثقات فإذا لم أجد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله أخذت بقول أصحابه من شئت وأدع قول من شئت ثم لا أخرج عن قولهم إلى قول غيرهم فإذا انتهى الأمر إلى إبراهيم والشعبي والحسن وابن سيرين وسعيد بن المسيب، وعدد رجالاً، قد اجتهدوا فلي أن اجتهد كما اجتهدوا[٦٤٧] .

---

٦٤٦- نفس المصدر ، بتصرف .

٦٤٧- المسودة في أصول الفقه لابن تيمية ص٣٠٢ .

فمذهب أبي حنيفة قبول قول الصحابي مطلقاً سواء كان سنة منقولة عن النبيﷺ أم كان اجتهاداً منه وبذلك يمكن الرد على بعض من يزعم من الحنفية كالكَرْخِي أن أبا حنيفة كان لا يأخذ بقول الصحابي إلا إذا كان معروفاً بنقل سنة النبيﷺ، أما إذا كان اجتهاداً من الصحابي فلا.

الرأي الثاني : يرى الشافعي الأخذ بقول الصحابة وما أجمعوا عليه بعد الأخذ بالكتاب والسنة ، أما ما اختلفوا فيه من أقوالهم فيقدم أقواها اتصالاً بالكتاب والسنة ، فإن لم يتضح ذلك يتبع ما عمل الخلفاء الأربعة.

قال الشافعي : ما كان الكتاب والسنة موجودين فالعذر عمن سمعهما مقطوع إلا بإتباعها ، فإذا لم يكن ذلك صرنا إلى أقاويل أصحاب رسول اللهﷺ أو واحد منهم ثم كان قول أبي بكر أو عمر أو عثمان إذا صرنا فيه إلى التقليد أحب إلينا وذلك إذا لم نجد دلالة في الاختلاف تدل على أقرب الاختلاف من الكتاب والسنة فيتبع القول الذي معه الدلالة[٦٤٨].

وقال أيضاً: لقد وجدنا أهل العلم يأخذون بقول واحدهم (يعني الصحابة) مرة ، ويتركونه أخرى ويتفرقوا في بعض ما أخذوا به منهم[٦٤٩].

الرأي الثالث : يرى مالك الاعتداد بفتوى الصحابي ، وأنها سنة يجب العمل بها ؛ لكونها حجة .

من هذا لم يقتصر في الموطأ على الأحاديث فقط بل ذكر فيه عقب استدلاله بآيات القرآن والأحاديث أقوال وفتاوى الصحابة ، وفتاوى التابعين ، والبلاغات ، وعمل أهل المدينة.

الرأي الرابع : كان أحمد بن حنبل إذا وجد لبعض الصحابة فتوى لا يعرف له مخالف منهم فيها لم يتجاوزها إلى غيرها ، ولم يقل إن ذلك إجماع بل من ورعه في العبارة يقول :

لا أعلم شيئا يدفعه أو نحو هذا وكان إذا وجد هذا النوع عن الصحابة لم يقدم عليه عملا ولا رأيا ولا قياسا فكانت فتاواه لذلك من تأملها وتأمل فتاوى الصحابة رأى مطابقة كل منهما على الأخرى ورأى الجميع كأنها تخرج من مشكاة واحدة حتى إن الصحابة إذا اختلفوا على قولين جاء عنه في المسألة روايتان .

---

٦٤٨- الأم ٧ / ٤٥١ .

٦٤٩- الرسالة للشافعي ص٥٩٦ .

وكان تحريه لفتاوى الصحابة كتحري أصحابه لفتاواه ونصوصه بل أعظم حتى إنه ليقدم فتاواهم على الحديث المرسل فإذا اختلف الصحابة تخير من أقوالهم ما كان أقربها إلى الكتاب والسنة ولم يخرج عن أقوالهم فإن لم يتبين له موافقة أحد الأقوال حكى الخلاف فيها ولم يجزم بقول[٦٥٠] .

فتحصل ان اهل السنة وخصوصاً أئمة الفقه الأربعة يعتدون بفتوى الصحابي ، فهي حجة عندهم خلافاً لبعض أصحابهم .

## المبحث الخامس : الحديث المقطوع

حقيقة الحديث المقطوع ، ففي اللغة : اسم مفعول من قطع ، والقطع: الإبانة والفصل ، قال ابن منظور: القَطْعُ إِبانةُ بعض أَجزاء الجِرْمِ من بعضٍ فَصْلاً. وتَقاطَعَ الشيءُ: بانَ بعضُه من بعض[٦٥١]. وجمعه : المقاطع والمِقاطِيع .

وفي اصطلاح المحدثين : هو ما انتهى إسناده إلى التابعي ، ومن دونه قولاً له أو فعلاً متصلا أو منقطعاً ، خالياً من قرينة تدل على رفعه إلى النبيﷺ أو وقفه على الصحابي[٦٥٢].

وقد سبق بيان أن المقطوع يسمى موقوفاً شريطة أن يقيد بمن وقف عليه. ومن أمثلته: مثال المقطوع القولي: قال الحسن البصري فِي إِمَامَةِ الْمَفْتُونِ وَالْمُبْتَدِعِ :صَلِّ وَعَلَيْهِ بِدْعَتُهُ.

وقال مُحَّد بن سيرين : إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم[٦٥٣] .

مثال المقطوع الفعلي : قال إبراهيم بن مُحَّد بن الْمُنْتَشِرِ: كان مَسْرُوق يُرْخي الستر بينه وبين أهله ، ويُقْبِل على صلاته ، ويُخَلِّيهم ودنياهم[٦٥٤] .

واما حكم الحديث المقطوع ، وحكم الاحتجاج به لدى اهل السنة: الحديث المقطوع منه الصحيح والحسن والضعيف ، فينبغي دراسة إسناد كل حديث ، والحكم عليه حسب قواعد أئمة الجرح والتعديل .

---

٦٥٠- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل لعبد القادر بن بدران الدمشقي ص١١٥ ، ١١٦ طبعة مؤسسة الرسالة .

٦٥١- لسان العرب ج١١ ، ص٢٢٠-٢٢١ .

٦٥٢- نزهة النظر ص٥٧ .

٦٥٣- صحيح مسلم ١ / ٧٧ .

٦٥٤- أبو نعيم حلية الأولياء ٢ / ٩٦ .

وعند اهل السنة حكم الاحتجاج بالحديث المقطوع : لو صحت نسبته إلى قائله لا يحتج به في شيء من الأحكام الشرعية ؛ لأنه كلام أو فعل أحد المسلمين .

قال أبو حنيفة : ما جاء عن الله تعالى فعلى الرأس والعينين وما جاء عن رسول الله ﷺ فسمعا وطاعة ، وما جاء عن الصحابة تخيرنا من أقوالهم ، ولم نخرج عنهم ، وما جاء عن التابعين فهم رجال ونحن رجال.

قال ابن حزم : فلم ينكر عن نفسه مخالفة التابعين وإنما لم ير الخروج عن أقوال الصحابة توقيرا لهم[٦٥٥] .

قال الإمام الزركشي (ت٧٩٤هـ.ق): في إدخاله ـ يعني الحديث المقطوع ـ في أنواع الحديث تسامح كثير فإن أقوال التابعين ومذاهبهم لا مدخل لها في الحديث فكيف يكون نوعا منه ؟.

وإذا كان المقطوع لا مجال للاجتهاد فيه يكون في حكم المرفوع، وبه صرح ابن العربي وادعى أنه مذهب مالك[٦٥٦] . وإذا ظهر قول التابعي في زمن الصحابة ، ولم ينكر عليه كان حجة ، وإلا فلا .

لكن إن وجدت قرينة تدل على رفعه كقول بعض الرواة ـ عند ذكر التابعي ـ : "يرفعه" مثلاً فيعد حينئذ له حكم المرفوع المرسل ، يصلح للاحتجاج به على رأي الجمهور.

ولكن قد ذهب البعض من العلماء إلى عدم جواز الاحتجاج به مطلقاً سواء احتوى على قرينة تدل على رفعه أم لا[٦٥٧] .

واما الفرق بين المقطوع والمنقطع لدى اهل السنة : المقطوع من صفات المتن ، والمنقطع من صفات السند ، وهذا ما استقر عليه الاصطلاح .

ومن العلماء كالشافعي والطبراني ، والحميدي والدارقطني يستعملون المقطوع في المنقطع الذي لم يتصل إسناده ، إلا أن الشافعي استعمل ذلك قبل استقرار الاصطلاح كما قال في بعض الأحاديث: "حسن، وهو على شرط الشيخين"[٦٥٨] .

---

٦٥٥- الإحكام لابن حزم ٤ / ٥٧٨.

٦٥٦- النكت على مقدمة ابن الصلاح ١ / ٤٢١.

٦٥٧- البحر المحيط في أصول الفقه ٦ / ٣٠١ ، البرهان في أصول الفقه ١ / ٤٠٧ ، المحصول ٤ / ١٧٧ ، كشف الأسرار شرح أصول البزدوي ٣ / ٢١٩ ، ٢٢٦ ، تدريب الراوي ص١١٩ بتصرف .

قال ابن حجر : فحصلت التفرقة في الاصطلاح بين المقطوع والمنقطع ، فالمنقطع عندهم ـ يعني المحدثين ـ من مباحث الإسناد كما تقدم.

والمقطوع : من مباحث المتن كما ترى . وقد أطلق بعضهم هذا في موضع هذا، وبالعكس تجوزاً عن الاصطلاح[٦٥٩] .

مظان الموقوف والمقطوع : يغلب لدى اهل السنة ذكر الحديث الموقوف والمقطوع في المصادر التالية :

١. المصنف لعبد الرازق بن الهمام الصنعاني (ت٢١١ هـ.ق).

٢. المصنف في الأحاديث والآثار للحافظ عبد الله بن مُحَّد بن أبي شيبة الكوفي العَبْسِي (ت٢٣٥ هـ.ق).

٣. تفسير الطبري المسمى (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) لأبي جعفر مُحَّد ابن جرير الطبري (ت٣١٠ هـ.ق).

٤. تفسير القرآن لأبي بكر مُحَّد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري الشافعي الشهير بابن المنذر (ت ٣١٨هـ.ق).

٥. تفسير القرآن العظيم لأبي مُحَّد عبد الرحمن بن مُحَّد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرَّازِي المعروف بابن أبي حاتم (ت٣٢٧ هـ.ق)[٦٦٠] .

وتلاحظ انه قد جمع ضياء الدين أبو حفص عمر بن بدر بن سعيد الموصلي الحنفي (ت٦٢٣هـ.ق) كتابا سماه "معرفة الوقوف على الموقوف". وأورد فيه ما أورده أصحاب الموضوعات في مؤلفاتهم فيها ، وهو صحيح عن غير النبيﷺ إما عن صحابي أو تابعي فمن بعده.

وقال : إن إيراده في الموضوعات غلط ؛ فبين الموضوع والموقوف فرق[٦٦١]. وتجد بعد الخروج مما سبق ذكره ظهر ما يلي:

---

٦٥٨- تدريب الراوي ص١٢٤ بتصرف .

٦٥٩- نزهة النظر ص٥٧ .

٦٦٠- تدريب الراوي ص١٢٤ بتصرف .

١. إذا أطلق المرفوع أريد به ما أضيف إلى النبيﷺ خاصة متصلاً كان أو منقطعاً بسقوط الصحابي منه أو غيره .

٢. الحديث الموقوف : كل ما روي عن الصحابة من قول أو فعل أو تقرير خالياً من قرينة تدل على رفعه متصلاً كان أو منقطعاً .

٣. الموقوف إذا ذكر دون تقييد خصص بالصحابة ، ويستعمل في غير هم كالتابعين مقيداً .

٤. تفسير الصحابي له حكم المرفوع إذا كان يتعلق بسبب نزول آية ، ولامجال فيه للرأي وإلا فهو موقوف .

٥. كان أئمة الفقه الأربعة يعتدون بفتوى الصحابي ، فهي حجة عندهم خلافاً لبعض أصحابهم.

٦. المقطوع من صفات المتن ، والمنقطع من صفات السند .

٧. الحديث سواء كان مرفوعاً أم موقوفاً أم مقطوعاً منه الصحيح والحسن والضعيف، فينبغي دراسة إسناد كل حديث ، والحكم عليه حسب قواعد أئمة الجرح والتعديل .

**أولاً : نماذج من الروايات**

ان التتبع الواسع للروايات وتحري الدقة في نقلها وتحليلها والإستنتاج منها. فإذا راعينا هذه الأصول في مسألتنا ، نجد أن واقعها ليس أكثر من وجود روايات في مصادر الشيعة تقول بنقص القرآن.

وفي مقابلها توجد روايات في مصادر اهل السنة تقول بنقص القرآن، وروايات أخرى تقول بزيادته، وروايات أخرى تجوِّز التصرف في نص القرآن .

وإذا نظرنا الى واقع المسلمين الشيعة والسنة نجدهم مجمعين والحمد لله على صحة نسخة القرآن الموجودة في طول بلاد الشيعة وعرضها ، وطول بلاد السنة وعرضها ، لا يعرفون قرآناً غيرها.

فكيف يصح لكاتب والحال هذه أن يصدر حكمه ويقول: إن الطائفة الفلانية (السنة او الشيعة) يعتقدون بالأمر الفلاني أو لا يعتقدون به ، فإن لفظ كلمة (يعتقدون) تعني أن ذلك الأمر موجود في

---

٦٦١- نفس المصدر .

مصادرهم ويقبله علماؤهم ويعتقدون به ويُدَرِّسُونه لعوامهم ، فهو من عقائدهم في مجتمعاتهم ، كعقيدة الإمامة، وانتظار الإمام المهديعليه السلام، عند الشيعة.

إن الفرق كبير بين وجود مطلب في مصادر طائفة من المسلمين، وبين أن يكون مقبولاً عند بعض علمائها أو كلهم. وحتى لو كان مقبولاً عند بعض العلماء فلا يعني ذلك أنه صار من عقائد طائفتهم ، إلا إذا كان أولئك العلماء باعتراف الطائفة ممثلين لمذهبها .

فطبيعة المشكلة إذن نظرية محضة لا عملية ، لأن العلماء المعاصرين من السنة والشيعة لا يأخذون بهذه الروايات ، بل يردونها أو يؤولونها. فلا معنى لإصرار الكاتب على تحويلها إلى مشكلة عملية إلا أنه صاحب جدلٍ وهدف غير نزيه .

وهذا ما ارتكبته الكتابات التي اتهمت الشيعة بأنهم لا يؤمنون بالقرآن؟!. فلو عكسنا القضية وقلنا إن السنة يعتقدون بتحريف القرآن ، لأن روايات التحريف موجودة في مصادرهم ، فهل يقبل ذلك منا أمثال هؤلاء المؤلفين؟!.

ولغرض الرد عليهم اضطررنا الى استخراج روايات التحريف من مصادر اهل السنة ، وَقَبِلَهَا منا بسبب ضعفه أو جهله ، فهل نكون موضوعيين في حكمنا على السنة بأنهم يعتقدون بتحريف القرآن؟.

طبعاً كلا ؟، إن غاية ما نستطيع قوله: إنه توجد في مصادر اهل السنة روايات تدل على تحريف القرآن ، وسنطرحها ولا نعلم موقف علمائهم المعاصرين منها، فقد يقبلونها وقد لا يقبلونها.

ثم إذا قبلوها وأولوها بتأويلات لا تتنافى باعتقادهم مع صيانة القرآن ، فهل يصح التهريج عليهم بأنكم اعتقدتم بتحريف القرآن وخرجتم بذلك عن الإسلام.

الى آخر الأحكام التي أصدروها على الشيعة خصومهم؟!.

فمثلاً ، يعتقد الشيعة بأن القرآن نزل من عند الواحد، على حرف واحد، على نبي واحد. على حد تعبير أئمتنا من أهل بيت النبي عليهم السلام ، ويعتقد إخواننا اهل السنة أنه نزل على سبعة أحرف، يعني بسبعة أشكال، والأشكال السبعة كلها قرآنٌ منزل.

أو نزل بأحرف على عدد لغات العرب ، وكلها قرآنٌ منزل!، وهذا يحتاج الى معرفة؟.

فأقسام معرفة القرآن الآن ، وبعد أنْ علمنا ضرورة معرفة القرآن ، لا بدّ أنْ نرى ما هي طريقة معرفة هذا الكتاب. ولمطالعة وفَهْم أي كتاب بصورة عامّة ، هناك ثلاثة أقسام للمعرفة لا بدّ منها :

**أ :– المعرفة الإسناديّة :**

المعرفة الإسناديّة أو الانتسابيّة : في هذه المرحلة نريد أنْ نعرف مدى ضرورة انتساب الكتاب إلى كاتبه ، لنفرض مثلاً :

أنّنا نريد أنْ نعرف ديوان ( حافظ ) أو ( خيّام ) ، في المقدّمة لا بدّ من معرفة أنّ ما اشتهر من ديوان حافظ له كلّه ، أَمْ أنّ بعض الكتاب له والباقي يُنسَب إليه ، وهكذا بالنسبة إلى خيّام أو غيرهما.

هنا لا بدّ من الاستعانة بنسخ الكتاب أقدمها وأكثرها اعتبارا. ونلاحظ أنّ جميع الكتب لا تستغني عن هذا النوع من المعرفة.

ديوان ( حافظ ) الذي طبعه المرحوم القزويني واستفاد فيه من أكثر النسخ اعتباراً، يختلف اختلافاً كبيراً مع النسخة الموجودة في كثير من البيوت والمطبوعة في (بمباي).

وعندما تُلقي نظرة إلى ( رباعيّات الخيام ) ، ربّما ترى ( ٢٠٠ رباعيّة ) في منزلة واحدة ومستوى واحد تقريباً ، وإذا كان فيها أي اختلاف فإنّه كاختلاف أشعار كل شاعر.

مع العلم بأنّنا لو رجعنا تاريخيّاً إلى الوراء واقتربنا من عصر الخيّام ، لرأينا أنّ المنسوب إليه ـ قطعاً ـ يقلّ عن ( ٢٠ رباعيّة ) ، والباقي يُشكّ في صحّة انتسابه إليه ، أو أنّه من نَظْم شعراء آخرين دون ترديد.

وعلى هذا فإنّ أولى مراحل معرفة الكتاب هي أنْ نرى مدى اعتبار إسناد الكتاب الذي بين يدينا إلى مؤلّفة ؟.

وهل يصحّ إسناد كل الكتاب أو بعضه إليه ؟ وفي هذه الحالة كم في المئة من الكتاب نستطيع تأييد إسناده إلى المؤلّف؟ وعلاوة على ذلك ، بأيّ دليل نستطيع أنْ ننفي بعضاً ونُؤيّد بعضاً ونشكّ في البعض الآخر؟.

القرآن مستغنٍ عن هذا النوع من المعرفة ، ولهذا فإنّه يعتبر الكتاب الوحيد (الذي يصح إسناده) منذ القدم، ولا يمكننا الحصول على أيّ كتاب قديم قد مضى عليه قروناً من الزمان وبقي إلى هذا الحدّ صحيحاً معتبراً دون شبهة.

وأمّا الموضوعات التي تطرح أحياناً، ومن قبيل المناقشة في بعض السور أو بعض الآيات، فإنّها موضوعات خاطئة ولا داعي لعرضها في الدراسات القرآنيّة، القرآن تقدّم على علم معرفة النسخ ، ولا يوجد أدنى ترديد في أنّ الذي جاء بهذه الآيات من الله ﷻ هو محمّد بن عبد الله ﷺ.

جاء بها عنواناً للإعجاز ؛ لأنّها كلام الله ﷻ ، ولا يقدر أحد أنْ يدّعي أو يحتمل وجود نسخة أخرى غير هذا القرآن ، ولا يوجد في العالم مستشرق واحد ، يبدأ ـ في بحثه عن القرآن ـ بالتحقيق حول نسخ القرآن القديمة ، (فلا توجد هناك نسخ متعدّدة من القرآن) .

وبالرغم من أنّ هذه الحاجة ـ حاجة ملاحظة النسخ القديمة ـ موجودة لدى التحقيق في: التوراة ، والإنجيل ، والشاهنامه (للفردوسي) ، وديوان سعدي، وأي كتاب آخر، فإنّ القرآن لا يُقال بحقّه مثل ذلك .

والسرّ في هذا الأمر ـ كما سبق ـ هو تقدّم القرآن على علم معرفة النسخ. والقرآن علاوة على أنّه كتاب سماوي مقدّس وأتباعه ينظرون إليه بهذه العين ، فإنّه أصدق دليل على صدق ادّعاء الرسول ، ويعتبر أكبر معجزاته.

وبالإضافة إلى ذلك ، فإنّ القرآن ليس مثل التوراة التي نزلتْ مرّة واحدة ، حتّى يصح هذا الإشكال: ما هي النسخة الأصليّة؟ .

بل : آيات القرآن نزلتْ بالتدرّج وطوال ثلاث وعشرين سنة ؟.

ومن اليوم الأوّل لنزول القرآن ، تنافس المسلمون على تعلّمه وحفظه وفَهْمه، كما يتهالك الظمآن على شرب الماء ، وخصوصاً فإنّ المجتمع الإسلامي وقتئذٍ كان مجتمعاً بسيطاً ، ولم يكن هناك كتاب لا بدّ للمسلمين من حِفْظه وفَهْمه إلى جنْب القرآن .

خلوّ الذهن ، فراغ الفكر، قوّة الذاكرة وعدم الإلمام بالقراءة والكتابة ، كلّها كانت الدافع إلى أنْ تُرَكّز المعلومات السمعيّة والبصريّة ـ عند الإنسان المسلم ـ وفي ذاكرته ـ تركيزاً قويّاً ، ولأجل ذلك ، فإنّ موافقة بيان القرآن مع عواطفهم وأحاسيسهم أدّى إلى تركيزه في قلوبهم كما يرتكّز الرسم المحفور في الصخر .

كانوا يقدّسونه باعتباره كلام الله لا كلام البشر، ولا يسمحون لأنفسهم أنْ يغيّروا كلمة واحدة ، بل حرفاً واحدا فيه ، أو أنْ يقدّموا أو يؤخّروا حرفاً، وكان كل همّهم أنْ يقتربوا من الله بتلاوة هذه الآيات (تلاوة صحيحة).

علاوة على كلّ هذا ، فإنّ ذكر هذه النقطة ضروريّة ، وهي أنّ الرسول الأكرمﷺ منذ الأيّام الأولى ، انتخب عدداً من خواصّ الكتاب ، ويُعْرَفون باسم (كُتّاب الوحي) ، وتُحسب هذه ميزة للقرآن ، إذ إنّ الكتب القديمة لم تكن كذلك ، كتابة كلام الله منذ البداية تعتبر عاملاً قطعيّاً لحفظ القرآن وصَونه من التحريف.

وهناك سبب آخر لحسن تقبّل القرآن لدى الناس ، وهو الناحية الأدبيّة والفنّيّة للقرآن ، والتي يُعبَّر عنها بالفصاحة والبلاغة ، الجاذبيّة الأدبيّة الشديدة للقرآن ، كانت تدعو الناس بالتوجّه إليه ، والاستفادة منه بسرعة ، وذلك خلافاً للكتب الأدبيّة الأخرى ، التي يتصرّف فيها روّاد الأدب كيفما يشاؤون ، ليكملوها حسب تصوّرهم .

وأمّا القرّاء ، فلا يُجيز أحد لنفسه التصرّف فيه ؛ لأنّ هذه الآية : (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ)[٦٦٢] ، وآيات أُخرى توضّح مدى عقوبة الكذب على الله ، وعندما تتمركز هذه الآيات في مخيّلته ينصرف عن هذا الأمر.

وبهذا الترتيب ، قبل أنْ يرى التحريف له طريقاً إلى هذا الكتاب السماوي ، تواترتْ آياته ووصلتْ إلى مرحلة لا يمكن إنكار أو تحريف حرف واحد منه ؛ ولذا ، لا يلزمنا البحث في هذه الناحية من القرآن ، كما أنّ كلّ عارف للقرآن في العالَم لا يرى لنفسه ضرورة البحث في هذا المجال .

٦٦٢- الحاقة ٤٤ — ٤٦ .

هنا لا بدّ أنْ نتذكّر نقطة واحدة ، وهي أنّه بسبب سعة نطاق الحكومة الإسلاميّة ، واهتمام الناس الشديد بالقرآن ، وبواسطة بُعْد عامّة المسلمين عن المدينة المنوّرة التي كانت مركز الصحابة وحفّاظ القرآن ، فإنّ احتمال خطر بروز تغييرات مُتعمَّدة أو غير مقصودة في نسخ القرآن كان أمراً وارداً ، خاصّة بالنسبة إلى المناطق النائية على الأقل .

إلاّ أنّ فطانة ودقّة مراقبة المسلمين مَنَعَتَا حدوث هذا الأمر. فالمسلمون منذ أواسط القرن الأوّل للهجرة احتملوا هذا الخطر؛ ولذلك استفادوا من وجود الصحابة وحفّاظ القرآن ، ولتجنّب أيّ خطأ أو اشتباه ـ عمداً كان أو سهواً في المناطق البعيدة ـ فإنّهم استنسخوا نُسَخَاً مصدّقة ـ من قِبل الصحابة الكبار وحفّاظ القرآن ـ من القرآن .

ووُزِّعتْ هذه النسخ من المدينة إلى الأطراف ، ولذلك قطعوا الطريق إلى الأبد من ظهور مثل هذه الاشتباهات أو الانحرافات ، وخصوصاً من قِبل اليهود الذين يُعتبرون أبطالاً في فنّ التحريف .

**ب :– المعرفة التحليليّة :**

هذه المرحلة تعني بتحقيق تحليلي ، أي توضيح أنّ هذا الكتاب يشتمل على أيّة مواضيع؟. وما هو الهدف الذي وضع له؟. وما رأيه حول الإنسان؟. وما هي نظرته إلى المجتمع؟. وكيفيّة عرضه للمواضيع وطريقة مقابلته للمسائل المختلفة؟.

هل له نظرة فلسفيّة ، أو ـ باصطلاح اليوم ـ علميّة ؟. هل ينظر إلى القضايا من زاوية عين رجل عارف ، أَمْ إنّ له أسلوباً خاصّاً به؟. وسؤال آخر أيضاً في هذا المجال: هل لهذا الكتاب رسالة ونداء إلى الإنسانيّة؟. وإذا كان الجواب بالإيجاب فما هي هذه الرسالة؟.

إنّ المجموعة الأولى لهذه الأسئلة ترتبط ـ في الحقيقة ـ بنظرة الكتاب إلى العالَم والإنسان والحياة والموت وغيره، أو بعبارة أكمل، ترتبط بمعرفة الكتاب، وفي اصطلاح فلاسفتنا ترتبط بفلسفة الكتاب النظريّة.

وأمّا المجموعة الثانية من الأسئلة فتختصّ بأطروحة الكتاب بالنسبة لمستقبل الإنسان ، كيف يريد أنْ يبني المجتمع البشري ، ومَن هو الإنسان النموذجي في نظره؟.

وعلى أيّ حال ، فإنّ هذا النوع من المعرفة يرتبط بمحتوى الكتاب ، ونستطيع أنْ نبحث من هذه الزاوية أيّ كتاب ، إنْ كان كتاب (الشفاء) لابن سينا أو ديوان (سعدي).

من الممكن أنْ نرى كتاباً ليس له نظرة ولا رسالة ، أو أنّ له نظرة بدون رسالة ، أو أنّه يحتوي على الاثنتين .

وبالنسبة للمعرفة التحليليّة للقرآن ، لا بدّ أنْ نرى : ما هي المواضيع التي يشتمل عليها القرآن ؟. وكيف يعرض القرآن هذه المسائل ؟. وما هي استدلالات واحتجاجات القرآن في المستويات المختلفة ؟ .

وبما أنّ القرآن حافظ وحارس للإيمان ورسالته إيمانية ، فهل ينظر إلى العقل نظرة ترقّب وترصّد ، ويسعى ليصدّ هجوم العقل ويكبّل يديه ورجلَيه ، أَمْ بالعكس ، ينظر إليه دائماً نظرة مساندة وحماية (ويستعين به) ويستنجد مِن قوّته؟.

هذه الأسئلة ومئات الأسئلة المشابهة التي تطرح ضمن المعرفة التحليليّة ، توضّح لنا وتعرّفنا ماهيّة القرآن .

**ج :– المعرفة الجذريّة :**

في هذه المرحلة ، وبعد معرفة صحّة استناد وانتساب الكتاب إلى مؤلّفه ، وبعد تحليل وتحقيق محتويات الكتاب بدقّة ، يجب أنْ نحقّق فيما إذا كانت مواضيع ومحتويات الكتاب نابعة من أفكار الكاتب ، أَمْ إنّ المؤلّف استدان واقتبس من أفكار الآخرين.

فمثلاً ، بالنسبة لديوان حافظ : بعد أنْ اجتزنا مرحلتَي المعرفة الإسناديّة والمعرفة التحليليّة ، يجب أنْ نعرف هذا الأمر :

هل هذه الأفكار والمواضيع التي أوردها في الكلمات والجمل والأبيات وأخرجها بأسلوبه الخاص ، هل هي من إبداعاته ، أَمْ إنّ صياغة الكلمات بهذا الفن والجمال من الشاعر ، وأنّ الأفكار من آخر أو من آخرين.

وبعبارة أخرى بما أنّ العلم بالأصالة الفنِّيّة لدى حافظ يجب أنْ نتيقّن بالأصالة الفكريّة له أيضاً . هذا النوع من المعرفة بالنسبة لحافظ أو أيّ مؤلّف آخر، معرفة تنبع من جذور أفكار المؤلّف ، وهذا المعرفة فرع للمعرفة التحليليّة .

أي إنّ يجب معرفة محتوى أفكار المؤلّف بدقّة أوّلاً، ثمّ نبدأ بالمعرفة الجذريّة. وخلافات لهذا الأمر، فإنّ النتيجة تشبه مؤلّفات بعض كُتّاب تأريخ العلوم الذين لم يفقهوا شيئاً من العلوم ، غير أنّهم يكتبون في تأريخ العلوم .

أو نستطيع أنْ نُمثّل أيضاً بأولئك الذين يكتبون الكتب الفلسفيّة ويريدون أنْ يبحثوا ـ مثلاً ـ حول ابن سينا وأرسطو ، ووجوه التشابه والاختلاف بينهما ، ولكنّهم لم يعرفوا مع الأسف ابن سينا ولا أرسطو.

هؤلاء مع مقايسة بسيطة ، وفور تعلُّمهم بعض المشابهات اللفظيّة يجلسون على منصّة القضاء ، مع أنّ في المقايسة يجب أنْ يدرك عمق الأفكار، ولمعرفة عمق أفكار المفكّرين ـ أمثال ابن سينا وأرسطو ـ يلزمنا عمراً كاملاً من الزمان، وإلاّ فما نحصل عليه ليس سوى كلمات تخمينيّة أو تقليديّة.

ففي التحقيق حول القرآن ومعرفته ، بعد إجراء المطالعة التحليلية حول القرآن ، يأتي دور المقايسة والمعرفة التأريخيّة ، أي إنّنا يجب أنْ نقارن القرآن وما يحتويه بالكتب الأخرى الموجودة في ذلك العصر، وخصوصاً الكتب الدينيّة ، ويلزمنا في هذه المقارنة، ملاحظة جميع الشروط والإمكانات (الخاصّة بذلك العصر).

مثل : مدى علاقة شبة الجزيرة العربيّة بسائر البلدان ؟. وعدد المتعلّمين الذين كانوا يعيشون في مكّة وقتئذٍ وغيرها ؟.

ثمّ نستنتج أنّ ما في القرآن هل يوجد في الكتب الأخرى أَمْ لا ؟ وإنْ كان يوجد فبأيّة نسبة ؟. وتلك المواضيع التي تشبه بقيّة الكتب هل هي مستقلّة أَمْ مقتبسة ؟. وما هو دور هذه المواضيع في تصحيح أخطاء تلك الكتب وتوضيح انحرافاتها؟

أصالة ثلاثيّات المعرفة في القرآن : بمطالعة القرآن نعرف أصالة المعرفة بأقسامها الثلاثة في القرآن:

الأصالة الأولى هي أصالة الانتساب : أي إنّه بدون أيّ شكٍّ وبدون الحاجة إلى البحث والتفتيش حول النسخ القديمة ، فإنّنا نعرف بوضوح: أنّ ما يُتْلَى هذا اليوم باسم القرآن الكريم ، فهو نفس الكتاب الذي أتى به محمّد بن عبد الله ﷺ من عند الله ، وعرضه على العالَم .

الأصالة الثانية ، أصالة المواضيع : أي إنّ معلومات ومعارف القرآن إبداعيّة مبتكَرة ، وليست الْتقاطيّة ولا مقتبسة . والتحقيق حول هذا الأمر من واجبات المعرفة التحليليّة .

الأصالة الثالثة هي أصالة القرآن الإلهيّة : أي إنّ هذه المعلومات أُلقيتْ على الرسول الأعظم ﷺ من أُفُق أعلى ، من أُفُق أفكار الرسول، وإنّما كان الرسول مُتلقِّياً من الوحي وحاملاً لهذه الرسالة. وهذه النتيجة نحصل عليها من المعرفة الجذريّة للقرآن.

وهذه المعرفة الجذريّة ، وبعبارة أخرى تعيين أصالة العلوم القرآنيّة مبتنية على المعرفة من القسم الثاني. ولذلك ، فإنّنا نبدأ البحث من المعرفة التحليلية ، أي نحقق في هذا الأمر: ما هي محتويات القرآن ؟. وما هي المواضيع المعروضة في القرآن؟. وفي أي المواضيع أظهر القرآن اهتمامنا أكثر ؟. وكيف عرضتْ تلك المواضيع ؟.

إذا استطعنا ـ في المعرفة التحليلية ـ أنْ نؤدّي حقّ الموضوع ، وإذا فهمناه فهماً جيّداً ، وعرفنا معارف القرآن معرفة كافية ، عندئذٍ ـ وكما قلنا ـ نصل إلى هذه الأصالة التي هي أساس أصالات القرآن ، وهي الأصالة الإلهيّة ، أي كون القرآن معجزة.

نماذج من روايات التحريف : تلاحظ انه، عندما يتسنى لعبدٍ ما، ان وفقه الله تعالى، وفتح عليهِ باب من ابواب العلوم الحياتية، ان صح التعبير، وقد تفكر في خلقهِ تعالى ، وجب عليه ان يكون حذراً في التعامل مع آيات وسور القران ودراستها .

وعدم التسرع في اطلاق التفاسير، بدون سابق معرفة بالعلوم ، وخصوصاً علوم القران المجيد ، وذلك لأنه قد يؤول الامر الى ان يخضع حقائق القران الى المختبر العلمي الذي برع المتكلم فيه .

وتجدهُ لا يدري ، وهذه مصيبة كبيرة ، والصواب يجب عليهِ فعل العكس ، فالعلم هو الذي يحتاج الى التأييد من حقائق آيات القران ، وذلك لأن حقائق الأشياء ثابتة والعلم بها متحقق .

فتلاحظ ان آيات وسور القران في جميع علومه ، مثل لغته وبلاغته وتشريعه وفقهه ، وحقائقه الكونية ، وسرده لأحوال الامم الماضية ، كل ذلك يمثل قمة الإعجاز، وذلك لان الحق سبحانه وتعالى قال بعبارة قوله: (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون).

فالإسلام لا لا يشجع ، ولا يدعوا ، الى عدم الاستعانة بالعلوم المختلفة في فهم القران ، بل تجد انه قد ثبت في السنة المطهرة ، ان القران قد فُسّر في زمن النبي ﷺ ومن ثم الأئمة من آل البيت عليهم السلام .

ولكن في المقابل تجد أحاديث ، من هنا وهناك ، كما هي روايات التحريف في كتب اخواننا أهل السنة ، التي سنأتي بمجموعة منها هنا لغرض اثبات ان تلك الروايات موجودة في كتبهم .

مع بيان ما ذكر في تأويلها ، وما قد قيل في بطلانها وإنكارها ، وعلى مثل هذه النماذج تتعرف على البقية منها، فهي على عدة طبقات .

فمنها طبقة أولى ، وطبقة لثانية وما بعدها سنذكرها ان شاء الله تعالى، واما هنا سنذكر الطبقة الاولى هناك روايات ذكرت سوراً أو آيات زُعِمت ، من أنّها كانت من القرآن وحُذِفت منه ، أو أدعى بعضهم نسخ تلاوتها أو أكلها الداجن وهي كما يلي :

### ١ – سورة الأحزاب تعدل البقرة

سورة الأحزاب تعدل سورة البقرة : وهو كما رُوي عن السيدة أم المؤمنين عائشة انها قالت : ( أنّ سورة الأحزاب كانت تُقْرأ في زمان النبي ﷺ في مائتي آية، فلم نقدر منها إلاّ على ما هو الآن )[٦٦٣]. وتلاحظ في لفظ الراغب: (مائة آية)[٦٦٤] .

وكذلك رُوي عن الخليفة عمر وأُبي بن كعب وعكرمة مولى ابن عباس: ( أنّ سورة الأحزاب كانت تقارب سورة البقرة، أو هي أطول منها، وفيها كانت آية الرجم )[٦٦٥] .

---

٦٦٣– راجع : الاتقان للسيوطي ٣: ٨٢، وتفسير القرطبي ١٤: ١١٣، ومناهل العرفان ١: ٢٧٣، والدر المنثور٦:٥٦٠.

٦٦٤– محاضرات الراغب ٢: ٤٣٤ .

٦٦٥– الاتقان ٣: ٨٢، مسند أحمد ٥: ١٣٢، المستدرك ٤: ٣٥٩، السنن الكبرى ٨: ٢١١، تفسير القرطبي ١٤: ١١٣، الكشاف ٣: ٥١٨، مناهل العرفان ٢: ١١١، الدر المنثور ٦: ٥٥٩.

وجاء مثلهِ عن حذيفة : ( قرأتُ سورة الأحزاب على النبي ﷺ فنسيتُ منها سبعين آية ما وجدتها)[٦٦٦] .

وقد حمل ابن الصلاح المدّعى زيادته على التفسير، واما السيوطي وابن حزم فقد حملاهُ على نسخ التلاوة .

واما المتأمّل لهذه الروايات ، يلاحظ وجود اختلاف ظاهر للعيان ، بشكل واضح وصريح بينها في مقدار ما كانت عليه سورة الأحزاب.

وهذا الأمر الذي يؤشر إلى عدم صحّة النصوص وبطلانها ، أمّا آية الرجم الواردة في الحديث الثاني فسيأتي تفصيلها، بحول الله وقوتهِ .

كما ان شروط التعرّف على القرآن ، تحتاج معرفة آيات القرآن الكريم إلى مقدّمات وشروط نذكرها بإيجاز منها :

منها : معرفة اللغة العربيّة : فهو أحد الشروط الضروريّة لمعرفة القرآن وكما لا يمكن معرفة (أشعار) حافظ وسعدي ، دون الإلمام باللغة الفارسيّة ، فإنّ معرفة القرآن المكتوب باللغة العربيّة دون معرفة اللغة العربيّة أمر محال .

منها : الإلمام بتاريخ الإسلام : وهذا الشرط ، لأنّ القرآن ليس مثل التوراة أو الإنجيل ، إذْ عُرض كلٌّ منهما (وبلغ إلى الناس) مرّة واحدة من قِبل الرسول (موسى وعيسى عليهما السلام)، بل إنّ هذا الكتاب نزل على مدى (٢٣ سنة) من حياة الرسول الأعظم ﷺ، من البعثة حتّى الوفاة .

وخلال الأوضاع المختلفة لتأريخ الإسلام المملوءة حركةً وثورةً ؛ ولهذا نلاحظ هناك أسباب لنزول آيات القرآن ، وسبب النزول لا يحدّد معنى الآية ، بل ـ وبالعكس ـ فإنّ معرفة سبب النزول يُرْشِد ويؤثّر كثيراً في توضيح مضمون الآيات.

منها : الإلمام بالكلمات : وهو الشرط الثالث الإلمام بأقوال وكلمات الرسول الأعظم ﷺ، فالرسول بنص القرآن، أوّل مفسّر لهذا الكتاب، حيث جاء في القرآن: ( وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ

٦٦٦- الدر المنثور ٦: ٥٥٩.

مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ )[٦٦٧] . ( هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ )[٦٦٨] .

الرسول الأكرمﷺ . مِن نظر القرآن . بنفسه مبيّن ومفسّر لهذا الكتاب ، وما جائنا من الرسولﷺ يعيننا على تفسير القرآن. أمّا بالنسبة إلينا . الشيعة الامامية . الذي نعتقد بالرسول والأئمّة الأطهارعليهم السلام ، ونعتقد أنّ ما كان للرسولﷺ من قبل الله فقد نقله إلى أوصيائه المكرمين .

فإنّ الأحاديث المعتبرة التي وصلتْنا من الأئمّة ، لها نفس اعتبار الأحاديث المعتبرة ، الواصلة من رسول اللهﷺ ، فإنّ الروايات الموثّقة من الأئمّة، تساعدنا كثيراً في معرفة القرآن .

هناك نقطة لا بدّ أنْ نهتمّ بها في التحقيق حول القرآن ، وهي أنْ نتعرّف على القرآن بالاستعانة بالقرآن نفسه ، وهي أنْ نتعرّف القرآن بالاستعانة بالقرآن نفسه .

والغرض من ذلك أنّ مجموعة آيات القرآن تكوّن مع بعضها بناءً متراصّاً، أي إنّنا إذا أخذنا آية واحدة من آيات القرآن ، وقلنا إنّنا نريد فهْم هذه الآية فقط ، يعتبر هذا أسلوب خاطئ ، وبالطبع يُحتمل أنْ يكون فهمنا لتلك الآية فهْماً صحيحاً، ولكنّ هذا عمل مخالف للاحتياط ، فآيات القرآن تفسّر بعضها بعضاً ، وكما قال بعض المفسّرين الكبار، فإنّ الأئمّة الأطهار أيّدوا هذا الأسلوب من التفسير .

القرآن له أسلوب خاص بنفسه في توضيح وبيان المسائل ، ففي موارد كثيرة إذا أخذتَ آيةً واحدة من القرآن، دون عرضها على الآيات المشابهة ، فإنّها تأخذ مفهوماً يختلف كلّيّاً عن مفهوم نفس الآية ، إذا وضعت بجانب الآيات التي تشابهها في المضمون .

لعرض نموذج من هذا الأسلوب الخاص للقرآن ، نستطيع ذكر الآيات المحكمة والآيات المتشابهة ، هناك تصوّر ساذج بالنسبة للمحكمات والمتشابهات ، فيعتقد البعض بأنّ الآيات المحكمة: هي التي عرضت فيها المواضيع بصورة عاديّة وصريحة ، والآيات المتشابهة بعكس ذلك ، فإنّ الموضوعات فيها على صورة ألغاز ورموز .

وبمقتضى هذا التعريف يحق للناس أنْ يتدبّروا في الآيات المحكمة والصريحة فقط ، وأمّا الآيات المتشابهة فلا يمكن معرفتها ، ويُمنع التفكّر فيها .

---

٦٦٧- النحل ٤٤ .

٦٦٨- الجمعة ٢ .

وهنا بالطبع يطرح هذا السؤال نفسه : ما هي إذن فلسفة الآيات المتشابهة ؟ لماذا يعرض القرآن آيات غير قابلة للمعرفة ؟ .

الجواب بالإيجاز هو أنّ الآيات المحكمة ليس معناها الآيات الصريحة والواضحة ، وليست الألغاز والرموز معاني للمتشابهات. اللغز لفظ مبهم ، لا يُفهم معناه مباشرة، والآن لننظر هل توجد في القرآن آيات مبهمة ؟.

هذا القول ينافي نصّ القرآن الذي يقول بأنّ القرآن كتاب مبين في آياته ، وأنّ آياته واضحة مفهومة ، وجاءت لتكون نوراً وهدى للناس.

إلاّ أنّ سرّ الموضوع يكمن في بعض المواضيع المعروضة في القرآن ، خاصة عندما يأتي الكلام عن ما وراء الطبيعة والأمور الغيبيّة فإنّها غير قابلة للبيان والتوضيح أساساً مع الألفاظ .

ولكن بما أنّ لغة القرآن هي اللغة المتداولة بين البشر، فإنّ هذه المواضيع المعنويّة اللطيفة وردت بنفس العبارات والألفاظ التي يستخدمها البشر في الموضوعات المادِّيَّة .

ولكن لتجنّب سوء الفهم فإنّ المسائل الواردة في بعض الآيات لا بدّ أنْ تسرِ بمعونة الآيات الأخرى ، ولا يوجد سبيل آخر غير هذا السبيل .

فمثلاً يريد القرآن أنْ يذكر حقيقة ادّعاء رؤية الله بالقلب (أي الإنسان يستطيع أنْ يرى الله بقلبه) ، ورد هذا المعنى في قالب العبارات : ( وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ) [٦٦٩].

استخدم القرآن لفظة ( النظر ) ؛ لأنّه لا توجد كلمة أنسب من هذه الكلمة لأداء الغرض والمقصود، ولتجنّب الاشتباه يوضّح في مكان آخر: (لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) [٦٧٠].

يلاحظ القارئ أنّه بالرغم من التشابه اللفظي ، لا يوجد تشابه بين هذه الأمور، ويختلف كلٌّ عن الآخر اختلافاً كاملاً .

---

٦٦٩- القيامة ٢٢ — ٢٣ .

٦٧٠- الانعام ١٠٣ .

والقرآن ـ لتجنّب الخطأ بين المعاني العالية والمعاني المادِّيَّة ـ يأمرنا بإرجاع المتشابهات إلى المحكمات. (أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آَيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ)[٦٧١]. بعض الآيات محكمة ، أي إنّ لها ذلك الاستحكام الذي لا يمكن فصلها عن معانيها ، واتخاذ معانٍ أخرى لها .

هذه الآيات هي أمّ الكتاب ، أي إنّها الآيات الأم. فكما أنّ الطفل يرجع إلى أمّه ، وأمّه تكون مرجعاً له ، وأنّ المدن الكبيرة (أُمّ القرى) تكون مرجعاً للمدن الأصغر، فالآيات المحكمة أيضاً تحسب مرجعاً للآيات المتشابهة.

الآيات المتشابهة للتدبّر والتفكّر، ولكن لا بدّ من الاستعانة بالآيات المحكمة لكي نتدبّر فيها. وبدون الاستعانة بالآيات الأم ، فإنّ ما يُستنتج من الآيات المتشابهة غير صحيح وليس له اعتباره .

هل يمكن معرفة القرآن : إنّ أوّل سؤال يطرح نفسه لدى التحقيق في موضوعات القرآن هو : هل يمكن ـ أصلاً ـ معرفة القرآن ؟. وهل هناك إمكانيّة التحقيق في القرآن ؟. وهل يمكن التفكّر والتدبّر في مواضيع ومسائل القرآن ؟. أَمْ أَنّ هذا الكتاب لم يُعرض أساساً للمعرفة ؟.

بل فقط للتلاوة ، والقراءة ، والتبرّك ، والتيمّن ، وأخذ الثواب؟.

يمكن أنْ يخطر على البال أنّ هذا السؤال ليس له وجه ؛ لأنّه لا يشكّ أحد أنّ القرآن كتاب للمعرفة ، ولكن لظهور قضايا خاطئة في مسألة معرفة القرآن بعلل مختلفة في العالم الإسلامي، وكان لها تأثير فعّال في انحطاط وتدهور المسلمين ولا زالت ـ مع الأسف ـ جذور تلك الأفكار المنحطّة الخطرة موجودة في مجتمعاتنا ، لذلك يلزمنا أنْ نوضّح قليلاً هذا الموضوع :

ظهر من بين علماء الشيعة قبل ثلاثة أو أربعة قرون أشخاص يعتقدون بعدم الحجِّيَّة، ولم يعترفوا في ثلاثة من المصادر الأربعة للفقه ، والتي ارتضى بها علماء المسلمين ، بمثابة معايير لمعرفة المسائل الإسلاميّة ، وهي القرآن والسنّة والعقل والإجماع .

كانوا يدعون : إنّ الإجماع من بنات علماء المذاهب الأخرى ولا يمكن اتّباعه ، والعقل لا يجوز الاعتماد عليه لكثرة أخطائه ، وأمّا بالنسبة للقرآن فكانوا يعتقدون بأنّه أكبر من أنّ نستطيع نحن البشر أنْ نطالعه ونتأمّل فيه ولا يحقّ إلاّ للنبي والأئمّة من التعمّق في آيات القرآن ونحن لا يحقّ لنا غير تلاوة الآيات ، وهؤلاء هم الإخباريّون .

---

٦٧١- ال عمران ٧ .

الأخباريّون : لا يجوّزون إلاّ مراجعة الأخبار والأحاديث ؟.

ربّما تعجّبْتم إذا علمتم أنّ بعض التفاسير التي كُتبت من قِبل هؤلاء ، إذا رأوا حديثاً في ذيل آية ذكروها ، وإنْ لم يجدوا حديثاً امتنعوا حتّى ذكر الآية .

وكان هناك فِرَق أخرى غير الأخباريّين يمتنّعون من وضع القرآن في متناول أيدي العامّة (من الناس) ، نستطيع أنْ نذكر من هذه الفِرَق :

الأشاعرة الذين كانوا يعتقدون بأنّ معرفة القرآن لا تعني التدبّر في آيات القرآن ، بل معناها فهم المعاني اللفظيّة للآيات ، أي إنّ ما عرفناه من ظاهر الآيات نقبلها ولا يهمّنا من واقعها شيئاً .

وطبيعي أنّ هذا الأسلوب من المعاملة مع القرآن سريعاً ما يدعو إلى الضلال والانحراف ؛ لأنّه لا مفرّ من توضيح معاني الآيات ، ولكن لأنّهم عطّلوا العقل ، فلا بدّ أنْ يحصلوا على نتائج ساذجة من القرآن .

وبدليل هذا النوع من التفكير، انحرفوا عن طريق الإدراك الصحيح ، واعتقدوا اعتقادات باطلة من قبيل التجسّم ، أي إنّ الله جسم ، مئات من العقائد الإنحرافيّة الأخرى .

مثل : قولهم بإمكانيّة رؤية الله بالعين والتحدّث مع الله بواسطة اللسان العضوي وغيرها كثير.

وفي مقابل الفِرق التي تركت القرآن من الأساس ، ظهرتْ فرقة أخرى جعلوا القرآن وسيلة للوصول إلى أغراضهم وأهدافهم الشخصيّة .

وكلّما كانت تقتضي مصالحهم قاموا بتأويل القرآن ونسبوا إليه أموراً لا ترتبط أساساً بروح القرآن ، وعند مواجهتهم أيّ اعتراض كانوا يجيبون أنّهم دون غيرهم يعرفون بواطن الآيات ، وأنّ المعاني المستخرجة حصلوا عليها من معرفة بواطن الآيات .

وإنّ أبطال هذه الحركة في تاريخ الإسلام فرقتان :

أولاها الإسماعيليّة : ويُقال لهم الباطنيّة .

وثانيتها المتصوفة الإسماعيليّة :

يسكنون الهند ويسكن بعضهم في إيران . وقد نجحوا في استلام الحكم ، وهي الحكومة الفاطميّة في مصر .

يُعرف الإسماعيليّون بأنّهم من الشيعة ، ويعتقدون بستّة من الأئمّة ، ولكن أجمع علماء الشيعة الاثنا عشريّة أنّ هؤلاء بعيدون عن التشيّع كل البُعد ، حتّى أهل السنّة الذين لا يعتقدون بأئمّة الشيعة كما تعتقد الشيعة ، أقرب إلى التشيّع من هؤلاء الشيعة المعتقدين بستّة من الأئمّة[٦٧٢] .

ارتكب الإسماعيليّون بواسطة اعتقادهم بالباطنيّة خيانات كثيرة في تاريخ الإسلام ، وكان لهم دور كبير في إيجاد الانحراف في الأمور الإسلاميّة.

وإذا انصرفنا عن الإسماعيليّة ، فهناك المتصوّفة الذين لهم دور كبير في مسألة تحريف الآيات وتأويلها طبقاً لعقائدهم الشخصيّة ، أذكر هنا مثالاً واحداً لتفاسيرهم ، حتّى تتّضح طريقتهم في التحريف ، ولْيقرأ القارئ حديثاً مفصّلاً من هذا المجمل .

عندما ورد ذكر إبراهيمعليه السلام وابنه إسماعيلعليه السلام في القرآن ، يحكي القرآن أنّ إبراهيمعليه السلام كان يُؤمَر في المنام ـ عدّة مرّات ـ بذبح ابنه في سبيل الله.

يتعجّب إبراهيمعليه السلام في البداية من هذا الأمر، ولكن بعد تكرّر الرؤيا يتيقّن ويسلّم أمره إلى الله ، ثمّ يُخبر ابنه عن هذا الموضوع ، ويَقبل ابنه بكلّ إخلاص ويستسلم لحكم الله ، قال تعالى :

( قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ )[٦٧٣] ، والغرض هو إظهار التسليم والرضا بقضاء الله. ولذلك فعندما يستعدّ الأب والابن بكلّ إخلاص لتنفيذ أمر الله تبارك وتعالى ، يتوقّف تنفيذ الحكم بإذن الله .

وفي تفسير هذه الحادثة يقول المتصوّفة : إنّ المقصود من إبراهيم هو العقل ، والمقصود من إسماعيل هو النفس ، والعقل ـ هنا ـ كان يريد أنْ يذبح النفس؟.

وواضح جداً : أنّ هذا النوع من التفسير لا يكون لعباً بالقرآن ، وإظهار نوع من المعرفة الإنحرافيّة.

---

٦٧٢- اشترك جماعة ـ بالنيابة عن الإسماعيليّين ـ في مجمع التقريب بين المذاهب الإسلاميّة، واجتمعتْ فيه جميع الفِرق الإسلامية ، وهناك اتّفق علماء الشيعة والسنّة أنّ الإسماعيليّين ليسوا من الفِرق الإسلاميّة ، ولم يسمحوا لهم بالاشتراك في ذلك المجمع.

٦٧٣- الصافات ١٠٢ .

وبالنسبة لهذه التفاسير المنحرفة والمبتنية على الأميال والأهواء النفسيّة والحزبيّة ، يقول الرسول الأعظمﷺ : ( مَن فسّر القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار ) .

وهذا النوع من التفسير (المتقدّم) يعتبر اتّخاذ القرآن لعباً ، وأنّه خيانة كبرى.

وقد كثرت في عصرنا الحاضر ـ وللأسف ـ التفاسير الإنحرافيّة والإلتقاطيّة ، وقد أخذتْ الأفكار الإلحاديّة صبغة إسلاميّة أحياناً .

اتّخذ القرآن أسلوباً وسطاً في مقابل الجمود والتفكّر الجاف للأخباريّين ونظرائهم ، وكذلك في مقابل الانحرافات والتفاسير الخاطئة للباطنيّة وغيرهم ، وهذا الأسلوب (الوسط) عبارة عن التأمّل والتدبّر المنصف والبعيد عن الأغراض والأهواء .

والقرآن يدعو المؤمنين ، بل وحتّى المخالفين بالتفكير في آياته ، ويدعوهم بأنْ يتأمّلوا في آياته بدلاً عن صدّها وإنكارها .

يقول في خطاب مع المخالفين : ( أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا )[٦٧٤]. يقول في آية أخرى : (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ)[٦٧٥].

أنه كتاب مبارك مثمر أرسلناه إليك، لماذا ؟!.

لم نرسله ليقبلوه ويضعوه فوق الرفوف ، بل أرسلناه ليفكّروا ويتدبّروا في آياته ؟ .

هذه الآيات وعشرات الآيات الأخرى التي تؤكّد على تدبّر القرآن ، تجوّز وتؤيّد تفسير القرآن ، ولكنْ ليس تفسيراً على الهوى والميل النفسي ، بل على أساس الصدق والإنصاف ، بعيداً عن الأغراض الشخصيّة. عندما تتأمّل في القرآن بإنصاف وبدون غرض ، فلا ضرورة لنا في إمكانيّة معرفة كلّ مسائلة.

القرآن من هذه الجهة يشبه الطبيعة. فكم من أسرار في الطبيعة لم تنكشف بعد، وليس هناك أمل في اكتشافها في الأوضاع الحاليّة ، ولكنّها سوف تُكشف في المستقبل.

---

٦٧٤- محمد ٢٤ .

٦٧٥- سورة ص الاية ٢٩ .

وإضافة على ذلك ، بالنسبة إلى معرفة طبيعة الإنسان ، لا بدّ من مطابقة التفكّر مع الطبيعة كيفما كانت. القرآن أيضاً كتاب مثل الطبيعة لم ينزل لزمن واحد ، وإذا كان غير ذلك فقد كانوا يكتشفون غوامضها جميعاً في الماضي ، وكان هذا الكتاب السماوي يفقد جاذبيّته وطراوته وتأثيره.

إنّ الاستعداد للتدبّر والتفكّر وكشف غوامض القرآن موجود دائماً ، وهذه نقطة وضّحها النبي والأئمّة عليهم السلام ، في حديث منقول عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول فيه . ما معناه .:

مَثَل القرآن مثل الشمس والقمر، يتحرّك مثلهما باستمرار، أي إنّه ليس ثابتاً ولا يبقى في مكان واحد ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً : (القرآن ظاهرة أنيق وباطنه عميق)[٦٧٦] .

وفي عيون أخبار الرضا، نُقل من قول الإمام الرضا عليه السلام، أنّه سُئل الإمام الصادق عليه السلام: ما هو السرّ في بقاء القرآن على طراوته كلّما يُتلى أكثر ، وكلّما يمضي عليه الزمان زمناً أطول؟، فأجاب الإمام عليه السلام: (لأنّ الله لم ينزلْه لزمان دون زمان ، ولا لناسٍ دون ناس).

لقد أوجده الله ليسبق الأفكار والأزمنة في أيّ زمان ، مع وجود الاختلافات الكثيرة في المعلومات وأنواع التفكّر ومدى اتّساع الفكر ، مع أنّه يحوي مجهولات لقُرّائه في كلّ زمان ، ولكنّه يعرض مقداراً كبيراً من المعاني والمفاهيم القابلة للإدراك ، بحيث يُشبع حاجة الزمان .

## ٢ – لو كان لابن آدم واديان

وهو ما جاء انه قد رُوي عن أبي موسى الأشعري من أنّه تكلم مع قرّاء البصرة حيث قال :

(كنّا نقرأ سورة نُشبّهها في الطول والشدّة ببراءة فأنسيتها، غير أنّي حفظت منها : لو كان لابن آدم واديان من مالٍ لابتغى وادياً ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلاّ التراب ) [٦٧٧].

وقد حمل ابن الصلاح هذا الحديث على السنة حيث قال : إنّ هذا معروف في حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أنّه من كلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا يحكيه عن ربِّ العالمين في القرآن .

ويؤيده حديث روي عن العباس بن سهل، قال : سمعت ابن الزبير على المنبر يقول : ( قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لو أنّ ابن آدم أُعطي واديان ... الخ) .

---

٦٧٦- هذه الجملة جاءتْ ضمن حديث طويل للرسول صلى الله عليه وآله وسلم في فضل القرآن ، كتاب الكافي للكليني: ج٤ ، ص ٣٩٩.

٦٧٧- صحيح مسلم ٢: ٧٢٦ / ١٠٥٠.

وعدّه الزبيدي الحديث الرابع والأربعين من الأحاديث المتواترة وقال: (رواه من الصحابة خمسة عشر نفساً )[٦٧٨] .

وكذلك ذكروا انه قد رواه الامام أحمد في (المسند) عن أبي واقد الليثي على أنّه حديث قدسيّ[٦٧٩] .

وأمّا إخبار أبي موسى الاشعري ، من أنّ هناك سورة تشبه براءة في الشدّة والطول ، فلو كانت لحصل العلم بها ، ولما غفل عنها رسول الله ﷺ والصحابة وكُتّاب الوحي وحُفّاظه وقُرّاؤه .

فلو اخذنا نظرة القرآن عن القلب ، أظنُّ أنّه لا داعي للتوضيح ، بأنّ الغرض من القلب في اصطلاح العرفاء والأدباء ليس ذلك العضو اللحمي الموجود في الجانب الأيسر من البدن ، ويجري الدم كالمضخّة في العروق، فمثلاً في تعبير القرآن: ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ)[٦٨٠] .

أو في التعبير العرفاني اللطيف لحافظ (الشاعر) : ( لقد نفر قلبي ، وغافلٌ أنا المسكين ، ماذا قد حلّ بهذا الصيد التائه للحيوان ) .

واضح أنّ المقصود من القلب في هذين المثالَين حقيقة سامية ممتازة ، تختلف تماماً عن هذا العضو الموجود في البدن ، وهكذا عندما يذكر القرآن مرضى القلوب : (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً)[٦٨١] .

فإنّ معالجة هذا المرض خارجة عن طاقة طبيب أمراض القلب ، وإذا وجد طبيب يتمكّن من معالجة هذه الأمراض ، فلا شكّ أنّه طبيب متخصّص في الأمراض الروحيّة .

إذاً : ما هو المقصود من القلب ؟. للإجابة على هذا السؤال يجب البحث في حقيقة وجود الإنسان ، فالإنسان في الوقت الذي هو موجود واحد ، إلاّ أنّ له مئات بل وآلاف الأبعاد الوجوديّة.

( أنا ) الإنسانيّة عبارة عن مجموعة كبيرة من الأفكار ، والآمال ، والخوف ، والحب ، والخ، وإنّها بمثابة الأنهار والجداول ، التي تتجمّع في مركز واحد ، وإنّ هذا المركز بنفسه بحرٌ عميق ، بحيث ما استطاع ـ إلى الآن ـ أيُّ إنسان أنْ يدعي أنّه اطّلع على أعماق هذا البحر.

---

٦٧٨- مقدمتان في علوم القرآن: ٨٥ ـ ٨٨.

٦٧٩- مسند أحمد ٥: ٢١٩.

٦٨٠- سورة ق : آية : ٣٧ .

٦٨١- البقرة ١٠ .

فالفلاسفة والعرفاء وعلماء النفس ، ساهم كلٌّ إلى حدٍّ ما في السباحة في أغوار هذا البحر، ووفّق كلٌّ منهم إلى كشف بعض أسراره ، ولربّما كان العرفاء أكثر حظّاً من الآخرين في هذا المجال.

وما يسمّيه القرآن بالقلب عبارة عن حقيقة هذا البحر، وإنّ ما نسمّيه بالروح الظاهريّة عبارة عن الأنهار والجداول التي تتّصل بهذا البحر.

وحتّى العقل بنفسه أحد هذه الأنهار التي تتّصل بهذا البحر. عندما يذكر القرآن الوحي ، لم يقل شيئاً عن العقل ، بل إنّ علاقته ترتبط مع قلب الرسولﷺ.

ومعنى هذا الكلام : أنّ القرآن لم يرد على الرسول بقوّة العقل وبالاستدلال العقلي ، بل كان هذا قلب الرسولﷺ، حيث ارتقى إلى حالة لا يمكن لنا تصوّرها ، وفي تلك الحالة حصل على قابليّةِ أدراك ومشاهدة تلك الحقائق المتعالية ، وها هي آيات سورة النجم وسورة التكوير توضّح كيفيّة هذا الارتباط إلى حدٍّ ما .

كما نقرأ في سورة النجم قوله تعالى : ( وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى) : يقول القرآن ذلك ، ليبيّن أنّ مستوى هذه المسائل فوق حَيّز عمل العقل الحديث هنا عن المشاهدة والاعتلاء .

ونقرأ في سورة التكوير : ( إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ * وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ * فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ * إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) .

وخصائص القلب : يعتبر القلب من وجهة نظر القرآن وسيلة للمعرفة أيضاً ، وإنّ القسم الأكبر من نداءات القرآن تخاطب قلب الإنسان، تلك النداءات التي لا طاقة لسماعها إلاّ بواسطة أذن القلب ؛ ولذلك فإنّ القرآن يؤكّد كثيراً بالمحافظة على هذه الوسيلة ، والعمل على تكاملها .

نلتقي في القرآن كثيراً بأمور مثل تزكية النفس وصفاء القلب : ( قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا)[٦٨٢]. و(كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)[٦٨٣]. وحول إنارة القلب يقول: (إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً)[٦٨٤]. و(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)[٦٨٥].

---

٦٨٢- الشمس ٩ .

وفي مقابل ذلك ، فإنّ الأعمال القبيحة تسود روح الإنسان وتسلب منه الاتجاهات الطاهرة النقيّة، وقد تكرّر هذا الحديث في القرآن. يقول عن لسان المؤمنين: (رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا)[686] .

وفي وصف المسيئين يقول : (كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)[687] . (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ)[688] .

ويتحدّث القرآن عن قساوة القلوب وتختمها : (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ)[689] . و (وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ)[690] . و (كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ)[691] . و (فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ)[692] .

كلّ هذه التأكيدات تُبيّن أنّ القرآن يريد جوّاً روحيّاً ، ومعنويةً عالية للإنسان. ويوجب على كلّ فرد أنْ يحافظ على سلامة ونقاء هذا الجو.

وبالإضافة إلى ذلك ، ففي الجوّ الاجتماعي المريض ، وحيث تصبح أكثر جهود الإنسان لنظافة البيئة عقيمة غير موفّقة ، يؤكّد القرآن أنْ يستغل البشر كلَّ طاقاته في سبيل تصفية وتزكية بيئته الاجتماعيّة .

يصرّح القرآن بأنّ ذلك الإيمان والعشق والمعرفة ، والتوجهات السامية ، وتأثيرات القرآن ، وقبول نصائحه ، كلّ ذلك يرتبط بابتعاد الإنسان والمجتمع الإنساني عن الدنيا ، والرذائل ، والأهواء النفسيّة ، والشهوات .

---

٦٨٣- المطففين ١٤ .

٦٨٤- الانفال ٢٩ .

٦٨٥- العنكبوت ٦٩ .

٦٨٦- ال عمران ٨ .

٦٨٧- المطففين ١٤ .

٦٨٨- الصف ٥ ،

٦٨٩- البقرة ٧ .

٦٩٠- الانعام ٢٥ ،

٦٩١- الاعراف ١٠١ .

٦٩٢- الحديد ١٦ .

يشير التأريخ البشري أنّ القوى الحاكمة عندما أرادت السيطرة على مجتمع ما واستثماره ، تسعى لإفساد روح المجتمع ؛ ولهذا الغرض تُهيّئ وسائل الشهوة للناس ، وتحرّضهم على الشهوات.

والنموذج الذي يدعو إلى الاعتبار من هذا الأسلوب القذر، الفاجعة التي حدثتْ للمسلمين في إسبانيا المسلمة ، التي كانت تُعدّ من مواطن النهضة ، ومن أكثر الدول الأوروبِيّة حضارة وتقدّماً.

ولأجل إخراج إسبانيا من أيدي المسلمين ، بدأ المسيحيّون يعملون على إفساد نفسيّات وأخلاق الشباب المسلمين. وضعوا ما أمكنهم من وسائل اللهو واللعب والشهوة في اختيار المسلمين ، وتقدّموا في هذا المجال بحيث خدعوا الأُمراء ورؤساء الحكومة ولطّخوهم بالفجور.

وهكذا استطاعوا القضاء على عزيمة المسلمين ، وقوّتهم ، وإرادتهم ، وشجاعتهم ، وإيمانهم ، وصفاء نفوسهم ، وبدّلوهم إلى أشخاص أذلاّء ضعفاء فاسدين ، يتبعون الشهوات ويشربون الخمور ويرتكبون الفواحش والمنكرات.

وواضح جدّاً : أنّ التغلّب على مثل هؤلاء الأشخاص لم يكن أمراً صعباً ؟!.

لقد انتقم المسيحيّون من حكومة المسلمين التي مضى عليها (٣٠٠ ـ ٤٠٠ عاماً) ، انتقاماً يخجل التاريخ من تذكّره وتذكّر تلك الجرائم .

أولئك المسيحيّون الذين يسلمون الطرف الأيسر من وجوههم إلى مَن لَطَمَ على يمينها ـ حسب تعاليم السيّد المسيح ـ ، أجروا بحراً من دماء المسلمين في الأندلس ، وبيّضوا ـ بذلك ـ وجه جنكيز (المغولي) ، وطبيعي أنّ فشل المسلمين كان نتيجة هممهم المنحطّة وفساد نفوسهم ، وجزاء عدم اتّباعهم للقرآن وتعاليمه.

وفي زماننا أيضاً ، أينما وضع الاستعمار رجله ، يستند على ذلك الموضوع الذي حذّر منه القرآن ، أي أنّه يسعى ليُفسد القلوب ، فإذا فسد القلب لا يستطيع العقل أنْ يعمل شيئاً ، بل تصبح نفسه قيداً أكبر في أيدي وأرجل الإنسان.

ولذلك نرى أنّ المستعمرين والمستثمرين لا يخشون من افتتاح المدارس والجامعات ، بل ويقْدِمون بأنفسهم على تأسيسها ، ولكنّهم يسعون من طرف آخر لإفساد قلوب ونفوس الطلاّب والتلاميذ بكلّ طاقاتهم.

إنّهم يدركون تماماً هذه الحقيقة ، وهي أنّ المريض في قلبه وروحه لا يستطيع أنْ يعمل شيئاً ، ويتقبّل كلّ ذلّة ، واستثمار، وإساءة .

يهتمّ القرآن كثيراً بنقاء وعلوّ روح المجتمع ، حيث يقول في الآية الشريفة : ( وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)[٦٩٣]، ابحثوا :

أوّلاً : عن كلّ عمل خير ، وابتعدوا عن كلّ سوء ورذالة .

وثانياً : اعملوا معاً وبصورة اجتماعيّة ولا تعملوا منفردين .

وبالنسبة إلى القلب ، اذكر بعض النقاط على لسان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة الأطهار عليهم السلام ؛ ليكون ختاماً حسناً لهذا الموضوع :

مكتوب في كتب السيرة أنّ شخصاً حضر عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقال : إنّ لي أسئلة أريد أنْ أعرضها عليكم . فسأله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: هل تريد أنْ تسمع أجوبة أَمْ ترغب في طرح الأسئلة فقط .

فأجاب : إنّه يريد الجواب. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ ما معناه ـ : جئتُ تسأل عن البرّ والإحسان والإثم والعدوان؟.

أجاب: نعم. فجمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة من أصابعه ووضعها على صدر الرجل براحة قائلاً صلى الله عليه وآله وسلم: ( اسْتَفْتِ قلبَكَ ، وإنْ أفتاك المفتون ) . ثمّ أضاف ـ ما معناه ـ :

( لقد خُلق القلب بحيث يرتبط مع الحسنات ويرتاح معها ، ولكنّه يضطرب وينزجر من السيّئات والقبائح ، تماماً مثل بدن الإنسان ، فإذا ورده شيء لا يتجانس معه ، يُغَيِّر نظامه ، وهكذا روح الإنسان تتعرّض للاختلال والاضطراب بواسطة الأعمال السيّئة ) .

إنّ ما يسمّى عندنا بعذاب الضمير ناشئ عن عدم تجانس الروح مع المفاسد والسيّئات والآثام. يشير الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذه النقطة ، وهي أنّ الإنسان الذي يبحث عن الحقيقة ويخلص نفسه لمعرفة الحقيقة ، لا يمكن لقلبه ـ في هذه الحالة ـ أنْ يخونه ، وسوف يهديه إلى مسير الهداية المستقيم.

---

٦٩٣- المائدة ٢ .

والإنسان . أساساً . يبحث صادقاً عن الحق والحقيقة الخالصة المحضة. يرد الرسول ﷺ على مَن سأله عن البر : (استفت قلبك) ، أي أنّك لو كنتَ تريد البر حقيقة ، فإنّ ما يطمئنّ قلبُك به ويسكن ضميرُك له هو البر، ولكن إذا كنتَ ترغب شيئاً غير أنّ قلبك لم يطمئن له ، فتيقّن أنّه هو الإثم .

وفي : مكان آخر يسأل الرسول ﷺ عن معنى الإيمان ؟!.

فيجيب (ما معناه) : ( المؤمن هو الذي إذا ارتكب عملاً سيّئاً تعرّض للندم وعدم الراحة ، وإذا ارتكب عملاً صالحاً سرّ وفرح ) .

عن عبد الله بن القاسم عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال : ( إذا تخلّى المؤمن من الدنيا ، سما ووجد حلاوة حبّ الله ، وكان عند أهل الدنيا كأنّه قد خولط ، وإنّما خالط القوم حلاوة حب الله ، فلم يشتغلوا بغيره) ، أي إنّ المؤمن إذا زهد في الدنيا ، يسمو ويرتفع ويحسّ حلاوة محبّة الله ، ويتصوّر أهل الدنيا أنّه قد جُنّ ، في حين أنّ حلاوة حبّ الله جعلتْه في غنى عنهم ، وشغله حبُّ الله عن غيره .

قال – الراوي – وسمعتُه – الإمام الصادق – يقول عليه السلام: ( إنّ القلب إذا صفا ضاقتْ به الأرض حتّى يسمو )[٦٩٤].

عن إسحاق بن عمّار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إنّ رسول الله ﷺ صلّى بالناس الصبح ، فنظر إلى شابٍ في المسجد وهو يخفق ويهوي برأسه مصفرّاً لونه ، قد نَحُفَ جسمه وغارتْ عيناه في رأسه. فقال له رسول الله ﷺ : كيف أصبحتَ يا فلان ؟ .

قال : أصبحتُ يا رسول الله موقناً. فعجب رسول الله من قوله وقال ﷺ : إنّ لكلّ يقين حقيقة ، فما حقيقة يقينك . فقال : إنّ يقيني يا رسول الله ، هو الذي أحزنني وأسهر ليلي ، وأظمأ هواجري ، فعزفتْ نفسي عن الدنيا وما فيها ، حتّى كأنّي أنظر إلى عرش ربّي وقد نُصِبَ للحساب ، وحُشِرَ الخلائق لذلك وأنا فيهم، وكأنّي أنظر إلى أهل الجنّة يتنعّمون في الجنّة ويتعارفون، على الأرائك متّكئون ، وكأنّي أنظر إلى أهل النار وهم فيها معذّبون مصطرخون ، وكأنّي الآن أسمع زفير النار يدور في مسامعي .

فقال رسول ا لله ﷺ لأصحابه : (هذا عبد نوّر الله قلبَه بالإيمان) ، ثمّ قال له ﷺ : ( إلزَم ما أنت عليه ). فقال الشاب : ادع الله لي يا رسول الله أنْ أُرزق الشهادة معك ، فدعا له رسول الله ﷺ فلم يلبث أنْ خرج في بعض غزوات النبي ﷺ ، فاستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر[٦٩٥].

---

٦٩٤- أصول الكافي : ١٣٠/٢ .

يقول القرآن بأنّ صفاء القلب يوصِل الإنسان إلى مقام يقول عنه أمير المؤمنين علي عليه السلام : ( لو كُشِفَ لي الغِطَاءُ مَا ازْدَدْتُ يَقِيْنَا ).

إنّ القرآن بتعاليمه يريد أنْ يُربّي أناساً مسلّحين بسلاح العلم والعقل ، ويستفيدون من سلاح القلب أيضاً ، ويستخدمون هذَين السلاحين في أحسن أساليبه وأسمى كيفيّاته في طريق الحق ، وإنّ أئمّتنا وتلامذتهم الصالحين المؤمنين نماذج حيّة واضحة لهؤلاء الأناس .

## ٣ – الخلع والحفد

جاء انه قد روي أنّ سورتي الخلع والحفد كانتا في مصحف ابن عباس وأُبي بن كعب وابن مسعود ، وأنّ عمر بن الخطاب قنت بهما في الصلاة، وأنّ أبا موسى الأشعري كان يقرأهما وهما : ( اللّهم إنا نستعينك ونستغفرك ، ونثني عليك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك).

وكذلك قولهم : ( اللّهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك، ونخشى عذابك، إنّ عذابك بالكافرين ملحق)[٦٩٦].

وقد حملهما الامام الزرقاني والباقلاني والجزيري وغيرهم، على الدعاء، وقد ذكر صاحب الانتصار حينما قال: إنّ كلام القنوت المروي:

أنّ أُبي بن كعب أثبته في مصحفه، لم تقم الحجّة بأنّه قرآن منزل، بل هو ضرب من الدعاء، ولو كان قرآناً لنقل إلينا وحصل العلم بصحّته... إلى أن قال: ولم يصحّ ذلك عنه، وإنّما روي عنه أنّه أثبته في مصحفه، وقد أثبت في مصحفهما ليس بقرآن من دعاء أو تأويل ...الخ[٦٩٧].

وتلاحظ انه قد روي هذا الدعاء في (الدر المنثور) والاتقان والسنن الكبرى و(المصنّف) وغيرها من عديد من الروايات عن ابن الضرس والبيهقي ومُحَمَّد بن نصر، ولم يُصرّحوا بكونه قرآناً[٦٩٨].

---

٦٩٥– أصول الكافي .كتاب الإيمان والكفر . : ٢ / ٥٣ .

٦٩٦– مناهل العرفان ١: ٢٥٧، روح المعاني ١: ٢٥.

٦٩٧– مناهل العرفان ١: ٢٦٤.

٦٩٨– السنن الكبرى ٢: ٢١٠، المصنف لعبد الرزاق ٣: ٢١٢.

ان المخاطبون في القرآن هي النقاط الأخرى التي لا بدّ أنْ تُسْتَنْبَط من القرآن ، في البحث حول المعرفة التحليليّة للقرآن ، هي تعيين المخاطَبين في القرآن .

وردتْ كثيراً في القرآن تعابير مثل : (هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) ، (هُدىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) و (لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيّاً) ، هنا يمكن طرح هذا الإشكال ، وهو أنّ الهداية لا تلزم للمتّقين ؛ لأنّهم أنفسهم متّقون .

ومن جانب آخر نرى القرآن هكذا يُعرّف نفسه : ( إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ )[٦٩٩]، وهذه الآية من الآيات العجيبة في القرآن ، عندما نزلت الآية كان النبيﷺ في مكّة ، وكان يتحدّث مع أهالي إحدى القرى ، كان عجيباً للناس أنْ يروا رجلاً وحيداً يقول بكلّ طمأنته إنّكم سوف تسمعون نبأ هذه الآية فيها بعد، سوف تسمعون قريباً ماذا يصنع هذا الكتاب مع العالَم خلال فترة قصيرة. وفي آية أخرى يخاطب الله رسولَه قائلاً: ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ )[٧٠٠].

لا بدّ من القول هنا بإيجاز ان في الآيات التي يخاطب القرآن جميع أبناء العالم ، يريد ـ في الواقع ـ أنْ يقول: بأنّ القرآن لا يختصّ بقوم وجماعة خاصّة ، كل مَن يتوجّه نحو القرآن يحصل على النجاة .

وأمّا في الآيات التي يتحدّث فيها عن أنّه كتاب هداية للمؤمنين والمتّقين ، يريد أنْ يوضّح هذه النقطة ، وهي أنّه مَن الذي يسير نحو القرآن في النهاية ؟ ومَن هم الذين يبتعدون عنه ؟.

لا يذكر القرآن عن شعب خاص وقبيلة معيّنة ، على أساس أنّهم هم المعتقدون به والتابعون له ، ولا يقول إنّ القرآن يُعتبر كتاب شعب خاص.

القرآن ـ خلافاً لسائر المبادئ ـ لم يهتم بمصالح طبقة خاصّة ، ولم يقل ـ مثلاً ـ : إنّه جاء لتأمين مصالح طبقة ما ، ولم يقل ـ أيضاً ـ : إنّ هدفه الوحيد هو مساندة العمّال أو الدفاع عن حقوق الفلاّحين.

---

٦٩٩- سورة ص الآية ٨٧ .

٧٠٠- الانبياء ١٠٧ .

يؤكّد القرآن عندما يتحدّث عن نفسه : أنّه كتاب لبسْط العدالة ، يقول عن الأنبياء : ( وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ )[٧٠١]. يريد القرآن القسط والعدل لكلّ المجتمع البشري ، وليس لقوم أو طبقة أو قبيلة خاصّة.

ولكي يجذب الناس إلى نفسه لم يشر إلى العصبيّات القومية مثل النازيّة. وخلافاً لمبادئ أخرى كالماركسية مثلاً، لا يستند على مصالحهم ومنافعهم الشخصيّة ، ليثيرهم عن هذا الطريق ؛ لأنّه في هذه الحالة لا يستهدف العدل والحق لاتّباعه ، بل يستهدف وصوله إلى منافعهم وطلباتهم الشخصيّة.

وكما أنّ القرآن يعتقد بأصالة الوجدان العقلي للإنسان ، فإنّه يعتقد له أيضاً أصالة وجدانيّة وفطريّة ، وعلى أساس فطرة طلب الحقّ والعدل يدعوهم إلى الحركة والثورة ؛ ولهذا فإنّ رسالته لا تنحصر بطبقة العمّال أو الفلاحين أو المحرومين أو المستضعفين .

يخاطِب القرآن الظالمين والمظلومين بأنْ يتّبعوا الحق ، يبلّغ موسى عليه السلام رسالتَه إلى بني إسرائيل ، وإلى فرعون أيضاً ، ويدعوهم جميعاً إلى الإيمان بالله والسير في رسالته.

ودعوته لرؤساء قريش ، في الوقت تكون إثارة الأفراد ضدّ أنفسهم ، ورجوعهم عن مسيرة الضلال ، وهي أنّ رجوع وإنابة المترَفين والمتنعِّمين أصعب بكثير من رجوع المحرومين والمظلومين .

الفريق الثاني يتحرّكون في مسير العدالة باقتضاء طباعهم .

وأمّا الفريق الأوّل فعليه أنْ يمتنع عن مصالحه الشخصيّة والاجتماعيّة ، ويدوس برجليه على ميوله وأهوائه. يقول القرآن :

بأنّ أتباعه هم الذين طَهُرَتْ نفوسُهم وزَكَتْ أرواحُهم ، وهؤلاء اتبعوا القرآن على أساس مطالبة الحق والعدل ، التي هي في فطرة كلّ إنسان ، ولم يتّبعوا ما تقتضيه مصالحهم وميولهم المادِّيَّة والزخارف الدنيويّة .

---

٧٠١- الحديد ٢٥ .

### ٤ – آية الرجم

وجاء الأثر انه قد روي بطرق متعدّدة من أنّ الخليفة عمر بن الخطاب قال: ( إيّاكم أن تهلكوا عن آية الرجم... والذي نفسي بيده لولا أن يقول الناس: زاد عمر في كتاب الله لكتبتها: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتّة، نكالاً من الله، والله عزيز حكيم. فإنّا قد قرأناها)[٧٠٢].

وقد أخرج ابن أشتة في كتاب (المصاحف) عن الليث بن سعد، انه قال: (إنّ عمر أتى إلى زيدٍ بآية الرجم، فلم يكتبها زيد لأنّه كان وحده)[٧٠٣].

وتلاحظ ان ابن حزم[٧٠٤]، قد حمل آية الرجم على أنّها ممّا نسخ لفظه وبقي حكمه ، ويعتبر هذا حملٌ باطلٌ ، وسبب ذلك ، لأنّه لو كانت منسوخة التلاوة لما جاء عمر لكي يكتبها في المصحف ، وقد أنكر ابن ظفر[٧٠٥] اعتبارها ، ممّا نسخ تلاوته، وذلك حينما قال : ( لأنّ خبر الواحد لا يُثبت القرآن )[٧٠٦].

وقد حملها أبو جعفر النحاس على السُنّة حينما قال : إسناد الحديث صحيحٌ إلاّ أنّه ليس حكمه حكم القرآن الذي نقله الجماعة عن الجماعة ، ولكنها سُنّةٌ ثابتةٌ. وقد يقول الإنسان كنتُ أقرأ كذا لغير القرآن، والدليل على هذا أنّه قال: ( لولا أنّي أكره أن يقال زاد عمر في القرآن، لزدته)[٧٠٧].

كما ان مواطن الخطأ من وِجهة نظر القرآن التي يذكرها القرآن هي اتخاذ الإنسان الظن بدل اليقين (وهذه هي القاعدة الأولى لديكارت أيضاً. يقول : إنّه لنْ يقبل بعدئذٍ أيّ موضوع ، إلاّ أنْ يبحث ويحقّق فيه مقدّماً ، ولو وجدتُ احتمالاً واحداً للخلاف في مئة احتمال ، فلنْ أستفيد منه وأطرحه جانباً. وهذا هو المعنى الصحيح لليقين ).

لو قيّد الإنسان نفسه ليتّبع اليقين في جميع المسائل ، ولنْ يقبل الظن بدل اليقين ، فلنْ يُخطئ أبد. ( لا بدّ من ملاحظة : أنّه في الأمور الظنِّيَّة والاحتماليّة ، وفي الموارد التي لا يمكن الحصول على

---

٧٠٢- المستدرك ، ج٤ ، ص٣٥٩ - ٣٦٠ .

٧٠٣- الإتقان ٣: ٢٠٦.

٧٠٤- كما في كتاب المحلى لابن حزم .

٧٠٥-كما في كتاب الينبوع .

٧٠٦- البرهان للزركشي ٢: ٤٣.

٧٠٧- الناسخ والمنسوخ: ٨.

اليقين ، يجب الأخذ بنفس ذلك الظن أو الاحتمال. ولكن يجب قبول الظن والاحتمال بدل الاحتمال ، ولا يمكن الأخذ بالظن والاحتمال بدل اليقين . هذا المورد الثاني الذي يدعو إلى الخطأ ).

لقد أكّد القرآن كثيراً حول هذا الموضوع ، وقد صرّح في إحدى الآيات أنّ أكبر خطأ للفكر البشري هو اتّباع الظن : وفي مقام آخر يخاطِب الرسولَ ﷺ: ( وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ )[٧٠٨].

ويقول في آية أخرى : ( وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ)[٧٠٩]. إنّها أوّل ذكرى للبشر طوال التاريخ الفكري ، ذكرها له القرآن ونهى البشر عن مثل هذه الأخطاء .

الموطن الثاني للخطأ في مادّة الاستدلال ـ وخاصّة في المسائل الاجتماعيّة ـ هو مسألة التقليد :

يعتقد كثير من الناس بالأمور التي يعتقدها المجتمع ، أي أنّ الموضوع الذي يتقبّله المجتمع ، أو تقبله الأجيالُ السالفة ، يقبلونه بدليل أنّ الأجيال السالفة قد رضيتْ وآمنت به ، يوجد هذا الأمر في أحد أقوال "بيكن" وعندما يعرف أحد الأصنام التي يتحدّث عنها بالصنم الاجتماعي أو الصنم العُرفي ، فإنّ غرضه هذا التقليد الأعمى .

إلاّ أنّ القرآن يدعونا لكي نقيس كلّ مسألة بمعيار العقل ، لا يَعتبر بما صنعه الأجداد الأقدمون ، أو أنْ نتركها تماماً. فكم من أمور كانت معتبرة في الماضي مع أنّها خاطئة ولكنّ الناس قبلوها ، وكم من أمور صحيحة في الأزمنة البعيدة .

ولكنّ الناس امتنعوا عن الاعتراف بها بسبب جَهْلهم في قبول هذه المسألة لا بدّ من الاستعانة بالعقل والفكر، وعدم اتّباع التقليد الأعمى ، ولكن القرآن يقابل كثيراً بين اتّباع الآباء والأجداد وبين العقل والفكر. قال تعالى : ( وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا.. وَلاَ يَهْتَدُونَ )[٧١٠].

يؤكّد القرآن أنّ قِدَمَ فِكْرٍ ما ، ليس دليلاً على خطئه ، ولا يُوجِب صحّته ، وأنّ القِدَم يجري في الأمور المادِّيَّة ، ولكنّ حقائق الوجود لنْ تُصبح قديمة متروكة مهما مضى عليها الزمان .

---

٧٠٨- الانعام ١١٦ .

٧٠٩- الاسراء ٣٦ .

٧١٠- البقرة ١٧٠ .

فحقيقة مثل : ( إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ) تكون صادقة محكمة ثابتة طوال عمر الدنيا .

يقول القرآن : إنّه لا بدّ من مواجهة المسائل بسلاح العقل والفكر، ويجب أنْ لا يترك الإنسان عقيدة سليمة بدليل مخالفة الآخرين له ، كما يجب أنْ لا يقبل عقيدة بمجرّد تعلّقها بهذه الشخصيّة المعروفة أو تلك الشخصيّة الكبيرة .

ولا بدّ أنْ يحقّق الإنسان بنفسه في كلّ المسائل ( يجب أنْ لا يشتبه بين موضوع تقليد الآباء والأجداد ، أو الموضة العصريّة ، أو صبغة المجتمع التي نهى عنها القرآن بشدّة ، وبين موضوع تقليد المجتهد الأعلم الأعدل في الفقه ؛ لأنّه أمر واجب يبتني على رعاية التخصّص والاستفادة من العلم التخصّصي ).

العامل الآخر الذي يؤثر في تكوّن الخطأ ويذكره القرآن ، هو اتّباع هوى النفس والميول النفسيّة، يقول مولوي (الشاعر) : (عندما جاء الغرض "هوى النفس" احتجب الفن ، وانتقلتْ مئات الحجب من القلب إلى العين).

لو لم يتخلَّ الإنسان ـ في أيّ أمر ـ من شرّ الأغراض النفسيّة ، لا يستطيع أنْ يفكّر تفكيراً سليماً ، أي : أنّ العقل يتمكّن من العمل الصحيح ، في بيئة لا توجد فيها الأهواء النفسيّة .

هناك قصّة معروفة عن العلاّمة الحلّي نذكرها ، لأنّها مثال جيّد: لقد عرض للعلاّمة الحلّي هذه المسألة الفقهيّة ، وهي أنّه لو مات حيوان في البئر وبقيتْ الميتة النجسة في البئر، ماذا يجب العمل بماء البئر؟ .

وبالصدفة سقط ـ في تلك الآونة ـ حيوان في بئر العلاّمة الحلّي، واضطرّ ليستنبط حكماً لنفسه. كان لا بدّ له أنْ يحكم في هذا المورد عند طريقين :

الأول : أنْ يملأ البئر بالتراب ، ويستفيد من بئر آخر .

الثاني : أنْ يأخذ مقداراً معيّناً من ماء البئر، ثمّ يستفيد من بقيّة الماء بلا إشكال .

فرأى العلاّمة الحلّي أنّه لا يستطيع أنْ يحكم في هذه المسألة بلا غرض ؛ لأنّ له مصلحة في القضيّة ، ولذلك أمر أنْ يملأ البئر بالتراب أوّلاً، ثمّ بدأ بإصدار الحكم وإظهار الفتوى ببال مريح ، وبعيداً عن ضغط الوساوس النفسيّة .

وللقرآن إشارات كثيرة في موضوع متابعة هوى النفس ، نكتفي بذكر مورد واحد ، يقول القرآن : ( إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ )[٧١١] .

**٥ – آية الجهاد**

جاء في الأثر انه قد رُوي أنّ الخليفة عمر تكلم مع عبد الرحمن بن عوف فقال : ( ألم تجد فيما أُنزل علينا : أن جاهدوا كما جاهدتم أوّل مرّة ، فأنا لا أجدها ؟ قال : أُسقطت فيما أسقط من القرآن )[٧١٢] .

ألم يقولوا في أحاديث جمع آيات وسور القرآن الكريم، من أنّ الآية تُكتَب بشهادة شاهدين من الصحابة على أنّها ممّا أنزلها الله تعالى في كتابه؟ فما منع الخليفة وعبد الرحمن بن عوف من الشهادة على أنّ هذه الآية من القرآن وإثباتها فيه ؟.

فيعتبر هذا دليلٌ على وضع هذا الحديث ، وإلاّ فكيف سقطت هذه الآية المدّعاة عن القرآن وحُفّاظه في البلاد ، ولم تبقى إلاّ مع عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف فقط ؟.

وتلاحظ نظرية التوسع في نص القرآن ؟!.

إذا كنت مسلماً من اهل السنة وكنت من أعلم العلماء ، فلن تستطيع أن تقنع أطفالك بأن القرآن نزل على سبعة حروف. بل سوف تتحير من أول الأمر ماذا تقول لهم؟! .

فهل تقول لهم إن الله تعالى أنزل القرآن بسبعة نصوص ؟.

يعني أنزل سبعة قرائين ؟!، أو أنزله بسبع طبعات منقحة ؟!.

وماذا تجيب إذا سألك ولدك الناشئ فقال لك : يا أبتي نحن نعرف أن الملك أو رئيس الجمهورية يصدر المرسوم بنسخة واحدة ونص واحد!.

---

٧١١– النجم ٢٣ .

٧١٢– الإتقان ٣: ٨٤، كنز العمال ٢: ٥٦٧ حديث / ٤٧٤١.

وأنت تقول : إن جبرئيلعليه السلام كان يضبط نص القرآن على النبيصلى الله عليه وآله كل سنة مرة ، فهل تقصد أنه نزل على النبيصلى الله عليه وآله من الأول سبع نسخ ، وكان جبرئيلعليه السلام يضبط عليه سبعة ؟! .

ولماذا : ألا تكفي نسخة واحدة ؟! .

ثم ما هو الفرق بين هذه النسخ؟!.

تقول لابنك : لا يا ولدي ، القرآن نسخة واحدة ومعنى أنه على سبعة حروف أن الله تعالى استعمل فيه سبعة أنواع من لغات العرب أو لهجاتهم.

فيقول لك : ولكن هذا لا يقال له نزل على سبعة حروف ، بل يقال إن ألفاظه مختارة من كلمات سبع قبائل؟!.

ثم تقول له.. ويقول لك.. حتى تعجز أمام ابنك؟!.

وقد يمكنك أن تسكته بأن هذه المقولة حديث نبوي وردت في المصادر المعتمدة ، فيجب عليك أن تقبلها حتى ولو لم تفهمها ولم يفهمها أبوك وعلماؤك؟!.

وقد يسكت ابنك : ولكن يبقى السؤال يجول في أعماق نفسه : هل يعقل أن يكون هذا كلام النبي'؟! وهل يمكن أن يتكلم النبي بغير المعقول أو بغير المفهوم؟!.

لقد تحير كبار علماء اهل السنة ومفسروهم وما زالوا متحيرين الى يومنا هذا؟.

فلا هم يستطيعون أن يردوا نظرية الخليفة عمر (الأحرف السبعة) لأنها بتصورهم حديث نبوي رواه عمر. ولا هم يستطيعون أن يقنعوا بها أحداً، أو يقتنعوا بها هم؟.

وسيبقون متحيرين الى آخر الدهر، لسبب بسيط ؟. هو أنهم يبحثون عن معنى معقول لمقولة ليس لها معنى معقول؟!.

من العلماء المتحيرين في هذا الموضوع الإمام ابن جزي المشهود له في التفسير وعلوم القرآن الذي نقل في تاريخ القرآن (صفحة٨٧) قوله :

( ولا زلت أستشكل هذا الحديث ـ أي حديث نزول القرآن على سبعة أحرف ـ وأفكر فيه وأمعن النظر من نحو نيف وثلاثين سنة حتى فتح الله علي بما يمكن أن يكون صواباً إن شاء الله تعالى ، وذلك أني تتبعت القراءات صحيحها وضعيفها وشاذها فإذا هي يرجع اختلافها الى سبعة أوجه)؟!.

فترى ابن جزي بعد تفكير أكثر من ثلاثين سنة غير مطمئن الى ما توصل إليه وإن سماه فتحاً علمياً ولذا عبر عنه بأنه ( يمكن أن يكون صواباً) ومن حقه أن يشك في هذا الفتح ؟.

لأن معناه أن نسخة القرآن نزلت من عند الله تعالى مفصلة على حسب قراءات سوف يولد أصحابها ؟! ، وسوف تكون اختلافاتهم في سبعة وجوه لا أكثر؟! .

فكيف : تقبل او تعقل هذا العالم أن نسخة القرآن نزل بها جبرئيل عليه السلام مفتوحة لاجتهادات القراء الذين سوف يأتون ؟! .

ثم اعتبر ذلك فتحاً علمياً ؟! ، بالله عليك هل تتعقل أن مؤلفاً يؤلف كتاباً بسبعة نصوص سوف تظهر على يد أشخاص بعد نشره ؟!.

وقال ابن حجر : ذكر القرطبي عن ابن حبان ، أنه بلغ الإختلاف في الأحرف السبعة الى خمسة وثلاثين قولاً، ولم يذكر القرطبي منها سوى خمسة ، ولم أقف على كلام ابن حبان في هذا ، بعد تتبعي مظانه .

قلت : قد حكاه ابن النقيب في مقدمة تفسيره عنه بواسطة الشرف المزني المرسي . فقال : قال ابن حبان اختلف أهل العلم في معنى الأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولاً[٧١٣] .

وقال ابن حبان : فهذه خمسة وثلاثون قولاً لأهل العلم واللغة في معنى إنزال القرآن على سبعة أحرف ، وهي أقاويل يشبه بعضها بعضاً وكلها محتملة وتحتمل غيرها[٧١٤] .

وهذا اعتراف من ابن حبان بأن جميع هذه الأقوال لا تزيد عن كونها احتمالات استنسابية غير مقنعة ؟!.

---

٧١٣- السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ج ١ ص ١٧٢ .

٧١٤- نفس المصدر ، ص ١٧٦ .

ونقل السيوطي تصريحاً مشابهاً لأحد علمائهم فقال : وقال المرسي: هذه الوجوه أكثرها متداخلة ، ولا أدري مستندها ، ولا عمن نقلت ، ولا أدري لم خص كل واحد منهم هذه الأحرف السبعة بما ذكر ، مع أن كلها موجودة في القرآن فلا أدري معنى التخصيص ؟!.

وفيها أشياء لا أفهم معناها على الحقيقة ، وأكثرها يعارضه حديث عمر مع هشام بن حكيم الذي في الصحيح ، فإنهما لم يختلفا في تفسيره ولا أحكامه ، إنما اختلفا في قراءة حروفه . وقد ظن كثير من العوام أن المراد بها القراءات السبع ، وهو جهل قبيح .

هذه نماذج من أقوال هؤلاء العلماء الكبار، وهي كافية للتدليل على أن النظرية برأيهم غير قابلة للفهم والتعقل . فهل يجوز نسبتها والحال هذه الى الله تعالى ، وإلى رسوله ؟!.

**أ :– سبب وضع النظرية :**

واما سبب وضع الخليفة عمر لهذه النظرية ؟. ان السبب ببساطة أن النبي ’ﷺ كان في حياته يقرأ نص القرآن ويصححه لمن يقرؤه ، فكان مصدر نص القرآن واحداً مضبوطاً.

أما بعد وفاته ’ وأحداث السقيفة وبيعة أبي بكر، فقد جاءهم علي عليه السلام بنسخة القرآن بخط يده حسب أمر النبي ’ﷺ، فرفضوا اعتمادها لأنه كان فيها تفسير كل الآيات أو كثير منها لمصلحة علي برأيهم ، فأخذها علي عليه السلام وقال لهم إن النبي ’ أمرني أن أعرضها عليكم فإن قبلتموها فهو، وإلا فإني أحفظها وأقرأ النسخة التي تعتمدونها ، حتى لا يكون في أيدي الناس نسختان للقرآن ؟!.

روى الامام الكليني[٧١٥] في الكافي : عن عبدالرحمن بن أبي هاشم ، عن سالم بن سلمة قال: قرأ رجل على أبي عبدالله عليه السلام وأنا أستمع حروفاً من القرآن ليس على ما يقرؤها الناس ، فقال أبوعبد الله عليه السلام: كف عن هذه القراءة إقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم فإذا قام القائم عليه السلام قرأ كتاب الله عزو جل على حده وأخرج المصحف الذي كتبه علي عليه السلام وقال :

أخرجه علي عليه السلام الى الناس حين فرغ منه وكتبه فقال لهم: هذا كتاب الله عز وجل كما أنزله الله على محمد ’ﷺ وقد جمعته من اللوحين فقالوا: هو ذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن لا حاجة لنا فيه ، فقال أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا أبداً ، إنما كان علي عليه السلام أن أخبركم حين جمعته لتقرؤوه .

٧١٥– الكليني ، اصول الكافي ج ٢ ص ٦٣٣ .

وسوف نتعرض في جمع القرآن الى ما يؤيده من مصادر إخواننا. من ذلك اليوم ولدت أرضية التفاوت في النص القرآني ، وأخذ الخليفة والناس يقرؤون ولا مصحح لهم ، ولا مرجع يرجعون إليه في نص القرآن.

وما لبث أن انتشر التفاوت في قراءاتهم ، ثم تحول التفاوت الى اختلاف بين القراء في هذه الكلمة وتلك ، وهذه الآية وتلك. فهذا يقرأ في صلاته أو يعلم المسلمين على نحو، وذاك على نحو آخر.

وهذا يؤكد صحة قراءته وخطأ القراءة المخالفة، وذاك بعكسه. وهذا يتعصب لهذه القراءة وقارئها ، وهذا لذاك. الى آخر المشكلة الكبيرة التي تهم كيان الدولة الإسلامية وتمس قرآنها المنزل ؟!.

هنا كان لا بد أن يتدخل الخليفة عمر لحل المشكلة ، وكان الأحرى به أن يختار نسخة من القرآن ويعتمدها ، وقد كانت موجودة عند عدد من الصحابة غير علي عليه السلام. ومنهم من روى عمر نفسه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر بأخذ القرآن منهم. أو يجمع نسخة ويعتمدها، ويحل المشكلة من أساسها كما فعل عثمان.

ولكن عمر لم يرد اعتماد نسخة معينة ، بل اختار حل المشكلة بالتسامح في نص القرآن ، والفتوى بصحة جميع القراءات المختلف عليها ، واستند بذلك الى حديث ادعاه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يدعه غيره ، بأن في القرآن سعة ، وأنه نزل على سبعة أحرف ؟!.

فالنظرية إذن ولدت على يد الخليفة عمر عندما واجه مشكلة ؟! وحيث لم يعالجها بنسخة علي عليه السلام، أو عثمان أو زيد أو عمرو. بل روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حديث الأحرف السبعة لكي يثبت مشروعية التسامح في قراءة النص القرآني .

ولكنه بذلك سكن المشكلة تسكيناً آنياً. وحير علماء الأمة أربعة عشر قرناً في تصور معنى معقول لهذا الحديث أو هذه النظرية ؟!.

مثل إن ابن جزي الذي اعترف بتحيره وبحثه أكثر من ثلاثين سنة عن معنى مفهوم لنظرية الخليفة. ما هو إلا نموذج لحيرة خيرة أئمة اهل السنة وعلمائهم الذين عملوا المستحيل حتى يجدوا وجها معقولاً لنظرية الأحرف السبعة ، وما ازدادوا إلا حيرة وتخبطاً.

فكلما خرجوا من مطب وقعوا في آخر أكبر منه. وليس ذلك بسبب الضعف العلمي، ولكن بسبب أنهم تبنوا نظرية عصمة الخليفة عمر ، فصاروا مجبورين أن يبحثوا عن وجه معقول لمقولة الأحرف السبعة التي قالها الخليفة ورواها عنه الامام البخاري .

حاول بعض العقلاء من اهل السنة أن يجد مخرجاً سليماً لهذه الورطة ويقنعهم بأن حديث (نزل القرآن على سبعة أحرف) يقصد معاني القرآن لا ألفاظه ، فالقرآن كَوْنٌ مثل هذا الكون، ونظامه سباعي كالسماوات السبع.

ولكنهم ردوه بأن الأحاديث تصرح بأن الخليفة عمر قال إن المقصود بالأحرف السبعة الألفاظ لا المعاني. وهكذا أقفلوا الباب على أنفسهم. وعادوا في الورطة ؟!.

وستعرف أن رأي أهل البيت عليهم السلام أن القرآن نزل من عند الواحد على حرف واحد ، وأن حديث نزوله على سبعة أحرف قصد به النبي صلى الله عليه وآله وسلم معاني القرآن.

ولكن الخليفة أصر على توظيفه لحل مشكلة الألفاظ وتفاوت القراءات ؟! كما قال الطحاوي: وإنما كان ذلك رخصة ( أي القراءة بسبعة أحرف) لما كان يتعسر على كثير منهم التلاوة بلفظ واحد لعدم علمهم بالكتابة والضبط وإتقان الحفظ ، ثم نسخ بزوال العذر وتيسر الكتابة والحفظ.

وكذا قال ابن عبد البر والباقلاني وآخرون. وفي فضائل أبي عبيد من طريق عون بن عبدالله أن ابن مسعود أقرأ رجلاً ( إن شجرة الزقوم، طعام الأثيم) فقال الرجل: طعام اليتيم، فردها فلم يستقم بها لسانه، فقال أتستطيع أن تقول طعام الفاجر؟ قال نعم، قال فافعل )[٧١٦].

وقد روى قصة طعام اليتيم عن ابن مردويه عن أبي بن كعب ، وعن أبي عبيد في فضائله وابن الأنباري وابن المنذر عن ابن مسعود. وعن سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه عن همام بن الحارث عن أبي الدرداء[٧١٧]. انتهى.

لكن ما هو دليل الباقلاني وابن عبد البر والطحاوي على أن السبعة أحرف كانت فقط لظرف خاص ثم نسخت ؟! فإن كانت حديثاً نبوياً صحيحاً كما زعموا وتوسعة من الله ورسوله على المسلمين في النص القرآني. فما هو الحديث الذي نسخها ؟!.

٧١٦- السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ج ١ ص ١٦٨.

٧١٧- الدر المنثور ج ٦ ص ٣٣ .

وإن كانت استنساب فما هو المجوز للخليفة أن يفتي بالتوسع في نص كتاب الله تعالى بسبعة أشكال أو أكثر. ثم يفتي هو أو غيره بالتضييق ووجوب القراءة بنص واحد ؟!.

على أن مقولة الباقلاني وجماعته بتيسر الكتابة في زمن عثمان وعدم تيسرها في عهد أبي بكر وعمر، إلقاء للكلام على عواهنه من أجل تصحيح عمل الخليفة .

فأين مقولتهم بأن الخليفة أول من مدن الدولة ودون الدواوين؟. كلا. ليست المسألة صعوبة الكتابة في عهد الخليفة عمر. بل المسألة أن الخليفة لا يريد أن يلتزم بنسخة محددة من القرآن ، ويريد إبقاء المجال مفتوحاً في جمع القرآن وقراءته.

لقد رخص عمر بقراءة القرآن الى سبعة أنواع وأكثر ؟! ثم نسخ الخليفة عثمان هذه الرخصة وأوجب أن يقرأ القرآن بالحرف الذي كتب عليه مصحفه.

ونحن نقبل من الطحاوي وزملائه القول بالحرف الواحد الموحد الذي عممه الخليفة عثمان على البلاد الإسلامية ، وذلك لأن علياًعليه السلام أقر هذا العمل ، ولأن الأدلة تشير الى أن نسخ مصاحفه عن مصحف عليعليه السلام.

ولكن نسألهم : أين صار حديث نزول القرآن على سبعة أحرف والذي قلتم إنه كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقلتم إنه صحيح ومتواتر ؟!.

صار معناه أن القرآن نزل من عند الله تعالى على سبعة أحرف ، لكن الذي يجب أن يقرأ منها في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حرف واحد كما يقرؤه النبي فقط، ثم يصير في زمن أبي بكر وعمر سبعة أحرف ، ثم يرجع في زمن عثمان الى حرف واحد ؟! فتكون فائدة هذا النص في مدة حكم أبي بكر وعمر فقط ، ويكون مفصلاً لمعالجة مشكلة اضطراب القراءة في هذه الفترة كما ذكرنا ؟.

فهل يمكن لباحث أن يغمض عينيه ويقبل حديثاً نسب الى النبيصلى الله عليه وآله وسلم وليس له دور في الحياة الى يوم القيامة إلا أداء وظيفة خاصة من وجهة نظر خليفة معين ؟!.

ولكن حتى هذه الوظيفة التي أرادها عمر من نظرية الأحرف السبعة أحرف لم تستطع النهوض بها ؟! بدليل أن المشكلة بقيت وتفاقمت وصارت تنذر بالخطر في زمن عثمان فبادر الى حلها بما كان يجب أن يحلها به عمر!!. بل تدل الروايات الصحيحة على أن الخليفة عمر لم يسمح لأحد أن يستفيد من الأحرف السبعة إلا هو ؟!.

### ب :– أحاديث نظرية التوسع :

واما أحاديث نظرية التوسع في نص القرآن :

ننقل روايات السبعة أحرف من رواية الامام النسائي أولاً، لأنه جمعها في مكان واحد ، بينما وزعها الامام البخاري في بضعة أمكنة من أجزاء كتابه .

قال النسائي[٧١٨] في صحيحه : عن ابن مخرمة أن عمر بن الخطاب قال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان فقرأ فيها حروفاً لم يكن نبي الله ﷺ أقرأنيها ! قلت من أقرأك هذه السورة ؟! قال رسول الله ﷺ. قلت كذبت ، ما هكذا أقرأك رسول الله ﷺ ! فأخذت بيده أقوده الى رسول الله ﷺ .

وقلت: يا رسول الله إنك أقرأتني سورة الفرقان وإني سمعت هذا يقرأ فيها حروفاً لم تكن أقرأتنيها! فقال رسول الله ﷺ: إقرأ يا هشام فقرأ كما كان يقرأ، فقال رسول الله ﷺ هكذا أنزلت ! ثم قال إقرأ يا عمر فقرأت ، فقال: هكذا أنزلت!! ثم قال رسول الله ﷺ: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف![٧١٩].

ثم رواه الامام النسائي بروايتين أخريين وفيهما ( فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله ﷺ: هكذا أنزلت. ثم قال لي إقرأ فقرأت فقال: هكذا أنزلت ، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه!).

ثم روى الامام النسائي ثلاث روايات عن أبي بن كعب ، قال (.. عن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ كان عند أضاة بني غفار فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله عز وجل يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف ، قال: أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتي لا تطيق ذلك ! ثم أتاه الثانية فقال إن الله عز وجل يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرفين ، قال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك ! ثم جاءه الثالثة فقال إن الله عزوجل يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف .

---

٧١٨- في : ج ٢ ص ١٥٠ .

٧١٩- صحيح النسائي : ج ٢ ص ١٥٠ .

فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك! ثم جاءه الرابعة فقال إن الله عز وجل يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف ، فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا!!...

عن أبي بن كعب قال أقرأني رسول الله ﷺ سورة فبينا أنا في المسجد جالس إذ سمعت رجلاً يقرؤها يخالف قرائتي فقلت له من علمك هذه السورة؟ فقال رسول الله ﷺ، فقلت لا تفارقني حتى نأتي رسول الله ﷺ فأتيته فقلت يا رسول الله إن هذا خالف قرائتي في السورة التي علمتني! فقال رسول الله ﷺ: إقرأ يا أبي فقرأتها فقال لي رسول الله ﷺ: أحسنت . ثم قال للرجل: إقرأ فقرأ فخالف قراءتي فقال له رسول الله ﷺ: أحسنت. ثم قال رسول الله ﷺ: يا أبي إنه أنزل القرآن على سبعة أحرف كلهن شاف كاف!!...

عن أبي قال ما حاك في صدري منذ أسلمت إلا أني قرأت آية وقرأها آخر غير قراءتي فقلت أقرأنيها رسول الله ﷺ. وقال الآخر أقرأنيها رسول الله ﷺ! فأتيت النبي ﷺ فقلت يا نبي الله أقرأتني آية كذا وكذا، قال نعم. وقال الآخر ألم تقرئني آية كذا وكذا؟ قال نعم، إن جبريل وميكائيل أتياني فقعد جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري فقال جبريل عليه السلام: إقرأ القرآن على حرف ، قال ميكائيل عليه السلام استزده استزده حتى بلغ سبعة أحرف ، فكل حرف شاف كاف!) . انتهى[٧٢٠].

وقال السيوطي في الإتقان المسألة الثالثة : في الأحرف السبعة التي نزل القرآن عليها. قلت : ورد حديث "نزل القرآن على سبعة أحرف" من رواية جمع من الصحابة :

أبي بن كعب ، وأنس ، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن أرقم . وسمرة بن جندب ، وسليمان بن صرد ، وابن عباس ، وابن مسعود، وعبدالرحمن ابن عوف، وعثمان بن عفان ، وعمر بن الخطاب، وعمر بن أبي سلمة، وعمرو بن العاص ، ومعاذ بن جبل ، وهشام بن حكيم ، وأبي بكرة ، وأبي جهم وأبي سعيد الخدري ، وأبي طلحة الأنصاري ، وأبي هريرة ، وأبي أيوب.

فهؤلاء أحد وعشرون صحابياً ، وقد نص أبو عبيد على تواتره. وأخرج أبو يعلى في مسنده أن عثمان قال على المنبر: أذكر الله رجلاً ، سمع النبي ﷺ قال: ( إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف ، لما قام ، فقاموا حتى لم يحصوا ، فشهدوا بذلك ، فقال: وأنا أشهد معهم)[٧٢١]. انتهى.

---

٧٢٠- سنن البيهقي ، ج٢ ، ص ٣٨٣ .

٧٢١- الإتقان ج ١ ص ١٦٣ .

## ج :- إشكالات على النظرية :

ولكن تجد ملاحظات على النظرية وهي من الإشكالات على حديث الأحرف السبعة كثيرة ، نجملها فيما يلي :

أولاً : الظاهر أن أصل جميع أحاديث النظرية رواية واحدة أو اثنتان رواهما الخليفة عمر، وإن اعتبرها بعضهم أحاديث عديدة وصل فيها الى حد التواتر. ويكفي تدليلاً على ذلك أن حديث ابن كعب تكملة لحديث عمر أو هو نفسه.

وأن أكثر الصحابة رووه عن عمر، ولم يرووه عن النبيﷺ مباشرة! بل حتى على فرض تعدد الحديث ورواته الذين رووه عن النبي' مباشرة عن غير طريق عمر، فإن مخالفة أي حديث للقرآن والعقل توجب التوقف في أمره .

ثانياً : إن أسلوب النقاشات المروية فيه بين النبي'ﷺ وبين جبرئيل وميكائيلعليهما السلام وبقية الملائكة، نسخة طبق الأصل عما يرويه اليهود من نقاشات موسىعليه السلام مع ربه! وأكثرها (اتزاناً) لا يمكن قبول مضمونه، وهو ما رواه الترمذي في سننه تحت عنوان :

باب ما جاء أن القرآن أنزل على سبعة أحرف.. عن أبي بن كعب قال: لقي رسول اللهﷺ جبرئيلعليه السلام فقال: يا جبرئيل إني بعثت الى أمة أميين منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتأبا قط. قال: يا مُحَّد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف![٧٢٢]. انتهى.

ثالثاً : إن التوسعة على الناس والتسامح في نص القرآن مسألة كبيرة وخطيرة ، فكيف لم تكن معروفة في زمن النبي'ﷺ، ثم عرفت على يد عمر عندما وجدت مشكلة تفاوت القراءات؟!.

رابعاً : روى الخليفة عمر وغيره أن النبي'ﷺ أمر المسلمين أن يأخذوا القرآن من أحد أربعة ( أبي بن كعب ، وعبدالله بن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وسالم مولى حذيفة ) كما سيأتي في قصة جمع القرآن وقراءة القرآن على حرف أو سبعة أو عشرين من صلب مسائل أخذه .

فكان الواجب على الخليفة أن يرجع الى هؤلاء الأربعة ويقبل القرآن بقراءتهم. ولكنه رفع شعار هذا الحديث ولم يرجع اليهم لا في أصل تلقي القرآن ولا في حروفه! بل كانت معاملته لهم سلبية شديدة كما سترى!.

---

٧٢٢- سنن الترمذي ج ٤ ص ٢٦٣ .

خامساً : إذا صحت نظرية عمر في الأحرف السبعة ، وأن الله تعالى قد وسع على المسلمين في قراءة نص كتابه ، فلماذا حرم الله نبيه من هذه النعمة وألزمه بحفظ القرآن حرفياً بدقة وتشدد معه في ذلك، وكان ينزل عليه كبير ملائكته كل عام مرة ليضبط عليه نص القرآن ، وفي سنة وفاته ضبطه عليه مرتين لكي يتأكد من دقة ضبط النبيﷺ لنص القرآن؟!.

ألا يكون ذلك شبيهاً بقانون يصدره رئيس ويتشدد مع وزيره في ضبط نصه وطباعته ، ولكنه بعد نشره للتطبيق يجيز للناس أن يتسامحوا في نصه وأن يقرؤوه بعدة نصوص؟!.

سادساً : هشام بن حكيم بن حزام الذي يروي عمر أن القصة حدثت معه ، أحد الطلقاء الذين يسموهم مسلمة الفتح مما يعني أن زمن القصة هو السنة الأخيرة من حياة النبي'ﷺ ويعني أن النبي' كان كل هذه المدة يقرأ نص القرآن بصيغة واحدة ولم يقل لجبرئيل عليه السلام شيئاً، ولم يقل له جبريل شيئاً! الى أن اكتشف النبي المشكلة في أواخر حياته فشكا ذلك الى جبرئيل فلم يراجع جبرئيل ربه ، وكان الجواب عنده حاضراً؟!.

سابعاً : كان سلوك عمر ضد نظريته. فكان يتدخل في القراءات ويحاسب عليها، ويرفض منها ويقبل، ويأمر بمحو هذا وإثبات ذاك ، كما رأيت في نماذج من قراءاته وكما ترى من سلوكه مع القراء. وقد (هجم) بيت عبدالله بن مسعود عندما بلغه أنه قرأ آية بلغة هذيل كما سترى؟!.

ومن هذا نعرف أن مقصوده بالحروف السبعة التوسعة على نفسه فقط ، لكي يختار الحرف الذي يريده ويلزم به المسلمين، ويرفض الحرف الذي لا يريده وينهى عنه المسلمين. ويجمع ذلك في مصحفه عند حفصة حتى يستكمل اجتهاداته في كتاب الله تعالى .

فيخرجه الى المسلمين ويلزمهم به. ولكن الأجل أدركه قبل ذلك. على أي حال لم يكن لأحد من المسلمين حق أن يستفيد من هذه التوسعة المزعومة إلا الخليفة عمر فقط ، وكان نصيب من يستفيد منها من المسلمين التعرض لسوط الخليفة ؟.

### د :– فتاوي التوسع :

الفتاوى الفقهية بالتوسع في نص القرآن : لقد حفظ الله تعالى كتابه من نظرية الخليفة في التوسع في نصه ، ولم تؤثر إلا التشويش على النص القرآني في عهده ، ولكن بقيت آثارها وأثمرت في فقه مذاهب إخواننا اهل السنة فأفتى فقهاؤهم بجواز التغيير في نص القرآن ، وفي نص التشهد في الصلاة لأنه أخف من نص القرآن .

كما قال الشافعي: وقد اختلف بعض أصحاب النبي في بعض لفظ القرآن عند رسول الله ﷺ ولم يختلفوا في معناه فأقرهم وقال: هكذا أنزل إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه. فما سوى القرآن من الذكر أولى أن يتسع ، هذا فيه إذا لم يختلف المعنى ! قال: وليس لأحد أن يعمد أن يكف عن قراءة حرف من القرآن إلا بنسيان ، وهذا في التشهد وفي جميع الذكر أخف؟![٧٢٣] .

وقال البيهقي في سننه ، في الاستدلال على أن التشهد في الصلاة لا يجب أن يكون بصيغة واحدة : ( قال الشافعي فإذا كان الله برأفته بخلقه أنزل كتابه على سبعة أحرف معرفة منه بأن الحفظ قد نزر ليجعل لهم قراءته وإن اختلف لفظهم فيه ، كان ما سوى كتاب الله أولى أن يجوز فيه اختلاف اللفظ ما لم يخل معناه!)[٧٢٤] .

وقال ابن قدامة في المغني : ( فصل، وبأي تشهد تشهد مما صح عن النبي ﷺ جاز ، نص عليه أحمد فقال: تشهد عبد الله أعجب إلي ، وإن تشهد بغيره فهو جائز، لأن النبي ﷺ لما علمه الصحابة مختلفاً دل على جواز الجميع كالقراءات المختلفة التي اشتمل عليها المصحف.

وقال ابن حامد رأيت بعض أصحابنا يقول لو ترك واواً أو حرفاً أعاد الصلاة لقول الأسود : فكنا نتحفظه عن عبدالله كما نتحفظ حروف القرآن، والأول أصح لما ذكرنا .

وقول الأسود يدل على أن الأولى والأحسن الإتيان بلفظه وحروفه ، وهو الذي ذكرنا أنه المختار، وعلى أن عبد الله كان يرخص في إبدال لفظات من القرآن فالتشهد أولى! فقد روي عنه أن إنساناً كان يقرأ عليه إن شجرة الزقوم طعام الأثيم، فيقول طعام اليتيم، فقال له عبدالله: قل طعام الفاجر. فأما ما اجتمعت عليه التشهدات كلها فيتعين الإتيان به. وهذا مذهب الشافعي)[٧٢٥]. انتهى .

---

٧٢٣– كتاب الأم ج ١ ص ١٤٢ .

٧٢٤– سنن البيهقي ج ٢ ص ١٤٥ .

٧٢٥– انظر: المغني ، لابن قدامة ، ج ١ ص ٥٧٥ .

وقال ابن حزم في المحلى : ( والحق من هذا أن النص قد صح بوجوب قراءة أم القرآن فرضاً ، ولا يختلف اثنان من أهل الاسلام في أن هذه القراءات حق كلها مقطوع به مبلغة كلها الى رسول الله ﷺ عن جبريل عليه السلام عن الله عز وجل بنقل الملوان فقد وجب، إذ كلها حق أن يفعل الإنسان في قراءته أي ذلك شاء!)[٧٢٦] انتهى.

وهكذا ذهب إخواننا فقهاء المذاهب الى أن القراء كلهم على حق ولا ذنب لهم ، لأن النبي ﷺ أقرأهم متفاوتاً أو أمضى قراءاتهم المتفاوتة ، والنبي ﷺ أيضاً لا ذنب له ، لأن جبرئيل عليه السلام أبلغه القرآن متفاوتاً وجبرئيل أيضاً لا ذنب له لأن الله تعالى أعطاه القرآن متفاوتاً تعالى الله عن ذلك، وتنزه رسله!.

وسترى أن نظرية التسامح في نص القرآن لم تقف عند حد التفاوت في بعض الحروف والكلمات في الآيات ، بل أخذت مجراها ونموها السرطاني حتى وصلت الى نظرية تعويم نص القرآن وجواز قرائته بالمعنى من دون التقيد بألفاظه؟!.

ولكن مع خطورة هذه الفتاوي وهذه النظريات فإن ضررها والحمد لله بقي محصوراً تقريباً في مصادر إخواننا السنة ، خاصة في تفاسيرهم ، ولم يؤثر تأثيراً كبيراً على القرآن في حياتهم وسلوكهم ، والسبب في ذلك هو فقط تكفل الله تعالى بحفظ كتابه : إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون.

**هـ :- رأي علماء الشيعة :**

رأي أهل البيت عليهم السلام وعلماء الشيعة :

روى الامام الكليني[٧٢٧] في الكافي :

عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن القرآن واحد نزل من عند واحد ، ولكن الاختلاف يجئ من قبل الرواة.. عن الفضيل بن يسار قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام:

إن الناس يقولون : إن القرآن نزل على سبعة أحرف ، فقال : كذبوا أعداء الله ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد![٧٢٨]. انتهى، ويدل قوله عليه السلام (كذبوا أعداء الله) على أنه كان يوجد جماعة يريدون تمييع نص القرآن بهذه المقولة !.

---

٧٢٦- المحلى ، لابن حزم ، ج ٣ ص ٢٥٣ .

٧٢٧- كتاب اصول الكافي ، للامام الكليني ج ٢ ص ٦٣٠ .

٧٢٨- نفس المصدر .

وروى المجلسي في بحار الأنوار حديثاً مطولاً جاء فيه ( عن إسماعيل بن جابر قال سمعت أبا عبدالله جعفر بن مُحَّد الصادق عليه السلام يقول:

إن الله تبارك وتعالى بعث مُحَّداً فختم به الأنبياء فلا نبي بعده ، وأنزل عليه كتاباً فختم به الكتب فلا كتاب بعده ، أحل فيه حلالاً وحرم حراماً ، فحلاله حلال الى يوم القيامة وحرامه حرام الى يوم القيامة ، فيه شرعكم وخبر من قبلكم وبعدكم ، وجعله النبي' علماً باقياً في أوصيائه.

فتركهم الناس وهم الشهداء على أهل كل زمان ، فعدلوا عنهم ثم قتلوهم واتبعوا غيرهم.. ضربوا بعض القرآن ببعض، واحتجوا بالمنسوخ ، وهم يظنون أنه الناسخ ، واحتجوا بالمتشابه وهم يرون أنه المحكم ، واحتجوا بالخاص وهم يقدرون أنه العام ، واحتجوا بأول الآية وتركوا السبب في تأويلها ، ولم ينظروا الى ما يفتح الكلام وإلى ما يختمه ، ولم يعرفوا موارده ومصادره ، إذ لم يأخذوه عن أهله..

ولقد سأل أمير المؤمنين عليه السلام شيعتُه عن مثل هذا فقال: إن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن على سبعة أقسام كل منها شاف كاف ، وهي أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل ومثل وقصص.

وفي القرآن ناسخ ومنسوخ ، ومحكم ومتشابه ، وخاص وعام ، ومقدم ومؤخر ، وعزائم ورخص ، وحلال وحرام ، وفرائض وأحكام، ومنقطع ومعطوف ، ومنقطع غير معطوف ، وحرف مكان حرف ، ومنه ما لفظه خاص ، ومنه ما لفظه عام محتمل العموم ، ومنه ما لفظه واحد ومعناه جمع ، ومنه ما لفظه جمع ومعناه واحد ، ومنه ما لفظه ماض ومعناه مستقبل ، ومنه ما لفظه على الخبر ومعناه حكاية عن قوم أخر .

ومنه ما هو باق محرف عن جهته ، ومنه ما هو على خلاف تنزيله ، ومنه ما تأويله في تنزيله ، ومنه ما تأويله قبل تنزيله ، ومنه ما تأويله بعد تنزيله. ومنه آيات بعضها في سورة وتمامها في سورة أخرى ، ومنه آيات نصفها منسوخ ونصفها متروك على حاله ، ومنه آيات مختلفة اللفظ متفقة المعنى ، ومنه آيات متفقه اللفظ مختلفة المعنى ، ومنه آيات فيها رخصة وإطلاق بعد العزيمة..)[٧٢٩]. انتهى.

وينبغي الإلتفات الى أن الإمام علي عليه السلام استعمل كلمة (أقسام) وترك استعمال كلمة (أحرف أو حروف) حتى لا يفسرها أحد بألفاظ القرآن كما فسروا السبعة أحرف في الحديث المروي عن النبي'؟!.

٧٢٩- سلسلة بحار الأنوار ، للمجلسي ، ج ٩٠ ص ٣ .

وقال الشيخ الطوسي في تفسير التبيان : (.. وروى المخالفون لنا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف ، وفي بعضها: على سبعة أبواب ، وكثرت في ذلك رواياتهم ، ولا معنى للتشاغل بإيرادها ، واختلفوا في تأويل الخبر، فاختار قوم أن معناه على سبعة معان: أمر ، ونهي، ووعد ، ووعيد ، وجدل ، وقصص ، وأمثال.

وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: نزل القرآن على سبعة أحرف: زجر، وأمر ، وحلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه ، وأمثال..

وقال آخرون: أي سبع لغات مختلفة ، مما لا يغير حكماً في تحليل وتحريم.. وكانوا مخيرين في أول الاسلام في أن يقرؤوا بما شاؤوا منها ، ثم أجمعوا على حدها ، فصار ما أجمعوا عليه مانعاً مما أعرضوا عنه. وقال آخرون نزل على سبع لغات..الخ)[٧٣٠]. انتهى.

وقال الامام الشهيد الثاني في مسالك الأفهام : ( ووجه تسمية القراءة بالحرف ما روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال نزل القرآن على سبعة أحرف، وفسرها بعضهم بالقراءات وليس بجيد ، لأن القراءة المتواترة لا تنحصر في السبعة بل ولا في العشرة كما حقق في موضعه، وإنما اقتصروا على السبعة تبعاً لابن مجاهد حيث اقتصر عليها تبركاً بالحديث.

وفي أخبارنا أن السبعة أحرف ليست هي القراءة بل هي أنواع التركيب من الأمر والنهي والقصص وغيرها )[٧٣١]. انتهى.

وقال المحقق البحراني في الحدائق الناضرة : ( ثم اعلم أن العامة قد رووا في أخبارهم أن القرآن قد نزل على سبعة أحرف كلها شاف واف ، وادعوا تواتر ذلك عنه صلى الله عليه وآله وسلم، واختلفوا في معناه الى ما يبلغ أربعين قولاً، أشهرها الحمل على القراءات السبع.

وقد روى الصدوق في كتاب الخصال بإسناده اليهم ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتاني آت من الله عز وجل يقول إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت يارب وسع على أمتي فقال إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف.

---

٧٣٠- تفسير التبيان للامام الطوسي ، ج ١ ص ٧ .

٧٣١- مسالك الأفهام ، للامام الشهيد الثاني ، ج ١ ص ٤٢٩ .

وفي هذا الحديث ما يوافق أخبار العامة المذكورة ، مع أنه قد نفى ذلك في الأحاديث المتقدمة وكذبهم في ما زعموه من التعدد ، فهذا الخبر بظاهره مناف لما دلت عليه تلك الأخبار والحمل على التقية أقرب فيه)[٧٣٢]. انتهى.

وروى المجلسي في بحار الأنوار : عن النبي ﷺ أنه قال ( أتاني آت من الله ، فقال إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت: يا رب وسع على أمتي، فقال إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف) ثم قال :

( بيان ، الخبر ضعيف ومخالف للأخبار الكثيرة كما سيأتي ، وحملوه على القراءات السبعة ، ولا يخفى بعده لحدوثها بعده، وسنشبع القول في ذلك في كتاب القرآن إن شاء الله. ولاريب في أنه يجوز لنا الآن أن نقرأ موافقاً لقراءاتهم المشهورة )[٧٣٣]. انتهى.

وقال المحقق الهمداني في مصباح الفقيه : ( والحق أنه لم يتحقق أن النبي ﷺ قرأ شيئاً من القرآن بكيفيات مختلفة ، بل ثبت خلافه فيما كان الاختلاف في المادة أو الصورة النوعية التي يؤثر تغييرها في انقلاب ماهية الكلام عرفاً ، كما في ضم التاء من أنعمت ، ضرورة أن القرآن واحد نزل من عند الواحد كما نطقت به الأخبار المعتبرة المروية عن أهل بيت الوحي والتنزيل ، مثل ما رواه ثقة الإسلام الكليني بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال :

إن القرآن واحد من عند الواحد ولكن الإختلاف يجئ من قبل الرواة! وعن الفضيل بن يسار في الصحيح قال قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إن الناس يقولون نزل القرآن على سبعة أحرف ، فقال كذبوا أعداء الله، ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد.

ولعل المراد بتكذيبهم تكذيبهم بالنظر الى ما أرادوه من هذا القول مما يوجب تعدد القرآن ، وإلا فالظاهر كون هذه العبارة صادرة عن النبي ﷺ بل قد يدعى تواتره، ولكنهم حرفوها عن موضعها وفسروها بآرائهم ، مع أن في بعض رواياتهم إشارة الى أن المراد بالأحرف أقسامه ومقاصده، فإنهم على ما حكي عنهم رووا عنه أنه قال نزل القرآن على سبعة أحرف: أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل.

٧٣٢- المحقق البحراني ، الحدائق الناضرة ج ٨ ص ٩٩ .

٧٣٣- بحار الأنوار ج ٨٢ ص ٦٥ .

ويؤيده ما روى من طرقنا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: إن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن على سبعة أقسام كل قسم منها كاف شاف ، وهي أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل ومثل وقصص.. فظهر مما ذكرنا أن الاستشهاد بالخبر المزبور لصحة القراءات السبع وتواترها عن النبي صلى الله عليه وآله في غير محله. وكفاك شاهداً لذلك ما قيل من أنه نقل اختلافهم في معناه الى ما يقرب من أربعين قولاً!.

والحاصل : أن دعوى تواتر جميع القراءات السبعة أو العشرة بجميع خصوصياتها عن النبي صلى الله عليه وآله تتضمن مفاسد ومناقضات لا يمكن توجيهها ، وقد تصدى جملة من القدماء والمتأخرين لإيضاح ما فيها من المفاسد بما لا يهمنا الإطالة في إيراده)[٧٣٤]. انتهى.

وقال السيد الخوئي في مستند العروة : (.. هذا وحيث قد جرت القراءة الخارجية على طبق هذه القراءات السبع لكونها معروفة مشهورة ظن بعض الجهلاء أنها المعني بقوله على ما روي عنه، إن القرآن نزل على سبعة أحرف ، وهذا كما ترى غلط فاحش ، فإن أصل الرواية لم تثبت ، وإنما رويت من طريق العامة ، بل هي منحوله مجعولة كما نص الصادق عليه السلام على تكذيبها بقوله: كذبوا أعداء الله نزل على حرف واحد..)[٧٣٥]. انتهى.

وقال السيد الخوئي في البيان في تفسير القرآن بعد إيراد روايات السبعة أحرف ، وعلى هذا فلا بد من طرح الروايات ، لأن الإلتزام بمفادها غير ممكن ، والدليل على ذلك :

أولاً : أن هذا إنما يتم في بعض معاني القرآن ، التي يمكن أن يعبر عنها بألفاظ سبعة متقاربة.

ثانياً : إن كان المراد من هذا الوجه أن النبي صلى الله عليه وآله قد جوز تبديل كلمات القرآن الموجودة بكلمات أخرى تقاربها في المعنى ، ويشهد لهذا بعض الروايات المتقدمة ، فهذا الاحتمال يوجب هدم أساس القرآن ، المعجزة الأبدية ، والحجة على جميع البشر..

وقد قال الله تعالى : ( قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ )[٧٣٦]، وإذا لم يكن للنبي صلى الله عليه وآله أن يبدل القرآن من تلقاء نفسه ، فكيف يجوز ذلك لغيره ؟ .

---

٧٣٤- المحقق الهمداني ، مصباح الفقيه ج ٢ ص ٢٧٤ .

٧٣٥- مستند العروة ، السيد الخوئي ج ١٤ ص ٤٧٤ .

٧٣٦- يونس ١٥ .

وإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علم البراء بن عازب دعاء كان فيه ونبيك الذي أرسلت فقرأ براء: ورسولك الذي أرسلت ، فأمره أن لا يضع الرسول موضع النبي. فإذا كان هذا في الدعاء، فماذا يكون الشأن في القرآن؟..

ثالثاً : أنه صرحت الروايات المتقدمة بأن الحكمة في نزول القرآن على سبعة أحرف هي التوسعة على الأمة ، لأنهم لا يستطيعون القراءة على حرف واحد ، وأن هذا هو الذي دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى الإستزادة الى سبعة أحرف.

وقد رأينا أن اختلاف القراءات أوجب أن يكفر بعض المسلمين بعضاً حتى حصر عثمان القراءة بحرف واحد وأمر بإحراق بقية المصاحف. ويستنتج من ذلك..

أن الاختلاف في القراءة كان نقمةً على الأمة وقد ظهر ذلك في عصر عثمان ، فكيف يصح أن يطلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الله ما فيه فساد الأمة. وكيف يصح على الله أن يجيبه الى ذلك ؟ .

وقد ورد في كثير من الروايات النهي عن الإختلاف، وأن فيه هلاك الأمة، وفي بعضها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تغير وجهه واحمر حين ذكر له الاختلاف في القراءة..

وحاصل ما قدمناه : أن نزول القرآن على سبعة أحرف لا يرجع الى معنى صحيح ، فلا بد من طرح الروايات الدالة عليه ، ولا سيما بعد أن دلت أحاديث الصادقين عليهما السلام على تكذيبها وأن القرآن إنما نزل على حرف واحد ، وأن الاختلاف قد جاء من قبل الرواة[٧٣٧] .

والأولى أن نذكر كلام الجزائري في هذا الموضع ، قال: لم تكن القراءات السبع متميزة عن غيرها حتى قام الإمام أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد . وكان على رأس الثلاثمائة ببغداد . فجمع قراءات سبعة من مشهوري أئمة الحرمين والعراقيين والشام ، وهم :

نافع ، وعبد الله ابن كثير، وأبو عمرو بن العلاء ، وعبدالله بن عامر، وعاصم وحمزة ، وعلي الكسائي. وقد توهم بعض الناس أن القراءات السبعة هي الأحرف السبعة ، وليس الأمر كذلك .

وقد لام كثير من العلماء ابن مجاهد على اختياره عدد السبعة ، لما فيه من الايهام.. قال أحمد ابن عمار المهدوي : لقد فعل مسبّع هذه السبعة ما لا ينبغي له ، وأشكل الأمر على العامة بإيهامه كل من قل نظره أن هذه القراءات هي المذكورة في الخبر، وليته إذ اقتصر نقص عن السبعة أو زاد ليزيل الشبهة .

---

٧٣٧- البيان في تفسير القرآن ، السيد الخوئي ، ص ١٨٠ .

قال أبو شامة : ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث، وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة، وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل[٧٣٨].

وذهب الجمهور من علماء الفريقين الى جواز القراءة بكل واحدة من القراءات السبع في الصلاة ، بل ادعي على ذلك الإجماع في كلمات غير واحد منهم وجوز بعضهم القراءة بكل واحدة من العشر، وقال بعضهم بجواز القراءة بكل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وصح سندها ، ولم يحصرها في عدد معين .

والحق أن الذي تقتضيه القاعدة الأولية ، هو عدم جواز القراءة في الصلاة بكل قراءة لم تثبت القراءة بها من النبي الأكرم ﷺ أو من أحد أوصيائه المعصومين عليهم السلام ، لأن الواجب في الصلاة هو قراءة القرآن فلا يكفي قراءة شئ لم يحرز كونه قرآناً، وقد استقل العقل بوجوب إحراز الفراغ اليقيني بعد العلم باشتغال الذمة.

وأما بالنظر الى ما ثبت قطعياً من تقرير المعصومين عليهم السلام شيعتهم على القراءة ، بأية واحدة من القراءات المعروفة في زمانهم ، فلا شك في كفاية كل واحدة منها ، فقد كانت هذه القراءات معروفة في زمانهم ، ولم يرد عنهم أنهم ردعوا عن بعضها ، ولو ثبت الردع لوصل إلينا بالتواتر، ولا أقل من نقله بالآحاد ، بل ورد عنهم عليهم السلام إمضاء هذه القراءات بقولهم:

إقرؤوا كما يقرأ الناس. إقرؤا كما علمتم. وعلى ذلك فلا معنى لتخصيص الجواز بالقراءات السبع أو العشر، نعم يعتبر في الجواز أن لا تكون القراءة شاذة.. وصفوة القول: أنه تجوز القراءة في الصلاة بكل قراءة كانت متعارفة في زمان أهل البيت عليهم السلام[٧٣٩].

ونلفت هنا الى نكتة نحوية في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام ( كذبوا أعداء الله ) فقد ورد في كثير من الأحاديث والنصوص الفصيحة الجمع بين فاعلين مضمر وظاهر، مما يجعلنا نطمئن الى أنه أسلوب عربي في التأكيد على الفاعل لغرض من الأغراض .

وكذلك تمييز أحد المعطوفات بإعراب آخر لتأكيده كما ورد في القرآن ، وأن هذه القواعد قد فات النحاة استقراؤها من لغة العرب ، كما فاتهم إضافة (بقي) الى أخوات كان مع أنه لا فرق بينها وبينها .

---

٧٣٨- نفس المصدر ، ص ١٦٠ .

٧٣٩- نفس المصدر : ص ١٦٧ .

**و :– رأي أهل السنة الموافق :**

الروايات اهل السنة الموافقة لرأي أهل البيتعليهم السلام : لا أدري لماذا أعرض علماء إخواننا السنة عن هذه الأحاديث مع أن فيها الصحيح ، وأقل ما يقال فيها أنها تصلح لمعارضة الأحاديث التي تفسر السبعة أحرف بالألفاظ ، وقواعدهم عند تعارض الأحاديث الصحيحة مثل قواعدنا.

فعندما يتعارض الحديثان أو المجموعتان من الأحاديث ولا يمكن الجمع بينها ، فإذا وجد مرجح لبعضها رجحناه ، وإلا فإنها جميعاً تتساقط ونتوقف عن الأخذ بأي منها .

وبما أن الجمع بين هاتين المجموعتين غير ممكن، فكيف صح لهم أن يرجحوا الأحاديث التي تفسر الأحرف السبعة بالألفاظ على الأحاديث التي تفسرها بالمعاني ؟! .

مع أن أكبر مرجح للأحاديث التي تفسرها بالمعاني أنها تسد ذريعة التوسع في نص القرآن ، وأنها مضافاً الى صحة أسنادها ذات معنى مفهوم معقول بعكس الأخرى .

روى الحاكم في مستدركه : (.. عن ابن مسعود عن رسول الله' قال نزل الكتاب الأول من باب واحد على حرف واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف: زاجراً وآمراً وحلالاً وحراماً ومحكماً ومتشابهاً وأمثالاً، فأحلوا حلاله وحرموا حرامه وافعلوا ما أمرتم به وانتهوا عما نهيتم عنه واعتبروا بأمثاله واعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه ، وقولوا آمنا به كل من عند ربنا. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)[٧٤٠] .

ورواه السيوطي في الدر المنثور[٧٤١]، عن ابن جرير والحاكم وصححه وأبو نصر السجزي في الابانة عن ابن مسعود عن النبيصلى الله عليه وآله وسلم.. وعن الطبراني عن عمر بن أبي سلمة أن النبيصلى الله عليه وآله وسلم قال لعبد الله بن مسعود.. وإلخ .

وعن ابن الضريس وابن جرير وابن المنذر عن ابن مسعود.. وإلخ. وعن البيهقي في شعب الايمان عن أبي هريرة قال قال رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم: أعربوا القرآن واتبعوا غرائبه وغرائبه فرائضه وحدوده ، فإن القرآن

٧٤٠– مستدرك الحاكم ج ١ ص٥٥٣ . وكذلك في جزء ٢ ص ٢٨٩ .

٧٤١– الدر المنثور للسيوطي : ج ٢ ص ٦ .

نزل على خمسة أوجه حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال، فاعملوا بالحلال واجتنبوا الحرام واتبعوا المحكم وآمنوا بالمتشابه واعتبروا بالأمثال .

وقال السيوطي في الإتقان وهو يعدد الأربعين وجهاً التي توصل اليها علماء اهل السنة في تفسير الأحرف السبعة : ( الحادي عشر: أن المراد سبعة أصناف ، والأحاديث السابقة ترده ، والقائلون به اختلفوا في تعيين السبعة فقيل: أمر ونهي وحلال وحرام ومحكم و متشابه وأمثال ، واحتجوا بما أخرجه الحاكم والبيهقي عن ابن مسعود عن النبيﷺ ، قال :

كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد على حرف واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف : زاجر وآمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه ، وأمثال..)[٧٤٢].

وقصده بالأحاديث السابقة التي ترد هذا الوجه: أحاديث الخليفة عمر التي تنص على أن السبعة أحرف تقصد ألفاظ القرآن لا معانيه! وبهذا يكون السيوطي وقف الى صف الذين أقفلوا باب الحل المعقول لورطة الأحرف السبعة ؟!.

وفي مكان اخر قال السيوطي (السادس عشر: إن المراد بها سبعة علوم: علم الإنشاد والإيجاد، وعلم التوحيد والتنزيه ، وعلم صفات الذات ، وعلم صفات الفعل، وعلم العفو والعذاب، وعلم الحشر والحساب ، وعلم النبوات)[٧٤٣]. ولا بد أنه يرد هذا الوجه أيضاً ، لأن حديث الخليفة ينص على أن المقصود بالسبعة الألفاظ لا المعاني ؟!.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : ( وعن عبد الله يعني ابن مسعود أن النبيﷺ قال أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن.. والخ. رواه البزار وأبو يعلى في الكبير وفي رواية عنده لكل حرف منها بطن وظهر، والطبراني في الأوسط باختصار آخره ورجال أحدهما ثقات.

ورواية البزار عنه محمد بن عجلان عن أبي إسحق قال في آخرها لم يرو محمد بن عجلان عن إبراهيم الهجرى غير هذا الحديث ، قلت ومحمد بن عجلان إنما روى عن أبي إسحق السبيعي فإن كان هو أبو إسحق السبيعي فرجال البزار أيضاً ثقات)[٧٤٤].

---

٧٤٢- الإتقان للسيوطي : ص ١٧٠.

٧٤٣- نفس المصدر ص١٧٢ .

٧٤٤- مجمع الزوائد للهيثمي ج ٧ ص ١٥٢.

## ٦ – آية الرضاع

جاء في الأثر انه قد رُوي عن السيدة أم المؤمنين عائشة ، من أنّها قالت : (كان فيما أُنزل من القرآن: عشر رضعات معلومات يحرمن ، ثم نسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله ﷺ وهنّ ممّا يقرأ من القرآن)[٧٤٥] .

وقد ذهب البعض منهم الى تأويل خبر السيدة أم المؤمنين عائشة هذا ، من أنّه ليس الغرض منه ، هو كان آيةً من كلام الله تعالى، بل الغرض منهُ هو حكم من الأحكام الشرعية التي أوحى بها الله تعالى إلى النبي ﷺ في غير القرآن، وأمر القرآن باتّباعها.

فمعنى قولها: (كان فيما أُنزل من القرآن.. الخ) ، يعتبر حكم من بين الأحكام التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على نبيه الامين ﷺ، وأمرنا باتّباعها في القرآن أن هناك عشر رضعات يحرمن .

فمن هنا نسخ هذا الحكم بخمس رضعات معلومات يحرمن ، وتوفي النبي ﷺ والحكم هذا باقي ولم ينسخ ، فأمّا كونه منزل موحى به ، ذلك لأنّه ﷺ لا ينطق عن الهوى .

وأمّا كوننا مأمورين باتّباع ما جاء به النبي ﷺ من الأحكام ، لأن الله تعالى قال بعبارة قوله : ( وَمَا آتاكُم الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهاكُم عَنْهُ فَانْتَهُوا)[٧٤٦] . ولكن تجد البعض منهم قد حمله ، ممّا نسخت تلاوته وحكمه فأبطلوه ، وهذا الحمل باطلٌ ، وسيأتي بيانه ان شاء الله تعالى في محلهِ .

وتجد ان البعض من الشافعية والحنابلة قد حملوه على نسخ التلاوة، وهذا غير صحيح ، وذلك لأنّ ظاهر الحديث ، أنّ النسخ كان بعد وفاة النبي ﷺ ويعتبر هذا باطلٌ بالإجماع .

وتلاحظ انه قد ترك العمل بهذا الحديث مالك بن أنس مع انه هو الراوي للحديث، وأحمد بن حنبل وأبو ثور وغيرهم.

وهو كما قال الطحاوي والسرخسي وغيرهما، ببطلانه وشذوذه وعدم صحته، وتجد من المتأخرين الأستاذ السايس وتلميذه الأستاذ العريض وعبد الرحمن الجزيري وابن الخطيب وغيرهم[٧٤٧] .

---

٧٤٥- المصنف للصنعاني ٧: ٤٦٧ -٤٧٠ .

٧٤٦- الحشر ٧ .

٧٤٧- الفقه على المذاهب الأربعة ، ٤ ، ص٢٥٨-٢٦٠ .

وهذا الحديث جاء بلفظ (فتوفي رسول الله ﷺ وهنّ ممّا يقرأ من القرآن) ، هذا مما ذكروا، وقد رواه أنس بن مالك عن عبد الله بن أبي بكر قدرُوي عن غيره، من دون هذا اللفظ .

كما قال أبو جعفر النحاس : ( قال بعض أجلّة أصحاب الحديث : قد روى هذا الحديث رجلان جليلان أثبت من عبد الله بن أبي بكر، فلم يذكرا أنّ هذا فيه ، وهما القاسم بن مُحَّد بن أبي بكر ويحيى بن سعيد الأَنصاري)[748].

وقد قال الطحاوي : ( هذا ممّا لا نعلم أحداً رواه كما ذكرنا غير عبد الله بن أبي بكر، وهو عندنا وهمٌ منه )[749].

وتجد انه خلوّ الحديث من هذا اللفظ لا يصحّح من كونها قرآن يُتلى ولا ينفيه، كما قال صاحب المنار :

لو صحّ أنّ ذلك كان قرآناً يتلى لما بقي علمه خاصاً بعائشة ، بل كانت الروايات تكثر فيه ، ويعمل به جماهير الناس ، ويحكم به الخلفاء الراشدون، وكل ذلك لم يكن.. وقال: إنّ ردّ هذه الرواية عن عائشة لأهون من قبولها مع عدم عمل جمهور من السلف والخلف بها[750].

## ٧ – ارضاع الكبير

جاء انه رُوي عن السيدة أم المؤمنين عائشة أنَّها قالت : ( نزلت آية الرجم ورضاع الكبير عشراً ، ولقد كانت في صحيفة تحت سريري ، فلمّا مات رسول الله ﷺ وتشاغلنا بموته دخل داجن فأكلها)[751].

وتلاحظ ان دلالة ظاهرٌ الحديث ، تقول أنّه لم يحفظ القرآن ولم يكتبه غير أم المؤمنين عائشة ، وهذا في غاية البعد والغرابة، فأين باقي الصحابة والحُفّاظ والكتبة، كما قال السرخسي: ( حديث عائشة لا يكاد يصحّ ؛ لأنّ بهذا لا ينعدم حفظه من القلوب ولا يتعذّر عليهم به إثباته في صحيفة أُخرى ، فعرفنا أنّه لا أصل لهذا الحديث)[752].

---

٧٤٨– الناسخ والمنسوخ: ١٠ . ١١.

٧٤٩– مشكل الآثار ٣: ٧ . ٨.

٧٥٠– تفسير المنار ٤: ٤٧٢.

٧٥١– الجامع لأحكام القرآن١٤: ١١٣ .

٧٥٢– أُصول السرخسي ٢: ٧٩.

وأمّا بالنسبة لآية الرجم المذكورة في الحديث، فقد تقدم ، من أنّه لا يصحّ اعتبارها من قرآن ، وذلك كونها من أخبار الآحاد ، وحكم الرجم من السنن الثابتة عن النبي ﷺ.

وتجد ان هذا الحكم أي (رضاع الكبير عشراً) قد انفردت به أم المؤمنين عائشة ، وقد عارضها فيه باقي أزواج النبي ﷺ ولم تأخذ أي واحدة منهنّ بقولها في ذلك .

وكذلك أنكرها بن مسعود على أبي موسى الأشعري حينما قال : (إنّما الرضاعة ما أنبت اللحم والدم). فعاود ورجع أبو موسى عن القول به[٧٥٣].

وهذا ناتج من عدم المعرفة التحليليّة للقرآن وفي مضامينه، والحقيقة لو أردنا التعرّض لمواضيع القرآن واحداً واحداً لكلّفنا أطناناً من الورق. لذلك نعرض الكلّيّات في البداية ثمّ نذكر بعض الجزئيّات .

فقد بحث القرآن مسائل كثيرة ، وتعرّض لبعضها بشيء من التفصيل ، وبحث البعض الآخر بحثاً بإيجاز. ومن المسائل التي وردتْ في القرآن: مسألة العالَم وخالق العالَم. يجب أنْ نلاحظ تعريف القرآن لذات الله : هل أنّه تعريف فلسفي أو عرفاني ؟.

وهل جاء هذا التعريف كما ورد في سائر الكتب الدينيّة مثل التوراة والإنجيل ، أو أنّه يشبه ما في المبادئ الهنديّة ؟. أو أنّ للقرآن أساساً ، أسلوب خاص وطريقة مستقلّة في معرفة الله ؟.

الموضوع الآخر والمعروض في القرآن هو موضوع العالَم . يجب أنْ نلاحظ نظرة القرآن حول العالم : هل يرى العالَم والخِلْقَة عبثاً ولعباً، أو أنّه يرى العالم طبق نظام صحيح ؟.

هل يرى العالَم على أساس مجموعة من السنن والقواعد، أو يحسبه عبثاً ودون قواعد، وكأنّه لا يوجب أي شيء شرطاً لشيء آخر ؟.

ومن المسائل العامّة الواردة في القرآن ، مسألة الإنسان ، يجب علينا أنْ نحلّل رأي القرآن بالنسبة للإنسان : وهل يتحدّث القرآن عن الإنسان مع حسن نيّة ، أو أنّ له نظرة سيّئة تجاه الإنسان ؟. وهل يحقّر الإنسان، أو يعتبر أنّ له عِزّة وكرامة؟ .

---

٧٥٣- جامع بيان العلم ٢: ١٠٥.

المسألة الأخرى هي مسألة المجتمع البشري : هل يرى القرآن للمجتمع الإنساني أصالة وشخصيّة ، أو أنّه يعد للفرد أصالة فقط ؟ وهل للمجتمع في نظر القرآن حياة وموت وارتقاء وانحطاط ، أو أنّ هذه الصفات تعتبر صادقة بالنسبة للفرد فقط ؟ .

وبهذه المناسبة ، يأتي الحديث عن التأريخ : فما هو رأي القرآن بالنسبة إلى التاريخ ؟. وما هي القوى المحرّكة للتأريخ ؟. وإلى أيّ حد يؤثّر الفرد في إيجاد التاريخ ؟. وهناك مواضيع كثيرة جدّاً وردتْ في القرآن ، نُشير إلى بعض منها بإيجاز ، من ضمن هذه المواضيع:

نظرة القرآن حول نفسه : ثمّ موضوع النبيﷺ في القرآن ، وأنّ القرآن كيف يعرّف النبيﷺ ، وكيف يتحدّث معه وغيرها.

الموضوع الآخر هو : وصف المؤمنين في القرآن وصفات المؤمنين وغير ذلك. وبالطبع ، فإنّ لكلّ هذه البحوث الكلّيّة شعب وفروع (مختلفة) ، فمثلاً : عندما نبحث حول الإنسان ، لا بدّ أنْ نبحث عن أخلاقه أيضاً. وعندما نبحث عن المجتمع، فيلزمنا التحدّث عن روابط الأفراد فيه .

وموضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وموضوع الفوارق الاجتماعيّة. كيف يعرّف القرآن نفسه ؟. عندما نبحث عمّا يشتمل عليه القرآن ، من الأحسن أنْ نرى رأي القرآن عن نفسه وكيف يعرّف نفسه؟.

إنّ أوّل نقطة يُصرّح بها القرآن ـ لدى التعريف عن نفسه ـ : أنّ هذه الكلمات والجُمَل هي كلام الله ، ويُصرّح القرآن أنّه ليس من تعبير وإنشاء النبي، بل إنّ النبيﷺ يبيّن ما يُلقى عليه بواسطة روح القدس جبرائيلعليه السلام.

والتوضيح الآخر الذي يعرضه القرآن في تعريف نفسه : هو توضيح رسالته التي هي عبارة عن هداية أبناء البشر، وإرشادهم للخروج من الظلمات إلى النور، (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)[٧٥٤] .

ولا شكّ أنّ الجهل والمجهولات من مصاديق هذه الظلمات ، وأنّ القرآن يُخرج البشر من هذه الظلمات ، ويدخلهم إلى أنوار العلم . ولكن إذا كانت هذه الظلمات تنحصر في المجهولات ، فكان

٧٥٤- ابراهيم ١ .

الفلاسفة أيضاً يتمكّنون من إجراء هذه المهمّة ، إلاّ أنّ هناك ظلمات أخرى أخطر كثيراً من ظلمات الجهل ، ولا يتمكّن العلم من مقاومتها.

ومن هذه الظلمات : حبّ المصلحة الشخصيّة ، وحبّ الذات وهو النفس وغيرها، التي تعتبر ظلمات فرديّة وخُلُقيّة. وتوجد ظلمات اجتماعيّة ، مثل: الظلم والتفرقة وغيرهما .

كما إنّ لفظة (الظلم) مأخوذة من مادة (الظلمة) وتبيّن نوعاً من الظلمة المعنوية والاجتماعيّة، وإنّ القرآن وسائر الكتب السماوية تتعهّد بالنضال من أجل رفع الظلمات، يقول القرآن مخاطباً موسى بن عمران عليه السلام: (أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)[٧٥٥].

هذه الظلمة هي ظلمة ظلم فرعون والفراعنة ، والنور هو نور الحرّيّة والعدالة ، وإنّ النقطة التي لاحظها المفسّرون هي أنّ القرآن يذكر الظلمات دائماً بصيغة الجمع ، ومع الألف واللام ؛ لكي تفيد الاستغراق وتشمل جميع أنواع الظلمات ، في الوقت الذي يذكر النور بصيغة الإفراد ويعني: إنّ الصراط المستقيم طريق واحد لا غير.

إلاّ أنّ طرق الضلال والانحراف متعدّدة ، نقرأ في آية الكرسي مثلاً: ( اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آَمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ).

وبهذا الترتيب يُبيّن القرآن هدفه وهو: تحطيم قيود الجهل والضلال والظلم ، والفساد الخلقي والاجتماعي ، وفي كلمة واحدة: القضاء على الظلمات ، والهداية نحو العدل والخير والنور .

التعرّف على لغة القرآن : الموضوع الآخر هو التعرّف على لغة القرآن وتلاوته قد يتصوّر البعض أنّ الغرض من تلاوة القرآن ينحصر في قراءة القرآن لأجل الثواب ، دون أنْ يدرك شيئاً من معانيه .

وهؤلاء يقرؤون القرآن باستمرار، ولكن إذا سُئلوا مرّة واحدة: إنّكم هل تعرفون معنى ما تقرؤون؟ ، يعجزون عن الإجابة . إنّ قرائة القرآن من هذه الناحية . وهي أنّها مقدّمة لإدراك معاني القرآن . ضروريّة وحسنة ، ولكن ليس فقط لأجل اكتساب الثواب .

٧٥٥- ابراهيم ٥ .

وهناك أيضا خصائص لإدراك معاني القرآن لا بدّ من ملاحظتها. إنّ ما يلزم حصوله للقارئ . وهو يريد الاستفادة من كثير من الكتب . هو مجموعة الأفكار الجديدة التي ليس لها وجود قبل ذلك في الذهن. وإنّ الذي يعمل ويتحرّك هنا هو العقل وقوّة التفكير لدى القارئ ليس غير.

وبالنسبة للقرآن ، فلا ريب بضرورة مطالعته بهدف دراسته وتعلّمه ، يُصرّح القرآن في هذا المجال بقوله : ( كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ )[٧٥٦].

إحدى مسؤوليّات القرآن هي التعليم والتذكير ، ومن هذه الجهة يخاطِب القرآن عَقْلَ الإنسان ويتحدّث معه بالاستدلال والمنطق ، غير أنّ للقرآن لغة أخرى ، والمخاطب فيها ليس العقل ، بل المخاطب هو القلب ، وهذه اللغة الثانية تُسمّى : (الإحساس).

وإنّ الذي يريد أنْ يتعرّف على القرآن ويأنس به ، عليه أنْ يتعرّف على هاتَين اللغتَين ويستفيد منهما معاً ، وأنّ تفكيك هاتَين اللغتَين يؤدّي إلى بروز الخطأ والاشتباه ، ويسبّب الضرر والخسران .

إنّ ما نُسمّيه بالقلب : هو عبارة عن شعور عظيم وعميق جدّاً في باطن الإنسان ، ويسمّونه أحياناً (إحساس الوجود) ، أي إحساس رابطة الإنسان مع الوجود المطلق .

فالذي يعرف لغة القلب ويخاطب الإنسان بها، يُحرّك الإنسان من أعماق وجوده ، وعندئذٍ لا يبقى الفكر الإنساني تحت التأثير فحسب ، بل ويتأثّر كلّ وجوده. وربّما استطعنا أنْ نضرب الموسيقى مثلاً كنموذج عن لغة الإحساس ، فإنّ الأقسام المختلفة للموسيقى تشترك في جهة واحدة ، وهي علامتها مع الإحساسات الإنسانيّة.

تُهيّج الموسيقى روح الإنسان وتغرقها في عالم خاص من الإحساس ، وبالطبع ، فإنّ ضروب الهيجانات والأحاسيس تختلف مع اختلاف أنواع الموسيقى ، فربّما ارتبط أحد أنواع الموسيقى مع الشعور بالفتوّة والشجاعة ، فيتحدّث بهذه اللغة مع الإنسان .

لقد رأيتم الأناشيد والمعزوفات العسكريّة ، تُنْشَد وتُعْزَف في ميادين القتال ، ونرى أحياناً مدى تأثير هذه الأناشيد وقوّتها ، بحيث تجعل الجندي الذي لا يخرج من خندقه خوفَ الأعداء تجعله يتقدّم إلى الأمام بكلّ اندفاع ، ويحارب الأعداء رغم الهجوم الثقيل للعدو.

---

٧٥٦- سورة ص : آية : ٢٩ .

وهناك نوع آخر من الموسيقى يرتبط مع الشهوة و (الشعور الجنسي) ، فيعرّض الإنسان إلى الخمول والانقياد نحو الشهوات ، ويدعوه ليستسلم للفساد.

وقد لوحظ أنّ تأثير الموسيقى كبير في هذا المجال ، وربّما لم يستطع أيّ شيء آخر أنْ يؤثر إلى هذا الحد في القضاء على جدران العفّة والأخلاق ، وبالنسبة إلى سائر الغرائز والأحاسيس أيضاً ، عندما يُقال شيء بلسان هذه الأحاسيس ـ بواسطة لغة الموسيقى أو بأيّ وسيلة أخرى ـ فإنّه يمكن أنْ يُوضع تحت المراقبة والنَظَارة .

إنّ الشعور الديني والفطرة الإلهيّة من أسمى الغرائز والأحاسيس لدى كلّ إنسان ، وإنّ علاقة القرآن مع هذا الإحساس الشريف علاقة أسمى وأعلى ، فقد بُحث كثيراً حول هذا الشعور الديني في شرق العالم وغربه.

وننقل هنا باختصار أقوال بعض العلماء المعروفين في العالم ، والحديث الأوّل لاينشتاين أنّه يتحدّث عن الدين في إحدى مقالاته ويقول: بأنّه يعتقد بأنّ العقيدة والمذهب بصورة عامّة ثلاثة أنواع :

مذهب الأخلاق : وهو الدين الذي يبتني على المصالح الخُلُقيّة. ومن ثمّ يذكر مذهباً آخر ويسمّيه مذهب الوجود: وهذا التعبير هو ما نطلق عليه (القلب).

ويعتقد اينشتاين : أنّ هذا المذهب ـ في الحقيقة ـ يريد أنْ يقول بأنّه تحصل ـ في فترةٍ ما ـ حالةٌ معنويّة وروحيّة للإنسان حيث يخرج فجأة ـ في تلك الحالة ـ من هذه النفس المحدودة والمحاطة بالآمال والأُمنيات الحقيرة ، والمفصولة عن الآخرين ، وهكذا عن عالم الوجود الطبيعي الذي أصبح حصاراً له ، ويتحرّر من هذا السجن ، وعند ذلك يجلس ليراقب كلّ الوجود فيجد الوجود كحقيقة واحدة ، ويرى بوضوح تلك العظمة والشموخ والجلالة لما وراء هذا الموجودات ، ويتذكّر حقارة نفسه ، وعندئذٍ يريد أنْ يرتبط بكلّ الوجود.

إنّ تعبير اينشتاين هذا يذكّرنا بقصّة همّام عندما سأل أمير المؤمنينعليه‌السلام عن صفات المؤمن ، فأجابه الإمام جواباً موجزاً جامعاً، حيث قالعليه‌السلام: ( يا همّام اتّقِ الله وأحسن ، إنّ الله مع الذين اتّقوا والذين هم محسنون) .

ولكنّ همّام لم يقتنع بهذا الجواب ، ويطلب توضيحاً أكثر عن كيفية المعاشرة وطريقة العبادة في الصباح والمساء ، .. والخ ، عندئذٍ يبدأ الإمام عليعليه‌السلام بذكر صفات المؤمن ويرسم حوالي ١٣٠ خطّاً

من خطوط المتّقين ، ويقول ضمن ذلك: ( لولا الآجال التي كتب الله تعالى لهم ، لم تستقرّ أرواحهم في أبدانهم طرفة عين).

هذه هي نفس الحالة التي يشير إليها اينشتاين ، ويقول : إنّ الإنسان المتديّن يرى نفسه مسجوناً فيما يشبه السجن ، وكأنّه يريد أنْ يطير من قفص البدن ويحصل على كلّ الوجود مرّة واحدة .

وقد جائت هذه الحقيقة في كلمات أمير المؤمنينعليه‌السلام بصورة أوضح وأكمل ، فمِن وجهة نظر الإمامعليه‌السلام نرى المؤمن كأنّه جمع كلّ الوجود في بدنه المادّي ، وعلى هذا الأساس يخرّ من قالبه مرّة واحدة ليحرّر روحه. وقد ذكروا في قصّة همّام هذه النقطة وهي أنّه عندما أتمّ الإمامعليه‌السلام كلامه، شهق همّام شهقة وخرج من قالبه (المادّي).

وبمناسبة الشعور المعنوي للبشر، هناك حديث لطيف إلى (إقبال) يقول فيه: لا يوجد في هذا القول لغز ولا سر، وهو إنّ الدعاء بمثابة وسيلة إشراقيّة نفسيّة ، عمل حيوي عادي ، بواسطته تُكتشف الجزيرة الصغيرة لشخصيّة مكانها في قطعة أكبر من العالم.

القرآن بنفسه يوصينا أنْ نقرأه بصوت حسن لطيف، وبهذا النداء السماوي يتحدّث القرآن مع الفطرة الإلهيّة للإنسان ويسخّرها ، (كان الأئمّةعليهم‌السلام يقرؤون القرآن بتلك اللهفة التي ما أنْ يسمعهم المارّة حتّى يضطرّون إلى الوقوف ، والاستماع والتأثير والبكاء).

القرآن عندما يصف نفسه يتحدّث بلسانين :

فتارةً : يعرّف نفسه بأنّه كتاب التفكّر والمنطق والاستدلال.

وتارةً : أخرى بأنّه كتاب الإحساس والعشق.

وبعبارة أخرى فالقرآن ليس - إذاً - للعقل والفكر فحسب ، بل هو غذاء للروح أيضاً. يؤكّد القرآن كثيراً على الموسيقى الخاصّة به ، الموسيقى التي لها تأثير أكثر من كلّ موسيقى أخرى ، في إثارة الأحاسيس العميقة والمتعالية للإنسان.

ويأمر القرآن المؤمنين بأنْ يقضوا بعض أوقات الليل بتلاوة القرآن ، وأنْ يُرَتّلوا القرآن في صلواتهم عندما يتوجّهون إلى الله ، وفي خطابٍ للرسولﷺ يقول : ( يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً)[٧٥٧] .

الترتيل : قراءة القرآن بحيث تخرج الكلمات من الفم بسهولة واستقامة (مفردات الراغب) يعني : قراءة القرآن ، بحيث لا تكون سرعة خروج الكلمات كبيرة ، فلا تُفهم الكلمات ، ولا تكون متقطّعة فتنفصم علاقاتها ، يقول : قراءة القرآن بتأنٍّ في الوقت الذي تلاحظ محتوى الآيات بدقّة.

وفي الآية الأخيرة لتلك السورة يدعونا أنْ لا ننسى العبادة في حال من الأحوال اليوميّة ، وحتّى في الأوقات التي نحتاج لنوم أكثر، مثل أوقات الجهاد أو الأعمال التجاريّة اليوميّة: قال تعالى:

( عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآَخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآَخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً )[٧٥٨] .

الشيء الوحيد الذي كان سبباً للنشاط واكتساب القوّة الروحيّة والحصول على الخلوص وصفاء الباطن بين المسلمين ، هو موسيقى القرآن.

فالنداء السماوي للقرآن أوجد في مدّة قصيرة من المتوحّشين (الجاهلين) ، في شبه الجزيرة العربيّة شعباً مؤمناً مستقيماً، استطاعوا أنْ يحاربوا أكبر القوى الموجودة في ذلك العصر ويقضوا عليها.

فالمسلمون لم يتّخذوا القرآن كتاب درس وتعليم فحسب ، بل كانوا ينظرون إليه بمثابة غذاء للروح ومنبع لاكتساب القوّة وازدياد الإيمان. فكانوا يقرؤون القرآن بكل إخلاص في الليل يشير الإمام السجادعليه السلام إلى هذه النقطة بقوله في دعاء ختم القرآن :

---

٧٥٧- المزمل ١ — ٣ .

٧٥٨- المزمل ٢٠ .

( واجعل القرآن لنا في ظلم الليالي مؤنساً ) ، ويناجون ربّهم تضرّعاً وخفية ، وفي الصباح يهاجمون الأعداء كالأسود البواسل ، والقرآن ينتظر مثل ذلك منهم ، يقول مخاطباً النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ( فَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً )[٧٥٩] .

قف في وجوههم وجاهدهم بسلاح القرآن واطمئن بالنصر؟.

وقصّة حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم توضّح صدْق هذه الحقيقة ، إنّه يقوم وحيداً ودون أي ناصر، في حين يحمل القرآن في يده ، ولكنّ هذا القرآن يصبح كلّ شيء له ، يجهّز له الجيوش ، ويَعدّ له الأسلحة والتجهيزات الحربيّة ، وأخيرا فإنّه يدعو العدوّ إلى الاستسلام والخضوع أمامه.

يدعو الأعداء ليستسلموا أمام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وبهذا يصادق على الوعد الإلهي. عندما يعتبر القرآنُ لغتَه لغة القلب ، فإنّ غرضاً من هذا القلب هو الذي ينسجم مع آيات الله ويتصفا ويثور.

تختلف أيضاً عن لغة الأنغام والأناشيد العسكريّة ، التي تُعزف في الجيش لتحيّي فيهم الحماسة البطوليّة. إنّها تلك اللغة التي تصنع من البدويّين العرب مجاهدين قيل في حقِّهم: (حملوا بصائرهم على أسيافهم) أولئك الذين وضعوا أفكارهم النَيّرة ومعارفهم ومعنويّاتهم على سيوفهم ، ويستخدمون سيوفهم في طريق هذه الأفكار والعقائد. إنّهم لم يهتمّوا بمصالحهم الشخصيّة وأمورهم الفرديّة.

وبالرغم من أنّهم لم يكونوا معصومين ، بل ويخطئون أيضاً، إلاّ أنّهم المصاديق الحقيقيّة للقائمين في الليل ، والصائمين في النهار (قائم الليل وصائم النهار)، كانوا في علاقة مستمرّة مع أعماق الوجود، تقضي لياليهم في العبادة وأيّامهم في الجهاد ويصف أمير المؤمنين عليه السلام المتّقين في خطبة تُعرف باسم المتّقين، وبعد أنْ يذكر أقوالهم ومعاملاتهم، يشرح أحوالهم في الليل ويقول :

( أمّا الليل فصافّون أقدامهم تالِين لأجزاء القرآن، يرتّلونها ترتيلاً، يُحزِنون به أنفسهم، ويستشرون به دواء دائهم ، فإذا مرّوا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طعماً، وتطلّعتْ نفوسهم إليها شوقاً، وظنّوا أنّها نُصْب أعينهم ، وإذا مرّوا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم ، وظنّوا أنّ زفير جهنّم وشهيقها في أصول آذانهم )[٧٦٠] .

---

٧٥٩- الفرقان ٥٢ .

٧٦٠- خطبة ١٩٣ من نهج البلاغة .

يؤكّد القرآن كثيراً على هذه النقطة التي تعتبر من خصائصه ، وهي أنّه كتاب القلب والروح ، كتاب يُثير النفوس ويسيل الدموع ويهزّ القلوب ، ويعتبر القرآنُ هذه الميزة صادقة حتّى بالنسبة لأهل الكتاب. يصف مجموعة منهم بأنّهم إذا تُلي عليهم القرآن تحصل لهم حالة خضوع وخشوع ، ويقولون أنّهم آمنوا بما في الكتاب ، وأنّه حقٌّ كلّه ، يقولون ذلك وتزداد حالتهم خشوعاً باستمرار.

ويؤكّد في آية أخرى أنّ المسيحيّين من أهل الكتاب، أقرب إلى المسلمين من اليهود والمشركين ، كما في تعالى : ( لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى)[٧٦١] .

ثمّ يصِف القرآن جماعة من المسيحيّين الذين آمنوا بعد أنْ سمعوا القرآن بقوله: ( وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ)[٧٦٢] .

وفي مكان آخر ، وعندما يتحدّث عن المؤمنين ، يقول في وصْفهم: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ)[٧٦٣] .

في هذه الآيات وفي آيات أخرى كثيرة: (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً)[٧٦٤] ، والآيات الأولى من سورة الصف ، يوضّح القرآن أنّه ليس كتاباً علميّاً وتحليليّاً محضاً ، بل إنّه في الوقت الذي يستخدم الاستدلال المنطقي ، يتحدّث مع إحساس الإنسان وذوقه ولطائف روحه ويؤثّر عليه .

---

٧٦١- المائدة ٨٢ .

٧٦٢- المائدة ٨٣ .

٧٦٣- الزمر ٢٣ .

٧٦٤- مريم ٥٨ .

## ٨ – الذين يصلون في الصف الأول

جاء في الأثر انه روي عن حميدة بنت أبي يونس ، قالت : قرأ عليّ أبي ، وهو ابن ثمانين سنة ، في مصحف عائشة :

إنّ الله وملائكته يصلّون على النبيّ يا أيُّها الذين آمنوا صلوا عليه وسلّموا تسليماً وعلى الذين يصلون في الصفوف الأولى. قالت: قبل أن يغيّر عثمان المصاحف[٧٦٥].

تلاحظ ظاهر الحديث أنّه من خبر الآحاد التي لا يثبت بها قرآن ، وإلاّ كيف فات هذا عن باقي الصحابة وكُتّاب الوحي منهم وحُفّاظه وجُمّاعه، وقد اختصت فقط السيدة عائشة به من دون الباقين .

فلو صحّ هذا الحديث عن النبي ﷺ واعتقدت السيدة عائشة كونها اية من القرآن وكتبتها، من حيثُ رواية البراء بن عازب حينما قال: ( قال رسول الله ﷺ: إنّ الله وملائكته يصلون على الصفوف الأوّل)[٧٦٦].

وتلاحظ مثلهِ كذلك ما روي عن السيدة أم المؤمنين عائشة من أنّها قالت: ( قال رسول الله ﷺ: إنّ الله وملائكته يصلّون على الذين يَصِلُون الصفوف)[٧٦٧].

ولعلّ ممّا كُتب في حاشية المصاحف السابقة ، وذلك لانهم كانوا يسجّلون ما يرون له أهميةً وشأن في حاشية مصاحفهم الخاصّة .

ففطرة القرآن عن العقل فقد ذكرنا مسبقاً موجَزاً عن أَلْسِنَة القرآن، وذكرنا أنّ القرآن استعان بلسانَين لإبلاغ رسالته وهما : الاستدلال المنطقي ، والإحساس . ولكلّ هذين اللسانَين مخاطب خاص به ، فمخاطب الأوّل العقل ، ومخاطب الثاني القلب .

وهنا نريد أنْ نبحث عن وجهة نظر القرآن حول العقل. يجب أنْ نرى أنّ العقل سند من وجهة نظر القرآن أمْ لا ؟ وبتعبير علماء الفقه والأصول هل العقل حجّة أَمْ لا ؟ .

---

٧٦٥- الإتقان ٣: ٨٢.

٧٦٦- المصنف لعبد الرزاق ٢: ٤٨٤.

٧٦٧- المستدرك ١: ٢١٤.

وهذا يعني أنّه إذا حصلنا على حكم واقعي صحيح من العقل، هل يجب على البشر أنْ تحترم هذا الحكم ويعمل وفقاً له أم لا ؟ ، وإذا عمل بناء عليه ، وارتكب الخطأ في بعض الموارد ، هل يعذره الله ، أم يعاقبه عليه ؟. ولو لم يعمل هل يجازيه الله على أساس أنّه لم يتبع حكم عقله ، أَمْ لا ؟.

دلائل حجِّيَّة العقل : إنّ موضوع حجِّيَّة العقل من وجهة نظر الإسلام ثابت في مقامه، ولم يتردّد علماء الإسلام من الابتداء إلى الآن . باستثناء قليل منهم . في سَنَدِيَّة العقل، واعتبروه أحد المصادر الأربعة (الأصليّة) في الفقه وهي (الكتاب والسنة والاجماع والعقل).

**أ :. التعقّل من قِبل القرآن :**

الدعوة إلى التعقّل من قِبل القرآن : بما أنّنا نبحث حول القرآن ، علينا أنْ نستخرج دلائل حجِّيّة العقل من القرآن نفسه .

لقد صادق القرآن من جهات مختلفة وأكد . خاصّة على الجهات المختلفة . على حجِّيّة العقل . وقد أشير إلى مورد واحد فقط من ستّين إلى سبعين آية من القرآن إلى هذه المسألة ، وهي : إنّنا عرضنا هذا الموضوع لتعقلوا (ويتدبّروا) فيه .

وعلى سبيل المثال أذكر نموذجاً لإحدى التعابير العجيبة للقرآن ، يقول القرآن : ( إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ )[٧٦٨] .

وأوضح أنّ غرض القرآن من الصمّ والبكم ليس الصمّ والبكم العضوي ، بل الغرض منهما هم الأشخاص الذين لا يريدون أنْ يستمعوا الحقيقة ، أو أنّهم يسمعونها ولا يعترفون بألسنتهم .

فالأُذن التي تعجز عن سماع الحقائق وتستعد فقط لسماع المهملات والأراجيف، إنّ هذه الأذن صمّاء من وجهة نظر القرآن. واللسان الذي يستخدم فقط في بثّ الأراجيف ، يعتبر لساناً أَبْكَمَاً حسب رأي القرآن. ( لا يعقلون ) : هم الذين لا ينتفعون من أفكارهم ، يعتبر القرآن مثل هؤلاء الأشخاص الذين لا يحقّ أن يطلق عليهم اسم (الإنسان) بالحيوانات ، ويخاطبهم بالبهائم .

وفي آية أخرى ، يبحث ضمن عرض مسألة توحيديّة ، حول (التوحيد الأفعالي والتوحيد الفاعلي) ، بقوله تعالى : ( وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ)[٧٦٩] .

---

٧٦٨- الانفال ٢٢ .

وبعد عرض هذه المسألة الغامضة التي لا يستطيع كلُّ عقل أنْ يدركها ويتحمّلها ، وأنّها تهزّ الإنسان حقيقة ، تقول الآية : ( وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ ... تتمّة نفس الآية السابقة ) .

في هاتَين الآيتَين اللَتين ذكرتهما بعنوان المثال ، يدعو القرآن إلى التعقّل بالدلالة المطابقيّة كما في اصطلاح المنطقيّين. وهناك آيات كثيرة أخرى يصادق القرآن على حجّيَّة العقل فيها بالدلالة الالتزاميّة. إذا دلّ وجود أمر على أمر آخر، تُطلق عليه اسم الدلالة. وللدلالة أنواع :

الدلالة المطابقيّة : أي أنْ يدلّ اللفظ على تمام معناه ، مثل أنْ نقول: سيّارة ، ونقصد جميع أجزائها .

الدلالة التضمّنيّة : أي أنْ يدلّ اللفظ على جزء من معناه ، مثل أنْ نقول: هنا توجد السيارة ، ونفهم منها أنّ ماكنة السيّارة موجودة أيضاً.

الدلالة الالتزاميّة : حيث يدلّ اللفظ فيها على موضوع غير معناه (الظاهري) مثل : أنْ نسمع اسم (حاتم) ويخطر على بالنا (الجود والسخاء).

وبعبارة أخرى : يقول أقوالاً لا يمكن أبداً قبولها ، إلاّ بعد قبول حجّيَّة العقل ، مثلاً يطلب من الخصم استدلالاً عقليّاً : (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ)[770]. يريد أنْ يوضّح بالدلالة الالتزاميّة هذه الحقيقة ، وهي:

أنّ العقل حجّة وسند ، أو أنّه يرتّب قياساً منطقيّاً لإثبات وحدة واجب الوجود ، بقوله : ( لَوْ كَانَ فِيهِمَا آَلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا )[771]، هنا يُرتِّب القرآن قضيّة شرطيّة ، يستثني فيها المقدّم ولا يذكر التالي.

وقع كلّ هذا التأكيد على العقل ، يريد القرآن أنْ يبطل ادّعاء بعض الأديان التي تقول بأنّ الإيمان أجنبي عن العقل ، ولا بدّ لِمَن يريد الإيمان أنْ يعطّل فكره ويشغل قلبه فقط ؛ لكي ينفذ فيه نور الله .

---

٧٦٩- يونس ١٠٠ .

٧٧٠- البقرة ١١١ .

٧٧١- الانبياء ٢٢ .

**ب :. نظام العلّة والمعلول :**

الاستفادة من نظام العلّة والمعلول : الدليل الآخر الذي يثبت أنّ القرآن يعتقد بأصالة العقل هو أنّه يذكر المسائل في علاقاتها العلِّيَّة والمعلوليّة . إنّ علاقة العلّة والمعلول وأصل العلِّيَّة أساس للتفكّرات العقليّة ، والقرآن يحترمها ويستعملها .

وبالرغم من أنّ القرآن يتكلّم باسم الله ، والله هو الخالق لنظام العلّة والمعلول، وبالطبع فإنّ الحديث يدور حول ما وراء الطبيعة، ويعتبر نظام العلّة دونها، بالرغم من كلّ ذلك لا ينسى القرآن هذا الموضوع ، وهو أنْ يذكر شيئاً عن نظام السبب والمسبَّب في العالَم، ويعتبر الحوادث والوقائع مقهورة لهذا النظام .

وعلى سبيل المثال لا حظوا هذه الآية التي تقول : (إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ )[٧٧٢]، يريد أنْ يقول بأنّه :

لا شكّ أنّ كلّ المصائر بإرادة الله ، ولكنّ الله لم يفرض المصير على البشر من ما وراء اختيار البشر وإرادتهم وأعمالهم ، ولا يعمل عملاً عبثاً، بل إنّ للمصائر نظاماً أيضاً ، وإنّ الله لا يُغيِّر مصير أيّ مجتمع عبثاً ، وبدون وجه ، إلاّ أنْ يُغيِّروا بأنفسهم فيما يرتبط بهم ، مثل الأنظمة الأخلاقيّة والاجتماعيّة وكل ما يتعلّق بواجباتهم الفرديّة.

ومن طرف آخر يرغّب القرآنُ المسلمين بمطالعة أحوال وأخبار الأمم السالفة ؛ لكي يعتبروا منها . وطبيعي أنّه لو كانت قصص الأقوام والأمم والأنظمة على أساس عبث أو كانت مصادفة ، ولو كانت المصائر تُفرض من الأعلى إلى الأسفل ، فلم يكن هناك معنى للمطالعة وأخذ العبرة.

يريد القرآن بهذا التأكيد أنْ يذكر بأنّ هناك أنظمة موحّدة تحكم مصائر الأمم ، وبهذا الترتيب لو تشابهتْ ظروف مجتمعٍ ما مع ظروف مجتمع آخر، فإنّ مصير ذلك المجتمع يكون في انتظار المجتمع الآخر.

يقول في آية أخرى : ( فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ.. * ..يَسْمَعُونَ بِهَا )[٧٧٣]. إنّ قبول الأنظمة بالدلالة الإلتزاميّة ، في كلّ هذه المواضيع ، يؤيّد نظام العلِّيَّة وقبول العلاقة العلِّيَّة يعني قبول حجِّيَّة العقل .

---

٧٧٢- الرعد ١١ .

٧٧٣- الحج ٤٥ – ٤٦ .

### ج :. فلسفة الأحكام :

من الدلائل الأخرى لحجِّيَّة العقل ـ من وجهة نظر القرآن ـ هو أنّ القرآن يذكر فلسفة للأحكام والقوانين ، ويعني هذا الأمر: أنّ الحكم الصادر معلول لهذه المصلحة. يقول علماء الأصول :

بأنّ المصالح والمفاسد تقع في مجموعة علل الأحكام ، مثلاً يقول القرآن في آية : (أَقِيمُوا الصَّلاَةَ..) ، وفي آية أخرى يذكر فلسفتها: (..الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ..)[٧٧٤]. يذكر الأثر الروحي للصلاة ، وأنّها كيف ترفع الإنسان ، وبسبب هذا الاعتلاء ينزجر الإنسان وينصرف عن الفواحش والآثام .

وعندما يذكر القرآن الصوم ويأمر به ، يُتْبع ذلك بقوله : ( كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ.. لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ )[٧٧٥]. وهكذا في سائر الأحكام ، مثل : الزكاة ، والجهاد ،.. والخ ، حيث يوضّح في كلٍّ منها من الناحيتَين الفرديّة والاجتماعيّة .

وبهذا الترتيب : فإنّ القرآن يمنح الأحكام السماويّة جانباً دنيويّاً وأرضيّاً ، بالرغم من أنّها ما ورائيّة (ما وراء الطبيعة) ، ويطلب من الإنسان أنْ يتدبّر فيها ليتّضح له واقع الأمر، ولا يتصوّر أنّ هذه الأحكام مجرّد مجموعة من رموز تفوق فكر الإنسان .

### د :. انحرافات العقل :

النضال مع انحرافات العقل : والدليل الآخر الذي يدلّ على أصالة العقل لدى القرآن ـ وأوضح من الدلائل السابقة ـ هو نضال القرآن مع أعداء العقل. لتوضيح هذا الموضوع لا بدّ من ذكر مقدّمة :

يتعرّض فكر الإنسان وعقله إلى الخطأ في كثير من الموارد ـ هذا الموضوع شائع ورائج عندنا جميعاً ـ ولا ينحصر ذلك بالعقل ، بل إنّ الحواس والأحاسيس ترتكب الخطأ أيضاً ، فمثلاً ذكروا عشرات الأخطاء لحاسّة البصر .

وبالنسبة للعقل ، ففي كثير من الأحيان يرتب الإنسان استدلالاً ، ويحصل على نتيجة بناءً عليه ، وبعد ذلك يرى أحياناً أنّ الاستدلال كان خطأ من الأساس. وهنا يطرح هذا السؤال نفسه : هل يجب تعطيل القوّة الفكريّة بسبب بعض الأعمال الخاطئة للعقل ؟.

---

٧٧٤- العنكبوت ٤٥ .

٧٧٥- البقرة ١٨٣ .

وفي جواب هذا السؤال : كان السفسطائيّون يقولون بعدم جواز الاعتماد على العقل ، وأنّ الاستدلال أساساً على عبث. وفي هذا المجال: ردّ الفلاسفة على أهل السفسطة ردوداً قويّة ، ومن ضمنها :

أنّ سائر الحواس أيضاً تُخطئ مثل العقل ، ولكنّ أحداً لم يحكم بعدم الاستفادة منها. وبما أنّ ترك العقل غير ممكن ؛ لذلك اضطرّ المتفكّرون أنْ يعزموا على إيجاد حل لسدّ طرق الخطأ .

وفي البحث حول هذا الموضوع لاحظوا أنّ كلّ استدلال ينقسم إلى قسمين : المادّة والصورة ، تماماً مثل بناء استُخدم فيه مواد البناء ، كالإسمنت والحديد والجص (المادّة) وأتّخذ في النهاية شكلاً خاصّاً (الصورة) ، ولكي يكون البناء محكماً جيّداً من كلّ النواحي، لا بدّ من استخدام مواد مناسبة في بنائه ، ولا بدّ أنْ تكون خارطته صحيحة دون نقص.

وفي الاستدلال أيضاً لا بدّ أنْ تكون مادّته وصورته صحيحتَين. وللبحث والتحقيق حول صورة الاستدلال ، وُجد المنطق الأرسطي أو المنطق الصوري .

وكان واجب المنطق الصوري أنْ يعيّن صحّة أو عدم صحّة صورة الاستدلال ، وأنْ يساعد العقل؛ كي لا يتعرّض للخطأ في صورة الاستدلال (من الأخطاء التي تعرّض لها العلم منذ عدّة قرون ، وأصبح منشأ فهم خاطئ للكثير ، هو تصوّر البعض بأنّ وظيفة منطق أرسطو هي تعيين صحّة أو عدم صحّة مادّة الاستدلال أيضاً ، وبما أنّ منطق أرسطو لم يستطع ذلك ، حكموا بعدم فائدة اللجوء إليه .

ومع الأسف ، فإنّ هذا الخطأ يتكرّر كثيراً في عصرنا أيضاً ، ولا شكّ أنّ هذا الأمر دليل على أنّ هؤلاء ليس لهم معرفة صحيحة عن المنطق الأرسطي ولم يفهموه .

وإذا أردنا أنْ نستفيد من نفس مثال المبنى ، فعلينا أنْ نقول : بأنّ وظيفة منطق أرسطو في تعيين صحّة الاستدلال ، تشبه تماماً الشاقول في تعيين استقامة الجدار ، بالاستعانة بالشاقول لا يمكن معرفة مواد البناء المستخدمة في الجدران هل أنّها من نوع ممتاز أَمْ لا ؟ .

فمنطق أرسطو الذي تكامل أخيراً بواسطة سائر العلماء وأصبح غنيّاً جدّاً، يحكم فقط في صورة الاستدلال ، وأمّا بالنسبة لمادّة الاستدلال، فإنّه ساكت نَفْياً وإثْباتاً، ولا يستطيع أنْ يقول شيئاً .

ولكنّ الأمر الهام هو : عدم كفاية المنطق الصوري في تضمين صحّة الاستدلال ، يستطيع هذا المنطق تضمين جهة واحدة فقط ، ولحصول الاطمئنان في صحّة مادّة الاستدلال ، علينا أنْ نستخدم المنطق المادّي أيضاً ، أي إنّنا نحتاج إلى معيار نقيس بمعونته كيفيّة المواد الفكريّة .

حاول علماء مثل (بيكن) و (ديكارت) أنْ يؤسِّسوا منطقاً لمادّة الاستدلال يشبه المنطق الذي وضعه أرسطو لصورة الاستدلال ، واستطاعوا أنْ يعينوا بعض المعايير في هذا المجال إلى حدٍّ ما ، لو أنّها لم تكن مثل منطق أرسطو من الناحية الكلِّيَّة .

ولكنّها استطاعتْ أنْ تساعد الإنسان ـ إلى حدٍّ ما ـ لمنعه من الخطأ في الاستدلال ، غير إنّكم ربّما تعجَّبْتُم إذا علمتم أنّ القرآن عرض أموراً لمنع الخطأ في الاستدلال لها فضل التقدّم وتقدّم الفضل على تحقيقات أمثال (ديكارت).

## ٩ – عدد حروف الكتاب

فقد أخرج الطبراني عن الخليفة عمر بن الخطاب انه قال : ( القرآن ألف ألف وسبعة وعشرون ألف حرف)[٧٧٦] .

بينما تلاحظ ان القرآن اليوم الذي هو بين أيدينا لا يبلغ ثلث هذا المقدار، كما قال الذهبي : (تفرّد محمّد بن عبيد بهذا الخبر الباطل)[٧٧٧] .

هذا فضلاً عن الاختلاف في حديث عدد الحروف ، وهو كما روي ألف ألف وواحد وعشرون ألفاً ومئة وخمسون حرفاً، وقيل: غيره، الأمر الذي ضعف الثقة بصحة الصدور .

وفي حالة صحّة ذلك الحديث، لعلّه من الوحي الذي ليس بقرآن كالحديث القدسي؛ وانت قد لاحظت في أدلّة نفي التحريف والتحرّي في ثبت آيات القرآن أن يحمل بعض الصحابة السيف لحذف حرف واحد منه.

فكيف الكلام بحذف ثلثاه ، ولم نجد أي معارض منهم، ولا مطالب بتدوين ما بقي من ثلثيه ؟.

---

٧٧٦- الإتقان ١: ٢٤٢.

٧٧٧- ميزان الاعتدال ٣: ٦٣٩.

ومع وجود عدد كثير من الصحابة ممّن هم جمعوا القرآن كلّه أو بعضه في عهد النبي ﷺ حفظاً في الصدور، أو تدويناً في القراطيس، فقد كانت القراطيس شاهد على ما في الصدور، والصدور بدورها شاهدة على ما في القراطيس، فكيف ضاع ثلثاه .

وتلاحظ ان الكثير ممّا أدّعي ، أنّه من القرآن، يعتبر هو مخالف لقواعد اللغة وأُسلوب القرآن وبلاغته ، ممّا دل على أنّه ليس بكلامه .

ومن أراد الاطلاع[٧٧٨] أكثر على الأحاديث النبوية ، أو من السُنّة والأحكام التي ظنّوها قرآناً ، كما روي أنّ قول النبيﷺ : (الولد للفراش وللعاهر الحجر) . هو آية ولا يشكّ أحدٌ في أنّه حديث ، ولاحظ أنّ أغلبه قد روي بألفاظ متعدّدة وتعابير مختلفة ، فلو كان من القرآن لتوحّدت ألفاظه.

**ثانياً : منع الحديث**

اذاً لماذا منع الخلفاء الثلاثة ابو بكر وعمر وعثمان تدوين الحديث النبوي الشريف؟ أليس القران يقول في الآية الثالثة والرابعة من سورة النجم عبارة قوله: (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى).

كما روى أبو داود فقال : ..عن عبد الله بن عمرو قال : كنت أكتب كل شئ أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه ، فنهتني قريش وقالوا: أتكتب كل شئ تسمعه، ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتاب .

فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ بإصبعه الى فيه فقالﷺ: أكتب، فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق[٧٧٩] .

وتجد مثله روى عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال قلت يا رسول الله ﷺ إني أسمع منك أشياء أفاكتبها ؟ قال : نعم. قلت : في الغضب والرضا؟ قال نعم فإني لا أقول فيهما إلا حقاً[٧٨٠] .

وتلاحظ انه ضرورة معرفة القرآن لكلّ شخص بعنوان أنّه إنسان عالم ، ولكلّ مؤمن على أساس أنّه فرد مؤمن ، أمر واجب وضروري.

---

٧٧٨- كما في مقدمة تفسير آلاء الرحمن ، للشيخ البلاغي .

٧٧٩- سنن ابو داود ج٢ ص١٧٦ ، ورواه الامام أحمد في مسنده ج٢ ص١٩٢ بتفاوت يسير.

٧٨٠- مسند الامام احمد ج٢ ص٢١٥.

أمّا بالنسبة للعالم الخبير بشؤون الناس والمجتمع ، فمعرفة القرآن ضروريّة ؛ لأنّ هذا الكتاب عامل مؤثّر في تكوين مصير المجتمعات الإسلاميّة ، بل وفي تكوين المجتمعات البشريّة .

ونظرة إلى التاريخ توضّح لنا هذه النقطة ، وهي أنّه لا يوجد كتاب في التأريخ أثر كالقرآن في حياة الإنسان ، وفي تكوين المجتمعات البشريّة وأمّا : في أيّ اتجاه كان هذا التأثير ؟.

وهل حوّل مسيرة التأريخ إلى جهة السعادة ورفاهيّة البشريّة ، أمْ إلى جهة الانحطاط والنقص ؟. وهل كان بسبب تأثير هذا القرآن ، أن وجدت حركة وثورة في التأريخ ، وجرى دم جديد في عروق المجتمعات البشريّة ، أَمْ بالعكس ؟.

إنّه موضوع خارج عن نطاق بحثنا هذا ، فإنّ القرآن يدخل ضمن مبحث علم الاجتماع ، وضمن المواضيع التي يهتمّ بها هذا العلم . ومعنى كلامنا: أنّ البحث والتحقيق حول تأريخ العالم خلال (١٤ قرناً ) بصورة عامّة ، ومعرفة المجتمعات الإسلاميّة بصورة خاصّة ، بدون معرفة القرآن ، أمر محال .

وأمّا ضرورة معرفة القرآن لكلّ مسلم مؤمن؛ فإنّها تأتي لكون القرآن المنبع الأصلي والأساسي للدين والإيمان وتفكّر كل مسلم ، ولأنّه (القرآن) يَهَبُ الحياة حرارةً وروحاً وحرمةً ومعنىً .

والقرآن مثل بعض الكتب الدينيّة التي تعرض مجموعة من المسائل الغامضة حول الله والخِلْقة والكون ، أو تعرض - على الأكثر - مجموعة من النصائح الخُلُقيّة العاديّة ولا غير؛ حتّى يضطرّ المؤمنون إلى أخذ أفكارهم ومعتقداتهم ومفاهيم حياتهم من منابع أخرى .

القرآن عَرَضَ ووضّح أصول العقائد والأفكار التي يحتاج إليها الإنسان ، على أساس أنّه موجود مؤمن وصاحب عقيدة. وهكذا بيّن القرآن الأصول التربويّة والخلقيّة والأنظمة الاجتماعيّة والروابط الأُسَرِيَّة ، إلاّ أنّه يبقى التفصيل والتفسير، وأحيانا الاجتهاد ، وتطبيق الأصول على الفروع ، فذلك موكول إلى السُنّة أو الاجتهاد (استنباط الأحكام).

ولذا تتوقّف الاستفادة من أيّ منبع آخر على معرفة القرآن مقدّماً. القرآن مقياس ومعيار للمنابع الأخرى ، وعلينا أنْ نطبّق الحديث والسُنّة مع المعايير القرآنيّة ، فلو تطابقتْ معها قبلناها ، ولو لم تطابقها رفضناها. وأمّا أكثر المنابع اعتباراً وتقديساً عند الشيعة الامامية بعد القرآن ، هي:

الكتب الأربعة في الحديث : ( الكافي ، مَن لا يحضره الفقيه ، التهذيب ، والاستبصار ) .

وفي الخطب : نهج البلاغة .

وفي الأدعية : الصحيفة السجّاديّة .

وكلّ هذه المنابع متفرّعة من القرآن ، ولكن لا يقطع بها الشيعة كما نقطع بالقرآن ، أي إنّ حديث كتاب الكافي: نستطيع أنْ نأخذ به ونستدلّ عليه عندما نطبّقه مع القرآن ، ولا بدّ أنْ يتطابق معه ومع تعاليمه ولا يختلف معه شيئاً .

كان الرسول الأعظم والأئمّة الأطهار عليهم السلام يقولون . بما معناه . : اعرضوا أحاديثنا على القرآن ، فإنْ لم تنطبق معه فأعلموا أنّها مزوّرة مجعولة ، نحن لا نقول خلافاً للقرآن وتجد هناك من الشبهات حول أحاديث منع الكتابة وإجازة الكتابة والجمع بينها وهي كما يلي :

**أ – احاديث إباحة الكتابة**

كما جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : كنت اكتب كل شيء اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أريد حفظه، فنهتني قريش وقالوا: تكتب كل شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشر يتكلم بالغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فأومأ بإصبعه الى فيه وقال صلى الله عليه وآله وسلم: اكتب فوالذي نفسي بيده لا يخرج منه إلا الحق.

وجاء مثلهِ عن أبي هريرة قال : لما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم... وذكر في الحديث أن رجلا من أهل اليمن طلب من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يكتبوا له خطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك اليوم، فاستأذنوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (اكتبوا لأبي شاه).

عن أبي هريرة قال : إن أنصاريا شكا الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قلة حفظه فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ( استعن بيمينك ) . وكذلك عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ( قيدوا العلم بالكتاب ) .

وكذلك عن رافع بن خديج قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنا نسمع منك أشياء افنكتبها؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: ( اكتبوا ولا حرج ). ولاحظ ما يثبت ذلك من كتابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصدقات والديات والسنن لعمرو بن حزم .

وهو كما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : بينما نحن جلوس حول رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل رسول الله ﷺ أي المدينتين تفتح أولا قسطنطينية أو رومية؟ قال ﷺ : (لا بل مدينة هرقل أولا).

ومثلهِ عنه أنه أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله ﷺ إني أريد أن اروي من حديثك فأردت أن استعين بكتاب يدي مع قلبي إن رأيت ذلك؟ فقال رسول الله ﷺ : (إن كان حديثي ثم استعن بيدك مع قلبك). ولكن عند البحث تجد وثائق القضية وهي مثل :

١ . روى الدارمي في سننه : عن سليمان بن يسار أن رجلاً يقال له صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن فأرسل إليه عمر وقد أعد له عراجين النخل فقال: من أنت؟ قال أنا عبدالله صبيغ ، فأخذ عمر عرجوناً من تلك العراجين فضربه وقال : أنا عبدالله عمر، فجعل له ضرباً حتى دمي رأسه ، فقال يا أمير المؤمنين حسبك قد ذهب الذي كنت أجد في رأسي[٧٨١].

٢ . ... عن نافع مولى عبد الله أن صبيغ العراقي جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين حتى قدم مصر، فبعث به عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب فلما أتاه الرسول بالكتاب فقرأه فقال: أين الرجل؟.

فقال في الرحل ، قال عمر أبصر أن يكون ذهب فتصيبك مني به العقوبة الموجعة! فأتاه به فقال عمر تسأل محدثة؟! فأرسل عمر الى رطائب من جريد فضربه بها حتى ترك ظهره دبرة ثم تركه حتى برأ، ثم عاد له! ثم تركه حتى برأ ، فدعا به ليعود له؟! قال فقال صبيغ :

إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً، وإن كنت تريد أن تداويني فقد والله برئت؟! فأذن له الى أرضه وكتب الى أبي موسى الأشعري أن لا يجالسه أحد من المسلمين ! فاشتد ذلك على الرجل فكتب أبو موسى الى عمر أن قد حسنت توبته ، فكتب عمر أن يأذن للناس بمجالسته ؟!.

٣ . ورواه في كنز العمال[٧٨٢] بروايات أخرى مختلفة ، منها عن السائب بن يزيد قال : أتى عمر بن الخطاب فقيل : يا أمير المؤمنين إنا لقينا رجلاً يسأل عن تأويل مشكل القرآن ، فقال عمر:

---

٧٨١- سنن الدارمي . ج ١ ص ٥٤ .

٧٨٢-كنز العمال ج ٢ ص ٣٣١ وقال : الدارمي ، وابن عبد الحكم ،كر.

اللهم أمكني منه ، فبينما عمر ذات يوم جالس يغدي الناس إذ جاء وعليه ثياب وعمامة صفراء ، حتى إذا فرغ قال يا أمير المؤمنين (والذاريات ذرواً فالحاملات وقرا) فقال عمر أنت هو ، فقام اليه وحسر عن ذراعيه فلم يزل يجلده حتى سقطت عمامته ، فقال:

والذي نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقاً لضربت رأسك ، ألبسوه ثياباً واحملوه على قتب ، وأخرجوه حتى تقدموا به بلاده ، ثم ليقم خطيب ، ثم يقول:

إن صبيغاً ابتغى العلم فأخطأه ، فلم يزل وضيعاً في قومه حتى هلك ، وكان سيد قومه . ابن الأنباري في المصاحف ، ونصر المقدسي في الحجة ، واللالكائي ، كر. ورواه عن سليمان بن يسار كرواية الدارمي الأولى ، وقال ( الدارمي ونصر والأصبهاني معاً في الحجة وابن الأنباري واللا لكائي كر).

٤ . عن أبي العديس قال : كنا عند عمر بن الخطاب فأتاه رجل ، فقال يا أمير المؤمنين ( ما الجوار الكنس ) فطعن عمر بمخصرة معه في عمامة الرجل ، فألقاها عن رأسه ، فقال عمر: أحروري؟ والذي نفس عمر بن الخطاب بيده لو وجدتك محلوقاً لأنحيت القمل عن رأسك . الحاكم في الكنى.

٥ . عن أبي عثمان النهدي عن صبيغ أنه سأل عمر بن الخطاب عن المرسلات والذاريات والنازعات ، فقال له عمر: ألق ما على رأسك فإذا له ضفيرتان، فقال له : لو وجدتك محلوقاً لضربت الذي فيه عيناك ، ثم كتب الى أهل البصرة أن لا تجالسوا صبيغاً؟! قال أبو عثمان: فلو جاء ونحن مائة لتفرقنا عنه . نصر المقدسي في الحجة كر.

٦ . عن مُحَّد بن سيرين قال : كتب عمر بن الخطاب الى أبي موسى الأشعري أن لا تجالسوا صبيغاً ، وأن يحرم عطاءه ورزقه. ابن الأنباري في المصاحف كر.

٧ . عن إسحاق بن بشر القريشي قال أخبرنا ابن إسحاق قال جاء رجل الى عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين ما النازعات غرقاً ، فقال عمر من أنت؟ قال امرؤ من أهل البصرة من بني تميم ثم أحد بني سعد ، قال من قوم جفاة ، أما إنك لتحملن الى عاملك ما يسوئك ، ولهزه حتى فرت قلنسوته، فإذا هو وافر الشعر، فقال :

أما إني لو وجدتك محلوقاً ما سألت عنك ، ثم كتب الى أبي موسى ، أما بعد فإن الأصبغ بن عليم التميمي تكلف ما كفي وضيع ما ولي ، فاذا جائك كتابي هذا فلا تبايعوه ، وإن مرض فلا تعودوه ، وإن مات فلا تشهدوه. ثم التفت الى القوم فقال:

إن الله عز وجل خلقكم وهو أعلم بضعفكم فبعث إليكم رسولاً من أنفسكم وأنزل عليكم كتاباً ، وحد لكم فيه حدودا أمركم أن لا تعتدوها ، وفرض عليكم فرائض أمركم أن تتبعوها ، وحرم حرماً نهاكم أن تنتهكوها. وترك أشياء لم يدعها نسيانا ، فلا تكلفوها وإنما تركها رحمة لكم؟!.

قال فكان الاصبغ بن عليم يقول قدمت البصرة فأقمت بها خمسة وعشرين يوماً ، وما من غائب أحب الي أن ألقاه من الموت ، ثم إن الله ألهمه التوبة وقذفها في قلبه فأتيت أبا موسى وهو على المنبر، فسلمت عليه فأعرض عني فقلت أيها المعرض إنه قد قبل التوبة من هو خير منك ومن عمر، إني أتوب الى الله عز وجل مما أسخط أمير المؤمنين وعامة المسلمين، فكتب بذلك الى عمر، فقال صدق، إقبلوا من أخيكم؟!.

٨ . وروى في كنز العمال ( عن سعيد بن المسيب قال : جاء صبيغ التميمي الى عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين: أخبرني عن الذاريات ذرواً ، فقال: هي الرياح ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته ، قال: فأخبرني عن الحاملات وقراً، قال:

هي السحاب ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته ، قال: فأخبرني عن الجاريات يسراً قال: هي السفن ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته ، قال فأخبرني عن المقسمات أمراً ، قال: هي الملائكة ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته.

ثم أمر به فضرب مائة وجعل في بيت فلما برأ دعاه فضربه مائة أخرى ، وحمله على قتب، وكتب الى أبي موسى الأشعري: إمنع الناس من مجالسته ، فلم يزالوا كذلك حتى أتى أبا موسى فحلف له بالأيمان المغلظة ما يجد في نفسه مما كان يجد شيئاً، فكتب في ذلك الى عمر، فكتب عمر ما إخاله إلا قد صدق فخلِّ بينه وبين مجالسة الناس . البزار قط في الافراد وابن مردويه . كر)[٧٨٣] .

٩ . وفي كنز العمال[٧٨٤] مسند عمر ، عن صبيغ بن عسل قال: جئت عمر بن الخطاب زمان الهدنة وعليَّ غديرتان وقلنسوة فقال عمر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: يخرج من المشرق حلقوا الرؤوس يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، طوبى لمن قتلوه وطوبى لمن قتلهم! ثم أمر عمر أن لا أدواى ولا أجالس . كر.

---

٧٨٣- كنز العمال ج ٢ ص ٥١٠ .

٧٨٤- نفس المصدر: ج ١١ ص ٢٩٦ .

١٠ . وفي الدر المنثور[٧٨٥] أخرج الدارمى في مسنده ونصر المقدسي في الحجة عن سليمان بن يسار أن رجلاً يقال له صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن ، فأرسل إليه عمر وقد أعدَّ له عراجين النخل.. . وأخرج الدارمي عن نافع أن صبيغا العراقي ..الخ.

١١ . وأخرج ابن عساكر في تاريخه عن أنس أن عمر بن الخطاب جلد صبيغاً الكوفي في مسألة عن حرف من القرآن حتى اطردت الدماء في ظهره.

١٢ . وأخرج ابن الأنباري في المصاحف ونصر المقدسي في الحجة وابن عساكر، عن السائب بن يزدان أن رجلاً قال قال لعمر إني مررت برجل يسأل عن تفسير مشكل القرآن ! فقال عمر: اللهم أمكني منه ، فدخل الرجل يوماً على عمر فسأله، فقام عمر فحسر عن ذراعيه وجعل يجلده ثم قال ألبسوه تباناً واحملوه على قتب وأبلغوا به حيه ، ثم ليقم خطيب فليقل إن صبيغاً طلب العلم فأخطأه ، فلم يزل وضيعاً في قومه بعد أن كان سيداً فيهم.

١٣ . وأخرج نصر المقدسي في الحجة وابن عساكر عن أبي عثمان النهدي أن عمر كتب الى أهل البصرة أن لا يجالسوا صبيغاً ، قال فلو جاء ونحن مائة لتفرقنا.

١٤ . وأخرج ابن عساكر عن مُحَّد بن سيرين قال : كتب عمر بن الخطاب الى أبي موسى الأشعري أن لا يجالس صبيغاً ، وأن يحرمه عطاءه ورزقه .

١٥ . وأخرج نصر في الحجة وابن عساكر عن زرعة قال : رأيت صبيغ بن عسل بالبصرة كأنه بعير أجرب يجئ الى الحلقة ويجلس وهم لا يعرفونه ، فتناديهم الحلقة الأخرى عزمة أمير المؤمنين عمر ، فيقومون ويدعونه.

١٦ . وأخرج نصر في الحجة عن أبي إسحق أن عمر كتب الى أبي موسى الأشعري : أما بعد فإن الأصبغ تكلف ما خفي وضيع ماولي ، فإذا جاءك كتابي هذا فلا تبايعوه ، وإن مرض فلا تعودوه ، وإن مات فلا تشهدوه .

١٧ . وأخرج الهروي في ذم الكلام عن الأم للشافعي قال: حكمي في أهل الكلام حكم عمر في صبيغ أن يضربوا بالجريد ويحملوا على الإبل ويطاف بهم في العشائر والقبائل، وينادى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة ، وأقبل على علم الكتَّاب!.

---

٧٨٥- الدر المنثور ج ٢ ص ٧ .

١٨ . وفي الدر المنثور ( وأخرج مالك وابن أبي شيبة وأبو عبيد وعبد بن حميد وابن جرير والنحاس وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه عن القاسم بن مُحَمَّد قال:

سمعت رجلاً يسأل ابن عباس عن الأنفال فقال الفرس من النفل والسلب من النفل ، فأعاد المسألة فقال ابن عباس ذلك أيضاً ، قال الرجل الأنفال التي قال الله في كتابه ما هي؟ فلم يزل يسأله حتى كاد يحرجه ، فقال ابن عباس:

هذا مثل صبيغ الذي ضربه عمر، وفي لفظ فقال: ما أحوجك الى من يضربك كما فعل عمر بصبيغ العراقي ، وكان عمر ضربه حتى سالت الدماء على عقبيه)[٧٨٦].

١٩ . وفي الدر المنثور[٧٨٧] أخرج البزار والدارقطني في الإفراد وابن مردويه وابن عساكر عن سعيد بن المسيب قال : جاء صبيغ التميمي الى عمر بن الخطاب فقال أخبرني عن الذاريات ذرواً.. والخ .

٢٠ . وأخرج الفريابي عن الحسن قال سأل صبيغ التميمي عمر بن الخطاب عن الذاريات ذرواً وعن المرسلات عرفاً وعن النازعات غرقاً؟ فقال عمر: كشف رأسك فإذا له ضفيرتان ، فقال: والله لو وجدتك محلوقاً لضربت عنقك! ثم كتب الى أبي موسى الأشعري أن لا يجالسه مسلم ولا يكلمه[٧٨٨].

٢١ . وفي إكمال الكمال قال : وأما صبيغ بالصاد المهملة وغين معجمة فهو صبيغ بن عسل الذي كان يسأل عمر عن غريب القرآن[٧٨٩].

٢٢ . وفي إكمال الكمال ( وعسل بن عبدالله بن عسل التميمي ، حدث عن عمه صبيغ بن عسال قال : جئت عمر بن الخطاب وهو الذي كان يتتبع مشكل القرآن فأمر عمر أن لا يجالس ، وقال يحيى بن معين:

هو صبيغ ابن شريك من بني عمرو بن يربوع ، روى خالد بن نزار عن عمر بن قيس عن عسل. وقال في هامشه: في الأصل "كتب ، وفي الإصابة" روى الخطيب من طريق عسل بن عبد الله بن عسيل "كذا" التميمي عن عطاء بن أبي رباح عن عمه صبيغ بن عسل قال جئت عمر فذكر قصة ثم قال:

---

٧٨٦- الدر المنثور ج ٣ ص ١٦١ .

٧٨٧- نفس المصدر ، ص ١١١ .

٧٨٨- نفس المصدر .

٧٨٩- إكمال الكمال ج ٥ ص ٢٢١ .

الضمير في قوله عن عمه يعود على عسل. وربيعة بن عسل أحد بني عمرو بن يربوع بن حنظلة . ذكره ابن الكلبي في جمهرة بنى تميم. وأما عسل بفتح العين والسين فهو عسل بن ذكوان ، أخباري)[٧٩٠]. انتهى. والأخباري في ذلك الوقت هو المؤرخ في عصرنا.

٢٣ . وفي معجم البلدان ( عسل : بكسر أوله ، وسكون ثانيه ، وآخره لام ، يقال : رجل عسل مال كقولك ذو مال ، وهذا عسل هذا وعسنه أي مثله ، وقصر عسل : بالبصرة بقرب خطة بني ضبة ، وعسل: هو رجل من بني تميم من ولده صبيغ بن عسل الذي كان يتتبع مشكلات القرآن فضربه عمر بن الخطاب، وأمر أن لا يجالس)[٧٩١].

## ب – ما جاء في المنع

ذكر عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عني ولا حرج ، ومن كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار.

وكذلك عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : جهدنا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يأذن لنا بالكتاب فأبى.

وكذلك روي عن أبي هريرة قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن نكتب الأحاديث، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : ما هذا الذي تكتبون؟

فقلنا أحاديث نسمعها منك ، فقال كتاب غير كتاب الله ؟ أتدرون ما ضل الأمم قبلكم إلا بما اكتتبوا من الكتب مع كتاب الله تعالى.

ومثلهِ روي عن عبد الله بن حنطب قال : دخل زيد بن ثابت على معاوية ، فسأله عن حديث فأمر أنسانا أن يكتبه ، فقال له زيد إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرنا أن لا نكتب شيئا فمحاه.

وروي عن أبي هريرة قال : بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أناسا قد كتبوا حديثه ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم :

٧٩٠- نفس المصدر: ج ٦ ص ٢٠٦.

٧٩١- معجم البلدان ج ٤ ص ١٢٤ .

ما هذه الكتب التي بلغني إنكم تكتبون ؟ إنما أنا بشر من كان عنده منها شيء فليأت به ، فجمعناها فاحرقت فقلنا يارسول الله نتحدث عنك ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم : تحدثوا ولا حرج ، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار.

وتلاحظ ان هذه الأحاديث التي ذكرناها هي ابرز ما ذكرت في باب منع التدوين، حتى وان كانت هناك أحاديث أخرى في نفس هذا المعنى ولكننا أعرضنا عن ذكرها لسببان وهما:

السبب الأول : هو أن القسم الأكبر من هذهِ الاحاديث يكاد يتطابق مع ما ذكرناه مسبقاَ لفظا ومعنى، حتى لو اختلفت طرق الرواة، وبالتالي وروده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

السبب الثاني : هو إن البعض منها لا يسلم، ولاتجد مخرج أمام النقد العلمي، وهو مما يؤدي الى نتيجة، وهي الحكم بضعفها، وهذا الأمر الذي يجعلك في غنى عنها وذلك لثبوت أصل القضية بالأحاديث التي ذكرت مسبقاَ.

ولكن تلاحظ انه توجد احاديث منقولة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحث على الكتابة والتدوين على عكس ما ورد مسبقاً.

وكذلك تجد ان هناك مصلحة واضحة للمنافقين في طمس احاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وخاصة احاديث الامامة واهل البيت عليهم السلام.

ولذلك منعوا التدوين وزوروا الاحاديث على لسان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك ومنها التي ذكرت مسبقاً.

وأخرى ان القران له اسلوبه اللغوي والبلاغي، الذي يميزه عن الحديث بشكل واضح، ويمكن ان يجمع في مجلد مستقل عن الاحاديث كما هو حاصل، وقد فرض نفسه بعد ذلك كواقع حال لابد منه.

وتلاحظ انه قد ظهرت لك نتيجة، وهي ان الذين جمعوا الاحاديث مثل البخاري ومسلم وغيرهم يعتبرون مخطئين، والزامهم بـ(قاعدة الألزام) على وفق قولهم هم، بما ذكروا من الأحاديث، بما يتوجب على فاعلها دخول النار.

ولاحظ كذلك انك تجد آيات القران الكريم قد حثت على الكتابة والتدوين بشكل عام، كما تلاحظ في الاية الرابعة من سورة العلق وهي عبارة قوله تعالى: (الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ).

وكذلك حثت على الكتابة الاية مائتان وأثنان وثمانون في القران الكريم من سورة البقرة وهي عبارة قوله تعالى:

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاء إِذَا مَا دُعُواْ وَلاَ تَسْأَمُوْاْ أَن تَكْتُبُوْهُ صَغِيراً أَو كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللّهِ وَأَقْومُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُواْ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوْاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ).

وكذلك حثت على الكتابة الآية الاولى في القران الكريم من سورة القلم وهي عبارة قوله تعالى : (ن * وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ).

وتلاحظ ان النتيجة ظاهرة بشكل واضح جداً وبديهي، ان منع التدون يعني اندثار السنة النبوية بموت حفظتها، وبالتالي يبقى الباب مفتوح، لجميع الوضاعين، لكي يضعوا الاحاديث المزورة وهو ما حصل فعلاً في السنة النبوية الشريفة.

وعليك ان تعلم، ان منع التدوين يعتبر من اكبر الادلة على جواب السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام حينما قالت بخطبتها (حسيكة النفاق)[٧٩٢].

وهذهِ الإضافة في قولها عليها السلام (حسيكة النفاق) [٧٩٣] أما بيانية أو لامية.

وعلى الأول (البيانية) فيجاب أيضا بالظهور بعد الخفاء[٧٩٤].

وعلى الثاني (لامية) – لا– هي مانعة جمع فيما بين خفاء النفاق وظهور عداوته .

---

٧٩٢– راجع : كتاب فاطمه عليها السلام في القران بلسان اهل السنة للمؤلف. وراجع: جزء ٢٥ وجزء ٢٦ من (موسوعة اتقان القران وعلوم الرحمن) ساجد شريف عطية.

٧٩٣– تجد واقع النفاق قد تسرب وظهر عبر بعض (النوافذ) و(المظاهر).

٧٩٤– أي إن ظهر فيكم حسيكة النفاق فعلى الإضافة البيانية يكون المعنى: (حسيكة هي النفاق) وقد ظهر هذا النفاق بعد أن كان خفياً فلا تناقض إذ كان نفاقاً والآن ظهر فأصبح ظاهره مطابقا لباطنه .

وتجد في الموروث الاسلامي ان هناك أحاديث عديدة في النفاق وأبوابه وأسبابه وهو كما ورد عن رسول الله ﷺ قال:

« أربع يفسدن القلب وينبتن النفاق في القلب كما ينبت الماء الشجر: استماع اللهو، والبذاء، وإتيان باب السلطان، وطلب الصيد»[٧٩٥]، أي بمعنى كما كان عادة الملوك سابقاً وحاضراً. وتجد كذلك مثلهِ في الدعاء المذكور : « اللهم طهر لساني من الكذب وقلبي من النفاق »[٧٩٦].

وجاء في الاثر المروي عن أمير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب عليه السلام من انه قال :

« الايمان يبدو في القلب نكتة بيضاء كلما ازداد الايمان ازداد ذلك البياض فإذا استكمل العبد الايمان ابيضّ القلب كله، وان النفاق ليبدو في القلب لمعة سوداء كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فإذا استكمل النفاق اسود القلب كله »[٧٩٧].

وكذلك قال عليه السلام : «الكذب باب من أبواب النفاق»[٧٩٨].

وايضاً قال عليه السلام: «إياكم وتخشع النفاق وهو ان يرى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع»[٧٩٩].

وجاء كذلك عن الأمام علي بن طالب عليه السلام انه قال: «بالكذب يتزين أهل النفاق»[٨٠٠]. وكذلك قال عليه السلام : «شر الأخلاق والكذب والنفاق»[٨٠١].

وعن رسول الله ﷺ : «سوف تَظهر بعدي حَسِيكَةُ النفاق»[٨٠٢].

وجاء مثلهِ عن السيدة عائشة لما قيل لها : ما يحزنك ؟ قالت : «فُقِدَ النبيّ ﷺ وتظاهَرَت الحَسَكات»[٨٠٣].

---

٧٩٥- الخصال ، ص٢٢٧ .

٧٩٦- مصباح الكفعمي ، ص٩٦ .

٧٩٧- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج١ ص٩٤.

٧٩٨- نفس المصدر ، ص١١٣ باب الكذب.

٧٩٩- تحف العقول: ص٦٠.

٨٠٠- غرر الحكم: ص٢١٩ ح٤٣٧١.

٨٠١- نفس المصدر ، ح٤٣٧٣.

٨٠٢- كتاب غريب الحديث في بحار الانوار ج١ باب الحاء مع السين – البحار: ٢٨٨/٣٦. والحَسِيكَة: العداوة والحقْد. يقال: هو حَسِكُ الصَّدر على فلان (النهاية) .

وذكر مثلهِ عن أمير المؤمنين الامام علي بن ابي طالبعَلَيْهِ السَّلَامُ انه قال: «لَأَن أبِيتَ على حَسَك السَّعْدان مُرَقَّداً»[٨٠٤].

## ج – منع التدوين عشرات السنين

ما هو سبب هذا المنع؟ ولماذا منع تدوين الأحاديث النبوية الشريفة لفترة، قد طالت الى عشرات السنين، كما في حديث عبد الله بن عمر انه قال : كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أريد حفظه فنهتني قريش وقالوا أتكتب كل شيء ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

بشر يتكلم في الغضب والرضى فأمسكت عن الكتاب فذكرت لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فأومأ بإصبعه إلى فيه وقال اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق؟.

فقد اختلف الصحابة في جواز كتابة الحديث، فمنعها عمر وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبو موسى وأبو سعيد الخدري في جماعة آخرين من الصحابة، كما كرهها بعض التابعين.

وقد أباحها الامام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وابنه الحسن المجتبى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأنس وعبد الله بن عمر.

وقد كانت حجة المانعين للتدوين، ما ذكرناه مسبقاَ، وهو ما جاء في صحيح مسلم عن أبو سيعد الخدري أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: ( لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن، ومن كتب عني شيئاً سوى القرآن فليمحه).

وكانت حجة مجوزين التدوين، كما ذكرنا مسبقاَ، كما في قصة أبي شاهٍ اليمني في التماسه من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يكتب له شيئاً سمعه في خطبته عام فتح مكة وهو قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (اكتبوا لأبي شاة).

كما في الصحيحين من حديث الامام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال في حديث له (وما في هذه الصحيفة) ثم ذكر أحاديث عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مكتوبة فيها.

وجاء في البخاري من حديث أبي هريرة : لم يكن أحد أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب.

---

٨٠٣- غريب الحديث في بحار الانوار الجزء الاول باب الحاء مع السين ، سلسلة بحار الانوار للمجلسي: ٣٤٩/٣٦. أي العداوات .

٨٠٤- الحَسَك : . جمع حَسَكة . : الشَّوْك . والسَّعْدان : نَبْت تَرعاه الإبل له شَوْك تُشَبَّه به حلمةُ الثدي . صبحي الصالح كتاب غريب الحديث في بحار الانوار ج١ باب الحاء مع السين- سلسلة بحار الانوار للمجلسي: ٣٤٦/٤٠.

وفي رواية : استأذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الكتابة فأذن له.

وذكر في السنن : أن عبد الله بن عمرو قال يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أكتب عنك في الرضا والغضب؟.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم اكتب فو الذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق وأشار بيده إلى فيه.. ولعله صلى الله عليه وآله وسلم أذن في الكتابة عنه لمن خشي عليه النسيان.

وقد نهى عن الكتابة عنه لمن وثق بحفظه مخافة الاتكال على الكتابة، أو نهى عن كتابته حين خاف عليهم اختلاط ذلك بصحف القرآن.

وأجاز في كتابته حينما، أُمِنَ من ذلك، ثم زال الاختلاف، وأجمع المسلمين على تسويغ ذلك وإباحته، ولولا تدوينه، لكان في مطاوي نسيان العصور.

وأما تدوين الحديث بشكل عام كما ذكر البيهقي منع الخليفة عمر بن الخطاب حينما قال: إني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً، فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله عز وجل، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبداً.

وخلاصة تدوين السنة[٨٠٥]، فقد أجمعت الروايات، أن أول من فعله هو الامام (علي بن طالب عليه السلام) حينما أملاه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو يكتب وتسمى بالجامعة ورجع اليها أئمة أهل البيت عليهم السلام . والله العالم.

٨٠٥- ورأي من نهج منهج بني أمية قالوا : أما تدوين السنة تدويناً عاماً، فتكاد تجمع الروايات أن أول من فعله هو الخليفة عمر بن عبد العزيز إذ أرسل إلى أبي بكر بن حزم عامله وقاضيه على المدينة قائلاً: (انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء) وأمره أن يكتب ما عند عمرة بنت عبد الرحمن، والقاسم بن محمد. ورغب إلى محمد بن مسلم الزهري أن يكتب بقية حديث أهل المدينة. بل أرسل إلى ولاة الأمصار كلها وكبار علمائها يطلب منهم مثل هذا، فقد أخرج أبو نعيم في تاريخ أصبهان أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أهل الآفاق (انظروا إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاجمعوه). أقول: ولكن أولهم الزهري الذي يكذب على اهل البيت عليهم السلام مع انه ألد أعداء أل محمد عليهم السلام .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة السادسة

## محاولة نفي التحريف

آية الرجم وحديث رضعات الكبير وتدوين القران : ذكر احدهم انه (يرجع ميلي إلى الإسلام حينما شرعت في مطالعة القرآن الكريم للمرة الأولى فولعت به ولعًا شديدًا. وكنت أطرب لتلاوة آياته)[٨٠٦] فلقد ذكر الامام احمد[٨٠٧] في مسنده رواية رئيسية عن السيدة عائشة انها قالت :

حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا يعقوب قال حدثنا أبي عن ابن إسحق قال حدثني عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: لقد أنزلت آية الرجم ورضعات الكبير عشرا فكانت في ورقة تحت سرير في بيتي فلما اشتكى رسول الله ﷺ تشاغلنا بأمره ودخلت دويبة لنا فأكلتها.

هذا الحديث مساند لرواية مسند الامام احمد عن السيدة عائشة وردت في كنز العمال[٨٠٨] وهي انها قالت:

عن زر قال قال لي أبيُّ بن كعب : يا زر كأين تقرأ سورة الأحزاب؟ قلت ثلاثاً وسبعين آية ، قال:

إن كانت لتضاهي سورة البقرة ، أو هي أطول من سورة البقرة ، وإن كنا لنقرأ فيها آية الرجم .

---

٨٠٦- الدكتور أحمد نسيم سوسه Dr. A. N. Sousa باحث مهندس من العراق، وعضو في المجمع العلمي العراقي، وواحد من أبرز المختصين بتاريخ الري في العراق، كان يهوديًا فاعتنق الإسلام متأثرًا بالقرآن الكريم، توفي قبل سنوات قلائل. ترك الكثير من الدراسات في مختلف المجالات وخاصة في تاريخ الريّ، وفنّد في عدد منها ادعاءات الصهيونية العالمية من الناحية التاريخية، ومن مؤلفاته الشهيرة: (مفصل العرب واليهود في التاريخ)، و(في طريقي إلى الإسلام) الذي تحدث فيه عن سيرة حياته.

٨٠٧- انظر : مسند أحمد المجلد السادس : حديث السيدة عائشة .

٨٠٨-كنز العمال ، ج ٢ ص ٥٦٧ .

وفي لفظ آخر : وإن في آخرها الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم ، فرفع فيما رفع ( عب ط ص عم ، وابن منيع ن ، وابن جرير وابن المنذر ، وابن الأنبارى في المصاحف ، قط في الإفراد ، ك وابن مردويه ، ص).

ومثلهِ ايضا هذا الحديث مساند لرواية مسند الامام احمد عن السيدة عائشة وردت عن طريق السيوطي[٨٠٩] في الدر المنثور فقالت:

وأخرج ابن الضريس عن عكرمة قال : كانت سورة الأحزاب مثل سورة البقرة أو أطول ، وكان فيها آية الرجم.

ومثلهِ ايضا هذا الحديث مساند لرواية مسند الامام احمد عن السيدة عائشة في كنز العمال[٨١٠] فقالت:

من مسند عمر عن حذيفة قال قال لي عمر بن الخطاب: كم تعدون سورة الأحزاب ؟

قلت ثنتين أو ثلاثاً وسبعين، قال : إن كانت لتقارب سورة البقرة ، وإن كان فيها لآية الرجم ـ ابن مرويه.

ومثلهِ ايضا هذا الحديث مساند لرواية مسند الامام احمد عن السيدة عائشة فقد روى الامام أحمد ايضا في مسنده[٨١١]ولكن عن أبي بن كعب.

ومثلهِ ايضا هذا الحديث مساند لرواية مسند الامام احمد عن السيدة عائشة فقد رواه الحاكم في المستدرك[٨١٢]وقال في الموردين: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه).

ومثلهِ ايضا هذا الحديث مساند لرواية مسند الامام احمد عن السيدة عائشة فقد رواه البيهقي[٨١٣] في سننه كما في رواية الحاكم السابقة.

إذاَ فسورة البقرة ٢٨٦ آية ، فالناقص من سورة الأحزاب حسب الرواية أكثر من ٢٠٠ آية ؟.

---

٨٠٩- السيوطي الدر المنثور ، ج ٥ ص ١٨٠ .

٨١٠- كنز العمال ج ٢ ص٤٨٠ .

٨١١- مسند الامام أحمد ج ٥ ص ١٣٢ .

٨١٢- الحاكم في المستدرك ج ٢ ص ٤١٥ ، وجزء ٤ ص ٣٥٩ .

٨١٣- سنن البيهقي ج ٨ ص ٢١١ .

وكذلك هذا الحديث مساند لرواية مسند الامام احمد عن السيدة عائشة في تفسير القرطبي[814] فيقول : وكانت هذه السورة تعدل سورة البقرة . وكانت فيها آية الرجم : ( الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم) ذكره أبو بكر الأنباري عن أبي بن كعب.

وقد حدثنا أحمد بن الهيثم بن خالد قال حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام قال حدثنا ابن أبي مريم عن ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة عن ام المؤمنين عائشة قالت : كانت سورة الأحزاب تعدل على عهد رسول الله ﷺ مائتي آية، فلما كتب المصحف لم يقدر منها إلا على ما هي الآن.

وكذلك هذا الحديث مساند لرواية مسند الامام احمد عن السيدة عائشة في الدر المنثور[815] فيقول : وأخرج عبد الرزاق وأحمد وابن حبان عن عمر بن الخطاب قال: (إن الله بعث مُحَّدا بالحق وأنزل معه الكتاب، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فرجم ورجمنا بعده، ثم قال: قد كنا نقرأ: ولا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم).

ومثلهِ ايضا هذا الحديث مساند لرواية مسند الامام احمد عن السيدة ام المؤمنين عائشة كذلك في الدر المنثور[816] فيقول :

وأخرج ابن ماجه عن عائشة قالت: لقد نزلت آية الرجم ورضاعة الكبير عشرا، ولقد كان في صحيفة تحت سريري. فلما مات رسول الله ﷺ وتشاغلنا بموته دخل داجن فأكلها.

وايضا مثلهِ هذا الحديث مساند لرواية مسند الامام احمد عن السيدة عائشة في سنن ابن ماجة[817] قال :

حَدَّثَنَا أبو سلمة يحيى بن خلف. حَدَّثَنَا عبد الأعلى عن مُحَمَّد بن إسحاق، عن عبد اللَّه بن أبي بكر، عن عمرة، عن عائشة. وعن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه، عن عائشة؛ قالت: لقد نزلت آية الرجم، ورضاعة الكبير عشرا.

ولقد كان في صحيفة تحت سريري. فلما مات رَسُول اللَّهِ ﷺ وتشاغلنا بموته، دخل داجن[818] فأكلها. ( في صحيفة تحت سريري) ولم ترد أنه كان مقروءا بعد.

---

٨١٤- تفسير القرطبي الجزء الرابع عشر ، سورة الأحزاب .

٨١٥- انظر : الدر المنثور المجلد الأول ، تفسير سورة البقرة .

٨١٦- نفس المصدر ، المجلد الثاني ، تفسير سورة النساء .

٨١٧- انظر : سنن ابن ماجة الجزء الأول ،كتاب النكاح ، باب رضاع الكبير ١٩٤٤ .

خلاصة الروايات السابقة :

لاحظ : في القرآن السابق المكتوب وموجود بالمتاحف العالمية عندهم آية أخرى وهي : ( ولا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم ).

لاحظ : في القرآن عندهم آية رضعات الكبير عشرا .

لاحظ : ورود أم المؤمنين السيدة عائشة ؟

لاحظ : القول بأن الدواجن والدويبات قد أكلت منه ، فيدل على النقص.

لاحظ : سورة براءة عندهم تقارب في الطول سورة البقرة بل هي أطول ، وقد ضاع منها ما يزيد عن ٢٠٠ آية ؟.

لاحظ : لديهم سورة الأحزاب تعدل على عهد رسول الله ﷺ مائتي آية ، فلما كتب المصحف لم يقدر منها إلا على ما هي الآن .

لاحظ : في القرآن عندهم آية الرجم وهي : ( الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم).

الصراحة في البداية بدأ ينتابك شعور باني أوردت حديث ضعيف أو موضوع ثم أدعي أنها روايات مساندة. فلا تستطيع نفي تهمة محاولة التحريف عنهم بأسلوب علمي وموضوعي ومن علم الرجال .

فالروايات التي تشعركم بأنها ضعيفة أو موضوعة هي من واقع الصحاح التسعة فلو كان الامام البخاري والامام مسلم والامام أحمد رواياتهم ضعيفة وموضوعة فتمسككم تبعاً للحديث لا بد أن يكون ضعيف وموضوع .

وأنتم هدمتم العقيدة وهي أن مصنفات الامام البخاري والامام مسلم هي من أصح الكتب بعد القرآن الكريم ؟

واما بخصوص الروايات المساندة فهي من مصادر كتب أهل السنة فحتى الآن لم يدعي ولو واحد منهم بأن الامام أحمد والامام الترمذي والسيوطي والقرطبي والعجلوني من علماء الشيعة ؟.

---

٨١٨- كلمة (داجن) هي الشاة يعلفها الناس في منازلهم. وقد يقع على الشاة من كل ما يألف البيوت من الطير وغيرها.

فنقول لكم بأن أمهات المؤمنين لهن احترام خاص عند كل المسلمين وهذا من البديهي ، وليس هذا معناه التنزيه عن وقوعهن في الخطأ ، وإلا لماذا نقلوا عن الإمام أحمد وغيره هذه الرواية وكذلك روايات أخرى كثيرة قادحة ؟.

**أولاً : ولو حميتم كما حموا**

موقفهم من (ولو حميتم كما حموا)

فقد ورد أنه روى الحاكم [٨١٩] في المستدرك من انه قال : حدّثنا أبو العباس مُحَّد بن يعقوب، أخبرنا العباس بن الوليد بن مزيد، ثنا مُحَّد بن شعيب بن شابور ، ثنا عبد الله بن العلاء بن زبر، عن بسر بن عبيد الله، عن أبي إدريس، عن أبيّ بن كعب أنه كان يقرأ :

( إِذْ جَعَلَ الّذِينَ كَفروا في قُلوبِهِمُ الْحَمِيَّة حَمِيَّةَ الْجاهِلِيَّةِ ولو حميتم كما حموا لفسد المسجد الحرام فَأَنْزَلَ الله سَكينَتَهُ على رَسولِهِ ).. فبلغ ذلك عمر فاشتد عليه فبعث إليه وهو يهنأ ناقة له ، فدخل عليه فدعا ناساً من أصحابه فيهم زيد بن ثابت ، فقال :

من يقرأ منكم سورة الفتح ، فقرأ زيد على قراءتنا اليوم فغلط له عمر، فقال له أبيّ : أأتكلم ؟ فقال : تكلم ، فقال : لقد علمت أني كنت أدخل على النبيّ ﷺ ويقرئني وأنتم بالباب ، فإن أحببت أن أقرئ الناس على ما أقرأني أقرأت وإلا لم أقرئ حرفاً ما حييت قال : بل أقرئ الناس؟.

وعقّب عليه الحاكم بقوله : ( هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ).

ومثلهِ ايضا حديث مساند لرواية الحاكم في المستدرك ورد في السنن الكبرى [٨٢٠] للنسائي ، في قوله تعالى : ( إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِية ) قال :

إبراهيم بن سعيد ، انا شبابة بن سوارٍ ، عن أبي زبرٍ عبد الله بن العلاء بن زبر ، عن بسر بن عبيد الله ، ( عن أبي إدريس ) ، عن أبي بن كعب ، أنه كان يقرأ : « إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِية وَلَوْ حُمِيتُمْ كَمَا حَمَوْا لَفَسَدَ الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ ».

٨١٩- المستدرك على الصحيحين البخاري ومسلم ، الحاكم ، ج٢ ص ٢٢٥ .

٨٢٠- انظر : السنن الكبرى للنسائي الاية (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِية) ١١٤٠١ .

فبلغ ذلك عمر ، فأغلظ له ، قال : إنك لتعلم أني كنت أدخل على رسول الله ﷺ فيعلمني مما علمه الله ، فقال عمر: بل أنت رجل عندك علم وقرآن فاقرأ وعلم مما علمك الله ورسوله .

وايضا مثلهِ حديث مساند لرواية الحاكم في المستدرك ورد في كنز العمال[821] للمتقي الهندي انه قال : عن أبي إدريس الخولاني قال : كان أبي يقرأ : ( إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ولو حميتم كما حموا لفسد المسجد الحرام ، فأنزل الله سكينته على رسوله)..

فبلغ ذلك عمر فاشتد عليه فبعث إليه فدخل عليه ، فدعا ناسا من أصحابه فيهم زيد بن ثابت فقال : من يقرأ منكم سورة الفتح ؟ فقرأ زيد على قراءتنا اليوم ، فغلظ له عمر فقال أبي لأتكلم ، قال تكلم :

فقال : لقد علمت أني كنت أدخل على النبي ﷺ ويقرئني وأنت بالباب فإن أحببت أن أقرئ الناس على ما أقرأني أقرأت وإلا لم أقرئ حرفا ما حييت. قال : بل أقرئ الناس . (ن وابن أبي داود في المصاحف ك) وروى ابن خزيمة بعضه .

وكذلك حديث مساند لرواية الحاكم في المستدرك ورد في كنز العمال[822] للمتقي الهندي قال: عن أبي إدريس الخولاني أن أبا الدرداء ركب إلى المدينة في نفر من أهل دمشق ، ومعهم المصحف الذي جاء به أهل دمشق ليعرضوه على أبي بن كعب وزيد بن ثابت وعلي عليه السلام وأهل المدينة، فقرأ يوما على عمر بن الخطاب، فلما قرأ هذه الآية : ( إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ولو حميتم كما حموا لفسد المسجد الحرام).

فقال عمر : من أقرأكم ؟ قال : أبي بن كعب ، فقال لرجل من أهل المدينة : أدع لي أبي بن كعب ، وقال للرجل الدمشقي : انطلق معه ، فوجدا أبي بن كعب عند منزله يهنأ بعيرا له بيده ، فسلما ثم قال له المديني : أجب أمير المؤمنين .

فقال أبي : ولم دعاني أمير المؤمنين ؟ فأخبره المديني بالذي كان معه ، فقال أبي للدمشقي ما كنتم تنتهون معشر الركب أو يشدقني منكم شر ، ثم جاء إلى عمر وهو مشمر والقطران على يديه ، فلما أتى عمر ، قال لهم اقرؤوا فقرؤوا : ( ولو حميتم كما حموا لفسد المسجد الحرام).

---

٨٢١- كنز العمال للمتقي الهندي ، المجلد الثاني : البسملة آية .

٨٢٢- نفس المصدر ، ٤٨١٦ .

فقال أبي : أنا أقرأهم ، فقال عمر لزيد إقرأ يا زيد ، فقرأ زيد قراءة العامة ، فقال عمر : اللهم لا أعرف إلا هذا ، فقال أبي : والله يا عمر إنك لتعلم أني كنت أحضر وتغيبون ، وأدعى وتحجبون، ويصنع بي ؟ والله لئن أحببت لألزمن بيتي فلا أحدث أحدا بشيء. وكذلك روي عن ابن أبي داود برقمي ٤٧٤٥ و ٤٨١٥.

ومثلهِ ايضا حديث مسانِد لرواية الحاكم في المستدرك ورد في كنز العمال[٨٢٣] للمتقي الهندي قال: عن أبي إدريس الخولاني قال : كان أبي يقرأ : ( إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ولو حميتم كما حموا نفسه لفسد المسجد الحرام ، فأنزل الله سكينته على رسوله).

فبلغ ذلك عمر فاشتد عليه فبعث إليه فدخل عليه ، فدعا ناسا من أصحابه فيهم زيد بن ثابت فقال : من يقرأ منكم سورة الفتح ؟ فقرأ زيد على قراءتنا اليوم ، فغلظ له عمر، فقال أبي لأتكلم ، قال تكلم :

لقد علمت أني كنت أدخل على النبي ﷺ ويقربني وأنت بالباب فإن أحببت أن أقرئ الناس على ما أقرأني أقرأت وإلا لم أقرئ حرفا ما حييت. (ن وابن أبي داود في المصاحف ك) وروى ابن خزيمة بعضه برقم ٤٨١٥ .

وايضا حديث مساند لرواية الحاكم في المستدرك ورد في الدر المنثور في التفسير بالمأثور[٨٢٤] للإمام جلال الدين السيوطي.

وأخرج النسائي والحاكم وصححه من طريق أبي إدريس عن أبي كعب أنه كان يقرأ :

( إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ولو حميتم كما حموا لفسد المسجد الحرم فأنزل الله سكينته على رسوله )

فبلغ ذلك عمر فاشتد عليه ، فبعث إليه فدخل عليه ، فدعا ناسا من أصحابه فيهم زيد بن ثابت ، فقال: من يقرأ منكم سورة الفتح ؟ فقرأ زيد على قراءتنا اليوم ، فغلظ له عمر فقال أبي أ أتكلم ؟ قال : تكلم .

---

٨٢٣- كنز العمال للمتقي الهندي ، المجلد الثاني : ٤٧٤٥ .

٨٢٤- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام جلال الدين السيوطي ، المجلد السابع : تفسير سورة الفتح .

فقال : لقد علمت أني كنت أدخل على النبي ﷺ ويقرئني ، وأنت بالباب ، فإن أحببت أن أقرئ الناس على ما أقرأني أقرأت ، وإلا لم أقرئ حرفا ما حييت. قال: بل أقرئ الناس.

**ثانياً : أدلة القران**

معلوم لديك أن القران والسنة النبوية قد كتبت في أثناء حياة الرسول ﷺ وهي عند الامام علي عليه السلام ثم بعده الى الأئمة المعصومين عليهم السلام .

ولكن لدى أهل السنة ان دلّيل جمع القرآن في عهد النبي ﷺ وهي من الموضوعات التي أُثيرت حولها الشبهات، ودُسَّت فيها الروايات، وأنّ كيفية جمعه بعد النبي ﷺ.

فهي مستلزمةٌ في العادة لوقوع هذا التحريف والتغيير فيه، حيثُ إنّ العادة تقتضي فوات شيءٍ منه على المتصدّي لذلك وخصوصاً إذا كان غير معصوم .

فقيل ذهب جماعة من أهل الكلام ممّن لا صناعة لهم إلاّ الظنّ والتأويل واستخراج الأساليب الجدلية من كلِّ حكمٍ ومن كلِّ قول إلى جواز أن يكون قد سقط عنهم من القرآن شيءٌ حملاً على ما وصفوه من كيفية جمعه[٨٢٥].

إنّ امتداد زمان جمعه إلى ما بعد حروب اليمامة، كما نطقت به الروايات، وتضارب الأخبار الواصفة لطريقة جمعه، أثارا الشبهة لدى الكثيرين، فقالوا: بلغنا أنّ أُناساً من أصحاب النبي ﷺ كانوا يقرأون القرآن، أُصيبوا يوم مسيلمة، فذهبت حروف من القرآن[٨٢٦].

ومن أدلّة جمع القرآن في عهد النبي ﷺ أجماع علماء الإمامية على أنّ القرآن كان مجموع على عهد رسول الله ﷺ ولم يترك دنياه إلى آخرته إلاّ بعد ما أن عارض ما في صدره بما في صدور الحفظة الذين كانوا كثرة.

وكذلك بما في مصاحف الذين جمعوا القرآن في عهده ﷺ وقد اعتُبِر ذلك بحكم ما علم ضرورة، ويوافقهم عليه جمعٌ كبيرٌ من علماء أهل السنة، وجميع الشواهد والأدلة والروايات قائمةٌ على ذلك، واليك البعض منها:

---

٨٢٥- هو الرافعي في اعجاز القرآن: ٤١.

٨٢٦- هو قول الثوري في الدر المنثور ٥: ١٧٩.

### ١ – اهتمام النبوة بالقران

اهتمام النبي ﷺ والصحابة : اهتم النبي ﷺ والصحابة بحفظ القرآن وتعليمه وقراءته وتلاوة آياته بمجرد نزولها وممّا روي من الحثّ على حفظه، قوله ﷺ: (من قرأ القرآن حتى يستظهره ويحفظه ، أدخله الله الجنّة، وشفّعه في عشرة من أهل بيته كلّهم قد وجبت لهم النار)[٨٢٧].

وفي هذا المعنى وحول تعليم القرآن أحاديث لا تحصى كثرة، فعن عبادة بن الصامت قال: (كان الرجل إذا هاجره دفعه النبي ﷺ إلى رجلٍ منّا يعلّمه القرآن، وكان لمسجد رسول الله ﷺ ضجّة بتلاوة القرآن حتى أمرهم رسول الله ﷺ أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا)[٨٢٨].

وقد ازداد عدد حُفّاظ القرآن بشكل ملحوظ لتوفر الدواعي لحفظه، ولما فيه من الحثّ من لدن رسول الله ﷺ والأجر والثواب الذي يستحقّه الحافظ عند الله تعالى.

والمنزلة الكبيرة والمكانة المرموقة التي يتمتّع بها بين الناس ، وحسبك ما يقال عن كثرتهم على عهد الرسول ﷺ وبعد عهده أن قُتِل منهم سبعون في غزوة بئر معونة خلال حياته المباركة وقُتل أربعمائة.

وقيل : سبعمائة . منهم في حروب اليمامة عقيب وفاته ﷺ وحسبك من كثرتهم أيضاً أنّه كان منهم سيّدة ، وهي أمُّ ورقة بنت عبد الله ابن الحارث. وكان رسول الله ﷺ يزورها ويسمّيها الشهيدة، وقد أمرها رسول الله ﷺ أن تؤمّ أهل دارها[٨٢٩].

أمّا حفظ بعض السور فقد كان مشهوراً ورائجاً بين المسلمين، وكلّ قطعةٍ كان يحفظها جماعة كبيرة أقلّهم بالغون حدّ التواتر، وقلّ أن يخلو من ذلك رجلٌ أو أمرأةٌ منهم، وقد اشتدّ اهتمامهم بالحفظ حتى إنّ المسلمة قد تجعل مهرها تعليم سورة من القرآن أو أكثر.

---

٨٢٧- مجمع البيان ١: ٨٥.

٨٢٨- مستدرك الحاكم ٣: ٣٥٦.

٨٢٩- الاتقان ١: ٢٥٠.

## ٢ . يكتبون من لسان الوحي

كُتّاب يكتبون ما يملي من لسان الوحي : لا يشك ولا يرتاب أحدٌ أنّه كان من حول الرسول ﷺ كُتّاب يكتبون ما يملي عليهم من لسان الوحي، وكان ﷺ قد رتّبهم لذلك، روى الحاكم بسندٍ صحيح عن زيد بن ثابت فقال: (كنّا عند رسول الله ﷺ نؤلّف القرآن من الرقاع)[٨٣٠].

ونصّ المؤرخين على أسماء كُتّاب الوحي، وأنهاهم البعض إلى اثنين وأربعين رجلاً، وكان ﷺ كلّما نزل شيءٌ من القرآن أمر بكتابته لساعته.

فقد روى البراء : أنّه عند نزول قوله تعالى : ( لا يستوي القاعدون من المؤمنين)[٨٣١] قال رسول الله ﷺ: ( ادعُ لي زيداً، وقُل يجيء بالكتف والدواة واللّوح، ثمّ قال: اكتب (لا يستوي..الخ)[٨٣٢].

وكان ﷺ يشرف بنفسه مباشرة على ما يُكْتَب ويراقبه ويصحّحه بمجرد نزول الوحي كما روي عن زيد بن ثابت قال :

كنتُ أكتب الوحي لرسول الله ﷺ وكان إذا نزل عليه الوحي أخَذَتْهُ برحاء شديدة.. فكنت أدخل عليه بقطعة الكتف أو كسرة ، فأكتب وهو يُملي عليّ ، فإذا فرغت قال : (اقرأه ، فأقرؤه ، فإن كان فيه سقط أقامه ، ثمّ أخرج إلى الناس )[٨٣٣].

أمّا في مفرّقات الآيات فقد روي عن ابن عباس، قال: إنّ رسول الله ﷺ كان إذا نزل عليه الشيء دعا من كان يكتب فيقول: (ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا)[٨٣٤]. وذلك منتهى الدقّة والضبط والكمال ولا عبرة لمن يقول جمع القران بعد وفاتهِ ﷺ.

واما ما نزل من القرآن الكريم فهو نزل من عند الله ﷻ بألفاظه نفسها التي قرأها الرسول ﷺ على الناس ، وهذا يجعل لتلك الألفاظ قدسية ، يتعبّد بتلاوتها ، ولا يجوز تبديلها بغيرها ، ولا التصرف بها ، حتى بالمرادفات.

---

٨٣٠- المستدرك ٢: ٦١١.

٨٣١- النساء ٩٥ .

٨٣٢- كنز العمال ٢: حديث ٤٣٤٠.

٨٣٣- مجمع الزوائد ١: ١٥٢.

٨٣٤- المستدرك ٢: ٢٢٢، الجامع الصحيح للترمذي ٥: ٢٧٢، تاريخ اليعقوبي ٢: ٤٣، البرهان للزركشي ١: ٣٠٤، مسند أحمد ١: ٥٧ و ٦٩، تفسير القرطبي ١: ٦٠.

وهذا هو الرأي الصحيح وهو الذي عليه جميع المسلمين ، وبه يفرّق بين القران الكريم والحديث القدسي الذي نزل معناه دون لفظه ، وعبر عنه الرسولﷺ بلسانه ولغته ، ولأجل ذلك كان اللفظ القرآني يتصف بالإعجاز البلاغي .

ولو كان من صياغة النبيﷺ لما اختلف عن الحديث القدسي صياغة ، ومن وجهة نظر بلاغية على الأقل ، ولما اختلف عن مطلق الحديث الذي تحدث به الرسولﷺ ، مع أن كلاً منهما له من الخصائص والأسلوب ما يميزه عن الاخر .

ويشهد على كون القران نازلاً بلفظه من عند الله تعالى ، توجيه الخطاب في كثير من آيات القران إلى النبيﷺ بعبارة ﴿ قل ﴾ حيث تكررت في أكثر من ثلاثمائة مورد ، مما يدل على عدم تدخل النبيﷺ في صياغة الوحي ، فهو مخاطب به لا متكلم ، حاكٍ لما يسمعه لا معبّر.

كما في قوله تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَه﴾[835]. وعليه فلا وجه لما ذكره الزركشي نقلاً عن السمرقندي من أن الأقوال في المنزل من القران ثلاثة :

١- أنه اللفظ والمعنى ، وأن جبرئيلعليه السلام حفظ القران من اللوح المحفوظ ونزل به .

٢- أنه نزل بالمعاني خاصة على الرسولﷺ ، فعبر عنهاﷺ بلغة العرب .

٣- أن المعاني ألقيت على جبرئيلﷺ ، فألقاها إلى الرسولﷺ بلغة العرب بتعبيره ، وأن أهل السماء يقرؤنه بالعربية[836].

وقد ظهر أن المتعيّن هو الأوّل ، وسبق الكلام لنا في كتاب الإعجاز ما يدعم هذه النتيجة ويحققها .

واما أول ما نزل من القرآن فقد ورد في الكثير من النصوص المروية عن أهل البيتعليهم السلام وغيرهم أن أول ما نزل من القران الكريم هو قوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ  خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[837].

٨٣٥- القيامة ١٦ — ١٨ .

٨٣٦- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١-٢٩١ طبعة دار الفكر.

٨٣٧- العلق:١-٥.

وقيل : أول ما نزل الفاتحة اعتماداً على أنهﷺ بعد نزول الوحي عليه صلى في اليوم التالي هو وام المؤمنين خديجة عليها السلام وعليعليه السلام، والصلاة إنما تكون بفاتحة الكتاب ، فلا بد أن تكون الفاتحة هي أول ما نزل من القران الكريم .

لكن هذا الاستدلال غير تام ، لإمكان نزول الفاتحة بعد آيات سورة العلق الخمسة ، وإمكان أن تكون صلاتهم آنذاك بلا فاتحة الكتاب ، وقبل أن تشرّع الصلاة بها. وتسميتها بفاتحة الكتاب يمكن أن يوحي بأنها أول سورة كاملة نزلت كما يمكن أن يكون ناشئاً من جعلها في مفتتح المصحف بأمر من الرسولﷺ وإن تأخر نزولها .

واما متى بدأ نزول القرآن فلا خلاف في أن بدء نزول القران كان في شهر رمضان المبارك والآيات الكريمة التي صرحت بنزول القران فيه متعدّدة منها : قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾[٨٣٨]. وقال: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾[٨٣٩]. وقال : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾[٨٤٠].

وقد ذهب البعض إلى تحديده في السابع عشر منه وقال اخرون في الثامن عشر وقال قوم في الرابع والعشرين ، وكلها أقوال لا حجة واضحة عليها. فقد استدل أصحاب القول الأول بقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾[٨٤١].

بدعوى أن نزول القران كان يوم التقى الجمعان وهو يوم بدر السابع عشر من شهر رمضان ، إلاّ أن هذا الاستدلال فيه أكثر من هفوة ، فإن ظاهر الآية أن النازل من عند الله كان في نفس اليوم الذي وقعت فيه معركة بدر ، ومن المسلم به أن بين بدء نزول القران الكريم ومعركة بدر نحو خمسة عشر سنة .

كما يظهر أيضاً من سياق الآيات السابقة واللاحقة أن المراد بما أنزله الله تعالى هو الملائكة والآيات التي تثبّت قلوب المسلمين المجاهدين فلا دليل على أن النازل هو القران ، وتسمية ذلك اليوم بيوم الفرقان لأنه كان يوم الفصل ويوم النصر. فالصحيح أن نزول القران بدء في شهر رمضان في ليلة القدر.

---

٨٣٨- القدر:١.

٨٣٩- الدخان:٣.

٨٤٠- البقرة:١٨٥.

٨٤١- الأنفال:٤١.

واما النزول الدفعي والتدريجي ، قد يظهر من الآيات المتقدمة التي تتحدث عن نزول القران في شهر رمضان أن نزول القران الكريم كان دفعياً وأنه نزل بتمامه في شهر رمضان .

وهذا يخالف ما هو ثابت بالتواتر من أن القران نزل نجوماً متفرقة على رسول الله ﷺ في الفترة ما بين بعثته ووفاته ، وهو أمر يصرح به القران الكريم نفسه في آيات أخرى حيث يقول :

﴿ وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾[٨٤٢]، وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾[٨٤٣]، وحل هذا التنافي الظاهري هناك أقوال منها:

١- أن القران بدأ نزوله في شهر رمضان المبارك ثم توالى النزول بعد ذلك في فترات مختلفة ، فإنه يصح أن يقال نزل الغيث في الوقت الفلاني مع أنه ينزل تدريجياً ، لأن بدء نزوله كان في ذلك الوقت.

ومن جهة أخرى فإن القران اسم جنس يطلق على الكل وعلى البعض ، وكل اية منه فهي قران ، فلا نحتاج إلى التجوّز في إطلاق القران على الآيات الأولى النازلة في ليلة القدر. وقد تؤرخ الحوادث الواقعة في فترة ممتدة بأوّل حدوثها وبتاريخ شروعها ، كالمعارك الطويلة الأمد فيقال أن الحرب الفلانية وقعت في اليوم الفلاني مع أنها تستمر بعد ذلك عدة سنوات.

٢- أن القران الكريم له نزولان ، أحدهما دفعيّ والثاني تدريجي، واستشهد لهذا القول بأن ظاهر اختلاف التعبير في القران الكريم بين ﴿أنزلناه﴾ ، و ﴿نزّلناه﴾ ذلك ، فإن الانزال ظاهر في الدفعي ، والتنزيل ظاهر في التعدد والتدريجي ، وآيات نزول القران في شهر رمضان كلّها عبّرت بـ﴿ أنزلناه ﴾ وبـ﴿ أُنزل ﴾ .

ثم اختلفوا في النزول الدفعي على قلوين :

الأول : أنه كان إلى البيت المعمور أو السماء الدنيا، وقد ذهب إليه الشيخ الصدوق[٨٤٤]، وروي في مضمونه رواية عن الإمام الصادق عليه السلام[٨٤٥] وروايات أخرى عامية. ولكن الشيخ المفيد لم يرتض هذا القول ووصف الرواية بأنها شاذة لا توجب علماً ولا عملاً[٨٤٦].

---

٨٤٢- الإسراء:١٠٦.

٨٤٣- الفرقان:٣٢.

٨٤٤- الشيخ الصدوق، الاعتقادات، ٨٢ وحكاه عنه المجلسي، بحار الأنوار:١٨-٢٥٠.

الثاني : أن النزول الدفعي كان على قلب النبيﷺ ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[٨٤٧].

وقد تم تصوير هذا القول تارة بأن القران نزل على الرسولﷺ دفعة واحدة في شهر رمضان لكنه لم يؤذن له بتبليغه إلا بعد نزول جبرئيلعليه السلام به بعد ذلك تدريجياً .

وقد أولوا الآيات التالية بذلك كما في قوله تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾[٨٤٨]، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[٨٤٩] .

وقد فسرت الآية الأخيرة بأن الله جل جلاله نهى النبيﷺ عن قراءة القران قبل أن يؤذن له ويوحى إليه ، وهو دليل على أنه كان معروفاً عنده ، وليس ذلك إلا من خلال النزول الدفعي. بينما صور اخرون هذا القول بشكل اخر، فذهبوا إلى أنّ النزول الدفعي كان نزولاً لمعانيه الكلية دون التفصيل الذي عليه القران في النزول التدريجي.

فلا يرد عليه ما يرد على التصوير الأول من كون القران الكريم في الكثير من آياته نزل في حوادث خارجية لم تكن حادثة عند النزول الدفعي فكيف تحكيها وتتحدث عنها؟! ففي هذا التصوير لا يرد الاشكال لأن النازل دفعة هو حقائق القران الكلية.

وقد تبنى هذا الرأي الأخير السيد مُحَّد حسين الطباطبائي[٨٥٠]، والحقيقة أن التنافي بين الآيات التي وردت في نزول القران في شهر رمضان وبين النزول التدريجي هذا التنافي غير موجود كما تقدم في القول الأول .

كما أن التفريق بين الإنزال والتنزيل لا واقع له ، فإن القران نفسه استعمل الإنزال والتنزيل من دون تفريق ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾[٨٥١]، وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاء مَاء بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً ﴾[٨٥٢]، وقوله تعالى : ﴿ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ ﴾[٨٥٣] .

---

٨٤٥- الكليني، الكافي:٢-٦٢٩.

٨٤٦- المفيد، تصحيح الاعتقاد: ١٢٣-١٢٥.

٨٤٧- الشعراء:١٩٣- ١٩٥ .

٨٤٨- القيامة:١٦.

٨٤٩- طه:١١٤.

٨٥٠- الطباطبائي، الميزان:١٦/٢-١٨.

٨٥١- البقرة:٢٢.

وقد استعمل القران الكريم لفظ التنزيل في النزول الدفعي في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾[٨٥٤]، فلو كان التنزيل ظاهراً في التدريجي لكان الأولى هنا استعمال لفظ " أُنزِل" بدلاً من كلمة " نُزِّل".

وتعدد النزول في كلا التصويرين يتوقف على الدليل النقلي ، وما أورد من الأدلّة لو تم سنداً ودلالة لأمكن الاعتماد عليه لذا فلا يعدل عن الثابت من النزول التدريجي بالنص والتواتر إلا بدليل ثابت .

ولكن بين البعثة ونزول القرآن ، كما روي عن أهل البيت عليهم السلام أن بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت في السابع والعشرين من رجب ، وقد نقل المجلسي اتفاق الشيعة الإمامية عليه[٨٥٥] ، وروي عن غير الشيعة أيضاً[٨٥٦] .

ولكن الكثير من اهل السنة لم يرتضوا هذا القول ، فذهب بعضهم إلى أنه ولد في شهر ربيع الأول وبعث وقد تمت له أربعون سنة من العمر، فيلزم أن تكون بعثته فيه أيضاً .

ولكن هذا القول ضعيف فإن بعثته صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن تم له أربعون لا يستوجب هذا النحو من الدقة البعيدة عن النهج العرفي ، ولعل ذلك مبنيّ على التسامح ، ويكفي شاهداً على هذا التسامح ما ورد في تاريخ بعثته بطرق صحيحة أنها في السابع والعشرين من رجب .

وذهب اخرون منهم إلى أنه صلى الله عليه وآله وسلم بعث في شهر رمضان اعتماداً على أنه صلى الله عليه وآله وسلم إنما بعث بالقران وقد نزل القران أول ما نزل في شهر رمضان، فيلزم منه أن تكون البعثة في شهر رمضان أيضاً.

وهذا القول أيضاً ضعيف ، لأن التلازم بين البعثة ونزول القران ليس عليه من دليل إلاّ ما رواه البخاري في كيفية بدء الوحي ، وهذه الرواية ساقطة عن الاعتبار متناً وسنداً ، فهي مروية عن عددٍ من الضعفاء والكذابين المشهورين بذلك من جهة ، وتتضمن أموراً لا يمكن الالتزام بها لمخالفتها للأصول الاعتقادية ، وقد قدمنا الإشارة إلى ذلك عند الكلام عن كيفية نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

---

٨٥٢- الزخرف:١١.

٨٥٣- لقمان:٣٤.

٨٥٤- الفرقان:٣٢.

٨٥٥- المجلسي، بحار الأنوار:١٨-١٩٠.

٨٥٦- انظر : مصادره في الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم للسيد جعفر مرتضى، ٢-٢٤٤، ط. بيروت.

وعلى هذا فلا تلازم بين البعثة ونزول القران ، ومع انتقاء الملازمة لا يبقى هناك مانع من الالتزام بما ورد عن أهل بيت النبوةعليهم السلام من أنهصلى الله عليه وآله بعث نبياً في السابع والعشرين من شهر رجب ، وأن القران نزل عليه في شهر رمضان ، وفيما بينهما كان نبياً دون أن يكون معه قران .

ويؤيده ما ورد في بعض النصوص من أن نزول القران الكريم كان في السنة الثالثة من البعثة الشريفة ، وأن فترة النزول استمرت مدة عشرين سنة ، عشر منها في مكة وعشر في المدينة[٨٥٧].

وسواء ثبت نزول القران في السنة الأولى للبعثة أو ثبت كون بدء نزوله في السنة الثالثة ، فإن النتيجة عدم التلازم بين تاريخ البعثة ونزول الوحي عليه وبين تاريخ نزول القران .

### ٣ – عرض القران على النبوة

عرض القران على النبيصلى الله عليه وآله وجبريلعليه السلام والحفظة ، فقد روي في أحاديث صحيحة : وجاء من أنّ جبرئيلعليه السلام كان يعرض رسول الله صلى الله عليه وآله القرآن في شهر رمضان، في كلِّ عامٍ مرّة، وأنّه عارضه عام وفاته مرّتين[٨٥٨].

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يعرض ما في صدره على ما في صدور الحفظة الذين كانوا كثرة، وكان أصحاب المصاحف منهم يعرضون القرآن على النبي صلى الله عليه وآله فعن الذهبي:

أنّ الذين عرضوا القرآن على النبي صلى الله عليه وآله سبعة : عثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب عليه السلام وعبد الله بن مسعود ، وأُبي ابن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعري ، وأبو الدرداء[٨٥٩].

وعن ابن قتيبة : ( أنّ العرضة الأخيرة كانت على مصحف زيد بن ثابت)[٨٦٠]. وفي رواية ابن عبد البرّ عن أبي ظبيان : ( أنّ العرضة الأخيرة كانت على مصحف عبد الله بن مسعود)[٨٦١].

---

٨٥٧- الكليني، الكافي، ٢-٦٢٩ وتفسير العياشي، ١-٨٠ وتفسير شبر، عند تفسير الاية ٣٢ من سورة الفرقان ومستدرك الحاكم ٢-٦١٠ والاتقان للسيوطي ١-١٤٦ وغيرها.

٨٥٨- كنز العمال ١٢: حديث ٣٤٢١٤، مجمع الزوائد ٩: ٢٣، صحيح البخاري ٦: ٣١٩.

٨٥٩- البرهان للزركشي ١: ٣٠٦.

٨٦٠- المعارف: ٢٦٠.

٨٦١- الاستيعاب ٣: ٩٩٢.

وفي أحاديث جمع القرآن ، فقد وعد الله سبحانه نبيّه‌صلى الله عليه وآله بحفظ القرآن وبيانه ، وضمن له عدم ضياعه ونسيانه. وكان النبي‌صلى الله عليه وآله كلّما نزل من القرآن شيء أمر بكتابته ويقول في مفرقات الآيات : ضعوا هذا في سورة كذا[٨٦٢] ، وهكذا.

وكان‌صلى الله عليه وآله يعرضه على جبرئيل‌عليه السلام في شهر رمضان في كل عام مرّة ، وعرضه عليه عام وفاته مرّتين[٨٦٣]. وحفظه في حياته جماعة من أصحابه ، وكل قطعة كان يحفظها جماعة كبيرة أقلّهم بالغون حدّ التواتر، هذا هو الحقّ والأمر الواقع .

وقد أوردنا مسبقاً أحاديث القوم في قضية جمع القرآن ووجدناها متناقضة وعقّبناها بذكر ما قيل أو يمكن أن يقال في معناها ووجه الجمع فيما بينها. فهل ترتفع المشكلة بهذا الاسلوب ؟.

واما إعراضهم عن علي‌عليه السلام في جمع القرآن ، فلابدّ قبل الورود في البحث من أن نقول لقد كان أمير المؤمنين علي‌عليه السلام أعلم الناس بكتاب الله ـ عزّ وجلّ ـ عند المخالف والمؤالف ، وهو القائل :

« والله ما نزلت آية إلاّ وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت»[٨٦٤]، والقائل: « سلوني عن كتاب الله ، فإنّه ليس آية إلاّ وقد عرفت أبليل نزلت أن بنهار، في سهل أو جبل»[٨٦٥].

وهو الذي قال رسول الله‌صلى الله عليه وآله في حقّه: « علي أعلم الناس بالكتاب والسنّة»[٨٦٦]. وقال‌صلى الله عليه وآله : « علي مع القرآن والقرآن مع علي»[٨٦٧]. وناهيك بحديث : « أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها»[٨٦٨]. وعلي‌عليه السلام استاذ ابن عبّاس في التفسير، وقد ذكر القوم أنّ «أعلم الناس بالتفسير أهل مكّة لأنّهم أصحاب ابن عبّاس»[٨٦٩].

فلماذا لم يعدّه أنس بن مالك ـ ولا غيره ـ من حفّاظ القرآن ، ومن الّذين أم الرسول‌صلى الله عليه وآله بتعلّمه منهم والرجوع إليهم فيه ، فيما رواه البخاري في صحيحه ؟!.

---

٨٦٢- مسند أحمد ١ : ٥٧ ، الترمذي ١١ : ٢٢٥ ، أبو داود ١ : ٢٩٠ ، المستدرك ٢ : ٢٣٠.

٨٦٣- صحيح البخاري ١ : ١٠١ وغيره.

٨٦٤- حلية الأولياء ١ : ٦٧ ، أنساب الأشراف ١ : ٩٩.

٨٦٥- أنساب الأشراف ١ : ٩٩ ، الاستيعاب ٣ : ١١٠٧.

٨٦٦- المعيار والموازنة : ١٠٢.

٨٦٧- المستدرك ٣ : ١٢٤ ، الصواعق : ٧٦ و ٧٧ ، كفاية الطاب : ٢٥٤.

٨٦٨- من الأحاديث المتواترة بين المسلمين. بحثنا عنه سنداً ودلالةً في الجزء العاشر وتالييه من أجزاء كتاب (انظر : نفحات الازهار في خلاصة عبقات الأنوار).

٨٦٩- الإتقان ٢ : ٣٨٥.

ثمّ إنّه عليه السلام رتّب القرآن الكريم ودوّنه بعيد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من القراطيس التي كان مكتوباً عليها ، فكان له مصحف تامّ مرتّب يختصّ به كما لعدّة من الصحابة في الأيام اللاحقة ، وهذا من الامور المسلّمة تاريخياً عند جميع المسلمين[٨٧٠].

ومن جلائل فضائل سيّدنا أمير المؤمنين عليه السلام. فلماذا لم يستفيدوا منه؟!. ولعلّ إعراضهم عن مصحف علي عليه السلام هو السبب في قدح ابن حجر العسقلاني[٨٧١]، ومن تبعه كالآلوسي[٨٧٢]، في الخبر الحاكي له .

مع أنّ هذا الأمر من الامور الثابتة الضرورية المستغنية عن أيّ خبر مسند ، لكنّ هؤلاء يحاولون توجيه ما فعله القوم أو تركوه كلّما وجدوا إلى ذلك سبيلاً؟!.

ثمّ إنّه لماذا لم يدعوا الإمام علي عليه السلام ولم يشركوه في جمع القرآن؟!، فإنّا لا نجد ذكراً له فيمن عهد إليهم أمر جمع القرآن في شيء من أخبار القضية ، لا في عهد أبي بكر ولا في عهد عمر وعثمان. فلماذا؟! ألا ، إنّ هذه امور توجب الحيرة وتستوقف الفكر؟!.

واما حصرهم الجامعين على عهد النبوة في عدد ، فإنّ التحقيق ـ كما عليه أهله من عامّة المسلمين ـ أنّ القرآن قد كتب كلّه في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعده ، وجمع في الصدور والسطور معاً من قبل جماعة من أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم غير أنّ الجامعين له ـ أي : الحافظين في صدورهم ـ أكثر ممّن كتبه ، كما أنّ من كتبه بتمامه فكان ذا مصحف يختصّ به أقلّ ممّن كان عنده سور من القرآن كتبها واحتفظ بها لنفسه.

فهل كان الجامعون له بتمامه أربعة كما عن أنس بن مالك[٨٧٣]، وعبدالله بن عمرو[٨٧٤]، أو خمسة كما عن مُحَّد بن كعب القرظي[٨٧٥]، أو ستّه كما عن الشعبي[٨٧٦]، أو تسعة كما عن النديم[٨٧٧] ؟!.

---

٨٧٠- التسهيل لعلوم التنزيل ١ : ٤ .

٨٧١- فتح الباري ٩ : ٩.

٨٧٢- روح المعاني ١ : ٢١.

٨٧٣- صحيح البخاري ٦ : ١٠٢.

٨٧٤- صحيح البخاري ٦ : ١٠٢ ، صحيح مسلم ٧ : ١٤٩.

٨٧٥- الإتقان ١ : ٧٢ ، منتخب كنز العمّال ٢ : ٤٧.

٨٧٦- الإتقان ١ : ٧٢ ، البرهان ١ : ٢٤١.

٨٧٧- الفهرست : ٣٠.

إنّ الجامعين للقرآن أكثر من هذه الأعداد ، وأمّا حديث الحصر في الأربعة وأنّ كلّهم من الأنصار .كما عن أنس بن مالك . فنحن نستنكره تبعاً لجماعة من الأئمّة. كما ذكر الحافظ السيوطي ولا نتكلّف تأويله ولا ننظر في سنده .

ونقول كلمة حول (أنس بن مالك) بل الكلام في أنس بن مالك نفسه. لأنّا قد وجدناه رجلاً كاذباً كاتماً للحقّ ، آبياً عن الشهادة به ، في قضية مناشدة أمير المؤمنين علي عليه السلام بحديث الغدير .

فإنّ أنس بن مالك كان في الناس الّذين نشدهم أمير المؤمنين عليه السلام وطلب منهم الشهادة بما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم ، فقام القوم فشهدوا إلاّ ثلاثة منهم لم يقوموا فدعا عليهم فأصابتهم دعوته ، منهم أنس بن مالك.

إذا قال له الإمام علي عليه السلام : « يا أنس ، ما يمنعك أن تقوم فتشهد ولقد حضرتها ؟، فقال : يا أمير المؤمنين كبرت ونسيت، فقال عليه السلام: اللّهم إن كان كاذباً فارمه بيضاء لا تواريها العمامة ، فكان عليه البرص»[٨٧٨] .

ووجدناه كاذباً في قضية حديث الطائر ، فإنّ النبي صلى الله عليه وآله لما اتي إليه طائر مشوي ليأكل منه وقال : « اللّهم ائتني بأحبّ خلقك إليك وإليّ يأكل معي من هذا الطائر» كان يترقّب دخول علي عليه السلام عليه ، وكان أنس كلّما جاء علي ليدخل ردّه قائلاً: « إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله على حاجة » حتى كانت المرة الأخيرة ، فرفع علي يده فوكز في صدر أنس ثمّ دخل .

فلما نظر إليه رسول الله صلى الله عليه وآله قام قائماً فضمّه إليه وقال : ما أبطأ بك يا علي؟! قال : يا رسول الله ، قد جئت ثلاثاً كل ذلك يردّني أنس ، قال أنس: فرأيت الغضب في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وقال صلى الله عليه وآله: يا أنس ، ما حملك على ردّه؟! قلت: يا رسول الله سمعتك تدعوا، فأحببت أن تكون الدعوة في الأنصار، قال صلى الله عليه وآله: « لست بأوّل رجل أحبّ قومه ، أبي الله يا أنس إلاّ أن يكون ابن أبي طالب»[٨٧٩] .

إنّه يكذب غير مرّة ، ويمنع أحبّ الناس إلى الله ورسوله صلى الله عليه وآله من الدخول ، ويتسبّب في تأخير استجابة دعوة الرسول صلى الله عليه وآله ، وهنا نفس التصرف من انس حصر حفّاظ القرآن في أربعة من الأنصار،

---

٨٧٨- انظر : كتاب نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار – قسم حديث الغدير ، والغدير ١ : . ١٩١ : ١٩٥.

٨٧٩- حديث الطير من الأحاديث المتواترة ، تجده في جلّ كتب الحديث والفضائل ، وله طرق كثيرة جدّاً حتى أفرده بعضهم بالتأليف. وكلّها تشتمل على صنيع أنس بن مالك.. وهذا الحديث أيضاً من الأحاديث المبحوث عنها بالتفصيل في كتاب (نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار في الجزئين : ١٣ . ١٤).

حبّاً لهم؟!. إنّ الباعث له على ما فعل في قصّة الطائر ليس «حبّ الأنصار» بل «بغض علي» ، هذه الحقيقة التي كشف عنها بكتمان الشهادة بحديث «الغدير».

### ٤ . ختم القران الكريم

ففي العديد من الروايات أنّ الصحابة كانوا يختمون القرآن من أوله إلى آخره ، وكان الرسول ﷺ قد شرّع لهم أحكاماً في ذلك ، وحثّهم على ختمه. فقد جاء أنه روي عنه ﷺ أنّه قال : ( إنّ لصاحب القرآن عند كلِّ ختم دعوةً مستجابةٍ)[٨٨٠].

ومثلهِ كذلك عنه ﷺ قال : ( من قرأ القرآن في سبعٍ فذلك عمل المقربين ، ومن قرأه في خمسٍ فذلك عمل الصدّيقين )[٨٨١].

ومثلهِ كذلك عنه ﷺ قال: (من شهد فاتحة الكتاب حين يستفتح كان كمن شهد فتحاً في سبيل الله، ومن شهد خاتمته حين يختمه كان كمن شهد الغنائم)[٨٨٢]. ومعنى ذلك أنّ القرآن كان مجموعاً معروفاً أوّله من آخره على عهد رسول الله ﷺ فعن مُحَّد بن كعب القرظي قال: (كان ممّن يختم القرآن ورسول الله ﷺ حيّ: عثمان، وعليّ عليه السلام وعبد الله بن مسعود)[٨٨٣].

وقال الشيخ الطبرسي : ( إنّ جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود وأُبي ابن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبيّ ﷺ عدّة ختمات)[٨٨٤].

وكذلك روي عنه ﷺ : ( أنّه قد أمر عبد الله بن عمرو بن العاص بأن يختم القرآن في كلِّ سبع ليالٍ ـأو ثلاث ـ مرّة ، وقد كان يختمه في كل ليلة )[٨٨٥]. ومثلهِ كذلك ورد أنه أمر النبيّ ﷺ سعد بن المنذر أن يقرأ القرآن في ثلاث ، فكان يقرؤه كذلك حتى تُوفي[٨٨٦].

---

٨٨٠- كنز العمال ١: ٥١٣ حديث ٢٢٨٠.

٨٨١- نفس المصدر ، ٥٣٨ حديث ٢٤١٧.

٨٨٢- نفس المصدر ، ٥٢٤ حديث ٢٤٣٠.

٨٨٣- الجامع لأحكام القرآن ١: ٥٨.

٨٨٤- مجمع البيان ١: ٨٤.

٨٨٥- سنن الدارمي ٢: ٤٧١، سنن أبي داود ٢: ٥٤، الجامع الصحيح للترمذي ٥: ١٩٦، مسند أحمد ٢: ١٦٣.

٨٨٦- مجمع الزوائد ٧: ١٧١.

## ٥ . التدوين في صحف وقراطيس

كان الصحابة يدوّنون القرآن في صحف وقراطيس ولا يكتفون بالحفظ والتلاوة، فلعلك قرأت ما روي في إسلام عمر بن الخطّاب :

أنّ رجلاً من قريش قال له : أختك قد صبأت ؛ أي خرجت عن دينك ، فرجع إلى أخته ودخل عليها بيتها ، ولطمها لطمة شجّ بها وجهها ، فلمّا سكت عنه الغضب نظر فإذا صحيفةٌ في ناحية البيت فيها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، سبّح لله ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم.. الخ[٨٨٧]. واطّلع على صحيفة أُخرى فوجد فيها (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى.. الخ)[٨٨٨]. فأسلم بعدما وجد نفسه بين يدي كلامٍ معجزٍ ليس من قول البشر[٨٨٩]. وهذا يدلّ على أنهم كانوا يكتبون بإملاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأن هذا المكتوب كان يتناقله الناس.

وتجد رفض أحاديث جمع القرآن على عهدي أبي بكر وعمر ، على كلّ حال ، فإن القرآن كان مجموعاً على عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وإنّ الجامعين له ـ حفظاً وكتابة ـ على عهده كثيرون .

وإذا كان القرآن مكتوباً على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان الأصحاب يؤلّفونه بأمره ـ كما يقول زيد بن ثابت ـ[٨٩٠] فلا وزن لما رووه عن زيد أنّه قال: قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يكن القرآن جمع في شيء[٨٩١] لأنّ « التأليف » هو « الجمع » ، كما قال ابن حجر: « تأليف القرآن: أي جمع آيات السورة الواحدة أو جمع السور مرتّبة في المصحف»[٨٩٢].

وعلى هذا الأساس ، يجب رفض ما رووه من الأحاديث في أنّ «أوّل من جمع القرآن أبوبكر» أو « عمر » أو غيرهما من الأصحاب بأمرهما، وذلك لأنّ الجمع في المصحف قد حصل قبل أبي بكر .

---

٨٨٧- الحديد ١ .

٨٨٨- طه ١ .

٨٨٩- الموسوعة القرآنية ١: ٣٥٢.

٨٩٠- المستدرك ٢ : ٦٦٢.

٨٩١- الإتقان ١ : ٢٠٢.

٨٩٢- فتح الباري ٩ : ٨.

فلا وجه لقبول هذه الأحاديث . حتى لو كانت صحيحة سنداً . كي نلتجئ إلى حمل « فكان – عمر – أوّل من جمعه في المصحف»[٨٩٣]، مثلاً على أنّ المراد : « أشار على أبي بكر أن يجمعه»[٨٩٤]، جمعاً بينه وبين ما دلّ على أنّ « الأول » هو « أبو بكر ». وكذلك نرفض ما أخرجه الامام البخاري عن زيد بن ثابت أنّه قال : «أرسل إليّ أبو بكر بعد مقتل أهل اليمامة..»[٨٩٥] لعدة وجوه منها :

أولاً : إنّ القرآن كان مجموعاً مؤلّفاً على عهد النبيﷺ أو بعيد وفاته بأمر منه ، وإذ قد فعل رسول اللهﷺ ذلك كيف يقول زيد لأبي بكر: «كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول اللهﷺ»؟!.

وثانياً : قوله : « فتتبّعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال » يناقضه ما دلّ على كونه مؤلّفاً ومدوّناً على عهد النبيﷺ وقد رواه هو، بل رووا أنّ جبريلعليه السلام عرض القرآن على النبيﷺ في عام وفاته مرّتين ، بل ذكر ابن قتيبة أنّه كان آخر عرض قام به رسول اللهﷺ للقرآن على مصحف زيد بن ثابت نفسه[٨٩٦].

وثالثاً : قوله : « حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري ، لم أجدها مع أحد غيره» ممّا اضطرب القوم في معناه ، كما اختلفوا في اسم هذا الرجل الذي وجد عنده ذلك[٨٩٧].

رفض أحاديث قبول الآية بشاهدين ، وكذلك رفض ما أخرجه ابن أبي داود: « إنّ أبا بكر قال لعمر ولزيد : اقعدا على باب المسجد فمن جائكما بشاهدين من كتاب الله فاكتباه »[٨٩٨]، قال ابن حجر : « رجاله ثقات مع انقطاعه » ، فإنّه بغضّ النظر عمّا في سنده تدفعه الضرورة ، فلا حاجة إلى الوجوه التي ذكرها ابن حجر التوجيهية حيث قال :

« كأنّ المراد بالشاهدين الحفظ والكتابة ، أو المراد أنّهما يشهدان على أنّ ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول اللهﷺ، أو المراد أنّهما يشهدان على أنّ ذلك من الوجوه التي نزل بها القرآن ، وكان غرضهم أن لا يكتب إلاّ من عين ما كتب بين يدي النبيﷺ لا مجرّد الحفظ »[٨٩٩].

---

٨٩٣- الإتقان ١ : ٢٠٤.

٨٩٤- فتح الباري ٩ : ١٠.

٨٩٥- صحيح البخاري ٦ : ٢٢٥.

٨٩٦- المعارف : ٢٦٠.

٨٩٧- فتح الباري ٩ : ١٢ ، إرشاد الساري ٧ : ٤٤٨ ، المرشد الوجيز : ٤٣ ، البرهان ١ : ٢٣٦ ، مناهل العرفان ١ : ٢٦٦.

٨٩٨- المصاحف : ٥٥ .

٨٩٩- فتح الباري ٩ : ١١.

مع أنّ بعض تلك الوجوه غير قابل للتصديق به أبداً ، ومن هذا الحديث ـ في الدلالة على كتابة القرآن بشهادة شاهدين ـ نظائر عديدة في كتب اهل السنة نذكر بعضها مع إسقاط أسانيده وكما يلي:

١ ـ انه « لما قتل أهل اليمامة أمر أبو بكر عمر بن الخطّاب وزيد بن ثابت فقال : أجلسا على باب المسجد فلا يأتينّكما أحد بشيء من القرآن تنكرانه يشهد عليه رجلان إلاّ أثبتمّاه ؛ وذلك لأنّه قتل باليمامة ناس من أصحاب رسول الله ﷺ قد جمعوا القرآن»[900].

٢ ـ انه « أراد عمر بن الخطّاب أن يجمع القرآن فقام في الناس فقال: من كان تلقّى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأتنا به ، وكانوا كتبوا ذلك في الصحف والألواح والعسب ، وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شهيدان ، فقتل وهو يجمع ذلك إليه ، فقام عثمان فقال :

من كان عنده من كتاب الله شيء فليأتنا به ، وكان لا يقبل من ذلك شيئاً حتى يشهد عليه شهيدان ، فجاء خزيمة بن ثابت فقال : إنّي قد رأيتكم تركتم آيتين لم تكتبوهما ، قالوا: وما هما؟ قال :

تلقّيت من رسول الله ﷺ ( لقد جائكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم..) إلى آخر السورة. فقال عثمان : وأنا أشهد أنّهما من عند الله ، فأين ترى أن نجعلهما ؟ قال : اختم بهما آخر ما نزل من القرآن ، فختمت بهما براءة»[901].

٣ ـ انه « كان عمر لا يثبت آية في المصحف حتى يشهد رجلان ، فجاء رجل من الأنصار بهاتين الآيتين : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم..) إلى آخرها ، فقال عمر : لا أسألك عليها بيّنة أبداً، كذلك كان رسول الله»[902].

٤ ـ خزيمة بن ثابت : « جئت بهذا الآية : ( لقد جاءكم..) على عمر بن الخطّاب وإلى زيد بن ثابت ، فقال زيد : من يشهد معك ؟ قلت : لا والله ما أدري . فقال عمر : أنا أشهد معه على ذلك »[903].

---

٩٠٠- منتخب كنز العمّال ٢ : ٤٥.

٩٠١- نفس المصدر .

٩٠٢- نفس المصدر .

٩٠٣- نفس المصدر ٤٦.

٥ . زيد بن ثابت : « لما كتبنا المصاحف فقدرت آية كنت أسمعها من رسول الله ﷺ فوجدتها عند خزيمة بن ثابت : ( من المؤمنين رجال صدقوا..) وكان خزيمة يدعى ذا الشهادتين ، أجاز رسول الله ﷺ شهادته بشهادة رجلين »[٩٠٤].

٦ . انه « أول من جمع القرآن أبو بكر وكتبه زيد ، وكان الناس يأتون زيد بن ثابت فكان لا يكتب إلاّ بشهادة عدلين ، وإنّ آخر سورة براءة لم توجد إلاّ مع أبي خزيمة ابن ثابت ، فقال : اكتبوها فإنّ رسول الله ﷺ جعل شهادته بشهادة رجلين ، فكتب. وإنّ عمر أتى بآية الرجم فلم نكتبها لأنّه كان وحده »[٩٠٥].

وممّا يزيد بطلان هذه الأحاديث وضوحاً وجود التكاذب فيما بينها ، وبيان ذلك : إنّ الحديث الثاني صريح في أنّ الجمع كان في زمن عمر والآتي بالآيتين خزيمة بن ثابت والشاهد معه عثمان .

لكن في الثالث « جاء رجل من الأنصار» وقال عمر : « لا أسألك عليها بيّنة أبداً كذلك كان رسول الله ».

وفي الرابع : « فقال زيد: من يشهد معك ؟» قال خزيمة : « لا والله ما أدري ، فقال عمر : أنا أشهد معه ».

وفي السادس : أنّ الجمع كان في زمن أبي بكر والكاتب زيد « فكان لا يكتب آية إلاّ بشهادة عدلين » وأنّ آخر سورة براءة لم توجد إلاّ مع خزيمة بن ثابت ، فقال : « أكتبوها فإنّ رسول الله جعل شهادته بشهادة رجلين » .

وأيضاً : وجود التكاذب بينها وبين الحديث التالي : « إنّهم جمعوا القرآن في المصاحف في خلافة أبي بكر ، وكان رجال يكتبون ويملي عليهم أُبَيّ ، فلمّا انتهوا إلى هذه الآية من سورة براءة : (ثم انصرفوا صرف الله..) فظنّوا أنّ هذا آخر ما نزل من القرآن ، فقال أُبَيّ بن كعب: أقرأني بعدها آيتين : (لقد جاءكم رسول..)[٩٠٦] .

وهكذا ترتفع جميع الشبهات حول القرآن الكريم بعد سقوط الأحاديث التي هي المناشيء الأصليّة لها .

---

٩٠٤- منتخب كنز العمّال ٢ : ص٤٩ - ٥٢.

٩٠٥- الإتقان ١ : ١٠١.

٩٠٦- مجمع الزوائد ٧ : ٣٥ .

بقي الحديث حول ما صنعه عثمان : يبقى الكلام حول ما صنعه عثمان. فهل جمع القرآن من جديد؟ وكيف؟ وبواسطة من؟. لقد اختلفت الأحاديث وكلمات العلماء في هذا المقام أيضاً ، وقد أشرنا إلى بعض ذلك فيما سبق.

ولما توصلنا ان الصحيح كان القرآن مكتوباً على عهد الرسولﷺ ومجموعاً مدوّناً قبل عهد عثمان بزمن طويل ، بل لا دور لمن تقدّم عليه في جمعه ، والصحيح الذي فعله عثمان على عهده لم يكن إلاّ جمع المسلمين على قراءة واحدة ، وهي القراءة المشهورة المتعارفة بينهم، المتواترة عن النبيﷺ، ومنعهم عن القراءات الاخرى المبنيّة على أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف.

أمّا هذا العمل فلم ينتقده عليه أحد من المسلمين ، لأنّ مصاحف الصحابة والتابعين كانت مختلفة ، حتى أنّ بعض العلماء ألّف في أختلافها كتاباً خاصاً[٩٠٧]، وكان لكل من الصحابة أتباع في البلاد يقرؤون على قراءته ، ومن الطبيعي أن يؤدّي الإختلاف في قراءة القرآن إلى ما لا تحمد عقباه.

بل أعلن بعض الأصحاب تأييده لما قام به عثمان ، ورووا عن أمير المؤمنين عليعليه السلام أنّه قال : « لا تقولوا في عثمان إلاّ خيراً ، فو الله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلاّ عن ملأٍ منّا . قال : ما تقولون في هذه القراءة ، فقد بلغني أنّ بعضهم يقول : إنّ قراءتي خير من قراءتك ، وهذا يكاد يكون كفراً، قلنا : فما ترى؟ قال : أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد ، فلا يكون فرقة ولا اختلاف. قلنا : فنعم ما رأيت»[٩٠٨].

وعنه أنّه قال : « لو ولّيت لفعلت مثل الذي فعل»[٩٠٩]، ويؤيّده ما نقل السيّد ابن طاووس ذلك وسكوته عليه ، حيث جاء في الباب الثاني الذي عقده لنقل أشياء من كتب التفاسير ونقدها قال :

« فصل فيما نذكره من كتاب عليه : جزء فيه اختلاف المصاحف تأليف أبي جعفر مُحَمَّد بن منصور رواية مُحَمَّد بن زيد بن مروان ، قال في السطر الخامس من الوجهة الاولى منه: إن القرآن جمعه على عهد أبي بكر زيد بن ثابت ، وخالفة في ذلك أبي وعبدالله بن مسعود وسالم ومولى أبي حذيفة ، ثم عاد عثمان جمع القرآن برأي مولانا علي بن أبي طالبعليه السلام..»[٩١٠].

٩٠٧- أنظر : كتاب المصاحف لابن أبي داود السجستاني .

٩٠٨- فتح الباري ٩ : ١٥ .

٩٠٩- إرشاد الساري ٧ : ٤٤٨ ، البرهان ١ : ٢٤٠ وغيرهما .

٩١٠- سعد السعود ، ٢٧٨ .

وأيضاً : أنّ عد الآيات والسور الذي عليه أكثر القرّاء كما سبق عن عدةٍ من أعلام الإمامية هو العدد الكوفي كما ذكر الامام الشيخ الطوسي، وقد ذكر الامام الشيخ الطبرسي في أوّل تفسيره. « أن عدد أهل الكوفة أصح الأعداد وأعلاها إسناداً ، لأنه مأخوذ عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام».

وأيضاً : قول الامام العلاّمة الحلّي : « يجب أن يقرأ بالمتواتر من الآيات وهو ما تضمنّه مصحف علي عليه السلام ، لأن أكثر الصحابة اتّفقوا عليه ، وأحرق عثمان ما عداه ، ولا يجوز أن يقرأ مصحف ابن مسعود ولا أبي ولا غيرهما ».

### ٦ . أسماء جامعي القرآن الكريم

تلاحظ انه قد نقلت المصادر لنا ان من جمع آيات الذكر الحكيم طائفة من الصحابة رضي الله عنهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمنهم قيل :

قيل : أربعة على رواية عبد الله بن عمرو، وأنس بن مالك[٩١١].

قيل : خمسة كما في رواية مُحَّد بن كعب القرظي[٩١٢].

قيل : ستة كما في رواية الشعبي[٩١٣] وابن حبيب في (المحبّر)[٩١٤].

قيل : سبعة أنهاهم ابن النديم في (الفهرست)[٩١٥].

وليس المراد من الجمع هنا الحفظ ، لأنّ حفّاظ القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانوا أكثر من أن تُحصى أسماؤهم في أربعة أو سبعة ، كما سبق بيانه في الدليل الأول .

---

٩١١- مناهل العرفان ١: ٢٣٦، الجامع لأحكام القرآن ١: ٥٦، أُسد الغابة ٤: ٢١٦، الجامع الصحيح ٥: ٦٦٦.

٩١٢- حياة الصحابة ٣ ، ٢٢١ .

٩١٣- طبقات ابن سعد ٢: قسم ٢ | ١١٢، البرهان للزركشي ١: ٣٠٥، الاصابة ٢: ٥٠، مجمع الزوائد ٩: ٣١٢.

٩١٤- المحبر، ٢٨٦ .

٩١٥- الفهرست : ٤١.

وفيما يلي قائمة بأسماء جُمّاع القرآن في عهد رسول الله ﷺ وهي حصيلةٌ جميع الروايات الواردة بهذا الشأن وهم كما يلي:

١- أُبي بن كعب .

٢- أبو أيوب الأنصاري .

٣- تميم الداري .

٤- أبو الدرداء .

٥- أبو زيد ثابت بن زيد بن النعمان .

٦- زيد بن ثابت .

٧- سالم مولى أبي حذيفة .

٨- سعيد بن عبيد بن النعمان. وفي الفهرست : سعد .

٩- عبادة بن الصامت .

١٠- عبد الله بن عمرو بن العاص .

١١- عبد الله بن مسعود .

١٢- عبيد بن معاوية بن زيد .

١٣- عثمان بن عفان .

١٤- عليّ بن أبي طالب .

١٥- قيس بن السكن .

١٦- قيس بن أبي صعصعة بن زيد الأنصاري .

١٧- مجمع بن جارية .

١٨- معاذ بن جبل بن أوس .

١٩- أُمّ ورقة بنت عبد الله بن الحارث .

ولاحظ ان بعض هؤلاء كان لهم مصاحف وهي مشهورة مثل مصحف عبد الله بن مسعود ومصحف الامام عليّ بن ابي طالب عليه السلام الذي هو بين أيدينا اليوم ، وللمزيد أكثر راجع جزء (مصحف علي عليه السلام) من موسوعة إتقان القران وعلوم الرحمن ، تأليف : ساجد شريف عطية ، طبعة ١٩٩٨م - ١٤١٩هـ - بغداد — العراق .

### ٧ . لفظ كلمة الكتاب

لفظ الكتاب على القران الكريم : لاحظ إطلاق لفظ الكتاب على القرآن في كثيرٍ من آياته الكريمة ، وفي المقابل تجد انه لا يصحّ إطلاق لفظة الكتاب عليه وهو في الصدور . بل لابدّ أن يكون مكتوب ومجموع كما ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ( إنّي تاركٌ فيكم الثقلين : كتاب الله ، وعترتي)[٩١٦] .

وهو دليلٌ على أنّه صلى الله عليه وآله وسلم قد تركه مكتوباً في السطور على هيئة كتاب وليس مبعثر هنا وهناك لكي يأتي الصحابة من بعدهِ صلى الله عليه وآله وسلم ويجمعون ما بعثره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

ودلالة كلمة الكتاب والقران ، فان دلالة إستخدام جملة قوله (ذلك الكتاب) في الآية (الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ)[٩١٧] ، ولم تأت هذا الكتاب أو هذا القرآن أو ذلك القرآن؟. فالذي أنزله الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم يمكن أن يقال هو الكتاب ، ويمكن أن يقال هو القرآن ، ويمكن أن يقال هو الفرقان ، ويمكن أن يقال هو الذِكر[٩١٨] .

لكن أسماء الإشارة عندما تُستعمل لغايتها ، فاسم الإشارة في الأصل هو (ذا) وحدها لكن تدخله الهاء للتنبيه ، حينما يقدم عليه شيء ينبّه فيقال (هذا) ، وأحياناً تدخل عليه الكاف التي تشير إلى البُعد فيقال (ذاك) ، وقد تدخل عليه اللام التي تشير إلى البُعد المفرِط (ذلك) للبعيد جداً.

---

٩١٦- سنن الترمذي ، ج٥ ، ص٦٦٢ .

٩١٧- البقرة ١ — ٢ .

٩١٨- انظر : الفرق بين دلالة كلمة الكتاب والقران ، الدكتور حسام النعيمي .

بعض العلماء يقولون ان هذا نوع من تشريف الكتاب بأنه لم يُشر إليه بإشارة القريب ، وكأنما أراد الله أن يعظّمه. وقسم قال : إذا أشار إلى الكتاب الذي في اللوح المحفوظ قال (ذلك) ، فمعناه الكتاب الذي في اللوح المحفوظ ، والذي لا يمسه إلا المطهّرون من الملائكة ، فإذا أشار إليه بهذا أراد الذي بين أيدي الناس ، فيشير إليه إشارة القريب كقوله تعالى (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) فهو بين أيديهم .

فلفظ كلمة (القرآن) و (الكتاب) واحد ، وهو الآيات التي أنزلها الله عز وجل على محمد ﷺ، لكن حين يقول الكتاب فكأنه إشارة إلى هذا المدوّن وهو نفسه المقروء ، الذي كان مسطّراً في اللوح المحفوظ ، ثم نزل مقروءاً، ثم قرأه الرسول ﷺ.

فالإشارة إلى الكتاب الذي في اللوح المحفوظ ويراد الرسم والكتابة ، فجاءت كلمة (الكتاب) ، وكان يمكن في غير القرآن أن يقال (ذلك القرآن) ، لكن لأن الكلام جاء على أنه ليس فيه شك في تكوينه ، في ماهيّته .

أي أنه خالٍ من الشك الذاتي ، يعني هو غير قابل لأن يُشكّ فيه بذاته قال (لا ريب فيه) ، فانصرف الذهن إلى الكتاب الذي في اللوح المحفوظ (ذلك الكتاب لا ريب فيه) ، والريب أدنى درجات الشك ، والشك أقوى من الريب ، فهذا الكتاب بذاته يخلو من أي ذرة من ذرات الشك ، فإذًا هو يخلو من الريب.

**أ :- كلمة كتاب في الآيات :**

وردت كلمة ( كتاب ) في القرآن الكريم بالمفرد والجمع ( كتب ، كتبه ) ، وبالنسبة الى المخاطب ( كتابك ، كتابكم ) والى المتكلم ( كتابنا ، كتابي ، كتابيه ) والى الغائب ( كتابه ، كتابها ، كتابهم ) في (٢٦١) موضعاً ، ونحن نعلم أن الكلمة الواحدة في القرآن الكريم قد تحمل معاني عديدة رغم أنها واحدة في رسمها .

أي أنها مكونة من نفس الحروف ، ولكننا لا نقول بتطابق المعنى في كلمتين مختلفتي الحروف[٩١٩]، وكلمة الكتاب رغم أنها كلمة واحدة إلا أنها تصيب معاني عديدة تختلف في مدلولها ، وقد أحصيت في القرآن الكريم (١٥) معنى لهذه الكلمة هي كما يلي :

---

٩١٩- انظر : ماذا تعني كلمة -كتاب - في القرآن الكريم، تأليف : زياد السلوادي .

١- كتاب : هو النظام الإلهي والدستور والشريعة العظمى التي سنها الله للإنسان وأمره باتباع ما فيها ، وهو النظام الذي نزلت منه جميع كتب الرسل والأنبياء ( الدين ).

٢- كتاب : هو نظام خاص مؤسس على حروف فواتح السور القرآنية.

٣- كتاب : هو التوراة .

٤- كتاب : هو الإنجيل .

٥- كتاب : هو القرآن .

٦- كتاب : هو نظام زمني ووقت خاص بعِدة المرأة المطلقة ، وكذلك المرأة الأرملة .

٧- كتاب : هو حكم الله في الأمور التنظيمية الاجتماعية.

٨- كتاب : هو نظام علم الله تعالى بكل حركة وسكنة في الكون.

٩- كتاب : هو نظام وعد الله عباده بالرحمة والمغفرة.

١٠- كتاب : هو نظام الزمن .

١١- كتاب : هو نظام (أرشيف) خاص بتسجيل أعمال الأفراد والأمم.

١٢- كتاب : هو نظام خاص بتحرير الرقيق .

١٣- كتاب : هو كلمات واضحة مكتوبة على ورق .

١٤- كتاب : هو كلمات مكتوبة بنظام سري ليست متاحة إلا لمن يعرف سرها .

١٥- كتاب : هو كلمات مكتوبة بنظام رقمي .

ونأخذ من كل معنى من هذه المعاني الخمسة عشر أمثلة من آيات القرآن الكريم :

في المعنى الأول : النظام الإلهي والدستور والشريعة العظمى التي سنها الله للإنسان وأمره باتباع ما فيها ، وهو النظام الذي نزلت منه جميع كتب الرسل والأنبياء (الدين) ، نقرأ قوله تعالى :

( كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ)[٩٢٠]، وقوله تعالى : (هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ)[٩٢١]، وقوله تعالى : (وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا)[٩٢٢].

وفي المعنى الثاني : نظام خاص مؤسس على حروف فواتح السور القرآنية ، نقرأ قوله تعالى : ( الم ، ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ)[٩٢٣].

فقد استخدمت الآية هنا تعبير (ذلك الكتاب) ، وذلك هي اسم إشارة للبعيد ، ولو كان المقصود من الكتاب هو القرآن أو هو السورة لقالت الآية (هذا الكتاب) ، لأن الكتاب سيكون قريباً وبين يدي قارئه .

أما استخدام اسم الإشارة للبعيد (ذلك) فيجعلنا نذهب الى أن الكتاب المقصود هنا هو (ألم) ، وقد يقول قائل إن (ألم) قريبة فلماذا استخدام اسم الإشارة للبعيد (ذلك) ز

نقول إن (ألم) هي عنوان الكتاب واسمه فقط ، أما الكتاب نفسه فبعيد، ولكنه ليس بعيداً مسافة أو زمناً ، بل بعيد من ناحية الاستقراء داخل سورة البقرة نفسها وربما في باقي السور الأخرى التي فتحت بـ(ألم). قوله تعالى : (المص ، كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)[٩٢٤]. وقوله تعالى : (الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ)[٩٢٥].

---

٩٢٠- البقرة ٢١٣ .

٩٢١- ال عمران ١١٩ .

٩٢٢- الكهف ١٢٢ .

٩٢٣- البقرة ١ – ٢ .

٩٢٤- الاعراف ١ – ٢ .

٩٢٥- هود ١ .

وفي المعنى الثالث : التوراة . نقرأ قوله تعالى : ( وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)[٩٢٦] . وقوله تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ)[٩٢٧] .

وفي المعنى الرابع : الإنجيل ، نقرأ قوله تعالى : ( قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا)[٩٢٨] . وقوله تعالى : ( يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ)[٩٢٩] .

وفي المعنى الخامس : القرآن . نقرأ قوله تعالى : ( وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ )[٩٣٠] . وقوله تعالى: (وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ )[٩٣١] .

وفي المعنى السادس : نظام زمني خاص بعدة المرأة المطلقة والمرأة الأرملة ، نقرأ قوله تعالى : (وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ)[٩٣٢] . وقوله تعالى : (حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ) أي حتى تنقضي المدة التي حددها الله تعالى للمرأة بعد طلاقها أو بعد موت زوجها وهي المسماة (العِدّة) ، فلا يجوز عقد النكاح قبل انقضائها.

وفي المعنى السابع : حكم الله في الأمور التنظيمية الاجتماعية . نقرأ قوله تعالى : ( وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ)[٩٣٣] . وقوله تعالى : (كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) أي حكم الله تعالى في شأن تحريم أصناف من النساء لا يحل زواجهن من أصناف من الرجال بسبب القرابة أو النسب أو الرضاعة .

---

٩٢٦- ال عمران ٧٨ .

٩٢٧- البقرة ٨٧ .

٩٢٨- مريم ٣٠ .

٩٢٩- النساء ١٧١ .

٩٣٠- الانعام ٩٢ .

٩٣١- الانعام ١٥٥ .

٩٣٢- البقرة ٢٣٥ .

٩٣٣- النساء ١٣٣ .

وفي المعنى الثامن : نظام علم الله تعالى بكل حركة وسكنة في الكون. نقرأ قوله تعالى : (وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ)[٩٣٤]. وقوله تعالى : (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ)[٩٣٥].

وفي المعنى التاسع : نظام وعد الله عباده بالرحمة والمغفرة ، نقرأ قوله تعالى : (لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)[٩٣٦].

وفي المعنى العاشر : نظام الزمن والأجل ، نقرأ قوله تعالى : ( وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)[٩٣٧]، وقوله تعالى : ( وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ، مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ )[٩٣٨].

وقوله تعالى : ( وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا)[٩٣٩]، وقوله تعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ)[٩٤٠].

وفي المعنى الحادي عشر : نظام (أرشيف) خاص بتسجيل أعمال الأفراد والأمم ، نقرأ قوله تعالى : ( قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ، قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى)[٩٤١]، وقوله تعالى : (وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)[٩٤٢].

وقوله تعالى : (كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ)[٩٤٣]، وقوله تعالى : ( فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ)[٩٤٤].

---

٩٣٤- الانعام ٥٩ .

٩٣٥- هود ٦ .

٩٣٦- الانفال ٦٨ .

٩٣٧- الروم ٥٦ .

٩٣٨- الحجر ٤ -٥ .

٩٣٩- الاسراء ٥٨ .

٩٤٠- الرعد ٣٨ .

٩٤١- طه ٥١ — ٥٢ .

٩٤٢- المؤمنون ٦٢ .

٩٤٣- المطففين ٧ .

وفي المعنى الثاني عشر : نظام خاص بتحرير الرقيق ، نقرأ وقوله تعالى : ( وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ)[945] .

وفي المعنى الثالث عشر : كلمات واضحة مكتوبة على ورق ، نقرأ قوله تعالى : (اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ)[946]، وقوله تعالى : ( قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ)[947]، وقوله تعالى : ( وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ)[948] .

وفي المعنى الرابع عشر : كلمات مكتوبة بنظام سري ليست متاحة إلا لمن يعرف سرها ، نقرأ قوله تعالى : ( إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ، فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ، لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ، تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[949] .

وفي المعنى الخامس عشر : كلمات مكتوبة بنظام رقمي ، نقرأ قوله تعالى : ( كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ، كِتَابٌ مَرْقُومٌ)[950]، وقوله تعالى : (كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ، كِتَابٌ مَرْقُومٌ)[951] .

مما سبق يتضح لنا أن الكلمة الواحدة في القرآن الكريم تصيب ما يشاء الله من المعاني ، أما الكلمات المختلفة في المبنى فهي مختلفة في المعنى حتماً مهما تقاربت معانيها .

غير أننا نجد كلمة (كتاب) قد رسمت بإثبات حرف الألف في أربعة مواضع في أربع سور هي النمل والحجر والرعد والكهف ، بينما رسمت (كتب) بغير الألف في باقي المواضع الأخرى ، مما يشير الى اختلاف طفيف وخصوصية ما في المرات الأربع ربما شرحناها إن شاء الله في مقالة أخرى .

---

٩٤٤- الحاقه ١٩ .

٩٤٥- النور ٣٣ .

٩٤٦- النمل ٢٨ .

٩٤٧- النمل ٢٩ .

٩٤٨- العنكبوت ٤٨ .

٩٤٩- الواقعة ٧٧ – ٨٠ .

٩٥٠- المطففين ٧ – ٩ .

٩٥١- المطففين ١٨ – ٢٠ .

**ب :– هل الكتاب غير القرآن :**

نحن في أصول الفقه ، وفي الفقه نقول : مصدرنا الأول : الكتاب والسنة ، أو الكتاب ثم السنة ، نقول : الكتاب . حتى قلَّما نقول القرآن . هنا يقول الله ﷻ : { كِتَابٌ }، وهل الكتاب غير القرآن؟.

زعم بعضهم ان الكتاب شيء ، والقرآن شيءٌ آخر، والذكر شيء آخر، والفرقان شيء آخر. وقالوا : الفرقان من خصائصه كذا ، والذكر كذا ، والقرآن كذا ؟! وهذا كَذِب ، الكتاب هو القرآن ، والقرآنُ هو الكتاب .

الله ﷻ يقول : { حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ }[٩٥٢]. ولفظ { أَنْزَلْنَاهُ } : أي الكتاب الذي هو القرآن { فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ}. وفي سورة يوسف قوله تعالى : { الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}[٩٥٣]. ولفظ { أَنْزَلْنَاهُ } أي : الكتاب { قُرْآنًا عَرَبِيًّا }.

وكذلك في سورة الزخرف قوله تعالى : { حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }[٩٥٤]. وفي سورة فُصّلت وقوله تعالى : {حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}[٩٥٥]، كتابٌ فُصّلت آياته قرآنًا عربيًا ، ففي نفس الآية ذُكر الكتاب والقرآن.

فهؤلاء المتعالمونَ الذين جاؤونا على آخر الزمن ، وجاؤوا بما لم يقُل به عالمٌ طوال أربعةَ عشرَ قرنًا ، ويزعمون أنَّهم الذين يفهمونَ القرآن وحدهم ، جاؤوا بقرآن جديد غير القرآن الذي فهمه مُحَمَّدٌ ﷺ، وأهل بيته عليهم السلام والصحابة رضي الله عنهم ، هم فهموا ما لم يفهمه رسول الله ﷺ .

---

٩٥٢- الدخان ١ -٣ .

٩٥٣- يوسف ١ – ٢ .

٩٥٤- الزخرف ١ – ٣ .

٩٥٥- فصلت ١ – ٣ .

فالقرآنُ هو الكتاب ، والكتابُ هو الذِّكر، يختلف المفهوم ويتَّفق المصداق[956]، كما نقول في علم المنطق ، يعني : الأسماء لها مفهومات مختلفة ، ولكن تصدُق على شيء واحد ، فمثلاً السيف له أسماء كثيرة : السيف ، الحسام ، الصَّارم ، البتَّار، كلٌّ هذه الأسماء لها معنى ، ولكن هو كله المصداق[957].

اذاً ، الموضوع واحد ، فالذكر هو القرآن ، والكتاب هو القرآن ، والفرقان هو القرآن[958]، ونجد ذلك في سياق واحد ، فالله تعالى يقول في سورة فُصِّلت : { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ — أي : الذكر– لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ }[959].

ثم قال بعدها قوله تعالى : { وَلَوْ جَعَلْنَاهُ — أي : الكتاب أو الذكر – قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ }[960]، فالذكر هو الكتاب وهو القرآن .

وهؤلاء الذين يأتوننا بأشياء لا دليلَ عليها ولا برهان قطعي ، يخالفون الأمة كلَّها ، يخالفون عصور الأمة من المفسِّرين والفقهاء والمحدِّثين والمتكلِّمين واللغويين وكل علماء الأمة ، يأتي هؤلاء ليخالفوهم ويزعُموا أنَّهم هم الذين يملكون الصَّواب ويملكون الحقيقة وحدهم .

وأسماء القرآن وأوصافه : نقل الزركشي عن أبي المعالي عُزيزي بن عبد الملك المعروف بشيدلة في كتابه (البرهان) قال : اعلم أنَّ الله سمَّى القرآن بخمسة وخمسين اسمًا ، سمَّاه كتابًا ومبينًا في قوله : { حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ }[961].

---

٩٥٦- يطلق لفظ المفهوم في اصطلاح المناطقة على مجموعة الصفات والخصائص الذهنية التي يثيرها اللفظ في ذهن القارئ أو السامع، أي هو ما يفهم من اللفظ. أما (الماصدق) فهو المسميات الخارجية التي يصدق عليها اللفظ. أو بعبارة أخرى: الماصدق يطلق على الأفراد المندرجة تحت مفهوم اللفظ. فلكل اسم أو حدّ ناحيتان : ناحية الماصدق، أي: ناحية الإشارة إلى أفراد أو أشياء يتحقق فيهم أو يصدق عليهم اللفظ، وناحية المفهوم، أي: مجموعة الصفات والخصائص التي تُحمل على هؤلاء الأفراد، ويلاحظ أنه يوجد نوع من العلاقة العكسية بين المفهوم والماصدق، فكلما زادت خصائص المفهوم قلَّت أفراد الماصدق، وكلما قلَّت خصائص المفهوم زادت عدد الماصدق.

٩٥٧- الماصدق : عند المنطقيين مجموع الموضوعات التي يدل عليها المعنى، او مجموع الأفراد الداخلين تحت صنف او كلي، على عكس المفهوم ( Comprehension) الذي يدل على مجموع الصفات المشتركة بين الأفراد.

٩٥٨- انظر : الدكتور يوسف القرضاوي . بحث : الكتاب والقران .

٩٥٩- فصلت ٤١ — ٤٢ .

٩٦٠- فصلت ٤٤ .

٩٦١- الزخرف ١ — ٢ .و الدخان ١ — ٢ .

وقرآنًا وكريماً في قوله : { إِنَّهُ لَقُرْآَنٌ كَرِيمٌ }[٩٦٢]. وكلاماً : { حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ }[٩٦٣]. ونوراً : { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا }[٩٦٤]. وهدى ورحمة : { هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ }[٩٦٥]. وفرقاناً : { نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ }[٩٦٦]. وشفاء : { وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآَنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ }[٩٦٧].

وموعظة : { قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ}[٩٦٨]. وذكراً ومباركاً : { وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ }[٩٦٩]. وعلياً : {وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ }[٩٧٠]. وحكمة : { حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ }[٩٧١]. وحكيم : ( تِلْكَ آَيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ )[٩٧٢]. ومهيمناً : { مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ }[٩٧٣]. وحبلاً : { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ }[٩٧٤]. وصراطاً مستقيماً: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا }[٩٧٥].

وقيماً : { قَيِّمًا لِيُنْذِرَ }[٩٧٦]. وقولاً وفصلاً : { إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ }[٩٧٧]. ونبأ عظيماً : { عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ }[٩٧٨]. وأحسن الحديث ومثاني ومتشابهاً : { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا

---

٩٦٢- الواقعة ٧٧ .

٩٦٣- التوبة ٦١ .

٩٦٤- النساء ١٧٤ .

٩٦٥- لقمان ٣ .

٩٦٦- الفرقان ١ .

٩٦٧- الاسراء ٨٢ .

٩٦٨- يونس ٥٧ .

٩٦٩- الانبياء ٥٠ .

٩٧٠- الزخرف ٤ .

٩٧١- القمر ٥ .

٩٧٢- يونس ١٧١ .

٩٧٣- المائدة ٤٨ .

٩٧٤- ال عمران ١٠٣ .

٩٧٥- الانعام ١٥٣ .

٩٧٦- الكهف ٢ .

٩٧٧- الطارق ١٣ .

٩٧٨- النبأ ١٧٧ .

مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ }[٩٧٩]. وتنزيلاً: {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ }[٩٨٠]. وروحاً : { أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا}[٩٨١]. ووحياً : { إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ }[٩٨٢].

وعربياً : { قُرْآنًا عَرَبِيًّا }[٩٨٣]. وبصائر : { هَذَا بَصَائِرُ }[٩٨٤]. وبياناً : {هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ } [٩٨٥]. وعلماً : { مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ }[٩٨٦]. وحقاً : { إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ }[٩٨٧]. وهادياً : { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي }[٩٨٨]. وعجباً : { قُرْآنًا عَجَبًا }[٩٨٩]. وتذكرة : { وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ }[٩٩٠]. والعروة الوثقى: {اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى}[٩٩١]. وصدقاً: { وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ}[٩٩٢].

وعدلاً : { وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا }[٩٩٣]. وأمراً : { ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ }[٩٩٤]. ومنادياً : { يُنَادِي لِلْإِيمَانِ }[٩٩٥]. وبشرى : { هُدًى وَبُشْرَى }[٩٩٦]. ومجيداً : { بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ}[٩٩٧]. وزبوراً : { وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ }[٩٩٨].

---

٩٧٩- الزمر ٢٣ .

٩٨٠- الشعراء ١٩٢ .

٩٨١- الشورى ٥٢ .

٩٨٢- الانبياء ٤٥ .

٩٨٣- يوسف ٢ .

٩٨٤- الاعراف ٢٠٣ .

٩٨٥- ال عمران ١٣٨ .

٩٨٦- البقرة ١٤٥ .

٩٨٧- ال عمران ٦٣ .

٩٨٨- الاسراء ٩ .

٩٨٩- الجن ١ .

٩٩٠- الحاقة ٤٨ .

٩٩١- البقرة ٢٥٦ .

٩٩٢- الزمر ٣٣ .

٩٩٣- الانعام ١١٥ .

٩٩٤- الطلاق ٥ .

٩٩٥- ال عمران ١٩٣ .

٩٩٦- النمل ٢ .

٩٩٧- البروج ٢١ .

٩٩٨- الانبياء ١٠٥ .

وبشيراً ونذيراً : { كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا }[999]. وعزيزاً : { وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ }[1000]. وبلاغاً : { هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ }[1001]. وقَصَصاً : { أَحْسَنَ الْقَصَصِ }[1002]، وسماه أربعة أسماء في آية واحدة : {صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ[1003])[1004].

قوله تعالى : { أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ }. إنزال الكتاب : أنزلناه : الله سبحانه وتعالى يتحدَّث عن نفسه بلغة التعظيم ، ومَنْ أعظم من الله ؟ دائمًا القرآن يقول : { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ }[1005]، ( إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ)[1006]، لا يقول : أنا خلقتكم وإنما يقول : { إِنَّا } سبحانه هو خالق الخلق ، ومالك الملك ، ومُدبِّر الأمر.

والنُّزول عادةً يكون حركةً من أعلى إلى أسفل ، والقرآن نزل من السماء إلى الأرض ، بل نزل من اللوح المحفوظ من أعلى العُلى إلى هذه الأرض ، من الله إلى الخلق ، والله سبحانه يقول : { وَإِنَّهُ — أي القرآن — فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ }[1007]، القرآن وصفه الله بأسمائه .

العليُّ الحكيم : من أسماء الله ، ولذلك القرآن وُصف بأنه { عَلِيٌّ } وبأنه { حَكِيمٌ } وبأنه مجيد { بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ }[1008]، وهو عزيز { وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ }[1009].

كيفيَّة نزول القرآن الكريم : فما معنى : { أَنزَلْنَاهُ } ؟ أنزلناه من اللوح المحفوظ — من أمِّ الكتاب — إلى السماء الدنيا ؟ هكذا يقول ابن عباس فيما صحَّ عنه من عدَّة طرق أنه قال : " أنزل القرآن في ليلة القدر من السماء العُليا إلى السماء الدنيا جملةً واحدة ، ثم فُرِّق في السنين ، قال : وتلا هذه الآية :

---

999- فصلت ٣ — ٤ .

1000- فصلت ٤١ .

1001- ابراهيم ٥٢ .

1002- يوسف ٣ .

1003- عبس ١٣ — ١٤ .

1004- البرهان للزركشي ١/٢٧٣-٢٧٤. وأسماء القرآن الأساسية أربعة: (القرآن، والكتاب، الفرقان، الذكر) وبقية ما نقله الزركشي هي أوصاف لهذه الأسماء.

1005- يوسف ٢ .

1006- الحجرات ٣ .

1007- الزخرف ٤ .

1008- البروج ٢١ .

1009- فصلت ٤١ .

{ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ }[1010]، قال : نزل متفرِّقًا : "أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا"[1011].

وابن عباس لا يمكن أن يقول هذا الكلام من رأيه . كيف يعرف هذا؟ وهذه من أنباء الغيب – ولذلك قالوا : إذا قال الصَّحابيُّ رأيًا أو تفسيرًا لا مجال للرأي فيه ، ولم يكن ممَّن عُرف بالأخذ عن أهل الكتاب ؛ اعتُبر هذا الحديث الموقوف على الصحابي في حكم المرفوع إلى النَّبيِّ ﷺ ، ولذلك اهل السنة يقولون :

إنِّ القرآن نزل من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ، والليلة التي نزل فيها هي ليلة القدر، ليلة القدر، ليلة نزول من السماء من أعلى علِّيين – من أمِّ الكتاب ، من اللوح المحفوظ – إلى السماء الدنيا.

تفسير ابن عباس لكيفية نزول القرآن الكريم : سُئل ابن عباس : كيف يكون القرآن نَزَل في ليلة القدر، وقرآن نزل في رمضان { شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ }[1012]؟ القرآن نزل في رمضان ، وفي شوال وفي ذي الحِجة والمحرَّم وصفر – ينزل طوال السنة – كيف ينزل في ليلة القدر؟. قال : " أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا ".

ولكن بعضُ العلماء من اهل السنة الذين لم يَرْضَوا بهذا التفسير قالوا: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ} يعني : ابتدأنا إنزالَهُ في ليلة القدر، يعني أوَّل ما نَزَل: { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ }[1013]، ولذلك قال بعضهم : سبعة عشر من رمضان هي ليلة القدر[1014].

نزولُ القرآن وتنزُّلاته : قبل المشهور بما جاء عن ابن عباس أنَّ القرآن نزل أولاً إلى السماء الدنيا ، ثم بعد ذلك – بعد ما قَرُبَ من الأرض – أصبح ينزل حسب الوقائع والحوادث في حوالَي ثلاث وعشرين سنة ، كلَّما حدثت حادثة ينزل فيها القرآن .

---

١٠١٠- الواقعة ٧٥ .

١٠١١- الطبراني في الكبير١١ / ٣١٢ .

١٠١٢- البقرة ١٨٥ .

١٠١٣- العلق ١ .

١٠١٤- ابن أبي شيبة في الصلاة ٨٧٧٢ ، عن ابن مسعود موقوفا عليه .

يُعلِّم الناس ويُجيب عن تَسَاؤلاتهم ، ويَحُلُّ مشكلات المجتمع الجديد والأمة الجديدة التي يبنيها رسول اللهﷺ على أُسس قرآنية: {وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا}[١٠١٥]، وقوله تعالى: { وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً}[١٠١٦]، اذاً :

الأول : إنزالٌ من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا.

والثاني : نزوله حسب الوقائع والحوادث .

وهو ما يدل عليه قوله سبحانه: {تَنْزِيلُ} أي : نزّلناه تنزيلاً حسب الوقائع ؛ لأن كلمة { تَنْزِيلُ } معناها التفعيل ، وهو يفيد التكثير، كثرة النزول ، مرَّة بعد مرة ، وحالة بعد حالة. { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ } يا محَّمد ، لم تُنْشِئُه أنت ولم تصنعه ، بل أُنزل عليك ، ليس لك منه إلا أن تَتَلقَّاه {سَنُقْرِؤُكَ فَلا تَنسَى}[١٠١٧].

وتحفظه وتُبلِّغه إلى الأمة : { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ}[١٠١٨]. وتُبيِّنه للناس : { لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ}[١٠١٩]. وتطبِّقه عليك ، لأنَّ بيانك ليس بمُجرَّد القول ولكن بالعمل ، عليك أن تُبيِّن هذا القرآن وتُطبِّقه ، لأنك الأسوة لهذه الأمة .

عدم توقع الرسول نزول القرآن عليه : فالرسول أُنزل إليه هذا الكتاب ، ليس له دَخْلٌ فيه ، وكما قال الله تبارك وتعالى : ( وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ)[١٠٢٠]، { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا }[١٠٢١]، أُنزل إليه الكتاب ، وما كان يتوقَّع ، ولذلك حينما نزلت الآيات الأولى : { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ }[١٠٢٢].

وعلى رأي أهل السنة حينما ضمَّه جبريل وغطَّه غطًا قويًا ، وقال : اقرأ . قال : ما أنا بقارئ . قال : اقرأ . قال : ما أنا بقارئ – أنا أُمِّيٌّ – قال : { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ

١٠١٥- الفرقان ٣٣ .

١٠١٦- الاسراء ١٠٦ .

١٠١٧- الاعلى ٦ .

١٠١٨- المائدة ٦٧ .

١٠١٩- النحل ٤٤ .

١٠٢٠- القصص ٨٦ .

١٠٢١- الشورى ٥٢ .

١٠٢٢- العلق ١ .

عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ }[١٠٢٣]، فرجع إلى زوجه خديجة وفؤاده يرجف وجسمه يرتعش ( زمّلوني زمّلوني– غطُّوني –)[١٠٢٤] ما كان يتوقع هذا ؟!.

أُنزل إليه وما كان يرجوه وما كان يتوقّعه ، ما له دخل فيه ، ولذلك أحيانًا يُبطئ عليه الوحي لا يستطيع أن يفعل شيئًا ، ينتظر حتى يأتيه الوحي كل هذا على رأي أهل السنة ونأتي الى رأي الشيعة الامامية وهو :

كما جاءَ فِي تَفْسِيْرِ القُمِّيّ عَنِ الإِمَامِ أَبِي جَعْفَرٍ البَاقِرِعليه السلام، قَالَ: نَزَلَ جِبْرَئِيْلُعليه السلام عَلَى مُحَمَّدٍصلى الله عليه وآله فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِقْرَأْ قَالَ : وَمَا أَقْرَأُ؟ قَالَ : إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ[١٠٢٥] .

وَفِي تَفْسِيْرِ الأَمْثَلِ لِلشَّيْخِ نَاصِر مَكَارِمِ الشِّيْرَازِيّ : وَهَذِهِ الآَيَةُ "إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ" فِي الوَاقِعِ جَوَابٌ عَلَى قَوْلِ الرَّسُوْلِصلى الله عليه وآله لِجِبْرَائِيْلعليه السلام: مَا أَنَا بِقَارِئ، وَهَذِهِ الآَيَةُ "اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ" تَقُوْلُ: إِنَّكَ قَادِرٌ عَلَى القِرَاءَةِ بِكَرَمِ الرَّبِّ وَفَضْلِهِ وَمَنِّهِ[١٠٢٦] .

وقدَ ذَكَرَ الامام الطَّبْرِسِيُّ فِي "مَجْمَعِ البَيَانِ" أَقْوَالاً أُخْرَى فِي الموْضُوْعِ، قَالَ : (وَأَكْثَرُ المفَسِّرِيْنَ عَلَى أَنَّ هَذِهِ السُّوْرَةُ – أَيْ سُوْرَةُ العَلَقِ– أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ القُرْآَنِ، وَأَوَّلُ يَوْمٍ نَزَلَ جِبْرَائِيْلُعليه السلام عَلَى رَسُوْلِ اللهِصلى الله عليه وآله، وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى حِرَاء، عَلَّمَهُ خَمْسَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ هَذِهِ السُّوْرَةِ. وَقِيْلَ: أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ القُرْآَنِ قَوْلُهُ: "يَا أَيُّهَا المدَّثِرُ" وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ. وَقِيْلَ: أَوَّلُ سُوْرَةٍ نَزَلَتْ عَلَى رَسُوْلِ اللهِصلى الله عليه وآله فَاتِحَةُ الكِتَابِ. رَوَاهُ الحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللهِ الحَافِظِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي مَيْسَرَةَ عَمْرُو بنُ شَرْحَبِيْلَ)[١٠٢٧] .

الرسولصلى الله عليه وآله يتلقى الوحي : لما كمل عمره المبارك أربعين سنة. وكان ذات يوم في (غار حراء) وهو كهف صغير بأعلى جبل يسمى (حراء) في الشمال الشرقي من مكة ، يبعد عنها نحو ثلاثة أميال إذ فتحت له أبواب السماء ، ورأى أفواج (الملائكة) وطرأت عليه حالة من الدهشة والرعب ، لم يسبق لها نظير .

فإذا بملك عظيم ، يملأ الآفاق ، يسمى (جبرئيلعليه السلام) ، ينزل عليه من السماء ، ويأخذ بيده ، ويقول له : اقرأ ؟!، قال (محمّد) في دهشة وارتياع : ما اقرأ ؟، قال (جبرئيلعليه السلام) : (

١٠٢٣– العلق ١ — ٥ .

١٠٢٤– أحمد ٢٥٨٦٥، عن السيدة عائشة .

١٠٢٥– تَفْسِيْرُ القُمِّيّ ٢: ٤٣٠.

١٠٢٦– الأَمْثَلُ ٢٠ :٣١٩.

١٠٢٧– مَجْمَعُ البَيَانِ ١٠ : ٣٩٨ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلقَ الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علّم الإنسان ما لم يعلم )[١٠٢٨] .

وكان هذا الحادث الجلل ، يوم في السابع والعشرين من شهر رجب ، ويسمى بيوم (المبعث) حيث بعث الله الرسول ﷺ إلى البشر، ليرشدهم إلى الحق ، وينقذهم من الضلالة.

وقد كان نزول هذه السورة ، وهي (سورة علق) بدء بعثة الرسول ﷺ، حيث أوحى الله تعالى إليه بهذا الشكل ، وانتخبه إله الكون ليكون سفيراً بينه وبين عباده .

ومن ذلك اليوم أُضيف إلى ألقاب (مُحَمَّد ﷺ) الصادق الأمين ، لقب (الرسول) فصار (رسول الله) و (خاتم النبيين). إن (جبرئيل عليه السلام) الملك العظيم، نزل على الرسول ، وأتاه بـ(الوحي) وانتخبه الله ليكون (نبياً رسولاً) . لكن هل هذا الحادث شيء طفيف ؟ وهل أن هذه السفارة بين إله الكون وبين البشر كافة، أمر هين ؟ .

إن (الرسول ﷺ) ارتاع لرؤية جبرئيل عليه السلام، واضطرب قلبه المبارك ، لمشاهدة ملكوت السماوات والأرض ، ولأول مرة في حياته يرى ما لم يكن يراه من قبل. فنزل الرسول ﷺ من (غار حراء) وتوجه نحو الدار وهو يطوي هذه المسافة الطويلة (ثلاثة أميال) بين الجبال والقفار. ويشاهد في الطريق ما يزيده دهشة ، فكل شيء في الطريق ، من حجر وشجر ونبات يخر له ساجداً ، بمجرد عبوره عليه ، ويقول ـ بلسان فصيح ـ : (السلام عليك يا نبي الله).

ولما دخل الدار ، تنوّرت الدار بشعاع وجهه ، فاستغربت (ام المؤمنين السيدة خديجة عليها السلام) الأمر، وسألت : ما هذا النور؟ قال الرسول ﷺ : هذا نور النبوة . ثم قال لها الرسول ﷺ: قولي : لا إله إلا الله ، مُحَمَّد رسول الله . فأجرت هذه الكلمة المباركة ، على لسانها ، وأسلمت لله رب العالمين .

وقد وجد الرسول ﷺ في نفسه برداً ، كما يجده كل من يدهش لحادث جلل، فقال ﷺ: يا خديجة دثّريني، فدثَّرته فنام ﷺ. وإذا بالوحي يوقظه، وينزل عليه : ( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر )[١٠٢٩] .

ومنذ هبوط الوحي عليه السلام بدأت مرحلة جديدة ، في حياة الرسول ﷺ، وأُلقيت على عاتقه مهمة الرسالة والدعوة. وصل نبأ نزول الوحي إلى الرسول ، إلى (ورقة) وهو من العلماء ، ويتصل

١٠٢٨- العلق : الآيات ١ ـ ٥ .

١٠٢٩- المدثر: الآيات ١ ـ ٣ .

بـ(خديجةعليها السلام) زوجة الرسولصلى الله عليه وآله وسلم، بنسب. فأتى إلى (أم المؤمنين خديجةعليها السلام) وسألها عن صفة الوحي؟. فلما أخبرته قام (ورقة) وقبّل رأس الرسولصلى الله عليه وآله وسلم.

وقال . يبشّره بهذا المنصب الإلهي العظيم .: (ذاك الناموس الأكبر، الذي نزل على موسى وعيسىعليهما السلام) ثم قال: (ابشر فإنك أنت النبي الذي بشر به موسى وعيسىعليهما السلام، وانك نبي مرسل، ستؤمر بالجهاد). ثم أنشد بعض الأشعار.

ومن الطبيعي : أن يفكر الرسولصلى الله عليه وآله وسلم تفكيراً طويلاً، حول قومه كيف يهديهم إلى الحق ؟ وهل أنهم مستعدون لتصديقه بأن الله واحد لا شريك له، وأنه رسول إليهم من عنده ؟. وكيف يصدقونه ، وهم يعبدون مئات الأصنام ويجعلونها لله شركاء ؟ أم كيف يستعدون أن يخضعوا له ويطأطئوا لرسالته ، وهم على ما هم عليه من الكبرياء والتعجرف؟.

إن مهمة الوحي والرسالة، ليست كسائر المهام التي تقوى عليها نفس عادية، انها وطأة: ثقيلة، لا تقوى لها الجبال الرواسي، كما تشير الآية الكريمة : (إنّا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً)[١٠٣٠]. لكنه لابد من التبليغ : ولابد من مواجهة الصعاب والرسولصلى الله عليه وآله وسلم مستعد لذلك. ولو كلفه الأمر ما لا يطاق ولو كان في ذلك ذهاب جميع ما لديه، ولو كان بثمن حياته الغالية .

**ج :– نسبة اللحن في القران :**

سبق وان ذكرنا أهمّ ما ورد في كتب أهل السنّة ممّا هو نصّ أو ظاهر في نقص القرآن وتحريفه. ثمّ عقبناه بما قاله أكابرهم في توجيهه وتأويله أو ردّه وتزييفه ، وقد استمعنا القول من هؤلاء وهؤلاء فأيّهما الأحسن حتى نتّبعه؟.

ففي الآثار في خطأ القرآن إنّها (الآثار) تفيد أنّ أؤلئك الأصحاب نسبوا « اللحن » و « الخطأ » و « الغلط » إلى القرآن. وهذه جرأة على الله تعالى ، وإثبات نقص له ولكتابه ، وفي ذلك خروج عن الإسلام بلا كلام.

أمّا ما كان من هذه الآثار في الصحاح فأصحابها والقائلون بصحّة جميع أحاديثها ملزمون بها ، فإمّا الإلتزام بما دلّت عليه ، وإمّا التأويل اللائق والحمل على بعض الوجوه المحتملة. وكذا الكلام بالنسبة إلى ما روي من هذا القبيل بأسانيد صحاح عندهم في خارج الصحاح .

---

١٠٣٠– المزمّل ٥ .

ودليل الرادّين لهذه الآثار : الّذين ردّوا هذه الأحاديث وهم كثيرون جدّاً ، فقد اختلفت كلماتهم في كيفية الردّ ، لأنّ منهم من يضعّف الرواية أو يستبعدها تنزيهاً للصحابي عن التفوّه بمثل الكلام ، حتى أنّ بعضهم قال: «ومن روى عن ابن عبّاس.. فهو طاعن في الإسلام ، ملحد في الدين ، وابن عبّاس بريء من هذا القول»[١٠٣١].

ومنهم من يقول : « هذا القول فيه نظر» أو: « لا يخفى ركاكة هذا القول » ونحو ذلك ، وظاهر هؤلاء تصحيح الحديث اعتماداً على رجاله ، ثمّ الردّ على الصحابة أنفسهم . وعلى كل حال ، فإنّ هذه الفئة من العلماء متّفقة على أنّ هذه الأحاديث لا يجوز تصديقها ، قال الزمخشري بتفسير: (أفلم ييئس الّذين آمنوا)[١٠٣٢]:

« ومعنى أفلم ييئس : أفلم يعلم.. ويدلّ عليه: أنّ الامام علي عليه السلام وابن عبّاس رضي الله عنه وجماعة من الصحابة والتابعين قرؤوا: أفلم يتبيّن ، وهو تفسير أفلم ييئس. وقيل : إنّما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوي السينات. وهذا ونحوه ممّا لا يصدّق في كتاب الله ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتاً بين دفّتي الإمام ، وكان متقلّباً في أيدي أولئك الأعلام المحتاطين في دين الله ، المهيمنين عليه ، لا يغفلون عن جلائله ودقائقه ، خصوصاً عن القانون الذي إليه المرجع ، والقاعدة التي عليها البناء؟! وهذه ـ والله ـ فرية ما فيها مرية »[١٠٣٣].

فهذا موقف القائلين ببطلان هذه الآثار .

أمّا الفئة الاولى الدائر أمرهم بين الالتزام بمداليل الآثار وبين التأويل المقبول لدى الأنظار، فقد اختار جمع منهم طريق التأويل لها ، كما قال الحافظ ابن حجر العسقلاني : « الطعن في الروايات الصحيحة بغير مستند لا يقبل ، بل الروايات صحيحة والتأويل محتمل »[١٠٣٤].

وقال أيضاً في الآية: (أفلم ييأس) :

« وروى الطبري وعبد بن حميد ـ بإسناده صحيح كلّهم من رجال البخاري ـ عن ابن عبّاس: أنّه كان يقرؤها: أفلم يتبيّن: ويقول: كتبها الكاتب وهو ناعس. ومن طريق ابن جريح ، قال: زعم ابن كثير وغيره أنّها القراءة الاولى :

١٠٣١- البحر المحيط ٦ : ٤٤٥.

١٠٣٢- الرعد : ٣١.

١٠٣٣- الكشّاف ٢ : ٥٣١.

١٠٣٤- الإتقان ١ : ٢٧٠ .

وهذه القراءة جاءت عن الامام علي عليه السلام وابن عبّاس رضي الله عنه وعكرمة وابن أبي مليكة وعلي بن بديمة وشهر بن حوشب وعلي بن الحسين وابنه زيد وحفيده جعفر بن محمّد عليهم السلام، في آخرين قرؤوا كلّهم : أفلم يتبيّن.

وأمّا ما أسنده الطبري عن ابن عبّاس فقد اشتدّ إنكار جماعة ممّن لا علم له بالرجال صحّته ، وبالغ الزمخشري في ذلك كعادته . إلى أن قال : . وهي والله فرية ما فيها مرية ، وتبعه جماعة بعده والله المستعان ، وقد جاء عن بن عبّاس نحو ذلك في قوله تعالى: (وقضى ربّك ألاّ تعبدوا إلاّ إيّاه) قال: (ووصّى) التزقت الواو في الصاد.

أخرجه سعيد بن منصور بإسناد جيّد عنه. وهذه الإشياء . وإن كان غيرها المعتمد . لكن تكذيب المنقول بعد صحّته ليس من دأب أهل التحصيل ، فلينظر في تأويله بما يليق به»[١٠٣٥]. انتهى.

وظاهر كلمات ابن حجر في الموردين هو العجز عن الإتيان بتأويل، يساعده اللفظ ويرضاه «أهل التحصيل» نعم ذكر في قوله تعالى : ( يا أيّها الّذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم )[١٠٣٦]:

« أخرج سعيد بن منصور والطبري والبيهقي في الشعب بسند صحيح: أنّ ابن عبّاس كان يقرأ: (حتى تستأذنوا) ويقول: أخطأ الكاتب ، وكان يقرأ على قراءة أُبيّ بن كعب، ومن طريق مغيرة بن مقسم، عن إبراهيم النخعي، قال: في مصحف ابن مسعود (حتى تستأذنوا).

وأخرج سعيد بن منصور من طريق مغيرة ، عن إبراهيم : في مصحف عبدالله : (حتى تسلّموا على أهلها وتستأذنوا). وأخرجه إسماعيل بن إسحاق في أحكام القرآن عن ابن عبّاس واستشكله . وكذا طعن في صحّته جماعة ممّن بعده.

وأجيب : بأنّ ابن عبّاس بناها على قرائته التي تلقّاها عن ابيّ بن كعب. وأمّا اتّفاق الناس على قرائتها بالسين فلموافقة خطّ المصحف الذي وقع الاتّفاق على عدم الخروج عمّا يوافقه .

وكان قرائة ابيّ من الأحرف التي تركت القراءة بها . كما تقدّم تقريره في فضائل القرآن .. وقال البيهقي : يحتمل أن يكون ذلك كان في القراءة الاول ثمّ نسخت تلاوته . يعني : ولم يطّلع ابن عبّاس على ذلك»[١٠٣٧]. انتهى.

---

١٠٣٥- فتح الباري ٨ : ٣٠١ .

١٠٣٦- النور : ٢٧ .

مناقشة هذا التأويل : وفي هذا الجواب نظر من عدة وجوه وهي كما يلي :

أولاً : إنّ هذا الجواب ـ إن تمّ ـ فهو توجيه لقراءة ابن عبّاس ، لا لقوله في كتابة المصحف : «أخطأ الكاتب».

وثانياً : كون هذه القراءة « من الأحرف التي تركت القراءة بها» يبتني على ما رووه من أنّه « نزل القرآن على سبعة أحرف» هذا المبنى الذي اختلفوا في معناه وتطبيقه اختلافاً شديداً، وذكروا له وجوهاً كثيرة جداً لا يرجع شيء منها الى محصّل[١٠٣٨].

وثالثاً : ما احتمله البيهقي يبتني على القول بنسخ التلاوة ، كما ذكر مجمله الامام الشيخ الطوسي عن كيفية النسخ في القرآن ، فمن الواضح أنّ الكلام حول تحريف القرآن عند إخواننا الشيعة والسنة هو فقط نظري ، والقول بالتحريف هو خرافة كما يقول الإمام الخوئي .

ولكن العجيب والمستغرب إصرار أهل السنة على أنّ الشيعة تقول بالتحريف ، ولا أريد أن أناقش أدلة الطرفين ، وهنا يتبادر للذهن ، قول الامام شيخ الطائفة الطوسي عن كيفية النسخ في القرآن ، وهو يقسمها على ثلاث أقسام حيث يقول : ولا يخلو النسخ في القرآن من أقسام ثلاثة :

١. نسخ حكمه دون لفظه ، كآية العدة في المتوفى عنها زوجها المتضمنة للسنة ( أ )، فإنّ الحكم منسوخ والتلاوة باقية ، وكآية النجوى (ب) وآية وجوب ثبات الواحد للعشرة (د) فإنّ الحكم مرتفع ، والتلاوة باقية ، وهذا يبطل قول من منع جواز النسخ في القرآن ؛ لأنّ الموجود بخلافه.

٢. ما نسخ لفظه دون حكمه ، كآية الرجم فإنّ وجوب الرجم على المحصنة لا خلاف فيه ، والآية التي كانت متضمنة له منسوخة بلا خلاف ، وهي قوله : ( والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البته ، فإنهما قضيا الشهوة جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم ).

٣ ـ ما نسخ لفظه وحكمه ، وذلك نحو ما رواه المخالفون عن السيدة ام المؤمنين عائشة : أنّه كان في ما أنزل الله أنّ عشر رضعات تحرمن ، ونسخ ذلك بخمس عشرة ، فنسخت التلاوة والحكم.

---

١٠٣٧- فتح الباري : ١١ : ٦.

١٠٣٨- يمكن الاطلاّع على ما ذكروه بمراجعة مقدّمات التفاسير، وكتب علوم القرآن ، وفتح الباري في شرح البخاري ٩ : ٢٢ ـ ٣٠ وغيرها. وقد وقع القوم بالتزامهم بصحّة أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف في مأزق كبير جدّاً ، وكان عليهم الالتزام بلوازمه الفاسدة التي منها القول بتحريف القرآن وضياع حروف نزّل عليها من السماء. ويكفي أن نقول بأنّ المرويّ صحيحاً عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام : « إنّ القرآن واحد نزل من عند واحد ، ولكنّ الاختلاف يجيء من قبل الرواة» وفي آخر عليه السلام : « كذبوا أعداء الله ، ولكنّه نزل على حرف واحد من عند الواحد» انظر: الكافي ٢ : ٤٦١ باب النوادر، حديث١٢و١٣.

وأمّا الكلام في شرائط النسخ ، فما يصح منها وما لا يصح ، وما يصح أن ينسخ به القرآن ، وما لا يصح أن ينسخ به ، وقد ذكرنا في كتاب العدة ـ في أصول الفقه ـ ولا يليق ذلك بهذا المكان واختلفوا في كيفية النسخ على أربعة أوجه:

قال قوم : يجوز نسخ الحكم والتلاوة من غير إفراد واحد منهما عن الآخر، وقال آخرون: يجوز نسخ الحكم دون التلاوة ، وقال آخرون: يجوز نسخ القرآن من اللوح المحفوظ ، كما ينسخ الكتاب من كتاب قبله ، وقالت فرقة رابعة : يجوز نسخ التلاوة وحدها، والحكم وحده ونسخهما معا ، وهو الصحيح .

السؤال الذي يتبادر ذهنك هو : هل يذهب الامام الطوسي إلى القول بنسخ الحكم والتلاوة معاً كما في قوله ( وهو الصحيح).

الجواب : كلام شيخ الطائفة في العدة يدور حول جواز النسخ والامتناع عقلاً، فيذهب إلى الإمكان عقلاً والجواز تصوراً ، في قبال من لا يجوّز النسخ لفظاً أو حكماً أو كلاهما ، والحكم بالجواز والإمكان عقلاً شيء ، وبالتحقق والوقوع شيء آخر، فهو نسب الحكم بوقوع كليهما على ما ذكر مسبقاً.

ولو تبادر لذهنك هل أن علماء الشيعة الامامية يقولون بنسخ التلاوة؟. كما ذهب السيد الخوئي وغيره من علماء الشيعة ، وأنّ قول أهل السنة بنسخ التلاوة هو قول بالتحريف .

ويقول القطب الراوندي في كتابه[١٠٣٩] : "والنسخ في الشرع على ثلاثة أقسام : نسخ الحكم دون اللفظ ، ونسخ اللفظ دون الحكم ، ونسخهما معاً".

ويقول العلامة الحلي في كتابه[١٠٤٠] : " البحث الرابع في : ما يجوز نسخه يجوز: نسخ الشيء إلى غير بدل ، كالصدقة أمام المناجاة ، وإلى ما هو أثقل، ونسخ التلاوة دون الحكم ، وبالعكس".

ويقول ابن العلامة في كتابه[١٠٤١] : ( "الأول" الكافر المجنب يجب عليه الغسل، وشرط صحته الاسلام، ولا يسقط بإسلامه، ولا عن المرتد ولو ارتد المسلم بعد غسله لم يبطل ، "الثاني" يحرم مس المنسوخ حكمه خاصة، دون المنسوخ تلاوته خاصة ).

---

١٠٣٩- فقه القرآن ج١ ص٢٠٤.

١٠٤٠- مبادئ الوصول ص ١٨١ .

الجواب : ما سبق ذكره عن العلماء من الشيعة الإمامية هو في مقام نقلهم للأقوال وتعدادها لا في مقام تبني القول بنسخ التلاوة ، وحتى لو فرض أن هناك قائلاً ما بهذا النسخ عند الشيعة الإمامية فهو قول شاذ نادر لا يُعبأ به ، والمدار في المذاهب على قول مشهورها لا على القول الشاذ فيها ، والمشهور المعمول به في الطائفة هو رفض هذا القول من النسخ، لأنه عين القول بالتحريف كما يصفه زعيم الطائفة السيد الخوئي في كتابه (البيان في تفسير القرآن)[١٠٤٢].

فالقائل بنسخ التلاوة عليه أن يُثبت أولاً جواز نسخ القرآن بأخبار الآحاد التي هي مستند القائلين بهذا النسخ ، والحال أن جمهور الأصوليين وأئمة المذاهب من أهل السنة يمنعون نسخ القرآن بالسنة. كما جاء في (جامع بيان العلم وفضله)[١٠٤٣] لابن عبد البر قال :

سُئل الإمام أحمد : تنسخ السنة شيئاً من القرآن؟ قال : لا ينسخ القرآن إلا بالقرآن .

ومثلهِ : عن الشافعي[١٠٤٤] : وأبان لهم أنه إنما نسخ ما نسخ من الكتاب بالكتاب ، وأن السنة لا ناسخة للكتاب وإنما هي تبع للكتاب.

وكذلك جاء عن ابن تيمية[١٠٤٥] ما نصه : (وهم إنما كانوا يقضون بالكتاب أولاً، لأن السنة لا تنسخ الكتاب فلا يكون في القرآن شيء منسوخ بالسنة ، بل إن كان فيه منسوخ كان في القرآن نسخه فلا يقدم غير القرآن عليه ).

وعلى فرض قبول إمكان نسخ القرآن بالسنة نسأل : هل وقع مثل النسخ المذكور؟! ، يقول ابن تيمية[١٠٤٦] من الكتاب المذكور : ( وبالجملة فلم يثبت أن شيئاً من القرآن نسخ بسنة بلا قرآن ) .

ومن هذه الكلمة الأخيرة لابن تيمية تعرف معنى قول الامام السيد الخوئي المتقدم بأن القول بنسخ التلاوة هو عين القول بالتحريف ، والله الموفق للصواب .

---

١٠٤١- إيضاح الفوائد ج ١ ص ٤٨.

١٠٤٢- البيان في تفسير القرآن ص ٢٢٤.

١٠٤٣- جامع بيان العلم وفضله . ابن عبد البر ج٢ ص ٥٦٤ .

١٠٤٤- الرسالة ص ١٠٦.

١٠٤٥- مجموع الفتاوى ج١ ص ١٩٦ .

١٠٤٦- نفس المصدر ، ج٢ ص ٣٩٨ .

ونرجع الى كلامنا السابق كما في قول ابن حجر : « يعني: ولم يطّلع ابن عبّاس » غريب جدّاً ، إذ كيف يخفى على مثل ابن عبّاس نسخ تلاوة شيء من القرآن وهو حبر هذه الأمّة وإمام الأئمة في علوم القرآن؟!. وهذا النسبة إلى ما رووه عن ابن عبّاس ونصّوا على صحّته ، ثمّ عجزوا عن تأويله «التأويل اللائق».

واما تأويل « اللحن » و « الخطأ » جوابه : أجابوا عمّا رووه عن عثمان بجوابين ، ذكر هما السيوطي ـ بعد أن قال: « هذا الآثار مشكلة جدّاً » ـ وقد نقلنا عبارته مسبقاً. وقال الشهاب الخفاجي ـ بعد كلام الكشّاف : «ولا يلتفت..» ـ :

(( وقيل عليه : لا كلام في نقل النظم تواتراً، فلا يجوز اللحن فيه أصلاً، وهل يمكن أن يقع في الخطّ لحن بأن يكتب «المقيمون» بصورة «المقيمين» بناءً على عدم تواتر صورة الكتابة ؟ ، وما روي عن عثمان والسيدة ام المؤمنين عائشة أنّهما قالا :

إنّ في المصحف لحناً وستقيمه العرب بألسنتها ـ على تقدير صحّة الرواية ـ يحمل على اللحن في الخطّ. لكنّ الحقّ : ردّ هذه الرواية وإليه أشار ـ أي الكشّاف ـ بقوله : إنّ السابقين.. (قال) : أقول : هذا إشارة إلى ما نقله الشاطبي في الرائية وبيّنه شرّاحه وعلماء الرسم العثماني بسند متّصل إلى عثمان أنّه لما فرغ من المصحف .

قال السخاوي : وهو ضعيف والإسناد فيه اضطراب وانقطاع.. وتأوّل قوم (اللحن) في كلامه على تقدير صحّته عنه بأنّ المراد الرمز والإيماء . (قال) : تنبيه : قد نخلنا القول وتتبّعنا كلامهم ما بين معسول ومغسول فآل ذلك إلى أنّ قول عثمان فيه مذهبا ، أحدهما :

أنّ المراد باللحن ما خالف الظاهر، وهو موافق له حقيقة ليشمل الوجوه تقديراً واحتمالاً. وهذا ما ذهب إليه الداني وتابعه كثيرون. والرواية فيه صحيحة ، وما ذهب إليه ابن الأنباري من أنّ (اللحن) على ظاهره ، وأنّ الرواية غير صحيحة ))[١٠٤٧].

وكأن المتأوّلين التفتوا إلى كون تأويلاتهم مزيّفة ، فالتجؤوا إلى القول بأنّ تلك الآثار «محرّفة».. فقد جاء في الإتقان عن ابن أشتة : أنّه روى الحديث بإسناده عن عثمان وليس فيه لفظ «اللحن» بل إنّه لما نظر في المصحف قال : « أحسنتم وأجملتم ، أرى شيئاً سنقيمه بألسنتنا ».

١٠٤٧- عناية القاضي ٣ : ٢٠١.

قال : « فهذا الأثر لا إشكال فيه وبه يتّضح معنى ما تقدّم .. ولعلّ من روى تلك الآثار السابقة عنه حرّفها ولم يتقن اللفظ الذي صدر عن عثمان ، فلزم ما لزم من الإشكال. فهذا أقوى ما يجاب عن ذلك ».

قال السيوطي بعد إيراد الأجوبة عن حديث عثمان : « وبعد ، فهذه الأجوبة لا يصحّ منها شيء من حديث عائشة. أمّا الجواب بالتضعيف فلأنّ إسناده صحيح كما ترى.. »[١٠٤٨].

وهذه عمدة ما ورد ممّا التزموا بصحّته ، وقد عرفت أن لا تأويل صحيح له عندهم ، فهم متورّطون في أمر خطره عظيم ، إمّا الطعن في القرآن ، وإمّا الطعن في هؤلاء الصحابة الأعيان ؟!. ولا ريب في أنّ نسبة «الخطأ» إلى «الصحابة» أولى منه إلى «القرآن» .

كما إنّ القول بعدم جواز تكذيب المنقول بعد صحّته ـ كما هو مذهب الحافظ ابن حجر العسقلاني ـ غير صحيح ، إذ الحديث إذا خالف الكتاب أو السنّة القطعية أو الضروري من الدين أو المجمع عليه بين المسلمين يطرح وإن كان في كتب الصحاح .

وتجد من البلاغات القرآنية ، بين دلالة كلمة الكتاب والقرآن ؟. وما دلالة إستخدام ذلك الكتاب في الآية (الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ)[١٠٤٩] ، ولم تأت هذا الكتاب أو هذا القرآن أو ذلك القرآن ؟.

يلاحظ أنه يستعمل عندما يبدأ بالكتاب يكون يتردد في السورة ذكر الكتاب أكثر بكثير مما يتردد ذكر القرآن أو قد لا تذكر كلمة القرآن مطلقاً في السورة .

أما عندما يبدأ بالقرآن يتردد في السورة ذكر كلمة القرآن أكثر الكتاب أو قد لا يرد ذكر الكتاب مطلقاً في السورة وإذا اجتمع القرآن والكتاب فيكونان يترددان في السورة بشكل متساو تقريباً ونأخذ بعض الأمثلة :

---

١٠٤٨- الإتقان ٢ : ٣٢٠ . ٣٢٦.

١٠٤٩- البقرة ١ — ٢ .

في سورة البقرة : بدأ بالكتاب ( ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ)[١٠٥٠]، وذكر الكتاب في السورة ٤٧ مرة. والقرآن مرة واحدة في آية الصيام ( شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ) .

في سورة آل عمران : بدأ السورة بالكتاب ( نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ)[١٠٥١]. وورد الكتاب ٣٣ مرة في السورة ولم ترد كلمة القرآن ولا مرة في السورة كلها .

في سورة طه : بدأ السورة بالقرآن ( مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى)[١٠٥٢]، وورد القرآن فيها ٣ مرات والكتاب مرة واحدة .

في سورة ق : بدأ بالقرآن ( ق * وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ )[١٠٥٣] وورد ٣ مرات في السورة بينما ورد الكتاب مرة واحدة .

في سورة ص : تساوى ذكر القرآن والكتاب .

في سورة الحجر : بدأ (الَر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ)[١٠٥٤] ورد ذكر القرآن ٣ مرات والكتاب مرتين .

في سورة النمل : بدأ (طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ)[١٠٥٥] ورد ذكر القرآن ٣ مرات والكتاب أربع مرات .

---

١٠٥٠- البقرة ٢ .

١٠٥١- ال عمران ٣ .

١٠٥٢- طه ٢ .

١٠٥٣- سورة ق : الآية ١ .

١٠٥٤- الحجر ١ .

١٠٥٥- النمل ١ .

## ٨ – وجود عدة مصاحف

وجود المصاحف في عهد النبي ﷺ : تفيد طائفة من الأحاديث أنّ المصاحف كانت موجودة على عهد رسول الله ﷺ عند الصحابة ، بعضها تامّ وبعضها ناقص ، وكانوا يقرأونها ويتداولونها ، وقرر لها الرسول الأكرم ﷺ طائفةً من الأحكام فمنها :

عن أوس الثقفي قال رسول الله ﷺ: (قراءة الرجل في غير المصحف ألف درجة، وقراءته في المصحف تضاعف على ذلك ألفي درجة)[١٠٥٦] .

ومثلهِ عن السيدة ام المؤمنين عائشة ، عن رسول الله ﷺ قال: (النظر في المصحف عبادة)[١٠٥٧] .

وكذلك مثلهِ عن ابن مسعود، عن رسول الله ﷺ قال : ( أديموا النظر في المصحف)[١٠٥٨] .

وكذلك مثلهِ عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله ﷺ قال : أعطوا أعينكم حظّها من العبادة قالوا : وما حظّها من العبادة ، يا رسول الله ؟ قال : ( النظر في المصحف ، والتفكّر فيه ، والاعتبار عند عجائبه)[١٠٥٩] .

ومثلهِ كذلك قال ﷺ: ( أفضل عبادة أُمّتي تلاوة القرآن نظراً)[١٠٦٠] .

وكذلك مثلهِ قال ﷺ: ( من قرأ القرآن نظراً مُتّع ببصره مادام في الدنيا)[١٠٦١] .

وكلّ هذه الروايات تدلّ على أنّ إطلاق لفظ المصحف على الكتاب الكريم لم يكن متأخّراً إلى زمان الخلفاء ، كما صرحت به بعض الروايات، بل كان القرآن مجموعاً في مصحف منذ عهد الرسول ﷺ .

---

١٠٥٦– مجمع الزوائد ٧: ١٦٥، البرهان للزركشي ١: ٥٤٥.

١٠٥٧– البرهان للزركشي ١: ٥٤٦.

١٠٥٨– مجمع الزوائد ٧: ١٧١.

١٠٥٩– كنز العمال ، ج١: حديث ٢٢٦٢.

١٠٦٠– نفس المصدر ، حديث ٢٢٦٥ ، وحديث ٢٣٥٨ و ٢٣٥٩.

١٠٦١– نفس المصدر ، حديث ٢٤٠٧.

ونزيد على ما تقدّم أنّ رسول الله ﷺ كان لديه مصحف كذلك ففي حديث عثمان بن أبي العاص حين جاء وفد ثقيف إلى النبي ﷺ قال عثمان : فدخلتُ على رسول الله ﷺ فسألته مصحفاً كان عنده فأعطانيه[١٠٦٢].

بل وترك رسول الله ﷺ مصحفاً في بيته خلف فراشه . لا حسبما صرحت به بعض الروايات . مكتوباً في العسب والحرير والأكتاف. وقد أمر الامام عليّ عليه السلام بأخذه وجمعه حتى قال الإمام عليّ ﷺ : ( آليت بيمينٍ أن لا أرتدي برداء إلاّ إلى الصلاة حتّى أجمعه)[١٠٦٣].

فجمعه عليه السلام وكان مشتملاً على التنزيل والتأويل، ومرتّباً وفق النزول على ما بيانه في جزء (مصحف علي عليه السلام) من هذهِ الموسوعة.

وجميع ما تقدّم أدلّةٌ قاطعة وبراهين ساطعة على أنّ القرآن قد كتب كله على عهد النبي ﷺ تدويناً في السطور علاوة على حفظه في الصدور. وكان له أوّل وآخر، وكان الرسول ﷺ يشرف بنفسه على وضع كلّ شيءٍ في المكان الذي ينبغي أن يكون فيه.

إذن فكيف يمكن أن يقال إنّ جمع القرآن قد تأخّر إلى زمان خلافة أبي بكر، واحتاج إلى شهادة شاهدين يشهدان أنّهما سمعاه من رسول الله ﷺ ؟

**ثالثاً : احاديث شرعية السياسة**

إنّ الآثار المشتملة على وقوع « الخطأ » في القرآن الكريم باطلة وإن كانت مخرّجة في الصحاح وفي غيرها بأسانيد صحيحة ، وفاقاً لمن قال بهذا من أعلام المحقّقين من أهل السنّة كما عرفت ، ووجود الأحاديث الباطلة في الصحاح الستّة أم ثابت ، وعدد الاحاديث من هذا القبيل فيها ليس بقليل .

كما إنّ التأويلات التي ذكرت من قبل القائلين بصحّة هذه الآثار لا تحلّ المشكلة كما عرفت ، ومن هذا اضطرّ بعضهم إلى القول بأنّها محرّمة ، والتزم بالإشكال بعض آخر، ومنه قول ابن قتيبة :

« ليست تخلو من أن تكون على مذهب من مذاهب أهل الإعراب أو تكون غلطاً من الكاتب كما ذكرت عائشة ، فإن كانت على مذاهب النحو والنحويّين فليس ها هنا لحن والحمد لله ، وإن كانت على خطأ في الكتاب فليس على الله ولا على رسوله ﷺ جنابة الكاتب في الخطّ »[١٠٦٤].

---

١٠٦٢- مجمع الزوائد ٩: ٣٧١، حياة الصحابة ٣: ٢٤٤ .

١٠٦٣- كنز العمال ٢ : حديث ٤٧٩٢ .

إنّ مصادرة كتاب «الفرقان» . إن كانت لأجل إثبات « اللحن » في الكتاب . لا تحلّ المشكلة بشكل من الأشكال ، فإنّ صاحب هذا الكتاب ينقل الآثار المتضمّنة لهذا المعنى عن الكتب المعتبرة والتي اخرجت فيها تلك الآثار بأسانيد صحيحة على شرط الشيخين ، ثمّ يؤكّدها بقوله :

« ليس ما قدّمناه من لحن الكتاب في المصحف بضائرة أو بمشكّك في حفظ الله تعالى له ، بل إنّ ما قاله ابن عبّاس وعائشة وغيرهما من فضلاء الصحابة وأجلاّء التابعين أدعى لحفظه وعدم تغييره وتبديله . وممّا لا شكّ فيه أنّ كتّاب المصحف من البشر يجوز عليهم ما يجوز على سائرهم من السهو والغفلة والنسيان. والعصمة لله وحده.. ومثل لحن الكتّاب كلحن المطابع.. »[١٠٦٥] .

على هذا الأساس يدعو هذا المؤلف إلى تغيير الرسم العثماني وجعل الألفاظ كما ينطق بها اللسان وتسمعها الآذان ، بل ينقل عن العزّ ابن عبد السلام أنّه قال بعدم جواز كتابه المصحف بالرسم الأول[١٠٦٦] .

إنّ مسألة الرسم والخطّ هي أيضاً من المشاكل المترتّبة على القول بصحّة هذه الآثار عن الصحابة والالتزام بصدورها عنهم . فإن لم تكن مترتّبة عليه فلا أقلّ من أن يكون القول بصحّة تلك الآثار سنداً ومتناً مؤيّداً لمن يدعو إلى تغيير الرسم والكتابة . ونحن هنا لا نتعرّض لهذه المسألة ، بل نقول :

أنّ استدلال مؤلف كتاب « الفرقان » أو استشهاده بهذه الآثار تامّ ، وأنّه لا يلام على إيراده تلك الآثار في كتابه ، بل اللوم على من يرويها ويصحّح أسانيدها ويخرجها في كتابه.. وأنّ طريق الجواب هو ردّها وإبطالها على ما ذكرناه بالتفصيل مسبقا فراجع.

واما كان بين عثمان وابن مسعود ، فقد انتقد على عثمان أخذه المصاحف من أصحابها بالقوّة وإحراقه لها ، وقد رووا عن ابن مسعود الإمتناع من تسليم مصحفه ، والإنتقاد الشديد لتقديم زيد بن ثابت عليه. قلت: أمّا امتناعه من تسليم مصحفه فهو من الامور الثابتة التي لا تقبل الخدش ، ولا حاجة إلى ذكر أخباره ومصادر، وأمّا اعتراضه على تقديم زيد بن ثابت ففيه روايات صحيحة عندهم[١٠٦٧] . فقد روى الحافظ ابن عبدالبرّ ، عن الأعمش ، عن شقيق ، قال:

---

١٠٦٤– مشكل القرآن : ٤٠ .

١٠٦٥– الفرقان : ٤١ . ٤٦ .

١٠٦٦– الفرقان : ٥٨ .

١٠٦٧– التبيان ١٠ : ٤٣٨. مجمع البيان ١ : ١١. تذكرة الفقهاء ١ : ١١٥.

« لما أمر عثمان في المصاحف بما أمر قام عبدالله بن مسعود خطيباً فقال: أيأمروني أن أقرأ على قراءة زيد بن ثابت ؟!. والّذي نفسي بيده لقد أخذت من فيّ رسول الله ﷺ سبعين سورة وأنّ زيد بن ثابت لذو ذؤابة يلعب به الغلمان ، والله ما نزل من القرآن شيء إلاّ وأنا أعلم في أيّ شيء نزل، وما أحد أعلم بكتاب الله منّي .

ولو أعلم أحداً تبلّغنيه الإبل أعلم بكتاب الله منّي لأتيته. ثمّ استحيى ممّا قال فقال: وما أنا بخيركم ، قال شقيق: فقعدت في الحلق فيها أصحاب رسول الله ﷺ فما سمعت أحداً أنكر ذلك عليه ولا ردّ ما قال »[١٠٦٨].

إضطراب علماء اهل السنة في ما رووه عن ابن مسعود في زيد، فهذا الحديث يكشف عن مدى تألّم ابن مسعود وتضجره وشدّة اعتراضه وانتقاده لتقديم زيد بن ثابت عليه. ومثله أحاديث وآثار اخرى.

وهذا الموضع أيضاً من المواضع المشكلة ، ومن هذا اضطرب القوم فيه إضطراباً شديداً ، أمّا الامام البخاري فقد أخرج الحديث محرّفاً وتصرّف فيه تستّراً على عثمان وزيد ، فرواه عمن الأعمش ، عن شقيق ، قال :

« خطبنا عبد الله فقال: والله لقد أخذت من فيّ رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة ، والله لقد علم أصحاب النبي ﷺ أنّي من أعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم . قال شقيق : فجلست في الحلق أسمع ما يقولون ، فما سمعت رادّاً يقول غير ذلك »[١٠٦٩].

وأمّا إبن أبي داود فقد ترجم باب رضى ابن مسعود بعد ذلك بما صنع عثمان ، لكن لم يورد ما يصرّح بمطابقة ما ترجم به[١٠٧٠]. وقال بعضهم : ما رووا عن ابن مسعود من الطعن في زيد بن ثابت كلّه موضوع[١٠٧١].

وأمّا ما كان من عثمان بالنسبة إلى ابن مسعود فمشهور في التاريخ ، فقد ضربه حتى كسر بعض أضلاعه ، ومنعه عطاءه ، ووقعت بينهما منافرة شديدة حتى عهد ابن مسعود إلى عمّار أن لا يصلّي عثمان عليه.

١٠٦٨- الإستيعاب ٣ : ٩٩٣.

١٠٦٩- صحيح البخاري بشرح ابن حجر ٩ : ٣٩.

١٠٧٠- فتح الباري ٩ : ٤٠.

١٠٧١- مباحث في علوم القرآن ، لصبحي الصالح : ٨٢.

وعاده عثمان في مرض الموت فقال له : ما تشتكي ؟ فقال : ذنوبي. فقال : فما تشتهي؟ قال : رحمة ربي. قال: أدعو لك طبيباً ؟ قال : الطبيب أمرضني. قال : أفلا آمر لك بعطائك؟ .

قال : منعتنيه وأنا محتاج إليه وتعطينية وأنا مستغن عنه ؟ قال : يكون لولدك. قال : رزقهم على الله تعالى . قال : استغفر لي يا أبا عبد الرحمن. قال : أسأل الله أن يأخذ لي عنك حقّي[١٠٧٢].

ونذكر كلمة في زيد بن ثابت وهي : ما رواه الأعمش عن شقيق أخرجه مسلم والنسائي وأبو عوانة وابن أبي داود.. وسواء كان صحيحاً أو موضوعاً فإنّ أمر جميع ما ورد حول القرآن. مشتملاً على دور لزيد بن ثابت فيه. مريب وغريب، لأنّ هذا الرجل الذي كان حين قدوم رسول الله ﷺ المدينة ابن إحدى عشرة سنة[١٠٧٣]، قد جعلوه من مؤلّفي القرآن على عهد الرسول ﷺ.

وأنّه على قراءة عارض جبريل عليه السلام القرآن مع النبي ﷺ عام وفاته ﷺ.. وأنّه الذي جمع القرآن الموجود على عهد عثمان بأمره وأن القرآن الموجود على حرف زيد ؟!، فإن صحّ هذا كلّه فهي «شنشنة أعرفها من أخزم». ولكنّ مُحَمَّد بن كعب القرظي لم يذكر زيداً فيمن جمع القرآن على عهد النبي ﷺ[١٠٧٤].

وأمّا على عهد أبي بكر فقد عرفت بطلان أحاديث الجمع على عهده ، على أنّ أبا بكر لم يصفه إلاّ بـ« إنّك رجل شابّ عاقل لا نتّهمك » وما كان فيه شيء يتقدّم به على ابن عبّاس وابن مسعود وأُبَيّ بن كعب وأضرابهم من حفّاظ القرآن وقرّائه والعلماء فيه .

مضافاً إلى أنّ قوماً من أهل السنّة عارضوا بهذا الحديث حديث أنس بن مالك أنّ زيد بن ثابت أحد الّذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ قالوا: « فلو كان زيد قد جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ لأملاه من صدره وما احتاج إلى ما ذكر»[١٠٧٥]. وأمّا حديث معارضة القرآن على قراءته .كما عن ابن قتيبة . فقد تكذّبه رواية وكيع وجماعة معه ، عن الأعمش عن أبي ظبيان قال :

« قال : قال لي عبدالله بن عبّاس : أيّ القراءتين تقرأ ؟ قلت : القراءة الأولى قراءة ابن امّ عبد ، فقال : أجل هي الآخرة ، إنّ رسول الله ﷺ كان يعرض القرآن على جبرئيل عليه السلام في كلّ عام مرّة ، فلمّا

١٠٧٢- السيرة الحلبيّة ٢ : ٧٨ .
١٠٧٣- الاستيعاب ٢ : ٥٣٦ .
١٠٧٤- الإتقان ١ : ٢٧٢ .
١٠٧٥- الاستيعاب ٢ : ٥٣٨ .

كان العام الذي قبض فيه رسول الله ﷺ عرضه عليه مرّتين ، فحضر ذلك عبدالله فعلم ما نسخ من ذلك وما بدّل»[١٠٧٦] . ويمكن ان نستخلص نتيجة من هذه الناحية في النقاط التالية وهي كما يلي:

١ . إنّ القرآن الكريم كان مكتوباً على عهد رسول الله ﷺ ، وكان حفّاظه وقرّاؤه يفوق عددهم حدّ التواتر بكثير.

٢ . إنّ أمير المؤمنين عليه السلام جمع القرآن الكريم على عهد رسول الله ﷺ ثمّ رتّبه ودوّنه بعد وفاته على ترتيب نزوله ، وذكر فيه الناسخ والمنسوخ وبعض التفسير والتأويل .

٣ . إنّ الخلفاء الثلاثة لا دور لهم في جمع القرآن ولا في كتابته ولا في حفظه ، لا على عهد الرسول ﷺ ولا في عهد حكومتهم .

٤ . إنّ الذي فعله عثمان هو ترتيب سور القرآن كما هو موجود الآن ، من غير زيادة فيه ولا نقصان ، وحمل الناس على قراءة هذا المصحف ونبذ القراءات الاخرى التي كان عليها تبعاً لأصحابها .

وهنا كلمة لابُدّ من طرحها وهي أنّه لو أطاع المسلمون نبيّهم ﷺ وامتثلوا أمره بالرجوع إلى أهل بيته عليهم السلام من بعده والتمسك بهم والتعلم منهم . كما في حديث الثقلين المتواتر وغيره . لأخذوا القرآن وعلومه من عين صافية ، ولكن هل علم الذي قال :

« حسبنا كتاب الله » ثم منع عن كتابة السنّة وسعى وراء عزل أهل البيت عن قيادة الامّة، وحرمها من العلوم المودعة عندهم عليهم السلام بأنّ القرآن سيمزّقه على المدى البعيد على يد «الوليد» ، فلا يبقى كتاب ولا سنّة ولا عترة ؟!. إنّه قد يصعب على بعض الناس القبول بترتّب كل هذه الآثار، بل تغيّر مصير امّة بكاملها على كلمة واحدة قالها قائلها؟!.

ولاحظ عكوفه على أبواب الامراء للدنيا كما قال موسى بن يسار: رأيت عكرمة جائياً من سمرقند وهو على حمار تحته جوالقان . أو خرجان . حرير أجازه بذلك عامل سمرقند ومعه غلام .

قال : وسمعت عكرمة بسمرقند وقيل له : ما جاء بك إلى هذه البلاد؟ قال: الحاجة . وايضاً مثلهِ قال عبد المؤمن بن خالد الحنفي : قدم علينا عكرمة خراسان فقلت له : ما أقدمك إلى بلادنا ؟ قال : قدمت آخذ من دنانير ولاتكم ودراهمهم .

١٠٧٦- نفس المصدر ، ٣ : ٩٩٢ .

وكذلك قال عبدالعزيز بن أبي رواد : قلت لعكرمة : تركت الحرمين وجئت إلى خراسان! قال : أسعى على بناتي . ومثلهِ قال أبو نعيم : قدم على الوالي بأصبهان فأجازه بثلاثة آلاف درهم . وكذلك قال عمران بن حدير: رأيت عكرمة وعمامته منخرقة فقلت : ألا اعطيك عمامتي؟ فقال: إنّا لا نقبل إلاّ من الامراء.

ومثلهِ كذلك ذكر أبو طالب : سمعت أحمد بن حنبل يقول : كان عكرمة من أعلم الناس ولكنّه كان يرى رأي الصفرية ولم يدع موضعاً إلاّ خرج إليه ، خراسان والشام واليمن ومصر وإفريقية ، كان يأتي الامراء فيطلب جوائزهم ، وأتى الجند إلى طاووس فأعطاه ناقة .

ومن الطبيعي أن يستجيب هكذا رجل لرغبات الولاة والامراء أتزعمون أنّي أكذب على الله ورسوله وأحرق نفسي بالنار.. ؟! ، فيضع كل ما تقتضيهِ السياسة ويدعم الحكومات الجائرة .

٥ . ترك الناس جنازته : من الطبيعي أيضاً سقوط هكذا إنسان في المجتمع الإسلامي ، فلا تبقى قيمة لا له ولا لأحاديثه حتى إذا مات فلا تشيّع جنازته ولا يصلّى عليه.

كما ذكر المؤرّخون في ترجمة عكرمة. وأضافوا أنّه قد اتّفق موت عكرمة وكُثيَر عزّة الشاعر الشيعي الامامي في يوم واحد فشهد الناس جنازة كُثيَر وتركوا جنازة عكرمة . قيل : فما حلمه أحد واكتروا له أربعة رجال من السودان .

٦ . قدح الأكابر فيه وتكذيبه : ولهذه الأمور وغيرها كذّب عكرمة كبار الأئمّة الأعلام . الّذين طالما اكتفى علماء الجرح والتعديل بطعن واحدٍ منهم . منهم : ابن عمر ، ومجاهد ، وعطاء ، وابن سيرين ، ومالك بن أنس ، والشافعي . حيث حكى كلام مالك وقرّره . وسعيد بن المسيّب ، والقاسم ، ويحيى بن سعيد. وحرّم مالك الرواية عنه ، وأعرض عنه مسلم ، وقال مسلم محمّد بن سعد : ليس يحتجّ بحديثه ، وقال غيره : غير ثقة[١٠٧٧].

ومع هذا كلّه فإنّ الامام البخاري يروي عنه ؟! ولكن لا عجب، إذ «كلّ يعمل على شاكلته» بل العجب من ابن حجر ، حيث ينبري للدفاع عن «عكرمة البربري» والمقصود هو الدفاع عن «صحيح البخاري» فكيف يدافع عمّن تجرّأ على الله ، واستهزأ بشعائره ، واستخفّ بأحكامه ، وطعن

١٠٧٧– ترجمة عكرمة نقلت من المصادر التالية : تهذيب الكمال ، تهذيب التهذيب ٧ : ٢٧٣ . ٢٦٣ ، طبقات ابن سعد ٥ : ٢٨٧ ، وفيات الأعيان ١ : ٣١٩ ميزان الاعتدال ٣ : ٩٣ ، المغني في الضعفاء ٢ : ٨٤ ، سير أعلام النبلاء ٥ : ٩ ، الضعفاء الكبير ٣ : ٣٧٣.

في القرآن ، واستحلّ دماء المسلمين وغير ذلك كثير؟ وكيف يدافع عمّن كذّبه الأئمة الثقات حتى ضربوا بكذبه المثل لاشتهاره بهذه الصفة؟ وكيف يدافع عمّن امتنع الناس من حمل جنازته والصلاة عليها ؟!.

## ١ – أبو هريرة

لاحظ أن أبو هريرة لم يكفر أيادي بني أُميّة ، فقد نقل عنه الخطيب: ناول النبي ﷺ معاوية سهماً فقال : « خذ هذا السهم حتّى تلقاني به في الجنة ».

وكذلك أخرج عنه هو وابن عساكر وابن صدى : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « انّ الله ائتمن على وحيه ثلاثة : أنا ﷺ وجبرائيل عليه السلام ومعاوية ».

وجاء عن الاعمش قال : لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة جاء إلى مسجد الكوفة فلمّا رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه ثم ضرب صلعته مراراً وقال :

يا أهل العراق ، أتزعمون انّي أكذب على الله ورسوله ﷺ واحرق نفسي بالنار ، والله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : ان لكلّ نبي حرماً ، وانّ حرمي المدينة ما بين عير إلى ثور ، فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، وأشهد بالله أنّ عليّاً أحدث فيها.

فلمّا بلغ معاوية قوله أجازه وأكرمه وولاّه امارة المدينة. فأنظر أضواء على السنة المحمّديّة الأحاديث المذكورة في الخاتمة[١٠٧٨].

واما روايات ابو هريرة كما في البخاري قال : ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثاً منّي إلاّ ما كان من عبد الله بن عمرو ، فقد كان يكتب ولا أكتب.

وجاء عن بعض المتتبّعين : ان كلّ ما رواه ابن عمرو هو ٧٠٠ حديث عند ابن الجوزي و٧٢٢ حديث في مسند أحمد واما في البخاري سبعة أحاديث واما في مسلم ٢١ حديث. ولكن أحاديث أبي هريرة وصلت الى ٥٣٧٤ حديث؟.

وتجد هناك من فزع من كثرة رواياته حتى وصلت الحال ضربه عمر بن الخطاب بالدرة وقال له : أكثرت يا أبا هريرة واحرى بك أن تكون كاذباً على رسول الله ﷺ.

---

١٠٧٨- أضواء على السنة المحمّديّة : ٢٠٠ . ٢٢٣ .

وجاء عن ابن عساكر ـ من حديث السائب ـ : لتتركنَّ الحديث عن رسول الله ﷺ أو لأَلحقنّك بارض دوس .

وكذلك عن رشيد رضا ـ مجلة المنار ـ : لو طال عمرُ عمر حتّى مات أبو هريرة لما وصلت الينا تلك الأَحاديث الكثيرة؟.

ولكن اساس هذا الكذب من اين فعن ـ الطبراني ـ في المعجم الكبير ـ عنه : سمعت رسول الله ﷺ من حدّث حديثاً هو لله عزّ وجلّ رضاً فأنا قلته وإن لم أكن قلته ؟. وهو ما أسّسه واخترعه لأَكاذيب على رسول الله ﷺ وهو بريء مما نسب اليهِ من كل حديث.

وجاء عن شعبة ـ كما عن البداية والنهاية لابن كثير[١٠٧٩] : من ان : أبو هريرة كان يدّلس. وقد نقل عنه ( أي شعبة ) انّه قال : لِإن أزني أحبّ اليَّ من أن أُدلّس .

فانه يظهر لك من إنّ الصحابة لم يكونوا بأجمعهم عدول بل هم بين عادل وفاسق وأمين وخائن وكاذب ، بل بعضهم منافق ، وبعضهم مرتد ، كما عرفت ذلك سابقاَ بشكل مفصل.

واما الاخر إنّ كلّ حديث نقله مؤلّفين الصحاح غير مقطوع بصدوره عن النبي ﷺ ولا بحجة بحسب الظاهر. إلاّ في حالة احراز وثاقة الرواة مع سلامة المتن من مخالفة القرآن والعقل والتأريخ وإلاّ بخلافهِ لا يجوز أخذه والتديّن به.

واما الثالث فهو جملة كثيرة من مروايات الصحاح فيها كذب ومخالفة للواقع سواء كان ذلك بعمد من الرواة أو بعض الصحابة ، وإمّا نعتبره سهو منهم.

والرابع انه لا امتياز لمؤلّفين الصحاح ومن ضمنهم للبخاري ومسلم ، فلا يجوز تقليدهم في امور الدين الاسلامي بل على جميع العلماء أن يحقّقوا ما نسب للنبي ﷺ في كتبهم.

والخامس تعتبر أصحيّة كتاب البخاري وكتاب مسلم وصحّة جميع ما فيهما هو أشعار من لا عقل له وليس من علم.

وأخيرهم إنّ تحقيق اسناد الحديث لا بدّ أن يشتمل على جميع الرواة من الصحابة وغيرهم والله هو الذي يهدي من يشاء إلى الحق .

---

١٠٧٩– البداية والنهاية ٨ / ١٠٩ .

**٢ – معاوية بن أبي سفيان**

وأما معاوية بن أبي سفيان طعن بسنة النبيﷺ وتآمر على السنة النبوية وأحدث بالإسلام وكان يقتل صحابة رسول الله ﷺ ومنع السنة وكان يقاتلهم من اجل ان يتأمر عليهم .

ولاحظ ان معاوية يأمر الناس ان يقتلوا أنفسهم بالباطل ويأكلوا أموالهم بينهم بالباطل فلقد اخرج مسلم في صحيحه في حديث طويل عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة فقال :

[.. فقلت له هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ونقتل أنفسنا والله يقول (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما)[١٠٨٠]، قال فسكت ساعة ثم قال أطعه في طاعة الله واعصه في معصية الله ][١٠٨١].

وتجد أن سؤالاً يدور بين الناس هل معاوية كاتب الوحي أم من الإسرائيليات؟، فلاحظ ما جاء من انه ذكر ابن القيم[١٠٨٢] فيقول :

وقد روى مسلم في الصحيح من حديث عكرمة بن عمار عن ابن عباس قال كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه فقال للنبي ﷺ:

يانبي الله ثلاث أعطيتهن قال نعم قال عندي أحسن العرب وأجملها أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكها قال نعم قال ومعاوية تجعله كاتبا بين يديك. قال: نعم قال وتأمرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين قال نعم.

ثم ابن القيم بعد ذلك قال :

وقد رد هذا الحديث جماعة من الحفاظ وعدوه من الأغلاط في كتاب مسلم قال ابن حزم: هذا حديث موضوع لا شك في وضعه والآفة فيه من عكرمة بن عمار فإنه لم يختلف في أن رسول الله ﷺ تزوجها قبل الفتح بدهر وأبوها كافر.

---

١٠٨٠– النساء ٢٩ .

١٠٨١– صحيح مسلم ج٣ ص١٤٧٢ .

١٠٨٢– حاشية ابن القيم على سنن أبي داود ج٦ ص٧٥ .

وقال أبو الفرج بن الجوزي في كتاب الكشف له هذا الحديث وهم من بعض الرواة لا شك فيه ولا تردد وقد اتهموا به عكرمة بن عمار راويه وقد ضعف أحاديثه يحي بن سعيد الأنصاري وقال ليست بصحاح وكذلك قال أحمد بن حنبل هي أحاديث ضعاف وكذلك لم يخرج عنه البخاري إنما أخرج عنه مسلم لقول يحيى بن معين ثقة.

قال : وإنما قلنا إن هذا وهم لأن أهل التاريخ أجمعوا على أن السيدة أم حبيبة كانت تحت عبيد الله بن جحش وولدت له وهاجر بها وهما مسلمان إلى أرض الحبشة.

ثم تنصر وثبتت أم حبيبة على دينها فبعث رسول الله ﷺ إلى النجاشي يخطبها عليه فزوجه إياها وأصدقها عن رسول الله ﷺ أربعة آلاف درهم وذلك سنة سبع من الهجرة.

وجاء أبو سفيان في زمن الهدنة فدخل عليها فنحت بساط رسول الله ﷺ حتى لا يجلس عليه ولا خلاف أن أبا سفيان ومعاوية أسلما في فتح مكة سنة ثمان ولا يعرف أن رسول الله ﷺ أمر أبا سفيان.

وقد تكلف أقوام تأويلات فاسدة لتصحيح الحديث كقول بعضهم إنه سأله تجديد النكاح عليها وقول بعضهم إنه ظن أن النكاح بغير إذنه وتزويجه غير تام.

فسأل رسول الله ﷺ أن يزوجه إياها نكاحا تاما فسلم له النبي ﷺ حاله وطيب قلبه بإجابته وقول بعضهم إنه ظن أن التخيير كان طلاقا فسأل رجعتها وابتداء النكاح عليها.

وقول بعضهم إنه استشعر كراهة النبي ﷺ لها وأراد بلفظ التزويج استدامة نكاحها لا ابتداءه وقول بعضهم يحتمل أن يكون وقع طلاق فسأل تجديد النكاح.

وقول بعضهم يحتمل أن يكون أبو سفيان قال ذلك قبل إسلامه كالمشترط له في إسلامه ويكون التقدير ثلاث إن أسلمت تعطينيهن وعلى هذا اعتمد المحب الطبري في جواباته للمسائل الواردة عليه وطول في تقريره.

وقال بعضهم إنما سأله أن يزوجه ابنته الأخرى وهي أختها وخفي عليه تحريم الجمع بين الأختين لقرب عهده بالإسلام فقد خفي ذلك على ابنته أم حبيبة حتى سألت رسول الله ﷺ ذلك وغلط الراوي في اسمها.

وهذه التأويلات في غاية الفساد والبطلان وأئمة الحديث والعلم لا يرضون بأمثالها ولا يصححون أغلاط الرواة بمثل هذه الخيالات الفاسدة والتأويلات الباردة التي يكفي في العلم بفسادها تصورها وتأمل الحديث.

وهذا التأويل الأخير وإن كان في الظاهر أقل فسادا فهو أكذبها وأبطلها وصريح الحديث يرده فإنه قال أم حبيبة أزوجكها قال نعم فلو كان المسؤول تزويج أختها لما أنعم له بذلك ﷺ فالحديث غلط لا ينبغي التردد فيه والله أعلم[١٠٨٣] .انتهى.

فعليك أيها المسلم العزيز ان تتحقق من هذه الأكذوبة التي كذبوا بها على الأجيال وسيتبين ان كاتب الوحي يطعن بالرسالة المحمدية التي أتى بها الوحي لرسول الله ﷺ وهل يعقل كاتب الوحي يطعن بالوحي.

ولاحظ ان معاوية أمر بترك التلبية وهي سنة رسول الله ﷺ بغضا لعلي عليه السلام: كما اخرج عدة من الحفاظ بسند صحيح منهم النسائي في سننه قال : أخبرنا أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي قال حدثنا خالد بن مخلد قال حدثنا علي بن صالح عن ميسرة بن حبيب عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير قال :

كنت مع بن عباس بعرفات فقال ما لي لا أسمع الناس يلبون قلت يخافون من معاوية فخرج بن عباس من فسطاطه فقال لبيك اللهم لبيك لبيك فإنهم قد تركوا السنة من بغض علي عليه السلام. وقال الشيخ الألباني : صحيح الإسناد[١٠٨٤] .

فيا مسلم هل تقبل من كاتب الوحي من ان يمنع التلبية بغضا للإمام علي عليه السلام لأنه يحب هذه السنة ؟

وكذلك لاحظ ان معاوية يرشي الحافظ أبا موسى الأشعري فلقد اخرج ابن سعد في طبقاته بسند صحيح قال : قال أخبرنا عفان بن مسلم وعمرو بن عاصم الكلابي ويعقوب بن إسحاق الحضرمي قالوا حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن أبي بردة قال قال :

أبو موسى كتب الي معاوية سلام عليك أما بعد فإن عمرو بن العاص قد بايعني على الذي قد بايعني عليه وأقسم بالله لئن بايعتني على ما بايعني عليه لأبعثن ابنيك أحدهما على البصرة والأخر على

١٠٨٣- سنن أبي داود ج٦ص٧٥ .

١٠٨٤- سنن النسائي ج٥ ص٢٥٣ .

الكوفة ولا يغلق دونك باب ولا تقضى دونك حاجة وإني كتبت إليك بخط يدي فاكتب إلي بخط يدك فقال يا بني إنما تعلمت المعجم بعد وفاة رسول الله ﷺ قال وكتب إليه مثل العقارب :

أما بعد فإنك كتبت إلي في جسيم أمر أمة محمد ﷺ لا حاجة لي فيما عرضت علي قال فلما ولي أتيته فلم يغلق دوني باب ولم تكن لي حاجة إلا قضيت[١٠٨٥].

وكذلك ما قالوا من ان معاوية يموت على غير الملة :

فقد اخرج البلاذري بسند صحيح قال : عن بكر بن الهيثم واسحق بن أبى إسرائيل عن عبد الرزاق الصنعانى عن معمر بن راشد عن عبد الله بن طاووس عن طاووس بن كيسان عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال:

(كنت جالسا عند رسول الله ﷺ فقال : يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت على غير ملتي قال : وكنت تركت أبى قد وضع له وضوء ، فكنت كحابس البول مخافة ان يجيء قال : فطلع معاوية فقال النبي ﷺ: هذا هو)[١٠٨٦].

والحديث له متابعات وشواهد حسنة ولكن نكتفي بهذا السند فهل يصلح كاتب الوحي ان يموت على غير ملة ما كتبه ؟

ولاحظ كاتب الوحي يشرب الخمر في خلافته ويقدمه للغير فلقد اخرج عدة من الحفاظ منهم الإمام احمد في مسنده بسند صحيح قال : قال : حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني حسين ، حدثنا عبد الله بن بريدة قال :

( دخلت أنا وأبي على معاوية ، فأجلسنا على الفرش ، ثم أُتينا بالطعام ، فأكلنا ، ثم أُتينا بالشراب ، فشرب معاوية ، ثم ناوله أبي ، ثم قال : ما شربته منذ حرمه رسول الله ﷺ ثم قال معاوية :

كنت أجمل شباب قريش وأجوده ثغرا ، وما شيء كنت أجد لذة كما كنت أجده وأنا شاب غير اللبن أو إنسان حسن الحديث يحدثني). وتعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده قوي[١٠٨٧].

واما سند الحديث فجميع رواة الحديث على شرط السنن وهم :

---

١٠٨٥- طبقات ابن سعد ج٤ ص١١١، سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٣٩٥ ، تاريخ بن عساكر: ٥٣٩ .

١٠٨٦- انساب الاشراف بنو عبد شمس تحقيق احسان عباس ص ١٢٦ .

١٠٨٧- مسند أحمد ج٥ ص٣٤٧ ط١ .

١- زيد بن الحباب ، أبو الحسين العكلي ، وقد أخرج له مسلم والأربعة ، وقد وثقه أحمد بن حنبل حيث قال : صدوق ، قال : وكان صاحب حديث كيسا ، وقال العجلي وابن معين وعلي بن المديني : ثقة ، وقال أبو حاتم : صدوق ، ووثقه أحمد بن صالح وابن خلفون وابن شاهين وعثمان بن شيبة وابن يونس ، وقال ابن عدي : وهو من أثبات مشايخ الكوفة ، وهو ممن لا يشك في صدقه[١٠٨٨] .

٢- الحسين بن واقد المروزي ، أبو عبد الله قاضي مرو.

وقد احتج به مسلم وأخرج له البخاري في التعاليق وأخرج له الأربعة، وقال فيه يحي بن معين : ثقة ، وقال أبو زرعة والنسائي : ليس به بأس[١٠٨٩] .

٣- عبد الله بن بريدة ، وقد احتج به الستة ، وقال فيه ابن معين والعجلي وأبو حاتم : ثقة[١٠٩٠] .

والحديث صحيح السند بلا إشكال وهو يدل على أن معاوية كان يشرب المسكر. ويؤيده عدة من الروايات الواردة في كتب الحديث.

ولاحظ من ان معاوية يرفض قول الرسول ﷺ فلقد اخرج الطبراني بسند صحيح قال : وأنا عامله على اليمامة فكتبت إلى مروان أن رسول الله ﷺ قضى أن إذا وجدت ثم المتهم فإن شاء سيدها أخذها بالثمن وإن شاء اتبع سارقه ثم قضى بذلك بعده أبو بكر وعمر وعثمان .

فبعث مروان بكتابي إلى معاوية فبعث معاوية إلى مروان إنك لست أنت ولا أسيد يقضيان علي فيما وليت ولكني أقضي عليكما فأنفذ ما أمرتك به فبعث مروان بكتاب معاوية إلي فقلت والله لا اقضي به أبدا[١٠٩١] .

ولاحظ كذلك قول بعض الحفاظ من أهل السنة في حال معاوية فلقد قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : قد ورد في فضائل معاوية أحاديث كثيرة ولكن ليس فيها ما يصح من طريق الإسناد، وبذلك جزم إسحاق بن راهويه والنسائي وغيرهما[١٠٩٢] .

---

١٠٨٨- تهذيب التهذيب ج٣ ص٣٤٨ .

١٠٨٩- نفس المصدر ، ج٢ ص٣٢٢ .

١٠٩٠- نفس المصدر ، ج٥ ص١٣٨ .

١٠٩١- المعجم الكبير للطبراني ج١ ص٢٠٥ ، المستدرك على الصحيحين ج٢ص٤١ ح٢٥٥ ، الأحاديث المختارة ج٤ص٢٦٣ ح١٤٦١ .

١٠٩٢- فتح الباري ج٧ص٨١ .

وكذلك الحافظ الكبير إسحاق بن راهويه قال : ( لا يصح عن النبي ﷺ في فضل معاوية بن أبي سفيان بشيء )[١٠٩٣] .

ولاحظ كذلك ابن تيمية في منهاج السنة النبوية قال : وطائفة وضعوا لمعاوية فضائل ، ورووا أحاديث عن النبي ﷺ في ذلك كلها كذب[١٠٩٤] .

ولاحظ العيني في عمدة القاريء قال: فان قلت : ورد في فضيلة أحاديث كثيرة . قلت نعم ، ولكن ليس فيها حديث يصح من طريق الإسناد، نص عليه إسحاق بن راهويه والنسائي وغيرهما ، فلذلك قال[١٠٩٥] ذكر معاوية ولم يقل فضيلة ولا منقبة[١٠٩٦] .

ولاحظ جيد كأمام معصوم مفترض الطاعة وهو الإمام علي عليه السلام يدعو على معاوية في قنوته : فقد اخرج عدة من الحفاظ منهم ابن أبي شيبة في مصنفه بسند صحيح قال : حدثنا هشيم قال أخبرنا حصين قال حدثنا عبد الرحمن بن معقل قال:

صليت مع علي عليه السلام صلاة الغداة قال فقنت فقال في قنوته اللهم عليك بمعاوية وأشياعه وعمرو بن العاص وأشياعه وأبا السلمي (وأشياعه) وعبد الله بن قيس وأشياعه[١٠٩٧] .

فسأل نفسك ماذا فعل معاوية دفاعا عن الإسلام حتى نترضى عليه فلا تقل كان أبي بل راجع وأقرأ المصادر ؟.

ثم نأتي لذكر بطل الاسلام المظلوم الذي له المناقب العظمى وهي حجةَ على مخالفيهِ منذ ولادتهِ المباركة داخل الكعبة الى يوم يبعثون؟

١٠٩٣- الموضوعات لابن الجوزي ج٢ص٢٤ ، سير أعلام النبلاء ج٣ص١٣٢ رقم٢٥، فتح الباري ج٧ ص٨١ . الفوائد المجموعة ص٤٢٣ .

١٠٩٤- منهاج السنة النبوية ج٢ ص٢٠٧ الطبعة الاولى، وجزء٤ ص٤٠٠ الطبعة الحديثة.

١٠٩٥- أي البخاري .

١٠٩٦- عمدة القارئ ج١٦ ص٢٤٩ .

١٠٩٧- مصنف ابن أبي شيبة ج ٢ ص ٢١٦ .

## ٣ – يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ

ذكر في كتابهِ الكريم قول الله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)[١٠٩٨] .

فما هذا الأمر العظيم الذي أمر الله الرسول الكريمﷺ بتبليغه؟ وهنا يخطر سؤال هل رسول الله ﷺ بلغ أم لا ؟

إن قيل لم يبلغ فتلك مصيبة وأن الرسولﷺ خالف أمر الله وبذلك لم يبلغ الرسالة وان قلتم بلغ فما هو هذا الأمر العظيم الذي بلغه.

وأما ان النبيﷺ بلغه والمسلمين لم يهتموا بهذا الأمر العظيم ولذلك لم يذكره أي مفسر من المفسرين عند أهل السنة. أو أن علمائكم كانوا متعمدين في إخفائه .

فلقد أخرج الحاكم الحسكاني في مصنفه شواهد التنزيل والحافظ إبن المؤيد الجويني في مصنفه فرائد السمطين[١٠٩٩] كل منهما بسنده عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال :

[ لما أسري بي إلى السماء سمعت نِداءاً مِنْ تَحْتِ العرش أنَّ عَلياً راية الهُدى وَحَبيبُ من يؤمنُ بي ، بَلغ يا مُحَمَّد ، قال: فلما نزل النبيﷺ أسرّ ذلك ، فأنزل الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) في علي بن أبي طالبعليه السلام (وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ)].[١١٠٠] .

ولاحظ ما أخرجه الحافظ إبن عساكر الدمشقي في تاريخه ، والحافظ عبد الرحمن بن أبي حاتم ، والحافظ إبن مردويه ، والحاكم والحسكاني ، والحافظ الواحدي النيسابوري في أسباب النزول بالإسناد عن أبي سعيد الخدري قال[١١٠١]:

نزلت هذه الآية (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) يوم غدير خم في علي بن أبي طالبعليه السلام[١١٠٢] .

---

١٠٩٨– المائدة ٦٧ .

١٠٩٩– ذكر المحقق العلامة إسماعيل باشا البابابي البغدادي في إيضاح المكنون ج٢ ص١٨٢.

١١٠٠– شواهد التنزيل الجزء الاول ص ٢٤٩ ح٢٤٤ وكذلك فرائد السمطين ج١ ص ١٥٨ ح ١٢٠.

١١٠١– اللفظ كما أورده الحافظ جلال الدين السيوطي في الدر المأثور.

ولاحظ كذلك ما أخرجه الحافظ إبن عساكر الدمشقي في تاريخه ، والحافظ عبد الرحمن بن أبي حاتم ، والحافظ إبن مردويه ، والحاكم والحسكاني ، والحافظ الواحدي النيسابوري في أسباب النزول بالإسناد عن أبي سعيد الخدري قال[1103]:

نزلت هذه الآية ( يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ) يوم غدير خم في علي بن أبي طالب عليه السلام[1104].

وكذلك لاحظ ما أخرجه الحافظ الحبري ، والحاكم الحسكاني وغيرهما بالإسناد عن ، أبي صالح عن إبن عباس في قول الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ) قال : نزلت في علي عليه السلام أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يُبلغ فيه ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيد علي عليه السلام فقال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه[1105].

ولاحظ ما أخرجه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل بسنده عن عباية بن رُبعي ، عن عبد الله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وساق حديث المعراج إلى أن قال : وإني لم أَبعَث نبياً إلا جعلت له وزيراً ، وإنك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنّ علياً عليه السلام وزيرك. قال إبن عباس :

فهبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكره أن يُحدث الناس بشيء منها إذ كانوا حديثي عهد بالجاهلية ، حتى مضى من ذلك ستة أيام ، فأنزل الله تعالى: (فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ)[1106].

فاحتمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى كان يوم الثامن عشر أنزل الله عليه (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) ثم إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر بلالاً حتى يؤذن في الناس أن لا يبقى غداً أحدٌ إلا خرج إلى غدير خُم ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والناس من الغد فقال صلى الله عليه وآله وسلم :

---

١١٠٢- الدر المنثور للسيوطي ج٢ ص ٥٢٨ ، أسباب النزول للواحدي ص ٨٥، شواهد التنزيل ج١ ص ٢٥٠ ح ٢٤٤ ، مختصر تاريخ دمشق ج١٧ ص٣٥٩ ، وترجمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ إبن عساكر بتحقيق المحمودي ج٢ ص٨٥ ح ٥٨٥ ، وص ٨٦ ح٥٨٦.

١١٠٣- اللفظ كما أورده الحافظ جلال الدين السيوطي في الدر المأثور.

١١٠٤- مختصر تاريخ دمشق ج١٧ ص٣٥٩ .

١١٠٥- شواهد التنزيل ج١ ص٢٥١ ، تفسير الحبري ح١٤ ، الورقة ١١ مخطوط.

١١٠٦- هود ١٢ .

[ يا أيها الناس إنّ الله أرسلني إليكم برسالة ، وإني ضقت بها ذرعاً مخافة أن تتهموني وتكذبوني حتى عاتبني ربي ، فيها بوعيد أنزله عليّ بعد وعيد ، ثُم أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام فرفعها حتى رأى الناس بياض إبطيهما ، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم : أيها الناس ، الله مولاي وأنا مولاكم ( فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وأنصر من نصره ، وأخذل من خذله) وأنزل الله : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ)][1107].

ولاحظ كذلك ما أخرجه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل بالإسناد عن عبد الله بن أبي أوفى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتلا هذه الآية:

( يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) ثم رفع يديه حتى يُرى بياض إبطيه ، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: ( ألا من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه) ثم قال : اللهم إشهد[1108].

وكذلك لاحظ ما أخرجه الحافظ إبن مردويه بإسناده عن عبد الله بن مسعود أنه قال : كنا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ( يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) أن علياً عليه السلام مولى المؤمنين : ( وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ)[1109].

ولاحظ من ان الشيعة الإمامية قد قالوا بأسانيد صحيحة عن لسان أئمة أهل البيت عليهم السلام من أنها نزلت في ولاية أمير المؤمنين الإمام عليه السلام كما اخرج الشيخ الكليني بسند صحيح في كتاب الكافي الشريف :

عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن عمر بن أذينة ، عن زرارة والفضيل بن يسار ، وبكير بن أعين ومُحَّد بن مسلم وبريد بن معاوية وأبي الجارود جميعا عن أبي جعفر عليه السلام قال :

أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بولاية علي عليه السلام وأنزل عليه (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة).

وفرض ولاية أولي الأمر ، فلم يدروا ما هي ، فأمر الله مُحَّدا صلى الله عليه وآله وسلم أن يفسر لهم الولاية كما فسر لهم الصلاة والزكاة والصوم والحج.

---

١١٠٧- المائدة ٣ .

١١٠٨- شواهد التنزيل ج١ ص٢٥٢ .

١١٠٩- الدر المنثور للسيوطي ج٢ ص ٥٢٨ .

فلما أتاه ذلك من الله ، ضاق بذلك صدر رسول الله ﷺ وتخوف أن يرتدوا عن دينهم وأن يكذبوه فضاق صدره وراجع ربه عز وجل فأوحى الله عز وجل إليه: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس).

فصدع بأمر الله تعالى ذكره فقام بولاية علي عليه السلام يوم غدير خم ، فنادى الصلاة جامعة وأمر الناس أن يبلغ الشاهد الغائب. – قال عمر بن أذينة : قالوا جميعا غير أبي الجارود – وقال أبو جعفر عليه السلام:

وكانت الفريضة تنزل بعد الفريضة الأخرى وكانت الولاية آخر الفرائض فأنزل الله عز وجل (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي) قال أبو جعفر عليه السلام : يقول الله عز وجل : لا انزل عليكم بعد هذه فريضة قد أكملت لكم الفرائض[١١١٠]. انتهى.

ومثلهِ اخرج الشيخ الصدوق بسند صحيح قال : حدثنا مُحَّد بن الحسن رضي الله عنه قال : حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري قال : حدثنا يعقوب بن يزيد قال : حدثنا مُحَّد بن أبي عمير عن أبان بن عثمان عن الصادق جعفر بن مُحَّد عليهما السلام قال :

إن رسول الله ﷺ قال ذات يوم لجابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه : يا جابر ، إنك ستبقى حتى تلقى ولدي مُحَّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام المعروف في التوراة بالباقر عليه السلام فإذا لقيته فأقرئه مني السلام.

فدخل جابر رضي الله عنه إلى علي بن الحسين عليهما السلام فوجد مُحَّد بن علي عليهما السلام عنده غلاما ، فقال له: يا غلام؟ أقبل. فأقبل. ثم قال له : أدبر. فأدبر ، فقال جابر: شمائل رسول الله ﷺ ورب الكعبة .

ثم أقبل على علي بن الحسين عليهما السلام فقال له: من هذا ؟ قال عليه السلام : هذا ابني ، وصاحب الأمر بعدي مُحَّد الباقر.

فقام جابر رضي الله عنه فوقع على قدميه يقبلهما ويقول : نفسي لنفسك الفداء يا بن رسول الله اقبل سلام أبيك إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام.

قال عليه السلام: فدمعت عينا أبي جعفر عليه السلام ثم قال عليه السلام: يا جابر على أبي رسول الله ﷺ السلام ما دامت السماوات والأرض وعليك – يا جابر – بما بلغت السلام[١١١١].انتهى.

١١١٠– الكافي ، الشيخ الكليني ، ج ١ ، ص ٢٨٩ .

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة السابعة

## احاديث تناولتها الصحاح

شبهة التحريف من الصحاح الستة : أجمع أهل السنة بإنتقاء الصحاح الستة وقيل (التسعة) من بين المصنفات الحديثية والمسانيد الاخرى .

وقد صنفت بدرجة اولى من الصحة والوثاقة وشهد الفضل بن روزبهان وقال: ( وليس أخبار الصحاح الستّة مثل أخبار الروافض فقد وقع إجماع الأئمة على صحتها)[١١١٢] .

وشهد ايضا من قال في سنن الترمذي (من الصحاح) فقال: (من كان في بيته هذا الكتاب كأن في بيته نبي يتكلم )[١١١٣] ؟

وشهد مُحَّد بن يوسف الشافعي فقال: ( إن أول من صنف في الصحيح البخاري. وتلاه ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري. وكتابهما أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز)[١١١٤] .

وشهد الحافظ النيسابوري[١١١٥]ووصفه اصح كتاب تحت السماء فقال : ( ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم ).

وشهد النووي[١١١٦] فقال : ( أول مصنف في الصحيح المجرّد : صحيح البخاري ثم صحيح مسلم وهما أصح الكتب بعد القرآن : والبخاري أصحهما ، اكثرهما فائدة وقيل : مسلم أصح والصواب الاول).

---

١١١١- الأمالي ، الشيخ الصدوق ، ص ٤٣٤- ٤٣٥ .

١١١٢- احقاق الحق ج ٢ ص ٢٣٥ .

١١١٣- تذكرة الخواص ج ٢ ص ٦٣٤ .

١١١٤- مقدمة فتح الباري ص ٨ .

١١١٥- وفيات الاعيان ج ٤ ص ٢٠٨ .

وشهادة اخرى للنووي في مقدمة شرح صحيح الامام مسلم[1117] فقال: ( اتفق العلماء على أن أصح الكتب بعد القران العزيز الصحيحان البخاري ومسلم وتلقتهما الأمة بالقبول).

ولكن الشيخ الألباني يرمي العلماء بالقصور العلمي ويزدريهم على ذلك ، ويحاول التشبه بالحفاظ السابقين بقوله عن بعض الأحاديث : (لم أقف على سنده) ويرمي الكثير من الحفاظ بالغفلة مع أنه أهل ذلك وإليك الأمثلة :

أَثَرُ سيدنا علي : ( إذا بلغ النساء الحقاق فالعصبة أولى ، ومن شهد فليشفع بخير) قال الألباني في إرواء الغليل في تخريجه : ( لم أقف على إسناده)[1118] اهـ. أقول ( أي الشيخ السقاف ) : كذا قال ! ولو كان جهبذاً لعرف أنه في سنن البيهقي[1119]، وهناك إسناده مذكور بأكمله.

قال الألباني في إرواء الغليل حديث ابن عمر (القبلات ربا ) لم أقف على سنده[1120]اهـ. كذا قال ؟! مع أنه مذكور بسنده في فتاوى الشيخ ابن تيمية المصرية[1121]، ورجاله رجال الصحيح.

وحديث ابن مسعود : ( أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حد مطلع ) قال الألباني في تخريج ( مشكاة المصابيح ) لشرح السنَّة ما نصه : [ لينظر في أي مكان رواه في ( شرح السنَّة ) فإني راجعته في ( العلم ) وفي ( فضائل القرآن ) منه فلم أره ] اهـ.

قال الشيخ السقاف : كذا قلت ؟! ولو كنت راجعتَه حقاً في ( العلم ) لوجدته في ( باب الخصومة في القرآن )[1122] ، وقد رواه ابن حبان وأبو يعلى والطحاوي والبزار والهيتمي وعزاه للبزار وأبي يعلى والطبراني في (الأوسط) وقال : رجال أحدهما ثقات .

وللاستزادة من كشف حقيقة تخبطاتهم في الحديث يمكنكم الرجوع إلى كتاب : ( تناقضات الألباني الواضحات فيما وقع له في تصحيح الأحاديث وتضعيفها من أخطاء وغلطات ) للشيخ حسن بن علي السقاف الشافعي المذهب .

---

١١١٦- التقريب للنووي ص٥ .

١١١٧- شرح صحيح مسلم ص ١٥ .

١١١٨- إرواء الغليل ج٦ ص٢٥١ ، رقم ١٨٤٧ .

١١١٩- سنن البيهقي ج٧ ص١٢١ .

١١٢٠- إرواء الغليل ج٣ ص٢٨٣ .

١١٢١- ج٣ ، ص٢٩٥ .

١١٢٢- شرح السنة ج١ ، ص٢٦٢ .

وشهد ابن حجر الهيثمي[١١٢٣] فقال : ( روى الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما اللذين هما أصح الكتب بعد القرآن بإجماع من يعتد به ..).

وشهد كاتب شلبي[١١٢٤] فقال : ( والكتب المصنفة في علم الحديث أكثر من أن تحصى إلاّ أن السلف والخلف قد أطبقوا على أن أصح الكتب بعد كتاب الله سبحانه وتعالى صحيح البخاري ثم صحيح مسلم).

وايضا إلتزموا بنقل الصحاح من الامام أحمد بن حنبل[١١٢٥] وعنه : إنه شرط في مسنده الصحيح.

ثم قام ابو عبدالله الامام الحاكم النيسابوري[١١٢٦] وبدء بتأليف كتاب سماه (المستدرك على الصحيحين) واورد فيه مما لم يذكره البخاري ومسلماً من الحديث وعلى شرطهما أو شرط أحداهما أو هو صحيح .

## أولاً : روايات تناولتها الصحاح

نبدأ بإخراج الشيخان الامام البخاري والامام مسلم بإسنادهما[١١٢٧] قالوا: عن ابن عباس قال : خطب عمر بن الخطاب خطبته بعد مرجعه من آخر حجة حجها قال فيها :

ان الله بعث مُحَمَّداًﷺ بالحق وانزل عليه الكتاب فكان مما انزل عليه الله آية الرجم ، فقرأناها وعقلناها ووعيناها فلذا رجم رسول اللهﷺ ورجمنا بعده . فأخشى إن طال بالناس الزمان ان يقول قائل : والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة انزلها الله.

فقد اوقعوا انفسهم في حيرة فهنا تجد لا يمكن اسقاط الحديث لإقرارهم بصحتهما واتجهوا لمخالفة الاحتياط. ثم زعموا ان الآيات صحيح نازلة من الوحي ولكن المخرج فكرة النسخ ولكنك امام الله تعالى انت تعترف انها من القران؟ فأنتبه.

وايجادك لفكرة (نسخ التلاوة) وهي باطلة بدليل قواعد علم الاصول؟

---

١١٢٣- الصواعق المحرقة ، ص ٥ .

١١٢٤- كشف الظنون ، ج١ ، ص٦٤١ .

١١٢٥- انظر : طبقات الشافعية ترجمة أحمد .

١١٢٦- فيض القدير في شرح الجامع الصغير ج١ص٢٦ .

١١٢٧- مسلم ج٤ ص١٦٧ ، وجزء ٥ ص١١٦ .

فقد الزموا انفسهم إما ان يقبلون بها على علاتها والأخذ بها والافتاء على وفق مضامينها كما فعله جماعة منهم لقوة صحة الاسانيد ؟.

أو : رفضها نهائيا بعد عدم امكانية التأويل ؟.

ولاحظ ان ابن حزم الاندلسي ( فقيه ناقد ) يقول شريعة الرجم مستندة للقران لما رواه بإسناده عن أُبي بن كعب قال : كم تعدون سورة الاحزاب؟ قيل له : ثلاثاً أو اربعاً وسبعين آية قال : ان كانت لتقارن سورة البقرة أو لهي أطول منها وان كان فيها لآية الرجم وهي : ( اذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتّه نكالاً من الله والله عزيز حكيم).

فقال ابن حزم : هذه اسناد صحيح كالشمس لا مغمز فيه . ثم قال : ولكنها مما نسخ لفظاً وبقي حكماً.

ومثل هذه التعاليل (فاقد الشيء لا يعطيه) هي بحد ذاتها سقيمة وغير وافية بدفع الشبهات وهذه التعليلات وردت بعد ان طُرحت الشبهة فلذلك هي تعليل مصطنع لأن مثله ليس فيه أي أثر قبل طرح الشبهة .

والشيخ المصري علي العريض في كتابه فتح المنان والامام المحقق مُحَمَّد بن احمد السرخسي في اصوله رفضا نظرية نسخ التلاوة المزعومة دون الحكم لمنافاتها للحكمة .

فما هي الحكمة في نسخ آية بلفظها مع بقاء حكمها ؟ وهل كانت سنداً للحكم الباقي مع الأبد؟.

وايضا : روي في صحيح البخاري[١١٢٨] عن عمر قال : ( لولا ان يقول الناس ان عمر زاد في كتاب الله لكتبت آية الرجم بيدي ) ؟.

هذا معناه ان الخليفة عمر قائل بالنقص لأن آية الرجم ليست موجودة اليوم في القرآن والخليفة لم يقل بنسخ التلاوة لأنه يريد ان يكتبها ولكن يخاف من قول الناس كما في الحديث ولهذا نقل السيوطي[١١٢٩] عن صاحب البرهان للزركشي انه قال : ( ظاهره ان كتابتها جائزة وانما منعه قول الناس

---

١١٢٨- البخاري ج٤ ص١٥٢وصفحة ١٣٥ باب الشهادة عند الحاكم .

١١٢٩- الاتقان الجزء ٢ الصفحة ٢٦ .

والجائز في نفسه قد يقوم من خارج ما يمنعه فاذا كانت جائزة لزم ان تكون ثابتة لأن هذا شأن المكتوب).

وايضا : ذكرت في صحيح الامام البخاري[١١٣٠]، صحيح الامام مسلم[١١٣١] قالوا : هناك آية زعمها اسقطت فيما اسقط من القرآن . قال :انا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله : ( ان لاترغبوا عن آبائكم فانه كفر بكم ان ترغبوا عن آبائكم. أو ان كفراً بكم ان ترغبوا عن آبائكم..).

وايضا : ورد عن ابراهيم بن علقمة انه قال : دخلت في نفر من اصحاب عبد الله الشام فسمع بنا ابو الدرداء فاتانا فقال فقال : أفيكم من يقرأ ؟ فقلنا: نعم. قال : فأيكم ؟ فأشاروا إليّ' فقال : إقرأ' فقرأت : (والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى والذكر والانثى) قال :انت سمعتها من في صاحبك قلت نعم' قال: وانا سمعتها من في النبيﷺ وهؤلاء يأبون علينا.

المصدر : روي في صحيح الترمذي[١١٣٢]، روي في صحيح مسلم[١١٣٣]، رواه البخاري مع حاشية السندي[١١٣٤]،

وايضا : ورد عن انس بن مالك قال : ان رعلا وذكوان وعصية وبني كيان استمدوا رسول الله ﷺ على عدوهم فأمدهم بسبعين من الانصار كنا نسميهم القراء في زمانهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل حتى اذا كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم .

فبلغ النبي ﷺ ذلك فقنت شهراً يدعو في الصبح على احياء من احياء العرب على رعل وذكوان وعصية وبني كيان. قال انس : فقرأنا فيهم قرآناً ثم ان ذلك رفع (بلغوا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا). المصدر : روي في صحيح البخاري[١١٣٥]، روي في الاتقان[١١٣٦]، روي في المستدرك على الصحيحين الطبقات الكبرى[١١٣٧].

---

١١٣٠- صحيح البخاري ج٨ ص٢٠٨ .

١١٣١- صحيح مسلم ج٤ ص١٦٧و ج٥ ص١١٦ .

١١٣٢- الترمذي ، ج٥ ص١٩١ .

١١٣٣- صحيح مسلم ، ج١ ، ص٥٦٥ .

١١٣٤- البخاري مع حاشية السندي ، ج٣ ص١٣٩ وجزء٢ ص١٩٧ .

١١٣٥- صحيح البخاري ، ج٣ ، ص٣٠ .

١١٣٦- الاتقان ، ج٢ص٢٦ .

١١٣٧- الطبقات الكبرى ج٢ ص ٥٤ .

وايضا : روى الامام الحاكم[1138] بسند صحيح بشرط الشيخين فقال : عن ام المؤمنين عائشة عن رسول الله ﷺ قال : إن الله وملائكته يصلون على اللذين يصلون الصفوف .

وايضا : اخرج الامام مسلم[1139] في صحيحه عن أبي الاسود عن أبي موسى الأشعري انه قال : وإنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة بـ: (براءة) فأنسيتها غير اني حفظت منها : ( لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً ولا يملأ ابن آدم إلاّ التراب )؟.

وروي ايضا في الدر المنثور والاتقان[1140].

وايضا : روي عن أبي موسى الاشعري انه قد ذكر لقراء اهل البصرة فقال : ( وإنا كنّا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فنسيتها غير أني حفظت منها: لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً ولايملأ جوفه إلاّ التراب ). روي في صحيح الامام مسلم[1141]. روي في المستدرك على الصحيحين للحاكم[1142].

وايضا : اخرج ابن ماجة عن السيدة ام المؤمنين عائشة من انها قالت: ( نزلت آية الرجم ورضاعة الكبير عشراً ولقد كان في صحيفة تحت سريري فلما مات رسول الله ﷺ وتشاغلنا بموته دخل داجن فأكلها). روي في سنن ابن ماجه[1143]. روي في صحيح مسلم[1144]، وكذلك مثله الدارمي.

وايضا : ورد في المستدرك [1145]على الصحيحين عن بعض الصحابة انه كان يقرأ [ فما استمتعتم به منهن (الى أجل )....] وعن ابن عباس قوله: (والله لأنزلها كذلك).

وايضا : جاء في صحيح مسلم[1146] انه قال : عن أبي موسى الاشعري انه قال : في الحديث المتقدم فيما ذكرناه حول سورة كانوا يشبهونها بإحدى المسبحات : وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى

---

١١٣٨- المستدرك على الصحيحين ج ١ الصفحة ٢١٤ .

١١٣٩- صحيح مسلم ج ٢ صفحة ٧٢٦ ح١٠٥٠ .

١١٤٠- الاتقان ،٣٠/ ٨٣ .

١١٤١- صحيح مسلم ج٢ص٧٢٦ ح١٠٥٠ .

١١٤٢- المستدرك للحاكم ج٢ص٢٢٤ .

١١٤٣- السنن ج١ص٦٢٥ ح١٩٤٤ .

١١٤٤- صحيح مسلم ج٤ص١١٨ .

١١٤٥- صحح الحاكم من طرق عديدة راجع الجزء ٢ الصفحة ٣٥ من مستدركه .

١١٤٦- صحيح مسلم الجزء ٢ الصفحة ٧٢٦ .

المسبحات فنسيتها غير اني حفظت منها: ( يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون – فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة) .

وكذلك أنه جاء ذكر ابن حجر العسقلاني[١١٤٧] في فتح الباري فقال: انه روى مسلم عن ام المؤمنين عائشة انها أملت في مصحفها ( حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى- وصلاة العصر- قالت : سمعتها من رسول الله ﷺ ).

وقريب منه ما قد روى في صحيح البخاري وصحيح مسلم عن ام المؤمنين عائشة انها قالت : سمع رسول اللهﷺ رجلاً يقرأ في سورة بالليل فقال : يرحمه الله لقد أذكرني آية كذا وكذا كنت أُنسيتها من سورة كذا وكذا؟ .

أخرجه الامام البخاري[١١٤٨] في كتاب فضائل القران باب نسيان القرآن وكذلك باب من لايرى بأساً أن يقول سورة كذا وكذا. وأخرجه الامام مسلم[١١٤٩] في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الأمر بتعهد القرآن وكراهة قول نسيت آية كذا؟

وكذلك جاء انه روى السجستاني عن عمران[١١٥٠] فقال : قلت لعبد الرحمن بن اسود : انك تقرأ : ( صراط من انعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين ) ؟، ولكن القران الذي بين ايدينا يقول : (صِراطَ الّذينَ أنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ المِغضُوبِ عَلَيهِم وَلا الضّالينَ).

وايضا مثلهِ : جاء انه ذكر السجستاني[١١٥١] فقال : عن حماد قال : قرأت في مصحف أبي (للذين يُقسمون) ؟، ولكن القران الذي بين ايدينا يقول: ( لِلَذينَ يَؤلون مِن نِسائِهم).

وكذلك مثلهِ قد انه جاء في كتاب السجستاني[١١٥٢] فقال : عن الحكم قال: في قراءة ابن مسعود (بل يداه بسطان)؟، ولكن القران الذي بين ايدينا يقول : (مَبسُوطَتان).

وايضا جاء من انه ذكر في كتاب المصاحف[١١٥٣] قال : وعن سفيان قال : قراءة ابن مسعود (وتزودوا وخير الزاد التقوى). ولكن القران الذي بين ايدينا يقول: (وتَزودوا فانّ خَير الزَاد التَقوى).

---

١١٤٧- فتح الباري في شرح البخاري ج ٨ ص ١٥٨ .

١١٤٨- انظر : صحيح البخاري فضائل القران باب نسيان القرآن وكذلك باب من لايرى بأساً.

١١٤٩- انظر : صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها .

١١٥٠-كتاب المصاحف ، السجستاني ص ٦٠-٦١ .

١١٥١- نفس المصدر ، ص ٦٣ .

١١٥٢- نفس المصدر ، ص٦٤- ٦٥ .

ايضا جاء من انه اورد في كتاب المصاحف[1154] فقال: وكذا نقل عن عمر انه قرأ (ألم الله لا إله إلا هو الحي القيّام) ، ولكن القران الذي بين ايدينا يقول : ( القيّوم ).

وكذلك جاء من انه ذكر السجستاني[1155] فقال : عن سفيان كان اصحاب ابن مسعود يقرؤونها (اولئك لهم نصيب ما اكتسبوا) ؟، ولكن القران الذي بين ايدينا يقول: ( اولئك لهم نصيبٌ مما كسبوا).

وكذلك انه اورد في كتاب المصاحف[1156] من انه قال: عن ابن الزبير انه يقرأ : ( في جنات يتساءلون يافلان ماسلكك في سقر). ولكن القران الذي بين ايدينا لا توجد فيه (يافلان).

وايضا : روي عن ميمون بن مهران[1157] وتلا هذه السورة : (والعصر ان الانسان لفي خسر* وانه فيه الى آخر الدهر* الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالصبر)؟ ذكرها في قراءة ابن مسعود.

وكذلك نورد هنا بعض الآيات[1158] المذكورة في كتبهم قولهم: عن عوف بن أبي جميلة أن الحجاج بن يوسف غيّر في مصحف عثمان أحد عشر حرفاً. قال :

كانت في البقرة :٢٥٩ (لم يتسن وانظر) بغير هاء فغيرها (لَم يَتَسَنه).

كانت في المائدة: ٤٨ (شريعة ومنهاجاً) فغيّرها (شِرعَةً وَمِنهاجَاً).

كانت في يونس :٢٢ (هو الذي ينشركم) فغيره (يُسَيّرُكُم).

كانت في يوسف :٤٥ (أنا آتيكم بتأويله) فغيرها (أنا أُنَبِئُكُم بِتَأوِيلِهِ).

كانت في الزخرف : ٣٢ ( نحن قسمنا بينهم معايشهم ) فغيّرها (مَعِيشَتَهُم).

كانت في التكوير : ٢٤ (وما هو على الغيب بظنين) فغيّرها (بِضَنينٍ).

---

١١٥٣- نفس المصدر ، ص٦٥ .

١١٥٤- نفس المصدر ، ص ٦١ .

١١٥٥- نفس المصدر ، ص٦٦ .

١١٥٦- نفس المصدر ، ص ٩٢ .

١١٥٧- نفس المصدر ، ص ٦٥ .

١١٥٨- نفس المصدر ، ص ٥٩ .

وايضا : انه جاء في كتاب الاتقان للسيوطي العالم والمفسر الجليل لدى أهل السنة عن عبد الله بن عمر[١١٥٩] قال : لا يقولَنّ احدكم قد اخذت القرآن كلّه ما يدريه ما كلّه قد ذهب منه قرآن كثير ولكن ليقل : قد اخذت منه ما ظهر ؟.

وكذلك انه جاء عن الخليفة عمر بن الخطاب قال : القرآن الف الف حرف وسبعة وعشرون الف حرف. فمن قرأه محتسباً كان له بكل حرف زوجة من الحور العين . روي في الاتقان للسيوطي[١١٦٠]، روي في مجمع الزوائد[١١٦١]، روي في كنز العمال[١١٦٢].

لاحظ حروف القرآن لا يتجاوز عددها ثلث هذا المقدار . فمع وجود مثل هذه الروايات في كتبهم فلماذا ينسب بعض المنحرفين قول التحريف الى الشيعة ؟!.

وايضا لاحظ ما روي في كنز العمال[١١٦٣]، عن ابن أبي داود عن ابن شهاب من انه قال : بلغنا انه كان انزل قرآن كثير فقتل علماؤه يوم اليمامة الذين كانوا قد وعوه ولم يعلم بعدهم ولم يكتب ؟.

وكذلك روى الهيثمي[١١٦٤]، عن سفيان عن الاعمش عن عبد الله بن سلمة فقال : قال حذيفة : ما تقرؤون ربعها ؟ يعني البراءة . روي في مجمع الزوائد[١١٦٥]، روي في الدر المنثور[١١٦٦]، روي في الاتقان[١١٦٧].

وايضا روي عن الثوري فقال : بلغنا ان اصحاب النبي ﷺ (الذين ) كانوا يقرؤون القرآن اصيبوا يوم مسيلمة فذهبت حروف من القران؟. روي في الدر المنثور[١١٦٨]، روي في المصنف لعبد الرزاق[١١٦٩].

---

١١٥٩- الاتقان للسيوطي ج٣ ص٦٣٩ .

١١٦٠- نفس المصدر ، ج١ ص ١٩٨ .

١١٦١- مجمع الزوائد ج٧ ص١٦٣ .

١١٦٢- كنز العمال ج ١ ص٤٦٠ .

١١٦٣- كنز العمال بهامش المسند الجزء ٢ الصفحة ٥٠ .

١١٦٤- الاتقان ج٢ ص١٢٦ .

١١٦٥- مجمع الزوائد ، ج٧ ص٢٨-٢٩ .

١١٦٦- الدر المنثور ، ج٣ ص٢٥٨ .

١١٦٧- الاتقان ، ج٢ ص١٢٦ .

١١٦٨- الدر المنثور ، ج٥ ص١٧٩ .

١١٦٩- المصنف لعبد الرزاق ، ج٧ ص٣٣٠ .

وكذلك من انه ورد في صحيح الامام البخاري[1170] ، فقال : عن عمر أنه سمع هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة الرسول ﷺ وقال : ( فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ ).

وايضا من انه قد روي عن ابن مسعود فقال : أقرأني رسول الله ﷺ : ( إني أنا الرزاق ذو القوة المتين) وفي القرآننا : ( إنَّ اللهَ هُوَ الرَّزاقُ ذُو القُوَّةِ المِتِين). روي في مسند احمد[1171]، روي في سنن الترمذي[1172]، وقال: هذا حديث حسن صحيح ؟.

وكذلك من انه ورد في صحيح الامام مسلم[1173] قال : [..فنزلت هذه السورة : تَبَت يدا أبي لَهَبٍ و (قد) تَبّ. ثم قال : كذا قرأ الأعمش الى آخر السورة].

وايضا : من انه قد روي في اجل كتب التفسير عندهم وهو الدر المنثور[1174] فقال : عن ابن عباس : لما نزلت : وانذر عشيرتك الأقربين (ورهطك منهم المخلصين). ليس في قرآننا (ورهطك منهم المخلصين ).

وكذلك اخرج أحد كبار العلماء وهو الامام السيوطي في كتابه الاتقان[1175]، سور القرآن على ما بين الدفتين كسورتي القنوت ( الحفد والخلع ) وان (مصحف أبيّ ) كان عدد سوره مئة وست عشرة لأنه كتب في آخره سورتي الحفد والخلع .

وايضا من انه قد روي عن ابن مسعود انه حذف المعوذتين من مصحفه وقال انهما ليستا من كتاب الله . وصححها ابن حجر في شرح البخاري وقال :

( وقد صح عن ابن مسعود إنكار ذلك – يعني : إنكار كون المعوذتين من القرآن –). رواه السيوطي[1176] في الدر المنثور، رواه احمد بن حنبل في مسنده وقال :رجاله صحيح ، رواه الطبراني في

---

١١٧٠- صحيح البخاري ج٦ص٢٣٩ .

١١٧١- مسند احمد ، ج١ص٣٩٤

١١٧٢- سنن الترمذي ج٤ ، ص٢٦٢/٤٠١٠ .

١١٧٣- صحيح مسلم ج١ ص١٩٤/٣٥٥، قوله تعالى : (وانذر عشيرتك الأقربين ) .

١١٧٤- الدر المنثور الجزء ٥ الصفحة ٩٦ .

١١٧٥- كتاب الاتقان ، ج١ ص ٤٧ .

١١٧٦- تفسير السيوطي ، الدر المنثور ، ج٦ ، ص٤١٦ .

الكبير والاوسط ، رواه الهيثمي في المجمع [1177]، وروح المعاني[1178]، روي في فتح الباري[1179]، روي في الاتقان[1180]، روي في الجامع لأحكام القران[1181]

هذه الصحاح والسنن امامك تشهد ان مصادرهم التي اخرجت وصححت حديث خذف المعوذتين من كتاب الله تعالى هل يبقى عندك شك عن الشيعة ؟!.

**ثانياً : اتهام المصنفات بالشبهات**

لقد اتهم بعضهم الشيعة بأنهم يقولون بالتحريف ، والسبب لما وجد من رواية هنا أو رواية هناك قد يوحى منها التحريف ، ونؤكد بأن الرواية ليست رأي المذهب لأنها تخضع قبل كل شيء للبحث السندي فإن وجدت ضعيفة لا يؤخذ بها .

ثم بعدها تعرض على القرآن الكريم فإن عارضته طرحت وهو ما أمرنا به أئمتنا عليهم السلام ولذا فلا يمكن أن تأتي برواية لتثبت التحريف في القرآن الكريم ، وإن وجدت فهي من المحكوم عليها بالطرح .

وأما إخواننا من السنة فالمتعارف عندهم يجعلون بعض الكتب التي ألفها بعض الناس بخط عرض واحد موازية للقرآن الكريم ، بحيث يقبلون كل ما فيها من دون عرضها على علم من العلوم على حد سواء كان علم الرجال أو العلوم العقلية أو غير ذلك.

فالاحاديث التي نأخذها من كتبهم هي ملزمة لهم لأنهم يلتزمون بكل ما في هذه الكتب فهو صحيح عندهم بكل ما فيها كصحيح الامام البخاري وصحيح الامام مسلم ، فيمكننا إذن أن نعتبر الروايات الموجودة في كتبهم تلك تعبر عن آرائهم ؟.

بعد هذا هل تعلم أن كتاب الامام البخاري وغيره من الكتب الصحيحة عندهم قد حشيت بروايات تؤكد تحريف القرآن الكريم بل وتصر عليه ؟ فتعال معي لنقرأ هذه الروايات من ( صحيح ) الامام البخاري :

---

١١٧٧- الهيثمي في المجمع ، ج٧ ص١٤٩-١٥٠ .

١١٧٨- روح المعاني ، ج١ ص٢٤ .

١١٧٩- فتح الباري ، الجزء ٨ ص٥٧١ ، والجزء ٦ ص٤١٦ .

١١٨٠- الاتقان ، ج١ ، ص٢٥١ .

١١٨١- الجامع لأحكام القران ج٢٠ ص٢٥١ .

الاول : حدثنا قبيصة بن عقبة... عن ابراهيم بن علقمة قال : دخلت في نفر من أصحاب عبد الله ا لشام فسمع بنا أبو الدرداء فأتانا فقال : أفيكم من يقرأ ؟ فقلنا : نعم ، قال : فأيكم ؟ فأشاروا إلي ، فقال : إقرأ، فقرأت:

(والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى ) . قال: أنت سمعتها من فيّ صاحبك ؟ قلت : نعم ، قال : وأنا سمعتها من فيّ النبي ﷺ وهؤلاء يأبون علينا. المصدر : رواها البخاري[١١٨٢]، وراها جامع الأصول[١١٨٣]، ورويت في مسند أحمد[١١٨٤]، ورويت في الدر المنثور[١١٨٥] .

لاحظ أيها المسلم فالإمام البخاري وغيره ينقل أن القرآن الموجود اللآن محرف وأن سورة الليل أول ( والذكر والأنثى ) مع أن في القرآن (وما خلق الذكر والأنثى ).

الثاني : روي عن عمر [١١٨٦] : لولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبت آية الرجم بيدي . المصدر : رواها البخاري[١١٨٧]، ورويت في الاتقان[١١٨٨]، ورويت في الدر المنثور[١١٨٩]، ورويت في البرهان في علوم القرآن[١١٩٠]، ورويت في مسند أحمد[١١٩١]، ورويت في الطبقات الكبرى[١١٩٢]، ورويت في حياة الصحابة[١١٩٣] .

واما الموتى المتحركون فقد حضر عند رسول الله ﷺ ابو سفيان والوليد ابن المغيرة والنضر بن الحارث وابو جهل وافراد آخرون واستمعوا الى حديث الرسول ﷺ فقالوا للنضر ما يقول مُحَمَّد ؟ ( وكان النضر تاجراً يسافر وله اطّلاع واسع بالأساطير والقصص التاريخية)، فقال:

---

١١٨٢- انظر : صحيح البخاري كتاب التفسير باب سورة والليل .

١١٨٣- جامع الأصول ج ٢ ص ٤٩٦ .

١١٨٤- مسند أحمد ج ٦ ص ٤٤٩ .

١١٨٥- الدر المنثور ج ٦ ص ٣٥٨ .

١١٨٦- تفسير الفخر الرازي الجزء ١٢ الصفحة ١٨٦- ١٨٧.

١١٨٧- انظر : صحيح البخاري كتاب الأحكام باب الشهادة عند الحاكم في ولاية القضاء.

١١٨٨- الاتقان ج ٢ ص ٢٥ عن طرق كثيرة .

١١٨٩- الدر المنثور ج ١ ص ٣٣٠ .

١١٩٠- البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٤٠ .

١١٩١- مسند أحمد ج ١ ص ٢٣ .

١١٩٢- الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٣٣٤ .

١١٩٣- حياة الصحابة ج ٢ ص ١٢ وغيرها كثير .

لا ادري ما يقول لكني اراه يحرك شفتيه ويتكلم بأساطير الاولين كالذي كنت احدثكم به عن اخبار القرون الاولى وقال ابو سفيان اني لا ارى بعض ما يقول حقا. فقال ابو جهل : كلا.

فانزل الله تعالى : ( ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنه ان يفقهوه). وقال بعض المفسرين لتفسير هذه الآية انهم لما أصروا على الكفر وعاندوا وصمموا عليه فصار عدو لهم عن الايمان والحالة هذه كالكنان المانع عن الايمان.

وهذا معناه أنه قائل بالتحريف والنقص لأن آية الرجم ليست في القرآن، فقد روي عن طارق بن شهاب فقال[١١٩٤] : لما قدم عمر الشام لقيَه أساقفتها ورؤساؤها وقد تقدمه العباس بن عبد المطلب على فرس ، وكان العباس جميلاً بهيا فجعلوا يقولون:

هذا أمير المؤمنين ، ويقولون له : السلام عليك يا أمير المؤمنين فيقول : لست بأمير المؤمنين وأمير المؤمنين ورائي وأنا والله أولى بالأمر منه، فسمعه عمر. فقال : ما هذا يا أبا الفضل؟ قال: هو الّذي سمعت.

فقال : لكن أنا وإياك قد خلّفنا بالمدينة من هو أولى بها مني ومنك. قال العباس : ومن هو ؟ فقال : عليّ بن أبي طالب عليه السلام. قال : فما الذي منعك وصاحبك أن تقدّماه ؟ فقال : خشية أن يتوارثها عقبكم إلى يوم القيامة ، وكرهنا أن تجتمع لكم النبوة والخلافة . قال له العباس : من حسدنا فإنما يحسد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال ابن عبد الشكور : وهذا ثابت بطرق لا يبعد أن يدعى التواتر – فواتح الرحموت بهامش المستصفى[١١٩٥] . وعن ابن اشته أن عمر أتى بآية الرجم إلى زيد فلم يكتبها لأنه كان وحده[١١٩٦] .

الثالث : نقل عن ابن مسعود أنه حذف المعوذتين من مصحفه وقال أنهما ليستا من كتاب الله ؟. المصدر : رويت في مجمع الزوائد[١١٩٧] ، ورويت في إرشاد الساري[١١٩٨] ، ورويت في مصنف ابن ابي شيبة[١١٩٩] ، ورويت في الدر المنثور[١٢٠٠] ، ورويت في الجامع لأحكام القرآن[١٢٠١] .

---

١١٩٤– المسترشد في إمامة علي بن أبي طالب لمحمد بن جرير الطبري ص ١٦٨ ، بحار الأنوار ج ٨ ص ٢٠٩ طبعة حجرية ، وفي هامش الإيضاح لابن شاذان ص ٩١.

١١٩٥– الرحموت بهامش المستصفى ج ٢ ص ٧٣ .

١١٩٦– الإتقان ، ج ١ ص ٥٨ .

١١٩٧–كتاب مجمع الزوائد ج٧ ص ١٤٩ عن الامام أحمد ، وقال : رجاله صحيح ، وكذلك عن الطبراني في الكبير والأوسط .

١١٩٨– إرشاد الساري ج ٧ ص ٤٤٢ .

الرابع : أخرج الامام البخاري في تاريخه عن حذيفة قال : قرأت سورة الأحزاب على النبي ﷺ فنسيت منها سبعين آية ما وجدتها[1202].

وكذا قالت ام المؤمنين عائشة على ما أخرجه أبو عبيد في الفضائل وابن الأنباري وابن مردويه عنها : كانت سورة الأحزاب تقرأ في زمان النبي ﷺ مائتي آية فلما كتب عثمان المصاحف لم يقدر منها إلا على ما هو الآن؟. المصدر : رويت في الإتقان[1203]، ورويت في الدر المنثور[1204]، ورويت في الجامع لأحكام القرآن[1205]، ورويت في مناهل العرفان[1206].

على ضوء الروايات السابقة فالقرآن عندهم ناقص إذن؟!، فسورة الأحزاب كانت مائتي آية في زمان الرسول فيما هي الآن ٧٣ آية ، وقد طار منها بحسب زعمهم ١٢٧ آية؟.

بل عن زر بن حبيش قال : قال لي أبيّ بن كعب : كأيّن تقرؤون سورة الأحزاب ؟ قال : قلت ثلاثاً وسبعين وأما أربعاً وسبعين ، قال : قط ، إن كانت لتقارب سورة البقرة أو هي أطول منها وإن كانت فيها آية الرجم، قال قلت : أبا المنذر وما آية الرجم ؟ .

قال : ( إذا زنيا الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ) ، المصدر : رويت في الإتقان[1207]، ورويت في أخبار اصبهان[1208]، وريت في المصنف لعبد الرزاق[1209]، ورويت في الدر المنثور[1210]، ورويت في منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد[1211]. فما رأيك بآية الرجم هذه ( البتة ) ، وفي أي قرآن هي موجودة ؟.

---

١١٩٩- مصنف ابن ابي شيبة ج ١٠ ص ٥٣٨ .

١٢٠٠- الدر المنثور ج ٦ ص ٤١٦ .

١٢٠١- الجامع لأحكام القرآن ج ٢٠ ص ٢٥١ .

١٢٠٢- الدر المنثور ج ٥ ص ١٨٠ .

١٢٠٣- الإتقان ج ٢ ص ٢٥ .

١٢٠٤- الدر المنثور ج ٥ ص ١٨٠ .

١٢٠٥- الجامع لأحكام القرآن ج ١٤ ص ١٣ .

١٢٠٦- مناهل العرفان ج ١ ص ٢٧٣ .

١٢٠٧- الإتقان ، ج ٢ ص ٢٥ .

١٢٠٨- أخبار اصبهان ج ٢ ص ٣٢٨ .

١٢٠٩- المصنف لعبد الرزاق ، الجزء ٧ ، ص١١٠ والجزء ٣ ، ص٣٦ .

١٢١٠- الدر المنثور ، ج ٥ ص ١٧٩ .

١٢١١- منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ٢ ص ١٣٢ .

الخامس : روى أبو حرب بن أبي الأسود عن أبيه قال :

بعث أبو موسى الأشعري إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن ، فقال : أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم وإنا كنا نقرأ سورة كنا نشببها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها ، غير أني قد حفظت منها : (... لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ) ؟.

وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات فأنسيتها غير اني حفظت منها : ( يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة ). المصدر : روها صحيح مسلم[١٢١٢] ، ورويت في الإتقان[١٢١٣] ، ورويت في البرهان[١٢١٤] .

فما رأيكم بهذه الآية الترابية وآية الشهادة التي في الأعناق ، وفي أي قرآن هي موجودة اليوم ؟ أم أنكم تقولون بأن هذا القرآن ناقص ؟.

السادس : عن السيدة ام المؤمنين عائشة قالت : كان فيما انزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ؟. المصدر : رواها صحيح مسلم[١٢١٥] ، رويت في المصنف لعبد الرزاق[١٢١٦] ، ورويت في الإتقان[١٢١٧] ، ورويت في الدر المنثور[١٢١٨] .

السابع : اخرج ابن ماجة عن ام المؤمنين عائشة قالت : لقد نزلت آية الرجم ورضاعة الكبير عشراً ولقد كانت في صحيفة تحت سريري فلما مات رسول الله ﷺ وتشاغلنا بموته دخل الداجن فأكلها؟. المصدر : رويت في تأويل مختلف الحديث[١٢١٩] ، رويت في مسند الامام أحمد[١٢٢٠] .

---

١٢١٢- صحيح مسلم ج ٣ ص ١٠٠ .
١٢١٣- الإتقان ج ٢ ص ٢٥ .
١٢١٤- البرهان ج ٢ ص ٤٣ .
١٢١٥- صحيح مسلم ج ٤ ص ١٦٧ .
١٢١٦- المصنف لعبد الرزاق ج ٧ ص ٤٦٧ .
١٢١٧- الإتقان ج ٢ ص ٢٢ .
١٢١٨- الدر المنثور ج ٢ ص ١٣٥ .
١٢١٩- تأويل مختلف الحديث ص ٣١٠ .
١٢٢٠- مسند أحمد ج ٦ ص ٢٦٩ .

الثامن : وروى المسور بن مخرمة قال : قال عمر لعبد الرحمن بن عوف : ألم تجد فيما أنزل علينا ( أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرة ) ، فأنا لا أجدها ؟ قال : أسقطت فيما أسقط من القرآن ؟. المصدر : رويت في كنز العمال[١٢٢١]، رويت في الدر المنثور[١٢٢٢].

التاسع : روى عن ابي بن كعب أنه كتب في مصحفه سورتي الحفد والخلع وهي : ( اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك بالكافرين ملحق ). المصدر: رويت في مجمع الزوائد[١٢٢٣]، ورويت في روح المعاني[١٢٢٤]، ورويت في البرهان[١٢٢٥]، ورويت فب الإتقان[١٢٢٦].

العاشر : عن حميدة بنت أبي يونس قالت : قرأ علي أبي وهو ابن ثمانين سنة في مصحف السيدة عائشة : ( إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وعلى الذين يصلون الصفوف الأول ) قالت قبل أن يغيّر عثمان المصاحف؟. المصدر : رويت في الإتقان[١٢٢٧]، ورويت في تفسير روح المعاني[١٢٢٨].

الحادي عشر : عن عمر : إنا كنا نقرأ في كتاب الله ( أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم وإن كفراً بكم أن ترغبوا عن آبائكم ). المصدر : روي في صحيح الامام البخاري[١٢٢٩].

وكذلك أخرج ابن جرير وابن الأنباري في كتاب المصاحف عن ابن عباس انه قرأ : كان مما نزل من القرآن ثم سقط لا يحرم إلا عشر رضعات ، أو خمس معلوما؟. المصدر : رويت في الدر المنثور[١٢٣٠].

فما رايك هل هناك من يقول بالتحريف فنسبته إليهم اولى من نسبته إلى مدرسة آل محمد عليهم السلام ؟

---

١٢٢١- كنز العمال ج ٢ ص ٥٦٧ .
١٢٢٢- الدر المنثور ج ١ ص ١٠٦ .
١٢٢٣- مجمع الزوائد ج ٧ ص ١٥٧ .
١٢٢٤- روح المعاني ج ١ ص ٢٥ .
١٢٢٥- البرهان ج ٢ ص ٤٤ .
١٢٢٦- الإتقان ج ١ ص ٦٥ .
١٢٢٧- نفس المصدر ، ص ٢٥ .
١٢٢٨- تفسير روح المعاني ج ١ ص ٢٥ .
١٢٢٩- انظر: صحيح الامام البخاري باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت ، وكذلك: جامع الأصول ، ج ٤ ، ص ٤٧٥ .
١٢٣٠- الدر المنثور ، ج ٢ ، ص ١٣٥ .

**١ – علماء الامامية لا يقولون بالتحريف**

ولو قلت : كل من ذكرتهم من علماء الشيعة لا يقولون بالتحريف لكن لماذا لم تذكر المجلسي ونعمة الله الجزائري والطبرسي صاحب كتاب فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب ، لماذا تبرز جانب وتترك الجانب الآخر كل ما اريدك ان تفعله هو ان تلقي نظرة على كتب الشيعة؟

الجواب :

على فرض أنه وجد في التاريخ شخص أو شخصين أوردوا أحاديث التحريف وهي ساقطة عن الاعتبار لضعفها فهذا لا يدل على أن اجماع الطائفة يذهب إلى ذلك .

ومن المعروف أن بعض الحشويين من السنة كانوا يقولون بالتحريف، فهل نستطيع نسبة القول بالتحريف لكل أهل السنة ؟، هذا مع أن نقلهم عن كتب الشيعة لم يكن دقيقاً فمثلاً ما نقل عن الطبرسي لا يقول بالتحريف .

ولو كان عندكم أقل اطلاع على رجال الشيعة ايدهم الله لعرفتم أن ما ذكر من أعاظم الاسماء تنفي التحريف تعتبر من أهم الشخصيات الشيعية ولا يقف أمامهم أي اسم تحاولون أن تنبشوا التاريخ لتجدوه .

وأما دعوتكم لقراءة كتب أعداء الشيعة وخصوصا (أهل التكفير) لكي يعرفوا مذهب الشيعة بل ادعوا كل الناس أن يأتوا إلينا لكي يعرفوا حقيقة المسألة من فم علماؤنا وبأناملهم الكريمة ولا تذهبوا إلى أعدائنا.

لأن العدو لن ينصف عدوه ، ولن يمدحه ولن يبين الحقائق بل يحاول التشويه والتحريف قدر المستطاع كما عهدناهم في كتبهم وفي أقوالهم التي تتعرض للشيعة.

ولو وجد شخص في تاريخ الشيعة يقول بالتحريف فهذا الشخص ليس إمام على كل حال وهذا رأيه الخاص به. وأما أنتم فالقائلون بالتحريف عندكم ممن يجب اتباعهم في مذهبكم كالخليفة الثاني عمر و ام المؤمنين عائشة والصحابة مثل أبو موسى الاشعري وأبي بن كعب وغيرهم.

فإذا اتبعهم شخص عندكم كان هو من المهتدين لما رويتموه بدليل الحديث القائل ( أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)؟، إذاً : انتم أولى بالتهمة بالقول بالتحريف من مدرسة أهل البيت عليهم السلام ؟

## ٢ – ذكره سليم بن قيس

سليم بن قيس ذكر علياً عليه السلام جلس بداره يجمع القران :

ولو قلت : سليم بن قيس الهلالي ، ذكر أن الامام علي عليه السلام جلس في بيته حتى جمع القرآن الكريم ، وما علاقة هذا بتحريف القرآن الكريم؟ هل تقصد أن قرآن امير المؤمنين عليه السلام يختلف عن القرآن الموجود الآن؟

الجواب :

في البداية اوضح الشبهة العالقة ان الشيخ مُحَّد بن تقي الدين النوري المعروف بالشيخ الطبرسي هو صاحب تفسير مجمع البيان ، وأما ما تذكرونه من اشكال عليه بكتبكم فهو المعروف بالشيخ النوري ، وصحيح أنه كان يقول بالتحريف ولكن نحن نخطئه في ذلك.

فهو لا يمثل الطائفة ويوجد أمثاله عندكم أيضاً في الحشويين ، ولا يصح قولهم عنه (ملحد) ، ولو صح منكم ذلك (كلمة ملحد) لكان أول الملحدين بروايات الصحاح هم : ( عمر وعائشة وأبي بن كعب وأبو موسى وغيرهم ) فإنهم أول من قال بالتحريف ، فهل تستطيعون أن تسمون هؤلاء الصحابة بالملحدين ؟.

ولا تعتقدون أن يدنا ترتعش من شيء على الإطلاق ابدا ، نحن نرتعش من خشية الله تعالى فقط. وأما عباد الله فنحن نوضح لهم الحقائق بأمره تعالى ، وإلا فقد علمنا الامام علي عليه السلام أن كل دنياكم لا تساوي عندنا عفطة عنز؟.

واما ما ذكروا عن علي بن إبراهيم القمي ، من مسألة كون حرف مكان حرف فمن الواضح جدا أن نظر القمي كان إلى المعنى والتفسير لا إلى اللفظ القرآن وصاحب علم والاختصاص منكم يدرك ما ذكره .

حيث أنه كان يكتب مقدمة للتفسير واورد أن في القرآن الناسخ والمنسوخ ومنه المحكم ومنه المتشابه ومنه العام ومنه الخاص ومنه التقديم ومنه التأخير ومنه المنقطع ومنه المعطوف ومنه حرف مكان حرف.. الخ.

ثم بعدها أعضد لكل منها شاهد فكان شاهد الحرف مكان الحرف: [(لئلا يكون للناس على الله حجة إلا الذين ظلموا منهم ) يعني ولا للذين ظلموا منهم ..].

وتعبيره هذا واضح وصريح بأنه يبين التفسير والمراد من الآية ، ولا يدعي التحريف كما ادعوا المخالفين له.

وأما ما ذكروا من أنه على خلاف ما أنزل الله تعالى ، فقد ذكر الامام السيد أبو القاسم الخوئي في كتابه البيان في تفسير القرآن أن التنزيل أعم من القرآن فقد يأتي التفسير لبعض الآيات نازلاً أيضاً من عند الله تعالى ، فليس كل ما نزل من عند الله تعالى فهو قرآن .

والكثير من هذه الروايات تضيف بعض الكلمات إلى النازل من عند الله تعالى ، والمراد منها أن تفسيرها نزل هكذا وأنها ليست كما تفسر عند البعض . فالكلام إذن في التفسير أيضاً لا في القرآن الكريم . هذا بالإضافة إلى أن أكثر هذه الروايات ضعيفة السند[١٢٣١] .

والتحريف له معنيين تحريف لفظي وتحريف معنوي ؟.

والتحريف المعنوي : هو التحريف في تفسير القرآن وتغيير المعنى المراد من الآية ، وهذا لا شك بأنه واقع وإلا فما معنى الإختلاف الحاصل في التفسير ؟

وكلامنا في تحريف لفظ القرآن الكريم لا تحريف المعنى .

وأما كتاب نعمة الله الجزائري على فرض صحته فهو لا يمثل المذهب كما يمثلكم الخليفة عمر المروي عنه بالصحاح قوله بالتحريف.

وأما ما نقلوا عن الفيض الكاشاني فإنهم وللإسف قد خانوا ولم ينقلوا بأمانة وإليكم نصه ومن أراد فليراجع: يقول (الفيض الكاشاني): قال الله تعالى ( وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ) وقال تعالى ( إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ).

---

١٢٣١- البيان في تفسير القرآن ، ج ١ ، ص ٢٢٠ وما بعدها .

فكيف يتطرق إليه التحريف والتغيير ، وأيضا قد استفاض عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام حديث عرض الخبر المروي على كتاب الله ليعلم صحته بموافقته له وفساده بمخالفته .

فإذا كان القرآن الذي بأيدينا محرفا فما فائدة العرض ، مع أن خبر التحريف مخالف لكتاب الله مكذب له فيجب رده والحكم بفساده أو تأويله[١٢٣٢]. انتهى.

ثم عنوان الباب الذي ذكروا له لا عليه ؟ فإنه قال ( ما جاء.. وتأويل ذلك) فهل غفلتم عن معنى تأويل ذلك ؟ ، وهذا معناه أنه لا يقبل أن هذه الأخبار تدل على التحريف بل يؤلها إلى ما لا يؤول إلى القول بالتحريف.

وأما ما نسبوا إلى الكافي وغيره من القول بالتحريف لمجرد رواية الروايات فهذا غير صحيح لأن مجرد نقل رواية لا يدل على القول بالتحريف ، خصوصاً وأن الروايات مؤولة بمعانٍ أخرى.

ولو أردتم الحكم على كل ناقل لروايات ظاهرها التحريف القول بالتحريف ، فالإمام البخاري والامام مسلم وغيرها من الصحاح أولى بهذه النسبة لأن كتبهم مليئة بأمثال هذه الروايات .

وأما الشيخ الطبرسي فما ذكروه من كتاب الإحتجاج كان مجرد روايات ذكرت في الكتاب ، والظاهر أنكم خلطتم بين الروايات وكلمات الشيخ فحسبت ثم نسبتم الروايات كلماته ؟. ونرجو التدقيق في الكلمات قبل التسرع باتهام الناس ؟.

وأما العلامة المجلسي فلا أدري ما الذي نقموا منه كل ما نقل عنه هو قوله بأن النازل من قبل جبرائيل عليه السلام سبعة عشر ألف آية ، وهذا أنتم تقولون بها كلكم وصحاحكم مليئة به ؟.

ألستم تقولون بالنسخ في التلاوة وتروون أن النازل أضعاف مضاعفة عما عليه الآن ؟ ، فهذه الرواية وهذا الاعتقاد يتماشى مع معتقداتكم أنتم (وإن كان لا يتماشا مع معتقداتنا) فما الذي لم يعجبكم فيه ؟.

وأما بالنسبة لكتابه موسوعة بحار الأنوار فهو كتاب روائي ، وإن كان لكم مشكلة بمجرد نقل الروايات فطهروا كتبكم منها أولاً ؟.

---

١٢٣٢– تفسير الصافي ، ج ١ ، ص ٤٦ .

نعم هناك فروق بيننا وبينكم وهو أننا لا نؤمن بصحة جميع الروايات الواردة في محتويات هذه الكتب بل ندخلها تحت مجهر البحث . وأما أنتم فتؤمنون بها وكأنها كتاب منزل من الله فالإشكال مردود عليكم لا علينا.

وأما الشيخ المفيد فجدا واضح تصريحه بعدم التحريف ، فمن أحب فليراجع كتاب أوائل المقالات للشيخ المفيد[١٢٣٣] حيث قال :

وعندي أن هذا القول (أن القرآن لم ينقص منه كلمة ولا آية ولا سورة) أشبه من مقال من ادعى نقصان كلم من نفس القرآن على الحقيقة دون التأويل وإليه اميل والله أسأل توفيقه للصواب وأما الزيادة فيه فمقطوع فسادها.

وأما ما نقلوا عنه من ( اتفاق الإمامية انهم خالفوا في كثير من تأليف القرآن وعدلوا فيه عن موجب التنزيل وسنة النبي ﷺ ..) فهذا ليس له علاقة بالتحريف ؟ فإنه يتكلم عن ترتيب السور والآيات وعن أسباب النزول . وهو ليس قولاً بالتحريف كما هو واضح ، فأرجوا قراءة العبارة قبل نقلها على انها قول بالتحريف؟.

وأما ما نقل عن الشيخ يوسف البحراني فلا أدري لماذا حذفوا أول الكلام غير أنه تزوير وتعمية للحقائق ؟ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم؟.

يقول الشيخ البحراني[١٢٣٤] : اختلف اصحابنا رضوان الله عليهم في وقوع النقصان والتغيير والتبديل في القرآن فالمشهور بين اصحابنا بل نقل دعوى الإجماع عليه هو العدم.. الخ .

فالشيخ يقول أن القول بعدم التحريف عند الشيعة هو أمر مجمع عليه وعلى الأقل هو المشهور بينهم ، فكيف تأتون أنتم لتنقلوا ذيل كلامه ثم تنسبون للشيعة كلهم القول بالتحريف ؟.

---

١٢٣٣- أوائل المقالات ، ص ٥٥ .

١٢٣٤- الدرر النجفية ، ص ٢٩٤ .

أليست هذهِ مكيدة بل خيانة في أمانة النقل ، بدليل عبارة عبد الله[1235] ابن عباس حينما ذهب الى الخليفة الثاني في أول أيام خلافتهِ فقال: دخلتُ على عُمَر في أوّل خلافته ، وقد أُلقِيَ له صاعٌ من تمر على خصفة[1236] ، فدعاني إلى الاكل. فأكلت تمرة واحدة ، وأقبل يأكل حتّى أتى عليه ، ثم شرب من جَرٍّ[1237] كان عنده. واستلقى على مِرْفقةٍ له ، وطفق يَحْمَدُ الله ، يكرر ذلك ، ثم قال : من أين جئت يا عبدالله ؟.

قلت : من المسجد. قال : كيف خلّفت ابن عمك ؟ فظننته يعني عبدالله بن جعفر. قلت : خلّفتُه يلعبُ مع أترابه. قال (عمر): لم أعنِ ذلك ، إنّما عنيتُ عظيمكم أهل البيت (يقصد الامام علي بن أبي طالب عليه السلام). قلت : خلّفُته يمتح بالغرْب[1238] على نخيلات من فلان، وهو يقرأ القرآن.

قال (عمر) : عبدَالله ، عليك دماء البُدن إن كتمتنيها ؟ هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة ؟ قلت : نعم . قال : أيزعم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نص عليه ؟ قلت: نعم وأزيدك ، سألت أبي عَمّا يدّعيه ، فقال : صدَق .

فقال عمر : لقد كان من رسول الله صلى الله عليه وآله في أمره ذَرْوٌ[1239] من قول لا يثبتُ حُجّةً ، ولا يقطع عذرا ، ولقد كان يربَع في أمره وقتا ما ، ولقد أراد في مرضه أن يصرّح باسمه[1240] فمنعت من ذلك إشفاقا وحيْطة على الاسلام ؟ لا وربّ هذه البنيّة لا تجتمع عليه قريش أبدا ؟، ولو وليها لا نتقضتْ

١٢٣٥- تنقيح المقال للمامقاني ج ٢ ص ١٩١ ، سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٣١ ، الطبقات لابن سعد ج ٢ ص ٣٦٥ ، حلية الاولياء ج ١ ص ٣١٤ . هو : عبدالله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، أبو العباس الهاشمي المكّي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله أمه لبابة بنت الحارث أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وآله وَولد قبل الهجرة في الشعب بثلاث سنين ، هاجر الى المدينة المنورة مع أبويه عام الفتح ، وصحب رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثين شهراً. وكان عمره حين وفاة النبي صلى الله عليه وآله كما روى عنه الكثير من الصحابة والتابعين ، كان محبا لعلي عليه السلام وتلميذه ، وحاله في الاخلاص والموالات والنصرة لامير المؤمنين عليه السلام والذب عنه والخصام في رضاه والموازرة من لا شبهة فيه ، وهو حبر هذه الامة وعالمها. دعا له النبي صلى الله عليه وآله بالفقه والحكمة والتأويل وقال عنه معروف : كنت اذا رأيت عبدالله بن عباس قلت : أجمل الناس ، فاذا تحدث قلت أعلم الناس ، فاذا تكلم قلت : افصح الناس ، وقد استفاض في الاخبار من مجادلته مع عمر بن الخطاب ، ومعاوية وغيرهم في الخلافة ، وكف بصره في آخر عمره. ومات بالطائف سنة ثمان او تسع وستين ، وقال في مرضه الذي توفي فيه : اللهم اني أحيا على ما حيي به علي بن أبي طالب عليه السلام وأموت على ما مات علي بن أبي طالب عليه السلام ثم مات ، وصلى عليه مُحَّد بن الحنفية .

١٢٣٦- الخصفة : الجلة تعمل من الخوص للتمر.

١٢٣٧- الجر : آنية من خزف ، الواحدة جرة.

١٢٣٨- الغرب : الدلو .

١٢٣٩- ذرو : طرف .

١٢٤٠- اشارة الى قول النبي صلى الله عليه وآله: آتوني بدواة وكتف لأكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده .

عليه العرب من أقطارها ، فعلم رسول الله ﷺ أنّي علمت ما في نفسه ، فأمسك ، وأبى الله إلا إمضاء ما حتم[١٢٤١] .

واما الكليني قد نقل عنه روايتين من كتابه تدل على التحريف ، وقد ذكرنا لكم قبل هذا أنه لو كانت الرواية كافية لمعرفة رأي صاحب الكتاب لكان البخاري ومسلم اولى به. بل وعموم مؤلفي السنة من القائلين بالتحريف ؟.

ومن أعجب تزويرهم للحقائق قولهم بأن السيد أبو القاسم الخوئي يقول بالتحريف ؟ فيا لها من جرأة وخيانة ؟. وهذا كتابه البيان في تفسير القرآن قد عقد فيه بحث كامل لإثبات عدم وقع التحريف في القرآن الكريم، فيكف التجرؤ على نسبة هذا القول لهذا العلم العظيم وهذا كتابه مطبوع وشاهد على رأيه ولا يوجد فيه أي شبهة تدل على التحريف؟.

وأما قصة التحريف فقد قلت لكم في السابق أن للتحريف معنيين هما: أولاً تحريف اللفظ وثانياً تحريف المعنى. فليس كل كلمة تحريف تعني تحريف اللفظ ، فاقرأ كلمات العلماء في الموضوع يتضح وتعرف ذلك.

وكما لاحظتم أخواني المسلمين فإن هؤلاء يتوسلون (مع الأسف) من خلال تزوير الحقائق وتغيير وبتر الكلمات ؟ من دون رادع من دين أو وجدان؟.

مع أن كتبهم مليئة بالقول بالتحريف واسيادهم المقدسون عندهم يقولون بالتحريف ويصرحون به كما رأيت في أقوال ما نقل في الصحاح التي يعتمدون عليها ويعتقدون بصحتها .

ومن خلال هذا العرض بالله عليكم من القائل بالتحريف السنة الذين يصححون كل ذلك أم الشيعة الذين يرفضون أمثال تلك الروايات؟. وهذا لكل صاحب بصر وبصيرة ، وإن كان بعض الناس لم يؤمنوا بالنبي ﷺ وهو بين أظهرهم وهم يرون معجزاته بأعينهم فسبحان الله عما يصفون.

---

١٢٤١–كشف اليقين في فضائل امير المؤمنين للحلي ص٤٦٢ ح ٥٦٢ .

### ٣ – تكفير القائل بالتحريف

أهل السنة والجماعة تكفر القائل بالتحريف :

ولو قلت : أن بعض الحشوية من السنة قال بالتحريف فأن هذا الكلام غير صحيح على الإطلاق ونحن أهل السنة والجماعة نرى كفر من قال بتحريف القرآن كفرا أكبر مخرج عن ملة الإسلام فهل تكفرون أنتم أصحابكم؟

الجواب :

ليس كل من وقع في الكفر وقع الكفر عليه وهذا كلام الألباني في شريطه البدعة والمبتدعة ، فيروي شيخكم هذه الرواية : من صحيح الامام البخاري[١٢٤٢] قال :

( حَدَّثَنِي عَبْدُاللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا هِشَامٌ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِالرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اطْحَنُونِي ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ فَأَمَرَ اللَّهُ الْأَرْضَ فَقَالَ اجْمَعِي مَا فِيكِ مِنْهُ فَفَعَلَتْ فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ فَقَالَ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ قَالَ يَا رَبِّ خَشْيَتُكَ فَغَفَرَ لَهُ وَقَالَ غَيْرُهُ مَخَافَتُكَ يَا رَبِّ).

ومن المعلوم أنّ الرجل قد كفر في عبارة قوله ( فَوَ اللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا). والله تعالى يقول في كتابه الحكيم (وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي انشأها اول مرّه وهو بكل خلق عليم).

فإن قلت أنّ من اعتقد أنّ القرآن محرّف كافر لطعنه في القرآن فالرجل أيضاً كافر لطعنه بالله تعالى وقدرته عزّ وجل. هذه واحدة .

والاخرى : إننا نقرأ أنه وعلى سبيل المثال الشيخ الكليني ينصحنا أن نرجع على كتاب الله لمقارنة الأخبار والروايات لكثرتها عن الرسول ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام .

---

١٢٤٢ – صحيح البخاري حديث رقم ٣٢٢٢ .

فالكثير من الإخباريين وغيرهم من الغير محققين وقعوا في إشتباهات وهذا طبيعي لعدم عصمتهم ولهذا نقول أنهم مخطئين وليسوا بكفار لأننا لم نطّلع على نواياهم ولم نعلم إذا أقيمت الحجّة عليهم او لا خاصة وإننا نقرأ وجود بعض الروايات من أهل السنة وصحاحها والتي صرّحت بوقوع التحريف في القرآن .

واسأل هل أجمع علماء الشيعة بوقوع التحريف ؟ طبعا لا ؟.

وهل يعتقد المذهب الجعفري بالتحريف ؟ طبعا لا ، وهذا محال؟، وأتكلّم حول إجماع علماؤنا ولا أتكلّم عن روايات أو آراء شاذّه . فّما هو رأيكم ؟.

لو كنتّ أنت حاضراً مع الرجل عندما قال ما قال وهو يحتضر (الحديث) لحكمت عليه بالكفر ولكن الله تعالى وحده يعلم ما في داخل الإنسان وقلبه . وهنا أنقل ايضاً كلام الشيخ الألباني حول الآية الكريمة: (إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك .. الآية)

فيقول الألباني ويؤول : ( انّ الله لا يغفر أن يشرك به -عامداً متعمّداً- ويغفر ما دون ذلك .. الآية). فالمسألة ليست كما تقولون كافر أم غير كافر من دون لف ودوران او من دون زيادة. فإفهموا.

وما قالوا أن القول بالتحريف من مقومات المذهب الجعفري او من ضرورياته ( حسب ما ذكروا). فهذا بهتان عظيم وأنتم والمثقفين الغير متعصّبين من إخواننا أهل السنّة يعلمون ذلك حق اليقين ويعلمون إجماع علماؤنا على عصمة القرآن .

وأعتقد أنّ العلماء قد أشبعوا هذا الموضوع أدلّة وبراهين عندما نقلوا كلام شيوخ الطائفة[١٢٤٣]، وغيرهم من العلماء الّذين صرحوا ببطلان روايات التحريف سواء عن طريق قولهم بعرضها على القرآن او تأويلها أو رميها عرض الجدار.

فالمسائل الأساسية ليست في كفر من قال بالتحريف وعدم كفره ، فكلامكم خروج عن الموضوع ، ومع هذا لي سؤال ارجوا الاجابة عنه بنعم أو لا ؟

والسؤال لقد كان من الصحابة من يقول بالتحريف بدليل روايات الصحاح فهل تقولون بكفرهم؟.

١٢٤٣- أمثال المفيد والصدّوق والطوسي والطباطبائي والبحراني والكليني والكاشاني والخوئي وغيرهم من السابقين والمعاصرين .

## ٤ – رواة أوردوا التحريف

أسماء الرواة ممن أورد حديث التحريف : وممن ذكروا من أنه اورد احاديث بخصوص التحريف وهم كما يلي :

الاول : السيدة ام المؤمنين عائشة بنت الخليفة الاول :

مصحف السيدة عائشة : فقد عنون السجستاني لهذا المصحف ، وروى عن مولىً لها أنّها أمرتْهُ أنْ يكتبَ لها مصحفا، وأنّها أمرتْه إذا بلغَ آية : (حافظوا على الصلوات ..) أن يُؤْذِنَها ، فلمّا بلغَ آذنَها ، فأملتْ عليه: (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر) ثمّ روى أنّهم وجدوا ذلك في مصحفها.

وأخرى أيضاً .. رووا عن مصحف ام المؤمنين عائشة : أنّ فيه إضافةً على آية الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قولها : (وعلى الذين يصلّون الصفوف الأولى)[١٢٤٤] .

وثالثة كذلك من أن للسيدة عائشة أحاديث أُخرى ترتبط بالقرآن كقولها : نزلتْ آية الرجم ورضاعة الكبير عشرا، ولقد كان في صحيفة تحت سريري فلمّا مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتشاغلنا بموته، دخل داجنٌ فأكلها[١٢٤٥] .

فمن أين أتت بصلاة العصر، والصفوف الأولى ، وفكاهة الداجن الذي أكل الآيات؟.

الثاني : السيدة ام المؤمنين حفصة بنت الخليفة الثاني :

القصة الموجودة في مصحف ام المؤمنين عائشة تتفّق مع قصّة مصحف ام المؤمنين حفصة تماما في أنّها أمرتْ إنسانا أنْ يكتب لها مصحفا وقالت : إذا بلغتَ تلك الآية فآذني ، فقالتْ: اكتبوا : (وصلاة العصر)[١٢٤٦] .

---

١٢٤٤– الإتقان للسيوطي ٣/ ٧٣ .

١٢٤٥– رواه ابن ماجه في سننه. وانظر : الاتقان في علوم القرآن للسيوطي .

١٢٤٦– المصاحف للسجستاني ص٩٥– ٩٧.

الثالث : الصحابي عبدالله ابن مسعود :

ومن أشهر ما نُسِبَ إلى ابن مسعود ، وقد استفاضتْ به الأحاديث ، قوله بأنّ (المعوّذتيْن) ليستا من القرآن وأنّه : كان يحكّهما من مصحفه ، ويقول : إنّهما ليستا من كتاب الله، إنّما أمرَ النبي ﷺ أنْ يتعوّذ بهما[١٢٤٧] .

وكان عبدُ الله يحكّ المعوّذتين من مصاحفه[١٢٤٨] ويقول: إنّهما ليستا من كتاب الله تعالى ؟.

وقال القرطبيّ : أجمعت الأُمّة على أنّ الفاتحة من القرآن . فإنْ قيل : لو كانتْ قرآنا لأثبتها عبدُ الله بن مسعود في مصحفه، فلمّا لم يُثبتْها دلّ على أنّها ليست من القرآن ، كالمعوّذتين عنده .

وقيل لابن مسعود[١٢٤٩] ( لم لمْ تكتبْ فاتحة الكتاب في مصحفك ؟ قال: لو كتبتُها لكتبتُها مع كلّ سورة ).

الرابع : الخليفة عمر بن الخطاب[١٢٥٠] فمنها :

١- يقول عمر : إنّ حروف القرآن (ألف ألف حرف ..) ، وهذا يعني أنّ القرآن كان أكبرَ من الموجود بثلاثة أضعاف؟.

٢- نقل ابنُ الخطيب[١٢٥١] عن عمر بن الخطاب : أنّه كان يُلقّنُ أعرابيّا قولَه تعالى : (إنّ شجرةَ الزقومِ طعامُ الأثيم) فكان الأعرابيّ يقول : (طعام اليتيم) فلمّا رأى عمرُ منه عدمَ استطاعة النطق بلفظ (الأثيم) قال له : (طعام الفاجر) فقرأها الأعرابيّ (إنّ شجرةَ الزقوم طعام الفاجر).

فقد ذكروا أنه روي عن حبر الأمة ابن عباس قال : كنت أسير مع عمر بن الخطاب في ليلة وعمر على بغل وأنا على فرس فقرأ آية فيها ذكر عليّ بن أبي طالب عليه السلام. فقال (عمر): أما والله يا بني عبد المطلب ؟ لقد كان عليٌّ عليه السلام فيكم أولى بهذا الامر منّي ومن أبي بكر .

---

١٢٤٧- فتح الباري ، ج٨ ، ص٧٤٢ .

١٢٤٨- مسند أحمد ، ج٥ ، ص١٢٩ .

١٢٤٩- تفسير القرطبي ، ج١ ، ص١١٤ .

١٢٥٠- رواه السيوطي في الإتقان١/ ٢٤٢ عن الطبراني فلاحظ مجمع الزوائد ١٦٣/٧ وكنز العمّال ١/ ٥١٧ هكذا رووه عن عمر.

١٢٥١- ابنُ الخطيب الفرقان ١١٥ .

فقلت في نفسي: لا أقالني الله إن أقلْته. فقلت : أنت تقول ذلك يا أمير المؤمنين ؟ وأنت وصاحبك وثبتما وأفرغتما الامر منّا دون الناس. فقال (عمر): إليكم يا بني عبد المطلب ؟ أما إنّكم أصحاب عمر بن الخطاب. فتأخَرتُ وتقدم هنيهة . فقال : سِر لا سرتَ ، وقال : أعد عليَّ كلامك.

فقلت : إنّما ذكرتَ شيئا فرددتُ عليه جوابه ولو سكتَّ سكتنا. فقال (عمر) : إنّا والله ما فعلنا الذي فعلنا عن عداوةٍ ولكن استصغرناه ، وخشينا أن لا يجتمع عليه العرب وقريش لما قد وترها. قال ابن عباس: فأردتُ أن أقول : كان رسول الله ﷺ يبعثه فينطح كبشها فَلَمَ يَستصغره ، أفتستصغره أنت وصاحبك ؟ ، فقال : لا جرم ، فكيف ترى ؟ والله ما نقطع أمرا دونه ، ولا نعمل شيئا حتى نستأذنه[١٢٥٢] .

بقي شيء نريد أن ننبه عليه هو أنك تسمع دائماَ وتقرأ من ان رسول الله ﷺ قال اعز الله الإسلام بأحد العمرين وأصبح الإسلام عزيزا باحدهما والدعوة كانت سرية إلى أن دخل عمر الإسلام؟.

بينما إذا بحثنا في الكتب لا نرى أصل لهذا الكلام فأما بالنسبة لسرية الدعوة وعلنية الدعوة فالله تعالى دعا رسول الله ﷺ من ان ينقل الدعوة من السر إلى العلن ولا دخل له في إسلام عمر وعدمهِ فقولهِ تعالى: (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)[١٢٥٣] .

وقد اخرج جمع كبير من الحفاظ منهم البخاري ومسلم واللفظ لمسلم قال : حدثنا قتيبة بن سعيد وزهير بن حرب قالا حدثنا جرير عن عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة عن أبي هريرة قال : لما أنزلت هذه الآية من سورة الشعراء (وأنذر عشيرتك الأقربين) دعا رسول الله ﷺ قريشا فاجتمعوا فعم وخص فقال ﷺ :

يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبدا لمطلب أنقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئا غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها[١٢٥٤] .

والرسول ﷺ جاءه أمر من الله عز وجل ان ينقل الدعوة من السر إلى العلن .

١٢٥٢- محاضرات الراغب الاصفهاني ج ٧ ص ٢١٣ ، الغدير للاميني ج ١ ص ٣٨٩ .

١٢٥٣- الشعراء ٢١٤ .

١٢٥٤- صحيح مسلم ج١ ص١٩٢ .

وأما الامام البخاري يقول عندما اسلم عمر كان خائفا من القتل وخرج بحماية الكفار فكيف هو خائف من القتل والإسلام ينتقل بسبب إسلامه من السر إلى العلن كما اخرج البخاري في صحيحه قال : حدثنا يحيى بن سليمان قال حدثني ابن وهب قال حدثني عمر ابن مُحَمَّد قال فأخبرني جدي زيد بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال :

بينما هو في الدار خائفا إذ جاءه العاص بن وائل السهمي أبو عمرو عليه حلة حبرة وقميص مكفوف بحرير وهو من بني سهم وهم حلفاؤنا في الجاهلية فقال له: ما بالك ؟

قال : زعم قومك أنهم سيقتلونني إن أسلمت قال : لا سبيل إليك بعد أن قالها أمنت فخرج العاص فلقي الناس قد سال بهم الوادي فقال: أين تريدون؟ فقالوا نريد هذا ابن الخطاب الذي صبأ قال لا سبيل إليه فكر الناس[١٢٥٥] .

ولاحظ هنا ان عمر بن الخطاب يخرج بحماية الكفار .

أما بالنسبة لقول رسول الله ﷺ اللهم اعز الإسلام بأحد العمرين فهو لا أصل له . كما جاء انه أورد العجلوني الشافعي في مصنفهِ كشف الخفاء حيث قال :

وروى الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رفعه اللهم أيد الدين بعمر بن الخطاب وفي لفظ له اللهم أعز الإسلام بعمر وقال إنه صحيح الإسناد ثم قال ساق له عنه شاهدا عن ام المؤمنين عائشة أن النبي ﷺ قال:

اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة وقال صحيح على شرط الشيخين وروى ابن سعد عن الحسن رفعه مرسلا اللهم أعز الدين بعمر في طرق سوى هذه.

قال في المقاصد وما زعمه أبو بكر التاريخي من نقله عن عكرمة أنه سأل عن قوله ﷺ اللهم أيد الإسلام بعمر قال معاذ الله دين الإسلام أعز من ذلك ولكنه قال ﷺ: اللهم أعز عمر بالدين أو أبا جهل فأحسبه غير صحيح وقال في التمييز وأما يدور على الألسنة قولهم اللهم أيد أو أعز الإسلام بأحد العمرين فلا أعلم له أصلا.

ونقل النجم عن السيوطي أنه قال وقد اشتهر الآن على الألسنة بلفظ بأحب العمرين ولا أصل له من طرق الحديث بعد الفحص البالغ.[١٢٥٦] . انتهى.

---

١٢٥٥- صحيح البخاري ج٣ ص١٤٠٣ .

ولم تذكر الكتب الإسلامية جميعها ان عمر قتل رجلا واحدا من المشركين في أي غزوة من الغزوات والمذكور في المصادر المختلفة. ولكن تذكر من ان عمر كان كثير الفرار من الحروب فالله عز وجل يقول عن الذي يولي دبره من المعارك قوله تعالى :

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ * وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ )[١٢٥٧].

وكذلك قوله تعالى : ( وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُولاً * قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذاً لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاً )[١٢٥٨].

وقد اخرج العديد من الحفاظ منهم الامام البخاري في صحيحه قال : وقال الليث حدثني يحيى بن سعيد عن عمر بن كثير بن أفلح عن أبي محمد مولى أبي قتادة قال:

[ لما كان حنين نظرت إلى رجل من المسلمين يقاتل رجلا من المشركين وآخر من المشركين يختله من ورائه ليقتله فأسرعت إلى الذي يختله فرفع يده ليضربني وأضرب يده فقطعتها. ثم أخذني فضمني ضما شديدا حتى تخوفت ثم ترك فتحلل ودفعته ثم قتلته وانهزم المسلمون وانهزمت معهم. فإذا بعمر بن الخطاب في الناس فقلت له ما شأن الناس ؟ قال أمر الله ثم تراجع الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ....][١٢٥٩].

وكذلك جاء من أن عمر بن الخطاب فر من غزوة الخندق فقد اخرج عدد من الحفاظ منهم : حدثنا يزيد قال أخبرنا محمد بن عمرو عن أبيه عن جده علقمة بن وقاص قال أخبرتني عائشة قالت :

[ خرجت يوم الخندق أقفو آثار الناس قالت فسمعت وئيد الأرض ورائي يعني حس الأرض قالت فالتفت فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنه قالت:

فجلست إلى الأرض فمر سعد وعليه درع من حديد قد خرجت منها أطرافه فأنا أتخوف على أطراف سعد قالت وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم قالت: فمر وهو يرتجز ويقول ليت قليلا يدرك الهيجا جمل ما أحسن الموت إذا حان الأجل قالت :

---

١٢٥٦- كشف الخفاء ج١ ص٢٠٩ .

١٢٥٧- الأنفال ١٥ - ١٦ .

١٢٥٨- الأحزاب ١٥ - ١٦ .

١٢٥٩- صحيح البخاري ج٤ ص١٧٥٠ .

فقمت فاقتحمت حديقة فإذا فيها نفر من المسلمين وإذا فيهم عمر بن الخطاب وفيهم رجل عليه سبغة له يعني مغفرا.

فقال عمر: ما جاء بك لعمري والله إنك لجريئة وما يؤمنك أن يكون بلاء أو يكون تحوز؟ قالت : فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض انشقت لي ساعتئذ فدخلت فيها قالت: فرفع الرجل السبغة عن وجهه فإذا طلحة بن عبيد الله.

فقال: يا عمر ويحك إنك قد أكثرت منذ اليوم وأين التحوز أو الفرار إلا إلى الله عز وجل قالت: ويرمي سعدا رجل من المشركين من قريش يقال له ابن العرقة بسهم له فقال له:

خذها وأنا ابن العرقة فأصاب أكحله فقطعه فدعا الله عز وجل سعد فقال اللهم لا تمتني حتى تقر عيني من قريظة قالت: وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية قالت:

فرقى كلمه وبعث الله عز وجل الريح على المشركين فكفى الله عز وجل المؤمنين القتال وكان الله عز وجل قويا عزيزا فلحق أبو سفيان ومن معه بتهامة ولحق عيينة بن بدر ومن معه بنجد ورجعت بنو قريظة...][١٢٦٠] .انتهى.

ولاحظ كذلك قد بعثه الرسول ﷺ باللواء لفتح خيبر فرجع وقد اخرج عدة من الحفاظ منهم الحاكم في مستدركه قال :

أخبرنا أبو العباس مُحَمَّد بن أحمد المحبوبي بمرو ثنا سعيد بن مسعود ثنا عبيد الله بن موسى ثنا نعيم بن حكيم عن أبي موسى الحنفي عن علي عليه السلام : قال:

سار النبي ﷺ إلى خيبر فلما أتاها بعث عمرو وبعث معه الناس إلى مدينتهم أو قصرهم فقاتلوهم فلم يلبثوا أن هزموا عمر وأصحابه فجاءوا يجبنونه ويجبنهم فسار النبي ﷺ. وهذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه. ومثلهِ كذلك قد أورد الذهبي في التلخيص صحيح[١٢٦١] .

وكذلك لاحظ ما اخرجه الإمام احمد في مسنده حيث قال : حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا زيد بن الحباب حدثني الحسين بن واقد حدثني عبد الله بن بريدة حدثني أبي بريدة قال :

---

١٢٦٠- السلسلة الصحيحة ج١ ص١٤٣ ح٦٧ ، قال الألباني : حسن .

١٢٦١- المستدرك على الصحيحين ج٣ ص٤٠ ح٤٣٤٠ .

حاصرنا خيبر فأخذ اللواء أبو بكر فانصرف ولم يفتح له ثم أخذه من الغد فخرج فرجع ولم يفتح له وأصاب الناس يومئذ شدة وجهد فقال رسول(صلى الله عليه وآله وسلم):

انى دافع اللواء غدا إلى رجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح له فبتنا طيبة أنفسنا ان الفتح غدا فلما ان أصبح رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) صلى الغداة.

ثم قام قائما فدعا باللواء والناس على مصافهم فدعا عليا(عليه السلام) وهو أرمد فتفل في عينيه ودفع إليه اللواء وفتح له قال بريدة وأنا فيمن تطاول لها. ولاحظ تعليق شعيب الأرناؤوط عليه: حديث صحيح وهذا إسناد قوي من أجل حسين بن واقد المروزي[١٢٦٢] .

وأما معركة احد فتكفينا المصادر الكثيرة ما فعل عمر وهي تكفينا عن ذكرها فان شئت راجعها.

ولاحظ كذلك تخلف عمر عن بعث أسامه وقد ذكر ابن حجر العسقلاني في فتح الباري قال :

[ وكان ممن ندب مع أسامة كبار المهاجرين والأنصار، منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد وسعيد وقتادة بن النعمان وسلمة بن أسلم، فتكلم في ذلك قوم منهم: عياش بن أبي ربيعة المخزومي، فرد عليه عمر، وأخبر النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) فخطب بما ذكر في هذا الحديث. ثم اشتد برسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وجعه فقال: أنفذوا بعث أسامة فجهزه أبو بكر بعد أن استخلف، فسار عشرين ليلة إلى الجهة التي أمر بها...][١٢٦٣] .انتهى.

وكذلك لاحظ ما نقل الذهبي في تاريخ الإسلام فقال: ( فلم يبق أحد من المهاجرين والأنصار إلا انتدب في تلك الغزوة فيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة)[١٢٦٤] .

فقد نقل ابن سعد في طبقاته فقال : ( فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأولين والأنصار إلا انتدب في تلك الغزوة فيهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح...)[١٢٦٥] .

فأين صحة الأحاديث التي تقول ان عمر بدخوله الإسلام أصبحوا أقوياء به بالرغم من ان عمر لم يقتل أي مشرك في المعارك وأمامك المكتبات أينما تكون فراجع .

---

١٢٦٢- مسند الإمام احمد ج٥ ص٣٥٣ ح٢٣٠٤٣ .

١٢٦٣- فتح الباري لشرح صحيح البخاري ج٨ ص١٢٤.

١٢٦٤- تاريخ الإسلام - كتاب المغازي ص٧١٤ .

١٢٦٥- الطبقات الكبرى - ج١ ص٤٨٠ .

**ثالثاً : كتب مختصة بالشبهة**

كتب مختصة بشبهة نقص القران الكريم : هذه أسماء أهم مصادر وكتب ذكرت أحاديث الرواة من أصح المصادر لدى أهل السنة وهي مثل:

١ – المصاحف.. أبي داوود السجستاني .

٢– الاتقان في علوم القرآن.. جلال الدين السيوطي .

٣– الفرقان.. مُحَمَّد مُحَمَّد عبداللطيف الخطيب .

وأما حكم القائل بتحريف القران الكريم فقد نقل القاضي[١٢٦٦] عياضُ من قال : ( جميعُ مَنْ ينتحلُ التوحيد متّفقون على أنّ الجحدَ لحرفٍ من التنزيل كفرٌ) هذا أولاً. وأما ثانياً فلقد رُوِيَ عن رسول الله ﷺ من أنه قال: (مَنْ جحدَ آيةً من القرآن فقد حلَّ ضربُ عنقه)[١٢٦٧] .

وتجد هناك اسماء كتب الكذب والتدليس والخديعة مترجمة لعدة لغات فيا أخي المسلم وبالخصوص اخواننا من اهل السنة من ان هناك خيانة عظمى للأمانة العلمية ومؤامرة وتدليس .

من خلال استخدام المكر والحيلة بتقطيع كلام علماء الشيعة أعزهم الله وتقديمه وتأخيره على حسب مراد المؤلف لكي يثبتوا للناس على بساطتهم ان الشيعة يقولون بتحريف القران ومن هذه الكتب ما ذكر في :

الاول : كتاب الشيعة والقرآن ، إحسان إلهي ظهير، صفحة ٩٢ .

الثاني : كتاب الشيعة وتحريف القرآن ، مُحَمَّد مال الله ، صفحة ٥٧ .

الثالث : كتاب بين الشيعة وأهل السنة ، إحسان إلهي ظهير، ص٩٧.

الرابع : كتاب بين الشيعة وأهل السنة، إحسان إلهي ظهير، ص١٠٨.

الخامس : كتاب حقيقة الخلاف بين الشيعة وجمهور علماء السنة ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، صفحة ٨ .

---

١٢٦٦– الشفا بحقوق المصطفى ص١١٠٢– ١١٠٣ .

١٢٦٧– الكامل في الضعفاء لابن عدي ، ج٣ ، ص٧٩٣ .

السادس : كتاب الشيعة في التصور الإسلامي ، علي عمر فريج ، صفحة ٢٧.

السابع : رسالة في الرد على الرافضة ، تأليف : الشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب ، صفحة ١٥.

الثامن : كتاب الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام ، مُحَّد منظور نعماني ، صفحة ١٩٧.

التاسع : كتاب بين الشيعة وأهل السنة ، إحسان إلهي ظهير، ص٩٨.

العاشر : كتاب بين الشيعة وأهل السنة ، تأليف : إحسان إلهي ظهير صفحة ١٠٢- ١٠٣.

الحادي عشر : كتاب الخطوط العريضة ، تأليف : محب الدين الخطيب ، صفحة ٤٧.

ودليلنا هو ما روي عن عبدالله بن عمر ما نصه فقال : كنت عند أبي يوماً، وعنده نفر من الناس ، فجرى ذكر الشعر، فقال: مَنْ أشعرُ العَرب ؟، فقالوا : فلان وفلان ، فطلع عبدالله بن عباس ، فسلّم وجلَس .

فقال عمر : قد جاءكم الخبير، مَنْ أشعرُ الناس يا عبدالله ؟ قال : زهير بن أبي سلمى. قال : فأنشدْني مما تستجيده له . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّه مدح قوماً من غطفان ، يقال لهم بنو سنان ، فقال:

لوكان يقعد فوق الشمس من كرمٍ * قومٌ بأوَّلهـمْ أو مجدِهمْ قعـدوا

قوم أبوهم سنان حين تَنسبُهُمْ * طابوا وطاب من الاولاد ما وَلَدُوا

إنسٌ إذا أمِنوا، جِنٌّ إذا فزعوا * مُرَزَّؤُون بها ليلٌ إذ جُهـِدوا

مُحسّدون على ما كان من نعمٍ * لا ينزع الله منهم ماله حُسِـدوا

فقال عمر : والله لقد أحسن ، وما أرى هذا المدح يصلح إلاّ لهذا البيت من هاشم ، لقرابتهم من رسول الله ﷺ. فقال ابن عباس : وفّقك الله يا أمير المؤمنين ، فلم تزل موفقا.

فقال : يابن عباس ، أتدري ما منع الناس منكم ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين. قال (عمر) : لكني أدري . قال (عبدالله) : ما هو يا أمير المؤمنين؟، قال (عمر) : كرهتْ قريش أن تجتمع لكم النبوة والخلافة، فيجخِفوا جِخْفا[١٢٦٨] فنظرت قريش لنفسها فاختارت ووفقت فأصابت.

فقال ابن عباس : أيَميطُ أمير المؤمنين عنّي غضبه فيسمع ؟ قال : قل ما تشاء. قال : أما قول أمير المؤمنين : إن قريشاً كرهت ، فإن الله تعالى قال لِقوم : ( ذَلِك بأنّهُمْ كَرِهُوا ما أنزل الله فأحبط أعْمَالهُمْ)[١٢٦٩] .

وأّما قولك : ( إنّا كنّا نجخف ) ، فلو جَخَفْنا بالخلافة جَخَفْنا بالقرابة ، ولكنّا قوم أخلاقُنا مشتقةٌ من خُلق رسول الله ﷺ الذي قال الله تعالى : (وَإنّك لَعَلَى خُلقٍ عظيم)[١٢٧٠] وقال له : (وَاخْفِض جَنَاحَكَ لِمَنِ اتبعكَ من المؤمنين)[١٢٧١] .

وأما قولك : « فإن قريشا اختارت » ، فإنّ الله تعالى يقول : ( وربك يَخْلُقُ ما يشاء ويختارُ ما كان لَهُمُ الخَيَرة)[١٢٧٢]، وقد علمت يا أمير المؤمنين أن الله اختار من خلقه لذلك مَنْ اختار[١٢٧٣]، فلو نظرتْ قريش من حيث نظر الله لها لوفقت وأصابت قريش .

فقال عمر : على رسْلك يابن عباس ، أبت قلُوبكم يا بني هاشم إلا غِشّا في أمر قريش لا يُزول وحقدا عليها لا يَحول . فقال ابن عباس : مَهْلاً يا أمير المؤمنين ؟ لا تنسُب هاشما إلى الغشّ ، فإن قلوبهم من قلب رسول الله ﷺ الذي طهّره الله وزكّاه ، وهم أهلُ البيت الذين قال الله تعالى لهم : ( إنما يرُيدُ الله ليُذهِبَ عنكم الرجسَ أهْل البيت ويُطَهِّرَكم تطهيرا)[١٢٧٤] .

---

١٢٦٨- جخف : تكبر

١٢٦٩- سورة محمد ٩ .

١٢٧٠- سورة ن الآية ٥ .

١٢٧١- الشعراء ٢١٥ .

١٢٧٢- القصص ٦٨ .

١٢٧٣- هذه العبارة من ابن عباس تدل على أنه من المتسالم عليه عندهم أن الخلافة قد ثبتت بالنص على الامام علي عليه السلام وأنها بأمر الله واختياره. ولو لم يكن كذلك لاعترض عليه الخليفة في ذلك ، وانعقاد الخلافة بالشورى أو الاجماع أو البيعة ما هو الا اجتهاد في مقابل النص وقد قال تعالى : ( وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسولهُ امرا أن يكون لهم الخيرةُ من امرِهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً... الاحزاب ٣٦).

١٢٧٤- الاحزاب الاية ٣٣ .

فقد روى علماء اهل السنة أن هذه الآية الشريفة نزلت في خمسة وهم: (النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام )[١٢٧٥].

وأما قولك : « حقدا » فكيف لا يحقد من غُصِب شيئه ، ويراه في يد غيره. فقال عمر : أما أنت يا بن عباس ، فقد بلغَني عنك كلامٌ أكره أن أخبرك به، فتزول منزلتك عندي . قال : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ أخبرني به ، فإنْ يكُ باطلاً فمثلي أماط الباطلَ عن نفسه ، وإنْ يكُ حقا فإنّ منزلتي لا تزولُ به.

قال : بلغني أنّك لا تزال تقول : أُخِذَ هذا الامر منك حسدا وظلما. قال (ابن عباس) : أمّا قولك يا أمير المؤمنين : ( حسدا ) ، فقد حسد إبليس آدم، فأخرجه من الجنّة ، فنحن بنو آدم المحسود.

وأما قولك : « ظلما » فأمير المؤمنين يعلم صاحب الحقِ من هو؟ ثم قال : يأمير المؤمنين ، ألم تحتجّ العرب على العجم بحق رسول الله ﷺ واحتّجت قريش على سائر العرب بحقّ رسول الله ﷺ فنحن أحقُّ برسول الله من سائر قريش.

فقال له عمر : قم الان فارجع إلى منزلك ، فقام ، فلّما ولّى هتف به عمر: أيها المنصرف ، إِنّي على ما كان منك لراعٍ حقك ؟.

فالتفت ابن عباس فقال : إنّ لي عليك يا أمير المؤمنين وعلى كلّ المسلمين حقا برسول الله ﷺ فمن حفظه فحقّ نفسه حفِظ ومَنْ أضاعه فحقّ نفسه أضاع ثم مضى. فقال عمر لجلسائه : واها لا بن عباس ، ما رأيته لاحى أحدا قطّ إلاّ خصَمه؟[١٢٧٦]. انتهى.

وهنا نذكر الفكرة التي عالجوا بها الاحاديث ونأتي بنماذج نسخ التلاوة وتدليس الكتب لغرض اتهام الشيعة بالقول به.

فقيل ان نسخ التلاوة امر مشترك بين الفريقين وهو شيء اخر غير التحريف وقالوا ان ممن قالوا به هم الطوسي والطبرسي والمرتضى؟، فقدم لك هنا نموذجين فقط وهما لا يمكن أن يكونا نسخا وهي :

١٢٧٥- صحيح مسلم فضائل أهل بيت النبي ﷺ ج ٤ ص ١٨٨٣ح ٦١ .

١٢٧٦- الكامل ، ابن الاثير ج ٣ ص٦٢ .

## ١ – فاسعوا الى ذكر الله

حينما تنقل لنا عجلة الزمن محملة بمصادر الكتب منها ما زعموا أن قول : (فاسعوا الى ذكر الله) منسوخة كما في :

١ – اورد الامام البخاري[١٢٧٧] في صحيحه قوله ( وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ، وقرأ عمر : فامضوا الى ذكر الله ).

٢ – وروى ابن شبة[١٢٧٨] في تاريخ المدينة فقال : عن إبراهيم عن خرشة بن الحر قال : رأى معي عمر بن الخطاب لوحاً مكتوباً فيه : إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله ، فقال : من أملى عليك هذا؟ قلت أبي بن كعب ، فقال إن أبياً كان أقرأنا للمنسوخ ، اقرأها : فامضوا الى ذكر الله .

٣ – وروى البيهقي[١٢٧٩] في سننه فقال : عن سالم عن أبيه قال : ما سمعت عمر بن الخطاب يقرؤها إلا : فامضوا الى ذكر الله.. أنبأ الشافعي ، أنبأ سفيان بن عيينة ، فذكره بنحوه .

٤ – وقال السيوطي[١٢٨٠] في الدر المنثور : قوله تعالى : فاسعوا الى ذكر الله.. الآية . أخرج أبو عبيد في فضائله وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن الأنباري في المصاحف عن خرشة بن الحر قال: رأى معي عمر بن الخطاب لوحاً مكتوباً فيه إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله فقال : من أملى عليك هذا ؟ قلت أبي بن كعب ، قال إن أبياً أقرؤنا للمنسوخ إقرأها فامضوا الى ذكر الله ؟.

في البداية نأخذ تحقيق في النسخ ، لكنّ الحمل على نسخ التلاوة دون الحكم أو هما معاً غير تامّ لوجوه ، وهذا النسخ مستحيل أو ممنوع شرعاً.

---

١٢٧٧– صحيح البخاري ، ج٦ ، ص٦٣ .

١٢٧٨– تاريخ المدينة ، ج٢ ، ص٧١١ .

١٢٧٩– سنن البيهقي ، ج٣ ، ص٢٢٧ .

١٢٨٠– الدر المنثور للسيوطي ، ج٦ ، ص٢١٩ .

### أ :– لا أصل للقسمين :

إنّه لا أصل للقسمين المذكورين من النسخ ، وتوضيح ذلك : أنّهم قالوا: بأنّ النسخ في القرآن على ثلاثة أضرب ، أحدها: ما نسخ لفظه وبقي حكمة. والثاني: ما نسخ لفظه وحكمة معاً. والثالث: ما نسخ حكمه دون لفظه. وقد مثّلوا للضرب الأول بآية الرجم ، ففي الصحيح عن عمر: « إنّ الله بعث مُحَمَّداً بالحقّ وأنزل عليه الكتاب ، فكان ممّا أنزل عليه آية الرجم فقرأتها وعقلتها ووعيتها ».

قال ابن حزم : « فأمّا قول من لا يرى الرجم أصلاً فقول مرغوب، عنه لأنّه خلاف الثابت عن رسول اللهﷺ وقد كان نزل به قرآن، ولكنّه نسخ لفظه وبقي حكمه»[١٢٨١]. وعلى ذلك حمل أبو شامة[١٢٨٢] وكذا الطحاوي ، قال: «لكنّ عمر لم يقف على النسخ فقال ما قال ، ووقف على ذلك غيره من الأصحاب ، فكان من علم شيئاً أولى ممّن لم يعلمه، وكان علم أبي بكر وعثمان وعلي بخروج آية الرجم من القرآن ونسخها من أولى من ذهاب ذلك على عمر»[١٢٨٣].

قال السيوطي : «وأمثلة هذا الضرب كثيرة» ثمّ حمل عليه قول ابن عمر: «لا يقولنّ..» وما روي عن السيدة عائشة في سورة الأحزاب ، وما روي عن أبيّ وغيره من سورة الخلع والحفد[١٢٨٤].

وفي (المحلّى) بعد أن روى قال أبيّ في عدد آيات سورة الأحزاب: «هذا إسناد صحيح كالشمس لا مغمز فيه» قال: «ولو لم ينسخ لفظها لأقرأها أُبَيّ بن كعب زرّاً بلا شكّ ، ولكنّه أخبره بأنّها كانت تعدل سورة البقرة ولم يقل له: إنّها تعدل الآن ، فصحّ نسخ لفظها»[١٢٨٥].

ومثّلوا للثاني بآية الرّضاع عن عائشة  ام المؤمنين : « كان ممّا انزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرّمن ثمّ نسخن بخمس رضعات يحرّمن، فتوفي رسول اللهﷺ وهنّ ممّا يقرأ من القرآن». رواه الشيخان. وقد تكلّموا في قولها: «وهنّ ممّا يقرأ» فإنّ ظاهره بقاء التلاوة بعد رسول اللهﷺ وليس كذلك. وقد تقدّم بعض الكلام فيه. قال مكّي: «هذا المثال فيه المنسوخ غير متلوّ، والناسخ أيضاً غير متلو ولا أعلم له نظيرا»[١٢٨٦].

---

١٢٨١– المحلّى ١١ : ٣٣٤.

١٢٨٢– المرشد الوجيز : ٤٢ : ٤٣.

١٢٨٣– مشكل الآثار ٣ : ٥ . ٦.

١٢٨٤– الإتقان ٢ : ٨١.

١٢٨٥– المحلّى ١١ : ٢٣٤.

١٢٨٦– الإتقان ٢ : ٧٠.

وقال الآلوسي : « اسقط زمن الصدّيق مالم يتواتر وما نسخت تلاوته ، وكان يقرؤه من لم يبلغه النسخ وما لم يكن في العرضة الأخيرة ، ولم يأل جهداً في تحقيق ذلك ، إلاّ أنّه لم ينتشر نوره في الآفاق إلاّ زمن ذي النورين. فلهذا نسب إليه » ثمّ ذكر طائفة من الآثار الدالّة على نقصان القرآن عن أحمد والحاكم وغيرهما فقال : « ومثله كثير، وعليه يحمل ما رواه أبو عبيد عن ابن عمر ، قال: لا يقولّون.. والروايات في هذا الباب أكثر من أن تحصى ، إلاّ أنّها محمولة على ما ذكرناه »[١٢٨٧].

وفي آية الرّضاع قال : « والجواب : أنّ جميع ذلك منسوخ كما صرّح بذلك ابن عبّاس فيما مرّ، ويدلّ على نسخ ما في خبر عائشة أنّه لو لم يكن منسوخاً لزم ضياع بعض القرآن لم ينسخ ، وإنّ الله تعالى قد تكفّل بحفظه ، وما في الرواية لا ينافي النسخ.. »[١٢٨٨]. ووافق الزرقاني على حمل هذه الأحاديث على النسخ لورود ذلك في الأحاديث[١٢٨٩].

لكنّ جماعة من علمائهم المتقدّمين والمتأخرين ينكرون القسمين المذكورين من النسخ ، ففي الإتقان بعد أن ذكر الضرب الثالث ـ ما نسخ تلاوته دون حكمه ـ وأمثلته :

« تنبيه : حكى القاضي أبو بكر في الإنتصار عن قوم إنكار هذا الضرب ، لأنّ الأخبار فيه أخبار آحاد ، ولا يجوز القطع على إنزال قرآن ونسخه بأخبار آحاد لا حجّة فيها. وقال أبو بكر الرازي: نسخ الرسم والتلاوة إنّما يكون بأن ينسيهم الله إيّاه ويرفعه من أوهامهم ويأمرهم بالإعراض عن تلاوته وكتبه في المصحف ، فيندرس على الأيّام كشائر كتب الله القديمة التي ذكرها في كتابه في قوله: (إنّ هذا لفي الصّحف الاولى صحف إبراهيم وموسى ) ولا يعرف اليوم منها شيء. ثمّ لا يخلو ذلك من أن يكون في زمان النبيﷺ حتى إذا توفي لا يكون متلوّاً في القرآن أو يموت وهو متلوّ بالرسم ثم ينسيه الله الناس ويرفعه من أذهانهم ، وغير جائز نسخ شيء من القرآن بعد وفاة النبيﷺ» .

ثمّ أورد كلام الزركشي الآتي ذكره ، وقال الشوكاني : « منع قوم من نسخ اللفظ من بقاء حكمه ، وبه جزم شمس الدين السرخسي، لأنّ الحكم لا يثبت بدون دليله »[١٢٩٠].

وحكى الزرقاني عن جماعة في منسوخ التلاوة دون الحكم : إنّه مستحيل عقلاً ، وعن آخرين منع وقوعه شرعاً[١٢٩١]. ولم يصحّح الرافعي القول بنسخ التلاوة وأبطل كلّ ما حمل على ذلك وقال :

---

١٢٨٧- روح المعاني ١ : ٢٤ .

١٢٨٨- نفس المصدر ، ص٢٢٨ .

١٢٨٩- مناهل العرفان ٢ : ٢٢٥ .

١٢٩٠- إرشاد الفحول : ١٨٩ ـ ١٩٠ ، السرخسي ، ٢ : ٧٨ .

« ولا يتوهّمنّ أحد أنّ نسبة بعض القول إلى الصحابة نصّ في أنّ ذلك المقول صحيح ألبتّة ، فإنّ الصحابة غير معصومين، وقد جائت روايات صحيحة بما أخطأ فيه بعضهم من فهم أشياء من القرآن على عهد رسول الله ﷺ وذلك العهد هو ما هو. ثمّ بما وهل عنه بعضهم ممّا تحدّثوا من أحاديثه الشريفة ، فأخطأوا في فهم ما سمعوا، ونقلنا في باب الرواية من تاريخ آداب العرب أنّ بعضهم كان يرّد على بعض فيما يشبه لهم أنّه الصواب خوف أن يكونوا قد وهموا على أنّ تلك الروايات القليلة – فيما زعموه كان قرآناً وبطلت تلاوته" إن صحّت أسانيدها أو لم تصحّ فهي على ضعفها وقلّتها ممّا لا حفل به ما دام إلى جانبها إجماع الامّة وتظاهر الروايات الصحيحة وتواتر النقل والأداء على التوثيق »[١٢٩٢].

وقال صبحي الصالح : « والولوع باكتشاف النسخ في آيات الكتاب أوقع القوم في أخطاء منهجية كان خليقاً بهم أن يتجنّبوها لئلاّ يحملها الجاهلون حملاً على كتاب الله، لم يكن خفيّاً على أحد منهم أنّ الآية القرآنية لا تثبت إلاّ بالتواتر، وأنّ أخبار الآحاد ظنّية لا قطيعة، وجعلو النسخ في القرآن ـ مع ذلك ـ على ثلاثة أضرب :

نسخ الحكم دون التلاوة، ونسخ التلاوة دون الحكم ، ونسخ الحكم والتلاوة جميعاً. وليكثروا إن شاؤوا من شواهد الضرب الأول ، فإنّهم فيه لا يمسّون النصّ القرآني من قريب ولا بعيد ، إذ الآية لم تنسخ تلاوتها بل رفع حكمها لأسرار تروبية وتشريعية يعلمها الله ، أمّا الجرأة العجيبة ففي الضربين الثاني والثالث ، اللذين نسخت فيهما بزعمهم تلاوة آيات معيّنة ، إمّا مع نسخ أحكامها وإمّا دون نسخ أحكامها .

والناظر في صنيعهم هذا سرعان ما يكتشف فيه خطأ مركّباً فتقسيم المسائل إلى أضرب إنّما يصلح إذا كان لكل ضرب شواهد كثيرة أو كافية على الأقلّ ليتيسّر استنباط قاعدة منها ، وما لعشّاق النسخ إلاّ شاهد أو اثنان على كلّ من هذين الضربين – أمّا الضرب الذي نسخت تلاوته دون حكمه فشاهده المشهور ما قيل من أنّه كان في سورة النور: الشيخ والشيخة..[١٢٩٣].

وممّا يدلّ على اضطراب الرواية : أنّ في صحيح ابن حبّان ما يفيد أنّ هذه الآية التي زعموا نسخ تلاوتها كانت في سورة الأحزاب لا في سورة النور، وأمّا الضرب الذي نسخت تلاوته وحكمه معاً فشاهده المشهور في كتب الناسخ والمنسوخ ما ورد عن عائشة أنّها قالت :

---

١٢٩١– مناهل العرفان ٢ : ١١٢.

١٢٩٢– إعجاز القرآن : ٤٤.

١٢٩٣– أنظر : تفسير ابن كثير ٣ : ٢٦١ .

كان فيما انزل من القرآن[١٢٩٤] ، وجميع ما ذكروه منها أخبار آحاد ، ولا يجوز القطع على إنزال قرآن ونسخة بأخبار آحاد لا حجّة فيها. وبهذا الرأي السديد أخذ ابن ظفر في كتابه الينبوع، إذ أنكر عدّ هذا ممّا نسخت تلاوته ، قال: لأنّ خبر الواحد لا يثبت القرآن»[١٢٩٥].

وقال مصطفى زيد وهو ينكر نسخ التلاوة دون الحكم: « وأمّا الآثار التي يحتجّون بها.. فمعظمها مرويّ عن عمر وعائشة ، ونحن نستبعد صدور مثل هذه الآثار عنهما ، بالرغم من ورودهما في الكتب الصحاح.. وفي بعض هذه الروايات جاءت العبارات التي لا تتّفق ومكانه عمر ولا عائشة ، ممّا يجعلنا نطمئن إلى اختلافها ودسّها على المسلمين »[١٢٩٦].

وقال الخضري : « لا يجوز أن يرد النسخ على التلاوة دون الحكم ، وقد منعه بعض المعتزلة واجازة الجمهور، محتجّين بأخبار آحاد لا يمكن أن تقوم برهاناً على حصوله. وأنا لا أفهم معنى لآية أنزلها الله تعالى لتفيد حكماً ثم يرفعها مع بقاء حكمها »[١٢٩٧].

هذا ، وستأتي كلمات بعض أعلامهم في خصوص بعض الآثار.

وكذا أنكر المحقّقون من الإمامية القسمين المذكورين من النسخ ، فقد قال السيد المرتضى :

« ومثال نسخ التلاوة دون الحكم غير مقطوع به لأنّه من خبر الآحاد، وهو ما روي أنّ من جملة القرآن: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتّة ، فنسخت تلاوة ذلك. ومثال نسخ الحكم والتلاوة معاً موجود في أخبار الآحاد وهو ما روي عن عائشة.. »[١٢٩٨]. وقد تبعه على ذلك غيره[١٢٩٩]. فلا دليل على أنّ هذه الآيات منسوخة؟!.

١٢٩٤- ما بين القوسين مذكور في الهامش .

١٢٩٥- مباحث في علوم القرآن : ٢٦٥ ـ ٢٦٦ .

١٢٩٦- النسخ في القرآن ١ : ٢٨٣ .

١٢٩٧- انظر : تاريخ التشريع الاسلامي .

١٢٩٨- الذريعة إلى اصول الشريعة ١ : ٤٢٨.

١٢٩٩- البيان في تفسير القرآن : ٣٠٤.

**ب :– لا دليل على الآثار :**

وعلى فرض تمامية الكبرى فإنّه لا دليل على أنّ هذه الآيات التي حكتها الآثار المذكور منسوخة ، إذ لم ينقل نسخها ، ولم يرد في حديث عن النبيﷺ في واحد منها أنّها منسوخة ، ولقد كان المفروض أن يبلّغﷺ الأمّة بالنسخ كما بلّغ بالنزول.

فقد ورد في الحديث أنّه قال لابيّ : « إنّ الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن» فقرأ عليه (آية الرغبة) ، فلو كانت منسوخة ـ كما يزعمون ـ لأخبره بذلك ولنهاه عن تلاوتها ، ولكنّه لم يفعل ـ إذا لو فعل لنقل ـ ولذا بقي أُبَيّ ـ كما في حديث آخر عن أبي ذرّ ـ يقرأ الآية بعد رسول اللهﷺ معتقداً بكونها من آي القرآن العظيم .

ونازع عمر ابيّاً في قراءته (آية الحميّة) وغلّط له ، فخصمه ابيّ بقوله : « لقد علمت أنّي كنت أدخل على النبيﷺ ويقرؤني وأنت بالباب ، فإن أحببت أن اقريء الناس على ما أقرأني وإلاّ لم أقرىء حرفاً ما حييت »، فقال له عمر : « بل أقرىء الناس ».

وهذا يدلّ على أنّ أُبَيّاً قد تعلّم الآية هكذا من النبيﷺ وجعل يقرئ الناس على ما أقرأه ، ولو كان ثمّه ناسخ لعلمه ابيّ أو أخبره الرسولﷺ فكفّ عن تلك القراءة . كما ان قول عمر في جوابه : « بل أقرئ الناس» يدلّ على عدم وجود ناسخ للآية أصلاً ، وإلاّ لذكره له في الجواب . فحملها على نسخ التلاوة غير ممكن؟!.

**ج :– فرض صحّة القول :**

عدم إمكان حمل الآيات المذكورة على منسوخ التلاوة على فرض صحّة القول به : فآية الرجم قد سمعها جماعة ـ كما تفيد الأحاديث المتقدّمة ـ من رسول الله ﷺ مصرّ حين بأنّها من آي القرآن الكريم على حقيقة التنزيل.

وقد رأينا ـ فيما تقدّم ـ إصرار عمر بن الخطّاب على أنّها من القرآن ، وحمله الصحابة بالأساليب المختلفة على كتابتها وإثباتها في المصحف كما انزلت: وقوله : « والذي نفسي بيده لولا أن يقول الناس: زاد عمر في كتاب الله لكتبتها..» وكل ذلك صريح في أنّها كانت من القرآن وممّا لم ينسخ ، وإلاّ لما أصرّ عمر على ذلك ، ولما جاز له كتابتها في المصحف الشريف.

ومن هنا قال الزركشي : « إنّ ظاهر قوله : لولا أن يقول الناس. أنّ كتابتها جائزة وإنّما منعه قول الناس ، والجائز في نفسه قد يقوم من خارج ما يمنعه ، وإذا كانت جائزة لزم أن تكون ثابتة ، لأنّ هذا شأن المكتوب.

وقد يقال : لو كانت التلاوة باقية لبادر عمر ولم يعرّج على مقال الناس، لأنّ مقال الناس لا يصلح مانعاً. وبالجملة ، فهذه الملازمة مشكلة، ولعلّه كان يعتقد أنّه خبر واحد والقرآن لا يثبت به وإن ثبت الحكم..»[١٣٠٠].

ومن هنا أيضاً : أنكر ابن ظفر[١٣٠١] في كتابه ( الينبوع ) عدّ آية الرجم ممّا زعم أنّه منسوخ التلاوة وقال : « لأنّ خبر الواحد لا يثبت القرآن»[١٣٠٢].

ومثله أبو جعفر النحّاس[١٣٠٣]، حيث قال : « وإسناد الحديث صحيح ، إلاّ أنّه ليس حكمه حكم القرآن الذي نقله الجماعة عن الجماعة ، ولكنّه سنّة ثابتة..»[١٣٠٤]. ورأينا أنّ أُبَيّا وابن مسعود قد أثبتا في مصحفهما آية « لو كان لابن آدم واديان..» ، وأضاف أبو موسى الأشعري : إنّه كان يحفظ سورة من القرآن فنسيها إلاّ هذه الآية .

---

١٣٠٠– البرهان ٢ : ٣٩ ـ ٤٠ ، الإتقان ٢ : ٦٢.

١٣٠١– وهو : محمّد بن عبدالله بن ظفر المكي ، له : ينبوع الحياة في تفسير القرآن ، توفي عام ٥٦٥ هجري قمري.

١٣٠٢– البرهان ٢ : ٣٩ ـ ٤٠ ، الإتقان ٢ : ٢٦.

١٣٠٣– وهو : أبو جعفر أحمد بن محمّد النحّاس ، المتوفي عام ٣٣٨هجري قمري .

١٣٠٤– الناسخ والمنسوخ : ٨ .

ولو لم تكن الآية من القرآن حقيقة ـ بحسب تلك الأحاديث ـ لما أثبتاها ، ولما قال أبو موسى ذلك. وقد جعل الشوكاني هذه الآية مثالاً للقسم الخامس من الأقسام الستّة حسب تقسيمه للنسخ ، وهو : « ما نسخ رسمه لا كلمة ولا يعلم الناسخ له ». و « السادس : ناسخ صار منسوخاً وليس بينهما لفظ متلوّ ». ثم قال: « قال ابن السمعاني : وعندي أنّ القسمين الأخيرين ـ أي الخامس والسادس ـ تكلّف ، وليس يتحقّق فيهما النسخ»[١٣٠٥].

ورأينا قول ابيّ بن كعب لزرّ بن حبيش في سورة الأحزاب : « قد رأيتها ، وإنها لتعادل سورة البقرة ، ولقد قرأنا فيها: الشيخ والشيخة.. فرفع ما رفع». فهل كان ابيّ بقصد من قوله : « فرفع ما رفع » ما نسخت تلاوته؟!. ورأينا قول عبد الرحمن بن عوف لعمر بن الخطّاب حين سألة عن آية الجهاد : «اسقطت فيما اسقط من القرآن» فسكت عمر، الأمر الذي يدلّ على قبوله ذلك .

فهل يعبّر عمدا نسخت تلاوته بـ«اسقطت فيما اسقط من القرآن»؟!. ورأينا قول ام المؤمنين عائشة بأنّ آية الرضاع كانت ممّا يقرأ من القرآن بعد وفاة النبيﷺ وأنّها كانت في رقعة تحت سريرها ... فهل كانت تعني ما نسخت تلاوته؟ ومتى كان النسخ ؟.

وهنا قال أبو جعفر النحّاس : « فتنازع العلماء هذا الحديث لما فيه من الإشكال ، فمنهم من تركه وهو مالك بن أنس ـ وهو راوي الحديث ـ ولم يروه عن عبدالله سواه ، وقال : رضعة واحدة تحرّم ، وأخذ بظاهر القرآن ، قال الله تعالى : ( وأخوانكم من الرضاعة ) .

وممّن تركه : أحمد بن حنبل وأبو ثور، قالا : يحرم ثلاث رضعات لقول النبيﷺ: « لا تحرّم المصّة ولا المصّتان ». قال أبو جعفر : وفي هذا الحديث لفظة شديدة الإشكال وهو قولها : « فتوفي رسول اللهﷺ وهنّ ممّا نقرأ في القرآن» فقال بعض أجلّة أصحاب الحديث: قد روى هذا الحديث رجلان جليلان أثبت من عبدالله بن أبي بكر فلم يذكرا هذا فيها ، وهما: القاسم ابن مُحَّد بن أبي بكر الصدّيق ويحيى بن سعيد الأنصاري.

وممّن قال بهذا الحديث وأنّه لا يحرم إلاّ بخمس رضعات : الشافعي. وأمّا القول في تأويل : « وهنّ ممّا نقرأ في القرآن فقد ذكرنا ردّ من ردّه ، ومن صحّحه قال : الذي نقرأ من القرآن : (وأخوانكم من الرضاعة) وأمّا قول من قال : إنّ هذا كان يقرأ بعد وفاة رسول اللهﷺ فعظيم ، لأنّه لو كان ممّا يقرأ

١٣٠٥- إرشاد الفحول : ١٨٩ ـ ١٩٠ .

لكانت ام المؤمنين عائشة قد نبّهت عليه ، ولكان قد نقل إلينا في المصاحف التي نقلها الجماعة الّذين لا يجوز عليهم الغلط .

وقد قال الله تعالى : ( إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون ) وقال: (إنّ علينا جمعه وقرآنه) ، ولو كان بقي منه شيء لم ينقل إلينا لجاز أن يكون ممّا لم ينقل ناسخاً لما نقل ، فيبطل العمل بما نقل ونعوذ بالله من هذا فإنّه كفر»[١٣٠٦] . فالقول بنسخ التلاوة هو القول بالتحريف .

**د:- نسخ التلاوة قول بالتحريف :**

أن القول بنسخ التلاوة هو بعينه القول بالتحريف ونقصان القرآن: وبيان ذلك : أنّ نسخ التلاوة هذا إمّا أن يكون قد وقع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإمّا أن يكون ممّن تصدّى للزعامة من بعده.

فإن أراد القائلون بالنسخ وقوعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو أمر يحتاج إلى الإثبات ، وقد اتّفق العلماء أجمع على عدم جواز نسخ الكتاب بخبر الواحد ، وقد صرّح بذلك جماعة في كتب الاصول وغيرها ، بل قطع الشافعي وأكثر أصحابه وأكثر أهل الظاهر بامتناع نسخ الكتاب بالسنّة المتواترة.

وإليه ذهب أحمد بن حنبل في إحدى الروايتين عنه ، بل إنّ جماعة ممّن قال بإمكان نسخ الكتاب بالسنّة المتواترة منع وقوعه ، وعلى ذلك فكيف تصحّ نسبة النسخ إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأخبار هؤلاء الرواية ؟!. مع أنّ نسبة النسخ إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم تنافي جملة من الروايات التي تضمّنت أنّ الإسقاط قد وقع بعده.

وإن أرادوا أنّ النسخ قد وقع من الّذين تصدّوا للزعامة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو عين القول بالتحريف. وعلى ذلك ، فيمكن أن يدّعى أن القول بالتحريف هو مذهب أكثر علماء أهل السنّة ، لأنّهم يقولون بجواز نسخ التلاوة ، سواء نسخ الحكم أو لم ينسخ ، بل تردّج الاصوليّون منهم في جواز تلاوة الجنب ما نسخت تلاوته ، وفي جواز أن يمسّه المحدث ، واختار بعضهم عدم الجواز. نعم ذهبت طائفة من المعتزلة إلى عدم جواز نسخ التلاوة[١٣٠٧] .

بل قال السيد الطباطبائي : « إنّ القول بذلك أقبح وأشنع من القول بالتحريف »[١٣٠٨] . وقال المحقّق الأُوردبادي : وقد تطرّف بعض المفسّرين ، فذكروا في باب النسخ أشياء غير معقولة .

---

١٣٠٦- الناسخ والمنسوخ : ١٠ . ١١ .

١٣٠٧- البيان في تفسير القرآن ، ص٢٢٤ .

١٣٠٨- الميزان في تفسير القرآن ، ج١٢ ، ص١٢٠ .

ومنها : ما ذكره بعضهم من باب نسخ التلاوة: آية الرجم.. وهذا أيضاً من الأفائك الملصقة بقداسة القرآن الكريم من تلفيقات المتوسّعين وهناك جمل تضمّنتها بطون غير واحد من الكتب التي لا تخلو عن مساهلة في النقل فزعم الزاعمون أنّها أيات منسوخة التلاوة أو هي والحكم ، نجلّ بلاغة القرآن عمّا يماثلها ، وهي تدودها عن ساحة البراعة ، لعدم حصولها على مكانة القرآن من الحصافة والرصافة ، فمن ذلك ما روي عن أبي موسى .

ومنها : ما روي عن أبيّ : قال: كنّا نقرأ: لا ترغبوا.. وإنّ الحقيقة لتربأ بروعة الكتاب الكريم عن أمثال هذه السفاسف القصيّة عن عظمته ، أنا لا أدري كيف استساغوا أن يعدّوها من آي القرآن وبينهما بعد المشرقين ، وهي لا تشبه الجمل الفصيحة من كلم العرب ومحاوراتهم فضلاً عن أساليب القرآن الذهبية ؟!.

نعم ، هي هنات قصد مختلقوها توهين أساس الدين والنيل من قداسة القرآن المبين ، ويشهد على ذلك أنّها غير منقولة عن مثل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو لدة القرآن وعدله.

وإنّي أحسب أن يعزب عن أي متضلّع في الفضيلة حال هذه الجمل وسقوطها حتى تصل النوبة في دفعها إلى أنّها من أخبار الآحاد التي لا تفيد علماً ولا عملاً، ولا يعمل بها في الاصول القطعيّة التي أهمّها القرآن كما قيل ذلك[١٣٠٩] .

وقال الشيخ محمّد رضا المظفّر بعد كلام له : وبهذا التعبير يشمل النسخ : نسخ تلاوة القرآن الكريم على القول به ، باعتبار أنّ القرآن من المجعولات الشرعية التي ينشئها الشارع بما هو شارع ، وإن كان لنا كلام غير دعوى نسخ التلاوة من القرآن ليس هذا موضع تفصيله.

وبشكل مختصر نقول إنّ نسخ التلاوة في الحقيقة يرجع إلى القول بالتحريف ، لعدم ثبوت نسخ التلاوة بالدليل القطعي ، سواء كان نسخاً لأصل التلاوة أو نسخاً لها ولما تضمّنته من حكم معاً، وإن كان في القرآن الكريم ما يشعر بوقوع نسخ التلاوة .

كما في قوله تعالى : ( وإذا بدّلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزّل قالوا إنّما أنت مفتر) ، وقوله تعالى : ( ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ) ، ولكن ليستا صريحتين بوقوع ذلك، ولا تظاهرتين ، وإنّما أكثر ما تدلّ الآيتان على إمكان وقوعه. وهذا كلّه فيما يتعلّق بالآيات والسور التي زعموا سقوطها من القرآن .

---

١٣٠٩- بحوث في علوم القرآن . مخطوطة ..

## ٢ – مخطوطة أكلتها السخلة

ولاحظ ان الآية التي أكلتها السخلة وهي :

أولاً : انه قال الامام مسلم[١٣١٠] في صحيحه عن عبدالله بن أبي بكر عن عمرة عن ام المؤمنين عائشة أنها قالت : كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات ، فتوفي رسول الله ﷺ وهن في ما يقرأ من القرآن ؟، وكذلك رواه الدارمي[١٣١١].

وكذلك جاء من أنه روى الحديث السابق ابن ماجة[١٣١٢] ومن ثم روى بعده: عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة قالت : لقد نزلت آية الرجم ، ورضاعة الكبير عشراً . ولقد كان في صحيفة تحت سريري ، فلما مات رسول الله ﷺ وتشاغلنا بموته دخل داجن فأكلها .

ومعنى الداجن : هو الحيوان الأهلي الذي يربى في المنزل وكان السائد منه في المدينة آنذاك الماعز ، ولذلك جعلنا عنوان (أكلتها السخلة).

وفي هذه الرواية دليل على أن مرض النبي ﷺ ووفاته لم يكن في غرفة السيدة عائشة وإلا لما دخلتها السخلة ، وموضوع ذلك خارج عن كلامنا.

ثانياً : ذكر انه روى الامام النسائي[١٣١٣] فقال : عن عبدالله بن أبي بكر عن عمرة عن عائشة قالت كان فيما أنزل الله عز وجل ، وقال الحرث فيما أنزل من القرآن ، عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله ﷺ وهي مما يقرأ من القرآن ؟.

فكيف تفسير شهادة الخليفة عمر بأن ( فاسعوا ) منسوخة ؟، وهل تقبل بها وتفتي بأن نسخة القرآن الفعلية محرفة ، يجب تصحيحها ؟. أم انكم تخطئون الامام البخاري أو الخليفة عمر؟

وكيف تفسر شهادة أم المؤمنين عائشة بأن آية الرضاع التي أكلتها السخلة لم تنسخ؟. وهل تلتزمون بصحتها وتفتون بأن القرآن ناقص ، فتنضمون الى من قال بنقصه من العلماء؟. أم تخطئون مسلما والسيدة عائشة ؟

---

١٣١٠– صحيح مسلم ، ج٤ ، ص١٦٧ .

١٣١١– سنن الدارمي ، ج٢ ، ص١٥٧ .

١٣١٢– سنن ابن ماجه ، ج١ ، ص٦٢٥ .

١٣١٣– سنن النسائي ، ج٦ ، ص١٠٠ .

ويمكن أن نقول لكم : نحن نصرح بأن من علماء الشيعة من يقول بنقص القرآن ، وهم قلة أقل من عدد أصابع اليد الواحدة ولا مقلدين لهم من الشيعة ، وقد اعتمدوا على روايات ضعفها وردها جمهرة علماء الشيعة.

فما رايكم بالذين يتسترون على الصحابة القائلين بتحريف القرآن فيسمونه نسخ التلاوة ؟. فأي نسخ في أمثال هذه الاحاديث الصحيحة عندكم؟. وأي نسخ في نفي البخاري لسورتي المعوذتين من القرآن ؟.

**رابعاً : مصحف فاطمة** عليها السلام:

ما هي حقيقة مُصحف فاطمة عليها السلام : لقد كثُر الكلام حول ما يُسمى بمُصحف فاطمة عليها السلام ، وقد حاول أعداء أهل البيت عليهم السلام التشنيع على الشيعة من خلال اتهامهم بأن لهم قرآناً آخر يأخذون منه أحكام الدين غير القرآن الكريم يُسمونه مصحف فاطمة عليها السلام .

هذا ما يقوله أعداء مدرسة أهل البيت عليهم السلام وهو اتهام رخيص ليس له أي قيمة علمية، إذ سرعان ما يجد الباحث بطلان هذا الكلام لدى رجوعه إلى الواقع الخارجي، ولدى مراجعته للنصوص المأثورة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام .

ثم أن هذا الاتهام ليس جديداً ، بل يصل تاريخه إلى عهد الأمويين والعباسيين الذين عاصروا الأئمة عليهم السلام . ويدل على ذلك أسئلة الرّوات وأجوبة الأئمة عليهم السلام وتصريحاتهم النافية بشكل قاطع كون مصحف فاطمة عليها السلام قرآن آخر.

لكن رغم كل ذلك ورغم الإجابات المتكررة التي أجاب بها العلماء الأفاضل في مختلف العصور عن هذا السؤال فإننا نجد أن هناك من يجد بُغيته في اتهام الشيعة بهذا الاتهام، ولا يدفعه إلى ذلك طبعاً سوى المرض أو الجهل.

أما الآن لنرى ما هو المقصود من مصحف فاطمة عليها السلام عند أهل البيت عليهم السلام وعند أتباعهم الشيعة الإمامية الاثنى عشرية. ولمعرفة ذلك لابد وأن نعرف المعنى اللغوي لكلمة المصحف ، ثم نأتي بعد ذلك إلى الروايات والأحاديث المأثورة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام لكي نعرف حقيقة مصحف فاطمة عليها السلام .

المعنى اللغوي للمصحف : قال الفرّاء في لفظ المصحف : وقد استثقلت العرب الضمّة فكسرت ميمها وأصلها الضم، من ذلك مِصحف ...لأنها في المعنى مأخوذة من أصحف جمُعت فيه الصُحف[١٣١٤] .

وقال أبو الهلال العسكري في الفروق اللغوية : الفرق بين الكتاب والمصحف، أن الكتاب يكون ورقة واحدة ويكون جملة أوراق، والمصحف لا يكون إلا جماعة أوراق صحفت، أي جمع بعضها إلى بعض[١٣١٥] .

وكلمة مصحف مأخوذة من الصحيفة وهي القرطاس المكتوب، والمصحف . مثلث الميم . هو ما جُمع من الصحف بين دفتي الكتاب المشدود، ولذلك قيل للقرآن مصحف، وعليه فكل كتاب يسمى مصحفاً[١٣١٦] .

وقال ابن بابويه : صحيفة فاطمة عليها السلام أو مصحف فاطمة عليها السلام أو كتاب فاطمة عليها السلام ورد التعبير بكل ذلك عن كتاب ينسب إليها[١٣١٧] عليها السلام .

١٣١٤- الخصال : ٥٢٨ ، بحار الأنوار : ٢٥ / ١١٧ . إصلاح المنطق لابن سكّيت : ٣٥٤ ، والجوهري في الصحاح : ٤ / ١٣٨٤.

١٣١٥- دائرة المعارف الحسينية ، معجم المصنفات : ١ / ١٩ . الفروق اللغوية : ٤٤٧ .

١٣١٦- قال العلامة الشيخ جعفر السبحاني : الحديث القدسي هو كلام الله المنزل . لا على وجه الإعجاز . الذي حكاه أحد الأنبياء أو أحد الأوصياء ، مثل ما رُوي أن الله تعالى قال: " الصوم لي وأنا أُجزي به" ، أصول الحديث وأحكامه في علم الدراية : ٢٠ . دائرة المعارف الحسينية – معجم المصنفات : ١ / ١٩ .

١٣١٧- الإمامة والتبصرة ص١٢ .

## ١ – ما هو مُصْحَفُها

مصحف فاطمة الزهراء عليها السلام هو كتاب عظيم المنزلة أملاء سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام . أما كاتب هذا الكتاب هو الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقد كتبه بخطه المبارك.

ومصحف فاطمة عليها السلام يُعتبر من جملة ودائع الإمامة ، قال الإمام الرضا عليه السلام وهو يَعُد علامات الإمام المعصوم عليه السلام: ( ويكون عنده مصحف فاطمة عليها السلام )[١٣١٨] .

أما بالنسبة إلى مكان وجود هذا المصحف في الحال الحاضر فهو اليوم موجود عند الإمام المهدي المنتظر عليه السلام. ويُعتبر هذا المصحف أول مصنف في الإسلام، حيث أن الزهراء عليها السلام توفيت على أحدى الروايات الثلاث في الثالث من شهر جمادى الأولى عام ١١ هـ.ق ، ولم يكتب قبل هذا التاريخ كتاب في عصر الإسلام .

فمصحف فاطمة عليها السلام هو مجموع حديث جبرائيل الأمين عليه السلام لفاطمة عليها السلام فهو غير معجز كالحديث القدسي[١٣١٩] والنبوي. ولا غرابة في ذلك إذ أن الزهراء عليها السلام كانت محدّثة، وليست الزهراء هي الوحيدة التي حدّثتها الملائكة .

وقد كانت مريم بنت عمران عليها السلام محدّثة ، كما كانت أم موسى بن عمران عليهما السلام محدّثة، وسارة عليها السلام زوجة النبي إبراهيم عليه السلام أيضاً كانت محدّثة فقد رأت الملائكة فبشروها بإسحاق ويعقوب عليهما السلام .

ذلك أن الحديث مع الملائكة عليهم السلام رغم أهميته وعظمته فهو ليس من علامات النبوة وخصائصها، فلما ذكرناهن هنا يعني لسن هن من جملة الأنبياء كما هو واضح، لكن الملائكة عليهم السلام تحدثت إليهن، والى هذا يشير مُحَمَّد بن أبي بكر قال :

( إن مريم لم تكن نبية وكانت محدّثة، وأم موسى بن عمران كانت محدّثة ولم تكن نبية، وسارة امرأة إبراهيم قد عاينت الملائكة فبشروها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ولم تكن نبية ، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت محدّثة ولم تكن نبية )[١٣٢٠] .

---

١٣١٨– الكافي : ١ / ٢٤١ .

١٣١٩– أي أخبرت .

## ٢ – الأئمة والمصحف

المعصومين عليهم السلام ومصحف فاطمة عليها السلام : عندما سئل الإمام الصادق عليه السلام عن مصحف فاطمة عليها السلام قال : إن فاطمة عليها السلام مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمسة وسبعين يوماً، وكان دخلها حزنٌ شديد على أبيها، وكان جبرئيل عليه السلام يأتيها فيُحسن عزاءَها على أبيها.

ويُطيب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانِه ، ويخُبرها بما يكون بعدها في ذريتها، وكان عليّ عليه السلام يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة عليها السلام [١٣٢١]. وعن حمّاد بن عثمان ، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه لما سأله: وما مصحف فاطمة عليها السلام ؟ قال عليه السلام:

( إن الله تعالى لما قبض نبيه صلى الله عليه وآله وسلم دخل على فاطمة عليها السلام من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عزّ وجلّ فأرسل الله إليها ملكا يسلّي غمّها ويحدثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي ، فأعلمته بذلك ، فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يكتب كلّما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفاً). ثم قال : ( أما إنه ليس فيه شيء من الحلال والحرام ، ولكن فيه علم ما يكون )[١٣٢٢].

اذاً : لاحظ انه ليس في مصحف فاطمة عليها السلام شيء من القرآن : فقد قال الإمام الصادق عليه السلام : ( وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهما مصحف فاطمة عليها السلام مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات[١٣٢٣] والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، إنما هو شيء أملاه الله وأوحى إليها )[١٣٢٤].

وكذلك مثلهِ أنه ورد من ان الإمام الصادق عليه السلام قال : (مصحف فاطمة عليها السلام ما فيه آية من القرآن)[١٣٢٥].

وأيضا جاء عن الإمام الصادق عليه السلام من أنه قال : ( وعندنا مصحف فاطمة عليها السلام أما والله ما فيه حرف من القران )[١٣٢٦].

---

١٣٢٠– الكافي : ١ / ٢٤٠ ، وبصائر الدرجات : ١٧٧ .

١٣٢١– ١٠ / ٩٣ ، حديث ٥٣٨٨ ، وبحار الأنوار : ٢٦ / ٤٤ .

١٣٢٢– إشارة إلى حجم هذا الكتاب بالقياس إلى القرآن الكريم .

١٣٢٣– بحار الأنوار : ٢٦ / ٣٩ .

١٣٢٤– بصائر الدرجات : ١٥٦ .

١٣٢٥– نفس المصدر ، ص١٥٨–١٦١ .

١٣٢٦– نفس المصدر ، ١٥٩ .

وكذلك مثلهِ أنه ورد من ان الإمام الصادق عليه السلام قال: ( مصحف فاطمة عليها السلام ما فيه شيء من كتاب الله ، وإنما هو شيء القي عليها بعد موت أبيها صلى الله عليه وآله وسلم )[١٣٢٧].

ومثلهِ أيضاً من أنه جاء عن الإمام الصادق عليه السلام قال : ( وفيه مصحف فاطمة عليها السلام وما فيه آية من القران )[١٣٢٨].

وكذلك انه جاء عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ( وعندنا مصحف فاطمة عليها السلام أما والله ما هو بالقران )[١٣٢٩].

وأما يحتويه مصحف فاطمة عليها السلام فلقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال : ( وكان جبرئيل عليه السلام يأتيها فيُحسن عزاءَها على أبيها، ويُطيب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانِه صلى الله عليه وآله وسلم ويخُبرها بما يكون بعدها في ذريتها)[١٣٣٠].

وجاء أن عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال : ( وليخرجوا مصحف فاطمة عليها السلام فان فيه وصية فاطمة عليها السلام )[١٣٣١]. ورد الإمام الصادق عليه السلام عن سؤالهم ما هو مضمونه فقال : ( أما إنه ليس فيه شيء من الحلال والحرام ، ولكن فيه علم ما يكون )[١٣٣٢].

تجد في الإمامة والتبصرة ، لابن بابويه القمي : صحيفة فاطمة عليها السلام أو مصحف فاطمة عليها السلام أو كتاب فاطمة عليها السلام. فقد ورد التعبير بكل ذلك عن كتاب ينسب إليها عليها السلام كان عند الأئمة، وردت فيه أسماء من يملك من الملوك[١٣٣٣].

ومصحف فاطمة عليها السلام تجد ففيه ما يكون من حادث وأسماء كل من يملك إلى أن تقوم الساعة[١٣٣٤]. وقال العلامة المجلسي: الظاهر من أكثر الأخبار اشتمال مصحفها عليها السلام على الأخبار فقط[١٣٣٥].

---

١٣٢٧- نفس المصدر ، ١٦٠ .

١٣٢٨- بحار الأنوار : ٢٦ / ٣٨ .

١٣٢٩- الكافي : ١ / ٢٤١ ، وبحار الأنوار : ٢٢ / ٥٤٥ ، وبصائر الدرجات : ١٧٣ ، وموسوعة الإمام الصادق عليه السلام : ١٠ / ٩٢ .

١٣٣٠- بحار الأنوار : ٢٦ / ٤٣ .

١٣٣١- الكافي : ١ / ٢٤٠ ، وبصائر الدرجات : ١٧٧ .

١٣٣٢- ١٠ / ٩٣ ، حديث ( ٥٣٨٨ ) ، وبحار الأنوار : ٢٦ / ٤٤ .

١٣٣٣- الإمامة والتبصرة : ١٢ بتصرف

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة الثامنة

## مفارقات تاريخية

أن هناك علاقة لهذه الآية الكريمة بكلامنا فنبدأ بتوضيح ومقصود معنى قوله تعالى : ( الرحمن على العرش استوى ) ثم نتطرق لحديث الافك وتوقيت الزمن وغيرها .

١ – حدثنا مُحَّد بن علي ما جيلويه قال : حدثنا مُحَّد بن يحيى العطار، عن سهل بن زياد الآدمي، عن الحسن بن محبوب، عن مُحَّد بن مارد قال: أن أبا عبدالله عليه السلام سئل عن قول الله عز وجل : (الرحمن على العرش استوى) فقال عليه السلام: استوى من كل شيء، فليس شيء هو أقرب إليه من شيء.

٢ – وعن أبي قال : حدثنا سعد بن عبدالله ، عن مُحَّد بن الحسين[١٣٣٦]عن صفوان بن يحيى ، عن عبدالرحمن بن الحجاج ، قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل : الرحمن على العرش استوى[١٣٣٧] فقال عليه السلام: ( استوى من كل شيء فليس شئ أقرب إليه من شيء لم يبعد منه بعيد، ولم يقرب منه قريب، استوى من كل شيء).

٣ – حدثنا أبو الحسين مُحَّد بن إبراهيم بن إسحاق الفارسي ، قال : حدثنا أحمد بن مُحَّد أبوسعيد النسوي ، قال : حدثنا أبو نصر أحمد بن مُحَّد بن عبدالله الصغدي بمرو[١٣٣٨] قال:

حدثنا مُحَّد بن يعقوب بن الحكم العسكري وأخوه معاذ بن يعقوب، قالا: حدثنا مُحَّد بن سنان الحنظلي، قال : حدثنا عبدالله بن عاصم ، قال : حدثنا عبدالرحمن بن قيس ، عن أبي هاشم الرماني، عن زاذان .

---

١٣٣٤- الخرائج والجرائح : ٢ / ٨٩٤ ، أعلام الورى : ٢٨٥ ، بحار الأنوار : ٢٦ / ١٨ .

١٣٣٥- بحار الأنوار ، المجلسي ، ٢٦ / ٤٠ .

١٣٣٦- في نسخة (ط) وحاشية نسخة (ن) و (هـ) عن مُحَّد بن الحسن .

١٣٣٧- سورة طه ٥ .

١٣٣٨- الصغد بالضم فالسكون قرى بين بخارا وسمرقند.

عن سلمان الفارسي في حديث طويل يذكر فيه قدوم الجاثليق المدينة مع مائة من النصارى بعد قبض رسول الله ﷺ وسؤاله أبا بكر عن مسائل لم يجبه عنها ، ثم ارشد إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فسأله عنها فأجابه ، وكان فيما سأله أن قال له :

أخبرني عن الرب أين هو وأين كان ؟ فقال علي عليه السلام : لا يوصف الرب عز وجل بمكان ، هو كما كان ، وكان كما هو، لم يكن في مكان ، ولم يزل من مكان إلى مكان، ولا احاطة به مكان، بل كان لم يزل بلاحد ولا كيف .

قال: صدقت . فأخبرني عن الرب أفي الدنيا هو أو في الآخرة؟ قال علي عليه السلام: لم يزل ربنا قبل الدنيا، ولايزال أبدا، هو مدبر الدنيا، وعالم بالآخرة، فأما أن يحيط به الدنيا والآخرة فلا، ولكن يعلم ما في الدنيا، والآخرة. قال: صدقت يرحمك الله.

ثم قال : أخبرني عن ربك أيحمل أو يحمل؟ فقال علي عليه السلام: إن ربنا عز وجل يحمل ولا يحمل ، قال النصراني: فكيف ذاك؟ ونحن نجد في الانجيل (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية).

فقال علي عليه السلام : إن الملائكة تحمل العرش ، وليس العرش كما تظن كهيئة السرير، ولكنه شيء محدود مخلوق مدبر، وربك عز وجل مالكه، لا أنه عليه ككون الشيء على الشيء، وأمر الملائكة بحمله، فهم يحملون العرش بما أقدرهم عليه. قال النصراني : صدقت رحمك الله – والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة، وقد أخرجته بتمامه في آخر كتاب النبوة.

٤ – حدثنا مُحَّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد قال: حدثنا مُحَّد بن يحيى العطار، عن سهل بن زياد، عن الحسن بن موسى الخشاب، عن بعض رجاله رفعه، عن أبي عبدالله عليه السلام أنه سئل عن قول الله عز وجل: (الرحمن على العرش استوى) فقال عليه السلام: (استوى من كل شيء، فليس شيء أقرب إليه من شيء).

٥ – حدثنا مُحَّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد قال: حدثنا الحسين بن الحسن بن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن عاصم بن حميد، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ( من زعم أن الله عز وجل من شيء أوفي شيء أو على شيء فقد كفر)، قلت : فسر لي . قال عليه السلام: (أعني بالحواية من الشيء له ، أو بإمساك له ، أو من شيء سبقه).

٦ – وفي رواية اخرى قال عليه السلام: من زعم أن الله من شيء فقد جعله محدثا ، ومن زعم أنه في شيء فقد جعله محصورا، ومن زعم أنه على شيء فقد جعله محمولا.

٧ – حدثنا مُحَّد بن موسى بن المتوكل قال : حدثنا عبدالله بن جعفر، عن أحمد بن مُحَّد، عن الحسن بن محبوب، قال: حدثني مقاتل بن سليمان، قال: سألت جعفر بن مُحَّد عليه السلام عن قول الله عز وجل: (الرحمن على العرش استوى) فقال عليه السلام: ( استوى من كل شيء، فليس شيء أقرب إليه من شيء).

٨ – وبهذا الاسناد ، عن الحسن بن محبوب ، عن حماد ، قال : قال أبوعبدالله عليه السلام: ( كذب من زعم أن الله عز وجل من شيء أو في شيء أو على شيء).

٩ – حدثنا مُحَّد بن علي ما جيلويه عن عمه مُحَّد بن أبي القاسم، عن أحمد ابن أبي عبدالله ، عن أبيه ، عن مُحَّد بن سنان ، عن المفضل بن عمر، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ( من زعم أن الله عز وجل من شيء أو في شيء أو على شيء فقد أشرك). ثم قال عليه السلام: ( من زعم أن الله من شيء فقد جعله محدثا ، ومن زعم أنه في شيء فقد زعم أنه محصور[١٣٣٩] ، ومن زعم أنه على شيء فقد جعله محمولا).

فالمشبهة تتعلق بقوله تعالى : ( إن ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا)[١٣٤٠]. ولا حجة لها في ذلك لأنه عز وجل عنى بقوله تعالى : ( استوى على العرش).

أي بمعنى ثم نقل إلى فوق السماوات وهو مستولي عليه ومالك له، وقوله تعالى : (ثم) إنما لرفع العرش إلى مكانه الذي هو فيه ونقله للاستواء. فلا يجوز أن يكون معنى قوله : (استوى) استولى لان استيلاء الله تبارك وتعالى على الملك وعلى الاشياء ليس هو بأمر حادث، بل لم يزل مالكا لكل شيء ومستوليا على كل شيء .

وإنما ذكر عز وجل الاستواء بعد قوله: (ثم) وهو يعنى الرفع مجازا، وهو كقوله تعالى: ( ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين)[١٣٤١]. فذكر (نعلم) مع قوله : (حتى) والله جل جلاله يعني حتى يجاهد المجاهدون ونحن نعلم ذلك لان حتى لا يقع إلا على فعل حادث، وعلم الله تعالى بالأشياء لا يكون حادث .

وكذلك ذكر قوله تعالى : (استوى على العرش). ولكن حاصل المراد (ثم) لا يتعلق بقوله (استوى) لأنه بمعنى استولى واستيلاؤه تعالى على العرش لا يكون متأخرا عن خلق السماوات والأرض

---

١٣٣٩– في نسخة : ومن زعم أنه في شئ فقد جعله محصورا .

١٣٤٠– الاعراف ٥٤ .

١٣٤١– سورة مُحَّد الاية ٣١.

لأنه مالك ملك مستول على كل شيء أزلاً، بل يتعلق بمحذوف تقديره ثم نقل العرش إلى فوق السماوات لأنه استوى عليه. وقيل :

قيل : ثم اظهر استواؤه على العرش للملائكة .

قيل : ثم قصد إلى خلق العرش فخلقه بعد خلق السماوات والارض.

قيل : ثم بين أنه استوى على العرش.

قيل : ثم وصف مستو على العرش لأنه لم يكن عرش قبل وجوده.

قيل : ثم لمجرد الترتيب ، والاستواء هو الاستيلاء الفعلي الظاهر عن مقام الذات في الخلق بعد الايجاد ، وحاصل المعنى أنه ﷻ استوى على العرش الذى هو جملة الخلق في بعض التفاسير بتدبير الامر ونفاذه فيه بعد الايجاد ألا له خلق الاشياء وأمرها بعد ايجادها، ولا يخفى أن معنى الاستيلاء أنسب بسياق هذه الآية .

ومعنى مساواة النسبة أنسب بقوله : ( الرحمن على العرش استوى) ثم ان قوله : (على العرش) متعلق باستوى ان فسر بالاستيلاء ، وان فسر بمساواة النسبة فمتعلق بمحذوف واستوى حال أو خبر بعد خبر، أو ضمن معنى الاستيلاء فمتعلق به أيضا.

بعد قوله لفظ (ثم) وهو يعني بذلك ثم رفع العرش لاستيلائه عليه ، ولم يعن بذلك الجلوس واعتدال البدن لان الله لا يجوز أن يكون جسما ولاذا بدن، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، واستغفر الله.

**أولاً : الخلافة والإمامة**

تجد ان الإمامة في مصادر أهل السنة ، وفكرة الخلافة والامامة هي نقطة الخلاف بين الشيعة الامامية وأهل السنة منذ القديم ، وبقيت حتى يومنا هذا ، وصحة الإمامة وعدم صحتها عند الشيعة وأهل السنة ، تظهر من معتقدات الفريقين في التوحيد والنبوة والعدل .

فاذا كانت معتقدات أحدهما صحيحة تكشف عن صحة معتقدات تلك الفرقة في الإمامة، وإلا لم تكن معتقداتهم في الإمامة صحيحة لفساد تلك المعتقدات.

وهذا يظهر مما سبق في بيان عقيدة كل من الشيعة وأهل السنة ، وهذا لا يحتاج إلى دليل ، إلا من باب تأكيد صحة معتقد تلك الفرقة ، ولهذا نرى الشيعة يعتمدون على صحة ما يذهبون إليه من القول بالنص على أدلة لا خلاف فيها ، معتمدين على ما ثبت صحته عند المسلمين جميعا ليكون أقرب إلى الاستدلال بعيدا عن الأهواء والاحقاد.

فالإمامة والخلافة لفظتان تعبران عن معنى واحد ، وهو الرياسة العامة في أمور الدين والدنيا نيابة عن النبيﷺ، وسمي القائم بهذه المهمات إماماً ، لأن الناس يسيرون وراءه فيما يشرع لهم ويرشدهم إليه.

وسمي بالخليفة كما كان الشايع في عصر الخلفاء أو ما بعده ، لأنه يخلف الرسولﷺ في إدارة شؤون الامة وقيادتها ، ولهذا كانت الإمامة والخلافة هي الحجر الاساسي عند جميع الفرق الاسلامية ، بل عند جميع العقلاء .

لأن في الامامة والخلافة تقام معالم الاسلام ، ويعرف الحلال والحرام ، وتقام الحدود وتدرأ المفاسد ، ولأجل هذا لم يهمل الاسلام هذا الركن الذي تتوقف عليه معالم واستمرارية الشريعة ، فأوضحه بصريح العبارة دون التلويح والاشارة بنصوص لا تقبل التأويل كما سنشير إليها إن شاء الله.

أما الشيعة الإمامية فكلهم متفقون على وجوب الإمامة والخلافة العامة من طريق العقل والشرع ، وأن اختيار الامام يعود إلى الله وحده ، لأن وجود الامام لطف من الله ، يقربهم من الطاعات ويصدهم عن المعاصي والمنكرات ، واللطف واجب عليه سبحانه بحكم العقل ، وقد عين النبيﷺ لهم الامام من بعده بأمر ربه، ونص عليه بوصفه واسمه كما تؤكد النصوص الاسلامية .

وقد وافق الشيعة بهذا القول أكثر المعتزلة ، كما يقول النظام : ( أولا: لا أمامة إلا بالنص والتعيين ظاهرا ومكشوفا . وقد نص النبيﷺ على عليعليه السلام في مواضع وأظهره إظهارا لم يشتبه على الجماعة ، إلا أن عمر كتم ذلك ، وهو الذي تولى بيعة أبي بكر يوم السقيفة)[١٣٤٢].

ووافقه الاسواري في جميع ما ذهب إليه وكذلك أبو جعفر الإسكافي وأصحابه من المعتزلة ، والجعفريان : جعفر بن مبشر، وجعفر بن حرب ، وكذلك مُحَمَّد بن شبيب ، وأبو شمر، وموسى بن عمران من أصحاب النظام ، وكذلك الخابطية أصحاب أحمد بن خابط ، والحديثية أصحاب الفضل الحديثي[١٣٤٣].

---

١٣٤٢– الشهرستاني: الملل والنحل، مطبعة مصطفى البابي بمصر، عام ١٩٦١، ج١، ص٥٧.

١٣٤٣– مُحَمَّد علي ابو ريان ، كتاب تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام، طبعة الاسكندرية، عام ١٩٧٤م، ص١٧٨.

والإمامة عند الشيعة لم تتحقق عن اختيار ورغبة الناس بقبول شخص أو تعيينه لهذا المنصب الالهي ، وإنما خاضعة لإرادة الله يختار من يشاء من عباده ممن تتوفر فيه شروط الإمامة ، ولهذا فهي رياسة عامة إلهية خلافة عن رسول الله ﷺ في أمور الدين والدنيا ، وحفظ حوزة الملة بحيث يجب اتباعه على كافة الأمة.

فالمراد بالإمامة هنا تولي السلطة المطلقة التي كانت للنبي دون استثناء، ولذا تسمى بخلافة النبي ﷺ ، وتجب طاعة الامام على الامة كافة كما تجب طاعة النبي كذلك .

والأدلة التي ساقها الشيعة على تعيين النبي ﷺ لشخص الامام علي ابن أبي طالب عليه السلام تبطل القول بالشورى والاختيار لتهافته وعدم حصولها على مر العصور منذ وفاة النبي ﷺ حتى يومنا هذا، هذا أولا.

وأما ثانيا ، فإن الأدلة التي اعتمدوها كلها من كتب أهل السنة ، سواء كانت أدلة من القرآن الكريم ، كآية الانذار والولاية وآية التطهير والمودة وغيرها ، أم من السنة الصحيحة كحديث الغدير والمنزلة والثقلين وغيرها من الأحاديث الناصة على خلافته.

ولا شك أن كل من يؤمن بنبوة النبي ﷺ وأنه لا ينطق من الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، ينبغي أن يؤمن بهذه الأحاديث ، لئلا يشاقق الله ورسوله ، ويتبع غير سبيل المؤمنين وذلك في قوله تعالى : (ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا )[١٣٤٤] .

ومن أجل هذا نذكر جملة من الأدلة على سبيل المثال والاختصار، ليتضح معتقد الشيعة في الإمامة وأنها بالنص ، وهذه الأدلة مقتبسة من مصادر أهل السنة الناصة على خلافة الامام علي عليه السلام.

النص الأول : آية الانذار أو الدار، كما في قوله تعالى : ( وأنذر عشيرتك الأقربين)[١٣٤٥] . من الآيات الصريحة التي يستند عليها الشيعة في إثبات الوصية والنص لعلي بن أبي طالب عليه السلام آية الانذار، التي أخرجها علماء أهل السنة ورواتهم في الامام علي عليه السلام.

---

١٣٤٤- النساء ١١٥ .

١٣٤٥- الشعراء ٢١٤ .

فقد أخرج الطبري في تأريخه وابن الاثير في الكامل في حديث طويل عن علي بن أبي طالب عليه السلام، وذلك عندما نزلت الآية : (وأنذر عشيرتك الأقربين) قول رسول الله صلى الله عليه وآله: ..وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيكم يؤازرني على هذا الامر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم، قال :

فأحجم القوم عنها جميعا ، وقلت :.. أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه ، فأخذ برقبتي ، ثم قال : إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم ، فاسمعوا له وأطيعوا ، قال : فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع[١٣٤٦] .

يقول الشهرستاني : (وأما تصريحاته- أي النبي- فمثلما جرى في نأنأة الاسلام، - أي حين كان ضعيفا- حين قال : من الذي يبايعني على ماله؟ فبايعه جماعة. ثم قال : من الذي يبايعني على روحه وهو وصي وولي هذا الأمر من بعدي؟ فلم يبايعه أحد حتى مد أمير المؤمنين علي عليه السلام يده فبايعه على روحه ووفى بذلك ، حتى كانت قريش تعير أبا طالب أنه أمر عليك ابنك)[١٣٤٧] .

وهذا الحديث الذي يدل على الوصاية من النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام قد اخرجه أصحاب التفسير من علماء السنة وراتهم منهم : أبو الحسن النيسابوري في اسباب النزول[١٣٤٨]، والقندوزي في ينابيع المودة[١٣٤٩]، وابن حجر العسقلاني في الإصابة[١٣٥٠] والامام أحمد في المسند[١٣٥١]، والمحب الطبري في الرياض النضرة[١٣٥٢]، وابن كثير في تفسيره[١٣٥٣]، وغير هؤلاء من علماء السنة وحفاظهم[١٣٥٤] .

إذا نظرنا إلى هذا الحديث، نجد أن النبي صلى الله عليه وآله جعل الوصاية والخلافة للذي يؤازره على أمر الرسالة ، ولم يؤازره على هذا الامر غير الامام علي عليه السلام، فتثبت بمقتضى ذلك وصايته وخلافته.

---

١٣٤٦- ابن الأثير: الكامل، بيروت، الطبعة الثالثة ، عام ١٩٨٠م، ج٢، ص٤١، ٤٢.

١٣٤٧- الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص١٦٣.

١٣٤٨- النيسابوري: اسباب النزول، ص١٤٨.

١٣٤٩- القندوزي: ينابيع المودة، ج١، ص١٠٤.

١٣٥٠- ابن حجر العسقلاني: الإصابة، ج٤، ص٥٦٨.

١٣٥١- الامام أحمد: المسند، ج١، ص١١١.

١٣٥٢- المحب الطبري: الرياض النضرة، ج٢، ص١٦٨.

١٣٥٣- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٢، ٣٥٠- ٣٥١.

١٣٥٤- القزويني ، أصول المعارف، ص٨٧- ٨٩.

ولما كان أهل البيت أفضل من غيرهم بمقتضى قوله تعالى : ( قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) ، فاذا ثبتت الخلافة والوصاية للإمام علي على هؤلاء الذين أمر الله سبحانه المسلمين بمودتهم ومحبتهم لفضيلتهم على غيرهم فمن طريق اولى أن تثبت خلافة الإمام علي عليه السلام على المسلمين

النص الثاني : آية الولاية ، كما في قوله تعالى : ( إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون)[١٣٥٦] .

ومن النصوص الصريحة على وجود النص على خلافة الامام علي عليه السلام قوله تعالى : (إنما وليكم.. الآية). فهي تدل على أن الولاية المطلقة لله عز وجل فهو المتصرف في شؤون عباده ، ولما كان العطف في اللغة يفيد المشاركة في الحكم ، فان هذه الآية بمقتضى هذا العطف تكون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وليس المراد من الولاية هنا- كما توهمه البعض- الاولى ، أو المحب ، لعدم استقامة ذلك بالنسبة لله سبحانه ، وذلك بمقتضى العطف ، وإذا ثبت ذلك ، فيكون معناها المتصرف في شؤون الغير، وهي الإمامة والخلافة المطلقة، فتكون ثابتة بمقتضى هذه الآية في الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكان وهم راكعون ، وهذه الآية نزلت في الإمام علي باتفاق أهل السنة والشيعة، فهو المجمع عليه دون سواه.

يقول الزمخشري في كشافه : ( وإنها نزلت في علي عليه السلام حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح خاتمه كأنه مرجا في خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلاته )[١٣٥٧] .

وفي تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (.. وإنما وليكم الله.. الآية). عن غالب بن عبد الله سمعت مجاهدا يقول في قوله : إنما وليكم الله ورسوله.. الآية ، نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام، تصدق وهو راكع ، وقال عبد الرزاق ، حدثنا عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس في قوله: إنما وليكم الله ورسوله.. نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام.

وروى ابن مردويه من طريق سفيان الثوري عن أبي سنان عن الضحاك عن ابن عباس قال : كان علي بن أبي طالب عليه السلام قائما يصلي فمر سائل وهو راكع فأعطاه خاتمه فنزلت : (إنما وليكم الله ورسوله..)[١٣٥٨] .

---

١٣٥٥- مع الدكتور موسى الموسوي، ص٤٢ .

١٣٥٦- المائدة ، ٥٥ .

١٣٥٧- الزمخشري: الكشاف، ج١، ص٧١ .

وقد أخرج هذه الآية في الامام علي عليه السلام حفاظ أهل السنة ومفسروهم، منهم القرطبي في الجامع لأحكام القرآن[١٣٥٩]، والحاكم في شواهد التنزيل[١٣٦٠]، والنيسابوري في أسباب النزول[١٣٦١]، والسيوطي في الدر المنثور[١٣٦٢]، والفخر الرازي في التفسير الكبير[١٣٦٣]، وابن المغازلي في المناقب[١٣٦٤]، والمحب الطبري في الرياض النضرة [١٣٦٥]، وذخائر العقبى[١٣٦٦]، وسبط بن الجوزي في تذكرة الخواص، والقندوزي في ينابيع المودة وغير هؤلاء ، يقول حسان بن ثابت في هذه المناسبة[١٣٦٧] :

أبا حسن تفديك روحي ومهجتي* وكل بطيء في الهوى ومسارع

فأنت الذي أعطيت إذكنت راكعا* فدتك نفوس الخلق يا خير راكع

بخاتمك الميمون يا خير سيد * ويا خير شار ثم يا خير بايع

فأنزل فيك الله خير ولاية * وبينها في محكمات الشرايع

النص الثالث : آية المودة ، كما في قوله تعالى : ( قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى)[١٣٦٨] .

من الآيات الدالة على وجود النص آية المودة وأن المراد من القربى هو أقرباء النبي وأهل بيته باتفاق المسلمين ، وقد نزلت في الامام علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام . وأن مودتهم هي التسليم لهم بالامامة دون غيرهم وذلك بمقتضى البرهان التالي :

---

١٣٥٨- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص٧١.

١٣٥٩- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج٦، ص٢٢١.

١٣٦٠- الحاكم الحسكاني: شواهد التنزيل، ج١، ص١٦١.

١٣٦١- النيسابوري: أسباب النزول، ص١٣٢- ١٣٣.

١٣٦٢- السيوطي: الدر المنثور، ج٢، ص٢٩٣- ٢٩٤.

١٣٦٣- الفخر الرازي: التفسير الكبير، ج٣، ص٤١٧.

١٣٦٤- ابن المغازلي: المناقب، ص١٩٣- ١٩٤.

١٣٦٥- المحب الطبري: الرياض النضرة، ج٣، ص٣٠٨.

١٣٦٦- المحب الطبري: ذخائر العقبى، ص٨٨.

١٣٦٧- سبط بن الجوزي: تذكرة الخواص، ص١٥- ١٦ .

١٣٦٨- الشورى ٢٣ .

إن مودة أهل البيت واجبة بمقتضى الآية الكريمة وكل من وجبت مودته وجبت طاعته بمقتضى قوله تعالى : ( إن كنتم تحبون الله فاتبعوني..) ، وعلى هذا نقول : إذا ثبت وجوب المودة ، ثبت وجود الطاعة ، ومن وجبت طاعته وجبت امامته ، فيتكون عندنا البرهان التالي، وهو قياس من الشكل الأول:

| – من وجبت مودته وجبت طاعته |
| --- |
| – وكل من وجبت طاعته وجبت إمامته |
| **والنتيجة : من وجبت مودته وجبت إمامته** |

فيتعين إمامة أهل البيت عليهم السلام، وأما دليل الصغرى ، كما في قوله تعالى : ( قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) . وأما دليل الكبرى ، كما في قوله تعالى : ( إن كنتم تحبون الله فاتبعوني...) .

وهذا القياس منتج ، لأن شروط الشكل الأول متوفرة فيه ، وهي ايجاب الصغرى وكلية الكبرى ، وعلى هذا يثبت النص على خلافة الامام علي عليه السلام.

وإليك ما جاء عن مفسري أهل السنة وحفاظهم من أن آية المودة نزلت في علي وفاطمة وابنيهما عليهم السلام على سبيل المثال :

المعتزلة : هذا شيخهم الزمخشري في كشافه قد فسرها في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام حيث يقول : ( إنها لما نزلت ، قيل : يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ، قال : علي وفاطمة وابناهما)[١٣٦٩].

ومن هنا يظهر فساد من يدعي في قوله : ( أما غير الشيعة ، معتزلة وأهل سنة فيرون أن ذلك غير مراد بالآية.. وهي نزلت عندما آذى المشركون من قريش رسول الله..)[١٣٧٠]. إلى آخر مقولته أعرضنا عن ذكرها ، ومن أراد معرفة ذلك فليرجع كتاب الشيعة والتصحيح ترى ما زعمه هذا القائل .

وأما أهل السنة فقد خرجوها بطرق كثيرة : منها ما نقله الحاكم عن سعيد بن جبير رضي الله عنه عن ابن عباس رضي الله عنه قال : ( لما نزلت : قل لا أسألكم عليه أجرا.. الآية.. قالوا : يا رسول الله من هؤلاء الذين أمرنا الله بمودتهم؟ فقال : "علي وفاطمة وولداها" وقد خرجها بطرق مختلفة)[١٣٧١].

١٣٦٩– الزمخشري: الكشاف، ج٣، ص٤٠٢.

١٣٧٠– مُحَمَّد عمارة ، الاسلام وفلسفة الحكم، ص٣٥١.

١٣٧١– الحاكم النيسابوري: شواهد التنزيل، ج٢، ص١٣٠ إلى ١٤١.

يقول القرطبي في تفسيره : ( وفي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس : لما أنزل الله ﷻ: – الآية – قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين نودهم؟ قال : علي وفاطمة وأبناؤهما)[١٣٧٢].

ولهذا جاء في أنوار التنزيل للبيضاوي : ( روى أنها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء؟ قال : علي وفاطمة وابناهما )[١٣٧٣].

وقد أخرج هذه الآية في هؤلاء مفسرو علماء السنة وحفاظهم منهم العلامة القمي النيسابوري بهامش جامع البيان للطبري[١٣٧٤]، والنسفي بهامش تفسير الخازن[١٣٧٥]، والفخر الرازي في تفسيره الكبير[١٣٧٦]، والطبري في جامع البيان[١٣٧٧]، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم[١٣٧٨]، والسيوطي في الدر المنثور[١٣٧٩]، وتفسير أبي العود[١٣٨٠]، وابن المغازلي في المناقب[١٣٨١]، والمحب الطبري في ذخائر العقبى[١٣٨٢]، وابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة[١٣٨٣]، والقندوزي في ينابيع المودة حيث يقول :

( أخرج الحديث الطبراني في معجمه الكبير وابن أبي حاتم في تفسيره، والحاكم في المناقب والواحدي في الوسيط، وأبو نعيم الحافظ في حلية الأولياء والثعلبي في تفسيره والحمويني في فرائد السمطين.. إلى غير ذلك ممن خرج الحديث في هؤلاء الخمسة )[١٣٨٤].

هذه نبذة مما ورد في كتب أهل السنة ، من أن آية المودة نزلت في خصوص علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، وأن المودة في الآية ليس معناها المحبة الصرفة ، بل معناها الطاعة والانقياد والاتباع ، وإلا فلا ميزة لهؤلاء على غيرهم إذا كانت المودة بمعنى المحبة ، وعلى هذا يثبت وجود النص .

---

١٣٧٢– القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج١٦، ص٢١، ٢٢.

١٣٧٣– البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ص٦٤٢.

١٣٧٤– تفسير غرائب القرآن للقمي النيسابوري، بهامش جامع البيان للطبري، الطبعة الثانية ، عام ١٩٧٢م، ج٢٥، ص٣٥.

١٣٧٥– تفسير النسفي بهامش تفسير الخازن، ج٤، ص١٠١.

١٣٧٦– الفخر الرازي: التفسير الكبير، طبعة مصر، ج٢٧، ص١٦٥– ١٦٧.

١٣٧٧– الطبري: جامع البيان، ج٢٥، ص٢٥.

١٣٧٨– ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٦، ص١٩٨، ١٩٩.

١٣٧٩– السيوطي: الدر المنثور، ج٦، ص٧.

١٣٨٠– تفسير أبي العود: طبعة بيروت دار إحياء التراث العربي، ج٨، ص٣٠.

١٣٨١– ابن المغازلي : المناقب، ص١٩١، ١٩٢.

١٣٨٢– المحب الطبري: ذخائر العقبى، ص٢٥.

١٣٨٣– ابن حجر الهيثمي: الصواعق المحرقة، ص٢٢٧.

١٣٨٤– القندوزي: ينابيع المودة، ج١، ص١٠٥.

النص الرابع : آية التطهير ودعوى الشيخ محمد ناصر الألباني ، كما في قوله تعالى : ( إنما يريد الله لذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)[١٣٨٥] .

قبل أن نشير إلى معنى الآية وما ورد فيها من أقوال علماء أهل السنة ومفسريهم ، ننقل دعوى الاستاذ محمد ناصر الألباني في كتبه سلسلة الأحاديث الصحيحة ، وهو يدعي أنه من نقاد الأحاديث ، وذلك في قول الألباني:

( وتخصيص الشيعة "أهل البيت" في الآية بعلي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ دون نسائه عليهم السلام من تحريفهم لآيات الله تعالى انتصارا لأهوائهم ... وحديث الكساء وما في معناه غاية ما فيه توسيع دلالة الآية ، ودخول علي وأهله فيها ، كما بينه الحافظ ابن كثير وغيره وكذلك حديث العترة...)[١٣٨٦] ، إلى آخر مفترياته .

وهذا سوء فهم من الشيخ الألباني بالأحاديث الصحيحة ، كما هو دليل على عدم أمانته في نقل الأحاديث الصحيحة ، اعتمادا على الأهواء ، وإلا فكيف جاز له أن يعتبر الآية نزلت في نساء النبي ﷺ ، مع أن الآية نص صريح على إذهاب الرجس عن أهل البيت، والمراد من الرجس، هو مطلق الذنب .

فعلى قول الألباني من أن الآية نزلت في نساء النبي يلزمه إذهاب الرجس عنهن وعدم عصيانهن ، وبالتالي لا يصح أن يقال : ( يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن..) فكيف يقال : (إن اتقيتن) وبين إذهاب مطلق الذنب عنهن، هذا أولا.

وثانيا : لو كان المراد من الآية نساء النبي ﷺ ، وأن الله عز وجل أراد إذهاب الرجس عنهن، لما صح قوله تعالى : ( يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا)[١٣٨٧] .

وثالثا : والذي يدل على عدم أمانة محمد ناصر الدين الألباني ، ما أخرجه الامام البخاري في صحيحه ، وهو ما يتعلق بنساء النبي ﷺ ومدى إيذائهن له ﷺ ، وهذا لا يجتمع مع إذهاب الرجس عنهن ، ولهذا جاء في صحيح البخاري: (إن النبي ﷺ هجر عائشة وحفصة شهرا كاملا وذلك بسبب

---

١٣٨٥- الأحزاب ٣٣ .

١٣٨٦- محمد ناصر الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج٤، ص٣٥٩، ٣٩٠.

١٣٨٧- الأحزاب ٣٠ .

إفشاء حفصة الحديث الذي أسره لها إلى عائشة، فقالت للنبيﷺ: إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا)[1388] .

وفي رواية أنس قال : (.. آلى رسول اللهﷺ من نسائه شهرا، وكان انفكت قدمه فجلس في علية له ، فجاء عمر فقال : أطلقت نسائك ؟ قال : لا، ولكن آليت منهن شهرا..)[1389] .

يقال للألباني : أتجتمع هذه الخصال مع قوله تعالى : ( إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا). مع أن اللازم أن يكون الضمير في عنكم "عنكن" وفي يطهركم "يطهركن" حسب سياق الآيات، ولكن ران على قلبه وعلى بصره غشاوة فهو لا يبصر بعين البصيرة بل بعين الحقد وتغيير آيات الله سبحانه .

وحسبك دليلا على افتراء الألباني ما أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس، وهو دليل على أن المراد من الآية هم علي وفاطمة والحسن والحسينعليهم السلام .

قال ابن عباسرضي الله عنه: ( لم أزل حريصا على أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبيﷺ اللتين قال الله تعالى : إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ، حتى حج وحججت معه.. إلى قوله : من المرأتان من أزواج النبيﷺ اللتان قال الله تعالى : إن تتوبا فقد صغت قلوبكما، قال: واعجبا يا ابن عباس ، هما عائشة وحفصة.. إلى قوله: فو الله إن أزواج النبيﷺ ليراجعنه وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل ، فأفزعني ذلك ، وقلت : قد خاب فعل ذلك منهن ، ثم جمعت علي ثيابي فنزلت فدخلت على حفصة ، فقلت لها : أي حفصة ، قد خبت وخسرت أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسولهﷺ فتهلكي..)[1390] .

ولنستمع الى الامام البخاري مرة أخرى حيث يعطينا الصورة الواضحة عن موقف نساء النبيﷺ ومدى احترامهن لهﷺ والذي يدعي "الشيخ الألباني" أن آية التطهير وإذهاب الرجس نزلت فيهن ظلما لآل بيت النبوة ، ما أخرجه في صحيحه في باب (من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نسائه دون بعض)، في حديث طويل عن ام المؤمنين عائشة جاء فيه:

---

١٣٨٨- صحيح البخاري: ج٣، ص٣٤ .

١٣٨٩- نفس المصدر .

١٣٩٠- نفس المصدر: ج٧، ص٢٨، ٢٩، وج٣، ص١٣٣.

(.. فأرسلن زينب بنت جحش فأتته – أي رسول اللهﷺ – فأغلظت وقالت: إن نساءك ينشدنك الله العدل في بنت ابن أبي قحافة ، فرفعت صوتها حتى تناولت عائشة ، وهي قاعدة فسبتها حتى أن رسول اللهﷺ ينظر إلى عائشة هل تكلم ، قال: فتكلمت عائشة ترد على زينب حتى أسكتتها..)[١٣٩١].

ان الشيخ صاحب سلسلة الاحاديث الصحيحة إذا كان هذا موقف نساء النبيﷺ منه ، يهجرنه اليوم واليومين، والشهر، ويتخاصمن أمامهﷺ، بل يتراشقن بالشتائم والسباب ، وينشدن منه العدل، ويغضبن عليه، كل ذلك قد صدر منهن حتى نزلت في حقهن آيات محكمات تخالف ما يدعيه الالباني من نزول آية التطهير فيهن، وذلك في قوله تعالى : (عسى ربه أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات عابدات..)[١٣٩٢].

هذا وقد خفي على الألباني أن من يؤذي رسول اللهﷺ فقد أعد الله له عذابا أليما وذلك في قوله ﷻ : ( إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا )[١٣٩٣].

بالإضافة إلى ما تقدم فاليك ما يرويه إمام الحديث – عند الألباني – الامام مسلم في صحيحه حينما قيل لزيد بن أرقم : ( من أهل بيته ، نساؤه؟ قال: لا وأيم الله، إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده)[١٣٩٤].

ومن هذا يظهر فساد ما ذهب إليه الألباني من أن آية التطهير نزلت في نساء النبيﷺ. وهذا ما أكده شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه حقوق آل البيت بين السنة والبدعة في بيان نزول هذه الآية.

كما عن أم سلمةعليها السلام في قوله : ( ولما بين سبحانه أنه يريد أن يذهب الرجس عن أهل البيت ويطهرهم تطهيرا. دعا النبيﷺ لأقرب أهل بيته وأعظمهم اختصاصا، به وهم : علي، وفاطمة، رضي الله عنهما، وسيدا شباب أهل الجنة، جمع الله لهم بين أن قضى لهم بالتطهير وبين أن قضى بكمال دعاء النبيﷺ فكان ذلك ملا دلنا على أن إذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم نعمة من الله)[١٣٩٥].

---

١٣٩١– نفس المصدر: ج٣، ص١٥٦، ١٥٧.

١٣٩٢– التحريم ٥ .

١٣٩٣– الأحزاب ٥٧ .

١٣٩٤– صحيح مسلم: ج٧، ص١٣٠، ١٣١. وكذلك : علي أحمد السالوس ، كتاب حديث الثقلين، ص١٣.

١٣٩٥– ابن تيمية: حقوق آل البيت، طبعة ١٩٨١م، الجيزة ، ص١٠، ١١، ١٢.

وهذا يدل صراحة أن الآية نزلت في هؤلاء دون سواهم من نساء النبيﷺ كما يدعيه الألباني خصوصا إذا عرفنا أن موقف ابن تيمية من شيعة عليعليه السلام، موقف المنازع المنكر لكل ما يعتقده الشيعة ، ومع هذا سلم بأن آية التطهير نزلت في علي، وفاطمة والحسن والحسينعليهم السلام .

وتأكيداً لهذا إليك ما جاء عن مفسري أهل السنة ورواتهم ، على سبيل المثال: روى الإمام مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة قالت : خرج النبيﷺ غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود ، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله، ثم قال:

( إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)[١٣٩٦] . وأنت ترى أن أم المؤمنين عائشة تعترف بان الآية لم تنزل فيهن، وهي أحدى نساء النبيﷺ والمقربة لهﷺ كما يقال.

وروى ابن تيمية عن أم سلمةعليها السلام ، وهي من نساء النبيﷺ أيضا : (إن هذه الآية لما نزلت أدار النبيﷺ كساءه على علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا)[١٣٩٧] .

يقول القرطبي في تفسير هذه الآية: (.. وإن هذا الشيء جرى في الأخبار أن النبيﷺ لما نزلت عليه هذه الآية، دعا عليا وفاطمة والحسن والحسين، فعمد النبيﷺ إلى كساء فلفها عليهم، ثم ألوى بيده إلى السماء، فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا)[١٣٩٨] .

وفي ذلك يقول البيضاوي في تفسيره : ( وتخصيص الشيعة أهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما عليهم السلام لما روي أنه عليه الصلاة والسلام خرج ذات غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود...)[١٣٩٩] .

وفي تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ( إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس... الآية)... عن أنس بن مالك قال: إن رسول اللهﷺ كان يمر بباب فاطمة عليها السلام ستة اشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول:

---

١٣٩٦- صحيح مسلم: ج٧، ص١٣٠.

١٣٩٧- ابن تيمية: حقوق آل البيت، ص١٠.

١٣٩٨- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج١٤، ص١٨٤.

١٣٩٩- البيضاوي: أنوار التنزيل، ص٥٥٧.

( الصلاة يا أهل البيت، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا). وقد أخرجها ابن كثير في تفسيره بطرق مختلفة[١٤٠٠].

ولهذا يقول ابن حجر في صواعقه : ( إن أكثر المفسرين على أنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين)[١٤٠١]. ويقول أيضا: (وصح أنهﷺ جعل على هؤلاء كساء وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي- أي خاصتي- أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، فقالت أم سلمة: وأنا معهم، قال: إنك على الخير)[١٤٠٢].

وهذا دليل قاطع على أن نساء النبيﷺ لا تشملهن الآية المباركة، ويؤيد ذلك أيضا بالإضافة إلى ما ذكرناه، ما ترويه أم المؤمنين عائشة قالت لابن عم لها حينما سألها عن عليعليه السلام، فقالت: تسألني عن رجل كان من أحب الناس إلى رسول اللهﷺ وكانت تحته ابنته وأحب الناس إليه؟ لقد رأيت رسول اللهﷺ دعا عليا وفاطمة وحسنا وحسينا عليهم السلام فألقى عليهم ثوبا فقال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) قالت: فدنوت منهم، فقلت: يا رسول الله وأنا من أهل بيتك، فقالﷺ: تنحي فإنك على خير[١٤٠٣].

فقولهﷺ : تنحي لدليل قاطع على أنها ليست من أهل البيت الذين دلت عليهم الآية. وأخرج الحافظ الذهبي في تلخيصه على المستدرك في حديث صحيح عن ابن عباس قال: (.. وأخذ رسول اللهﷺ ثوبه فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين وقال: "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت" الآية.. صحيح).

يقول الحاكم في مستدركه هذا الحديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه)[١٤٠٤]. وهذا وقد أخرج هذه الآية في هؤلاء الخمسة علماء أهل السنة منهم :

النيسابوري في أسباب النزول[١٤٠٥]، والقندوزي في ينابيع المودة[١٤٠٦]، والنسائي في الخصائص[١٤٠٧]، والزمخشري في الكشاف[١٤٠٨]، والامام أحمد كما عن أنس بن مالك قال: (إن رسول اللهﷺ كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى الصلاة..)[١٤٠٩].

---

١٤٠٠- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٤٨٣، ٤٨٥.

١٤٠١- ابن حجر الهيثمي: الصواعق المحرقة، ص١٤١.

١٤٠٢- نفس المصدر: ص١٤٣.

١٤٠٣- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٤٨٥-٤٨٦ .

١٤٠٤- المستدرك للحاكم وبهامشه تلخيص الذهبي: ج٣، ص١٣٢، ١٣٣.

والبلاذري في أنساب الاشراف[1410]، والبيهقي في كتابه الاعتقاد على مذهب السلف[1411]، وابن المغازلي في المناقب[1412]، والمحب الطبري في ذخائر العقبى[1413]، إلى غير ذلك، وما ذكرناه ففيه الكفاية لطالب الهداية .

وقال الدكتور أحمد صبحي معلقا على آية التطهير : ( وهذا التفسير يفيد أن آل البيت بيت النبي هم المقصودون من لفظ القربى في الآية... إذ ان ابن تيمية مع تطرفه في معارضة تفسيرات الشيعة، قد سلم أنه ورد في الصحيح أن النبيﷺ قد خطب يوم غدير خم فقال: أذكركم في أهل بيتي، قالها ثلاثا)[1414].

وهذا ما جاء عن حفاظ أهل السنة وثقاتهم من نزول الآية في رسول اللهﷺ وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسينعليهما السلام فتخصيص النبيﷺ هؤلاء بالخصوص من دون جميع المسلمين وفيهم أقرباؤه ، لدليل واضح على تهيئة الجو لهم لاستلام الخلافة من بعده، وتنبيه المسلمين على أن هؤلاء هم الصفوة التي ينبغي أن يسند إليهم قيادة المسلمين.

ومن هذا يقول العلامة المناوي في فيض القدير في شرح الجامع الصغير للعلامة السيوطي في حديث صحيح : (..أهل بيتي: تفصيل بعد إجمال بدلا او بيانا وهم أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا)[1415].

ولهذا جاء في صحيح الامام مسلم : (ولما نزلت هذه الآية: فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم... دعا رسول اللهﷺ عليا وفاطمة وحسنا وحسينا، فقال: اللهم هؤلاء أهلي)[1416]. ومن كل هذا يظهر لنا

---

١٤٠٥- النيسابوري: أسباب النزول، ص٢٣٩.

١٤٠٦- القندوزي، ينابيع المودة، ج١، ص٥٤.

١٤٠٧- النسائي: الخصائص، ص٩.

١٤٠٨- الزمخشري: الكشاف، ج١، ص١٩٣.

١٤٠٩- الامام أحمد: المسند، ج٣، ص٢٥٩، طبعة عام ١٩٨٣م.

١٤١٠- البلاذري: أنساب الأشراف، ص١٠٤.

١٤١١- البيهقي: الاعتقاد على مذهب السلف، ص١٨٦.

١٤١٢- ابن المغازلي: المناقب، ص١٨٩.

١٤١٣- المحب الطبري: ذخائر العقبى، ص٢١.

١٤١٤- أحمد محمود صبحي: نظرية الامامة، ص١٨٤.

١٤١٥- العلامة المناوي ، فيض القدير، ج٣، ١٤، ١٥.

١٤١٦- صحيح مسلم: ج٧، ص١٢٠، ١٢١.

ما قاله الاستاذ مُحَّد ناصر الدين الألباني في كتابه سلسلة الاحاديث الصحيحة، فهو اسم على غير مسماه، تحريفا لما جاء عن النبيﷺ.

النص الخامس : حديث المنزلة والوصية : قال رسول اللهﷺ لعلي: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي). من النصوص الجلية الدالة على وجود النص على خلافة الامام عليعليه السلام، ما يرويه علماء أهل السنة وحملة الآثار، وهو حديث المنزلة وأحاديث الوصية .

يقول الدكتور أحمد صبحي : ( إن بعض علمائهم – أي الشيعة – كعبد الحسين شرف الدين والموسوي القزويني، يذكرون إضافة إلى متن الحديث غير مذكور في النص السني أو حتى النص الذي بينه كثير من علماء الشيعة أنفسهم ، وهو قول رسول اللهﷺ "إلا أنه لا نبي بعدي إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي"، ولاشك أن هذه العبارة تجعل من الحديث نصا جليا في إمامة علي يحسم كل اختلاف ويضع حدا للتفسيرات المتباينة التي استخلصتها الفرق من دلالة الحديث، وينسب السيد القزويني هذه الإضافة إلى الحاكم في المستدرك والذهبي في الجزء الثالث من تلخيصه صفحة١٤٣..)[١٤١٧].

وما أخرجه علماء أهل السنة من وجود هذه الاضافة لتكون نصا صريحا على خلافة الإمام عليعليه السلام كما يقول الدكتور صبحي، لنحسم كل خلاف : أخرج الامام أحمد في مسنده أن رسول اللهﷺ قال لعلي :

( أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنك لست بنبي إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي. قال: قال رسول الله: أنت وليي في كل مؤمن بعدي.. قال: من كنت مولاه فإن مولاه علي..)[١٤١٨].

وفي المستدرك للحاكم عن ابن عباس قال: (خرج رسول اللهﷺ في غزوة تبوك، وخرج الناس معه، فقال له علي: أخرج معك؟ قال: فقال النبيﷺ: لا، فبكى علي، فقال له: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس بعدي نبي إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي، قال ابن

١٤١٧- أحمد محمود صبحي: نظرية الامامة، ص٢٢٥.

١٤١٨- الامام أحمد: المسند، ج١، ص٣٣١.

عباس: وقال له رسول اللهﷺ: أنت ولي كل مؤمن بعدي ومؤمنة. هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه)[١٤١٩]. أي البخاري ومسلم.

يقول الحافظ الذهبي في تلخيصه : (.. قال: – أي ابن عباس– وخرج رسول اللهﷺ في غزوة تبوك فبكى علي، فقال: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس بعدي نبي إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي، وقال له : أنت ولي كل مؤمن بعدي ومؤمنة.. صحيح)[١٤٢٠]. وأنت ترى أن الحافظ قد حكم بصحة هذا الحديث، ومن هنا يثبت النص الجلي على خلافة الامام علي بن أبي طالبعليه السلام .

وأخرج النسائي ، وهو أحد أصحاب الصحاح الستة، قال : (وخرج– النبي– بالناس في غزوة تبوك، قال: فقال له علي : أخرج معك ؟ فقال نبي الله: لا، فبكى علي، فقال له: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنك لست بنبي، إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي)، قال: (وقال رسول اللهﷺ: أنت ولي في كل مؤمن بعدي)[١٤٢١].

وفي الاصابة للعسقلاني : إن رسول اللهﷺ قال لعلي في غزوة تبوك: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنك لست بنبي، إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي، وقال له: أنت ولي كل مؤمن من بعدي)[١٤٢٢].

وأخرج القندوزي عن ابن عباس قال : قال رسول اللهﷺ لعلي لما خرج إلى غزوة تبوك وخرج الناس معه دون علي، فبكى: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي[١٤٢٣].

هذه نبذة مما رواه علماء أهل السنة من حديث المنزلة ، اقتصرنا على ذكر الإضافة التي ذكرها الدكتور أحمد صبحي ، ونفى وجودها في نصوص أهل السنة ، لتكون نصا صريحا –كما يقول – على خلافة الإمام عليعليه السلام.

١٤١٩– الحاكم النيسابوري : المستدرك على الصحيحين، طبعة دار المعرفة ، لبنان – بيروت، ج٣، ص١٣٣، ١٣٤.

١٤٢٠– تلخيص الحافظ الذهبي على المستدرك، ج٣، ص١٣٣، ١٣٤.

١٤٢١– النسائي: الخصائص، ص١٧، ١٨.

١٤٢٢– ابن حجر العسقلاني: الاصابة، ج٤، ص٥٦٨.

١٤٢٣– القندوزي : ينابيع المودة، ج٢، ص٥٨.

النص السادس : حديث الغدير : قال رسول الله ﷺ لعلي في حجة الوداع : (... من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره ، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيثما دار، اللهم هل بلغت).

يقول سبط بن الجوزي : ( اتفق علماء أهل السير على أن قصة الغدير كانت بعد رجوع النبي ﷺ من حجة الوداع في الثامن عشر من ذي الحجة، جمع الصحابة وكانوا مائة وعشرين ألفا وقال من كنت مولاه فعلي مولاه، الحديث) نص ﷺ على ذلك بصريح العبارة دون التلويح والإشارة .

وذكر أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره بإسناده : (أن النبي ﷺ لما قال ذلك طار في الاقطار وشاع في البلاد والامصار... إلى آخر الحديث)[١٤٢٤].

وأخرج حديث الغدير هذا، والذي ينص بصريح العبارة جميع علماء أهل السنة ورواتهم، منهم الامام مسلم في صحيحه[١٤٢٥]، والنسائي في الخصائص[١٤٢٦]، وابن المغازلي في المناقب[١٤٢٧]، والمحب الطبري في ذخائر العقبى[١٤٢٨]، والمتقي الهندي في كنز العمال[١٤٢٩]، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن[١٤٣٠] والحاكم النيسابوري في شواهد التنزيل[١٤٣١] والشهرستاني في الملل والنحل[١٤٣٢]، وحجة الاسلام الغزالي في سر العالمين[١٤٣٣]، والحاكم في المستدرك[١٤٣٤]، والحافظ الذهبي في تلخيصه[١٤٣٥]، وابن

١٤٢٤- سبط بن الجوزي: تذكرة الخواص، ص٣٠- ٣١.

١٤٢٥- صحيح مسلم: ج٧، ص١٢٣.

١٤٢٦- النسائي: الخصائص، ص٣٩- ٤٠.

١٤٢٧- ابن المغازلي: المناقب، ص٢٩- ٣٠.

١٤٢٨- المحب الطبري: ذخائر العقبى، ص٦٧.

١٤٢٩- المتقي الهندي: كنز العمال، ج١، ص١٦٧- ١٦٨.

١٤٣٠- القرطبي: الجامع لاحكام القرآن، ج١٨، ص٢٨٧- ٢٨٩.

١٤٣١- الحاكم النيسابوري: شواهد التنزيل، ج١، ص١٦٢.

١٤٣٢- الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص١٦٢.

١٤٣٣- الغزالي: سر العالمين، ص١٠.

١٤٣٤- الحاكم: المستدرك، ج٢، ص١٠٩.

١٤٣٥- الحافظ الذهبي: التلخيص، ج٢، ص١٠٩.

حجر العسقلاني في الاصابة[١٤٣٦]، والمقريزي في الخطط [١٤٣٧] والامام أحمد في المسند[١٤٣٨]، والبيهقي في كتاب الاعتقاد[١٤٣٩]، والسيوطي في الجامع الصغير[١٤٤٠]، وغير هؤلاء كثير تركنا ذكرها للاختصار.

وهناك أحاديث كثيرة تنص على خلافة أمير المؤمنينعليه السلام أعرضنا عنها منها حديث الثقلين المتواتر عند الفريقين السنة وأهل الشيعة[١٤٤١]، وأحاديث السفينة ، وكتاب الوصية وحديث الدواة والقرطاس إلى غير ذلك من النصوص الصريحة الدالة على وجود النص على خلافة الامام عليعليه السلام[١٤٤٢].

وقد عرض الدكتور أحمد صبحي وجهة نظر الشيعة بوجوب صدور استخلاف من النبيصلى الله عليه وآله وسلم في ضوء وقائع التاريخ بقوله : (( الحقيقة الأولى التي يجب التسليم بها أن النبي كان يعلم أن أمته ستتعرض إذا لم ينص هو على من يخلفه إلى الفتن والاضطراب .

أما أنه كان يعلم ذلك فان كل الفرق الاسلامية قد أوردت هذا الحديث: (ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة..) فهل كان رسول الله يعلم أن الدهر يدخر لأمته صفحة مملوءة بالحوادث والفتن ، إذ تختلف أمته من بعده ويتقاتل افرادها وتراق الدماء وتزهق النفوس ثم يسكت النبيصلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك دون أن يقدم على مشورة تجنب أمته شر العثار؟ .

ولنفرض أن الحديث والتاريخ لم يسجلا لنا حديثا واحدا يقضي فيه النبي بمن يخلفه في أمر أمته، فهل يصح أن نصدقهما بهذا الاهمال ونصدقهما أن النبيصلى الله عليه وآله وسلم ترك أمته في فوضوية لاحد لها.

وهل كان دينه خاصا بعصره ليترك أمته من بعده هملا من غير راع يسوسهم او طريقة يتبعونها في أمور دينهم ودنياهم ، لقد ورد أن ام المؤمنين عائشة قالت لعمر في أواخر أيام خلافته :

( لاتدع أمة مُحَّد بلا راع ، استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملا فاني أخشى عليهم الفتنة ) ، فهل لم يدرك النبيصلى الله عليه وآله وسلم ما أدركته ام المؤمنين عائشة أن المسلمين يتعرضون للفتنة نتيجة عدم الإستخلاف

---

١٤٣٦- ابن حجر العسقلاني: الاصابة، ج٢، ص١٥- ج٤، ص٥٦٧.

١٤٣٧- المقريزي: الخطط، ج٢، ص٩٢.

١٤٣٨- الامام أحمد: المسند، ج١، ص٢٢١، ط١٩٨٢.

١٤٣٩- البيهقي: كتاب الاعتقادان ص٢٠٤، طبع بيروت، ١٩٨٦.

١٤٤٠- السيوطي: الجامع الصغير، ج٢، ص٦٤٢.

١٤٤١- علاء الدين القزويني: مع الدكتور الموسوي، ص٨٥.

١٤٤٢- نفس المصدر، ص٨٧.

، أم ليس بين المسلمين وصحابة الرسولﷺ من سأله هذا السؤال الذي سألته – زوج النبي – عائشة لعمر؟.

وإذا لم يكن مُحَّد نبيا مرسلاﷺ نزل دينه للناس كافة في كل زمان، وإذا لم يكن عالما عن وحي فليكن على الأقل سياسيا كسائر الساسة الذين لا يخفى عليهم بعض أمور رعاياهم فلا يتركونهم تحت رحمة هؤلاء واختلاف الآراء.

على أنه قد عرف عنه أنه لم يترك المدينة إذا خرج لحرب أو غزوة من غير أمير يخلفه عليها ، فكيف نصدق عنه أنه أهمل أمر أمته بعده إلى آخر الدهر دون قاعدة يرجع إليها المسلمون أو خلف بعده؟ .

فإن قيل انه وكل الأمر إلى اتفاق أمته واختيارهم ، فمعناه أنه أوقع أمته في منازعات دائمة تقضي إلى إزهاق النفوس وإضعاف القوى وذهاب الايمان ، إذ كيف يتفق أهل البلد الواحد على حكم واحد فضلا عن أمة كبيرة؟))[١٤٤٣] .

أما الآمدي ، فقد قرر رأي الشيعة في وجوب الامامة بقوله : (ولربما قرروا ذلك بطريق معنوي ، وهو ان النبيﷺ اما أن يكون عالما باحتياج الخلق إلى من يقوم بمهماتهم، ويحفظ بيضتهم، ويحمي حوزتهم، ويقبض على أيدي السفهاء منهم ويقيم فيهم الاحكام الشرعية على وفق ما وردت به الأدلة السمعية على ما تقرر. أو لم يكن عالما. لا جائز أن يقال بكونه غير عالم، إذ هو إساءة ظن بالنبوة وقدح في سر الرسالة.

وكذلك أيضا إن كان عالما ولم ينص، لاسيما والتنصيص هنا آكد من التنصيص وإيجاب التعريف لما يتعلق بباب الاستنجاء والتيمم على ما لا يخفى.. ولا جائز أن يقال :

إنه ترك الأمر شورى فيما بين الصحابة، وفوض الأمر إلى اجتهاداتهم وآرائهم، ليعلم القاصر من الفاضل والمجتهد من العي، والإلجاز للصحابة إلا ينصبوا إماما أيضا، ليعلم الطائع من العاصي، والمنقاد للأوامر والنواهي من غيره، بل ولجاز إهمال بعثة الرسل، وتفويض الأمر إلى أرباب العقول، ليتميز أيضا المجتهد ومن له النظر في المدارك واستنباط المسالك ممن ليس كذلك، وذلك مما لا يخفى فساده.

١٤٤٣– أحمد محمود صبحي: نظرية الامامة ص١٠٠– ١٠١.

كيف وأن التعيين بعدما ثبت القول بوجوب الامامة لازم لا محالة، ثم كيف يجب على الناس طاعته وهو انما صار إماما باقامتهم له؟ .

فاذن لابد أن يكون التعيين واردا من قبل الشرع وصادرا من جهة السمع، وهو إنما يثبت في حق من يدعيه، دون من ينفيه)[١٤٤٤]. هذا معتقد الشيعة وطوائف الامامية كما يقول الآمدي.

يقول الدكتور أحمد صبحي : ( هذه أدلة متكلمي الشيعة الاثني عشرية في نقد مبدأ الاختيار واثبات وجود النص على الإمامة، فما كان موقف أهل السنة أزاءها...

أما ازاء الدفاع عن مبدأ الاختيار فلم يكن موقفهم متماسكا موحدا، ويرجع ذلك الى اختلاف آرائهم في كيفية الاختيار...

كل ذلك لا نجد عند متكلمي أهل السنة موقفا مجمعا عليه، الأمر الذي يسر على الشيعة نقد دعوى الاختيار من أساسها واثبات تهافتها فضلا عن عدم انطباقها في الواقع الا حين اختير أبو بكر...

فلقد كان في واقع التاريخ الاسلامي ما التمس فيه الشيعة نقط الضعف لتركيز هجومهم على اسلوب اختيار الخلفاء...)[١٤٤٥].

ثم يستطرد في القول : ( ولاشك أن أدلة الشيعة جديرة بالاعتبار، ولاشك أيضا أن انتقاداتهم المتتالية لمبدأ الاختيار لها ما يبررها... كل ذلك مما يجعل للأدلة الشيعية وانتقاداتهم لمبدأ الاختيار بعض الاعتبار)[١٤٤٦].

---

١٤٤٤- سيف الدين الآمدي: غاية المرام في علم الكلام، تحقيق حسن محمود عبد اللطيف، القاهرة، مطابع الاهرام التجارية، ١٩٧١، ص٣٧٦- ٣٧٥.

١٤٤٥- أحمد محمود صبحي: نظرية الامامة- مرجع سابق- ص٩٧.

١٤٤٦- المصدر السابق، ص٩٨- ٩٩.

### ١- الخلافة :

الخلافة لغة : هي ما يجئ من بعد، كأن يقال: هو خلف صدق من أبيه. وتأتي بمعنى النيابة عن الغير كما في الآية الكريمة: (اخلفني في قومي)[١٤٤٧].

وأما الخلافة اصطلاحاً : فقد ذكرت في القرآن لتعبر عن مفهوم في غاية السمو والرفعة وهو اصطفاء الله سبحانه وتعالى من ينوب عنه ، ويقوم مقامه في تحمل مسؤولية إعمار الأرض وتسخير مقدراتها وخيراتها، بل وكل ذرات الكون من أجل السير بالبشرية نحو سعادتها الحقيقية. والخلافة بهذا المعنى على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : استخلاف النوع الإنساني لتميزه عن باقي المخلوقات وعناصر الكون الأخرى من ملائكة، وجن، وحيوانات، ونباتات، وجمادات ، كما في قوله تعالى: (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً)[١٤٤٨].

وقوله تعالى : (إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً)[١٤٤٩]. وقوله تعالى : (هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره)[١٤٥٠].

وقوله تعالى : (ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلاً ما تشكرون)[١٤٥١]. وقوله تعالى : (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون * وعلم آدم الأسماء كلها...)[١٤٥٢].

والإستخلاف في الآية الأخيرة، وكما هو في الآيات التي قبلها ليس لشخص آدم عليه السلام، وإنما للنوع الإنساني (بني آدم)، لأن آدم عليه السلام لم يكن مفسداً في الأرض، ولا سفاكاً للدماء، وكان ذكره في الآية الأخيرة بوصفه الإنسان الأول على هذه الأرض، والذي جعل على عاتقه مسؤولية خلافة الله في الأرض .

١٤٤٧- الاعراف ١٤٢ .

١٤٤٨- الاسراء ٧٠ .

١٤٤٩- الاحزاب ٧٢ .

١٤٥٠- فاطر ٣٩ .

١٤٥١- الاعراف ١٠ .

١٤٥٢- البقرة ٣٠ .

الدرجة الثانية : استخلاف قوم أو جماعة بشرية معينة من بين الأقوام أو الجماعات البشرية الأخرى، ولأن الإستخلاف أمانة إلهية، فإن القوم المستخلفين في حالة مخالفتهم لمقتضيات حمل هذه الأمانة، سيتلقون العقاب الإلهي، وتتحول الخلافة عنهم إلى قوم آخرين كما في قوله تعالى: (إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء) [١٤٥٣].

وقوله تعالى : ( ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون)[١٤٥٤]. وقوله تعالى : (وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) [١٤٥٥].

ومن أمثلة هذا الاستبدال قوله تعالى بشأن قوم نوح : (فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا)[١٤٥٦]، وقوله تعالى بشأن قوم عاد : (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح)[١٤٥٧]، وبشأن قوم ثمود : (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح)[١٤٥٨].

وبشأن بني إسرائيل قوله تعالى : ( يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين)[١٤٥٩]، وبشأن أمة محمد ﷺ قوله تعالى : (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس)[١٤٦٠]، وبشأن الباقين الثابتين على الدين الحق قوله تعالى : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم)[١٤٦١].

الدرجة الثالثة : استخلاف قائد رباني لتميزه عن بقية أبناء قومه تكون خلافة الله متوجة فيه ، ومصونة به من خطر الإفساد في الأرض ، وسفك الدماء كما في قوله تعالى : (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله)[١٤٦٢]. (ليكون الرسول شهيداً عليكم)[١٤٦٣].

---

١٤٥٣- الانعام ١٣٣ .

١٤٥٤- يونس ١٤ .

١٤٥٥- محمد ٣٨ .

١٤٥٦- يونس ٧٣ .

١٤٥٧- الاعراف ٦٩ .

١٤٥٨- الاعراف ٦٩ .

١٤٥٩- البقرة ١٢٢ .

١٤٦٠- البقرة ١٤٤ .

١٤٦١- النور ٥٥ .

١٤٦٢- سورة ص الآية ٢٦ .

١٤٦٣- الحج ٧٨ .

ولأن القوم المستخلفين هم ليسوا المالك الحقيقي لما استأمنوا عليه ، وانما هم خلفاء المالك الأصلي ، وهو الله‎ﷻ، فهم ليسوا مطلقي الحرية والتصرف كما شاؤوا بالإمكانات والسلطات الممنوحة إليهم ، ودون قائد رباني ، فإنهم سينحرفون تماماً عن الخط الإلهي المرسوم ، لما تزخر به النفس الإنسانية من نزوات ، وأطماع، وحب التسلط .

وهذه الدرجات الثلاث تمثل بمجموعها مفهوم الإسلام الأساس عن الخلافة ، وهو يتلخص بإنابة النوع الإنساني في إعمار الأرض وإصلاحها ولكن بتميز أمة أو قوم يختارون (مع إمكانية استبدالهم) للدعوة إلى الله‎ﷻ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، على رأسهم قائد رباني يحكم الناس بالشريعة الإلهية. وقد اشتهر إطلاق تسمية (الخلافة) عند المسلمين وصفاً للحكومات التي خلفت النبي‎ﷺ صالحها وفاسدها.

الخلافة تعبر عن نظام الحكم الإسلامي الذي ساد بعد رحيل النبي الأكرم‎ﷺ، وقد كثر استعمال مفردتين خلال القرون الثلاثة الأولى هما الخليفة والخلافة إشارة إلى الخلفاء والبيوتات التي حكمت طوال تلك الفترة ، وكان لهذين الاصطلاحين دور كبير في التحولات السياسية والاجتماعية خلال القرون المنصرمة .

وقد استعملت المفردة تارة بمعنى الخليفة في أمر الحكومة وتارة بمعنى مطلق الإمارة بعد النبي الأكرم‎ﷺ. وكان يطلق على الشخص الذي تصدّى لإدارة شؤون المسلمين كافة بعد رحيل النبي‎ﷺ مصطلح الخليفة.

معنى الخلافة : قلنا سابقاً المعنى اللغوي خَلَفُ الإنسان الذي يَخْلُفُه من بعده يأْتي بمعنى البدل فيكون خلَفاً منه أَي بدلاً ومنه قولهم هذا خَلَفٌ مما أُخذ لك أَي بَدَلٌ منه يقال في الفعل منه خَلَفَه في قومه وفي أَهله يَخْلُفُه خَلَفاً وخِلافةً.

ومنه خَلَف الله عليك بخير خلَفاً وخِلافةً والفاعل منه خَلِيفٌ وخَلِيفَةٌ والجمع خُلفاء وخَلائفُ[1464] . وقد استعمل القرآن مفردة الخليفة تارة[1465]، والخلفاء[1466]، والخلائف[1467]، بنفس المعنى .

١٤٦٤– ابن منظور، لسان العرب، ذيل مفردة «خَلَفَ»؛ الزبيدي، تاج العروس، ج ٢٣، ص ٢٦٣ – ٢٦٥.

١٤٦٥– البقرة: ٣٠.

١٤٦٦– الأعراف: ٦٩، ٧٤؛ النمل: ٦٢.

١٤٦٧– الأنعام: ١٦٥؛ يونس: ١٤، ٧٣؛ فاطر: ٣٩.

المعنى الاصطلاحي غلب استعمال مفردتي الخلافة والخليفة للإشارة إلى التحولات السياسية وطبيعة الحكم في المجتمع الإسلامي بعد رحيل النبيﷺ وأنّ المتصدي لذلك المسند هو الخليفة والنظام الذي يدير به البلاد نظام الخلافة، وتعني – أحيانا – مطلق الإمارة والحكومة بعد النبيﷺ؛ ومن هنا حظيت هاتان المفردتان بأهمية بالغة ومنزلة كبيرة في الفكر الاسلامي حتى أنّ المفكرين ذهبوا إلى مشروعية نظام الخلافة لورود مفردة الخليفة في القرآن الكريم[١٤٦٨].

كذلك استعملت مفردة الإمامة والإمام بنفس المعنى وشاعت عند أهل السنة بمعنى الخليفة، وهذا يختلف مع الرؤية الإمامية التي ترى مفهوم الإمامة أوسع من مفهوم الخلافة المصطلح في المدرسة الأخرى.

ظهور الخلافة كما في واقعة سقيفة بني ساعدة : تعود اللبنة الأولى التي وضعت لنظام الخلافة إلى سقيفة بني ساعدة ، حيث اجتمع فريق من الأنصار بعد رحيل النبي الأكرمﷺ وتداولوا شأن الخلافة ثم التحق بهم فريق آخر من المهاجرين ودار جدال واحتدم النقاش بين الفريقين كما يذكره المؤرخون .

فما انفضّ الجمع إلا بتعيين الخليفة الأوّل لرسول اللهﷺ، وكان العامل الفاعل في تحقق ذلك اعتماد السنن والقوانين القبلية تحت شعار عشيرة الرجل أحق به، وقد كان لهذا الحدث انعكاساته على الساحة الإسلامية على مر العقود وفي أكثر من صعيد.

شروط الخليفة : المتابع للشأن السياسي الإسلامي يرى أنّ رجال مدرسة الخلافة يؤكّدون على شرط القرشية وكون الخليفة من قريش خاصة[١٤٦٩].

وهذا مما يعكس تقديمهم المنهج القبلي واعتماده كأحد الأركان الأساسية لنظام الحكم الاسلامي؛ ولما كان هذا المنهج ينسجم مع طبيعة تفكير المجتمع العربي ، من هنا أسرع الكثير منهم للتسليم أمام هذا المنطق.

بل حتى أنّ بعض المعترضين لم يخرجوا عن طبيعة هذا النوع من التفكير كالعباس عمّ النبيﷺ الذي كان يرى أنّ بني هاشم أحقّ بوراثة النبيﷺ من غيرهم[١٤٧٠] وكأبي سفيان الذي لم يستطع أن يهضم خروج الخلافة إلى بيت آخر من قريش المتمثل بقبيلة تيم التي ينتمي إليها الخليفة الأوّل[١٤٧١].

---

١٤٦٨– الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٤؛ القلقشندي، مآثرالأنافة، ج ١، ص ٨ ـ ١٢، ١٤ – ١٦.

١٤٦٩– اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٢٣– ١٢٤.

١٤٧٠– ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٤؛ البلاذري، جُمَل من أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٢٦٥.

نعم، هناك فريق آخر من المعترضين كانت لهم رؤية خاصة وأنّهم انطلقوا في مخالفتهم لنظام الخلافة وتعيين الأوّل من معايير الإمامية وأنّهم يرفضون فكرة الخلافة انطلاقا من البعد العشائري أو القومي إذ كانوا يرون ضرورة الرجوع إلى الشريعية وتوصيات النبيﷺ لمعرفة الخليفة الذي عينه هوﷺ بأمر من الله ﷻ.

المخالفون الأنصار : انطلق الأنصار في معارضتهم من واقع اسنادهم ودعمهم الكبير ودورهم البارز الذي لعبوه في نجاح الدعوة واستقرار الرسالة مطالبين بحقّ التصدي لقيادة المسلمين إما منفردين أو مشتركين مع المهاجرين عندما رفع بعضهم شعار «منا أمير ومنكم أمير»[١٤٧٢]. إلا أنهم سرعان ما خضعوا للأمر الواقع بعد أن استتب الأمر لأبي بكر كأول خليفة بعد رسول اللهﷺ في نهاية المطاف.

أهل بيت النبيﷺ، كان لبعض بني هاشم وجماعة من الصحابة موقف معارض لما حدث في السقيفة[١٤٧٣]. وهؤلاء لم يقتصروا على رفض ما وقع في السقيفة واعتباره أمراً لا يستند على مبرر شرعي .

بل اعترضوا على ما ترتب على السقيفة من اعتبار الخليفة يمثل المرجعية الدينية بعد النبيﷺ، بل راحوا يؤكدون على أن الخلافة للإمام المنصوص عليه من قبل الله ورسولهﷺ فتحفظوا برؤيتهم هذه ولم يخضعوا للأمر الواقع في باطن الأمر.

ونذكر بعض الاحداث التاريخية من خلال من الخلفاء الأوائل فمنهم:

---

١٤٧١- البلاذري، جُمَل من أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٢٧١؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٢٦؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٢٠٩ - ٢١٠.

١٤٧٢- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٢٣ .

١٤٧٣- ابن حنبل، مسند ابن حنبل، ج ١، ص ٩٠؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١١ - ١٢؛ البلاذري، جُمَل من أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٢٦٧ - ٢٧٤؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٢٠٣.

### أ :– خلافة أبي بكر :

يعدّ انتخاب أبي بكر لمسند الخلافة اللبنة الأولى لتشكيل نظام الخلافة، وإن وصفه البعض فيما بعد بالفلتة التي وقى الله شرها[١٤٧٤] . بمعنى أنّه وقع على عجالة ومن دون رؤية ومقدمات موضوعية[١٤٧٥] .

وهذا الامر ساهم في تعقيد الأمور على الخليفة ، خاصة إذا ضممنا اليه مخالفة الكثير من الصحابة وبني هاشم وخصوصاً أهل البيتعليهم السلام منهم، ومع ذلك واصل أقطاب السقيفة الذين وقفوا إلى جانب الخليفة المنتخب مسيرهم لإضفاء الشرعية عليه .

وذلك من خلال أخذ البيعة العامة من الناس – والتي أصبحت لاحقا من لوازم شرعية الخليفة – إذ لا سبيل لشرعنته إلا من خلال التمسك بمبايعة الناس له ، ورغم شدة المخالفة التي كادت أن تعصف بالخلافة عندما أعلن الخليفة عن رغبته في الانسحاب من الحكم، اعتمد المؤيدون أساليب مختلفة اسكتت المعارضين له[١٤٧٦] . وساروا خطوة إلى الأمام حينما وسموا الرجل بأنّه خليفة رسول اللهصلى الله عليه وآله[١٤٧٧] .

بعد إتّسام أبي بكر مسند الخلافة ، اتخذ أصحاب نظرية «أهل الحلّ والعقد» من أسلوب انتخابه مستنداً قانونياً في الفقه السياسي السنّي يبرّرون من خلاله انتخاب الخليفة اللاحق وإضفاء الشرعية عليه[١٤٧٨] .

بل وسّعوا من صلاحياته فاعتبروه ممثلا وخليفة لمحمد رسول اللهصلى الله عليه وآله في الأمور الدينية والدنيوية على حد سواء طوال الفترة التي تصدّى فيها للحكومة.

سيرته وعمله : استحوذ الخليفة على جميع صلاحيات النبي الأكرمصلى الله عليه وآله باستثناء التفاوت في مصدر إضفاء الشرعية[١٤٧٩] . وأبرز ما يؤكد ذلك فتواه بارتداد الممانعين لدفع الزكاة له ، وقد اتخذ منهم موقفا عنيفاً أثار حفيظة الكثير من المسلمين[١٤٨٠] .

---

١٤٧٤– تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٥٨ .

١٤٧٥– ابن منظور، لسان العرب، ذيل «فلت»

١٤٧٦– ابن قتيبه، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٢ ـ ١٤؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج ٣، ص٢٠٢ ـ ٢٠٣.

١٤٧٧– ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٨٣؛ ابن حنبل، مسند ابن حنبل، ج ١، ص٢٠.

١٤٧٨– الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص ٦ ـ٩.

١٤٧٩– جعفريان، تاريخ تحوّل دولت وخلافت، ص ٩٤ ـ ٩٥.

١٤٨٠– ابن حنبل، مسند ابن حنبل، ج ١، ص٢٠، ٣٣ ـ ٣٤، ٥٩.

والحقيقة أنّ المتابع لحياة أبي بكر – بإستثناء الأيام الأولى التي سوّق فيها لنفسه بأنّه رجل كعامة الناس طالباً منهم العمل بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتقويمه إذا خرج عن جادة الصواب– يراه ميّالاً إلى القدرة ودعم سلطانه بالقوة .[١٤٨١]

قدرة لم تنحصر بدعم السلطة بل تعدتها إلى دعم سلطة قريش ولم يكن الأمر مجرّد نوايا ورغبات وتصريح هنا أو هناك بل تعدت ذلك للتطبيق العملي حيث منع من إجراء القانون الشرعي على بعض المجرمين كخالد بن الوليد في قضية مالك بن نويرة المعروفة تاريخياً.

كيفية إستخلافه : أقدم الخليفة الأوّل أبو بكر وفي الأيّام الأخيرة لحياته من عام (١٣ هـ.ق) على اختيار من يخلفه في المنصب، مشيراً إلى أن الخليفة من بعده عمر بن الخطاب وعلى المسلمين مبايعته والإذعان لحكمه[١٤٨٢]. وقد برّر فعله هذا بحرصه على الأمّة وصيانتها من الوقوع في الفتنة[١٤٨٣].

ومع أنّه لم يحدد نوع الفتنة التي كان يخشى على الأمّة الوقوع فيها إلا أنّ المتأمّل في تلك الحوادث يكتشف أن خط الخلافة لم يكن يملك الرؤية الواضحة والمحددة في الاختيار، بل الأمر يعود إلى السلائق والأذواق الشخصية مما جرّ في نهاية المطاف إلى مبدأ الوراثة وتحويل الخلافة إلى السلطنة[١٤٨٤].

**ب :– خلافة عمر :**

وهو الشخص الثاني الذي تصدّى للخلافة بعد رسول الله ﷺ ووسم تبعا للخليفة الأوّل بسمة خليفة خليفة رسول الله ﷺ، وكان يميل إلى إضافة عبارة أمير المؤمنين إلى اسمه[١٤٨٥]. وقد استمر هذا اللقب في سائر الخلفاء الذين تعاقبوا على مسند الخلافة طوال القرون اللاحقة.

وفي عصره حصلت تحوّلات وتغييرات كثيرة في المجتمع الاسلامي تحكي عن توسع مفهوم الخلافة ولا سيّما في البعد الديني. ويتمثل ذلك في تغيير بعض السنن النبوية والأحكام الاسلامية من قبل الخليفة نفسه حيث كان الرجل يعطي لنفسه هذا الحق في التغيير[١٤٨٦].

---

١٤٨١– الطبري، تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٢٢٤.

١٤٨٢– البلاذري، جُمَل من أنساب الأشراف، ج ١٠، ص ٨٨ ـ ٨٩، ـ ٣٠٥؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٤٢٨ ـ ٤٣٤.

١٤٨٣– ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٢٠٠.

١٤٨٤– جعفريان، تاريخ تحوّل دولت وخلافة، ص ٩٩ ـ ١٠٠.

١٤٨٥– البلاذري، جُمَل من أنساب الأشراف، ج ١٠، ص ٣٢١.

١٤٨٦– ابن زيد، كتاب رأب الصدع، ج ١، ص ١٩٦ .

سيرته وعمله : المعروف عن الرجل أنه جعل صلاحياته في مقام الخلافة تعادل صلاحيات النبي الأكرمﷺ[١٤٨٧] مضفياً عليها صفة الشرعية أحياناً[١٤٨٨] إلا أنّ سلوكه هذا – والذي أصبح فيما بعد واقعاً ومبرّراً في الوسط الاسلامي- أخذ يقلق الكثير من المسلمين بما فيهم بعض المقربين من السلطة[١٤٨٩].

بل حتى عمر بن الخطاب نفسه ورغم تشدده في أمر الحكم وصلاحيات الخليفة الواسعة ، كان يخشى من تحول الخليفة الى مَلِك[١٤٩٠]، وبحسب تعبيره : « إن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرها»، والفلتة أمر يقع من غير فكر ومشورة العقلاء ورأي الأكياس[١٤٩١].

بل الطريقة التي تمّت على أساسها انتخاب الخليفة الثاني، فبالتالي أطلقت صيحات واعتراضات هنا وهناك، لكنها بقيت محدودة وفي أطر ضيّقة، لأنّ البعض كان يرى طريقة الحكم والمنهج المتبع ينسجم مع ما يميل إليه من قبيل تفضيل العنصر العربي على غيره من العجم والتفاضل في العطاء من خلال جعل المسلمين طبقات متعددة ، رغم أن ذلك لا ينسجم مع تعاليم الإسلام وسيرة الرسول الأكرمﷺ في المساواة في البشرية والعطاء معا[١٤٩٢].

تعيين شورى الخلافة : أقدم عمر بن الخطاب في الأيام الأخيرة من عمره على تعيين الشورى السداسية من صحابة النبيﷺ. إن ما صدر عن الخليفة من تصريحات، تعكس رغبته بتولي بعض الاشخاص ممن رحلوا عن هذا العالم لمسند الخلافة[١٤٩٣].

وهذا ينسجم مع رؤيته لمواصفات الخليفة من بعده[١٤٩٤]، الا أنه اتخذ قراره النهائي بإيكال الأمر الى الشورى السداسية وهي التي اختارت الخليفة من بين هؤلاء المجتمعين، وكانت طبيعة تأسيس الشورى هذه، تكشف عن تحديد صلاحياتها من قبل مؤسسي التشكيلة، حيث الكل كان من قريش وما كان

١٤٨٧- جعفريان، تاريخ تحوّل دولت وخلافة، ص ١٠١.

١٤٨٨- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٢٧٠، ٣٢٦، ٣٣٢.

١٤٨٩- للتعرف على تحذير عُتَبَة بن غَزوان، حاكم البصرة من تحول النبوة إلى الملكية راجع: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٧، ص٧.

١٤٩٠- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٣٠٦.

١٤٩١- ابن حنبل، مسند ابن حنبل، ج ١، ص ٩١.

١٤٩٢- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٢٧٦ .

١٤٩٣- ابن‌شبّه النميري، تاريخ المدينة النمورة، ج ٣، ص ٨٨١ ـ ٨٨٧.

١٤٩٤- ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٢٣ ـ ٢٥.

يحقّ لغيرهم الدخول معهم ومن ناحية الدائرة التي يتم إختيار الخليفة منها، إذ انحصر الأمر في المجتمعين فقط[١٤٩٥].

وهذا في حقيقة الأمر استمرار ومواصلة لنفس النهج القبلي في اختيار الخليفة مع التأكيد على تسيّد قريش واعطائها امتيازات خاصة في شأن الحكومة.

ثم إنّ هذه الشورى وإن نجحت في اختيار الخليفة من بينها إلا أنّها بنفسها أصحبت سببا لظهور منافسين جدد لأمر الخلافة مما خلق معضلة جديدة أدّت الى إتساع رقعة الخلاف بين المسلمين[١٤٩٦].

**ج :– خلافة عثمان :**

تصدى عثمان بن عفان لمنصب الخلافة في السنة الثالثة والعشرين من الهجرة، بعد أن رضي بما اشترط عليه من شروط كان من بينها العمل بكتاب الله وسيرة الشيخين (الخليفتين الأوّل والثاني) وهو شرط رفض أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الاذعان له ، عندما اشترطت عليه قبل ذلك[١٤٩٧].

والجدير أنّ عثمان بن عفان لم يتلزم بذلك الشرط في الواقع، فهو رغم فهمه للخلافة بما يقترب من فهم الخليفتين الأوّل والثاني[١٤٩٨]، انتهج سياسة تختلف معهما في كثير من المواقف، خاصة سياسته المالكية وتقريبه الأمويين وفسح المجال أمامهم للهيمنة على مراكز السلطة والقرار.

سيرته وعمله : من الأمور التي قام بها إبّان حكمه أنّه أعاد المطرودين والمبعدين من قبل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، مما فسح المجال أمام بني أمية للهيمنة والسيطرة على مقاليد الأمور ومن سيرته بذل الأموال على المقربين منه بلا ضابطة وبلا حدود[١٤٩٩]، الأمر الذي أثار عليه حفيظة الكثير من المسلمين لما شاهدوه من مخالفة لطبيعة الحكم الاسلامي.

١٤٩٥– جُمَل من أنساب الأشراف، ج ١٠، ص ٤٢٠ ـ ٤٢١.

١٤٩٦– جعفريان، تاريخ تحوّل دولت وخلافت، ص ١٢٢ ـ ١٢٣.

١٤٩٧– الطبري، تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٣٣ .

١٤٩٨– ابن شبّه النميري، تاريخ المدينة المنورة، ج ٣، ص ٩٦٤، ١٠٤٣ ـ ١٠٤٤.

١٤٩٩– ابن قتيبه، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٣٢ .

أنّ عمل عثمان هذا وإن كان قد حدث في السنين الأخيرة من حياته، الا أن جذوره تعود الى الأيام الأولى من حكمه ويؤكد ذلك ما ورد في رواية أن أبا سفيان طلب في الأيام الأولى لبيعة عثمان من بني أمية أن يتلقفوها تلقف الكرة[١٥٠٠].

والرواية الاخرى التي تؤكد بأن عبد الرحمان بن عوف كان يخاطبه بعميد بني أمية والكل يعلم ما في هذا التعبير من معنى عندما يطلق على خليفة المفروض أنه لجميع المسلمين[١٥٠١].

بروز ظاهرة التشريفات : يظهر للمتابع لتاريخ الخلفاء أنّ الخليفة الثالث ، قد اعتمد سلوكيات تختلف عن طريقة من سبقه، فقد روى بعضهم أن عثمان خرج الليلة التي بويع له في نهارها لصلاة العشاء الآخرة ، وبين يديه شمعة ، فلقيه المقداد بن عمرو، فقال : «ما هذه البدعة»؛ وروي أنّه جلس في الموضع الذي كان يجلس فيه رسول الله ﷺ، ولم يجلس أبو بكر ولا عمر فيه، إذ جلس أبو بكر دونه بمرقاة، وجلس عمر دون أبي بكر بمرقاة، فتكلّم الناس في ذلك[١٥٠٢].

وفي رواية اليعقوبي[١٥٠٣] أنه عندما استتب له الأمر كان لا يرى نفسه محاسباً في التصرف ببيت المال وكان يرى خازن بيت المال خازنا له، فقد روي أنّه لما طالبه خازن بيت المال ابن الأرقم بأن يكتب عليه بمال أخذه من بيت المال ذكر حقّ فأبى ذلك، فامتنع ابن الأرقم من أن يدفع المال الى القوم .

فقال له عثمان : « إنّما أنت خازن لنا فما حملك على ما فعلت؟» فقال ابن الأرقم : «كنت أراني خازنا للمسلمين ، وإنما خازنك غلامك ، والله لا الى لك بيت المال أبداً ، وجاء بالمفاتيح فعلّقها على المنبر، ويقال بل ألقاها الى عثمان »[١٥٠٤].

وعندما طالبه المعترضون والثوار بالاستقالة من الخلافة امتنع معللا ذلك بأنه لا يخلع رداءً ألبسه الله إياه[١٥٠٥]، وهو نفس المعنى الذي قاله له ابن عمر سابقا حينما وسم تصديه للخلافة بأنه رداء ألبسه

١٥٠٠- المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٨٢.

١٥٠١- ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج ٢، ص ٣٣٤.

١٥٠٢- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٦٢ - ١٦٣.

١٥٠٣- نفس المصدر ، ص ١٦٨ - ١٦٩.

١٥٠٤- البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ١٧٣.

١٥٠٥- ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٤١ .

الله له[١٥٠٦] . كل ذلك أثار حفيظة الصحابة ضده لأنّها سلوكيات لا تنسجم مع القيم التي اعتادوا عليها وطريقة الحكم التي ألفوها.

من خصائصه الأخرى : من الأمور التي ظهرت في فترة حكم الخليفة الثالث ، أنّه عمل بغير الحقّ وبدّل حكم القرآن كما وصفه بذلك مُحَمَّد بن أبي بكر[١٥٠٧]. وقام بتكديس الثروة وخاصة من بيت المال[١٥٠٨]، كما رفض النصيحة والاذعان للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١٥٠٩] ومال كثيراً نحو السنن الجاهلية .

في مقابل الميل الى القيم التي دعت اليها الشريعة وذلك من خلال إفساحه المجال أمام البيت الأموي عامة ومعاوية على الوجه الخصوص للهيمنة على شؤون المسلمين ومقدّراتهم وعدم الاعتناء بالمظالم التي تصدر من بعض عماله وولاته[١٥١٠]. مما جرّ الى نشوب الثورة بوجه الخليفة.

مطالبته التنحي : لما كثرت الاعتراضات على الخليفة ولم يجد المعترضون ميلا من السلطة للإصلاح والتراجع طالبوا بخلع الخليفة أو قتله[١٥١١].

وهذه الظاهرة وإن لم تكن مسبوقة بما يماثلها إلا أن المسلمين كانوا يرون الخلافة ليست فوق النقد والاصلاح وأنّ مشروعيتها منوطة بمدى التزامها بقيم الدين الحنيف وأن استمرارها منوط برضا العامة عنها، فإذا لم يلتزم الخليفة بذلك يكون للناس حق عزله بل الثورة عليه.

مقتل الخليفة : كشف قتل الخليفة عن وجود ثورة عامة نشبت بوجه السلطة ، وأن المسلمين انقسموا الى خطين بينهما فجوة كبيرة. حيث وقع الصراع بين خط يرى الدفاع عن القيم والمثل الاسلامية وأنه لابد من التصدي للانحرافات من أي جهة صدرت، وبين خط تدفعه مصالحه الشخصية على الإبقاء على الوضع الموجود، الأمر الذي انتهى في نهاية المطاف بانتصار أصحاب الخط الأوّل ومبايعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كخليفة للمسلمين.

---

١٥٠٦- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٦٦؛ ابن خياط، تاريخ خليفة، ص ١٠٠.

١٥٠٧- الثقفي، ج ١، ص ٢٨٤.

١٥٠٨- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٤، ص ٢٣٢ .

١٥٠٩- المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٨٤ ـ ٨٥ .

١٥١٠- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٦٥ .

١٥١١- ابن خياط، تاريخ خليفة، ص ٩٩ ـ ١٠٠.

### د :- خلافة علي عليه السلام:

إن مبايعة علي بن أبي طالب عليه السلام جاءت بعد ثلاث تجارب خاضها الخلفاء الثلاثة من قبله حيث لم تكن هناك ضابطة موحدة لاختيار الشيخين واما عثمان فلم يفِ بما التزم به من شروط قد تعهد بالالتزام بها إبّان حكمه، مما جعل من الرجوع الى تلك التجارب أمراً محالاً في نظر الثائرين، فلم يروا أمامهم الا البيعة العامة والرجوع المباشر الى رأي الأمّة.

وبعد نقاش وتداول للأمر بينهم ، اجتمع رأيهم على اختيار علي بن أبي طالب عليه السلام للخلافة لما توفرت فيه من صفات تؤهله لذلك المنصب[١٥١٢]، فعرضوا عليه الأمر ولكنه امتنع عن ذلك بقوله : «أنا لكم وزير خير مني لكم أمير»[١٥١٣].

فأبوا عليه ذلك وأصرّوا على تولّيه ولما رأى إصرارهم على ذلك[١٥١٤]، قبل بتولّي الخلافة ، بما أن الحجّة قد ألقيت عليه ولا يسعه التخلّف عنها خاصة وأنه يرى أنّ المحور الأساسي للحكومة يتمثل بإقامة العدل في البلاد وإرساء الحق وقطع يد المتجاوزين والعابثين بمقدرات المسلمين[١٥١٥].

كيفية البيعة : عندما وجد أمير المؤمنين عليه السلام إصرار الثوار وعدم تراجعهم عن مبايعته قال لهم أما إذ أبيتم فإن بيعتي لا تكون سراً فاخرجوا إلى المسجد فخرجوا ؛ فكانت بيعته في المسجد مشروطة بالعمل بكتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله[١٥١٦].

ولا تكون بيعته الا عن رضا المسلمين[١٥١٧]. وقد اشار الاسكافي إلى بيعة أخرى[١٥١٨] بايعه فيها شيعته ومواليه على أنهم أولياء من والاه وأعداء من عاداه[١٥١٩]. مما يكشف عن وجود التشيع في ذلك الوقت.

سيرته ومنهجه : امتازت خلافة أمير المؤمنين عليه السلام عن سائر الخلفاء بما واجهته منذ مستهلها الكثير من المشاكل والمعرقلات ، مقارنة بالتي تبناها اتجاه ما سبقه من خلافة ، حيث لم يكن علي بن

---

١٥١٢- الطبري، تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٤٢٧ ـ ٤٢٨؛ وكذلك : ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج ٢، ص ٤٣٤ ـ ٤٣٥.

١٥١٣- الطبري، تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٤٢٧.

١٥١٤- ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٤٦؛ وكذلك : ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج ٢، ص ٤٣٤ ـ ٤٣٥.

١٥١٥- نهج البلاغة، الخطبة ٣.

١٥١٦- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٧٨ ـ ١٧٩؛ وكذلك : الطبري، تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٤٢٧ ـ ٤٣٥.

١٥١٧- الخطيب الإسكافي، لطف التدبير، ص ٥٢، ١٠٥ ـ ١٠٦؛ وكذلك : الطبري، تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٤٢٧.

١٥١٨- أبو جعفر الإسكافي، المعيار والموازنة، ص ١٩٤.

١٥١٩- الطبري، تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٦٤.

أبي طالبعليه السلام يؤمن بها مطلقا لا على مستوى النشوء ولا السلوك ولا العمل ، وإنّما كان يتعامل معها وفقا لما تقتضيه الضرورة وتوجبه المصلحة العامة[١٥٢٠].

يضاف الى ذلك عامل مهم جداً يتمثل في اعتقاده الراسخ في كونه الخليفة الشرعي لرسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم وأنّه الوصي الشرعي على كل من الصعيد السياسي والفكري والتشريعي و..[١٥٢١].

فهو إمام المسلمين وليس مجرد خليفة منتخب ينال شرعيته من خلال انتخابهم له. ولاريب أن لهذه الرؤية انعكاساتها على ساحة العمل السياسي والحكومي وقد تركت بصماتها على جميع النشاطات.

هداية في إطار الرسالة الالهية : تقوم زعامته الدينية لا على مبدأ الاجتهاد وإعمال الذوق والحدس الفقهي في جرح أحكام القرآن الكريم وتعديلها ، بل تتحرك في إطار الرسالة الإلهية ومستندة الى تلك الأصول وفي مساحة واسعة على مستوى التشريع وغيره من دون أن يجعل نفسه قرينا للنبي الأكرمصلى الله عليه وآله وسلم[١٥٢٢].

البعدان الاقتصادي والسياسي : لا يشك باحث منصف للحقيقة بتمسك أمير المؤمنينعليه السلام بأصول الحكم النبوي ، وتشير الى ذلك المعالم التالية: رفض كل أساليب القهر والاجبار وإسكات الخصوم سواء على مستوى البيعة الذي تجلى في موقفه الرائع مع الرافضين لبيعته أو موقفه مع الذين بايعوه ثم نكثوا البيعة وتنصلوا عنها[١٥٢٣].

بذل جهودا كبيرة في إظهار الحقائق أمام عموم الناس[١٥٢٤]، بل لم يحرم المعارضين له والذين شهروا السيف بوجهه من هذا الحق الذي كفلته الشريعة لهم[١٥٢٥].

تجنب اللجوء الى الحرب ما ان وجد الى ذلك سبيلا[١٥٢٦].

١٥٢٠– ابن مزاحم، وقعة صفين، ص ٩١.

١٥٢١– نهج البلاغة، الخطبة ٣، ٨٧، ٩٧، ١٠٩، ١٤٤، ١٥٤، ١٧٢؛ وكذلك: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١١ ـ ١٢.

١٥٢٢– نهج البلاغة، الخطبة ١.

١٥٢٣– أبو جعفر الإسكافي، المعيار والموازنة، ص ١٠٦ ـ ١٠٨، ١١٢ ـ ١١٣.

١٥٢٤– نهج البلاغة، الخطبة ١، ٣، ١٦، ٢٧، ٢٩.

١٥٢٥– أبو جعفر الإسكافي، المعيار والموازنة، ص ١٩٨ ـ ٢٠٠.

١٥٢٦– أنساب الأشراف، ج ٣، ص ١٤٦.

التصدي بقوة وصرامة لكل مظاهر التمايز الطبقي والقبلي والعرقي الذي ظهر في المجتمع الإسلامي خلال الخمس والعشرين سنة التي سبقت حكمه، والإصرار على إقامة العدل وإرساء المساواة[١٥٢٧].

إرساء المنهج النبوي الفكري والعملي : حظيت هذه المهمة باهتمام كبير من قبل أمير المؤمنينعليه السلام وقد بذل جهوداً جبارة في تحقيق ذلك الهدف الذي غفل عنه الكثير من الناس أو كانوا غرباء عنه، حتى أنّهعليه السلام كان يخشى على أصل الإسلام من الضياع بسبب إهمال المنهج النبوي[١٥٢٨].

فكان يرى أنّ إحدى مهام السلطان والحاكم الأساسية تعليم الناس أمور الدين والشريعة[١٥٢٩]. ومن هنا أرسى قاعدة الإيمان في المجتمع ورفع راية التقوى مذّكراً الناس بحدود الحلال والحرام[١٥٣٠].

وقد اعترف بهذه الحقيقة من بقي على قيد الحياة من كبار الصحابة الذين عاصروا الإمامعليه السلام وعاشوا معه وعرفوا سلوكياته[١٥٣١].

المشاكل والمعوقات : واجهت حكومة أمير المؤمنينعليه السلام الكثير من المشاكل والتي يقع في مقدمتها الحروب الثلاثة التي أثيرت ضده وقد استغرقت سني حكمهعليه السلام الأربعة ، يضاف إلى ذلك بروز حالة الإنشقاق في الصف الاسلامي بظهور الخوارج كفرقة إسلامية مستقلة، فظهرت على الساحة الاسلامية كحركة معارضة للخلافة تدعو الى عزل الخليفة ولم تكتف تلك الفرقة بالتحصن داخل المدن بل قامت بقتل جماعة من المؤمنين[١٥٣٢].

إلا أنّ أمير المؤمنينعليه السلام – وخلافا لمنهج عثمان– دعا القوم الى الحوار وأرسل إليهم من يحاورهم تارة وسار الى حوارهم بنفسه تارة أخرى ولم يوصد أبواب الحوار حتى الساعات الأخيرة التي اصطف فيها الجيشان للقتال، مستدلا عليهم بأحكم البراهين والأدلة التي تدعوهم الى التراجع عن غيّهم[١٥٣٣].

---

١٥٢٧– نهج البلاغة، الخطبة ١٥؛ وكذلك: أبو جعفر الإسكافي، المعيار والموازنة، ص ٢٤٨ ـ وكذلك: ٢٤٩؛ الثقفي، الغارات، ج ١، ص ٦٤ ـ ٧٠.

١٥٢٨– نهج البلاغة، الخطبة ٨٩؛ وكذلك : الصنعاني، ج ١٠، ص ١٢٤ ـ ١٢٥.

١٥٢٩– الطبري، ج ٥، ص ٩١.

١٥٣٠– نهج البلاغة، الخطبة ٨٧.

١٥٣١– البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٤٠٤.

١٥٣٢– البلاذري، جُمَل من أنساب الأشراف، ج ٣، ص ١٣٦؛ وكذل : الطبري، تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٨١ ـ ٨٢.

١٥٣٣– نهج البلاغة، الخطبة ١٢٢؛ وكذلك: الطبري، تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٨٤ ـ ٨٥.

فكانت النتيجة الطبيعية لتلك الحرب انهزام الخوارج وتشتت جمعهم وكادعليه السلام أن يقضي على الخوارج ويستأصل شأفتهم إلا أنّ تفرّق الكلمة وتشتت المواقف الاجتماعية والسياسية منحهم فرصة أخرى للحياة ومنع من استمرارية حركة الاصلاح العلوية مما أدى في نهاية المطاف الى شهادة أمير المؤمنين على أيدي الخوارج.

**هـ :– خلافة الحسن بن علي عليه السلام :**

واجه مركز الخلافة مع شهادة الإمام عليعليه السلام مشكلة كبيرة تمثلت بالإضافة الى اضطراب الواقع السياسي تفكك رقعة العالم بخروج الشام ومصر عن سلطة الحكومة وخضوعها لحكم معاوية بن أبي سفيان.

في تلك الاجواء وقع اختيار الناس على الإمام الحسنعليه السلام خليفة للمسلمين باعتباره الافضل في مواصلة حركة الإصلاح التي انتهجها سلفه أمير المؤمنينعليه السلام، ومع ذلك كله لم يصدر من أمير المؤمنينعليه السلام ما يدل على تحميل خلافة ولده الإمام الحسنعليه السلام على رقاب الناس[١٥٣٤] .

وكان الحسنعليه السلام يرى بيعته نتيجة للدور الذي لعبه أبوه في توعية الأمّة وإرشادها الى القيم الاسلامية خاصة وأنّهم بايعوه على العمل بكتاب الله وسنة نبيّه[١٥٣٥] .

التفريق بين الخلافة والملكية : وقد حذّر الإمام الحسنعليه السلام في إحدى خطبه من تحول الخلافة إلى ملكية عندما ميّز بينهما مؤكداً على توافق عمل الخليفة مع المباني الاسلامية التي مَرّ الحديث عنها مقروناً بعدم الظلم والتعسف بحق الرعية[١٥٣٦] .

وقد كان الباعث على الحديث عن التفريق والإشارة إلى الملوكية الظاهرة الخطيرة التي وقعت في الشام حيث تصدت للحكم فيه أسرة تعدّ من الأسر المعادية للإسلام قبل الفتح الاسلامي ، والتي تمكّنت من التصدي لإمارة تلك البلاد منذ زمن الخليفة الثاني .

وقد بذلت قصارى جهدها لتحويل الحكم إلى سلطنة وملكية تحكمها الأسرة الأموية ، وانتبه إلى هذه القضية الخطرة الامام الحسنعليه السلام والكثير من المسلمين ، ومن هنا أخذت حيّزا كبيراً من تفكير الإمام وكانت من أهم الأولويات التي كان يفكر بالقضاء عليها.

---

١٥٣٤– البلاذري، جُمَل من أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٢٦٢.

١٥٣٥– الطبري، تاريخ الطبري، ج ٥، ص ١٥.

١٥٣٦– أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص ٤٧.

معاهدة الصلح : صلح الإمام الحسن سجّل لنا التاريخ الإسلامي أنّ الإمام الحسن عليه السلام ومنذ الأيام الأوّلى لتسنّمه مسند الخلافة بذل جهده في التصدي لمعاوية ، إلا أنّ الحالة القلقة في العالم الاسلامي وتشتت القوى جعلا الأمور تسير لصالح معاوية .

ومن هنا لم يجد الإمام عليه السلام أمامه — بعد ستة أشهر من حكمه- من خيار إلا المصالحة والتنازل لمعاوية مشترطا عليه حسب رواية البلاذري أن يعمل فيها بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسيرة الخلفاء الصالحين[١٥٣٧]، وعلى أنه ليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده و..[١٥٣٨] وإنّما اشترط عليه ذلك كي لا تتحول الخلافة إلى ملكية ووراثة يرثها الأبناء عن الآباء[١٥٣٩].

لكن سرعان ما صدق تشخيص الإمام عليه السلام لخطورة الموقف حينما كشف معاوية عن النوايا التي كان يخفيها وأظهر للملأ العام بأنّه إنّما قاتلهم للإمرة والسلطان حينما خاطب أهل الكوفة بقوله :

« إني والله ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا ، ولا لتحجوا ، ولا لتزكوا ، إنكم لتفعلون ذلك ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون »[١٥٤٠].

منهج الخلافة الراشدة في الحكم : اعتمد المنظّر السني طريقة الحكم واختيار الخلفاء الراشدين منطلقاً لبيان نظريته في الحكم وشرعنة الحاكمية وقد طرحت هنا مجموعة من النظريات من قبيل « رأي أهل الحل والعقد» و«أهل الإستخلاف» و«مبدأ الشورى»[١٥٤١].

ومبدأ الحصر، أي « الخليفة من قريش »، بالإضافة إلى اعتماد البيعة كطريقة في إثبات الخلافة وإظهار الوفاء للخليفة والرضا بحكمه[١٥٤٢]. ومن الأمور التي كان المستند الشرعي فيه مبتني على أساس منهج الخلفاء، حكم جهاد البغاة وغير ذلك من الأحكام.

١٥٣٧- البلاذري، جُمَل من أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٢٨٧.

١٥٣٨- نفس المصدر .

١٥٣٩- جعفريان، تاريخ تحوّل دولت وخلافت، ص ١٨١.

١٥٤٠- أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص ٤٥.

١٥٤١- قادري، تحول مباني مشروعيت خلافت، ص ٨٣ ـ ٨٧؛ جعفريان، تاريخ تحول دولت وخلافت، ص ٩٩.

١٥٤٢- الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص ٦ ـ ٧ .

**و :– معاوية بن أبي سفيان :**

يعدّ معاوية المؤسس لحكومة الأمويين سنة (٤١ هـ.ق) ، وقد واجهت حركته هذه أزمة المشروعية ، وذلك لأنّ المسلمين لم يروا في معاوية ما يضعه في مصاف الخلفاء السابقين ولم يكن الرجل يحمل تاريخاً مشرّفا يؤهّله لنيل هذا المسند .

بل لم يستطع الكثير من المسلمين استيعاب فكرة مبايعته كخليفة للمسلمين مما اضطر السلطة الحاكمة لأخذ البيعة من الناس قسراً كما حصل ذلك في الكوفة[١٥٤٣] . بل معاوية نفسه اعترف بذلك أمام جمع من المسلمين حينما خاطبهم بقوله: وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون[١٥٤٤] .

طرق إضفاء المشروعية : لم يقف معاوية مكتوف اليد بل حاول وكما يقول الجاحظ[١٥٤٥] التمسك بنظرية اجتماع الأمّة حيث أطلق على سنة خلافته «عام الجماعة» موحياً إلى الجماهير بأنّ اجتماع الأمّة يضفي الشرعية على الشخص المجمع عليه وأنّه لم يسبقه من اجتمعت الأمّة على حكمه[١٥٤٦] .

ثم ظهرت في الفقه السياسي السني من أعماق هذه الفكرة فكرة «الحُكْمُ لِمَنْ غَلَبْ»[١٥٤٧] فكانت المستند لحكم معاوية ومن خلفه من الحكام، والمستند في قمع المخالفين وإخماد صوتهم[١٥٤٨] .

سعى معاوية –كما أفصح عن ذلك في أول خطاب له– لتحويل الخلافة إلى سلطنة وملكية، بل صرّح بزوال الخلافة وتوصيف نفسه بالملِك[١٥٤٩] . وإن تمسك بمفردتي الخليفة وأمير المؤمنين لمصلحة اقتضت ذلك[١٥٥٠] .

---

١٥٤٣– اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢١٦ ـ ٢١٧؛ وكذلك : أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص ٤٥.

١٥٤٤– ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ج ٤، ص ٧٥ ـ ٧٦.

١٥٤٥– الجاحظ، رسالة للجاحظ في بني أمية، ص ٩٣.

١٥٤٦– البلاذري، جُمَل من أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٩٨؛ نهج البلاغة، الرسالة ٦.

١٥٤٧– جعفريان، تاريخ تحول دولت وخلافت، ص ١٦٢ ، ١٨٨.

١٥٤٨– الطبري، تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٢٦٩ الشهادة التي نظمت ضد حُجربن عدي؛ وكذلك: ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج ٥، ص ٥٦: كلام ابن زياد لمسلم بن عقيل.

١٥٤٩– ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٥٩، ص ١٥١، ١٧٧.

١٥٥٠– اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢١٧.

ولم يهضم المسلمون هذا التناقض الواضح بإستثناء الشاميين الذين تطبعوا على حكمه وترسخ عندهم وصف معاوية بأمير المؤمنين من قبل ذلك[١٥٥١].

إلا أنّ القضية لم تكن عصيّة على الحل خاصة إذا كان قد رسّخ في أذهان عامة الناس وصف معاوية بأنه « كسرى العرب » ، ولاريب أنّ كسرى العرب لا يكون كسائر الخلفاء الذين سبقوه.

ولكي يبرر لنفسه التصرف بأموال بيت المال في مصالح الشخصية وصفه بأنه مال الله[١٥٥٢] من جهة ثم وصف نفسه بأنه خليفة الله وسلطانه من جهة أخرى[١٥٥٣].

ركّز معاوية على فكرة الحكم الالهي وأنّ الخلافة هبّة إلهية له ولمن يأتي من بعده من البيت الأموي[١٥٥٤]. مما برر فكرة وراثة الملك، داعمين ذلك بحديث منسوب الى النبي الأكرمﷺ: «الخلافة ثلاثون ثم يكون الملك»[١٥٥٥].

ومع ذلك حاول التمسك بظواهر الأمور ليخدع بها عامة الناس كالتمسك بلقب أمير المؤمنين ومحاولة نقل منبر النبيﷺ وعصاه الى الشام[١٥٥٦].

وإشاعة فكرة سلطان الله وترسيخها في أذهان الناس ، وهل يجرؤ أحد من الاقتراب من حدود حكم الله وسلطانه؟![١٥٥٧]، ومن اقترب كان مصيره إخماد صوته وشلّ حركته في المهد، وقد اعتمد هذا المنهج لاحقا خليفته وابنه يزيد بن معاوية.

---

١٥٥١– ابن مزاحم، وقعة صفين، ص ٣٢، ٨٠ ـ ٨٢؛ وكذلك : ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٥٩، ص ١٤٦.

١٥٥٢– الطبري، تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٨٣.

١٥٥٣– ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٦٩؛ وكذلك : المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٢٣٥.

١٥٥٤– ابن عساكر، تاريخ دمشق ج ٥٩، ص ١٥٠.

١٥٥٥– ابن حنبل، مسند ابن حنبل، ج ٦، ص ٢٨٩.

١٥٥٦– الطبري، تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩.

١٥٥٧– الطبري، تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٢٢٠: حديث ابن زياد مع أهل البصرة؛ وكذلك : ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج ٤، ص ٤٠٤.

**ز :- يزيد بن معاوية :**

وهو أوّل شخصية تجسدت فيه ولاية العهد الوراثية فكان تصديه للحكم بهذه الطريقة يهدف الى أمرين الأوّل ترسيخ الحكم وحصره في البيت الأموي، والآخر- وهو الأهم- تغيير وجهة الحكم الاسلامي خاصة من ناحية الشروط التي ينبغي توفرها في الخليفة والحاكم المسلم .

وقد تصدت السلطة بعد حلول الفاجعة بتسنم يزيد سدّة الحكم عام ٦٠ هجرية للحركات المناوئة بأبشع أنواع القهر والقسوة حتى وصف الإمام الحسينعليه السلام وأصحابه بالخارجين عن الدين[١٥٥٨] وخيّر أهل المدينة - بعد فشل ثورتهم- بين الموت ومبايعة يزيد على أنهم خول (عبيد) ليزيد يحكم بما شاء في دمائهم وأموالهم وأهليهم[١٥٥٩] .

وضرب الكعبة بالمنجنيق وإحراقها لإخماد ثورة الزبيريين[١٥٦٠]. ليوحوا للمسلمين بأنّ مشروعية الخلافة من الآن فصاعدا لم تنشأ من التزام الخليفة بقيم السماء والدين الحنيف بل الخليفة نفسه معيار الحق والباطل، بل أفضل عمل يقوم به بعد توحيد الله تعالى القضاء على معارضيه وإسكاتهم[١٥٦١] .

ومع ذلك كله نشبت أكثر من ثورة بوجه السلطة الأموية كواقعة الحرّة ثم ثورة التوابين وثورة المختار الثقفي التي تكشف عن فشل السلطة الأموية في ترسيخ فكرة الحكم الإلهي وإخافة الناس وإسكات جميع الأصوات حيث ظهرت معارضة أهل البيتعليهم السلام في كربلاء .

وظهرت تحركات في كل من مكة والمدينة والعراق معترضين على نمط الحكم ومؤكّدين على القيم والثوابت الإسلامية وضرورة توفر الشروط اللازمة في الخليفة[١٥٦٢].

الأمر الذي يكشف عن وجود جبهة معارضة للنهج الأموي في الحكم تدعو الى إعادة الحكم الى سالف أمره، ومن هؤلاء المعارضين من قام بثورة جعل من نفسه خليفة شرعيا للمسلمين هو عبد الله بن الزبير.

---

١٥٥٨- الطبري، تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٤٦١ ـ ٤٦٢.

١٥٥٩- ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٢١٤ .

١٥٦٠- الطبري، تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٤٩٨ ـ ٤٩٩.

١٥٦١- نفس المصدر ، ص ٤٩٧.

١٥٦٢- ابن خياط، تاريخ ابن خياط، ص ١٥٧؛ وكذلك : ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٧٤ ـ ١٧٥؛ وكذلك : الطبري، تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٤٩٢.

**ح :– عبد الله بن الزبير :**

إنّ ابن الزبير وإن لم يعلن عن تصديه للخلافة في الأيام الأوّلى لثورته، إلا أنّه كان يطمح بذلك ويدعو له قبل ذلك[1563]، وبعد أن توفي يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ.ق دعا الناس لمبايعته على كتاب الله وسنة نبيّه وسيرة الخلفاء الصالحين[1564].

وتمثّل دعوته هذه عودة إلى شكل الخلافة السابق كشعار سياسي لحركته، وما أن اعتزل معاوية بن يزيد الخلافة واضطراب الوضع الداخلي على الأمويين ، توسّعت مناطق الاعتراض لتتجاوز حدود الحجاز التي ثار فيها ابن الزبير.

**ط :– الخلافة المروانية :**

بدأت الخلافة المروانية مع اعتزال معاوية الثاني الحكم سنة ٦٤ هـ وتعاقب على الخلافة عشرة منهم منذ ذلك الحين وحتى سنة ١٣٢ هـ.

ولم يقتصر المروانيون على مواصلة المنهج السفياني في توارث السلطة بل راحوا يضفون على الخليفة نوعا من البعد المعنوي فكان للخليفة في المدرسة المروانية قداسة خاصة تجلى في بعض الألقاب التي أضفيت على الخلفاء من قبيل خليفة الله في الأرض[1565].

وأمين الله وراعي الله في الأرض وولي الحق ولقب ولي عهد الله والامام المهدي والإمام المبارك وخيار الله للناس، وقد وضعوا الكثير من الأحاديث التي تدعم ذلك وخاصة فريق من الشعراء الذين أظهروا تلك الأوصاف في قصائدهم المادحة للخليفة والمضيفة عليه نوعا من القداسة[1566].

وروي عن الحجاج وصفه للخليفة بأنّه ظل الله[1567]، بل كان الحجاج يرى أنّ « الله عصم الخليفة من الخطأ والزلل في القول والفعل»[1568]. ويرى أنّ « الوحي وخبر السماء لم ينقطع عن الخليفة»[1569].

---

١٥٦٣– ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٧٣.

١٥٦٤– البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٤١.

١٥٦٥– القلقشندي، صبح الأعشي في صناعة الانشاء، ج ٩، ص ٢٧٨.

١٥٦٦– جعفريان، تاريخ تحول دولت وخلافت، ص ٢٣٦ ـ ٢٤٧.

١٥٦٧– ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١٢، ص ١٧٦.

١٥٦٨– ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ج ٥، ص ٢١.

١٥٦٩– ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١٢، ص ١٥٨.

ولاريب بوجود غاية سياسية من وراء نشر هذه الأفكار في الوسط الاجتماعي واعتمادها وسيلة لإسكات المخالفين والقضاء عليهم باعتبار أنّ الخليفة إنما يبطش بيد الله تعالى وبتسديد منه سبحانه[١٥٧٠].

كذلك استُغلت تلك الافكار في دعم وترسيخ فكرة وراثة الملك التي تمثلت في تنصيب مروان بن الحكم عميد البيت المرواني لولديه لولاية الامر وعلى التعاقب[١٥٧١]، وسحب بساط الشرعية من تحت أقدام معارضي الحكم المرواني.

المعارضون : وقفت الشيعة وكثير من المسلمين المدافعين عن المنهج السياسي للإمام علي عليه السلام موقف المعارض من الحكم المرواني تمثل في دعم العلويين واسنادهم باعتبارهم الأجدر في تحقيق القيم والمثل الاسلامية الأصيلة.

مال الكثير من هؤلاء المعارضين إلى صفوف الدعوة العباسية عندما رفعت شعار «الرضا من آل محمّد عليهم السلام» آملين أن تعود الخلافة إلى مكانها الطبيعي المتمثل بأهل البيت عليهم السلام.

يختلف الأمر بالنسبة إلى العلويين فهناك طائفة منهم المتمثلة بالأئمة من ولد الحسين بن علي عليهم السلام ، عمدت إلى العمل بدقة حافظت من خلالها عن نشر أفكار المعارضة وبيان مكامن الخلل في الحكم المرواني .

كما استطاعت أن تبقى مصونة من البطش الأموي واستطاعت في نهاية المطاف ترسيخ دعائم النظام الفكري والسياسي للشيعة القائم على نظرية النص.

في المقابل نجد طائفة من العلويين (الزيدية) اختاروا القيام بالسيف كأسلوب أمثل في حلّ مشاكل المرحلة التي عاصروها فكانت لهم ثورات وتحركات ضدّ الأمويين معلنة .

ولم يتمكن هؤلاء من النجاح في العصر الاموي بسبب بطش الدولة وقوتها الا أنّهم تمكنوا بعد انهيار الدولة الأموية من إقامة حكومة زيدية في بعض البلدان الاسلامية من دون أن يستعملوا عنوان الخليفة في فكرهم السياسي.

---

١٥٧٠- الفرزدق، ديوان، تقديم وشرح مجيد طراد، ج ١، ص ٧٣، ٧٦، ٩٤، ٩٦.

١٥٧١- المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٢٨٨.

**ي :– نظرية الخوارج :**

يمتاز موقف الخوارج عن غيرهم من الفرق بمجموعة من الأفكار والنظريات التي تبنّاها فقههم السياسي كرفض فكرة الخلافة في قريش، بل يحلّ لكل مسلم عادل وتتوفر فيه مؤهلات القيادة كالشجاعة، التصدي لمنصب الخلافة بل ذهب البعض منهم الى القول بمشروعية خلافة غير العربي بل خلافة المرأة[١٥٧٢].

ومن هنا تصدى لقيادتهم وإمرة المؤمنين غير القرشيين[١٥٧٣]، ومن الأمور التي امتازوا بها أنّهم صيروا جماعة الخوارج جماعة متمايزة عن جسد العالم الاسلامي ودخلوا في حروب طاحنة مع المسلمين، وأنّ أمير المؤمنين عندهم يُنَصَّب عن طريق النصب العام ويحق لأتباعه خلعه بل قتله فيما إذا انحرف عن الدين واقترف المعاصي الكبيرة[١٥٧٤].

وقد تعرض جسد الخوارج الى كثير من التفكك والتشظي والفُرقة بحيث تحوّلوا الى مجموعة فرق موزّعة على أكثر من مكان من العالم الاسلامي ، ومن أبرز فرقهم النَجَدات التي ذهبت الى القول بعدم الحاجة الى الخليفة فيما اذا ساد المجتمع العدل والمساواة .

ويستفاد من هذه النظرية عدم الوجوب الشرعي للخلافة والإمامة، وانما هي منصب تقتضيه المصلحة ومع فقدها تنتفي ضرورة وجود الامام والخلافة[١٥٧٥]، ومنهم الجَارِدة الذين ذهبوا الى مشروعية وجود إمامين في آن واحد[١٥٧٦].

---

١٥٧٢– الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج ١، ص ١٨٩؛ وكذلك : البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ١١٠ ـ ١١١؛ وكذلك : الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ١١٦.

١٥٧٣– البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٨٥ ـ ٨٦.

١٥٧٤– الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ١١٦.

١٥٧٥– الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج ١، ص ١٨٩ ـ ١٩٠؛ وكذلك : الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ١٢٤.

١٥٧٦– الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ١٣٠.

نظرية المرجئة : تتبنّى المرجئة نظرية خاصة بالنسبة للخلافة ، فالمرجئة — والتي رفع لواءها الحسن بن مُحَّد بن الحنفية– نشأت نتيجة الصراعات الفكرية المتضاربة في الوسط الاسلامي والحروب التي شهدها العالم الاسلامي خاصة في عصري الخليفتين الثالث والرابع، فذهبت الى القول بتقدم الخليفتين الأوّل والثاني على الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وأن تأخير خلافته نابع من مشيئة ربانية[١٥٧٧] .

ثم شاب تلك الفكرة نوع من الابهام والغموض عندما توقف القوم عن القول بالتفضيل وتقديم أحد الخلفاء على الآخر منطلقين في ذلك من التظاهر بالحرص على وحدة العالم الاسلامي. لكنها في نهاية المطاف اتخذت ذريعة لدعم مشروعية الخلافة الموجودة[١٥٧٨] .

مفهوم الخلافة عند المسلمين: بالرغم من تعدد الآراء وتشعب النظريات في مسألة الخلافة إلا أنّ الرؤية الأموية هي التي بقيت سائدة في أذهان عامّة المجتمع الإسلامي حتى بعد سقوط دولتهم ، إلا أنّ ذلك لم يمنح الأمويين صورة ناصعة عند جماهير المسلمين من الأجيال المعاصرة واللاحقة لهم ؛ وذلك للبطش والتعسف الذي مارسه الأمويّون طيلة فترة حكمهم وبالأخص لموقفهم الجائر من أئمة أهل البيت عليهم السلام[١٥٧٩] .

ومن هنا نرى الكثير من الكتّاب والمؤلّفين يحجمون عن إطلاق لقب أمير المؤمنين بل حتى الخليفة بحق الحكام الأمويين. بل يتمسكون بحديث «الخلافة ثلاثون سنة...» لإخراج الخلافة الأموية من تحت مظلّة الخلافة وإلحاقها بالملكية والكسروية.

عاكسين بذلك نظرتهم السلبية باتجاه الحكم الأموي ، بل لم ينفع في تجميل الوجه الأموي وتلميعه أمام الرأي العام وجود الخليفتين الإصلاحيين –كما اشتهرا – عمر بن عبد العزير ويزيد بن الوليد[١٥٨٠] .

---

١٥٧٧– نفس المصدر ، ، ص ١٣٩.

١٥٧٨– الفكر السياسي في الاسلام وإيران، ص ٦٥ ـ ٦٦ . وكذلك : المدبولي، الفكر السياسي عند المعتزلة، ص ٢٨ ـ ٢٩.

١٥٧٩– ابن سنجر، تجارب السلف، ص ٥٧ .

١٥٨٠– الخطيب الإسكافي، لطف التدبير، ص ١٢؛ وكذلك : الطرطوشي، سراج الملوك، ص١٢٦ ـ ١٢٧.

**٢- الإمامة :**

الإمامة لغة هي الانقياد خلف إنسان، والاقتداء بقوله وفعله، وقد وردت كلمة (إمام) في القرآن الكريم لتعبر عن عدة معان، منها:

المعنى الأول : اللوح المحفوظ، كما في قوله تعالى: ( وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) [١٥٨١].

المعنى الثاني : الكتاب السماوي، كما في قوله تعالى: (ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة) [١٥٨٢].

المعنى الثالث : الطريق الواضح ، كما في قوله تعالى بشأن قومي لوط وشعيب : ( وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين * فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين) [١٥٨٣].

المعنى الرابع : قادة الهداية ، كما في قوله تعالى بشأن إسحاق ويعقوبعليهما السلام ( وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات)[١٥٨٤].

المعنى الخامس : قادة الضلال ، كما في قوله تعالى بشأن فرعون ومن معه : ( وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون)[١٥٨٥]، وقوله تعالى: (فقاتلوا أئمة الكفر) [١٥٨٦]، وفي قوله تعالى: (يوم ندعو كل أناس بإمامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلا * ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً)[١٥٨٧].

دلالة على أن لكل قوم إماماً يدعون به يوم القيامة ، وهو إما أن يكون إمام هداية ، أو إمام ضلال. ولا يمكن أن يكون معنى (بإمامهم) في هذه الآية هو (كتبهم) كما يفسر بعض ، المفسرين .

---

١٥٨١- يس ١٢ .

١٥٨٢- هود ١٧ .

١٥٨٣- الحجر ٧٨ – ٧٩ .

١٥٨٤- الانبياء ٧٣ .

١٥٨٥- القصص ٤١ .

١٥٨٦- التوبة ١٢ .

١٥٨٧- الاسراء ٧١ – ٧٢ .

لأن أول كتاب سماوي نزل متضمناً لشريعة إلهية هو كتاب نوح، وهذا سيعني خروج جميع الأقوام التي كانت قبل مجئ النبي نوح عليه السلام من مقصود هذه الآية، وهذا غير ممكن لأن جميع الأقوام ستدعى للحساب يوم القيامة.

وعلى ذلك ، فإنه وعلى ضوء هذه الاستخدامات المتعددة لكلمة (إمام) في القرآن الكريم ، يمكن استخلاص وتوجيه المفهوم الإلهي للإمامة وصفاً للقادة الربانيين الذين اصطفاهم الله سبحانه وتعالى ليكونوا هداة الناس إلى شريعته على ضوء الكتب والرسالات التي أنزلها على أنبيائه ورسله، فالكتاب في واقع الحال لا يمكن أن يكون مرشداً للناس من بدون إنسان متخصص بحمله، عارفاً بأمره.

وما يؤكد هذا المعنى ، وصف الإمامة في آيات أخرى بـ(عهد الله) الذي لا يناله سوى المتقين، واستحالته على الظالمين كما في قوله تعالى: (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين)[١٥٨٨].

وبذلك تكون الإمامة بمعناها القرآني الخاص وصفاً لأعلى درجات الخلافة ، وقد اشتهر بين المسلمين إطلاق لقب الإمام وصفاً لحاكم الدولة الإسلامية ، وبصورة أوسع للفقهاء وأصحاب المذاهب ، ولمن يأتم الناس به في صلاة الجماعة ، وحتى أنه يطلق أحياناً في هذا الزمان على رؤساء بعض الحركات والجماعات الإسلامية.

وإجمالاً : استخدام مصطلحي الخلافة والإمامة مترادفين دائماً ، للتعبير عن مفهوم واحد ، وهو قيادة الأمة الإسلامية وإدارة شؤونها العامة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذا ما دفع بنا إلى استخدام هذا الترادف هو غلبة استخدام مصطلح الخلافة عند أهل السنة ، ومصطلح الإمامة عند الشيعة على نحو من التخصيص ، وكأنهما مفهومان مختلفين ، وما هما كذلك.

---

١٥٨٨- البقرة ١٢٤ .

### أ :– الخلافة والإمامة بالتشريع :

تلاحظ في التشريع الإسلامي ، بالرغم من أن الخلافة والإمامة بمفهومها العام هي محل قبول جميع المسلمين ، إلا أنه عند التعرض لدراسة خصوصيات هذا المفهوم عند كل من الفرق والمذاهب الإسلامية ، تجد أن مسألة الخلافة والإمامة كانت محور الخلاف الأكبر بين المسلمين على مر العصور، وتسببت في حدوث أزمات لا تزال الأمة تعاني من آثارها وترسباتها لغاية يومنا هذا .

وهذه الخصوصيات هي موضوع ما شرعه الإسلام حول هذه المسألة كما فهمه المسلمون ، كل حسب مشربه ، وتحديداً من خلال وجهة نظر فرقتي أهل السنة والشيعة بوصفهما الفرقتين اللتين لا زالتا تتمتعان بوجود واقعي ومستمر، ويشكل أتباعهما مجموع أبناء الأمة تقريباً .

ولكن قبل ذلك كله ، ونظراً لسوء الفهم الشائع بين المسلمين ، وغلبة الأحكام المسبقة حول الفرق والمذاهب ، نقدم صورة موجزة جداً في تعريف كل من هاتين الفرقتين :

أهل السنة : السنة لغة هي الطريقة أو نمط الحياة. والسنة اصطلاحاً هي كل ما روي عن النبيﷺ من قول ، أو فعل ، أو تقرير أو صفة ، خلقية أو خلقية. فيكون المعنى الظاهري أو المفهوم المجرد لكلمتي (أهل السنة) الأتباع الذين يقتدون بالسنة النبوية المطهرة.

وأما (أهل السنة) المصطلح المتداول بين الناس ، فهو تسمية لفرقة إسلامية كبيرة يعتقد أتباعها بأركان الإسلام الخمسة وهي : الشهادتان، والصلاة، والصيام ، والزكاة ، والحج (ويضيف بعضهم الجهاد ركناً سادساً) ، وبأركان الإيمان الستة وهي : الإيمان بالله ، وملائكته ، ورسله ، وكتبه ، واليوم الآخر، والقضاء والقدر خيره وشره.

ويرى أهل السنة أن الله ﷻ اختار واصطفى الصحابة ليكونوا حملة الرسالة وحفظتها ومعلميها بعد رحيل المصطفىﷺ إلى الأجيال اللاحقة، لأنهم – كما يرونهم – كانوا جميعاً في أعلى درجات الصلاح والتقوى، ولا يجوز نقدهم ، أو مجرد الشك بصحة أو صدق ما يروونه من حديث رسول اللهﷺ، ويشكل أهل السنة غالبية أبناء الأمة في وقتنا الحاضر.

الشيعة : التشيع لغة من المشايعة أي المناصرة والموالاة ، والشيعة هم الأتباع والأنصار المجتمعون على فكر واحد ، وموقف واحد.

وقد استخدم هذا اللفظ في القرآن الكريم بمعنى المناصرة والموالاة كما في قوله تعالى : (وإن من شيعته لإبراهيم)[1589]، وقوله تعالى : (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه)[1590]. وقال الشاعر حسان بن ثابت في مدح النبيﷺ:

أكرم بقوم رسول الله شيعتهم * إذا تعددت الأهواء والشيع

وأما الشيعة اصطلاحاً : فهي الفرقة التي يعتقد أتباعها بأركان إسلام أهل السنة وإيمانهم نفسها ، ولكن باختلافات طفيفة في تفاصيل بعضها.

ولكن ما ميز الشيعة عن أهل السنة بصورة رئيسية هو نظرتهم للخلافة والإمامة كركن هام من أركان الاعتقاد ، وما تضمنه هذا الخلاف من تفاصيل وتفرعات.

ويعتقد الشيعة أن اللهﷻ: اختار أهل البيتعليهم السلام واصطفاهم ليكونوا حملة الرسالة الإسلامية وحفظتها ومعلميها إلى الأجيال اللاحقة بعد رحيل النبيﷺ، لأنهم -كما يرونهم - قد خصهم الله بمواصفات استثنائية من التسديد في العلم والتطهير من كل رجس وإثم. ويشكل الشيعة في عصرنا ما لا يقل عن ربع او خمس تعداد المسلمين .

**ب :- ماهية الخلافة والإمامة :**

عند أهل السنة : يغلب على تعريفات الخلافة أو الإمامة عند علماء أهل السنة القدماء والمعاصرين إعطاء الطابع التنظيمي والتنفيذي لرئاسة الدولة الإسلامية ، ولحفظ وتحقيق مصالح الناس على هدى مبادئ الشريعة[1591].

وهذا يشمل إقامة الحدود ، وتدبير أمور الأمة ، وتنظيم الجيوش ، وسد الثغور، وردع الظالم وحماية المظلوم ، وقيادة المسلمين في حجهم وغزوهم وتقسيم الفيء بينهم[1592].

وهم بذلك لا يعترفون بفصل الدين عن الدولة وسياستها وشؤونها الإدارية ، بل يعتبرون أنهما قائمان على بعضهما بعضا. ومن هذا المبدأ الأساس ينطلق مفهوم الحاجة إلى القيادة الإسلامية.

---

١٥٨٩- الصافات ٨٣ .

١٥٩٠- القصص ١٥ .

١٥٩١- محمد سليم العوا: النظام السياسي للدولة الإسلامية، ص ١٢٦ - ١٢٧.

١٥٩٢- الماوردي: الأحكام السلطانية، ص ١٥ - ١٦.

ويقول ابن تيمية في ذلك : ( يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين ، بل لا قيام للدين إلا بها . فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض ، ولا بد لحراسة الدين من رأس )[١٥٩٣] .

ويبين الماوردي الدور الخطير الذي يلعبه الإمام بشأن حراسة الدين بقوله : ( فليس دين زال سلطانه إلا بدلت أحكامه، وطمست أعلامه، وكان لكل زعيم بدعة، ولكل عصر فيه وهية أثر، وكما أن السلطان إن لم يكن على دين تجتمع به القلوب حتى يرى أهله الطاعة فيه فرضاً، والتناصر عليه حتماً لم يكن للسلطان لبث ، ولا لأيامه صفو، وكان سلطان قصر أو مفسد دهر. ومن هذين الوجهين وجب إقامة إمام يكون سلطان الوقت وزعيم الأمة، فيكون الدين محروساً بسلطانه، والسلطان جارياً على سنن الدين وأحكامه)[١٥٩٤] .

وبالرغم من هذا التزاوج الواضح بين الدين والدولة بحيث إن صلاح أحدهما لا يكون إلا بصلاح الآخر، فإن موقع النظر في مسألة ولاية أمر المسلمين المتمثلة بالخلافة والإمامة لا ينسجم مع أهميتها العظمى هذه ويصنفها العلماء القدماء من أهل السنة ليس ضمن فروع الدين وأحكام الفقه فقط .

وإنما يحثون على عدم خوض الكلام والبحث فيها أيصاً ، لما قد يجلب ذلك من انتقاد بحق الخلفاء لا سيما الأوائل منهم؟! فيقول الغزالي:

( إعلم أن النظر في الإمامة ليس من المهمات ، وليس أيضاً من فن المعقولات – بمعنى أنه ليس من العقائد– بل من الفقهيات. بل إنها مثار للتعصبات، والمعرض عن الخوض فيها أسلم من الخائض فيها وإن أصاب، فكيف إذا أخطأ؟)[١٥٩٥] .

وللآمدي رأي مطابق للرأي السابق يقول فيه : ( واعلم أن الكلام في الإمامة ليس من أصول الديانات، ولا من الأمور الأبديات بحيث لا يسع المكلف الاعتراض عنها والجهل بها، بل لعمري إن المعرض عنها أرجى من الواغل فيها. فإنها قلما تنفك عن التعصب، والأهواء، وإثارة الفتن، والشحناء، والرجم بالغيب في حق الأئمة والسلف بالازراء ، هذا مع كون الخائض فيها سالكاً سبيل التحقيق، فكيف إذا كان خارجاً عن سواء الطريق؟)[١٥٩٦] .

---

١٥٩٣– ابن تيمية: السياسة الشرعية، ص ١٦٥.

١٥٩٤– الماوردي: أدب الدين والدنيا، ص ١١١.

١٥٩٥– أبو حامد الغزالي: الإقتصاد في الاعتقاد، ص ٢٣٤.

١٥٩٦– الآمدي: غاية المرام في علم الكلام، ص ٢٣٤.

وقد انطلق هذا الاعتبار بفرعية الخلافة والإمامة عند أهل السنة وتهميش موقعها ضمن تعاليم الدين من اعتقادهم بعدم تدخل الشريعة من الأساس بتعيين من يخلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإنما يرون أن هذا الأمر قد أوكل إلى الصحابة ابتداء ، وإلى الناس في كل عصر ليختاروا أولياء أمورهم استناداً إلى قوله تعالى: (وأمرهم شورى بينهم)[١٥٩٧] .

ويستنتج من كل ذلك ، أن الخلافة والإمامة في جوهرها منصب سياسي وتنفيذي لتطبيق حدود الشريعة ، وحفظ مصالح العباد ومحاربة الأعداء.

ولا تقع على عاتق هذا المنصب مسؤولية حفظ الدين أو تفسير ما غمض من حقائقه ، أو تبيان حدوده وتوضيح معالمه وغير ذلك من الأمور المتعلقة بفهم الشريعة وتفهيمها .

وأما قول علماء أهل السنة بتحمل الخليفة مسؤولية حراسة الدين ، فإنما يقصد من ذلك الدفاع عن وجود الدين ضد أي تهديد سياسي أو عسكري قد يستهدف اجتثاثه أو الإطاحة بالنظام الحاكم ، وهو بذلك دفاع عن المجتمع الإسلامي ، أو الحكومة الإسلامية ضد أي خطر داخلي أو خارجي ليس إلا.

واما عند الشيعة : يعطي الشيعة[١٥٩٨] لمنصب الخلافة أو الإمامة دوراً أكثر – (دينياً) – مما يعطيه أهل السنة ، وذلك لأنها تعتبر عندهم الخلافة الإلهية في الأرض ، ومهمة الإمام الأساسية استخلاف النبي صلى الله عليه وآله وسلم في وظائفه من هداية البشر وإرشادهم إلى ما فيه صلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

فالإمام هو الذي يفسر لهم القرآن ، ويبين لهم المعارف والأحكام ويشرح لهم مقاصد الشريعة ، ويصون الدين من التحريف والدس ، وله الولاية العامة على الناس في تدبير شؤونهم ومصالحهم ، وإقامة العدل بينهم وصيانتهم من التفرقة والاختلاف.

---

١٥٩٧– الشورى ٣٨ .

١٥٩٨– معتقدات الشيعة هي: ١:– معرفة الله — التوحيد: أ– التوحيد الذاتي· ب– التوحيد الصفاتي· التوحيد الأفعالي· ج– التوحيد العبادي. د–الفروع: التوسل· الشفاعة·التبرك. ٢:– العدل: أ– الحسن والقبح· ب– البداء· ج– الجبر والتفويض. ٣:– النبوة: أ– عصمة الأنبياء· ب– الخاتمية نبي الإسلام· ج– علم الغيب· د– الإعجاز· هـ – عدم تحريف القرآن· و– الوحي. ٤:– الإمامة: الاعتقادات أ– عصمة الأئمة· ب– الولاية التكوينية· ج – علم الغيب· د —الغيبة: الغيبة الصغرى والغيبة الكبرى· وإنتظار الفرج · الظهور · الرجعة · الولاية · البراءة · أفضلية أهل البيت عليهم السلام. ٤:– المعاد : أ– البرزخ· ب– القبر· ج– النفخ في الصور· د– المعاد الجسماني· هـ – الحشر· و– الصراط· ز– تطاير الكتب· ح– الميزان· ط– يوم القيامة· ي– الثواب· ك– العقاب· ل– الجنة · م– النار· وهكذا.

فالإمامة بذلك تعد منصباً إلهياً ، واستمراراً للنبوة في وظائفها باستثناء كل ما يتعلق بالوحي. وهي بهذا المفهوم أسمى من مجرد القيادة والزعامة في أمور السياسة والحكم ، ولا يمكن الوصول إليها عن طريق الشورى أو الانتخاب، بل لا بد أن يكون تنصيب الإمام بتعين من الله عز وجل على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم .

ويرى الشيعة أن الشورى حسب الآية (وأمرهم شورى بينهم)[١٥٩٩]، لا تصح إلا في الأمور التي لم يرد فيها حكم من الله ورسوله ، وأما مسألة تعيين أو اختيار ولاية أمر المسلمين بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهي مما كان للشريعة الحكم القطعي فيها .

ومن ذلك ، الشيعة يعتبرون الإمامة أصلاً من أصول الدين لا يكتمل الإيمان إلا بالاعتقاد الصادق بإمامة الأئمة أو الخلفاء المعينين من الله ورسوله ، وأن تشريعها كان (لطفاً) من الله بعباده ، لأن المسلمين لم يكونوا مؤهلين لسد الفراغات التي خلفها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بغيابه.

فالحقبة الزمنية التي قضاها بينهم تعد قصيرة لإعداد أمة كاملة إعداداً كافياً، يؤهلها لإدارة وتدبير شؤونها الدينية والدنيوية بعده ، وخصوصاً إذا كان الأمر متعلقاً بإعداد أمة قد ترسخت فيها عادات المجتمع الجاهلي ووحشيته ، والذي كانت تحكمه لا أقل من شريعة الغاب فضلاً من أن الغالبية العظمى ممن أسلموا قد تلفظوا بالشهادتين بعد فتح مكة وأواخر حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

فإعداد هكذا أمة لا يمكن أن يتم خلال تلك الحقبة الزمنية القصيرة ، لا سيما إذا علمنا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قضى أكثر من نصف عمر دعوته في مكة يدعو الناس إلى قول كلمة التوحيد لا غير، ولم يقلها منهم إلا القليل.

وقضى ما تبقى من عمر الدعوة في المدينة وكان شغله الشاغل فيها الدفاع عن الإسلام كوجود مهدد بالفناء، وقد أخذت الحروب والغزوات الكثيرة من المسلمين كل مأخذ، والتي محص بعضها – كموقعتي أحد وحنين على سبيل المثال – مدى تغلل الإيمان في نفوسهم؟.

ومن هذه الأسباب يرى الشيعة أن الله عز وجل لم يطلب من رسوله صلى الله عليه وآله وسلم سوى تبليغ الرسالة للناس ، وإقامة الحجة عليهم بها لقوله تعالى: ( فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين)[١٦٠٠] وقوله تعالى : (فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلا البلاغ)[١٦٠١] .

١٥٩٩– الشورى ٣٨ .

١٦٠٠– المائدة ٩٢ .

١٦٠١– الشورى ٤٨ .

فالحفيظ المقصود في هذه الآية هو المسؤول عن هداية الناس وتعليمهم ، كما في قوله تعالى أيضاً : (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد)[١٦٠٢].

واعتماداً على هذه الآيات وغيرها يرى الشيعة أن دور الخلافة والإمامة في كل عصر (لكل قوم هاد) هو هداية الإنسان وإصلاح الفرد والمجتمع من خلال حمل الرسالة وحفظها من تحريف المحرفين ، وتشكيك المشككين .

وإلا فما هي فائدة سلامة تبليغ هذه الرسالة إذا لم تحفظ بعد رحيل مبلغها بأيد أمينة ؟ على أن ما حدث للشرائع السابقة فيه الإجابة الوافية على هذا التساؤل .

حيث كان أتباعها يأخذون معالم شرائعهم بعد رحيل أنبيائهم عن أي من كان، فحصل التحريف الذي أخبر عنه العلي الحكيم : (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون)[١٦٠٣].

وهكذا يرى الشيعة أيضا أن قوله تعالى : ( يوم ندعوا كل أناس بإمامهم)[١٦٠٤]، وقول النبي : ( من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية) ، إنما هو للتأكيد على أن أهداف رسالة الإسلام بعد رحيل المصطفى ﷺ لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال إمامة الخلفاء الهادين المرشدين: ( أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون)[١٦٠٥].

١٦٠٢- الرعد ٧ .

١٦٠٣- البقرة ٧٥ .

١٦٠٤- الاسراء ٧١ .

١٦٠٥- يونس ٣٥ .

**ج :– هوية الخلفاء والأئمة :**

عند أهل السنة وعند تدخل الشرع بالمسألة فقد تأسست نظرية الخلافة والإمامة عند أهل السنة على أساس عدم وجود أي نص في تعيين من يخلف النبيﷺ، وترك أمر اختيار الخليفة للناس وبالأسلوب الذي يرونه مناسباً، محتجين بقوله تعالى: (وأمرهم شورى بينهم)[١٦٠٦].

ويرى أهل السنة – أيضاً – أن النبيﷺ قد أهمل تحديد ذلك لئلا يحرج المسلمين بالتقيد بنمط خاص من أنماط الحكم أو اختيار الحاكم، وذلك يرجع لتطور الزمن وأساليب الحياة التي اختلفت وتعددت مقارنة بما كان عليه الحال في عهدهﷺ .

ويقول الكاتب المصري الدكتور مُحَمَّد سليم العوا في هذا الشأن : من الثابت تاريخياً أن رسول اللهﷺ لم يعين للمسلمين من يقوم بأمر الدولة الإسلامية بعد وفاته، بل لم يحدد الطريقة التي تتبع في اختيار الحاكم بعده، وإنما أوضح للمسلمين القواعد العامة التي يجب أن يراعيها الحاكم في سيرته.

وبين الرسولﷺ بسيرته وأقواله المثل العليا التي يجب التمسك بها والمحافظة عليها من جانب الحاكم والمحكومين على السواء، دون أن يتضمن ذلك الجانب من سنة الرسول، كما لم تتضمن نصوص القرآن الكريم تفصيلاً لنظام الحكم الذي يجب أن يطبق في الدولة الإسلامية إذ اكتفى في هذا الصدد بالقواعد العامة فحسب[١٦٠٧].

وأضاف : إن الإمام الجويني ذهب إلى مثل هذا الرأي عندما يقرر أن (معظم مسائل الإمامة عرية عن مسالك القطع ، خلية عن مدارك اليقين)[١٦٠٨].

وبعد قول أهل السنة بعدم وجود نصوص في تعيين من يخلف النبيﷺ أو في طريقة اختياره وشروط انعقاد البيعة له ، فإنهم ذهبوا للاستدلال بأقوال الصحابة وأفعالهم في تشريع القوانين ووضع النظريات في هذه المسائل.

---

١٦٠٦– الشورى ٣٨ .

١٦٠٧– مُحَمَّد سليم العوا، في النظام السياسي للدولة الإسلامية، ص ٧١.

١٦٠٨– عبد الملك الجويني، غياث الأمم، ص ٧٥.

وهم يجمعون على كل حال على الاعتقاد بأن الإمامة الحقة تمثلت بخلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، على حسب ترتيب أفضليتهم عندهم، وسموهم بالخلفاء الراشدين .

ويعتبرون أيضاً شرعية الخلفاء ممن جاءوا بعدهم كالخلفاء الأمويين، والعباسيين، والعثمانيين، ولم يستثن من هذا الاعتبار سوى قلة نادرة كالخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز الذي عد خليفة راشدياً خامساً.

وبالرغم من إجماع أهل السنة بعدم وجود أي نص بإستخلاف أي أحد بعد النبي ﷺ، إلا أن غالبيتهم قالوا إنه ألمح بإستخلاف أبي بكر وشذ بعضهم وقالوا إنه ﷺ نص على خلافة أبي بكر، فأما القائلون بالتلميح ، فهو لاستنادهم على ما روته ام المؤمنين عائشة عندما سئلت من كان النبي ﷺ مستخلفاً لو استخلفه؟ قالت: أبو بكر، فقيل لها: ثم من بعد أبي بكر؟ قالت: عمر، ثم قيل لها: من؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح، ثم انتهت إلى هذا[١٦٠٩] .

وروت ام المؤمنين عائشة أيضاً أن الرسول ﷺ قال لها في مرضه الأخير: ( ادع لي أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتاباً ، فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل : أنا أولى ، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر)[١٦١٠] .

وأما الشاذون بالقول بنص الرسول ﷺ بإستخلاف أبي بكر كابن حزم ، وابن حجر، فهو لاستنادهم إلى روايات ضعفها علماء الفريقين.

ومنها ما نسب إلى النبي ﷺ أنه قال لامرأة : ( إن جئت فلم تجديني فأت أبا بكر الخليفة من بعدي)[١٦١١] . ومنها أيضاً: (يكون خلفي اثنا عشر خليفة، أبو بكر لا يلبث إلا قليلاً)[١٦١٢] . ومنها: (إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر)[١٦١٣] .

ومن هذه الروايات المشكوك في صحتها أيضاً ما نسب إلى الإمام علي عليه السلام أنه قال : ( لما قبض رسول الله ﷺ فوجدنا النبي ﷺ قد قدم أبا بكر في الصلاة ، فرضينا لدنيانا من رضي رسول الله ﷺ لديننا، فقدمنا أبا بكر)[١٦١٤] .

---

١٦٠٩- صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، ج ٥ ص ٢٤٧.

١٦١٠- نفس المصدر ، ص ٢٤٨.

١٦١١- ابن حجر الصواعق المحرقة، ص ٢٠.

١٦١٢- نفس المصدر ، ص ٢٠.

١٦١٣- نفس المصدر ، ص ٢٠.

طرق انعقاد الخلافة : تنعقد الخلافة أو الإمامة عند أهل السنة بإحدى الطريق التالية :

١ – إختيار أهل الحل والعقد : وأهل الحل والعقد هم بمثابة أعضاء مجلس الشورى الذي يمثل الأمة في عملية اختيار الخليفة ، ولم يشترط في ذلك عدد معين منهم ، فضلاً عن الإجماع ، ويذهب معظم علماء أهل السنة إلى تجويز انعقاد البيعة للخليفة ولو بمبايعة شخص واحد له من أهل الحل والعقد.

يقول الجويني : (.. فإذا لم يشترط الإجماع في عقد الإمامة لم يثبت عدد معدود ، ولا حد محدود ، فوجه الحكم بأن الإمامة تنعقد بعقد واحد من أهل الحل والعقد )[١٦١٥].

ويقول القرطبي : ( فإن عقدها واحد من أهل الحل والعقد ، فذلك ثابت ويلزم الغير فعله . – وهذا – خلافاً لبعض الناس حيث قالوا : لا تنعقد إلا بجماعة من أهل الحل والعقد ، ودليلنا أن عمر عقد البيعة لأبي بكر ولم ينكر أحد من الصحابة ذلك!)[١٦١٦].

وقال عضد الأيجي : ( بل الواحد والاثنان من أهل الحل والعقد كاف ، لعلمنا أن الصحابة مع صلابتهم في الدين اكتفوا بذلك كعقد عمر لأبي بكر)[١٦١٧]، وقال آخرون : ( أقل ما تنعقد به الإمامة منهم خمسة يجتمعون على عقدها ، أو يعقدها أحدهم برضا الأربعة استدلالاً بأن عمر جعل الشورى في الستة ليعقد لأحدهم برضا الخمسة)[١٦١٨].

٢ – عهد من الخليفة السابق : وفي هذه الطريقة يجوز للخليفة أن يعهد بالخلافة لمن شاء ليجعله خليفة بعده ، فتنعقد الإمامة بذلك.

فيقول التفتازاني على سبيل المثال : أن هذا الإستخلاف يعد بمنزلة الشورى ، ودليله على ذلك عهد أبي بكر بالخلافة إلى عمر[١٦١٩].

ويدخل في ذلك أيضا العهد إلى مجموعة من أهل الحل والعقد ليختاروا واحداً منهم إماماً. واستدل على ذلك من فعل عمر عندما عهد بالخلافة إلى ستة.

---

١٦١٤– ابن الجوزي: صفوة الصفوة.

١٦١٥– عبد الملك الجويني، الإرشاد، ص ٤٢٤.

١٦١٦– تفسير القرطبي، ج ١ ص ٢٦٠.

١٦١٧– الأيجي، المواقف، ص ٤٠٠.

١٦١٨– الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٧.

١٦١٩– التفتازاني، شرح المقاصد، ص ٢٧٢.

ويرى بعض العلماء من أهل السنة أن شرعية خلافة يزيد قد اعتبرت انطلاقاً من هذا الأساس – الشرعي – المستنبط من فعل الصحابة لأنها كانت أيضاً بعهد من أبيه معاوية بن أبي سفيان وهو صحابي لا يجوز نقده ، ثم كانت – خلافة يزيد – بمبايعة من بعض الصحابة ورضاهم كعبد الله بن عمر وهو أيضاً لا يجوز نقده ، بل يجب الاقتداء بما فعله ورضي به؟!.

٣ – الغلبة والقهر : وتكون هذه الطريقة بأخذ الخلافة بالقوة كما في حال الانقلاب العسكري .

ويقول التفتازاني : ( وتنعقد الإمامة بالقهر والاستيلاء، فإذا مات الإمام وتصدى للإمامة من يستجمع شرائطها من غير بيعة – أهل الحل والعقد– أو استخلاف – بعهد من الإمام السابق– وقهر الناس بشوكته، انعقدت الخلافة له)[١٦٢٠] .

ويقول الشربيني : والطريق الثالث – يكون – باستيلاء شخص متغلب على الإمامة جامع للشروط المعتبرة في الإمامة على الملك بقهر وغلبة بعد موت الإمام لينظم شمل المسلمين .

أما الاستيلاء على – إمامة الخليفة – الحي ففيه أمران : فإذا كان هذا الخليفة الحي متغلباً – بمعنى أنه وصل إلى الخلافة عن طريق الغلبة والقهر– انعقدت إمامة المتغلب عليه ، وإن كان إماماً ببيعة أو بعهد من الإمام السابق لم تنعقد إمامة المتغلب عليه[١٦٢١] .

عند الشيعة : لقد تأسست نظرية الخلافة والإمامة عند الشيعة على أساس وجود نص من الله تعالى على لسان نبيه مُحَمَّد ﷺ في تعيين هوية الخلفاء والأئمة .

فالشيعة يعتقدون أن الخلافة الحقة قد نص عليها بأوثق الأدلة وأوضح العبارات في علي بن أبي طالب عليه السلام ابتدأ، والأئمة من أهل البيت عليهم السلام بصورة عامة ، ولا تخرج الإمامة من نسلهم أبد الدهر، والذي سيكون آخرهم الإمام مُحَمَّد المهدي (المنتظر عليه السلام).

وفيما يلي نقدم ما احتج به الشيعة من نصوص رئيسية ومدلولاتها عندهم في معرفة الخلفاء والأئمة ، وهي على نوعين :

١٦٢٠– نفس المصدر .

١٦٢١– الشربيني، مغني المحتاج، ج ٤ ص ١٣١ – ١٣٢.

أولاً : النصوص في إمامة أهل البيتعليهم السلام.

ثانياً : النصوص في إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام.

وإمامة أهل البيتعليهم السلام يمكن استخلاص الأدلة التي يحتج بها الشيعة في إمامة أهل البيت ، والآراء والتفسيرات التي يقدمونها في ذلك كما يلي:

عدول الكتاب : أخرج الترمذي ، بسنده عن جابر بن عبد الله ، أنه سمع رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم يقول : ( أيها الناس إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي )[١٦٢٢].

وكان قولهصلى الله عليه وآله وسلم كما أخرج ذلك الامام مسلم في صحيحه : ( ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب ، وإني تارك فيكم ثقلين ، أولهما : كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتابه الله واستمسكوا به ، وأهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي )[١٦٢٣].

ومن هذا الحديث الذي يسلم علماء الفريقين بصحته يفهم أنه وعلى الرغم من أن اللهعزّ وجلّ أنزل القرآن على نبيه بأحكم صور التمام والكمال ، كما في قوله تعالى: (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ)[١٦٢٤]، وقوله تعالى: (ما فرطنا في الكتاب من شئ)[١٦٢٥].

إلا أنه لم يكن كافياً لضمان هداية الناس وإبعادهم من الضلال. لماذا؟.

يجيب الشيعة عن ذلك بالقول : إن عقول الناس قاصرة عن إدراك أسرار الكتاب ومغازيه والإحاطة بجميع جوانبه (تبياناً لكل شئ)، فكان لا بد وأن يكون لهذا الكتاب من مرافق يقوم بهذه المهمة التوضيحية للناس تمسكاً بقوله تعالى :

( هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم)[١٦٢٦].

---

١٦٢٢- صحيح الترمذي، ج ٢ ص ٣٠٨.

١٦٢٣- صحيح مسلم، كتاب الفضائل، ج ٥ ص ٢٧٢، طبعة دار الثعب.

١٦٢٤- النحل ٨٩ .

١٦٢٥- الانعام ٣٨ .

وهؤلاء الراسخون في العلم كما يوصفوا في موضع آخر قوله تعالى: (إنه لقرآن كريم * في كتاب مكنون * لا يمسه إلا المطهرون)[١٦٢٧].

فكما أن التمسك بالكتاب لا يعني الإمساك به أو القبض عليه باليد، فإن (مس) الكتاب في هذه الآية لا يعني مجرد لمسه باليد ، وإنما نزلت فيمن يحق لهم تفسير الكتاب وتأويله ، والذين تدخلت الإرادة الإلهية بتطهيرهم ، كما قوله تعالى : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)[١٦٢٨].

وحتى أن علماء الحديث عند أهل السنة يرون أن الحديثﷺ (..كتاب الله وعترتي أهل بيتي) والمشهور بحديث الثقلين ، أصح مما رواه أبو هريرة عن النبيﷺ قال : ( إني قد خلفت فيكم ما لن تضلوا بعدهما أبداً ما أخذتم بهما أو عملتم بهما : كتاب الله ، وسنتي)[١٦٢٩].

فهذه الرواية التي أخرجها الحاكم في مستدركه ليس فقط يقدم عليها حسب إجماع العلماء[١٦٣٠]، ما رواه الامام مسلم في صحيحه (.. كتاب الله وعترتي أهل بيتي) في حالة تناقضهما لأنها أوثق سنداً، وإنما أيضاً لعدم وضوح مفاد متنها.

فجميع الفرق الإسلامية تقول بالتمسك بالسنة النبوية ، ولكن لاختلاف هذه الفرق وتناقضها مع بعضها في كثير من المسائل يجعل لكل منها سنة مختلفة عن السنن الأخرى ، فأي من هذه السنن هي سنة مُحَمَّدﷺ؟.

ومن الأحاديث التي يحتج بها الشيعة تأييداً لحديث الثقلين ، قولهﷺ: (مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق)[١٦٣١]، وقولهﷺ: ( النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق ، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف )[١٦٣٢].

---

١٦٢٦- ال عمران ٧ .

١٦٢٧- الواقعة ٧٧ – ٧٩ .

١٦٢٨- الاحزاب ٣٣ .

١٦٢٩- المستدرك للحاكم، ج ١ ص ٩٣.

١٦٣٠- الدكتور أحمد بن حمدان محقق: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ص٨٠ .

١٦٣١- المستدرك على الصحيحين للحاكم، ج ٢ ص ٣٤٣، ح ٤٧١٥.

١٦٣٢- نفس المصدر ، ج ٣ ص ١٤٩ .

فمن هم أهل البيت ؟ : قد اختلف المسلمون أيضاً في تحديد هوية أهل البيت ، ويقول الشيعة : إن أهل بيت النبيﷺ هم : علي، وفاطمة، والحسن، والحسينعليهم السلام ، ويحتجون في ذلك بالأحاديث التالية :

كما في صحيح الامام مسلم بالإسناد إلى ام المؤمنين عائشة قالت: خرج رسول اللهﷺ وعليه مرط مرحل من شعر أسود ، فجاء الحسن بن عليعليهما السلام فأدخله ، ثم جاء الحسينعليه السلام فدخل معه ، ثم جاءت فاطمةعليها السلام فأدخلها، ثم جاء عليعليه السلام فأدخله، ثم قال : ( إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)[1633] .

ومن صحيح الامام مسلم أيضاً ، قال سعد بن أبي وقاص : لما نزلت الآية : (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم..)[1634] دعا رسول اللهﷺ علياًعليه السلام، وفاطمةعليها السلام ، وحسناًعليه السلام، وحسيناًعليه السلام، فقال: اللهم هؤلاء أهلي)[1635] .

وقد نزلت هذه الآية في حادثة المباهلة مع نصارى نجران ، حيث إن (أبناءنا) إشارة إلى الحسن والحسينعليهما السلام ، و (نساءنا) إشارة إلى فاطمةعليها السلام ، و (أنفسنا) إشارة إلى عليعليه السلام، لقولهعليه السلام لعليعليه السلام: (أنت مني وأنا منك).

ومن صحيح الامام الترمذي ، بالإسناد إلى عمرو بن أبي سلمة ربيب النبيﷺ قال : ( لما نزلت الآية "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً"[1636] في بيت أم سلمة ، دعا الرسولﷺ فاطمة ، وحسناً ، وحسيناً ، وعليعليهم السلام خلف ظهره ، فجللهم بكساء ثم قال : "اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا". قالت أم سلمة : وأنا معهم يا نبي الله ؟ قال : أنت على مكانك وأنت على خير) [1637] .

وفي مسند الامام أحمد، تروي أم سلمةعليها السلام زوج النبيﷺ أن رسول اللهﷺ قال لفاطمةعليها السلام: (ائتيني بزوجك وابنيك) فجاءت بهم، فألقى عليهم كساء فدكياً ، ثم وضع يده عليهم ثم قال : (اللهم إن

١٦٣٣- صحيح مسلم، كتاب الفضائل، ج ٥ ص ٢٨٧.

١٦٣٤- ال عمران ٦١ .

١٦٣٥- صحيح مسلم ، باب فضائل عليعليه السلام، ص ٢٦٨.

١٦٣٦- الاحزاب ٣٣ .

١٦٣٧- صحيح الترمذي، ج ٢ ص ٢٠٩.

هؤلاء آل مُحَّد، فاجعل صلواتك وبركاتك على مُحَّد وآل مُحَّد ، إنك حميد مجيد). قالت أم سلمة: فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه النبيﷺ من يدي وقال : إنك على خير)[١٦٣٨] .

وفي صحيح الامام مسلم أيضاً، عن زيد بن أرقم قال : (.. فقلنا من أهل بيته ؟، نساؤه؟ قال: لا، وأيم والله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها . أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده )[١٦٣٩] .

ولكن أهل السنة يحتجون بالآيات التالية من سورة الأحزاب دليلاً على أن نساء النبيﷺ هن أيضاً من أهل البيت : ( يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً وإن كنتن..)[١٦٤٠] إلى قوله تعالى : ( إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)[١٦٤١] .

ولكن الشيعة يردون ذلك من عدة وجوه منها :

إن مجئ آية تطهير أهل البيتعليهم السلام ضمن سياق الآيات النازلة في نساء النبيﷺ لا يعني بالضرورة أن يكون المقصود فيهما واحدا ، ذلك أنه يوجد العديد من آيات الكتاب الكريم التي تحوي الواحدة منها أمرين مختلفين تماماً عن بعضهما.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ( حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم)[١٦٤٢] .

ومن وجه آخر : فقد جاء ضمير المخاطب لمن شملهم التطهير بـ(عنكم، يطهركم) وليس بغير المخاطب لجمع المؤنث (عنكن – يطهركن)، كما جاء في المواضع السابقة لذلك والتي خوطبت بها نساء النبيﷺ بـ(كنتن، منكن، لستن، تخضعن، وقرن.. الخ).

---

١٦٣٨– مسند أحمد، ج ٦ ص ٣٠٦.

١٦٣٩– صحيح مسلم، كتاب الفضائل، ج ٥ ص ٢٧٤ .

١٦٤٠– الاحزاب ٢٨ .

١٦٤١– الاحزاب ٣٣ .

١٦٤٢– المائدة ٣ .

ومن وجه ثالث : فإن علياً ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، وحدهم استحقوا تحية عليهم السلام دون غيرهم من الصحابة ونساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، مما يشير إلى خاصية وميزة فوق عادية ومن الأمثلة على ذلك كما أوردها الامام البخاري : (عن علي عليه السلام، قال: كانت لي.. إلى قوله: فلما أردت أن أبني بفاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم...)[1643].

وأيضاً : (وطرق النبي صلى الله عليه وآله وسلم باب فاطمة وعلي عليهما السلام ليلة الصلاة)[1644]، وكذلك : (.. قال: رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكان الحسن بن علي عليهما السلام يشبهه)[1645].

وهذه المزايا الاستثنائية لأهل البيت عليهم السلام جعلتهم يقارنون بآل إبراهيم كما يروي الامام البخاري بسنده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال : (إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خرج علينا فقلنا: يا رسول الله، قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك ؟ قال: قولوا اللهم صل على مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد)[1646].

إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام : لقد أحاط الرسول صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام منذ صغره بعناية خاصة ، حيث تولى تربيته وإعداده ، ودأب على الإشادة بمكانته وفضائله في كثير من المواقف حتى قام بتنصيبه رسمياً حسب اعتقاد الشيعة ليكون خليفة وإماماً للأمة بعده. ومن أشهر وأهم ما يقدمه الشيعة من أدلة على ذلك ما يلي :

١ – بلاغ الغدير : بعد أن أدى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حجه الأخير في السنة الحادية عشرة للهجرة ، والتي عرفت بـ(حجة الوداع) وحضرها معه ما لا يقل عن تسعين ألفاً حسب أقل ما روي في ذلك ، وقبل أن تتفرق هذه الجموع الغفيرة نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند مكان خارج مكة يدعى غدير خم – وهو المكان الذي تتفرق منه الطرق إلى المدينة، والشام، والعراق، ومصر – قوله تعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس)[1647].

وقد نزلت هذه الآية في الثامن عشر من ذي الحجة والتي يظهر منها أن الله عز وجل يأمر نبيه بإعلان بلاغ على أثر ذلك بالتوقف ، وخطب فيهم:

---

١٦٤٣– صحيح البخاري، ج ٣ ص ١٧١ .

١٦٤٤– نفس المصدر ، ،كتاب التهجد، ج ٢ ص ١٢٦ .

١٦٤٥– نفس المصدر ،كتاب المناقب، ج ٤ ص ٤٨٦ .

١٦٤٦– نفس المصدر ،كتاب الدعوات، ج ٨ ص ٤٥ .

١٦٤٧– المائدة ٦٧ .

(( أيها الناس، إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول وأنتم مسؤولون ، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجاهدت ، فجزاك الله خيراً. قالﷺ: ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن مُحَّداً عبده ورسوله ، وأن جنته حق ، وناره حق ، وأن الموت حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور؟ .

قالوا : بلى نشهد بذلك. قالﷺ: اللهم اشهد ، ثم قال : أيها الناس ، ألا تسمعون؟ قالوا : نعم. قالﷺ: فإني فرط على الحوض فانظروني كيف تخلفوني في الثقلين. فنادى مناد : وما الثقلان يا رسول الله؟ .

قالﷺ: الثقل الأكبر كتاب الله ، والآخر الأصغر عترتي ، وإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض ، فلا تقدموهما فتهلكوا ، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا.

ثم أخذ بيد عليعليه السلام فرفعها ، وعرفه القوم أجمعون فقال ﷺ: أيها الناس ، من أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟، قالوا : الله ورسوله أعلم.

قالﷺ: إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم ، فمن كنت مولاه فعلي مولاه – قالها ثلاث مرات – اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه ، وأحب من أحبه ، وأبغض من أبغضه ، وانصر من نصره، واخذل من خذله ، وأدر الحق معه حيث دار، ألا فليبلغ الشاهد الغائب))[١٦٤٨] .

ويتلخص تفسير الشيعة لهذه الخطبة للرسول ﷺ بالنقاط التالية :

أ – إن الرسولﷺ أراد من خطبته هذه أن يوصي الأمة بأمر في غاية الأهمية متعلق بما سيكون عليه المسلمون بعد رحيله لأنه افتتح خطبته بالتلميح بقرب الأجل (أوشك أن أدعى فأجيب).

ب – كانت مقدمة خطبتهﷺ بتذكير المسلمين بأهم أركان الإيمان وأصول الدين (التوحيد ، النبوة ، اليوم الآخر)، ثم أراد أن يضيف إليها أمراً جديداً بقوله : (فانظروني كيف تخلفوني في الثقلين).

فما معنى إقران أهل البيت عليهم السلام بالقرآن (إنهما لن يفترقا) إلا إذا كان هذا الأمر ركناً جديداً ذا أهمية قصوى ومتعلقاً بالحساب الأخروي (حتى يردا عليّ الحوض) ، بمعنى أن الناس سيسألون عن تمسكهم بأهل البيتعليهم السلام تماماً كما سيسألون عن تمسكهم بالكتاب .

---

١٦٤٨– صحيح الترمذي، ج ٦ ص ٢٩٨ .

ج – جاءت كلمة ( مولى ) بمعنى أسمى من مجرد المحب والصديق كما يقول المخالفون للشيعة في تفسيرهم لهذا الحديث.

فمن المستبعد أن يكون قول الرسولﷺ: (من كنت مولاه فعلي مولاه) يريد به (من كنت حبيبه وصديقه فهذا علي حبيبه وصديقه).

فما الجديد في ذلك وقد وردت الكثير من التوجيهات النبوية التي تحض على حب جميع المؤمنين وموالاتهم بعضهم البعض؟ وإذا كان هذا هو المعنى المقصود، فلماذا سيقتصر هذا التوجيه والبلاغ بعلي وحده دون غيره ، فلا بد إذا أن يكون لهذا التخصيص مراد في غاية الأهمية ومنسجم مع أهمية البلاغ والظروف الزمانية والمكانية التي أحاطت به (وإن لم تفعل فما بلغت رسالته).

فجاءت كلمة ( مولى ) لتكون قرينة لكلمة ( أولى ) إشارة لولاية عليعليه السلام على المؤمنين ، وامتداداً لولاية الرسولﷺ ( أنا أولى بهم من أنفسهم).

د – ومما يدل على عظمة هذا البلاغ (من كنت مولاه فهذا علي مولاه) أن الله ﷻ أنزل على نبيه بعد الانتهاء من خطبة الغدير وقبول تفرق جموع الحجيج[١٦٤٩] : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) [١٦٥٠].

وما يرتبط أيضاً بولاية عليعليه السلام – حسب اعتقاد الشيعة – قول الرسولﷺ: ( علي مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي)[١٦٥١]، وقوله تعالى : ( إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون )[١٦٥٢].

وقد ذكر مفسرو الشيعة وأغلب مفسري أهل السنة أن هذه الآية نزلت في عليعليه السلام عندما تصدق بخاتمه أثناء ركوعه في صلاة غير مفروضة[١٦٥٣].

وكذلك قوله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)[١٦٥٤]. فعن عليعليه السلام إنه سأل الرسولﷺ: يا نبي الله من هم؟ قال: أنت أولهم[١٦٥٥].

---

١٦٤٩- انظر : السيوطي: الدر المنثور، وكذلك: الخطيب البغدادي تاريخ بغداد .

١٦٥٠- المائدة ٣ .

١٦٥١- صحيح الترمذي، ج ٢ ص ٢٩٧ .

١٦٥٢- المائدة ٥٥ .

١٦٥٣- انظر : تفسير الطبري، وكذلك: أسباب النزول للواحدي .

وعن أبي بصير، أنه سأل الإمام محمد الباقرعليه السلام عن قوله تعالى: ((أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)، قال : (نزلت في علي بن أبي طالب ، قلت : إن الناس يقولون : فما منعه أن يسمي علياً وأهل بيته في كتابه ، فقال الباقرعليه السلام: قولوا لهم :

إن الله أنزل على رسوله الصلاة ولم يسم ثلاثاً ولا أربعاً حتى كان رسول الله يفسر ذلك ، وأنزل الحج فلم ينزل طوفوا سبعاً حتى فسر لهم ذلك رسول الله، وأنزل :

( وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ) ففسرها رسول اللهصلى الله عليه وآله بقوله: أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي، إني سألت الله أن لا يفرق بينهما حتى يردا علي الحوض، فأعطاني ذلك))[١٦٥٦].

٢ – منزلة هارونعليه السلام : قال الرسولصلى الله عليه وآله لعلي عندما خلفه على المدينة يوم غزوة تبوك : ( ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي)[١٦٥٧].

والمراد بذلك أن المرتبة التي كانت لعلي من الرسولصلى الله عليه وآله هي نفسها التي كانت لهارونعليه السلام من موسىعليه السلام باستثناء النبوة. ولكن ما هي هذه المرتبة التي كانت لهارون من موسىعليهما السلام؟ ، وتجد الإجابة في سياق قوله تعالى من آيات الذكر الحكيم وكما يلي :

( وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين)[١٦٥٨]، ( قال رب اشرح لي صدري * ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني * يفقهوا قولي * واجعل لي وزيراً من أهلي * هارون أخي * اشدد به أزري * وأشركه في أمري كي نسبحك كثيراً * ونذكرك كثيراً، إنك كنت بنا بصيراً، قال قد أوتيت سؤلك يا موسى)[١٦٥٩]. (وأخي هارون هو أفصح مني لساناً، فأرسله معي ردءا يصدقني إني أخاف أن يكذبون * قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون)[١٦٦٠].

---

١٦٥٤- النساء ٥٩ .

١٦٥٥- الحسكاني شواهد التنزيل ج ١ ص ١٤٨.

١٦٥٦- نفس المصدر ، ص ١٥٠.

١٦٥٧- صحيح البخاري، كتاب المغازي، ج ٥ ص ٤٩٢.

١٦٥٨- الاعراف ١٤٢ .

١٦٥٩- طه ٢٥ – ٣٦ .

١٦٦٠- القصص ٣٤ – ٣٥ .

وتتلخص أوجه الشبه بين الامام علي‍عليه السلام والنبي هارون‍عليه السلام حسب تفسير الشيعة من ذلك الحديث وهذه الآيات الكريمة بما يلي:

أ – كان هارون أخاً للنبي موسى‍عليه السلام، وكذلك كان اعتبار علي‍عليه السلام من الرسول‍صلى الله عليه وآله، كما أخرج الترمذي في صحيحه أنه عندما آخى لرسول‍صلى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار، جائه علي‍عليه السلام وسأله : آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد ، فقال له النبي‍صلى الله عليه وآله: (أنت أخي في الدنيا والآخرة)[١٦٦١]، بل إنه وحسب روايات أخرى كان أكثر من ذلك لقول النبي‍صلى الله عليه وآله: (أنت مني وأنا منك)[١٦٦٢].

ومصداقاً لما جاء في قوله تعالى : ( فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندعو أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم..)[١٦٦٣]، حيث دعا رسول الله‍صلى الله عليه وآله عند نزول هذه الآية عليا وفاطمة وحسناً وحسيناً‍عليهم السلام، فقال: (اللهم هؤلاء أهلي)[١٦٦٤].

ب – كان هارون‍عليه السلام وزيراً وشريكاً لموسى‍عليه السلام لقوله تعالى على لسان موسى : (واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي * اشدد به أزري * وأشركه في أمري)[١٦٦٥]، وكذلك فقد طلب النبي‍صلى الله عليه وآله العون من أقاربه عند نزول قوله تعالى : (وأنذر عشيرتك الأقربين)[١٦٦٦]، حيث جمع النبي‍صلى الله عليه وآله أقاربه من بني عبد المطلب وكانوا يومئذ أربعين رجلاً، وقال لهم‍صلى الله عليه وآله:

يا بني عبد المطلب إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله‍عز وجل أن أدعوكم إليه ، فأيكم يؤمن بي ويؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم.

فسكت القوم ، وأعاد ذلك ، وكلما كان يسكت القوم يقول علي‍عليه السلام: أنا ، وحتى إذا كانت المرة الثالثة ، أخذ الرسول‍صلى الله عليه وآله بيد علي‍عليه السلام وقال : ( إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا)[١٦٦٧].

---

١٦٦١– سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب ٢٠، ح ٣٧٢٠.

١٦٦٢– صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي‍صلى الله عليه وآله، باب ٩.

١٦٦٣– ال عمران ٦١ .

١٦٦٤– صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب ٤، ح ٣٢ .

١٦٦٥– طه ٢٩ – ٣١ .

١٦٦٦– الشعراء ٢١٤ .

١٦٦٧– مسند أحمد ج ١ ص ١١١ .

وروى الحافظ المحدث أبو نعيم الأصفهاني ، بسنده عن ابن عباس ، أن الرسولﷺ قال : ( اللهم إن موسى بن عمران سألك وأنا مُحَمَّد نبيك أسألك أن تشرح لي صدري ، وتحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي ، واجعل لي وزيراً من أهلي علي بن أبي طالب أخي ، اشدد به أزري وأشركه في أمري)[١٦٦٨] .

ج – كان هارونعليه السلام المفضل عند موسىعليه السلام على جميع بني إسرائيل ليس لكونه أخاه ، وإنما لاتصافه بمزايا تؤهله للقيام بمهام الدعوة والتبليغ والاستخلاف (وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح)[١٦٦٩] ولو لم يكن كذلك لاستحال اختياره. وهكذا فإن علياًعليه السلام لا بد وأن يكون كذلك في الأفضلية لنيله واستحقاقه عند النبيﷺ المراتب نفسها التي كانت مستحقة لهارون عند موسىعليه السلام.

ومما سبق ، فإن ما كان لهارون عند موسىعليه السلام من مراتب الوزارة ، والإستخلاف ، والشراكة ، والأفضلية تنتقل جميعها إلى عليعليه السلام كمراتب خاصة له باستثناء النبوة. ومن المعلوم أن هارونعليه السلام مات في حياة موسىعليه السلام ولو عاش بعده لكان خليفته ، وحل مكانه يوشع بن نون أو اليسع كما ذكر في القرآن ، كما في قوله تعالى : ( وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ)[١٦٧٠] ، كوصي لموسىعليه السلام.

وأما وجه الشبه بين عليعليه السلام ويوشع بن نون فهو كما ذكر المحقق السيد مرتضى العسكري : إن يوشع بن نون كان مع موسىعليه السلام في جبل ولم يعبد العجل ، وأمر الله نبيه موسىعليه السلام أن يعينه وصياً من بعده لئلا تكون بني إسرائيل كالغنم بلا راع .

وكان الإمام عليعليه السلام مع النبيﷺ في غار حراء، ولم يعبد صنماً قط وأمر الله نبيه في رجوعه من حجة الوداع أن يعينه بمسمع من الحجيج قائداً للأمة بعده ، ولا يترك أمته هملاً، وقد صدع بذلك رسول اللهﷺ في غدير خم ، وقد صدق رسول اللهﷺ إذ قال: (ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل)[١٦٧١] .

---

١٦٦٨- الرياض النضرة، ج ٢، ص ١٦٣.

١٦٦٩- الاعراف ١٤٢ .

١٦٧٠- الأنعام ٨٦ .

١٦٧١- مرتضى العسكري، معالم المدرستين، ج ١ ص ٢٩٢، الطبعة الخامسة .

٣ – باب مدينة العلم والحكمة : في الحديث الشريف ، قال الرسول ﷺ : (أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فيأت الباب)[١٦٧٢]. قال الحاكم النيسابوري : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين (البخاري ومسلم) ولم يخرجاه.

وفي صحيح الامام الترمذي ، قال الرسول ﷺ : (أنا مدينة الحكمة وعلي بابها)[١٦٧٣]، وقال الرسول ﷺ أيضاً في علم علي عليه السلام: (أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي)[١٦٧٤]، وفي صحيح الامام البخاري ، قال عمر بن الخطاب : (أقرؤنا أبي وأقضانا علي)[١٦٧٥]، ومن البديهي أن يكون الأقضى هو الأعلم بقوانين الشريعة وأحكامها.

ولا غرابة في كثرة رجوع الصحابة إليه بعد رحيل المصطفى ﷺ كلما كانت تواجههم معضلة ، ومن ذلك ما رواه ابن عباس قال : أتي عمر بمجنونة قد زنت ، فاستشار فيها أناساً ، فأمر بها عمر أن ترجم ، فمر بها على علي بن أبي طالب عليه السلام فقال : ما شأن هذه؟ .

قالوا : مجنونة بني فلان زنت ، فأمر بها عمر أن ترجم فقال: ارجعوا بها ، ثم أتاه وقال : يا عمر أما علمت أن القلم قد رفع عن ثلاثة ، عن المجنون حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبي حتى يعقل؟ قال: بلى . قال عليه السلام: فما بال هذه ترجم؟ قال : لا شئ، قال: فأرسلها. قال ابن عباس: فجعل عمر يكبر[١٦٧٦].

وقد أخرج الامام البخاري هذه الرواية مبتورة[١٦٧٧]، ومن ذلك أيضا "عندما أمر عمر برجم امرأة حامل زنت، فقال له علي عليه السلام: وما سلطانك على ما في بطنها ؟ .

وقد كان عمر يقول تكراراً كلما كان يجيبه علي عليه السلام عما يسأله ليفرج عنه : (لولا علي لهلك عمر). وقوله : (لا أبقاني الله بعدك يا علي)[١٦٧٨]. وقوله: (لا أبقاني الله لمعضلة ليس علي فيها)[١٦٧٩].

---

١٦٧٢– المستدرك على الصحيحين، ج ٣ ص ١٢٦.

١٦٧٣– صحيح الترمذي ج ٢ ص ٢٩٩.

١٦٧٤– المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ١٢٢.

١٦٧٥– صحيح البخاري، كتاب التفسير، ج ٦ ص ١٠.

١٦٧٦– انظر : سنن أبي داود، باب المجنون يسرق أو يصيب أحداً.

١٦٧٧– انظر : صحيح البخاري، كتاب المحاربين، باب لا يرجم المجنون والمجنونة.

١٦٧٨– ابن حجر، الصواعق المحرقة، ص ١٠٧.

١٦٧٩– فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج ١٧ ص ١٠٥.

وإذا كانت صحبة الرسولﷺ تعتبر شرفاً وعلو منزلة، فإن علياًعليه السلام لم يفارق الرسولﷺ في حياته ، فمنذ صغره قبل البعثة وقد أصاب قريش أزمة شديدة ، وكان أبو طالبعليه السلام كثير العيال ، فأخذ العباس جعفراًعليه السلام ليخفف عنه ، وأخذ النبيﷺ علياًعليه السلام ، فكان أول من اتبعه وصدقه عندما بعثه الله نبياً ويقول عليعليه السلام في ذلك :

( وقد علمتم موضعي من رسول اللهﷺ بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة ، وضعني في حجره وأنا ولد ، يضمني إلى صدره ، ويكنفني فراشه ويمسني جسده ، ويشمني عرفه ، وكان يمضغ الشيء فيلقمنيه ، وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل).. إلى قوله :

( ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه ، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ، ويأمرني بالاقتداء به ، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء ، فأراه ولا يراه غيري ، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول اللهﷺ وخديجةعليها السلام ، وأنا ثالثهما ، أرى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة)[١٦٨٠] .

ويقولعليه السلام أيضاً : ( وكان لا يمر بي من ذلك شيء إلا سألته عنه وحفظته)[١٦٨١]، وقد كان عليعليه السلام فعلاً بعد النبيﷺ باب لمدينة علمه حيث كان يقول : ( علمني رسول اللهﷺ ألف باب من العلم، وتشعب لي من كل باب ألف باب )[١٦٨٢]، وكان يقول تكراراً : ( سلوني قبل أن تفقدوني.. والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت)[١٦٨٣] .

وفي قول آخر : ( فو الله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل..)[١٦٨٤]، وروى ابن عساكر عن سعيد بن المسيب، قال : (لم يكن أحد من أصحاب النبيﷺ يقول "سلوني" إلا علي)[١٦٨٥] .

٤ – ميزان الإيمان : في صحيح الامام مسلم ، قال عليعليه السلام: ( والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي إلي أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق )[١٦٨٦] .

---

١٦٨٠– نهج البلاغة، الخطبة رقم ١٩٠، ج ٢ ص ١٨٢ – ١٨٤.

١٦٨١– نفس المصدر ، الخطبة رقم ٢٠٨.

١٦٨٢–كنز العمال، ج ٦ ص ٣٩٢.

١٦٨٣– البلاذري: أنساب الأشراف ج ١ ص ٩٨.

١٦٨٤– ابن سعد: الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٠١.

١٦٨٥– ترجمة الإمام عليعليه السلام من تاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٢٤ .

١٦٨٦– صحيح مسلم، باب حب علي كرم الله وجهه، ج ١ ص ٢٦٢.

وعن أم سلمة عليها السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ( لا يحب علياً منافق ولا يبغضه مؤمن)[1687] . وقال أبو سعيد الأنصاري : ( إنا كنا لنعرف المنافقين – نحن معشر الأنصار – ببغضهم علي بن أبي طالب عليه السلام )[1688] ، وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : (ما كنا نعرف المنافقين إلا بتكذيبهم الله ورسوله والتخلف عن الصلوات والبغض لعلي بن أبي طالب عليه السلام )[1689] .

وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ( من يريد أن يحيى حياتي ويموت موتي ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي فليتول علي بن أبي طالب فإنه لن يخرجكم من هدى ولن يدخلكم في ضلالة )[1690] .

وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً : ( يا علي طوبى لمن أحبك وصدق فيك ، وويل لمن أبغضك وكذب فيك)[1691] ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: ( إن الأمة ستغدر بك بعدي وأنت تعيش على ملتي ، وتقتل على سنتي ، من أحبك أحبني ومن أبغضك أبغضني )[1692] . وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً : ( من سب علياً فقد سبني ، ومن سبني فقد سب الله تعالى )[1693] .

٥ – عديل الحق والقرآن : قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ( علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض )[1694] ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: ( علي مع الحق والحق معه، يدور الحق معه حيث دار)[1695] .

ومن الواضح أن هذه الأحاديث منسجمة في معناها مع حديث الثقلين الذي مر سابقاً في صفحات هذا الكتاب ، وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ( إن منكم من يقاتل على تأويله "القرآن" كما قاتلت على تنزيله).

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: فقام أبو بكر وعمر ، فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (لا، ولكن خاصف النعل. وكان علي يخصف نعله)[1696] ، وقد فهم مفسرو القرآن من الشيعة من هذا الحديث أن الآية : (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم)[1697] نزلت في أهل البيت عليهم السلام .

---

١٦٨٧- صحيح الترمذي، ج ٢ ص ٢٩٩.

١٦٨٨- نفس المصدر .

١٦٨٩- الحاكم: المستدرك ، ج ٣ ، ص ١٢٩، قال: الحديث صحيح على شرط مسلم.

١٦٩٠- نفس المصدر ، ص ١٢٨، وقال (الحاكم): هذا الحديث صحيح الإسناد.

١٦٩١- نفس المصدر ، ص ١٣٥، حديث صحيح الإسناد .

١٦٩٢- نفس المصدر ، ص ١٤٢.

١٦٩٣- نفس المصدر ، ص ١٢١.

١٦٩٤- نفس المصدر ، ص ١٢٤.

١٦٩٥- الهيثمي: مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٣٤.

**د :- مؤهلات الخلفاء والأئمة :**

عند أهل السنة الشروط الأساسية : يذكر البغدادي الشروط الأساسية التالية التي ينبغي توفرها في الخلفاء والأئمة، ويمثل رأيه موقف غالبية العلماء عند أهل السنة :

١ – العلم : وأقل ما يكفيه منه أن يبلغ فيه مبلغ المجتهدين بالحلال والحرام .

٢ – العدل والورع : وأقل ما يجب فيه من هذه الخصلة أن يكون ممن يجوز قبول شهادته .

٣ – الاهتداء إلى وجوه السياسة ، وحسن التدبير، والمعرفة بمراتب الناس ، والحروب .

٤ – أن يكون نسبه من قريش[١٦٩٨] . ويضيف آخرون للشروط المذكور: – الذكورة ، والبلوغ ، والعقل ، والشجاعة ، والحرية ، وغيرها.

ولا يشترط أهل السنة في الخليفة أو الإمام أن يكون أفضل أهل زمانه ، ودليل ذلك يوضحه الباقلاني بقوله :

( وأما ما يدل على جواز العقد للمفضول وترك الأفضل لخوف الفتنة والتهارج فهو أن الإمام إنما ينصب لدفع العدو، وحماية البيضة ، وسد الخلل ، وإقامة الحدود ، واستخراج الحقوق ، فإذا خيف بإقامة أفضلهم الهرج، والفساد ، والتغالب ، وترك الطاعة ، واختلاف السيوف ، وتعطيل الأحكام والحقوق ، وطمع عدد من المسلمين في اهتضامهم وتوهين أمرهم ، صار ذلك عذراً واضحاً في العدول عن الفاضل إلى المفضول)[١٦٩٩] .

ودليله على ذلك أن عمر بن الخطاب أجاز استخلاف أي واحد من الستة الذين عينهم ليختاروا واحداً منهم ليكون الخليفة بعده ، مع علمه أن فيهم فاضلاً ومفضولاً ، ولم ينكر عليه أحد من الصحابة ذلك ، فثبتت بذلك إمامة المفضول على الفاضل .

---

١٦٩٦– مسند أحمد ج ٣ ص ٣٤.

١٦٩٧– ال عمران ٧ .

١٦٩٨– البغدادي، أصول الدين، ص ٢٧٧.

١٦٩٩– الباقلاني، التمهيد، ص ١٨٤.

ويقول ابن حجر المكي : إنه لو لزم تعيين الأفضل، لقام عمر بتعيين عثمان دون الحاجة لجعلها شورى في ستة[١٧٠٠]، لأن عثمان برأيه كان أفضل من علي عليه السلام والأربعة الآخرين.

وأما بشأن العلم اللازم للخليفة أو إمام الأمة ، فالباقلاني يقول : إن الأمة لا تحتاج إلى علم متميز له ، وإن غلط في شيء من مهماته الموكلة إليه، فإن الأمة من ورائه ستقومه[١٧٠١]، حيث إن الأمة ستمارس سلطاتها من خلال هيئة تمثلها تعرف بـ(مجلس أهل الحل والعقد).

العصمة للخلافة وليست للخليفة : ومما يلفت الانتباه أن أحد علماء أهل السنة البارزين يقول بعصمة منصب الخلافة والإمامة وإن لم يكن الخليفة أو الإمام معصوماً .

فهذا فخر الدين الرازي يرى في تفسير قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)[١٧٠٢]، أن فيها دلالة على هذه العصمة ، فهو يقول :

( إن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم والقطع، فلا بد أن يكون – ولي الأمر– معصوماً عن الخطأ، إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ يكون قد أمر الله باتباعه ، فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ، والخطأ لكونه منهياً عنه ، فهذا يفضي إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد بالاعتبار الواحد ، وإنه محال، فثبت أن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم، وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ، فثبت قطعاً أن أولي الأمر المذكورين في هذه الآية لا بد وأن يكونوا معصومين)[١٧٠٣] .

ولأنه وافق برأيه هذا قول بعض الفرق الأخرى القائلة بعصمة الأئمة ، فإنه استدرك على الفور قائلاً : ( إننا في زماننا عاجزون عن معرفة الإمام المعصوم ، عاجزون عن الوصول إليه ، عاجزون عن استفادة الدين والعلم منه ، فإذا كان الأمر كذلك ، فالمراد ليس بعضاً من أبعاض الأمة ، بل المراد هو أهل الحل والعقد من الأمة )[١٧٠٤].

وأهل الحل والعقد هم الذين تثق بهم الأمة من العلماء ورؤساء الجنود ، والسرايا ، وأولياء الدولة ، وسراة القوم ، وغيرهم من يمثلون الأمة ، فتكون العصمة للمجلس الذي يضم هؤلاء الممثلين وليس لأي

١٧٠٠– ابن حجر، الصواعق المحرقة، ص ٩.

١٧٠١– الباقلاني، التمهيد، ص ١٨٤.

١٧٠٢– النساء ٥٩ .

١٧٠٣– الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٠ ص ١٤٤ .

١٧٠٤– جعفر السبحاني، مع الشيعة الإمامية، ص ٦٢ .

فرد منهم ، ورأيهم النهائي لا يمكن وقوع الخطأ فيه على حسب رأي الرازي ، بل لا بد وأن يكون دائماً مصيباً وموافقاً للكتاب والسنة ، وهو من عناية الله على الأمة ، ومن ثم يستدل على ذلك بما نسب قوله إلى النبي ﷺ (لا تجتمع أمتي على خطأ)[١٧٠٥].

بماذا ينخلع الخليفة ؟ : تبين مما سبق أن أهل السنة لا يشترطون في إمام الأمة العصمة ولا الأعلمية ولا حتى الأفضلية ، بل يكتفون بأن يكون عنده قدر من العلم وإن قل ، ودرجة من العدالة والتقوى تكفي لقبول شهادته ، وحسن التدبير في شؤون السياسة والحرب والنسب القرشي وغيرها كما مر في الصفحات السابقة ، ولكن هل ينخلع الخليفة أو الإمام في حالة عدم توفره على الحد الأدنى لهذه المؤهلات أو انتفاء أحدها كلية فيه؟.

يجيب أبو بكر الباقلاني عن ذلك : لا ينخلع الإمام بفسقه وظلمه بغصب الأموال ، وضرب الأبشار، وتناول النفوس المحرمة ، وتضييع الحقوق، وتعطيل الحدود ، ولا يجب الخروج عليه ، بل يجب وعظه وتخويفه ، وترك طاعته في شيء مما يدعو إليه من معاصي الله[١٧٠٦].

ويقول الطحاوي : ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم ، ولا ننزع يداً من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله ﷻ فريضة ما لم يأمر بمعصية وندعو لهم بالصلاح والمعافاة[١٧٠٧]. وقال أيضاً : والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين برهم وفاجرهم إلى قيام الساعة[١٧٠٨].

ويرد سعد الدين التفتازاني موقف أهل السنة في عدم جواز الخروج عن طاعة الإمام الفاسق بقوله : ولا ينعزل الإمام بالفسق أو بالخروج عن طاعة الله تعالى أو بالجور، لأنه قد ظهر الفسق وانتشر الجور من الأئمة والأمراء بعد الخلفاء الراشدين ، وكان السلف ينقادون لذلك ، ويقيمون الجمع والأعياد بإذنهم ، ولا يرون الخروج عليهم[١٧٠٩].

---

١٧٠٥- الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ج ٥ ص ٤٠٣ .

١٧٠٦- الباقلاني، التمهيد، ص ١٨١.

١٧٠٧- الطحاوي: شرح العقيدة الطحاوية، ص ٣٩٧.

١٧٠٨- نفس المصدر ، ص ٣٨٧.

١٧٠٩- سعد الدين التفتازائي، الشرح، ص ١٨٥ - ١٨٦.

ولكن عند الشيعة نظراً لعلو منصب الإمامة عند الشيعة ، واعتبارهم له منصباً إلهياً وامتداداً للنبوة في وظائفها الرسالية ، فإنهم يعتقدون بوجوب اتصاف الأئمة بمواصفات استثنائية ، وفوق مستوى الناس العاديين ، ومن أهم هذه المواصفات :

١ — العصمة : بمعنى إستحالة ارتكاب الإمام لأي من الرذائل صغيرها وكبيرها ، وما ظهر منها وما بطن . وأهم ما يستدل به الشيعة على مبدأ العصمة من آيات الكتاب ما يلي :

أ – قوله تعالى : ( وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين)[١٧١٠]. فالآية الكريمة تشير إلى أن نيل عهد الله وهو إمامة البشرية المتمثلة بالأنبياء وخلفائهم ، لا يمكن أن تكون من نصيب ظالم ، والخطيئة كبيرها وصغيرها، ظاهرها وباطنها تجعل من مرتكبها ظالماً .

ب – قوله تعالى : ( إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً )[١٧١١]. فالرجس في هذه الآية هو الإثم ، والمراد من إذهابه الرجس عن أهل البيت عليهم السلام هو تنزيههم عن كل ما يوجب نقصاً فيهم ، وأي ذنب مهما صغر وبطن فإنه موجب في نقص متصرفة ، فكانت إرادة الله عز وجل تطهيرهم من كل الذنوب.

ويرى الشيعة إن المراد بالتطهير في هذه الآية لا يمكن أن يكون مجرد التقوى بالاجتناب عن النواهي ، حيث إن هذا المعنى لا يختص بأهل البيت عليهم السلام وحدهم ، وإنما هو لعموم الناس ، كما في قوله تعالى: (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم)[١٧١٢].

ج – قوله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)[١٧١٣]. ويعتقد الشيعة أن أولي الأمر في هذه الآية هم الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام ، ويقولون :

إنه لو احتمل ارتكاب أحدهم المعصية والإثم لما أمر الله عز وجل الناس بطاعتهم ، لا سيما وأن هذا الأمر جاء مطلقاً دون أن يكون محصوراً بأي قيد أو شرط ، وقد اعتبرت طاعتهم بمستوى طاعة الله ورسوله كما يظهر جلياً من تسلسل الأمر في الآية. وهذا التفسير مطابق لتفسير الفخر الرازي – كما مر سابقاً مع اختلاف في تحديد هوية أولي الأمر.

---

١٧١٠– البقرة ١٢٤ .

١٧١١– الاحزاب ٣٣ .

١٧١٢– المائدة ٦ .

١٧١٣– النساء ٥٩ .

٢ – الأفضلية : ويعتقد الشيعة أيضاً أن الإمام ينبغي أن يكون أفضل أهل زمانه في صفات الكمال من شجاعة، وكرم ، وعفة ، وصدق ، وعدل ، وتدبير ، وعقل ، وحكمة ، وخلق .

٣ – الأعلمية : ولأن الإمام عند الشيعة ليس مجرد رجل سياسة وحرب كما هو عند غيرهم ، بل الحافظ للشرع بعد النبي ﷺ والمبين للناس أحكام الدين والكاشف لأسراره ، فإنه ينبغي أن يكون علمه منسجماً مع هذه المهمة العظيمة. وبالتأكيد ، فإن هذا الانسجام لا يتحقق إلا بدرجة استثنائية من العلم وليس مجرد معرفة الحلال والحرام .

يقول الشيخ مُحَّد رضا المظفر في هذا الصدد : أما علمه ، فهو يتلقى المعارف والأحكام الإلهية وجميع المعلومات من طريق النبي ﷺ أو الإمام الذي قبله ، وإذا استجد شيء لا بد أن يعلمه من طريق الإلهام بالقوة الحدسية التي أودعها الله فيه ، ولا يحتاج في ذلك إلى البراهين العقلية ، ولا إلى تلقينات المعلمين[١٧١٤] .

ثم يوضح أن هذا النوع من الإلقاء هو غير الوحي المخصوص بالأنبياء بقوله : لقد ثبت في الأبحاث النفسية أن كل إنسان له ساعة أو ساعات في حياته قد يعلم فيها ببعض الأشياء عن طريق الحدس الذي هو فرع من الإلهام، بسبب ما أودع الله تعالى فيه من قوة على ذلك.

وهذه القوة تختلف شدة وضعفاً وزيادة ونقيصة في البشر باختلاف أفرادهم ، فيظفر ذهن الإنسان في تلك الساعة إلى المعرفة من دون أن يحتاج إلى التفكير، وترتيب المقدمات ، والبراهين أو تلقين المعلمين ، ويجد كل إنسان من نفسه ذلك في فرص كثيرة في حياته ، وإذا كان الأمر كذلك فيجوز أن يبلغ الإنسان من قوته الإلهامية أعلى الدرجات وأكملها ، وهذا أمر قرره الفلاسفة المتقدمون والمتأخرون .

والأئمة عليهم السلام كالنبي ﷺ ، فإنهم لم يتربوا على أحد ، ولم يتعلموا على يد معلم ، من مبدأ طفولتهم إلى سن الرشد ، حتى القراءة والكتابة ، ولم يثبت عن أحدهم إنه دخل الكتاتيب أو تتلمذ على يد أستاذ في شيء من الأشياء ، مع ما لهم من منزلة علمية لا تجارى ، وما سئلوا عن شيء أجابوا عنه في وقته ، ولم تمر على ألسنتهم "لا أدري".

١٧١٤– مُحَّد رضا المظفر، عقائد الإمامية ، ص ٦٨ – ٦٩.

في حين إنك لا تجد شخصاً من فقهاء الإسلام ورواته وعلمائه إلا ذكرت في ترجمته تربيته وتلمذته وأخذه الرواية على غيره ، وتوقفه في بعض المسائل أو شكه في كثير من المعلومات كعادة البشر في كل عصر ومصر[1715].

بقي أن نذكر أن هذه المؤهلات هي مما يخص الأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام المنصوص على خلافتهم حسب اعتقاد الشيعة ، وأما في عصر غيبة الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر عليه السلام، فإنه لا يشترط فيمن ينوب عنه (وهم في هذه الحالة: الفقهاء العدول) العصمة ، وهؤلاء النواب ، هم كسائر البشر يجدون ويجتهدون في تحصيل العلم ، فيصيبون ويخطئون.

## ٣- زمن نزول آيات الإفك

وردت آيات الإفك في سورة النور ، وظاهرا السورة قد ابتدأ نزولها في السنة الثامنة للهجرة تقريبا ، لأنها نزلت بعد سورة النصر[1716] . واما سورة النصر قد نزلت في سنة ثمان للهجرة وذكر أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عاش بعدها سنتين فقط [1717].

ومن ثم سورة الأحزاب ، وابتدأ نزولها في سنة خمس من الهجرة المباركة وبينها وبين سورة النور بحديث ابن عباس[1718] عدة سور:

فالأحزاب ثم الممتحنة ، ثم النساء ، ثم إذا زلزلت ، ثم الحديد ، ثم الرعد ، ثم الرحمن ، ثم الإنسان، ثم الطلاق ، ثم لم يكن ، ثم الحشر، ثم إذا جاء نصر الله ، ثم النور. وفي هذه السور من الشواهد الكثيرة على نزول عدد منها بعد سنة ستة من الهجرة المباركة.

وبعضهم يرى ترتيب القرآن هو نفس الترتيب في اللوح المحفوظ ، بلا تصرف ولا تغيير، وأما مالك والبغوي[1719]، يقولان أنه قد ألف القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي صلى الله عليه وآله وسلم من غير أن قدموا شيئا أو أخروا.

---

١٧١٥- نفس المصدر .

١٧١٦- الاتقان ، ج١ ، ص ١١ ، فتح الباري ج٩ ص٣٧ .

١٧١٧- الكشاف ج٤ ص٨١٢ .

١٧١٨- الاتقان ج١ ص١١ .

١٧١٩- نفس المصدر ، ص٦١ .

وذكر في أولها ما يدل بأنها نزلت جملة واحدة ، كما في قوله تعالى (سورة أنزلناها وفرضناها) ، والصحابة ما كانوا يعرفون نهاية السورة ، إلا بعد نزول البسملة[١٧٢٠] .

فآيات الإفك قد تأخر نزولها إلى سنة ثمانية من الهجرة الشريفة ، بدون تصرف في الآيات ، فقضية الإفك جاءت بعد فرض الحجاب ، مع أنه آيات الحجاب جاءت في سورة النور، التي نزلت بعد سنة ست من الهجرة.

وقوله تعالى في أول سورة النور: (سورة أنزلناها وفرضناها) ظاهرها انها نزلت كلها دفعة واحدة ، مع الشواهد المتقدمة التي تدل على ذلك ، ومعناه أن آيات الحجاب نزلت مع آيات الإفك ضمن سورة واحدة ، أي دفعة واحدة ، فكيف فرض الحجاب قبل ذلك؟. ففي حديث الإفك من افتراض الحجاب ووجوبه قبل نزول سورة النور فهما لا يجتمعان.

وذكروا في روايات الإفك فرض الحجاب ، وقالوا فرض الحجاب حينما تزوج النبي ﷺ بالسيدة زينب بنت جحش ، حينما بقي الرجال جالسين ، فتضايق النبي ﷺ منهم ففرض الحجاب من حينه.

وعلى حسب روايات الإفك طفقت (حمنة) تحارب لأختها السيدة زينب ، لكن الله قد عصم أختها بالورع بحسب ما ذكر ، وهذا الكلام موضع تردد وشك كبير، بل هو منع .

فلو أخذنا بقول من قال إن الإفك كان في سنة أربع أو خمس من هجرة النبيﷺ فكان في شهر شعبان ، وليس هناك أي اختلاف عندهم في كون الحجاب فرض في شهر ذي القعدة من سنة خمس الهجرية ، فهو اذاً بعد مسألة الإفك .

فلاحظ الطبري[١٧٢١] وابن سعد[١٧٢٢] يطلقان الحكم ، ويقولان من أن تزويج النبي ﷺ بالسيدة ام المؤمنين زينب كان بعد غزوة المريسيع . ولو كان الإفك في السنة السادسة من هجرة النبيﷺ ، اضافة لحكم الطبري، وابن سعد[١٧٢٣] تعثر على حديث يقول أن عمرة بنت عبدالرحمن سألت ام المؤمنين عائشة : ( متى تزوج الرسول ﷺ زينب بنت جحش؟ قالت: مرجعنا من غزوة المريسيع ، أو بعده بقليل ).

١٧٢٠- فتح الباري ، ج٩ ، ص٣٩ .

١٧٢١- تاريخ الطبري ج٢ ص٤١٤ .

١٧٢٢- طبقات ابن سعد ج٨ ص١٥٧ .

١٧٢٣- نفس المصدر : ص٨١ .

وعبد الرزاق[١٧٢٤] صرح بأن النبي ﷺ قد تزوج بام المؤمنين زينب بعد تزوجه بأم المؤمنين صفية حيث ذكر وهو يعدد تزوج النبي ﷺ فقال: ثم نكح صفية بنت حيي، وهو مما أفاء الله عليه يوم خيبر، ثم نكح زينب بنت جحش.

وكما يقال انما فرض الحجاب في قصة ام المؤمنين زينب ، ففرض الحجاب إذا يكون بعد غزوة المريسيع إن حديث الإفك يدل على تقدم زواجه ﷺ بزينب، وفرض الحجاب[١٧٢٥]. وحديث الإفك فيه إشكاليات أساسية كثيرة موجبة لضعفه ووهنه ؛ فليس فيه القوة لمقاومة النصوص التاريخية الأخرى.

ولو أردنا تصحيح حديث الإفك لوجب تغيير جانب عظيم من التاريخ، لكي يوافقه وينسجم معه. وكل هذا من أجل حديث واحد متناقض ، ضعيف السند والمتن ، وسقيم من كل جانب ومنبر.

وكذلك ورد في روايات الإفك أن النبي ﷺ قد صعد المنبر، واستعذر من ابن أبي ، وأن الحيين تثاورا، فما زال يخفضهم وهو على المنبر، حتى سكتوا وسكت مع أنهم يذكرون أن المنبر لم يكن قد اتخذ بعد ، وإنما اتخذ في السنة الثامنة من الهجرة[١٧٢٦].

بل هو في السنة التاسعة من الهجرة كما يدل عليه ذكر تميم الداري في روايات المنبر، وتميم هذا إنما قدم المدينة سنة تسع للهجرة وفيها أيضا (بنفس السنة التاسعة) ذكر العباس الذي قدم المدينة في آخر سنة ثمان من الهجرة. وذلك لأنهم يقولون: أن تميم الداري هو الذي صنعة[١٧٢٧].

وحديث اخر أنه ﷺ عندما اقترح عليه تميم الداري المنبر، شاور العباس بن عبد المطلب ، فقال العباس إن لي غلاما يقال له كلاب ، أعمل الناس، فقال: مره أن يعمل[١٧٢٨].

وكذلك من انه ورد في المبهمات لابن بشكوال قال : قرأت بخط بن حبان قال: ذكر عبدالله بن حسين الأندلسي في كتابه في الرجال، عن عمر بن عبد العزيز: أن المنبر عمله صباح مولى العباس[١٧٢٩].

ولكن في المقابل انهم قالو بأن المقصود منه أنه الوقوف على شيء مرتفع من الطين[١٧٣٠]. وهذا القول أو الكلام يعتبر تخرص لا مبرر له ، وخصوصا أن لفظ المنبر لا يطلق على ذلك لغة.

---

١٧٢٤- مصنف عبدالرزاق ج٧ ص٤٩٠ .

١٧٢٥- فتح الباري ج٨ ص٣٥١ .

١٧٢٦- السيرة الحلبية ج٢ ص٣٠٠ .

١٧٢٧- الأوائل ، العسكري ج١ ص٣٣٦ .

١٧٢٨- الإصابة ج٣ ص٣٠٤ .

١٧٢٩- نفس المصدر : ج٢ ص١٧٥ .

وكذلك هذا مردود لأن النبي ﷺ كان قبل اتخاذه المنبر خطب وهو مستند الى جذع؛ فحينما اتخذ المنبر تحول الرسولﷺ إليه، فحن الجذع؛ فأتاه فمسح يده عليه، حتى سكن[١٧٣١] فقال عياض حنين الجذع مشهور منتشر، والخبر به متواتر، أخرجه أهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر[١٧٣٢].

### ٤- الخلع والحفد والكتاب

إضافة (الخلع والحفد) الى الكتاب : وهنا أن شاء الله تعالى نأتي لأصل سورتي (الخلع والحفد) فالرواية التي تقول إن النبي ﷺ كان يصلي ويدعو على قريش في قنوته ويلعنهم ، فنزل الامينعليه السلام وأمره بالسكوت وقطع عليه الصلاة وأبلغه توبيخ الله تعالى وقال له :

( يا مُحَمَّد إن الله لم يبعثك سباباً ولا لعاناً ؟ وإنما بعثك رحمة ولم يبعثك عذاباً ، ليس لك من الأمر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون. ثم علمه هذا القنوت : اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونؤمن بك ونخضع لك ونخلع ونترك من يكفرك. اللهم إياك نعبد ولك نصلى ونسجد وإليك نسعي ونحفد ونرجو رحمتك ونخشى عذابك ونخاف عذابك الجد ، إن عذابك بالكافرين ملحق)؟.

فما دام جبرائيلعليه السلام علم ذلك الكلام للنبي ﷺ فهو كلام الله تعالى ، وكلامه سبحانه هو القرآن ؟.

ولو قلت : لماذا نص السورتين ببسملتين منفردين ؟ ، نقول لك : لأنهما فقرتان تبدأ كل واحد منهما بـ ( اللهم ).

والاخرى : أنه يجوز للخلفاء وخصوصا الثاني أن يضع آيات القرآن في سورة مستقلة ؟ بدليل قول السيوطي[١٧٣٣] في الدر المنثور: وأخرج ابن اسحاق وأحمد بن حنبل وابن أبي داود عن عباد بن عبدالله بن الزبير قال : أتى الحرث بن خزيمة بهاتين الآيتين من آخر براءة لقد جاءكم رسول من أنفسكم . الى قوله وهو رب العرش العظيم ، الى عمر فقال : من معك على هذا ؟ .

---

١٧٣٠- السيرة الحلبية ، ج ، ص٣٠٠ .

١٧٣١- الوفاء ، ابن الجوزي ، ج١ ص٣٢١-٣٢٤ .

١٧٣٢- وفاء الوفاء ، ج٢ ص٣٩٤ .

١٧٣٣- السيوطي ، الدر المنثور ج ٣ ص ٢٩٦ . الكامل ، ابن عدي ٣/ ٧٩٣ .

فقال : لا أدري والله إلا أني أشهد لسمعتها من رسول الله ﷺ ووعيتها وحفظتها. فقال عمر: وأنا أشهد لسمعتها من رسول الله ﷺ لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة ، فانظروا سورة من القرآن فألحقوها ، فألحقت في آخر براءة. وكذلك رواه الهيثمى[١٧٣٤] في مجمع الزوائد.

وثالثتهما إذا أسقطوا من القرآن السورتان (المعوذتين) باعتبار أنهما (دعاء) عوذتان نزل بهما جبرائيل عليه السلام على النبي ﷺ ليعوذ بهما الحسن الحسين عليهما السلام ولم يقل للنبي ﷺ إنهما من القرآن ؟ فلابد لهم من سد الفراغ بوضع سورتين مكانهما لا سورة واحدة . فيجب عليهم جعل النص قسمان!.

ولكن هناك شيء محير ؟ من الذي تصدى بالخفاء وأخذ على عاتقه ، من أن يسمي هذا القنوت المزعوم سورتين ؟ فهنا تسكب العبرات لسكوت الروايات عن التصريح !.

ومن هذا الشخص المسلم الذي أمر أن تضاف سورتان واضحات الضعف والسذاجة فيهما من كلام البشر الى كتاب كلام الله تعالى لكي تكتبا وتدس في المصاحف؟ لماذا سكتت الأحاديث وخرست الروايات عن التصريح به فالمفهوم يقول انه ذا شأن عظيم؟.

ولكن هناك بعض الاحاديث نطقت صريحة وصحيحة متواترة بأن الخليفة الثاني الذي عرفهما للمسلمين في صلاة الصبح بقراءته لهما دائماً أو كثيراً وعرف بهما أما بقصد الدعاء او بنية سورتين من القرآن! وبهذه الادلة من الطبيعي أن تكونان موجودتين (المعوذتين) في مصحفه الذي كان عند ابنته ام المؤمنين حفصة إلى أن وصلت الى مروان بن الحكم فأحرق مصحفها بعد وفاتها لكي لا يتعارض ويقال إنه يختلف عن مصحف عثمان ؟!.

ويمكن ان تبادرك الشكوك في نسبة السورتين المزعومتين لمصحف ابن مسعود وابن كعب وإن سبق من ثبوت صحة شيء من ذلك فلا بد من أن يكون الخليفة الذي أمر أو أقنع ابن مسعود وابن كعب بكتابتهما في مصحفيهما؟!. وسنأتي ان شاء الله تعالى بأدلة ما ينفع في ذلك في قصة المعوذتين! فمنها:

منها : ما جاء من انه أورد السيوطي[١٧٣٥] في الدر المنثور فقال : ذكر ما ورد في سورة الخلع وسورة الحفد. قال ابن الضريس في فضائله أخبرنا موسى بن اسمعيل أن أبن حماد قال قرأنا في مصحف أبي بن كعب اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثنى عليك الخير ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك قال

١٧٣٤- الهيثمى ، مجمع الزوائد ج ٧ ص ٣٥ .

١٧٣٥- السيوطي ، الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ٤٢٠ .

حماد : هذه الآية سورة وأحسبه قال اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد نخشى عذابك ونرجو رحمتك إن عذابك بالكفار ملحق.

منها : ما أخرجه ابن الضريس عن عبدالله بن عبد الرحمن عن أبيه فقال : صليت خلف عمر بن الخطاب فلما فرغ من السورة الثانية قال : اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك الخير كله ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك ثم قال : اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك بالكفار ملحق.

ولكن تجد في مصحف ابن عباس قراءه أبيٍّ وأبي موسى حيث قال: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ . اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك الخير ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك .

وفي مصحف حجر : اللهم إنا نستعينك .

وفي مصحف ابن عباس قراءة أبيّ وأبي موسى : اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد ، نخشى عذابك ونرجو رحمتك إن عذابك بالكفار ملحق. انتهى.

منها : ما أخرجه أبو الحسن القطان في المطولات عن أبان بن أبي عياش قال سألت أنس بن مالك عن الكلام في القنوت فقال : اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك الخير ولا نكفرك ونؤمن بك ونترك من يفجرك اللهم إياك نعبد ولك نصلى ونسجد واليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك الجد إن عذابك بالكفار ملحق . قال أنس والله إن أنزلتا إلا من السماء!.

وتجد مثلهِ أخرج مُحَّد بن نصر والطحاوي عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب كان يقنت بالسورتين : (اللهم إياك نعبد ، واللهم إنا نستعينك). وكذلك تجد مثله ما أخرجه مُحَّد بن نصر عن عبدالرحمن بن أبزى قال: (قنت عمر بالسورتين). وتجد مثله ما أخرجه مُحَّد بن نصر عن عبدالرحمن بن أبي ليلى أن عمر قنت بهاتين السورتين : (اللهم إنا نستعينك .. واللهم إياك نعبد).

وكذلك مثلهِ ما أخرجه البيهقي عن خالد بن أبي عمران فقال : بينما رسول الله ﷺ يدعو على مضر إذ جاءه جبرائيل عليه السلام فاومأ إليه أن أسكت فسكت فقال : يا مُحَّد إن الله لم يبعثك سباباً ولا لعاناً وإنما بعثك رحمة للعالمين ولم يبعثك عذاباً ليس لك من الأمر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ، ثم علمه هذا القنوت :

اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونؤمن بك ونخضع لك ونخلع ونترك من يفجرك اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك الجد بالكفار ملحق. انتهى.

منها : ما أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ومُحَّد بن نصر والبيهقي في سننه عن عبيد بن عمير أن عمر بن الخطاب قنت بعد الركوع فقال : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثنى عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد ولك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك بالكفار ملحق . وزعم عبيد أنه بلغه انهما سورتان من القرآن من مصحف ابن مسعود.

منها : ما أخرجه ابن أبي شيبة ومُحَّد بن نصر عن ميمون بن مهران حيث قال : في قراءة أبي بن كعب اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك اللهم إياك نعبد ولك نصلى ونسجد وإليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك بالكفار ملحق.

وتجد مثلهِ ما أخرجه مُحَّد بن نصر عن ابن إسحق فقال: قرأت في مصحف أبي بن كعب بالكتاب الأول العتيق بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قل هو الله احد الى آخرها .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قل أعوذ برب الفلق الى آخرها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قل أعوذ برب الناس الى آخرها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثنى عليك الخير ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك بالكفار ملحق.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اللهم لا تنزع ما تعطى ولا ينفع ذا الجد منك الجد سبحانك وغفرانك وحنا اله الحق. انتهى. فلاحظ جيداً أن السورتين صرن ثلاثة؟.

منها : ما أخرجه مُحَّد بن نصر عن عطاء بن السائب حيث ذكر فقال: كان أبو عبدالرحمن يقرئنا اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك الخير ولا نكفرك ونؤمن بك ونخلع ونترك من يفجرك. اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك الجد إن عذابك بالكفار ملحق. وزعم أبو عبدالرحمن أن ابن مسعود كان يقرئهم إياها ويزعم أن رسول الله ﷺ كان يقرئهم إياها.

منها : ما أخرجه مُحَّد بن نصر عن الشعبي قال قرأت أو حدثني من قرأ في بعض مصاحف أبي بن كعب هاتين السورتين وهما: اللهم إنا نستعينك ، والأخرى ، بينهما بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ . قبلهما سورتان من المفصل وبعدهما سور من المفصل.

منها : ما أخرجه مُحَّد بن نصر عن سفيان حيث قال : كانوا يستحبون أن يجعلوا في قنوت الوتر هاتين السورتين : اللهم إنا نستعينك واللهم إياك نعبد. وتجد مثلهِ ما أخرج مُحَّد بن نصر عن إبراهيم قال : يقرأ في الوتر السورتين : اللهم إياك نعبد اللهم إنا نستعينك ونستغفرك.

منها : ما أخرج مُحَّد بن نصر عن خصيف قال سألت عطاء بن أبي رباح : أي شئ أقول في القنوت حيث فقال : هاتين السورتين اللتين في قراءة أبي ، اللهم إنا نستعينك ، واللهم إياك نعبد.

منها : ما أخرج مُحَّد بن نصر عن الحسن حيث قال: ( نبدأ في القنوت بالسورتين ثم ندعو على الكفار ثم ندعو للمؤمنين والمؤمنات ).

منها : ما ورد من أنه روي في كنز العمال[١٧٣٦] وغيرها ، الكثير من روايات الخلع والحفد فمنها : عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب: كان يقنت بالسورتين: (أللهم إنا نستعينك ، أللهم إياك نعبد) ش ومُحَّد بن نصر في كتاب الصلاة والطحاوي .

وايضا عن عبدالرحمن بن ابزى قال : صليت خلف عمر بن الخطاب الصبح ، فلما فرغ من السورة في الركعة الثانية قال قبل الركوع : (أللهم إنا نستعينك ... إلخ). ش وابن الضريس في فضائل القرآن ، هق وصححه.

وقال في هامشه : ملحق : الرواية بكسر الحاء : أي من نزل به عذابك ألحقه بالكفار . ويروى بفتح الحاء على المفعول : أي عذابك يلحق بالكفار ويصابون به[١٧٣٧] النهاية.

١٧٣٦- كنز العمال ، ج ٨ ص ٧٤- ٧٨ .

وكذلك مما ورد في كنز العمال للمتقي الهندي عن عبيد بن عمير أن عمر بن الخطاب قنت بعد الركوع في صلاة الغداة، فقال :

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، أللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أللهم إياك نعبد .. إلخ). وزعم عبيد أنه بلغه أنهما سورتان من القرآن في مصحف ابن مسعود. عب ش ومُحَّد ابن نصر والطحاوي هق.

وعن عبدالرحمن بن ابزى أن عمر قنت في صلاة الغداة قبل الركوع بالسورتين : ( اللهم إنا نستعينك ، واللهم إياك نعبد- الطحاوي).

وثنا هشيم قال : أخبرنا حصين قال : صليت الغداة ذات يوم ، وصلى خلفي عثمان بن زياد فقنت في الصلاة ، فلما قضيت صلاتي قال لي : ما قلت في قنوتك ؟ فقلت : ذكرت هؤلاء الكلمات:

( اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك الخير كله ، نشكرك ولا نكفرك ، ونخلع ونترك من يفجرك ، اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك بالكفار ملحق) فقال عثمان بن زياد : كذا كان يصنع عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ـ ش. انتهى.

وجاء أنه ذكر ابن شبة[١٧٣٨] في تاريخ المدينة حيث قال : [حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا هشام ، عن مُحَّد : أن أبيَّ بن كعب كتبهن في مصحفه خمسهن : أم الكتاب والمعوذتين والسورتين ، وتركهن ابن مسعود كلهن ، وكتب ابن عفان فاتحة الكتاب والمعوذتين ، وترك السورتين. وعلى ما كتبه عمر مصاحف أهل الإسلام، فأما ما سوى ذلك فمطرح، ولو قرأ غير ما في مصاحفهم قارئ في الصلاة ، أو جحد شيئاً منها استحلوا دمه بعد أن يكون يدين به].

وعبارة (على ما كتبه عمر) فهي الجواب للسؤال السابق وهو من الشخص الذي وضع السورتين المكذوبتان. ومعناه ان ما كتب في عهد خلافتهِ كان بأمره وموافقته ، اذاَ النتيجة من قرأ سورتي الخلع والحفد لا يستحل دمه لأنهما مما كتبه الخليفة.

ولاحظ هنا اسم الخليفة عمر في الحديث هل جاء ذكره خطأ بدل اسم الخليفة عثمان ، لكي تنتج لكم فتوى لمن قتله !.

---

١٧٣٧- النهاية ٤ / ٢٣٨ .

١٧٣٨- ابن شبة تاريخ المدينة ج ٣ ص ١٠٠٩ .

فلاحظ جيد ما ورواه الشافعي[1739] في كتاب الأم وسبق ان اوردنا هذا الحديث عن البيهقي فقال الشافعي : ( يا مُحَّد إن الله لم يبعثك سباباً ولا لعاناً ، وسورتي الخلع والحفد ) قد أفتى باستحباب القنوت بهما !

ولاحظ كذلك ما قاله الامام مالك[1740] في المدونة الكبرى : ( قال ابن وهب : قال لي مالك لا بأس أن يدعى الله في الصلاة على الظالم ويدعو لآخرين وقد دعا رسول الله ﷺ في الصلاة لناس ودعا على آخرين..) و(ابن وهب) عن معاوية بن صالح عن عبد القاهر عن خالد بن أبي عمران قال بينا رسول الله ﷺ يدعو على مضر إذ جاءه جبريل عليه السلام فأومأ إليه أن أسكت فسكت؟.

فقال يا مُحَّد إن الله لم يبعثك سباباً ولا لعاناً وإنما بعثك رحمة ولم يبعثك عذاباً ليس لك من الأمر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون قال ثم علمه القنوت : اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونؤمن بك ونخضع لك ونخلع ونترك من يكفرك . اللهم إياك نعبد ولك نصلى ونسجد وإليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخاف عذابك الجد إن عذابك بالكافرين ملحق.

ولاحظ ايضا ما أورده النووي في المجموع حيث قال: عن القنوت [... والسنة أن يقول : اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت ، إنك تقضي ولا يقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ، تباركت وتعاليت.

لما روى الحسن بن علي عليهما السلام قال : علمني رسول الله ﷺ هؤلاء الكلمات في الوتر فقال قل : اللهم اهدني فيمن هديت الى آخره . وإن قَنَتَ بما روي عن عمر كان حسناً، وهو ما روى أبو رافع قال قنت عمر بن الخطاب بعد الركوع في الصبح فسمعته يقول :

اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ولا نكفرك ونؤمن بك ونخلع ونترك من يفجرك اللهم إياك نعبد ولك نصلى ونسجد وإليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك أن عذابك الجد بالكفار ملحق. اللهم عذب كفرة أهل الكتاب الذين يصدون عن سبيلك يكذبون رسلك ويقاتلون أوليائك .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات وأصلح ذات بينهم وألف بين قلوبهم واجعل في قلوبهم الايمان والحكمة وثبتهم على ملة رسولك وأوزعهم أن يوفوا بعهدك الذي عاهدتهم عليه

١٧٣٩- الشافعي كتاب الأم ج ٧ ص ١٤٨ .

١٧٤٠- الامام مالك المدونة الكبرى ج ١ ص ١٠٣ .

وانصرهم على عدوك وعدوهم آله الحق واجعلنا منهم . ويستحب أن يصلي على النبي ﷺ بعد الدعاء][١٧٤١]. انتهى.

ولاحظ ايضا ما أورده النووي في المجموع حيث قال : [ ولو قنت بالمنقول عن عمر كان حسناً وهو الدعاء الذي ذكره المصنف رواه البيهقي وغيره قال البيهقي هو صحيح عن عمر واختلف الرواة في لفظه والرواية التي أشار البيهقي الى اختيارها رواية عطاء عن عبيد الله بن عمر قنت بعد الركوع فقال :

اللهم اغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات وألف بين قلوبهم وأصلح ذات بينهم وانصرهم على عدوك وعدوهم . اللهم العن كفرة أهل الكتاب الذين يصدون عن سبيلك ويكذبون رسلك ويقاتلون أولياءك .

اللهم خالف بين كلمتهم وزلزل أقدامهم وأنزل بهم بأسك الذي لا ترده عن القوم المجرمين . بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد ونخشى عذابك ونرجو رحمتك إن عذابك الجد بالكفار ملحق. هذا لفظ رواية البيهقي][١٧٤٢]. انتهى.

وتلاحظ ان هناك ملاحظة ابداها النووي من أن الخليفة عمر حصر دعاءه بالكفار من أهل الكتاب لكي يبعد الدعاء عن الكافرين من قريش الوثنيين فأوجد العذر له فعلق النووي عليه بقوله: وقوله اللهم عذب كفرة أهل الكتاب ، إنما اقتصر على أهل الكتاب لأنهم الذين كانوا يقاتلون المسلمين في ذلك العصر.

وأما الآن فالمختار أن يقال عذب الكفرة ليعم أهل الكتاب وغيرهم من الكفار ، فإن الحاجة الى الدعاء على غيرهم أكثر والله أعلم!. انتهى.

ولاحظ تأييد وعضد النووي لرأي الخليفة عمر بحصر الكفار من اهل الكتاب فقط وليس المنافقين وكفرة القرشيين على لسان النبي ﷺ!. وتعتبر هي احدى محاولات رواة الحديث تقوية سورتي الخلع والحفد المزعومتين.

---

١٧٤١- النووي المجموع ج ٣ ص ٤٩٣ .

١٧٤٢- المجموع ، ج ٣ ، ص ٤٩٨ ،

واما المحاولة الاخرى من أن الامام علي عليه السلام قد وافق الخليفة عمر وقرأهما في قنوته فلاحظ رواية السيوطي ومالك[١٧٤٣] في المدونة الكبرى فقال: عن (.. عبد الرحمن بن سويد الكاهلي أن علياً قنت في الفجر: اللهم إنا نستعينك ونستغفرك..)!؟. وهذا الحديث شاذ وساقط عن الاعتبار، ولكن أتخذوه كأحد الأدلة على تثبيت السورتين المزعومتين.

ولاحظ في المقابل تجد روايات كثيرة في مصادر اهل السنة عن قنوت الامام علي عليه السلام خلاف ذلك ، مثلاً أنه كان يدعو على خصومه المنافقين! بدليل حديث كنز العمال[١٧٤٤] فقال : ( عن إبراهيم النخعي قال : إنما كان علي عليه السلام يقنت لأنه كان محارَباً وكان يدعو على أعدائه في القنوت في الفجر والمغرب ـ الطحاوي)؟.

ولاحظ كذلك مثلِه[١٧٤٥] جاء في موضع اخر حيث قال : ( عن عبدالرحمن بن معقل قال : صليت مع علي عليه السلام صلاة الغداة ، فقنت فقال عليه السلام في قنوته اللهم عليك بمعاوية وأشياعه ، وعمرو بن العاص وأشياعه ، وأبي الأعور السلمي وأشياعه ، وعبدالله بن قيس وأشياعه ـ ش).

ولاحظ نقاش ابن حزم حول هاتين ( السورتين ) كلام غير مأثور فذكر في المحلى[١٧٤٦] حيث قال : وقد جاء عن عمر القنوت بغير هذا والمسند أحب إلينا. فإن قيل : لا يقوله عمر إلا وهو عنده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم . قلنا لهم : المقطوع في الرواية على أنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أولى من المنسوب إليه صلى الله عليه وآله وسلم بالظن الذي نهى الله تعالى عنه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

فإن قلتم ليس ظناً ، فأدخلوا في حديثكم أنه مسند فقولوا : عن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ! فان فعلتم كذبتم، وإن أبيتم حققتم أنه منكم قولٌ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالظن الذي قال الله تعالى فيه إن الظن لا يغني من الحق شيئاً.

وكذلك اورد ابن حزم في المحلى[١٧٤٧] حيث قال : ويدعو المصلي في صلاته في سجوده وقيامه وجلوسه بما أحب ، مما ليس معصية ، ويسمي في دعائه من أحب. وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على

---

١٧٤٣- المدونة الكبرى ج ١ ص ١٠٣ .

١٧٤٤- كنز العمال ، ج ٨ ، ص ٧٩ .

١٧٤٥- نفس المصدر ، ص ٨٢

١٧٤٦- ابن حزم ، المحلى ج ٤ ص ١٤٨ .

١٧٤٧- نفس المصدر ، ج ٣ ص ٩١ .

عصية ورعل وذكوان ، ودعا للوليد بن الوليد وعياش بن أبي ربيعة وسلمة بن هشام يسميهم بأسمائهم وما نهى ﷺ قط عن هذا ولا نُهِيَ هو عنه.

ولاحظ جيد والتفت لكلام ابن حزم الأخير فيه معارضته لحديث الشافعي والبيهقي: ( يا مُحَّد إن الله لم يبعثك سباباً ولا لعاناً ) !.

وكذلك لاحظ والتفت لكلام ابن حزم الأخير فيه معارضته لحديث الشافعي والبيهقي: ( يا مُحَّد إن الله لم يبعثك سباباً ولا لعاناً ) !.

**ثانياً : التكفير ضوابط أم مزاجات**

قبل أن يخلق الله تعالى آدم عليه السلام كان يعرض على الملائكة وأخبرهم بأنه سيستخلف بشرا في الأرض ، كما في سورة البقرة قولهخ تعالى : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)[١٧٤٨] .

وبعد أن خلق الله تعالى آدم عليه السلام أمر الملائكة أن يسجدوا له تكريما له حيث خلقه الله بيده. وكان إبليس داخل في هذا الأمر. انقادت الملائكة لأمر الله تعالى فسجدوا له وأبى إبليس السجود ، فرأى أن القياس له أفضلية لنفسه وخلقته من الانسان المتمثل ب(آدم).

فمن خلال قياسهِ عصى الله تعالى واستكبر ولم ينقاد لأمره سبحانه. فهذا أول معصية وقعت في العالم وعرفت في التاريخ من القياس.

فتوصّلت إلى ان المسلّمات والقناعات عند جمهور التكفير ليست إلا أوهاماً لا أساس لها في الدين الاسلامي ، وإنما بُنيت على مزاعم غير حقيقية، وأُختلِقَت لأسباغ شرعية مزيفة على المذاهب الاسلامية.

ومصادر عقيدة الشيخ بن تيمية في الله ﷻ : وكم من عائب قولاً صحيحا وآفته من الفهم السقيم ، لا تنقل مما في البرامج وليس من الكتب ، ومن ثم لا تعرف طريقة الشيخ بن تيمية ومنهجه ، فهو احيانا ينقل أقوالا لا يؤيدها ولكنه يوردها من باب التنزل في الخطاب مع المخالف ويسّلم له ظاهرا بقوله.

---

١٧٤٨- البقرة ٣٠ .

ومن ثم يورد الاحتمالات الممكنة لصحة القول والاحتمالات التي تقتضي بطلانه ثم يتفنن بالمعاني الصحيحة للفظ الذي يحتمل معنى باطلا كنفي الاين ويرد المعاني الباطلة . فلا يغرك هذا التفنن في اللعب على الالفاظ ؟.

وعقيدة الشيخ ابن تيمية يرى أن الله ﷻ جسم لان الصفات بزعمه لا تقوم إلا بجسم ، فهو ينفي الجسد ولا ينفي الجسم ، وينفي المثيل ولا ينفي الشبيه ، وله تصريحات بذلك ، سآتي لك ببعضها إن شاء الله ؟ .

ان الشيخ بن تيمية كلامه واضح ، فإن اريد بالمكان ما هو خارج العالم فالله ﷻ خارج العالم وفوق العرش ، ومعنى ذلك ان هناك مكان يحويه ونحوه مما يجري على المخلوقات كما في كتاب الاستقامة حيث قال ما يلي :

ومن نفى الاين قال لأن الأين سؤال عن المكان يقول والله ليس في المكان لأن المكان لا يكون إلا للجسم والله ليس بجسم لأن الجسم لا يكون إلا محدثا ممكنا .

وبيان الحق في ذلك من الباطل مثل أن يقال المكان يراد به ما يحيط بالشيء والله لا يحيط به مخلوق أو يراد به ما يفتقر إليه الممكن والله لا يفتقر إلى شيء ، وقد يراد بالمكان ما يكون الشيء فوقه والله فوق عرشه فوق سماواته ، فلا يسلم نفى المكان عنه بهذا التفسير ؟.انتهى.

ولكن قد وردت الآثار الثابتة بإثبات لفظ المكان فلا يصح نفيه مطلقا ، اما وصف الله بالاين ، فهذا متفق عليه عند اهل السنة والحديث صحيح ولكن يفهم منه ان الله ﷻ في مكان من العالم او ان السماء تحويه ونحوه ولكن المقصود الاكثر دقة هو (العلو) ، فهل أنك تقبل كلامه في أن الله ﷻ له مكان ويوصف بالاين؟!. اقرأ كلام ابن تيمية وافهمه وتدبر ستجد مطلوبك ف:

الاول : إن الشيخ ابن تيمية يصرح بأن الله ﷻ جسم موجود في مكان وله أعضاء وله شبيه؟. كما ذكر في تلبيس الجهمية[١٧٤٩] قال :

قلت : أبو عبد الله الرازي من أعظم الناس منازعة للكرامية حتى يذكر بينه وبينهم أنواع من ذلك وميله إلى المعتزلة والمتفلسفة أكثر من ميله إليهم وقال ليس في الحنابلة من أطلق لفظ الجسم .

١٧٤٩- كتاب تلبيس الجهمية ص ٦٢٤- ٦٢٦ .

لكن نفاة الصفات يسمون كل من أثبتها مجسما بطريق اللزوم إذ كانوا يقولون أن الصفات لا تقوم إلا بجسم وذلك أنهم اصطلحوا في معنى الجسم على غير المعنى المعروف في اللغة فإن الجسم في اللغة هو البد.

ان كل ما جاء به الكتاب والسنة وما فطر الله عليه عباده وما سلف الأمة وأئمتها تجسيما ، وهذا لا يختص طائفة لا الحنابلة ولا غيرهم بل يطلقون لفظ المجسمة والمشبهة على أتباع السلف كلهم؟!.

وقال في تلبيس الجهمية : وأما التمثيل فقد نطق القرآن بنفيه عن الله في مواضع كقوله ليس كمثله شيء وقوله هل تعلم له سميا وقوله ولم يكن له كفوا أحد ، وقوله فلا تجعلوا لله أندادا ، وقوله فاعبدوا واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا أي نظيرا يستحق مثل اسمه ويقال مساميا يساميه ، وهذا معنى ما يروى عن ابن عباس هل تعلم له سميا مثيلا أو شبيها.

وموجب الأدلة السمعية يتلقى من عرف المتكلم بالخطاب لا من الوضع المحدث فليس لأحد أن يقول إن الألفاظ التي جاءت في القرآن موضوعة لمعاني ثم يريد أن يفسر مراد الله بتلك المعاني هذا من فعل أهل الالحاد المفترين .

وإن عنيت به ما يشار إليه أو يتميز منه شيء عن شيء لم نسلم أن مثل هذا ممتنع بل نقول أن كل موجود قائم بنفسه فإنه كذلك وأن ما لا يكون كذلك فلا يكون إلا عرضا قائما بغيره وأنه لا يعقل موجود إلا ما يشار إليه أو ما يقوم بما يشار إليه[١٧٥٠]؟!.

وقال في تلبيس الجهمية : قوله لو كان الباري أزلا وأبدا مختصا بالحيز والجهة لكان الحيز والجهة موجودان في الأزل فيلزم إثبات قديم غير الله وذلك محال بإجماع المسلمين .

يقال له : هؤلاء إن قالوا بأنه مختص بحيز وجودي أزلا وأبدا فليس ذلك عندهم شيئا خارجا عن مسمى الله كما أن الحيز الذي هو نهايات المتحيز وحدوده الداخلة فيه ليس خارجا عنه بل هو منه وعلى هذا التقدير فيكون إثباتهم لقدم هذا الحيز كإثبات سائر الصفاتية للصفات القديمة من علمه وقدرته وحياته لا فرق[١٧٥١].

وقال في تلبيس الجهمية : وإن عنيتم بالمشبه من يقول الإله جسم مختص بالمكان فلا نسلم انعقاد الإجماع على تكفير من يقول بذلك بل هو دعوى الإجماع في محل النزاع فلا يلتفت إليه ؟!.

---

١٧٥٠- نفس المصدر : ص ٥٤٣ .

١٧٥١- نفس المصدر : ص ٥٩٠ .

قلت هذا الكلام منه تسليم لأن كون الله شبيها بخلقه من بعض الوجوه متفق عليه بين المسلمين لاتفاقها على أن الله تعالى موجود وشيء وعالم وقادر وعلى هذا فما من موجود إلا وله شبيه من بعض الوجوه لاشتراكها في الوجود والشبه ، فقوله بعد هذا لا يجب أن يكون لكل موجود نظير وشبيه إن عنى به شبيها به من كل وجه فقد ذكر أن أحدا من العقلاء لم يذهب الى ذلك وإن عنى به شبيها من بعض الوجوه فقد ذكر أن هذا محل وفاق بين المسلمين وإن أراد نوعا من التشبيه فهو لم يذكره في هذه المقدمة ولم يوضح سبيلا.

ومن العجب أنه ذكر في نهايته على لسان منازعيه إجماع المسلمين على تكفير المشبهة وأنه ليس هو الذي يذهب إلى كون الله تعالى وتقدس شبيها بخلقه من كل الوجوه فإن هذا لم يذهب إليه عاقل فتعين أن يكون هو الذي أثب الإله على صفة شبهه معها بخلقه ثم ذكر هو إجماع المسلمين على كون لله شبيها[١٧٥٢] .

وقال في تلبيس الجهمية : لكن الاعتقاد الذي يدعوهم الى رفع ايديهم لا يجب أن يكون من التمثيل الباطل اذ لا يختص أهله بالرفع الى الله واذا كان كذلك لم يكن مستند الناس كلهم في الرفع الى الله باطلا واذا لم يكن مستندهم كلهم باطلا بل كان مستند بعضهم حقا ثبت أن الله يرفع اليه الأيدي وأن فاعل ذلك يكون اعتقاده صحيحا وذلك يقتضي صحة الاشارة الحسية اليه الى فوق وهو المطلوب[١٧٥٣] .

الثاني : زعم الشيخ ابن تيمة أن النبيﷺ أقر عقيدة اليهود بالله تعالى وأخذ منهم؟! . وقال[١٧٥٤] : أما الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فيثبتون إثباتا مفصلا وينفون نفيا مجملا يثبتون لله الصفات على وجه التفصيل وينفون عنه التمثيل وقد علم أن التوراة مملوءة بإثبات الصفات التي تسميها النفاة تجسيما ومع هذا فلم ينكر رسول اللهﷺ وأصحابه على اليهود شيئا من ذلك ولا قالوا أنتم مجسمون .

بل كان أحبار اليهود إذا ذكروا عند النبيﷺ شيئا من الصفات أقرهم الرسول على ذلك وذكر ما يصدقه كما في حديث الحبر الذي ذكر له إمساك الرب سبحانه وتعالى للسماوات والأرض المذكور في تفسير قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره الآية. وقد ثبت ما يوافق حديث الحبر في الصحاح عن النبيﷺ من غير وجه من حديث ابن عمر وأبي هريرة وغيرهما.

---

١٧٥٢- تلبيس الجهمية : ج١ ، ص٢٤ .

١٧٥٣- نفس المصدر : ص٨١٤ .

١٧٥٤- نفس المصدر : ص١٢٨ .

الثالث : زعم الشيخ ابن تيمية أن كل السلف مجسمة مثله ؟. كما قال في منهاج السنة[١٧٥٥] : فهذا المصنف الإمامي ( يقصد العلامة الحلي في كتابه منهاج الكرامة الذي كتب منهاج السنة ردا عليه) اعتمد على طريق المعتزلة ومن تابعهم من أن الإعتماد في تنزيه الرب عن النقائص على نفى كونه جسما ومعلوم أن هذه الطريقة لم عند بها كتاب ولا سنة ولا هي مأثورة عن أحد من السلف فقد علم أنه لا أصل لها في الشرع .

فلو أراد أن ينزه الله تعالى عن الجهل والعجز والنوم وغير ذلك فإن هذه الصفات لا تكون إلا للأجسام قيل هل له وما تثبته أنت من الأسماء أو الأحكام أو الصفات لا تكون إلا للأجسام؟!.

وأما من قال إن هذه الأعيان المشار إليها مركبة من هذا وهذا فكثير منهم كالمعتزلة والأشعرية ينفون عن الرب تعالى هذا التركيب ولكن كثيرا من شيوخ الكلام يقولون إن الله تعالى جسم؟!.

الرابع : صرح الشيخ بن تيمية بأن معبوده ليس جسدا ، ولكنه جسم؟!. قال في تلبيس الجهمية[١٧٥٦] : وقال بعضهم قد قال الله تعالى واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا فقد ذم الله من أتخذ إلها جسدا والجسد هو الجسم فيكون الله قد ذم من اتخذ إلها هو جسم فيقال له هذا باطل من وجوه: أحدها أن هذا إنما يدل على نفي أن يكون جسدا لا على نفي أن يكون جسما والجسم في اصطلاح نفاة الصفات أعم من الجسد.

الخامس : معبود ابن تيمية ليس له كفؤ ومثيل ، ولكن له شبيه؟!. قال[١٧٥٧] في تلبيس الجهمية : وأما التمثيل فقد نطق القرآن بنفيه عن الله في مواضع كقوله ليس كمثله شيء وقوله هل تعلم له سميا وقوله ولم يكن له كفوا أحد وقوله فلا تجعلوا لله أندادا وقوله فاعبدوا واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا أي نظيرا يستحق مثل اسمه ويقال مساميا يساميه .

السادس : معبود ابن تيمية موجود في مكان معين من الكون؟!. وقال في كتاب الاستقامة[١٧٥٨] : فإن عامة أهل السنة وسلف الأمة وأئمتها لا ينفون عنه الأين مطلقا؟!. لثبوت النصوص الصحيحة الصريحة عن النبيﷺ بذلك سؤالا وجوابا فقد ثبت في الصحيح عنه انه قال للجارية أين الله قالت في السماء. وكذلك قال ذلك لغيرها.

١٧٥٥- منهاج السنة ج٢ ص ٥٦٣ .

١٧٥٦- نفس المصدر : ص٦١٩ .

١٧٥٧- نفس المصدر ص٥٤٣ .

١٧٥٨- كتاب الاستقامة ص ١٢٦ .

وقال له أبو رزين العقيلي أين كان ربنا قبل أن خلق السماوات والأرض؟ قال : في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء ، ثم خلق عرشه على الماء ومن نفى الأين عنه يحتاج إلى أن يستدل على انتفاء ذلك بدليل؟!.

وقال : ومن نفى الأين قال لأن الأين سؤال عن المكان يقول والله ليس في المكان لأن المكان لا يكون إلا للجسم والله ليس بجسم لأن الجسم لا يكون إلا محدثا ممكنا... وبيان الحق في ذلك من الباطل مثل أن يقال المكان يراد به ما يحيط بالشيء والله لا يحيط به مخلوق أو يراد به ما يفتقر إليه الممكن والله لا يفتقر إلى شيء .

وقد يراد بالمكان ما يكون الشيء فوقه والله فوق عرشه فوق سماواته ، فلا يسلم نفى المكان عنه بهذا التفسير؟!. ونقول قد وردت الآثار الثابتة بإثبات لفظ المكان فلا يصح نفيه مطلقا .

السابع : وهل قرأت في كتبه عن حديث العماء ؟!. قال في تلبيس الجهمية[١٧٥٩] : عن وكيع بن عدس عن عمه أبي رزين قال قلت يا رسول الله : أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ قال : كان في عماء ما تحته هو وما فوقه هواء ، ثم خلق عرشه على الماء.. قال يزيد بن هارون العماء أي ليس معه شيء.

فهذا الحديث فيه بيان أنه خلق العرش المخلوق قبل السموات والأرض وأما قوله في عماء فعلى ما ذكره يزيد بن هارون ورواه عنه أحمد بن منيع وقرره الترمذي في أن معناه ليس معه شيء فيكون فيه دلالة على أن الله تعالى كان وليس معه شيء.

ثم لو دل على وجود موجود على قول من يفسر العماء بالسحاب الرقيق لم يكن في ذلك دليل على قول الدهرية بقدم ما ادعوا قدمه ولا بأن مادة السموات والأرض ليستا مبتدعتين ، وذلك أن الله سبحانه وتعالى أخبر في كتابه بابتداء الخلق الذي يعيده.

الثامن : ابن تيمية يحرم التأويل ويرتكبه ؟!. قال في تلبيس الجهمية[١٧٦٠] : قال الشيخ رحمه الله وأما التأويل الثالث المذكور عن الغزالي من أن معنى قوله خلق آدم على صورته أن الإنسان ليس بجسم ولا جسماني ولا تعلق له بهذا البدن إلا على سبيل التدبير والتصرف ونسبة ذات آدم إلى هذا البدن كنسبة الباري إلى العالم من حيث أن كل منها غير حال في هذا الجسم وإن كان موجودا فيه فهذا يشبه ما ذكره الإمام أحمد عن الجهم في مناظرة المشركين السمنية.

---

١٧٥٩- تلبيس الجهمية ص١٥٤ .

١٧٦٠- نفس المصدر ص٤٤١ .

إلى أن قال وهذا يشبه قول الصائبة المتفلسفة الذين اتبعهم أبو حامد حيث ادعوا أن الروح هي كذلك ليست جسما ولا يشار إليها ولا تختص بمكان دون مكان ولكنها مدبرة للجسد كما أن الرب مدبر للعالم مع أن في كلام أبي حامد من التناقض في هذه الأمور ما ليس هذا موضع استقصائه.؟! انتهى!.

وانتقد رسول الله ﷺ العديد من الصحابة ولعنهم ووبّخهم وهدّدهم، بل ولم يزكّهم من بعده ، ليقينه بأنهم سيحدثون من بعده ، الكثير من البدع والأمور المحدَثة التي ما أنزل الله بها من سلطان. ونرى مسألة التكفير لدى أتباع مدرسة الصحابة لا ضابطة لها فنأتي بالأمثلة لذلك فمنها:

**المثال الاول : تكفير القائل بالخلق**

تكفير القائل بخلق القران : تلاحظ أن الإمام احمد كان رأيهُ هو عدم خلق القرآن وكل من يخالفه بهذا الرأي فهو كافر. ومن لم يكفره فهو كافر بالرغم لا يوجد عنده أي دليل لا من الكتاب ولا من السنة ولا من الإجماع بل الأدلة من الكتاب الحكيم خلاف ذلك أي ان كلام الله ﷻ مخلوق فقد قال تعالى :

( مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ )[١٧٦١] وكذلك قال تعالى : ( وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ )[١٧٦٢].

يقول أحمد بن حنبل : والقرآن كلام الله تكلم به ، ليس بمخلوق ومن زعم أنّ القرآن مخلوق فهو جهمي كافر ، ومن زعم أنّ القرآن كلام الله ووقف ولم يقل ليس بمخلوق فهو أخبث من قول الأول ، ومن زعم أنّ ألفاظنا به ، وتلاوتنا له مخلوقة ، والقرآن كلام الله فهو جهمي ، ومن لم يكفر هؤلاء القوم فهو مثلهم[١٧٦٣].

ويقول أيضاً[١٧٦٤] : وما في اللوح المحفوظ وما في المصحف وتلاوة الناس وكيفما وُصف ، فهو كلام الله غير مخلوق ، فمن قال مخلوق ، فهو كافر بالله العظيم ، ومن لم يكفره فهو كافر.. الخ.

١٧٦١- الأنبياء ٢ .

١٧٦٢- الشعراء ٥ .

١٧٦٣- العقيدة للإمام أحمد بن حنبل برواية عبدوس العطار ، المطبوع مع العقيدة برواية أبي بكر الخلاّل ص ٧٩ ط. دار قتيبة – دمشق سنة ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م ، وانظر : طبقات الحنابلة ج١ ص ٢٩.

١٧٦٤- العقيدة للإمام أحمد بن حنبل برواية مسدد بن مسرهد المطبوع مع العقيدة برواية الخلال صفحة ٦٠.

إلى أنْ قال : وأما الجهمية ، فقد أجمع من أدركنا من أهل العلم أنهم قالوا : إنّ الجهمية افترقت ثلاث فرق ، فقالت طائفة منهم القرآن كلام الله وهو مخلوق ، وقالت طائفة : القرآن كلام الله وسكتت ، وهي الواقفة الملعونة وقالت طائفة منهم : ألفاظنا بالقرآن مخلوقة ، فهؤلاء كلهم جهمية كفار يُستتابون ، فإن تابوا وإلا قتلوا[١٧٦٥] .

قال أبو نعيم الأصبهاني بشأن أبي حنيفة : قال بخلق القرآن ، واستتيب من كلامه الرديء غير مرة ، كثير الخطأ والأوهام[١٧٦٦] .

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب السنة : حدثني إسحاق بن أبي يعقوب الطوسي ، حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس ، عن سليم المقرئ ، عن سفيان الثوري قال : سمعت حماداً يقول : ألا تعجب من أبي حنيفة ، يقول : القرآن مخلوق. قل له: يا كافر يا زنديق[١٧٦٧] .

وكذلك حدثني عبد الله بن عون بن الخراز أبو مُحَمَّد وكان ثقة ، حدثنا شيخ من أهل الكوفة ، قيل لعبد الله بن عون : هو أبو الجهم فكأنه أقر أنه ، قال : سمعت سفيان الثوري يقول : قال لي حماد بن أبي سليمان : اذهب إلى الكافر يعني أبا حنيفة فقل له : إن كنت تقول أن القرآن مخلوق فلا تقربنا[١٧٦٨] .

فلاحظ أن هنا أمور يمكنك الاستفادة منها وهي : فأولاً التكفير من غير ضابطة من يقول بخلق القرآن ومن لم يكفرهم فهو كافر، الأشاعرة وأئمة الأشاعرة والمعتزلة والشيعة الإمامية وغيرهم من المسلمين يقولون بخلق القرآن ومن لم يكفر كل هؤلاء فهو كافر.

وثانياً لا يوجد أي دليل على ان القرآن ليس بمخلوق بل الأدلة خلاف ذلك من القرآن ان القرآن محدث .

وثالثاً يقول ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة ، أي الألفاظ التي تخرج من أفواهنا غير مخلوقة وهذا يستلزم ان ألفاظنا آلهة وهي تخرج من أفواهنا.

ورابعاً ان هناك أئمة معروفين قالوا بخلق القرآن فكفروا ومنهم إمام الأحناف أبو حنيفة .

---

١٧٦٥- العقيدة للإمام أحمد بن حنبل ص ٦١ .

١٧٦٦- كتاب الضعفاء لأبي نعيم الأصبهاني ص ١٥٤طبعة دار الثقافة - الدار البيضاء سنة ١٤٠٥هجري - ١٩٨٤م .

١٧٦٧- كتاب السنة ج١ ص ١٨٤ - ١٨٥.

١٧٦٨- نفس المصدر .

**المثال الثاني : تكفير أئمة المذاهب**

احمد بن حنبل يكفر أبو حنيفة ومالك أئمة المذاهب : الإمام احمد بن حنبل يكفر الإمام أبو حنيفة والإمام مالك وكافة ائمة المذهب كفار فكيف يكون مذهب حق وأركانه يكفرون بعضهم البعض .

نذكر بعض النماذج باختصار كالإمام أبو حنيفة : ما رواه العقيلي بسند صحيح ، قال : حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، قال حدثنا منصور بن أبي مزاحم ، قال حدثنا مالك بن أنس ، يقول : إنّ أبا حنيفة كاد الدين ، ومن كاد الدين فليس له دين[١٧٦٩] .

وكذلك روى عبد الله بن أحمد في السنة عن منصور بن أبي مزاحم قال : سمعت مالك بن أنس ذكر أبا حنيفة بكلام سوء وقال : كاد الدين ، ومن كاد الدين فليس من الدين[١٧٧٠] .

وكذلك روى الحافظ إبن عدي الجرجاني بسند صحيح قال : حدثنا إبن أبي داود ، حدثنا الربيع بن سليمان الجيزي ، عن الحارث بن مسكين ، عن إبن القاسم ، قال : قال مالك : الداء العضال الهلاك في الدين ، وأبو حنيفة الداء العضال[١٧٧١] .

وكذلك أورد ابن حبان في مقام بيان عدم جواز الاعتماد على روايات أبي حنيفة فقال: ومن جهة أخرى لا يجوز الاحتجاج بخبره ، لأنه كان داعياً للإرجاء ، والداعية إلى البدع لا يجوز أن يُحتج به عند أئمتنا قاطبة ، لا أعلم بينهم خلافاً على أنّ أئمة المسلمين وأهل الورع في الدين في جميع الأمصار وسائر الأقطار جرحوه ، وأطلقوا عليه القدح ، إلا الواحد بعد الواحد[١٧٧٢] .

واما النموذج الآخر فهو الإمام مالك بن أنس فلقد ذكروا انه : قال عبد الله بن احمد بن حنبل سمعت أبي يقول قال ابن أبي ذئب يستتاب مالك فأن تاب وإلا ضربت عنقه[١٧٧٣] . وكذلك مثلهِ قال احمد بن حنبل في شأن ابن أبي ذئب : هذا أورع أقول بالحق من مالك[١٧٧٤] .

---

١٧٦٩- كتاب الضعفاء الكبير ج٤ ص ٢٨١ ، تاريخ بغداد ج١٣ ص ٤٢٢ ، العلل ومعرفة الرجال لأحمد بن حنبل ج٢ ص ٥٤٧ وج٣ ص ١٦٤، حلية الأولياء ج٦ ص ٣٢٥.

١٧٧٠- السنة ج١ ص ١٩٩، العلل ومعرفة الرجال لأحمد بن حنبل ج٢ ص ٥٤٧.

١٧٧١- الكامل في ضعفاء الرجال ج ٧ ص ٦ .

١٧٧٢- كتاب المجروحين ج٣ ص ٦٣ ، ٦٤ .

١٧٧٣- العلل ومعرفة الرجال احمد بن حنبل ج١ص٣٥٩ رقم٢٧٥ طبعة المكتب الإسلامي بيروت – دائرة النشر والتوزيع الرياض سنة ١٤٠٠هجرية .

وأما النموذج الثالث نأتي بالإمام الشافعي فقد قال الحافظ إبن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله فقال : ومما نقم على ابن معين وعيب به أيضاً قوله في الشافعي أنه ليس بثقة ، وقيل لأحمد بن حنبل : أن يحي بن معين يتكلم في الشافعي .

فقال أحمد : ومن أين يعرف يحي الشافعي ، وهو لا يعرف ولا يقول ما يقول الشافعي أو نحو هذا ، ومن جهل شيئاً عاداه . إلى أن قال : وقد صح عن إبن معين من طرق أنه كان يتكلم في الشافعي على ما قدمت لك حتى نهاه أحمد بن حنبل ، وقال له : لم تر عيناك قط مثل الشافعي[١٧٧٥] .

وكذلك يقول الذهبي : وعن ابن عبد الحكم قال سمعت أشهب يدعو في سجوده على الشافعي بالموت فمات والله الشافعي في رجب سنة أربع ومات أشهب بعده بثمانية عشر يوما واشتري من تركة الشافعي عبدا اشتريته أنا من تركة أشهب[١٧٧٦] .

**المثال الثالث : تكفير الشيعة**

تكفير شيعة أهل البيت عليهم السلام : بات اليوم الجميع يعرف بتكفير كل من يتبع مدرسة آل محمد عليهم السلام ويصبح مطارد لهذا وذاك على مستوى دول عظمى ترعى ذلك .

ولكن شيعة وأتباع أهل البيت عليهم السلام باقون على ولاية الأمام علي بن ابي طالب عليه السلام فهو الخليفة الشرعي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فلا نبحث هذا الأمر لأنه ليس بتلك الأهمية التي تثبت فيها أحاديث أهل الأئمة المعصومين عليهم السلام .

فلاحظ اعتراف ابن تيمية في مصنفه منهاج السنة حينما قال :

[ أنكم لم تأخذوا من أهل البيت عليهم السلام أي شيء ونحن نعرف أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وصانا لعدم الظلال بلزوم التمسك بأهل البيت عليهم السلام فأين إتباعكم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحتى إننا لا نرى أي ذكر لائمة أهل البيت عليهم السلام في تلقي الدين عندكم.

قال الرافضي[١٧٧٧] وفي الفقه الفقهاء يرجعون إليه : والجواب أن هذا كذب بين فليس في الأئمة الأربعة ولا غيرهم من أئمة الفقهاء من يرجع إليه في فقهه أما مالك فان علمه عن أهل المدينة وأهل

---

١٧٧٤- الذهبي سير أعلام النبلاء ج٢ص١٤٢ طبعة مؤسسة الرسالة طبعة١٤٠٢ هجرية ١٩٩٢م .

١٧٧٥- جامع بيان العلم وفضله ج٢ ص ١٦٠ ، الإنتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء لابن عبد البر ص ١٧٥ .

١٧٧٦- سير أعلام النبلاء ج٩ ص ٥٠٢ .

المدينة لا يكادون يأخذون بقول علي بل اخذوا فقههم عن الفقهاء السبعة عن زيد وعمر وابن عمر ونحوهم.

أما الشافعي فانه تفقه أولا على المكيين أصحاب ابن جريج كسعيد بن سالم القداح ومسلم بن خالد الزنجي وابن جريج اخذ ذلك عن أصحاب ابن عباس كعطاء وغيره وابن عباس كان مجتهدا مستقلا وكان إذا أفتى بقول الصحابة أفتى بقول أبي بكر وعمر لا بقول علي عليه السلام وكان ينكر على علي عليه السلام أشياء.

ثم أن الشافعي اخذ عن مالك ثم كتب أهل العراق واخذ مذاهب أهل الحديث واختار لنفسه. وأما أبو حنيفة فشيخه الذي اختص به حماد بن أبي سليمان وحماد عن إبراهيم وإبراهيم عن علقمة وعلقمة عن ابن مسعود وقد اخذ أبو حنيفة عن عطاء وغيره.

وأما الإمام احمد فكان على مذهب أهل الحديث اخذ عن ابن عيينة وابن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس وابن عمر واخذ عن هشام بن بشير وهشام عن أصحاب الحسن وإبراهيم النخعي واخذ عن عبد الرحمن بن مهدي ووكيع بن الجراح وأمثالهما .

وجالس الشافعي واخذ عن أبي يوسف واختار لنفسه قولا وكذلك إسحاق بن راهويه وأبو عبيد ونحوهم والاوزاعي والليث أكثر فقههما عن أهل المدينة وأمثالهم لا عن الكوفيين][١٧٧٨]. انتهى.

وبعبارة اخرى قال الشيخ ابن تيمية[١٧٧٩] في كتابه : ذكر – العلامة الحلي – أشياء من الكذب تدل على جهل ناقلها مثل قوله نزل في حقهم – في حق أهل البيت – (هل أتى) فإن (هل اتى) مكية باتفاق العلماء وعلي انما تزوج فاطمة بالمدينة بعد الهجرة وولد الحسن والحسين بعد نزول (هل أتى) فقوله انها نزلت فيهم من الكذب الذي لا يخفى على من له علم بنزول القرآن وأحوال هذه السادة الأخيار. انتهى.

---

١٧٧٧- يقصد بكلامهِ العلامة الحلي من علماء الشيعة الأجلاء الامامية الاثني عشرية.

١٧٧٨- منهاج السنة النبوية لابن تيمية ج٧ ص٥٢٩-٥٣٠ .

١٧٧٩- نفس المصدر : ٢ / ١١٧.

الجواب: ألم يعلم بن تيمية أن :

الأول : ان كون السورة مكية لا ينافي كون بعض آياتها مدنية ؟ وبالعكس ؟ وقد اطرد ذلك في السور القرآنية وهذا معنى قول ابن الحصّار: ان كل نوع من المكي والمدني منه آيات مستثناة [١٧٨٠].

والثاني : ان اوثق الطرق الى كون السورة او الآية مكية او مدنية هو ما تضافر النقل به في شأن نزولها بأسانيد مستفيضة دون الأقوال المنقطعة عن الإسناد :

(١) نقض العثمانية ، ابو جعفر الاسكافي ص٣١٨.

(٢) مطالب السؤول ، مُحَّد بن طلحة الشافعي ص٣١.

(٣) شرح نهج البلاغة ، ابن ابي الحديد خطبة ٢٣٨. وهو من علماء اهل السنة وليس من الشيعة ؟

(٤) تذكرة الخواص ، سبط بن الجوزي ، ص٣١٣.

(٥) كفاية الطالب ، الكنجي الشافعي ، ص٣٤٨ ، باب ٩٧.

وغيرهم الكثير فراجع .

والثالث : ان القول بأنها مكية ليس مما اتفق عليه العلماء بل الجمهور على خلافه كما نقله الخازن في تفسيره[١٧٨١] عن مجاهد وقتادة والجمهور.

وروى ابو جعفر النحاس في كتابه الناسخ والمنسوخ[١٧٨٢] من طريق الحافظ ابي حاتم عن مجاهد عن ابن عباس حديثاً في تلخيص آي القرآن المدني من المكي وفيه : والمدثر الى آخر القرآن إلا إذا زلزلت واذا جاء نصر الله وقل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس فإنهن مدنيات وفيها سورة هل أتى .

١٧٨٠- الاتقان للسيوطي ١ / ٣٨ .

١٧٨١- ٤ / ٣٣٧ .

١٧٨٢- ص ٣٦٠ .

وقال السيوطي في الاتقان[١٧٨٣] بعد نقل الحديث : هكذا اخرجه بطوله واسناده جيد ، رجاله كلهم ثقات من علماء العربية المشهورين .

وأخرج الحافظ البيهقي في دلائل النبوة[١٧٨٤] بإسناده عن عكرمة والحسين بن ابي الحسن حديثا في المكي والمدني من السور وعدّ من المدنيات ( هل أتى ).

ويروي ابن الضريس[١٧٨٥] في فضائل القرآن عن عطا –عن ابن عباس– عدّ سورة الانسان من المدنيات وعدّها الزهري ايضا في كتابه تنزيل القرآن[١٧٨٦] من السور المدنيات برقم١٣. وعدّها الخازن[١٧٨٧] في تفسيره من السور النازلة بالمدينة .

وهذه مصاحف الدنيا بأجمعها مخطوطها ومطبوعها يخبرك عن جلية الحال فإنها مجمعة على انها مدنية فهل الامة اجمعت فيها على خلاف ما اتفق عليه العلماء ان صحت المزعمة يا بن تيمية ؟ .

كما في قوله تعالى : (فما منكم من أحد عنه حاجزين)[١٧٨٨]، وقوله تعالى : ( وانه لتذكرة للمتقين )[١٧٨٩]، وقوله تعالى : ( وانا لنعلم أنّ منكم مكذبين )[١٧٩٠]. افتح المصحف الذي في بيتك واخبرني هل كتب امام اسم سورة الانسان انها مكية ام مدنية ؟.

والرابع : ان القائلين بأن فيها آية او آيات مكية كالحسن وعكرمة والكلبي وغيرهم مصرحون بأن الآيات المتعلقة بقصة الإطعام مدنية.

والخامس : يقول الله تعالى : ( ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيماً وأسيراً) فمتى كان للمسلمين أسيراً في مكة؟.

---

١٧٨٣- ١ / ٢٥ .

١٧٨٤- ٧ / ١٤٣ .

١٧٨٥- ص ٣٣ .

١٧٨٦- ص ٣٠ .

١٧٨٧- ١ / ٨ .

١٧٨٨- الحاقة ٤٧ .

١٧٨٩- الحاقة ٤٨ .

١٧٩٠- الحاقة ٤٩ .

### أ – أثبات الحديث أهم من التكفير

فالشيعة أخذوا من قال الرسولﷺ فيهم ( إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي ) وأثبات هذا الحديث أهم من تكفير أتباعهم فمن طرق حديث الثقلين هي :

( أ ) – رواه الإمام مسلم في صحيحه من طريق يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم وكذلك رواه احمد[١٧٩١] في مسنده من طريق يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم ولفظ رواية يزيد عن زيد كما في صحيح مسلم :

انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم فلما جلسنا إليه قال له حصين :لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول اللهﷺ قال :

يا ابن اخي والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول اللهﷺ فما حدثتكم فاقبلوه وما لا فلا تكلفونيه ثم قال : قام رسول الله ﷺ يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قالا لا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربى فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين :

أولهما : (كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به) فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قالﷺ : (وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي). انتهى.

ولاحظ ان رواية يزيد بن حيان مختصرة كما لا يخفى على من تتبع سائر روايات الحديث من طريق زيد بن أرقم .

( ب ) – وكذلك رواه الحاكم[١٧٩٢] في المستدرك قال : حدثنا أبو بكر مُحَّد بن الحسين بن مصلح الفقيه بالري حدثنا مُحَّد بن أيوب حدثنا يحيى بن مغيرة السعدي حدثنا جرير بن عبد الحميد عن الحسن بن عبيد الله النخعي عن مسلم بن صبيح– أبو الضحى– عن زيد بن أرقم قال : قال الرسول الله ﷺ : ( إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وأهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض) وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. انتهى.

---

١٧٩١– مسند الامام احمد ٣ / ١٤ .

١٧٩٢– مستدرك الحاكم ٣ / ١٤٨ .

واقر الذهبي على تعنته بصحة الحديث في تلخيصه للمستدرك ولاحظ حتى المحدث السلفي اليمنى ( مقبل الوادعي ) لم يسعه الانكار في تعليقه على المستدرك إلا وان اقر بصحة هذا الحديث على شرط مسلم .

( ج ) –كذلك رواه الحافظ يعقوب[١٧٩٣] بن سفيان الفسوي في المعرفة والتاريخ قال حدثنا يحي –الحماني– قال حدثنا جرير عن الحسن بن عبيد الله عن أبي الضحى عن زيد بن أرقم قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

( إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ) وإسناده أيضا صحيح وصححه شعيب الأرنؤوط في تعليقه على عواصم ابن الوزير. انتهى.

( د ) –كذلك رواه الطبراني[١٧٩٤] في معجمه الكبير : حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا عمرو بن عون الواسطي حدثنا خالد بن عبد الله –الواسطي – عن الحسن بن عبيد الله عن أبي الضحى عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ( إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ) وإسناده صحيح واقر بذلك شعيب.

( هـ ) –كذلك رواه الحاكم[١٧٩٥] في المستدرك والنسائي[١٧٩٦] في خصائص علي عليه السلام والبلاذري في انساب الأشراف من طريق أبي عوانة عن الأعمش قال حدثنا حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم قال :

لما دفع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقام من ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم كأني دعيت فأجبت وأني تارك فيكم الثقلين احدهما اكبر من الآخر : ( كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ).

وقد صححه الحاكم على شرط الشيخين وسكت عنه الذهبي وقال المحدث الالبانى[١٧٩٧] في الصحيحة : ( وهو كما قالا لولا أن حبيبا كان مدلسا وقد عنعنه لكنه لم ينفرد به فقد تابعه فطر بن خليفة عن أبي الطفيل).

---

١٧٩٣– المعرفة والتأريخ ١ / ٢٩٥ .

١٧٩٤– المعجم الكبير للطبراني ٥ / ١٩٠ .

١٧٩٥– مستدرك الحاكم ٣ / ١٠٩ .

١٧٩٦– خصائص النسائي ٧٢ .

وقد أخرجه من طريق فطر بن خليفة عن أبي طفيل احمد[١٧٩٨] في المسند وفى الفضائل[١٧٩٩] وابن حبان في صحيحه والبزار وغيرهم ولرواية حبيب عن أبي طفيل متابعات أخرى .

فقد تابعه حكيم بن جبير عن أبي الطفيل به كما عند الطبراني[١٨٠٠] في المعجم الكبير وحكيم بن جبير إنما تكلم فيه شعبة لأجل حديث الصدقة وقال ابن المديني كما في (العلل الصغير) للترمذي :

( سالت يحيى بن سعيد عن حكيم بن جبير فقال :تركه شعبة من اجل الحديث الذي روى في الصدقة – وساق الحديث – قال على : وقد حدث عن حكيم سفيان الثوري وزائدة ولم ير على بحديثه باسا ).

فالرجل روى عنه سفيان الثوري ووثقه ابن المدينى فلا باس بحديثه في المتابعات والشواهد ولحديث حبيب عن أبي طفيل متابعة أخرى عن سلمة بن كهيل عن أبي طفيل أخرجها الترمذي[١٨٠١] واحمد[١٨٠٢] في الفضائل وإسنادها صحيح كما ذكر الألباني[١٨٠٣] في الصحيحة فهذه طرق الحديث عن زيد بن أرقم كما تيسر .

( و ) – ورواه الإمام الطحاوي[١٨٠٤] في مشكل الآثار قال : حدثنا إبراهيم بن مرزوق حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا كثير بن زيد عن مُحَمَّد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن علي عليه السلام : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حضر الشجرة بخم فخرج آخذا بيد علي عليه السلام فقال :

أيها الناس ألستم تشهدون أن الله ربكم ؟ – قالوا بلى – قال : ألستم تشهدون أن الله ورسوله أولى بكم من أنفسكم وان الله ورسوله مولاكم ؟–قالوا بلى– قال صلى الله عليه وآله وسلم: ( من كنت مولاه فعلي مولاه إني قد تركت فيكم ما أن أخذتم لن تضلوا بعدي كتاب الله وأهل بيتي ) . ولاحظ قد صحح إسناده الحافظ ابن حجر العسقلاني[١٨٠٥] في مصنفه (المطالب العالية ) .

---

١٧٩٧– الالباني ٤ / ٣٣٠ .

١٧٩٨– مسند الامام احمد ٤ / ٣٧٠ .

١٧٩٩– الفضائل ١١٦٧ .

١٨٠٠– المعجم الكبير للطبراني ٤٩٧١ .

١٨٠١– سنن الترمذي ٣٧١٣ .

١٨٠٢– كتاب الفضائل ٩٥٩ .

١٨٠٣– الالباني ٤ / ٣٣٢ .

١٨٠٤– مشكل الآثار للطحاوي ٢ / ٣٠٧ .

١٨٠٥– المطالب العالية لابن حجر العسقلاني ٤ / ٦٥ .

( ز ) – فقد اخرج عدة من الحفاظ منهم الترمذي بسند صحيح قال : حدثنا نصر بن عبد الرحمن الكوفي حدثنا زيد بن الحسن هو الأنماطي عن جعفر بن مُحَمَّد عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال : رأيت رسول الله ﷺ في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول : ( يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي ) .

قال وفي الباب عن أبي ذر وأبي سعيد وزيد بن أرقم وحذيفة بن أسيد قال وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه . قال وزيد بن الحسن قد روى عنه سعيد بن سليمان وغير واحد من أهل العلم[١٨٠٦] .

( ح ) – وكذلك رواه البزار[١٨٠٧] في مسنده كما في كشف الأستار قال حدثنا الحسن بن على بن جعفر قال أنبأنا علي بن ثابت قال أنبأنا سعاد بن سليمان عن أبى اسحق عن الحارث الأعور عن علي عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ : ( أنى مقبوض واني قد تركت فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي وأنكم لن تضلوا بعدهما ).

رجاله ثقات والحارث الأعور من خاصة وخيار أصحاب علي عليه السلام وقد وثقه ابن معين واحمد بن صالح ولا نلتفت لجرح من جرحه لأنه جرح من خصم لخصمه .

( ط ) - ورواه الإمام احمد[١٨٠٨] في مسنده من طريقين عن شريك عن الركين عن القاسم بن حسان عن زيد بن ثابت قال قال رسول الله ﷺ : (إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله وأهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض).

إسناده حسن وقال عنه الألباني[١٨٠٩] في الصحيحة (هذا إسناد حسن في الشواهد والمتابعات). وأما القاسم بن حسان نص على توثيقه احمد بن صالح المصري وابن حبان وابن شاهين في الثقات واخرج له احمد في مسنده وهو تعديل منه له كما هو معروف في محله .

وكما قال المحدث المعلمي في تنكيله فان احمد لا يروي إلا عن ثقة عنده ( فان وجد أن الذي روى عنه قد جرحه جرحا أقوى مما تقتضيه روايته عنه ترجح الجرح وإلا فظاهر روايته عنه توثيق ).

---

١٨٠٦- سنن الترمذي ج٥ ص٦٦٢ ح٣٧٨٦ قال الألباني صحيح .

١٨٠٧- كشف الاستار ٣ / ٢٢١ .

١٨٠٨- مسند الامام احمد ٥ / ١٨٩ من طريقين بنفس الصفحة.

١٨٠٩- الالباني ٤ / ٣٥٨ .

( ي ) – ورواه احمد[1810] في مسنده من طرق عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ( إني قد تركت فيكم ما أن أخذتم به لن تضلوا بعدي الثقلين احدهما اكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا وأنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض) .

وعطية العوفي صدوق لا ينزل حديثه عن مرتبة الحسن وقد وثقه ابن معين وقال عنه ابن عدى : له أحاديث صالحة ووثقه ابن سعد وذكر ابن سعد أن الحجاج جلد عطية رحمه الله ٤٠٠ جلدة لما أبى أن يلعن عليا عليه السلام. أما حكاية أن عطية كان يدلس فيروى عن الكلبي موهما انه أبو سعيد الخدري.. الخ .

هذه الحكاية الركيكة فان هذا الجرح لا يثبت لان احمد حكى هذه الحكاية بلاغا فقال – كما في تهذيب التهذيب – ( بلغني انه كان يأتي الكلبي فيسأله عن التفسير وكان يكنيه بأبي سعيد فيقول قال أبو سعيد ) .

فمن هذا الذي ابلغ احمد بهذه الحكاية ؟ وكيف يجرح الثقات بمثل هذا البلاغ عن مجهول لكن القوم لا يرقبون في رواة الشيعة إلا ولا ذمةً فوعد الله قريب يوم لا ينفع مال ولابنون وهو أقرب الينا من حبل الوريد .

( ك ) – وكذلك رواه الطبراني[1811] في الكبير والضياء في المختارة وأبو نعيم في الحلية وابن عساكر في تاريخه في ترجمة على عليه السلام من طريق زيد بن الحسن الانماطي عن معروف بن خربوذ عن أبى طفيل عن حذيفة بن اسيد – وساق خطبة الغدير بطولها وفيها :

( واني سائلكم حين تردون على الحوض عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله عز وجل وطرف بأيديكم فاستمسكوا به ولا تضلوا ولا تبدلوا وعترتي أهل بيتي فانه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ) .

---

١٨١٠- مسند الامام احمد ٣ \ ١٤ .

١٨١١- المعجم الكبير للطبراني ٥ / ١٨٦-١٨٧ .

وقد صحح هذا الحديث الحافظ الضياء وابن حجر الهيتمي في صواعقه وأخرجه الحافظ ابن كثير[١٨١٢] في البداية والنهاية وسكت عليه.

والحديث ثابت عن زيد بن الحسن وزيد روى عنه جماعة من المحدثين منهم اسحق بن راهوية وابن المديني وسعيد بن سليمان الواسطي وغيرهم ووثقه ابن حبان وليس زيد مجهولا فلا يرد عليه تساهل ابن حبان في توثيق المجهولين .

أما قول أبي حاتم عنه انه منكر الحديث فغير مقبول لأنه لم يبين ما هي حجته على ذلك الجرح أي ما هي المناكير في أحاديث زيد بن الحسن فقبول جرحه بدون معرفة حجته عليه .

وهو محض التقليد الأعمى ويحتمل انه أنكر عليه حديث الثقلين لمخالفة معناه لمذهب أهل السنة والجماعة أما معروف بن خربوذ فهو صدوق من رجال البخاري .

هذه بعض طرق الحديث ومجموعها يفيد القطع بصدوره وقد استوفى الحافظ السخاوي طرقه في كتابه (استجلاب ارتقاء الغرف ) وأخرجها عن عشرين صحابي كما جمع المحدث الألباني بعض طرقه في الصحيحة حديث (١٧٦١) .

وفيما ذكرناه كفاية للمنصف العاقل في معرفة ثبوت الحديث واستفاضته رغم ان هناك قبضتين أحداهما جبارة والأخرى خائفة وهما كاتمة للحديث معاً .

القبضة الأولى الجبارة كتم جبابرة بني أمية وبني العباس وأشياعهم ومناصريهم من النواصب .

القبضة الثانية الخائفة هي محبي آل مُحَمَّد عليهم السلام الذرية الطاهرة خوفا من بطش الظالمين .

وبالرغم من هذين الكتمين ولكن بلغنا من خصائص الامام علي عليه السلام والعترة المظلومة عليهم السلام ما ملا الخافقين فكلما ضغطت القبضتان على الكتم أتسعت رقعته وأرتفع شأنهم عليهم السلام ( ويأبى الله إلا أن يتم نوره).

١٨١٢- البداية والنهاية لابن كثير ٧ / ٣٨٢ .

## ب – المصححون للحديث

والمصححون لحديث الثقلين ( إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وأهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ) بهذا اللفظ هم :

١- الحاكم في المستدرك .

٢- الذهبي في تلخيص المستدرك .

٣- مقبل الوادعي في تعليقه على المستدرك .

٤- شعيب الأرنؤوط في تعليقه على عواصم ابن الوزر .

٥- الألباني في (صحيح سنن الترمذي ، السلسلة الصحيحة) .

٦- الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة .

٧- ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة .

٨- نور الدين الهيثمي في مجمع الزوائد .

٩- أحمد شاكر في مسند الإمام احمد .

١٠- الطحاوي في مشكل الآثار .

١١- السخاوي في استجلاب الغرف .

١٢- ابن حجر العسقلاني في المطالب العالية .

ولاحظ ان هناك الكثير من العلماء المصححين وتجد الكثير من الطرق فنكتفي بهذا القدر .

ولاحظ ان ابن قيم الجوزية عندما أراد أن يثبت مسألة عن الإمام ابي عبدالله الصادق عليه السلام ما استطاع أن يصل إلى هذا الرأي إلا عن طريق علماء الشيعة الإمامية أعلى الله مقامهم وزادهم رفعتاً وشأناً .

قال ابن قيم الجوزية في الصواعق المرسلة : الوجه التاسع : إن فقهاء الإمامية من أولهم إلى آخرهم ينقلون عن أهل البيت عليهم السلام أنه لا يقع الطلاق المحلوف به وهذا متواتر عندهم عن جعفر بن محمد عليه السلام وغيره من أهل البيت عليهم السلام .

وهب أن مكابرا كذبهم كلهم وقال قد تواطئوا على الكذب عن أهل البيت عليهم السلام ففي القوم فقهاء وأصحاب علم ونظر في اجتهاد وإن كانوا مخطئين مبتدعين في أمر الصحابة فلا يوجب ذلك الحكم عليهم كلهم بالكذب والجهل .

وقد روى أصحاب الصحيح عن جماعة من الشيعة وحملوا حديثهم واحتج به المسلمون ولم يزل الفقهاء ينقلون خلافهم ويبحثون معهم والقوم وإن أخطئوا في بعض المواضع .

لم يلزم من ذلك أن يكون جميع ما قالوه خطأ حتى يرد عليهم هذا لو انفردوا بذلك عن الأمة فكيف وقد وافقوا في قولهم من قد حكينا قولهم وغيره ممن لم تقف على قوله[١٨١٣] .

أما بالنسبة لحديث كتاب الله وسنتي حديث ضعيف بل من روى هذا الحديث من الكذابين والوضاعين .

## ج – الحديث ضعيف ومرسل

قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : ( تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما مسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه ) . هذا الحديث رواه الإمام مالك مرسلا دون أن يذكر سند الحديث[١٨١٤] . وهذا الخبر لا يمكن قبوله لإرساله .

وهناك طرق أخرجها الحاكم النيسابوري في المستدرك وأبو بكر الخطيب في الفقيه والمتفقه ونذكر بيان هذه الطرق منها.

الأول : من طريق إسماعيل بن اويس عن عكرمة عن ابن عباس.

قال الحاكم : حدثنا أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه ، أنبأنا العباس بن الفضل الأسفاطي ، حدثنا إسماعيل بن أبي أويس.

---

١٨١٣– الصواعق المرسلة ج٢ ص٦١٧ .

١٨١٤– موطأ مالك برواية الليثي ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ج٢ ص٨٩٩ .

وأخبرني إسماعيل بن مُحَّد بن الفضل الشعراني ، حدثنا جدي ، حدثنا ابن أبي أويس ، حدثني أبي ، عن ثور بن زيد الديلي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس :

( أن رسول الله ﷺ خطب الناس في حجة الوداع فقال : قد يئس الشيطان بأن يعبد بأرضكم ، ولكنه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم ، فاحذروا أيها الناس ، إني قد تركت فيكم ما أن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، كتاب الله ، وسنة نبيه ﷺ ...)[١٨١٥] .

ولاحظ هذا الطريق يعتبر من أجود الطرق لهذا الأثر؟ لأنه يشتمل هذا السند على : الراوي عكرمة البربري : من الخوارج التي دلت الروايات المتواترة على مروقهم من الدين .

قال يحي بن معين : إنما لم يذكر مالك بن أنس عكرمة ، لأن عكرمة كان ينتحل رأي الصفرية[١٨١٦] . وقال مصعب الزبيري : كان عكرمة يرى رأي الخوارج ، وزعم أن مولاه[١٨١٧] كان كذلك[١٨١٨] .

وبما انه من النواصب فقد طعن فيه عدة علماء مهم سعيد بن المسيب فيما أخرجه جماعة منهم الفسوي في تاريخه وأحمد بن حنبل وغيرهما ، يقول عبد الله بن أحمد بن حنبل :

حدثني أبي ، قال حدثنا إبراهيم بن سعد ، قال أكثر علمي أن إبراهيم ذكره عن أبيه قال : قال سعيد بن المسيب لمولى له يقال له برد : لا تكذب عليّ كما يكذب عكرمة على ابن عباس[١٨١٩] .

ومثلهِ قال عبد الله بن أحمد : قال أبي : وحدثناه يعقوب ، عن أبيه ، عن أبيه ، عن ابن المسيب مثله ، ولم يشك فيه[١٨٢٠] .

وأيضاَ قال : حدثني أبي ، قال حدثنا إسحاق الطبّاع ، قال : سألت مالك بن أنس ، قلت : أبلغك أن ابن عمر قال لنافع : لا تكذبن عليّ كما كذب عكرمة عن ابن عباس؟ قال : لا ، ولكن بلغني أن سعيد بن المسيب قال ذلك لبرد مولاه[١٨٢١] .

---

١٨١٥- المستدرك على الصحيحين ج١ ص٩٣ الطبعة الاولى ، والجزء الاول ص١٧١ ح٣١٨ من الطبعة الحديثة .

١٨١٦- يقصد الخوارج .

١٨١٧- يقصد عبد الله بن عباس .

١٨١٨- تهذيب التهذيب ج٧ ص٢٣٧ .

١٨١٩- كتاب العلل ومعرفة الرجال لأحمد بن حنبل ج٢ ص٧١ ، المعرفة والتاريخ للفسوي ج٢ ص٥ .

١٨٢٠- كتاب العلل ومعرفة الرجال ج٢ ص٧١ .

وقال فيه يحي بن سعيد الأنصاري : كان كذّابا[1822] . ونقل تكذيبه عن ابن سيرين وغيره[1823] .

الراوي إسماعيل بن أبي أويس : هو الآخر كذّاباً وضاعاً للحديث ، قال اللالكائي الطبري : بالغ النسائي في الكلام عليه إلى أن يؤدي إلى تركه ، ولعله بان له ما لم يبن لغيره ، لأن كلام هؤلاء كلهم يؤول إلى أنه ضعيف[1824] .

وقال الحافظ ابن عدي : سمعت ابن حمّاد يقول : سمعت النضر بن سلمة المروزي يقول : ابن أبي أويس كذّاب ، كان يحدث عن مالك بمسائل عبد الله بن وهب[1825] .

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني : وقرأت على عبد الله بن عمر ، عن أبي بكر بن مُحَمَّد ، أن عبد الرحمن بن مكي أخبرهم كتابة ، أخبرنا الحافظ أبو طاهر السلفي ، أنبأنا أبو غالب مُحَمَّد بن الحسن بن أحمد الباقلاني ، أنبأنا الحافظ أبو بكر أحمد بن مُحَمَّد البرقاني ، حدثنا أبو الحسن الدار قطني قال :

ذكر مُحَمَّد بن موسى الهاشمي ، وهو أحد الأئمة ، وكان النسائي يخصه بما لم يخص به ولده ، فذكر عن أبي عبد الرحمن ، قال حكى لي سلمة بن شبيب قال :

بم توقف أبو عبد الرحمن؟ قال : فما زلت بعد ذلك أداريه أن يحكي لي الحكاية حتى قال لي سلمة بن شبيب : سمعت إسماعيل بن أبي أويس يقول : ربما كنت أضع الحديث لأهل المدينة إذا اختلفوا في شيء فيما بينهم .

والعجب من الحافظ ابن حجر بعد أن نقل ذلك قال : [ وهذا هو الذي بان للنسائي منه حتى تجنب حديثه ، وأطلق القول فيه بأنه ليس بثقة ، ولعل هذا كان من إسماعيل في شبيبته ثم انصلح ، وأما الشيخان فلا يظن بهما أنهما أخرجا عنه إلا الصحيح من حديثه الذي شارك فيه الثقات...][1826] .

وكونه كان وضّاعا في شبيبته ثم تاب مجرد احتمال ، والرجل بعد كونه من الكذابين لا يمكن الاعتماد عليه . ولاحظ هذهِ حال أجود إسناد فهل يمكنك الاعتماد على هكذا أحاديث.

---

١٨٢١- العلل ومعرفة الرجال ج٢ ص٧٠ .

١٨٢٢- تهذيب التهذيب ج٧ ص٢٣٨ ، الضعفاء الكبير للعقيلي ج٣ ص٣٧٣ .

١٨٢٣- الكامل في ضعفاء الرجال ج٥ ص٢٦٦ .

١٨٢٤- تهذيب الكمال ج٣ ص١٢٨ ، تهذيب التهذيب ج١ ص٢٧٢ .

١٨٢٥- الكامل في ضعفاء الرجال ج١ ص٣٢٣ .

١٨٢٦- تهذيب التهذيب ج١ ص٢٧٢ .

الثاني : ما رواه صالح بن موسى الطلحي بسنده عن أبي هريرة فيما أخرجه الحاكم في المستدرك والخطيب في الفقيه والمتفقه وابن عدي في الكامل ، قال : قال رسول الله ﷺ : ( إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما، كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض)[١٨٢٧].

ومشكلة هذا الاسناد هو صالح بن موسى الطلحي الذي لا كلام في ضعفه وتهمته. فقد قال يحي بن معين : ليس بثقة ، وقال : ليس بشيء. وقال أبو حاتم : ضعيف الحديث ، منكر الحديث جدا ، كثير المناكير.

وقال الامام البخاري : منكر الحديث ، وقال العقيلي : لا يتابع على شيء من حديثه[١٨٢٨]. وقال ابن حجر : متروك[١٨٢٩].

الثالث : ما أخرجه أبو بكر الخطيب في الفقيه والمتفقه حيث قال : أنبأنا أبو طالب مُحَّد بن علي بن إبراهيم البيضاوي ، أنبأنا مُحَّد بن العباس الخزّاز ، أنبأنا أبو بكر بن المجلد ، حدثنا عبد الله بن عمر ، حدثني شعيب هو ابن إبراهيم التميمي ، حدثنا سيف يعني ابن عمر ، عن أبان بن إسحاق الأسدي ، عن الصباح بن مُحَّد ، عن أبي حازم ، عن أبي سعيد الخدري قال :

خرج رسول الله ﷺ علينا في مرضه الذي توفي فيه ونحن في صلاة الغداة ، فذهب أبو بكر ليتأخر ، فأشار إليه مكانك ، وصلى مع الناس ، فلما انصرف حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

يا أيها الناس ، إني قد تركت فيكم الثقلين كتاب الله وسنتي ، فاستنطقوا القرآن بسنتي ولا تعسفوه فإنه لن تعمى أبصاركم ولن تزل أقدامكم ، ولن تقصر أيديكم ما أخذتم بهما[١٨٣٠].

ومشكلة هذا الإسناد أولا اشتماله على سيف بن عمر التميمي الضبي البرجمي الذي لا كلام في كذبه وضعفه في الحديث. فقد قال الحافظ أبو نعيم الإصبهاني : متهم في دينه بالزندقة ، ساقط الحديث ، لاشيء[١٨٣١].

---

١٨٢٧- المستدرك على الصحيحين ج١ ص٩٣ ط١ ، والجزء الاول ص١٧٢ ح٣١٩ من الطبعة الحديثة ، كتاب الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ج١ ص٩٤ ، الكامل في ضعفاء الرجال ج٤ ص٦٩ .

١٨٢٨- تهذيب التهذيب ج٤ ص٣٥٤ ، ٣٥٥ .

١٨٢٩- تقريب التهذيب ص٢٧٤ .

١٨٣٠- كتاب الفقيه والمتفقه ج١ ص٩٤ .

١٨٣١- كتاب الضعفاء لأبي نعيم ص٩٥ .

وكذلك نقل ابن حبان بسنده عن ابن نمير قال : كان سيف يضع الحديث ، وكان قد أتهم بالزندقة[١٨٣٢].

وقال الحافظ ابن عدي : وبعض أحاديثه مشهورة ، وعامتها منكرة لم يتابع عليها ، وهو إلى الضعف أقرب منه إلى الصدق[١٨٣٣].

وقال النسائي والدار قطني : ضعيف ، وقال يحي بن معين ضعيف الحديث ، وقال الحاكم : اتهم بالزندقة ، وهو في الرواية ساقط[١٨٣٤]. وقال ابن حجر: ضعيف الحديث[١٨٣٥].

والمشكلة الثانية في الإسناد هي اشتمال السند على شعيب بن إبراهيم التميمي الكوفي ، قال ابن حجر : راوية سيف وفيه جهالة[١٨٣٦].

وقال ابن عدي : وهو ليس بذلك المعروف ، ومقدار ما يروي من الحديث والأخبار ليست بالكثيرة ، وفيه بعض النكرة ، لأن في أخباره وأحاديثه ما فيه تحامل على السلف[١٨٣٧].

والاغرب إنكم أخفيتم حديث الثقلين وعترتي المتواتر وتروون كتاب الله وسنتي الذي لا يوجد له سند صحيح واحد.

ونذكر هنا ما أورده الذهبي في تراجم أهل البيت العترة عليهم السلام حيث أنه فقال : فمولانا الإمام علي عليه السلام من الخلفاء الراشدين المشهود لهم بالجنة نُحِبّه ونتولاه ... وابناه الحسن والحسين عليهما السلام فسبطا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيدا شباب أهل الجنة ، لو استُخلفا لكانا أهلاً لذلك[١٨٣٨].

الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام : وكان له جلالة عجيبة ، وحقَّ له والله ذلك ، فقد كان أهلاً للإمامة العظمى ، لشرفه وسؤدده وعلمه وتألّهه ، وكمال عقله[١٨٣٩].

---

١٨٣٢- كتاب المجروحين لابن حبان ج١ ص٣٤٥ .

١٨٣٣- الكامل في ضعفاء الرجال ج٣ ص٤٣٦ .

١٨٣٤- تهذيب التهذيب ج٤ ص٢٥٩ - ٢٦٠ .

١٨٣٥- تقريب التهذيب ص٢٦٢ .

١٨٣٦- لسان الميزان ج٣ ص١٤٥ .

١٨٣٧- الكامل في ضعفاء الرجال ج٤ ص٤ .

١٨٣٨- نفس المصدر ، ج١٣ ، ص١٢٠ .

١٨٣٩- سير أعلام النبلاء ج٤ ص٣٩٨.

الإمام الباقر عليه السلام : وكان أحد مَن جمع بين العلم والعمل والسؤدد والشرف والثقة والرزانة ، وكان أهلاً للخلافة[1840].

الإمام جعفر الصادق عليه السلام : مناقب جعفر كثيرة ، وكان يصلح للخلافة، لسؤدده وفضله وعلمه وشرفه رضي الله عنه[1841].

الإمام موسى بن جعفر عليه السلام : كبير القدر ، جيّد العلم ، أولى بالخلافة من هارون[1842].

الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: وقد كان علي الرضاعليه السلام كبير الشأن، أهلاً للخلافة[1843].

ولاحظ اهل السنة من ان الشريعة عندهم كنتيجة من القياس فقد قال الذهبي : وقال أبو المعالي الجوينيّ :

الّذي ذهب إليه أهل التحقيق أنّ منكري القياس لا يعدون من علماء الأئمّة ولا من حملة الشريعة ، لأنّهم مباهتون فيما ثبت استفاضةً وتواتراً، لأنّ معظم الشريعة صادرة عن الاجتهاد ، ولا تفي النّصوص بعشر معشارها، وهؤلاء يلتحقون بالعوامّ[1844].

ولاحظ حال الصحابة كما جاء من أن ابن حزم قال : فمن المحال أن يأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإتباع كل قائل من الصحابة وفيهم من يحلل الشيء وغيره منهم يحرمه .

ولو كان ذلك لكان بيع الخمر حلالا اقتداء بسمرة بن جندب ، ولكان أكل البرد للصائم حلالا اقتداء بأبي طلحة وحراما اقتداء بغيره منهم. ولكان ترك الغسل من الإكسال واجبا اقتداء بعليعليه السلام وعثمان وطلحة وأبي أيوب وأبي بن كعب ، وحراما اقتداء بعائشة وابن عمر.

ولكان بيع الثمر قبل ظهور الطيب فيها حلالا اقتداء بعمر حراما اقتداء بغيره منهم ، وكل هذا مروي عندنا بالأسانيد الصحيحة تركناها خوف التطويل بها.

وقد بينا آنفا إخباره عليه السلام أبا بكر بأنه أخطأ.

---

١٨٤٠- نفس المصدر ، ص٤٠٢.

١٨٤١- نفس المصدر ، ج١٣ ص١٢٠ .

١٨٤٢- نفس المصدر .

١٨٤٣- نفس المصدر ، ج٩ ص٣٩٢ .

١٨٤٤- نفس المصدر ، ج ١٣ ص ١٠٥ .

وقد كان الصحابة يقولون بآرائهم في عصره ﷺ فيبلغه ذلك فيصوب المصيب ويخطئ المخطئ ، فذلك بعد موته ﷺ أفشى وأكثر ، فمن ذلك فتيا أبي السنابل لسبيعة الأسلمية بأن عليها في العدة آخر الأجلين فأنكرﷺ ذلك وأخبر أن فتياه باطل .

وقد أفتى بعض الصحابة وهوﷺ حي بأن على الزاني غير المحصن الرجم حتى افتداه والده بمائة شاة ووليدة فأبطل ﷺ ذلك الصلح وفسخه. وذكر ﷺ السبعين ألفا من أمته يدخلون الجنة وجوههم كالقمر ليلة البدر ، فقال بعض الصحابة هم قوم ولدوا على الإسلام فخطأ النبي ﷺ قائل ذلك.

وقالوا إذا نام النبي ﷺ عن صلاة الصبح ما كفارة ما صنعنا ؟ فأنكر النبي ﷺ قولهم ذلك ، وأراد طلحة بحضرة عمر بيع الذهب بالفضة نسيئة فأنكر ذلك عمر وأخبر أن النبي ﷺ حرم ذلك.

وباع بلال صاعين من تمر بصاع من تمر ، فأنكر النبي ﷺ ذلك ، وأمره بفسخ تلك البيعة وأخبره أن هذا عين الربا وباع بعض الصحابة بريرة ، واشترط الولاء ، فأنكر النبي ﷺ ذلك ، ولام عليه. وقال عمر لأهل هجرة الحبشة : نحن أحق برسول الله ﷺ منكم ، فكذبه النبي ﷺ في ذلك... انتهى.

فبأي حق تكفرون وتطاردون أتباع أهل البيت عليهم السلام وتركتموهم وأخذتم من غير أهل بيت النبيﷺ واتبعتم الأئمة الأربعة الذي لا يوجد دليل على إتباعهم يؤدي إلى النجاة وعدم الظلال .

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

## المقدمة التاسعة

## أثر « الأنا » في السياسة الاسلامية

استناداً إلى النصوص الدينية والفلسفية والفكرية حقيقة الروح والعقل والنفس ، ودور كل واحدة من هذه القوى التي يملكها الإنسان في القرارات التي يتخذها ، والسلوك الذي يسلكه ، سواء كان يشعر بذلك أو لا يشعر به.

وسوف يتبيّن لنا من خلال البحث أن البشر هم كما وصفهم الله ﷻ، ينقسمون إلى أربع فئات تبعاً للمصدر الذي يستمدون منه سلوكهم ، ويبنون عليه تصرفاتهم وشرائعهم وهم :

١ . الإنسان الخليفة : وهم الرسل والأنبياء والأولياء الذين يستمدون سلوكهم وشريعتهم من عالم الروح .

٢ . الإنسان العاقل : وهو الذي يستمد شريعته وسلوكه من عقله الذي يهديه ، للإيمان .

٣ . الإنسان الحيوان : وهو الذي يستمد شريعته وسلوكه من غرائزه ، وخاصة غريزة المعدة ، وغريزة الجنس.

ولكنه لا يقتل ولا يؤذي إلا عندما لا يجد وسيلة مشروعة لتلبية غرائزه. فهو مثلاً كالحيوان الذي لا يقتل إلا إذا جاع ولم يجد ما يأكله.

٤ . الإنسان الذي هو دون الحيوان : وهو الذي يستمد شريعته وسلوكه من غرائزه ، كما هو الإنسان الثالث ، ولكنه يبيح لنفسه كل شيء لإرضاء غرائزه ، ويفعل ما لا تفعله الحيوانات.

فهو لا يتورع عن القتل لزيادة ثروته وإن كان يملك الملايين ، ولا يوجد أي رادع لديه يمنعه من سلوك أي مسلك لتحقيق رغباته الجنسية. إنه الإنسان الذي وضع عورته ومعدته فوق رأسه فقلب صورته الإنسانية التي خلقه الله عليها.

فقد جعل الله ﷻ العالي في الأعلى بترتيب يكشف عن مكانة كل عضو في الإنسان ، ومكانة الإنسان بالقياس للعضو الذي يستمد منه قراراته بترتيب حكيم خبير . فجعل الله ﷻ الرأس في الأعلى ، وهو مصدر أحكام العقلاء والمعلمين .

ثم الأذن وهي للمتعلمين، ثم البصر للناظرين ، ثم الشم الموضوع فوق الفم مباشرة ليقوم بدور المخبر للتأكد من سلامة الطعام والشراب الذي نتناوله ، ثم حاسة الذوق للتأكد من طعم ما نذوقه وبرودته أو حرارته، ثمَّ الإحساس الذي يقوم الجلد بكامله من خلاله بإنذار العقل عن كل ما يصيب الجسد .

وإذا نزلنا إلى ما هو أدنى فسوف نجد المعدة التي تقوم باستقبال الأرزاق وتوزيعها على الجسم ، وبعد ذلك العورة التي جعلها الله في نهاية الجسم بسبب دورها المتواضع في حياة الإنسان .

ولكن ماذا فعل الإنسان الحيوان لتنطبق عليه هذه التسمية ؟ لقد قلب النظام الذي خلقه الله ﷻ عليه ، ووضع عورته في الأعلى بدلاً من رأسه حين جعل تلبية رغباته الجنسية هدف حياته ، أو إذا جعل الطعام غايته الرئيسية. والإنسان الحيوان غالباً ما يجمع بين الرغبتين ويجعل من عقله خادماً لمعدته وعورته .

وإذا أخذنا هذا المقياس للحكم على الأنظمة والدول والحضارات ، فسوف يتبيّن لنا ، أن دولاً ومجتمعات ثرية تسلك سلوك الإنسان الحيوان ، فهي تقتل وتدمّر وتوظف كل علوم العقل للنهب والسلب والاعتداء على البشر الضعفاء .

ليس لأنها محتاجة أو جائعة كما تفعل الوحوش في الغابة إذا جاعت ، ولكن لكي تزيد من ثرائها وتمارس شهواتها، وتؤازرها في ذلك شعوبها بالتصفيق لمن سيزيد لها كميات الطعام، ولمن سيفتح لها أبواب حريّة الانحراف والشذوذ على مصاريعها، لكي يمارس كل شخص هواجسه الجنسية دون حياء أو خوف.

إنها حضارات كما يقال ولكن ما هو الاسم اللائق بمثل هذه الحضارات إن كانوا أفراداً أو شعوباً أو دولاً. هل يليق بهم اسم الإنسان الذي هو دون الحيوان في السلوك لأنه أضلّ من الحيوان في الغايات والأهداف ؟.

لقد حدّد الله ﷻ صفات الإنسان الحيوان ، ومن هو دون ذلك بقوله تعالى : ( أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا )[١٨٤٥] .

فهذا هو الفرقان بين الإنسان وغير الإنسان ، وبين حضارة وحضارة. الخضوع لحكم الروح أو العقل ، أو ما تهواه النفوس والغرائز. وقال الرسول ﷺ ( من عرف نفسه عرف ربه ).

فلا شيء أعظم من معرفة دور النفس ولمن يجب أن تخضع لكي تهتدي بنور العقل أولاً ثمَّ بنور الروح ثانياً، لكي تقوم بخلافة الله في الأرض ، ولا شيء أخطر من النفس لجر الإنسان إلى مواقع الإنسان الحيوان ، أو من هم أضلّ سبيلاً .

إنها محاولة لكي يعرف كل إنسان نفسه ، ويحدد موقعه في الحياة تبعاً لاختياره ، وهي محاولة أيضاً لكي يعرف غيره ولا ينخدع بما يراه من بهارج الحضارات القديمة والمعاصرة ، فهذا هو الإنسان في الماضي والحاضر والمستقبل :

إما روح ؟، وإما عقل ؟، وإما نفس ؟، وإما غريزة ؟ .

وباختصار إما إنسان أو حيوان ودون ذلك ، إذ ليست العبرة في الصورة ولكن بمضمون الصورة ، وإنه الاختيار الذي يصنع به البشر أفراداً أو شعوباً ودولاً ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم دائماً .

فاعرف من أنت ، واعرف نفسك ، واعرف غيرك ، لكي تختار بين الذين يعقلون ، والذي يأكلون ، ولكي تسير إذا شئت بخطى ثابتة من عالم الجسد والنفس إلى عالم العقل الذي تستطيع أن تشهد به ظاهر العالم المادي ، أما إذا كنت تطمح لشهود باطن العالم ، فلن تشهده إلا بشوق النفس للخروج من الجسد، وعشق العقل للمعرفة .

---

١٨٤٥- الفرقان ٤٣ - ٤٤ .

وعندها سيصبح للروح أجنحة تخرج بها من ضيق الجسد إلى سعة العالم ، وتطير بها من ظاهر المادة إلى نور الوجود ، ومن الكون والتكوين إلى المكوّن ، لأن الحب الذي تبحث عنه الروح لا يُشهد إلا بعين الحبيب كما علمنا الرسول الخاتمﷺ، بالتقرّب إليه بالنوافل ، وكما قال الشيخ محيي الدين بن عربي :

إذا تجلّى حَبيبي * بأيِّ عَينٍ تراهُ

بِعَيْنِهِ لا بِعَيني * فَما يَراهُ سِوَهُ

هذا هو كنز الإنسان الكامل ومملكته ، وهي "ليست من هذا العالم" كما قال السيد المسيحعليه السلام إنها في نهاية الطريق لمن يؤثر الخالد على الفاني .

كل إنسان يريد أن يعرف الحقيقة عن نفسه ، من هو ؟ ، ولماذا جاء إلى هذا العالم ؟، وما هو دوره فيه ؟، وما هي مكانته ؟، وما هو مصيره بعد الموت ؟ .

إن هذه الأسئلة التي طرحها الإنسان دائماً ، ودخلت كل الثقافات في حوار للبحث عن أجوبة لها ، ما زالت على قدمها تتجدد وتفرض نفسها ، وتدخل مسارات حياتنا ، وتوجّه سياساتنا ، وتحدّد سلوكنا ، مع أننا لم نصل إلى نتيجة حاسمة في مراحل التاريخ المختلفة .

ولم ترتق معرفتنا بما قدمه العلم بعد تحطيم الذرة ، ودخول عصر الفضاء عمّا كانت عليه في هذه المسائل ، إذ ظلّت الأجوبة على حالها ، وما زال الانقسام قائماً بين مدارس المثاليين الذين يؤمنون بإله يحكم العالم ويعتني به ، ويخلق لغاية ، وبين الماديين الذين أنكروا الألوهية والغائية الكونية ، وقبلوا بمبدأ الصدفة كسبب لوجود الحوادث الكونية ومنها ظهور الإنسان ، مع تأكيدهم على قدم الطبيعة .

وليس المهم الآن حجم ونوع الأدلة التي قدمها كل فريق في هذا المجال ، إنَّما المهم هو مصدر إيمان كل فريق وحججه ، فإذا كانت المصادر المعرفية لكل فريق واحدة ، وهي العقل كما نعرف ، فلماذا اختلفت الأجوبة وأنكر كل فريق ما آمن به الآخر؟ .

أليس من الواجب إذا كنا نستخدم نفس الأدوات في قياس أمر ما أو الحكم عليه ، أن يكون حكمنا متشابهاً إن لم يكُ واحداً ؟. ولكن أن يكون متناقضاً فهذه هي المشكلة .

فمن أين جاء هذا التناقض؟ هل العلة في العقل؟ ، هل الصانع الذي صنع عقولنا أعطى للفيلسوف المؤمن ما لم يعطه للفيلسوف غير المؤمن؟ إذا كان الصانع قد خلقنا لغاية كما يقول المؤمن ، فمن المفترض أن يدلّنا جميعاً على هذه الغاية ، وأن يساعدنا على إدراكها ومعرفتها بعقولنا ، وأن يكون قد وضع في عقولنا ما وضعه في عقل الآخر لكي نعرفه معرفة متساوية.

ولكن الواقع يدل بأن أحكامنا العقلية ليست واحدة ، فما هو السبب؟ هل هذا راجع لتنوع عقولنا ، أم لمصادر معلوماتنا ؟ ، لاشك أن مصادر المعلومات ذات تأثير كبير، ولكن حينما يقع الخلاف بين علماء وفلاسفة ، يعرف كل واحد فيهم حجج الفريق الآخر ومعلوماته ، ويمحصها ، ويجتهد في فهمها ، ويسعى بكل ما أوتي من العلم لمعرفة الحقيقة ، فلماذا استمر الخلاف الإنساني إذا كان الله قد خلقنا ، ومن المفترض أنه أعطانا عقولاً واحدة لكي نفهم ما يريد ، ما دام قد طالبنا بالإيمان ؟ .

وإذا كانت الطبيعة والصدفة قد صنعتنا ، فلابدَّ أن يكون صنعها أكثر تشابهاً ، لأن الإنتاج الآلي وقوانين الصدفة الثابتة لن تسمح بأي تنوع حتّى في عقولنا ، ولأنها لو تغيرت العلل لظهر نوع جديد ؟.

فكيف استمر الخلاف : إذا كانت عقولنا واحدة كما نتوقع بفعل الغائية الكونية أو القوانين الطبيعية ؟.

إن علينا أن نعرف سر هذا الاختلاف وأسبابه ، قبل أن نعرف مظاهر هذا الاختلاف ونتائجه وأدلة كل فريق ، فإنه من تحصيل الحاصل أن يجد الناس أدلة على كل ما يعتقدون ، والمشكلة أن الذين يؤمنون بإله وغايات لديهم أدلتهم التي يستندون إليها ، وهي نفس أدلة الذين لا يؤمنون .

إذ الجميع يعترفون بوجود قوانين تحكم مسار الطبيعة والمخلوقات ، ولعل عصرنا حافل بمثل هذه الأدلة ، ولكن المعسكر المثالي يقول إن الله‎ﷻ هو من وضع هذه القوانين ، بينما يقول المعسكر المادي إن الصدف هي التي صنعتها .

إذاً نحن أمام مشكلة (مَن الصانع) ومن أين جاء كل فريق بأحكامه المتناقضة ، مع أنه لا الفريق المؤمن شاهد الله ، ولا الفريق المادي شاهد الصدف التي فعلت في الطبيعة ، لأن الإنسان ظهر بعد أن نضجت الأسباب التي أدّت لوجوده ، فكيف سيعرف أسباب وجوده التي لم يشهدها؟.

إننا أمام مشكلة من أصعب المشاكل التي يواجهها الإنسان ، عندما يصبح نفس الدليل سبباً لظهور موقفين متناقضين .

فما هو السبب يا ترى ؟.

هل المشكلة في المعرفة أم في العقل، أم في الأمرين معاً ؟.

**أولاً : المسجد والثقافة الاسلامية**

« الأنا » في موقع المسجد بالثقافة الاسلامية : لا يخفى ان للجامع او المسجد مكان رفيع في الثقافة الاسلامية ، وكان ويبقى محل لتثقيف المسلمين بأحكام الدين .

وكذلك التدريب على التمارين العسكرية وبحث سائر شؤون الامة. وقد وردت في الشريعة احكام خاصة بخصوص آداب المسجد توجب على المسلم مراعاتها وتطبيقها في حين تعامله معه .

ونرى ان كلمة مسجد مشتقة من الفعل (سجد) ويعني في العربية الانحناء والهبوط نحو الارض بما يتضمن خفض الرأس الى الاسفل .

ويتضمن هذا الفعل ايضاً التسليم والتذلل الى شيء ما والخضوع له، وأشارت الآية الكريمة بقوله تعالى : « يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمال سجدا للهوهم داخرون». وللسجود معنى ثان هو التحية من حيث قالت الآية الكريمة في قضية النبي يوسف عليه السلام قوله تعالى : « ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا ».

ونجد ان هناك معنى شرعي للسجود ونعني به انه ركن من اركان الصلاة يتحقق من خلال وضع الجبهة وطرف الانف والكفين والركبتين وابهامي القدمين على الارض ، وبه يكون السجود نوع من العبادة. وكذا المسجد هو المكان الذي يجري فيه السجود بالمعنى الشرعي او بالمعنى اللغوي وهو التذلل والخضوع .

ووردت كلمة ( المسجد ) في القران وهو يتحدث لنا عن قصص اقوام عاشوا قبل الاسلام وهو الامر الذين يشير لموقع العبادة لدى هؤلاء الاقوام بغض النظر عن شكل وكيفية هذه العبادة بقوله تعالى : « قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا ».

ومنطلقين من كون المسجد محل لعقد الاجتماعات ، فأصبحت كلمة (جامع) هي صفة خاصة للمسجد ، من هذا كان المسلمون الاوائل لا يستخدمون كلمة المسجد لوحدها او كلمة الجامع لوحدها بل كانوا يستخدمونهما معاً حيث يقولون (المسجد الجامع) .

ولكن مع مرور الوقت أكتفى المسلمون باستخدام كلمة (الجامع) وأطلقوها على المسجد الذي تقام فيه صلاة الجماعة وان كان صغيراً كتعبير عن كونه محل لاجتماع المسلمين .

واول مسجد بني في الاسلام هو مسجد (قبا) وايضا يسمى مسجد (التقوى) كما ذكر ذلك في القرآن ( لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه).

وحينما كان المسلمون يأخذون مدينة من المدن كانوا اول عمل يقومون به بناء مسجد فيها لكي يكون محل للعبادة والذكر ومركز لاجتماع المسلمين لمختلف الاغراض .

وهناك اهداف واسعة يمكن ان تتحقق من بناء المساجد ، والهدف الرئيسي هو عبادة الله سبحانه وتعالى : « فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآَصَالِ »[١٨٤٦] .

ورسول الله ﷺ اول من وضع اساس التعليم في المسجد فطبقا للروايات التاريخية كان اصحاب النبي ﷺ يجلسون حوله على شكل حلقات وهو يعلمهم احكام الدين ويبلغهم ما ينزل من الوحي عليه .

ودخل النبي ﷺ يوما المسجد فوجد فيه شخصين احدهما يقرأ القران والاخر مشغول بالتعليم فقال ﷺ كلاهما يعملان خيرا وعملا صالحا فالذي يقرأ القران ويناجي ربه يعطى ما يريد ولو شاء لأصبحت معه ، واما الذي يعلم القرآن فإنني بعثت لذلك .

وكذلك كان المسجد محفل ادبي تلقى فيه القصائد الاسلامية الهادفة ، فقد القى الشاعر حسان بن ثابت وغيره قصائدهم .

وكذلك الشاعر كعب بن زهير قصيدة البردة (بانت سعاد) الذي اعلن فيها توبته امام النبي ﷺ وطلب منه ان يسامحه ويعفو عنه على ما بدر منه ، فصفح عنه وخلع عليه بردته المباركة فأصبحت القصيدة معروفة بقصيدة (البردة).

١٨٤٦- النور ٣٦ .

**ثانياً : علاقة الاخلاق بالسياسة**

« الانا » في جدل الدين والسياسة : لم نجد تاريخ محدد لعلاقة الاخلاق بالسياسة في الممارسة البشرية ، ولكن من اليسير تحديد المسار الفلسفي لبروز هذه الجدلية على صعيد الفكر والنظر مع تباين الرؤى بين مؤسس للسياسة في الدين والاخلاق .

وبالعكس بـ(الاضافة) على الضد من خلال نفي احد طرفي الجدل أما الاخلاق وأما السياسة كما هو متعارف ان الفلسفة اليونانية باتجاهها العام قررت من خلال ابرز فلاسفة اليونان افلاطون وارسطو، اخضاع السياسة للأخلاق ، بل تأسيس الاولى على الثانية .

فلا سياسة من دون اخلاق وقيم انسانية ، وهناك اتجاه اخر وهو الادنى درجة في الفلسفة اليونانية تبنى تجريد الاخلاق من السياسة أي نفي هذه الاخيرة من الحياة الاجتماعية .

ومثل هذا الاتجاه الابيقوريون الذين دعوا الحكيم للابتعاد عن الحياة العامة ، مع اعتزال الناس ، وتركيز الاهتمام على نماء الجوانب المعنوية والأخلاقية في الانسان دون الانجرار خلف الفعل اليومي السياسي البعيد عن صفاء الروح والحكمة .

ولم يعرف الاتجاه النفعي البراغماتي المنافي للأخلاق والدين في السياسة ، فقط في الفلسفة الغربية التي نفت السياسة عن الاخلاق مطلقاً ، كما تجلى في فلسفة ميكافيللي ، المستندة على قاعدة « الغاية تبرر الوسيلة».

وقد قامت — الفلسفة الغربية — بفرض عدة تأويلات جردت الاخلاق من المحتوى الحقيقي ، او قدمت مفاهيم السياسة بنحو قارب بينها وبين فهم خاص للأخلاق .

فالفيلسوف الانجليزي « توماس هوبز » جعل الاخلاق مستمدة من السياسة ، اي من خلال القوانين التي تشرف على تنفيذها السلطة السياسية التي هي وحدها تستطيع اضفاء طابع الالزام على فكرتي الخير والشر اللتين يحددهما الحاكم غير المقيد بشيء .

فالحاكم (حسب رأي هوبز) هو يضع القانون ويعدله بحسب رغبته ، فيما دعا الفيلسوف الالماني الوجودي « كارل ياسبرز » الى تحويل السياسة الى اخلاق ، وقد اسماها بـ(السياسة العلوية) ولكن من أي اخلاق هذه التي دعا لها ياسبرز .

هل هي الاخلاق الموضوعية ؟. كلا : انها الاخلاق التي تمليها عليهم حرية الفرد وقدرته على تكوين احكام اخلاقية ذاتية. ومن جهة اخرى فان ياسبرز الذي رأى : « ان السياسة لا حل لها الا في الاخلاق والاخلاق هي التضحية »[1847].

فقام بتفسير التضحية من باب التفسير النفعي المخل ومتجانس مع الاتجاه النفعي البراغماتي الغالب على الفكر والحضارة الغربية ، فقصوده بالتضحية هي : « ترك الشعوب المغلوبة لحقوقها وكفها عن المطالبة بها، أي انه يطالب بتضحية المعتدى عليه لا تضحية المعتدي، وتحقق الشعوب المناضلة التضحية بتركها الكفاح وتخليها عن ثوراتها التحريرية ، وبتصور التضحية على أنها تضحية الشعوب المستقلة في سبيل القوى الاستعمارية ، ويدعوها الى الاستكانة والرضا ، لان السياسة هي التضحية»[1848].

ومهما كان من امور الفلسفة الغربية أو سابقتها اليونانية فالذي يهمنا هو ان نستقصي في تاريخنا الاسلامي ، وفي تراثنا الفكري ، ومعطيات الحاضر الاسلامي (وليس التكفيري) .

الذي يحتاج كثيراً الى توجيه حزم من الضوء عليه ، بغية اكتشاف الخلل الواقع فيه وتفاديه من خلال تشخيص مرجعياته ومقارنتها بالمرجعية الاسلامية المطروحة من فكر الأئمة الاثني عشر عليهم السلام .

**ثالثاً : اثر الدين بالسياسة**

« الأنا » في اثر العامل الديني بعامل السياسة : وحينما تتبع حياة الامام الرضا عليه السلام وعامله مع آلية ولايته عليه السلام وكيفية تعامله مع الواقع الديني السياسي المشحون تلاحظ الكثير من العوامل التي يطول ذكرها هنا وننصح بمراجعتهِ .

واما ابن خلدون في مقدمته يحدث عن اثر العامل الديني في استتباب الملك وديمومة الدولة وفق آلية تبتدئ (رأي ابن خلدون) من التغلب وتنتهي بالدين مروراً بالعصبية .

والتي جذورها اتفاق الاهواء على المطالب ، وبدوره عامل اولي سابق على ما سواه من العوامل المصنعة للملك والواقية له من الاضمحلال والنهاية .

---

١٨٤٧- الدكتور حسن حنفي، قضايا معاصرة في الفكر العربي المعاصر، القاهرة: طبعة دار الفكر العربي ص٤٠١، مصر.

١٨٤٨- نفس المصدر السابق .

فعامل العصبية هو قاسم مشترك في تكوين السياسة او قل حسب التعبير الحديث التنظيم السياسي بكل أشكاله ومظاهره سواء عند اهل الدين أو عند غيرهم .

ولكن العامل الديني وبالإضافة الى كونه مانح السياسة القوة في حفظ الوجود والدفاع عنه مع ابطال ( أو اضعاف ) قانون الغلبة القائم على العصبية عند غير اهل الدين . فتجد دور العامل الديني بحفظ الملك وتأليف القلوب مع نفي التحاسد والتباغض حتى قيل من ان الملك انما يحصل بالتغلب .

والتغلب انما يكون بالعصبية واتفاق الاهواء على المطالب ، وجمع القلوب وتأليفها انما يكون بمعونة الله تعالى في اقامة دينه بقوله تعالى : «لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ »[١٨٤٩] . وسببه ان القلوب اذا تداعت الى اهواء الباطل والميل الى الدنيا حصل التنافس، ونشر الخلاف.

واما اذا انصرفت الى الحق ورفضت الدنيا والباطل واتكلت على الله اتحدت وجهتها فذهب التنافس وقل الخلاف وحسن التعاون والتعاضد واتسع نطاق الكلمة لذلك عضمت الدولة[١٨٥٠] .

واما عن دور العامل الديني بإعطاء الوجود السياسي الاسلامي صفة خاصة من جهة المغايرة للآخرين من مهمات اخلاقية يفترض تواجدها لدى السياسي الاسلامي الى درجة الامتياز بها عمن سواه .

فان الصبغة الدينية تذهب التنافس والتحاسد الذي في اهل العصبية وتفرد الوجهة الى الحق، فاذا حصل لهم الاستبصار في امرهم لم يقف لهم شيء.

وذلك لان الوجهة واحدة والمطلوب متساو عندهم وهم مستميتون عليه ، واهل الدولة التي هم طالبوها وان كانوا أضعافهم فأغراضهم متباينة بالباطل وتخاذلهم لتقية الموت حاصل .

فلا يقاومونهم وان كانوا اكثر منهم بل يغلبون عليهم ويعالجهم الفناء بما فيهم من الترف والذل كما قدمنا[١٨٥١]، لنكون امام حقائق جديرة بالاهتمام والتأمل فمنها :

---

١٨٤٩- الانفال ٦٣ .

١٨٥٠- ابن خلدون ، المقدمة ، انتشارات استقلال ، ص ١٥٧.

١٨٥١- المصدر السابق ، ص ١٥٨ .

منها : بأن الذات السياسية الاسلامية سوف تحتكم في القضايا الداخلية لقانون الاخلاق الديني بما يكفل الابتعاد عن امراض التنافس والتحاسد التي تقضي اذا ما استحكمت على وجوده ثم تعمل على ضعفه وزواله.

منها : بأن العامل الديني الأخلاقي يجعل الوجهة للحق شيء متفرد للذات السياسية الاسلامية دون الخشية من التجزئة في اتخاذ السبل المفرقة والتي تنفي حالة التفرد والوحدة بالقصد .

منها : بان العامل الديني جاعل السياسي الاسلامي مستميت في سبيل حقه الذي يطلبه وبه يبتعد عن ساحة المساومات والمزايدات والحيلة والمداهنة .

منها : بان الجامعة السياسية الاسلامية سوف تتغلب على ما سواها بما قد وفر لها من اخلاق دينية ، وطلب للحق والإستماته في سبيله ، ومهما يكن فهذا الاخر الاكثر عدد وعدة وعصبية .

وفي حالة ضعف العامل الديني والاخلاقي لدى السياسي الاسلامي وبأي صورة من الصور كان بتنصله او بنفاقه معه ، أو لغلبة المصالح الخاصة عليه وذلك سيكون مدعاة لضعف الذات او «الانا» الاسلامية فتتجرد من عنصر القوة الوحيد ، وتكون فريسة للوجودات الاخرى المنافسة المجتمعة على هدف مشترك فيما بينها .

والتي بدورها فاقت أهل الدين في قوة «العصبية» (بمعنى اتفاق الاهواء على المطالب) فهو ما قالوا : « واعتبر ذلك اذا مالت صبغة الدين وفسدت كيف ينتقص الامر ويصير الغلب على نسبة العصبية وحدها دون زيادة الدين، فيغلب الدولة من كان تحتها من العصائب المكافئة لها أو الزائدة القوة عليها، الذين غلبتهم بمضاعفة الدين لقوتها ولو كانوا اكثر عصبية منها واشد بداوة »[١٨٥٢].

فالسبب واضح هو تجرد السياسة من الدين ومن الاخلاق أي تحويلها الى سياسة اشبه ما تكون بالعلمانية، ولكن ليست العلمانية المجردة التي تعمل وفق آلياتها الخاصة وبمجالها الخاص .

بل هي علمانية تراجعية تعبر عن انتكاس لعامل الدين والاخلاق ونكوص تراجعي الى اللا أخلاق واللا دين ولو باسمهما؟!.

١٨٥٢- المصدر السابق.

**رابعاً : العلمانية بالسياسة الاسلامية**

« الأنا » الاتجاه العلماني بالسياسة « الاسلامية » : إذا اردنا نؤرخ للاتجاه العلماني في السياسة «الاسلامية» على وفق تجارب التاريخ الاسلامي بعد عصر النبي ﷺ فسنجد البدايات منذ صعود اول حاكم أموي الى رأس السلطة .

فالاتجاه العلماني في السياسة « الاسلامية » معناه انفصالها عن الشرع ومقتضيات الاخلاق الاسلامية ، وهذا ما حدث في اوروبا ، وفي زمن سلاطين الجور، خصوصاً بني امية وبني العباس حيث كانوا يحكمون بمحض « سياسة » .

بينما كان الأئمة من اهل البيت عليهم السلام يحكمون بالسياسة الشرعية الملتزمة بقواعد الدين والاخلاق والانسانية. ومنذ ذلك الحين اسس في الجو الاسلامي نمطين من الفعل السياسي والطرفين مؤطر بغطاء الاسلام وخطاباته وشعاراته .

لكن احدهما يتخذ منحى علماني وضعي في الاسلوب والعمل والممارسة ، والطرف الاخر ملتزم بالمنهج الديني الشرعي الاخلاقي ، وهذا ما دعا المفكرين الى تسمية من يخضع الاخلاق للسياسة بـ« الفكر الموضوعي »[١٨٥٣] .

واختاروا أمثلة من التاريخ هو ما وقع في حادثة صفين بين الامام علي عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان الذي أستشعر بان السيف لا يحقق نصره ، فلجأ الى الحيلة ، فأمر قومه بحمل المصاحف على رؤوس رماحهم وينادون (هذا حكم بيننا) .

اجل ان الكتاب حكم بيّن ، لقد كان هذا الصف موضوعياً «بطريقته» لأن القران يمثل فعلاً في نظر المسلم ، المرجع الذي يرجع اليه في كل نزاع، خصوصاً في نزاع سياسي .

لكنهم نسوا الامر الرئيسي في الموضوع ، وهو ان السياسة حيث تكون مناقضة في جوهرها للمبدأ الأخلاقي فإنها لا تطرح قضية تحل بالقضاء ولكن بالسيف .

ولم يكن الامام علي عليه السلام « الفكر الموضوعي » الذي يخدع أو الذي ينخدع فقال كلمته المتواترة : «انها كلمة حق يراد بها باطل»[١٨٥٤]. وبعبارة اخرى ، فاذا اردنا استعمال مصطلح اخر نقول انه في مثل هذه القضايا يجب تحكيم منطق بسكال لا منطق ديكارت، وبأقصى التلخيص.

---

١٨٥٣- مالك بن نبي، بين الرشاد والتيه، دار الفكر بدمشق، ص ٦٩.

نقول : اذا كان « العلم دون ضمير ما هو سوى خراب الروح فالسياسة من دون اخلاق ما هي سوى خراب الامة»[١٨٥٥]. فمن أبرز العوامل لظهور الاتجاه العلماني في السياسة «الاسلامية» شيئين وهما:

الاول : غلبة المصلحة الشخصية على المصلحة العامة او تغليب (المصالح العاجلة) على حسب تعبيرهم : « الايديولوجية التي لاتتضمن –كأفكار موجهة قوية – إلا مصالح عاجلة ، فإنها وان كانت محترمة ، سوف لا تفتح الطريق لغير سياسة قصيرة محدودة المدى.. وسياسة كهذه لا تستطيع.. ان تكون في مستوى عهد المشاريع العظيمة والمحن الكبرى»[١٨٥٦].

وهذا هو تفسير بأن بعض الحركات السياسية تبدأ بتضحيات ولديها نوع من المصداقية في تبني العقيدة ثم ما تلبث ان تبقى مكتفية بالأقتيات والتطفل على امجاد التاريخ ؟.

الثاني : فرض واتباع مناهج لا اسلامية ، أو قل محاولة الاقتداء والتشبه بـ« الآخر » المنافس الحضاري المعاصر للامة لأسباب منها تتعلق بقاعدة تقليد المغلوب للغالب ومحاولة التشبه .

والسبب في ذلك ان النفس تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت اليه اما لنظرة بالكمال لما وفر عندها من تعظيمه ، او لما تغالط به من ان انقيادها ليس لغلب طبيعي انما هو لكمال الغالب[١٨٥٧].

ففي تأريخ تجارب الحكم الاسلامي سيطر الانحراف الى الامراء السلاطين بسبب تقليدهم لعادات واخلاق القصور والبلاط والمستشارين ، حتى ان أغلب امراء المسلمين اتخذ نصارى ويهود ومجوس كمستشارين لهم ، وغلمان وغواني تشبها بما كان يفعله الملوك الى اليوم .

اذاً : علينا ان نتبع مناهجهم واساليبهم وحتى افكارهم لكي نحقق نجاحات مماثلة في واقعنا الاجتماعي والسياسي ، ولكن سيكون من نتيجة ذلك ان تغيب مناهج وآليات واخلاق العمل السياسي الاسلامي الذي كان في يوم ما يسمى بـ« السياسة الشرعية أو تقنين الشريعة ».

---

١٨٥٤– المصدر السابق، ص٦٨.

١٨٥٥– مالك بن نبي ، بين الرشاد والتيه ، ص ٦٩.

١٨٥٦– بين الرشاد والتيه دار الفكر بدمشق ص ٧٣.

١٨٥٧– ابن خلدون، ص ١٤٧.

وهي اشارة الى عدم انفصال السياسة عن الشريعة ، فحلت تبعاً لذلك قاعدة ألا وهي : « الغاية تبرر الوسيلة » ، وهي بدلاً من قاعدة : «لا يطاع الله من حيث يعصى » ، وتلاحظ جائت ولاية الانتماء السياسي الفئوي بدل ولاية الايمان .

والتحالفات السياسية بدل اخوة الدين ، والتجزئة بدل الوحدة ، والشعار التعبوي بدل العمل الصالح والصادق ، والدعاية المنظمة بدل الحقيقة ، ورفض الرأي الاخر والنصيحة ، وقداسة الرأي الواحد ، والنتيجة كل فصيل يسعى الى ارضاء قاعدته الموالية او التي هي في فلك الولاء مطلقاً مع «الذات».

نعم ان المشكلة هي في المقولات الخاطئة التي درج بعض سياسيينا العمل في ضوئها ، وهم يملكون حق تأويلها كيفما يشاؤون ، تماماً كما يمتلك بعضنا البعض تأويل الاسلام ، والعمل السياسي الاسلامي .

وهذا حق لمن اعتقد بانه هو الاسلام ؟! ألم يعتقد لويس الرابع عشر بان الدولة هي... هو ؟ وألم يعتقد صدام ان العراق هو صدام ؟ فقالوا الدولة: «هي أنا» ؟ .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على مُحَمَّد واله الطاهرين خادمكم ساجد شريف عطية من جوار أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام في النجف الاشرف.

*****

## فهرست الكتاب

**المقدمة السادسة : محاولة نفي التحريف**

أولاً : ولو حميتم كما حموا

ثانياً : أدلة القران

١ – اهتمام النبوة بالقران

٢ . يكتبون من لسان الوحي

٣ – عرض القران على النبوة

٤ . ختم القران الكريم

٥ . التدوين في صحف وقراطيس

٦ . أسماء جامعي القرآن الكريم

٧ . لفظ كلمة الكتاب

أ :– كلمة كتاب في الآيات

ب :– هل الكتاب غير القرآن

ج :– نسبة اللحن في القران

٨ – وجود عدة مصاحف

ثالثاً : احاديث شرعية السياسة

١ – أبو هريرة

٢– معاوية بن أبي سفيان

٣ – يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ

**المقدمة السابعة : احاديث تناولتها الصحاح**

أولاً : روايات تناولتها الصحاح

ثانياً : اتهام المصنفات بالشبهات

١ – علماء الامامية لا يقولون بالتحريف

٢ – ذكره سليم بن قيس

٣ – تكفير القائل بالتحريف

٤ – رواة أوردوا التحريف

ثالثاً : كتب مختصة بالشبهة

١ – فاسعوا الى ذكر الله

أ :– لا أصل للقسمين

ب :– لا دليل على الآثار

ج :– فرض صحّة القول

د:– نسخ التلاوة قول بالتحريف

٢ – مخطوطة أكلتها السخلة

رابعاً : مصحف فاطمة عليها السلام

١ – ما هو مُصْحَفُها

٢ – الأئمة والمصحف

**المقدمة الثامنة : مفارقات تاريخية**

أولاً : الخلافة والإمامة

١- الخلافة

أ :- خلافة أبي بكر

ب :- خلافة عمر

ج :- خلافة عثمان

د :- خلافة علي عليه السلام

هـ :- خلافة الحسن بن علي عليه السلام

و :- معاوية بن أبي سفيان

ز :- يزيد بن معاوية

ح :- عبد الله بن الزبير

ط :- الخلافة المروانية

ي :- نظرية الخوارج

٢- الإمامة

أ :- الخلافة والإمامة بالتشريع

ب :- ماهية الخلافة والإمامة

ج :- هوية الخلفاء والأئمة

د :- مؤهلات الخلفاء والأئمة

*****

## المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

صحيح البخاري للإمام أبي مُحَمَّد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) طبعة مكتبة الايمان فى المنصورة سنة ١٤١٩هـ.ق ١٩٩٨م تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.

صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ) بشرح الإمام النووي (ت ٦٧٦هـ) طبعة دار الخير ، بيروت ، الثالثة سنة ١٤١٦هـ.ق ١٩٩٦م.

الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير الإمام أبي الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقى الشافعى (ت٧٧٤ هـ) تأليف الشيخ أحمد مُحَمَّد شاكر طبعة دار التراث ، القاهرة ، الثالثة ، سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

سنن أبي داود للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ، الأولى ، سنة ١٤١٦هـ ١٩٩٦م تحقيق مُحَمَّد عبد العزيز الخالدي .

ابن سعد، مُحَمَّد بن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق: مُحَمَّد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م.

البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، بيروت، دار الفكر، ط ١، ١٤١٧ هـ.ق ١٩٩٦ م.

الطبري، مُحَمَّد بن جرير، تاريخ الطبري، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار احياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٨٧ هـ.

التاريخ الكبير للإمام أبى عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦ هـ) طبعة دار الفكر، بيروت ، سنة ١٤٠٧هـ.ق ١٩٨٦م.

الجرح والتعديل لأبى مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن إدريس بن المنذر التميمى الحنظلى الرازى المعروف بابن أبى حاتم (ت٣٢٧ هـ) طبعة دار الفكر بيروت، سنة ١٣٧١هـ.ق ١٩٥٢م عن نسخه مطبعه مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند ، الأولى ، سنة ١٣٧١هـ.ق ١٩٥٢م.

سنن ابن ماجه للحافظ أبي عبد الله مُحَمَّد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ) طبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ، تحقيق مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي .

سنن النسائى (المجتبى) للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائى (ت ٣٠٣هـ) طبعة دار الفكر ، بيروت ، الأولى، سنة ١٤١٥هـ ١٩٩٥م ، وطبعت السنن بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى وحاشية الإمام السندى .

سُؤالات أبي عبيد الآجُرِّي أبا داود السِّجستاني لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني طبعة الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة ، الأولى سنة ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩م ، تحقيق مُحَمَّد علي قاسم العمري.

تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١ هـ) طبعة دار الفكر بيروت ، سنة ١٤١٤هـ.ق ١٩٩٣م . تحقيق عرفان عبد القادر حسون العشا.

ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، تحقيق: مُحَمَّد ابو الفضل ابراهيم، بيروت، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٨هـ.

ابن أعثم الكوفي، أحمد، كتاب الفتوح، تحقيق: علي شيري، بيروت، دار الأضواء، ط ١، ١٤١١ هـ.ق ١٩٩١م.

ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيري، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ.

ابن منظور، مُحَمَّد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨ هـ.

المسعودي ، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت، دار الفكر، ١٤٢١هـ. .

الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي لعلي بن عبد الكافي السبكي ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، الأولى سنة ١٤٠٤هـ.ق جماعة من العلماء.

الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي طبعة دار الفكر ، بيروت سنة ١٤١٦هـ،ق ١٩٩٦م. ت: سعيد المندوب .

الاجتهاد من كتاب التلخيص لإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني طبعة دار القلم، ودارة العلوم الثقافية – دمشق ، بيروت ، الأولى ، سنة ١٤٠٨هـ ، ت: د. عبد الحميد أبو زنيد.

إجمال الإصابة في أقوال الصحابة لأبي سعيد خليل بن كيكلدي العلائي طبعة جمعية إحياء التراث الإسلامي ، الكويت ، ط: الأولى سنة ١٤٠٧هـ ، ت : د. مُحَمَّد سليمان الأشقر.

الإحكام لأبي الحسن على بن مُحَمَّد الآمدي (٦٣١هـ) طبعة دار الكتاب العربي ، بيروت ، الأولى سنة ١٤٠٤هـ . ت : د. سيد الجميلي .

الإحكام في أصول الأحكام لأبي مُحَمَّد على بن أحمد بن حزم الظاهري (٤٥٦هـ) طبعة دار الحديث ، القاهرة ، الأولى سنة ١٤٠٤هـ.

إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول لأبي عبد الله مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الله بن الحسن بن مُحَمَّد بن صلاح بن عبد الله اليمني الشوكاني (١٢٥٠ هـ) طبعة دار ابن حزم ، بيروت ، الأولى سنة ١٤٢٥هـ.ق ٢٠٠٤م.

الاقتراح في بيان الاصطلاح وما أضيف إلى ذلك من الأحاديث المعدودة من الصحاح لابن دقيق العبد (ت٧٠٢ هـ) طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة ١٤٠٦هـ،ق ١٩٨٦م.

ألفية السيوطي في علم الحديث بتصحيح وشرح فضيلة الأستاذ أحمد مُحَمَّد شاكر القاضي الشرعي طبعة مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، الثانية سنة ١٤٠٩هـ.ق ١٩٨٨م.

الأم لأبي عبد الله مُحَمَّد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ) طبعة دار المعرفة ، بيروت ، سنة ١٣٩٣هـ.

البرهان في أصول الفقه لأبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني طبعة الوفاء ، المنصورة ، الرابعة سنة ١٤١٨هـ . ت : د. عبد العظيم محمود الديب.

البحر المحيط في أصول الفقه لبدر الدين مُحَّد بن بهادر بن عبد الله الزركشي المصري الشافعي (ت ٧٩٤ هـ) طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، الأولى سنة ١٤٢١هـ.ق ٢٠٠٠م ت : د. مُحَّد مُحَّد تامر.

تاريخ مدينة دمشق للإمام العالم الحافظ أبي على بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت٥٧١ هـ) طبعة دار الفكر بيروت ، الأولى ، سنة ١٤١٧هـ ١٩٩٧م ت: محب الدين أبي سعيد عمر ابن غرامه العمروى.

تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للإمام جمال الدين أبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزى (ت٧٤٢ هـ) طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، الأولى سنة ١٤٢٠هـ.ق ١٩٩٩م تحقيق عبد الصمد شرف الدين.

تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل لأبي زُرْعة ولي الدين أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت٨٢٦هـ) طبعة مكتبة الرشد ، الرياض ، سنة ١٩٩٩م. تحقيق عبد الله نوارة .

التفسير والمفسرون للدكتور مُحَّد حسين الذهبي طبعة مكتبة وهبة ، القاهرة ، الرابعة سنة ١٤٠٩هـ.ق ١٩٨٩م .

تقريب التهذيب للإمام أبى الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى (ت٨٥٢ هـ) طبعة دار الكتب العلمية بيروت الأولى سنه ١٤١٣هـ.ق ١٩٩٣م ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا .

التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير للإمام محي الدين أبي زكريا يحيي ابن شرف النووي (ت٦٧٦ هـ) طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، الأولى سنة ١٤٠٧هـ.ق ١٩٨٧م تحقيق صلاح مُحَّد عويضة.

التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح للحافظ زين الدين العراقي (ت٨٠٦هـ ) طبعة دار الفكر ، بيروت ، سنة ١٤٠١هـ.ق ١٩٨١م تحقيق عبد الرحمن مُحَّد عثمان .

التلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ ) طبعة المدينة المنورة سنة ١٣٨٤ هـ.ق ١٩٦٤م . تحقيق السيد عبد الله هاشم اليماني المدني.

التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد للإمام الحافظ يوسف بن عبد الله مُحَّد بن عبد البر القرطبي (ت٤٦٣ هـ) طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ، سنة ١٤١٩هـ.ق ١٩٩٩م . تحقيق مُحَّد عبد القادر عطا .

تهذيب التهذيب للإمام أبي الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط: الثانية ، سنة ١٤١٣هـ.ق ١٩٩٣م .

تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ المتقن جمال الدين أبى الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزى (ت٧٤٢ هـ) طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت ، الأولى سنة ١٤١٨هـ.ق ١٩٩٨م ، تحقيق د. بشار عواد معروف .

توجيه النظر إلى أصول الأثر لطاهر بن صالح بن أحمد بن موهوب الجزائري الدمشقي (١٣٣٨هـ .ق ١٩٢٠م) طبعة مكتبة المطبوعات الإسلامية ، حلب ، الأولى سنة ١٤١٦هـ.ق ١٩٩٥م . تحقيق عبد الفتاح أبو غدة .

توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار للعلامة مُحَّد بن إسماعيل الأمير الحسني الصنعاني (ت١١٨٢هـ) طبعة دار الفكر، بيروت ، تحقيق مُحَّد محيي الدين عبد الحميد .

الثقات للإمام أبى حاتم مُحَّد بن حبان بن أحمد التميمى البستى (ت٣٥٤ هـ) طبعة دار الكتب العلمية ،بيروت، الأولى ، سنة ١٤١٩هـ.ق ١٩٩٨م تحقيق إبراهيم شمس الدين ، وتركى فرحان المصطفى .

الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله مُحَّد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ) طبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، سنة ١٤٠٥هـ.ق ١٩٨٥م.

الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب أحمد بن على بن ثابت البغدادي أبي بكر (ت٤٦٣ هـ) طبعة مكتبة المعارف ، الرياض سنة ١٤٠٣هـ.ق ١٩٨٣م تحقيق د. محمود الطحان .

حاشية لَقْط الدرر بشرح متن نخبة الفكر لابن حجر العسقلاني للشيخ عبد الله حسين خاطر السمين العدوى المالكي الشاذلي الأزهري طبعة الحلبي ، القاهرة ، الطبعة الأولى .

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت ٤٣٠هـ) طبعة دار الفكر، بيروت ، سنة ١٤١٦هـ.ق ١٩٩٦م .

الرسالة للإمام مُحَّد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ) طبعة القاهرة سنة ١٣٥٨ هـ.ق ١٩٣٩م .

الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة للإمام العلامة المحدث أبي عبد الله مُحَّد بن جعفر الكتاني (ت ١٣٤٥هـ) طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، الأولى سنة ١٤١٦هـ.ق ١٩٩٥م تحقيق صلاح مُحَّد عويضة .

سنن الترمذى للإمام أبي عيسى مُحَّد بن عيسى بن سَوْرة الترمذى (ت ٢٧٩هـ) طبعة دار الفكر ، بيروت ، سنة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م .

سنن الدارمى للإمام الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى السمرقندى (ت ٢٥٥هـ) طبعة دار الكتاب العربي ، بيروت ، الأولى ، سنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م تحقيق فواز أحمد زمرلى، وخالد السبع العلمى.

السنن الكبرى للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى (ت ٤٥٨هـ) طبعة دار الفكر بيروت .

الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح لإبراهيم بن موسى بن أيوب البرهان الأبناسي ( ٧٢٥هـ . ٨٠٢هـ) طبعة مكتبة الرشد الرياض سنة ١٤١٨هـ ١٩٩٨م . تحقيق صلاح فتحي هلل .

شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر لنور الدين أبي الحسن على بن سلطان مُحَّد القاري الهروي المعروف "بملا على القاري" (ت١٠١٤هـ ) طبعة دار الأرقم ، بيروت . تحقيق مُحَّد نزار تميم ، وهيثم نزار تميم.

صحيح ابن حبان المسمى (التقاسيم والأنواع) للإمام الحافظ أبي حاتم مُحَّد ابن حبان بن أحمد التميمى البستى (ت ٣٥٤هـ) وهو بترتيب علاء الدين على بن بلبان الفارس (ت ٧٣٩هـ) طبعة مؤسسة الرسالة بيروت، الثالثة ، سنة ١٤١٨هـ ١٩٩٧م تحقيق د. شعيب الارنؤوطى.

الضعفاء الكبير لأبي جعفر مُحَّد بن عمرو العُقَيْلى (ت ٣٢٢هـ) طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، الثانية سنة ١٤١٨هـ ١٩٩٨م تحقيق: د.عبد المعطى قلعجى .

ابن زيد، أحمد بن عيسى، رأب الصدع، تحقيق: علي بن إسماعيل الصنعاني، بيروت، ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م.

ابن سنجر، هندو شاه، تجارب السلف، تحقيق: عباس اقبال آشتياني، طبعة طهران، ١٣٥٧ شمسي.

الضعفاء والمتروكين لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ ) طبعة دار الوعي ، حلب ، الأولى ، سنة ١٣٦٩هـ . تحقيق: محمود إبراهيم زايد.

الطبقات الكبرى لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (٢٣٠هـ) طبعة دار صادر ، بيروت .

ظفر الأماني بشرح مختصر السيد الشريف الجرجاني في مصطلح الحديث للإمام محمد بن عبد الحي اللكنوي طبعة دار البشائر الإسلامية بيروت ، الثالثة سنة ١٤١٦هـ ، الناشر مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.

الغاية للإمام السخاوي شرح منظومة الهداية في علم الرواية للإمام شمس الدين الجزري طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، الأولى سنة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

فتح البارى بشرح صحيح البخارى للإمام أبي الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢هـ) طبعة دار الرياض للتراث ، القاهرة ، الثالثة سنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م تحقيق: محب الدين الخطيب .

فتح الباقي بشرح ألفية العراقي للإمام أبي زكريا محمد الانصاري السنيكي الأزهري (ت ٩٢٦هـ) طبعة دار ابن حزم بيروت، الأولى ، سنة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م تحقيق: حافظ ثناء الله الزاهدي.

ابن شبة النميري، زيد بن عبيدة، تاريخ المدينة المنورة، طبعة جدة، ١٣٩٩ هـ.

ابن عبد ربه، أحمد بن محمد، العقد الفريد، تحقيق: علي شيري، طبعة بيروت، ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للحافظ عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت ٨٠٦هـ) طبعة دار الفكر بيروت ، الأولى ، سنة ١٤١٦هـ.ق ١٩٩٥م تحقيق: محمود ربيع .

فتح المغيث شرح ألفية الحديث للإمام شمس الدين مُحَّد بن عبد الرحمن بن مُحَّد السخاوى (ت ٩٠٢هـ) طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ، الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م تحقيق: صلاح مُحَّد مُحَّد عويضه.

قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث للشيخ مُحَّد جمال الدين القاسمى (ت ١٣٣٢هـ) طبعة دار النفائس ، بيروت ، الثالثة سنة ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م تحقيق: مُحَّد بهجة البيطار .

قواعد في علوم الحديث للإمام ظفر أحمد العثماني التهانوي (ت١٣٩٤هـ) طبعة دار السلام ، القاهرة ، السادسة سنة ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م . تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة .

كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام على بن مُحَّد البَزْدَوِي الحنفي (ت٤٨٢هـ) لعلاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري (٧٣٠هـ) طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م. تحقيق: عبد الله محمود مُحَّد عمر.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة، تحقيق: طه مُحَّد الزيني، طبعة القاهرة، ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م.

ابن ماجة، مُحَّد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، تحقيق: مُحَّد فؤاد عبد الباقي، بيروت، طبعة دار إحياء الكتب العربية .

ابن مزاحم، نصر، وقعة صفين، تحقيق: عبد السلام مُحَّد هارون، طبعة القاهرة، الط بعة٢، ١٣٨٢ هـ.

الكفاية في علم الرواية للإمام أبي بكر أحمد بن على بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ، سنة ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م .

كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للعلامة علاء الدين المتقي بن حسام الدين الهندي (ت ٩٧٥هـ) طبعة مؤسسه الرسالة سنة ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م تحقيق: الشيخ بكرى حيانى، والشيخ صفوت السقا.

لسان العرب للإمام العلامة ابن منظور (ت٧١١ هـ) طبعة دار إحياء التراث العربي ، ومؤسسة التاريخ العربي ، الثانية سنة ١٤١٨هـ ١٩٩٧م تحقيق: أمين مُحَّد عبد الوهاب، ومُحَّد الصادق العبدى .

المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين للإمام أبى حاتم مُحَّد بن أحمد بن حبان البستي (ت٣٥٤ هـ) طبعة دار الوعي حلب الثانية سنة ١٤٠٢هـ تحقيق: محمود إبراهيم زايد .

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين على بن أبي بكر الهيثمى (ت٨٠٧ هـ) طبعة دار الفكر، بيروت ، سنة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م تحقيق: عبد الله مُحَّد الدرويش .

محاسن الاصطلاح للسراج البلقيني ( ت ٨٠٥هـ.ق ) طبعة دار المعارف ، القاهرة .

المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للقاضي الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزى (ت٣٦٠ هـ) طبعة دار الفكر ، بيروت ، الثالثة سنة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م تحقيق: مُحَّد حجاج الخطيب .

الجاحظ، عمرو بن بحر، رسائل الجاحظ: الرسائل الكلامية، طبعة بيروت، ٢٠٠٤ م.

اليعقوبي، أحمد بن إسحاق، تاريخ اليعقوبي، بيروت، طبعة دار صادر.

تحفه: در اخلاق و سياست، از متون فارسي قرن هشتم، طبعة: مُحَّدتقي دانش پژوه، طهران، ١٣٤١ شمسي.

المحصول في علم الأصول لأبي عبد الله فخر الدين الرازي مُحَّد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الطبرستاني الرازي فخر الدين المعروف بابن الخطيب الشافعي الفقيه (ت ٦٠٦ هـ) طبعة جامعة الإمام مُحَّد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، الأولى ،سنة ١٤٠٠هـ ، تحقيق: طه جابر فياض العلواني .

المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل لعبد القادر بن بدران الدمشقي ، طبعة مؤسسة الرسالة – بيروت ، الثانية سنة ١٤٠١هـ ، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي.

المستدرك على الصحيحين للحاكم أبي عبد الله مُحَّد بن عبد الله النيسابورى (ت ٤٠٥هـ) طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ، الأولى سنة ١٤١١هـ ١٩٩٠م تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

المستصفى في علم الأصول لأبي حامد مُحَّد بن مُحَّد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ ) طبعة دار الكتب العلمية ، تحقيق: مُحَّد عبد السلام عبد الشافي.

المسند لأبي عبد الله أحمد بن مُحَّد بن حنبل (ت٢٤١ هـ) ط دار الفكر بيروت .

مسند أبي يعلى الموصلى للإمام أبي يعلى أحمد بن على بن المثنى الموصلى (ت ٣٠٧هـ) طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ، الأولى سنة ١٤١٨هـ ١٩٩٨م تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

ابن أنس، مالك، الموطأ، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، طبعة القاهرة، ٢٠٠٦ م.

ابن حماد، نعيم، الفتن، تحقيق: سهيل بن زكار، طبعة مكة ، ١٩٩١م.

ابن حنبل، أحمد بن مُحَّد، مسند أحمد بن حنبل، بيروت، طبعة دار صادر.

ابن خياط، خليفة، تاريخ خليفة بن خياط، طبعة بيروت ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م.

مسند البزار المسمى البحر الزخار للإمام الحافظ أبى بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكى البزار (ت٢٩٢هـ) طبعة مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ، الأولى سنة ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م . تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله .

المسودة في أصول الفقه لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، طبعة مكتبة المدني ، القاهرة تحقيق: مُحَّد محيي الدين عبد الحميد .

المصنف للإمام عبد الرازق بن الهمام الصنعانى (ت٢١١ هـ) طبعة المجلس العلمي ، جوهانسبرج ، جنوب أفريقيا ، الثانية سنة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م توزيع المكتب الاسلامي بيروت تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.

المصنف في الأحاديث والآثار للحافظ عبد الله بن مُحَّد بن أبي شيبة الكوفي العبسي (ت٢٣٥ هـ) طبعة دار الفكر، بيروت ، سنة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م تحقيق: سعيد بن مُحَّد اللحام .

معالم السنن للإمام أبى سليمان حمد بن مُحَّد الخطابى البستى (ت٣٨٨ هـ) طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ، سنة ١٤١٦هـ ١٩٩٦م تحقيق: أ.عبد السلام عبد الشافي مُحَّد.

جعفريان، رسول، تاريخ تحول دولت و خلافت، طبعة قم، ١٣٧٧ شمشي.

قادري، حاتم، انديشه هاي سياسي در اسلام وايران، طبعة طهران، ١٣٧٨ شمسي .

المعجم الأوسط للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى (ت٣٦٠ هـ) طبعة دار الحديث ، القاهرة ، الأولى سنة ١٤١٧هـ ١٩٩٦م تحقيق: أيمن شعبان ، وسيد أحمد إسماعيل .

المعجم الصغير للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى (ت٣٦٠ هـ) طبعة دار الفكر ، بيروت، الأولى ، سنة ١٤١٨هـ ١٩٩٧م تحقيق: عبد الرحمن عثمان .

المعجم الكبير للطبراني (ت٣٦٠ هـ) طبعة دار البيان العربي ، القاهرة ، الثانية سنة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي.

المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى لـ أى . ونسنك ، ترجمة أ. مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي طبعة مطبعه بربل في مدينة ليدن سنة ١٩٦٢م .

معجم المؤلفين لعمر رضا كحاله . طبعة مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الأولى ، سنة ، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.؟

المعجم الوجيز لمجمع اللغة العربية طبعة وزارة التربية والتعليم سنة ١٤١٦هـ ١٩٩٥م .

معرفة علوم الحديث لأبي عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله الحاكم النيسابورى (ت٤٠٥ هـ) طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ، الثانية سنة ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م . تحقيق: د. السيد معظم حسين.

قادري، حاتم، تحول مباني مشروعيت خلافت، طبعة بنياد، ١٣٧٥ شمسي.

المغنى في ضبط أسماء الرجال ومعرفة كنى الرواة وألقابهم وأنسابهم للعلامة المحدث الشيخ مُحَمَّد طاهر بن على الهندي (ت٩٨٦ هـ) طبعة دار الكتاب العربي بيروت سنة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .

مقدمة ابن الصلاح للإمام أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزورى المعروف بابن الصلاح (ت٦٤٣ هـ) طبعة دار المعارف القاهرية ، سنة ١٩٨٩م تحقيق: د.عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ).

المنتخب من مسند عبد بن حميد لأبي مُحَمَّد عبد بن حميد بن نصر الكسبي طبعة مكتبة السنة ، القاهرة ، الأولى سنة ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م ، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، محمود مُحَمَّد خليل الصعيدي.

منهج النقد في علوم الحديث للدكتور نور الدين عتر . طبعة دار الفكر ، دمشق ، الثالثة ، سنة ١٤١٨ هـ ١٩٩٧م .

ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، طبعة القاهرة ، ١٣٥٥ هـ.

أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين بن مُحَّد، مقاتل الطالبيين، طبعة النجف، ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥ م.

المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي للشيخ الإمام بدر الدين مُحَّد بن إبراهيم بن جماعة (ت٧٣٣ هـ) طبعة دار الفكر، بيروت ، الثانية سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م . تحقيق: محي الدين عبد الرحمن رمضان .

الموطأ للإمام مالك بن أنس (ت١٧٩ هـ) طبعة دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبى تحقيق: مُحَّد فؤاد عبد الباقي .

الموقظة في علم مصطلح الحديث للإمام شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ) طبعة دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، الثالثة سنة ١٤١٨هـ . تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة.

ميزان الاعتدال نقد الرجال للإمام شمس الدين مُحَّد بن أحمد بن عثمان الذهبى (ت ٧٤٨هـ) طبعة دار الفكر بيروت، الأولى سنة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م تحقيق: صدقى جميل العطار.

نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) . طبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

نزهة النظر شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر لابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢هـ) طبعة مكتبة التوعية الإسلامية ، القاهرة سنة ١٩٧٥م.

النُّكَت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ ) طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت.

أبو جعفر الإسكافي، مُحَّد بن عبد الله، المعيار والموازنة في فضائل الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تحقيق: مُحَّد باقر المحمودي، بيروت، ١٤٠٢هـ١٩٨١ م.

الأشعري، علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين، تحقيق: مُحَّد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، د.ن، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.

البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن مُحَّد، الفرق بين الفرق، القاهرة، طبعة مطبعة المدني .

البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، طبعة ليدن، ١٨٦٦ م.

البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، طبعة الرياض، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤ م.

الثقفي، إبراهيم بن مُحَمَّد، الغارات، طبعة طهران، ١٣٥٥ شمسي.

النكت على مقدمة ابن الصلاح لبدر الدين أبي عبد الله مُحَمَّد بن جمال الدين عبد الله بن بهادر الزَّرْكَشِي (ت٧٩٤هـ) طبعة دار أضواء السلف ، الرياض ، الأولى سنة١٤١٩هـ ١٩٩٨م تحقيق: د. زين العابدين بن مُحَمَّد بلا فريج .

النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام محي الدين أبي السعادات المبارك بن مُحَمَّد الأثير الجزرى (ت٦٠٦ هـ) طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى سنة ١٤١٨هـ ١٩٩٧م تحقيق: صلاح مُحَمَّد عويضه .

اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر لعبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ ) طبعة مكتبة الرشد ، الرياض سنة ١٩٩٩م تحقيق: المرتضي الزين أحمد .

أدلّة أهل السنة والجماعة – يوسف السيد هاشم الرفاعي ، طبعة الكويت – الطبعة الأولى ١٩٨٤م .

إسلام بلا مذاهب – مصطفى الشكعة ، طبعة الدار المصرية اللبنانية — ١٩٨٧م.

الجاحظ، عمرو بن بحر، رسائل الجاحظ، طبعة بيروت، ٢٠٠٤ م.

الخطيب الإسكافي، مُحَمَّد بن عبد الله، لطف التدبير، طبعة بغداد، ١٩٦٤ م.

الزبيري، مُحَمَّد بن مُحَمَّد، تاج العروس من جواهر القاموس، بيروت، دار الفكر، ١٤١٤ هـ.

الشهرستاني، مُحَمَّد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق: مُحَمَّد سيد كيلاني، القاهرة، ١٣٨٧هـ ١٩٦٧ م.

الطرطوشي، مُحَمَّد بن وليد، سراج الملوك، بيروت، ١٩٩٥ م.

أصل الشيعة وأصولها – محمّد الحسين آل كاشف الغطاء – تحقيق : علاء آل جعفر ، طبعة مؤسسة الإمام علي – الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .

أصول التشيّع عرض ودراسة – هاشم معروف الحسني ، طبعة دار القلم ، بيروت – ١٩٨٧م .

الاعتصام بالكتاب والسنة – جعفر السبحاني ، طبعة مؤسسة الإمام جعفر الصادق – قم – الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ .

أوائل المقالات – الشيخ المفيد ت ٤١٣هـ – تحقيق : إبراهيم الأنصاري ، طبعة دار المفيد ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ .

بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار – الشيخ محمّد باقر المجلسي ت ١١١١هـ ، طبعة دار الكتب الإسلامية ، إيران .

تدوين السنّة الشريفة – السيّد محمّد رضا الحسيني الجلالي ، طبعة مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي ، قم – الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.

ثم اهتديت – محمّد التيجاني السماوي ، طبعة مؤسسة الفجر ، بيروت – ١٩٨٧م .

الغزالي، مُحَّد بن مُحَّد، نصيحة الملوك، تحقيق: جلال الدين همايي، طبعة طهران، ١٣٦٧ شمسي.

الفرزدق، همام بن غالب، ديوان، قدم له وشرحه مجيد طراد، طبعة بيروت، ١٤١٩هـ ١٩٩٩ م.

جامع الترمذي – الترمذي – مطبعة دار السلام ، الرياض – الطبعة الأولى محرم ١٩٩٩م .

١٧. جواهر العقدين – السمهودي – دار الكتب العلمية ، بيروت .

الحقيقة الضائعة ( رحلتي إلى مذهب أهل البيت ) ، طبعة مؤسسة المعارف الإسلامية ، قم – الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.

دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (الخوارج والشيعة ) ، طبعة مركز مالك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

الدر المنثور في التفسير المأثور – جلال الدين السيوطي ، طبعة دار الفكر ، بيروت ١٩٨٣م .

سلسلة الأحاديث الصحيحة – محمّد ناصر الدين الألباني ، طبعة مكتب المعارف ، الرياض ١٣١٥ هـ.

السنة النبوية بين أهل الحديث وأهل الرأي – محمّد الغزالي ، طبعة دار الشروق – ١٩٨٩م .

السيرة النبوية – ابن هشام ، طبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت – ١٩٩٥م .

صحيح البخاري – أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاري و طبعة دار الفكر ، بيروت – ١٤٠١ هـ .

القلقشندي، أحمد بن علي، مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تصحيح: عبد الستار أحمد فراج، طبعة الكويت، ١٩٦٤ م.

صحيح مسلم – مسلم بن الحجاج النيسابوري ، طبعة دار السلام ، الرياض ١٩٩٨م .

الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة – ابن حجر الهيتمي ت ٩٧٣هـ ، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت .

الماوردي، علي بن مُحَّد، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تصحيح: أحمد مبارك البغدادي، طبعة الكويت، ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م.

عفواً صحيح البخاري – الدكتور عبد الأمير الغول ، طبعة دار المحجة البيضاء – الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ .

عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام ، ناصر ابن علي عائض ، طبعة مكتبة الرشيد ، الرياض – ١٩٩٣م .

الماوردي، علي بن مُحَّد، نصيحةالملوك، تحقيق: مُحَّدجاسم الحديثي، طبعة بغداد، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

الكامل في التاريخ ، ابن الأثير و طبعة دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، عام ١٩٨٥م.

كنز العمال في سنن الأفعال والأقوال ، المتقي الهندي ت٩٧٥هـ ، تحقيق : الشيخ بكري حياني ، الشيخ صفوة السقا ، طبعة مؤسسة الرسالة ، بيروت – ١٤٠٩هـ،ق .

مباحث في علوم القرآن ، منّاع القطّان طبعة مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٠م .

القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الاعشي في صناعة الإنشاء، طبعة القاهرة، ١٩٢٠م.

مجمع البيان في تفسير القرآن ، الفضل بن الحسن الطبرسي ، طبعة دار الفكر ، بيروت – ١٩٨٧م.

مفاهيم يجب أن تصحّح – محمّد بن علوي المالكي الحسني – وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف ، دولة الإمارات العربية المتّحدة – ١٩٩١م .

ملحقات إحقاق الحق – السيد شهاب الدين المرعشي النجفي — طبعة منشورات مكتبة المرعشي النجفي ، قم ، ايران .

تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى للإمام الحافظ أبي العلاء مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (ت١٣٥٣هـ) طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت .

منع تدوين الحديث – علي الشهرستاني — طبعة مركز الأبحاث العقائدية ، قم – الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ .

منهاج السنة النبوية ، أبو عباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم – تحقيق : الدكتور محمّد سالم رشاد . الطبعة الأولى ١٩٨٦م .

المهدي الدروز تاريخ ووثائق – عبد المنعم النمر ، طبعة دار الحرّية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٨٨م .

نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام – علي سامي النشار — طبعة دار المعارف ، بيروت .

المدبولي، نجاح محسن، الفكر السياسي عند المعتزلة، طبعة القاهرة، ١٩٩٦ م.

ابن جماعة، مُحَمَّد بن ابراهيم، المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، بيروت، طبعة دار الفكر، ط ٢ .

ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين، لسان العرب، بيروت، طبعة دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م.

الدمشقي، الحسين بن مُحَّد، الخلاصة في معرفة الحديث، القاهرة، طبعة المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩ م.

الشهيد الثاني، زين الدين بن علي العاملي، البداية في علم الدراية، قم، طبعة انتشارات محلاتي، ط ١، ١٤٢١ هـ.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، قم، طبعة ونشر أسوة ، ط ٣، ١٤٣٢ هـ.

أصول السَّرَخْسِي لأبي بكر مُحَّد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي (ت٤٩٠هـ) طبعة دار المعرفة ، بيروت .

الفضلي، عبد الهادي، أصول الحديث، بيروت، طبعة مؤسسة أم القرى، ط ٣، ١٤٢٠هـ.ق.

المامقاني، عبد الله ، مقباس الهداية في علم الدراية، قم، طبعة نكارش، الطبعة الاولى ، ١٤٢٨هـ،ق.

*****

## الاهداء

منذ أن هبط آدم أبو البشر ﷺ أرض الفتن والإبتلاء ، ومن قيام الساعة تجري سنّة الصراع بين الأبرار الذين ابتغوا رضوان الله ، والضّالين الذين اتبعوا خطوات الشيطان ، ولم تخل الأرض في أية وقت عن أولي بقية من سلالة النبيين واتباعهم ينهون عن الفساد في الأرض ، ويقيمون حجة الله تعالى على العباد.

وقد قال هو سبحانه تعالى: ( فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ )[١٨٥٨].

وكان يقود أولئك البقية الصالحة نبي مرسل ، أو وصي نبي ، أو عالم رباني ، يتوارثون الدعوة له تعالى، والقيام بامره سبحانه. فورث الإمام مُحَّد الباقر ﷺ هذه القيادة الرشيدة من والده الامام السجاد ﷺ الذي انتهى إليه ميراث رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء والمهيمن على رسالات الله جميعاً!.

فالإمامة الربانية ورثها المصطفون من عباد الله ، وان نهج الحق توارثه العلماء الربانيون ، وأهل الزهد والصلاح من شيعة الحق واتباع نهج الأنبياء .

وهو الإمام الخامس سيدي ومولاي

**الامام ( مُحَّد الباقر ﷺ)**

مُحَّد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ﷺ

*****

    

١٨٥٨- سورة هود الاية ١١٦